مفتاح السعادة
في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه
محمد تقي النقوي القايني

مكتبة الروضة الحيدرية

www.haydarya.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مفتاح السّعادة
فى
شرح نهج البلاغة

المجلد الحاديعشر

لِمُؤلّفه سيد محمد تقى النّقوى

قائن
انتشارات قائن

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ١٠٧٥٤٢
التاريخ ١١/٨/١٩ م

نقوی قائنی، محمد تقی، ۱۳۰۸ -
مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغه [علی بن ابی‌طالب علیه السلام] تألیف محمد تقی نقوی القائنی. ـ تهران: قائن، ۱۳۸۳.
ج. ۱۱
ISBN - SET : 964 - 94687 - 5 - 7: (دوره).
ISBN : 964 - 8981 - 01 - 9: (ج ۱۱).
فهرست‌نویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
عربی.
کتابنامه.
۱. علی‌بن ابی‌طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت ـ ۴۰ ق. ـ نهج البلاغه ـ نقد و تفسیر. ۲. علی‌بن ابی‌طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت ـ ۴۰ ق. ـ کلمات قصار. ۳. علی‌بن ابی‌طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت ـ ۴۰ ق. ـ خطبه‌ها. الف. علی بن ابی‌طالب علیه السلام، ۲۳ قبل از هجرت ـ ۴۰ ق. ـ نهج البلاغه. شرح. ب. عنوان. ج. عنوان: نهج البلاغه. شرح.

BP۳۸/۰۲/ن۷ ۲۹۷/۹۵۱۵
۱۳۸۳
کتابخانه ملی ایران م۸۳-۳۴۵۷۱

مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغة ـ المجلد الحادیعشر

المؤلف: محمد تقی نقوی قائنی
الکمیة: ۱۰۰۰
الطبعة: الاولی
تاریخ الطبع: ۱۳۸۴ ش. - ۱۴۲۶ ق.
تنسیق الصفحات: نشرقائن - ۸-۴۴۴۴۶۵۲۷
لیتوغرافی: نوین
المطبعة: زنبق
انتشارات : قائن
تهران: شارع جنت‌آباد، هاتف: ۸-۴۴۴۴۶۵۲۷

جمیع الحقوق محفوظة للناشر

با مشارکت و حمایت معاونت امور فرهنگی وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی
شابک: ۹ - ۰۱ - ۸۹۸۱ - ۹۶۴ ISBN : 964 - 8981 - 01 - 9
شابک دوره: ۷ - ۵ - ۹۴۶۸۷ - ۹۶۴ ISBN-SET : 964 - 94687 - 5 - 7

مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الأشرف

ومن خطبة له عليه السلام (١٥٣)
وهي مشملة علىٰ فصلين

الفصل الأوّل:

□ قوله عليه السلام: وَنَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ، دَاعٍ دَعَا، وَرَاعٍ رَعَا، فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي، وَاتَّبِعُوا الرَّاعِي.

قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ، وَأَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ، وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ. نَحْنُ الشِّعَارُ وَالْأَصْحَابُ، وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ، وَلَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً.

الفَصل الثاني:

منها

فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمٰنِ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا، فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ، وَلْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ، فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ: أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَىٰ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ، فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَىٰ غَيْرِ طَرِيقٍ، فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلَّا بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ، وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ.

وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَىٰ مِثَالِهِ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ، وَمَا

خَبُثَ ظاهِرُهُ خَبُثَ باطِنُهُ، وَقَدْ قالَ الرَّسُولُ الصّادِقُ ﷺ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ. وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَباتاً، وَكُلُّ نَباتٍ لا غِنىٰ بِهِ عَنِ الْماءِ، وَالْمِياهُ مُخْتَلِفَةٌ: فَما طابَ سَقْيُهُ طابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ ،وَما خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ.

◁ اللغة

(ناظِرُ القَلْبِ) إستعارة من ناظر العين وهو النُّقطة السّوداء منها (اللّبيبِ) العاقل (أَمَدَهُ) بالتّحريك غايته ومُنتهاه (غَوْرَهُ)الغَور ما إنخَفض من الأرض (نَجْدَهُ) النَّجد ما إرتَفَع منها (رَّعا) من رَعِت الماشية والرّاعي مَن يَرعيها.

(خاضُوا) الخَوض بفتح الخاء هو الشُّروع في الماء والمُرور فيه ويستعار في الأُمور (أَرَزَ) بفتحتين أي إنقَبَض (الشِّعارُ) بفتح الشين وبالكسر ما ولي الجسد من الثّياب (رائدٌ) مَن أُرسِلَ بطلب الماء والكلاء (السّائِر) من سار يَسير سَيراً فهو سائر وباقي اللّغات واضح.

◁ المعنىٰ

(وَناظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ) أي عين بَصيرة العاقل (بِهِ) أي بالنّاظر (يُبْصِرُ) ويرىٰ (أَمَدَهُ) أي غايته الّتي يَتوجّه إليها والمقصود أنّ اللّبيب بعَين بصيرته يرىٰ ما يرىٰ من مَبدئه و مَعاده (وَيَعْرِفُ) اللّبيب (غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ) أي يعرف ما يوجب إنحطاطه وإرتفاعه، (داعٍ دَعا) المراد بالدّاعي علىٰ ما قيل هو رسول الله ﷺ الّذي دعىٰ النّاس إلىٰ الحقّ (وَراعٍ رَعا) قيل المراد بالرّاعي هو نفسه الشّريفة لكونه ﷺ راعياً للأمّة بعد الرّسول (فَاسْتَجِيبُوا لِلدّاعِي) أي أجيبوا الرّسول (وَاتَّبِعُوا الرّاعِي) أي إتّبعوا وصيّه (قَدْ خاضُوا) النّاس (بِحارَ الْفِتَنِ) بعد الرّسول (وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ) المُحدثة في الدّين (دُونَ السُّنَنِ) النّبويّة (وَأَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ) أي إنقبضوا وسَكَتوا عن التّكلم (وَنَطَقَ الضّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ) فَضّلوا وأضّلوا (نَحْنُ) أراد ﷺ نفسه الشّريفة والطاهرين من ولده (الشِّعارُ وَالْأَصْحابُ) أي شعار

الرسول وأصحابه (وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ) أي خَزَنة علمه وأبواب مدينته (وَلاَ تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلاّ مِنْ أَبْوَابِهَا) فلا يجوز بغيره (فَمَنْ أَتَاهَا) أي البيوت (مَنْ غَيْرَ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً) لدخوله من غير الباب.

(فِيهِمْ) أي في أهل البيت (كَرَائِمُ الْقُرْآنِ) وعظائمه (وَهُمْ) أي أهل البيت (كُنُوزُ الرَّحْمنِ) قد أودَع الله فيهم نفائس لا تحصىٰ (إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا) فيما قالوا (وَإِن صَمَتُوا) وسكتوا (لَمْ يُسْبَقُوا) بل هم السابقون (فَلْيَصْدُقْ) ولا يكذب (رَائِدٌ) وقائد (أَهْلَهُ) أي من تابعه من النّاس (وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ) لدرك الحقائق (وَلْيَكُن) الرّائد (مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ) لا من أبناء الدّنيا (فَإِنَّهُ) أي الرّائد (مِنْهَا) أي من الآخرة (قَدِمَ) وجاء (وَإِلَيْهَا) أي إلى الآخرة (يَنقَلِبُ) ويرجع (فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامَلُ بِالْبَصَرِ) أي ينبغي لصاحب العقل والبصير أن (يَكُونُ مُبْتَدَاءُ عَمَلِهِ) أي أوّله (أَن يُعْلَمَ) علماً قطعياً (أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ) على ضرره (أَمْ لَهُ) أم على نفعه (فَإِن كَانَ) العمل (لَهُ مَضىٰ فِيهِ) مادام العُمر (وَإِن كَانَ) العَمل (عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ) وأعرض عنه (فَإِنَّ الْعَامَلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلىٰ غَيْرِ طَرِيقٍ) لعدم علمه بإنّ عمله عليه أم له (عَلَىَ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ) لأنّ طريق الدّين لا خفاء فيه (فَلْيَنظُرْ نَاظِرٌ) في أعماله (أَسَائِرٌ هُوَ) فيه (أَمْ رَاجِعٌ) إلىٰ القهقرىٰ (وَاعْلَمْ أَنَّ لُكلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلىٰ مِثَالِهِ) أي علىٰ مثال الظاهر لأنّه عنوانه والعنوان حاكٍ عن المَعنون (فَمَا طَابَ) وطَهرَ (ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ) لِما ذكرناه (وَمَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ، وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ ﷺ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ) وذلك لقبح عمله (وَيُحِبُّ الْعَمَلَ) لِحُسنه (وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ) أي بدن العبد لكونه خَبيثاً (وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ) من الأعمال حسناتها وسيّئاتها (نَبَاتاً) ونُموّ يَنبُت العمل فيه (وَكُلُّ نَبَاتٍ) من النباتات (لاَ غِنىٰ بِهِ عَنِ الْمَاءِ) لِشدّة إحتياجه به (وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ) لَوناً وطَعماً (فَمَا طَابَ) منها (سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ ،وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ) وهو واضح.

◁ الشرح

▫ قوله عليه السلام: **وَنَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ...**

ناظر العين هو سوادها الأصغر الّذي فيه إنسان العين أثبت عليه السلام للقلب عين فيها سواد كما في العين المحسّوس وهو من أحسن الإستعارات والمعنىٰ أنّ الإنسان كما يرىٰ بَسَبَب ناظر العين المَحسُوسات كذلك يَرىٰ بَسَبَب ناظر عَين القَلب المَعقولات فيرىٰ به أمَده أي ما إليه معاده ومُنتهاه ويعرف ما هو سبب لإنحطاطه وخَفض مقامه عن الإنسانيّة وما هو سبب لعلوّ مَقامه وارتفاع شأنه وبالجملة ما هو سَبَب لنَقصه وكماله في مراتب السُّلوك وإنّما خَصّ عليه السلام هاتين المَرتَبَتَين أعني الإنخفاظ والإرتفاع بناظر قلب اللّبيب لأنّ العين الظّاهرة لاترىٰ إلّا المحسوس وما ذكرناه ليس منه وفي التّعبير باللّبيب دون العاقل إشارة إلىٰ حقيقة أُخرىٰ وهي أنّ اللُّب جَوهر العقل وحقيقته الّتي لا يَشُوبها شَيءٌ من الأوهام والظُّنون الفاسدة بخلاف العقل فإنّه يطلق علىٰ الأعمّ وقد عُبّر عنه في كثير من الآيات قال الله تعالىٰ:﴿**وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(١)

و: ﴿**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ**﴾(٢)

و: ﴿**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ**﴾(٣)

و: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِى الْأَلْبَابِ** ﴾(٤)

و: ﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾(٥)

و: ﴿**وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ**﴾(٦) وغيرها منها.

والىٰ ما ذكرناه في معنىٰ اللُّب أشار الرّاغب في مفرداته حيث قال: اللُّب العقل الخالص من الشّوائب ويُسمّىٰ بذلك لكونه خالِص ما في الإنسان من معانيه كاللُّباب واللُّب من الشّيء وقيل هو ما زكىٰ من العَقل فكلّ لبّ عقل

١- البقرة ـ ١٧٩ ٢-البقرة ـ ٢٦٩
٣-آل عمران ـ ٧ ٤- يوسف ـ ١١١
٥- الزمر ـ ٩ ٦- ص ـ ٢٩

وليس كلّ عقلٍ لبّاً انتهىٰ.

ثمّ إنّ قوله عليه السلام: **وَنَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ** إلىٰ قوله: **أَمَدَه**، إشارة إلىٰ قوله تـعالىٰ حيث قال: ﴿**إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾(١)

وَلْيُعلَم أنّ الأَمَد والزّمان مُتقاربان من حيث المعنىٰ والفرق بينهما إعتباري فإنّ الأَمَد يقال علىٰ الزّمان بإعتبار الغاية والزّمان عامّ في المبدء والغاية وهذا هو السّر في تَعبيره عليه السلام بالأَمَد فإنّ المقصود أنّ اللّبيب أعني العاقل الواقعي من يبصر بعين البَصيرة غايته ونهايته الّتي لا بدّ له من الوصول إليها وهي ليست إلّا الآخرة والوُفُود علىٰ الرّب بأعماله وأقواله ولا شكّ أنّ التّوجّه بهذه الغاية لا بدّ له من أن يعرف غَوره ونَجده إذ لو لم يعرفهما فكيف يمكن له إصلاح نفسه وعمله وقوله وإذا كان كذلك فلا يَنفعه التوجّه إلىٰ الغاية.

وبعبارةٍ أُخرىٰ: أنّ الإنسان المتّوجه إلىٰ الغاية أعني الوُفود علىٰ الحقّ لا بدّ له في الدّنيا من العَمَل الصّالح الّذي فيه رضىٰ الله ليكون في الآخرة من السُّعداء والعمل الصّالح لا يمكن إلّا بعد معرفته فإنّ من لم يَعرف الصّالح والطالح كيف يعمل عملاً صالحاً والعَمل الصّالح لا يمكن المعرفة به إلّا بعد معرفة غيره من الأعمال الغير الصّالِحة إذ تُعرَف الأشياء بأضدادها ولأجل هذه الدّقيقة قال عليه السلام: **وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ**، فَذكر المُسَبب وأراد السَّبَب مجازاً ثمّ إنّ معرفة الأعمال حَسناتها وسَيّئاتها ملازمة لمعرفة أحكامها الشّرعيّة وإن شئت قلت: الأعمال الصّالحة لا يمكن لأحد الإتيان بها إلّا من طريق الشّرع ولا سيّما العباديّات منها فإنّها مَنُوطة بقصد التقرّب وجوباً وأمّا غيرها فلا وجوب فيه لا أنّه بغير القربة يوجب التّقرب إليه تعالىٰ فإنّ العمل إذا صدر عن العبد لا بقصد التقرّب فهو لا يوجب نَجده وإرتفاعه بل المقصود أنّ العمل بغير القربة أيضاً يتّصف بالحُسن والصّلاح إلّا أنّ هذا الحسن عُرفيّ لا شَرعيّ وإذا لم يكن شَرعيّاً فلا يوجب نجد الإنسان وإرتفاع مقامه.

ومعرفة الدّين أعني الأحكام الشّرعيّة لا يمكن تحصيلها إلّا بمعرفة الرّسول

١- ق-٣٧.

لأنّه هو الّذي أتىٰ به من الله تعالىٰ فهو الحُجّة علىٰ خلقه مادام كونه حيّاً.

وأمّا معرفة الدّين بعد الرّسول فتتوقّف علىٰ معرفة وصيّه الّذي أوصىٰ به وهو الإمام فينتج أنّ معرفة الدّين والعَمل بأحكامه وتَمييز الحقّ عن الباطل والصّالح عن الطّالح موقوف علىٰ معرفة الإمام في كلّ عصر وزمان وهذا معنىٰ قوله ﷺ: **من مات ولَم يَعرف إمام زَمانه مات ميتة الجاهليّة**، فإذا لم يَعرف الإنسان الإمام لم يَعرف الرّسول وما لم يَعرف الرّسول لم يَعرف الدّين وما لم يَعرف الدّين لم يَعرف غَوره ونَجده وما لَم يَعرف غَوره ونَجده لم يبصر أمَده وإذا كان كذلك فلا يكون لَبيباً فَمن لم يَعرف الإمام لا يكون لَبيباً وهو المطلوب.

▫ قوله ﷺ: **دَاعٍ دَعَا، وَرَاعٍ رَعَا، فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي ،وَاتَّبِعُوا الرَّاعِي...**

أي داعٍ دعاكم إلىٰ الحقّ وهو الرّسول وراعٍ رعاكم لئلّا تضلّوا عن طريق الهدىٰ بعد الرّسول وهو الإمام فإستجيبوا لِلداعي بالإطاعة والإنقياد واتّبعوا الرّاعي أعني الإمام في أقواله وأفعاله وأعماله وإنّما قلنا: داعٍ دَعا، هُو الرسول، لأنّ الرسول هو الدّاعي إلىٰ الله.

قال الله تعالىٰ في الرسول: **﴿وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾**(١)

و: **﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ﴾**(٢)

و: **﴿وَمَنْ لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ﴾**(٣)

وإذا ثبت أنّ الدّاعي هو الرّسول وأنّ دعوته من الله وإلىٰ الله لا من نفسه وإلىٰ نفسه فلا محالة تجب إطاعته وإستجابته لأنّ إطاعته إطاعة الله وإستجابة دعواه إستجابة دعوة الله كما قال تعالىٰ: **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾**(٤)

و: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾**(٥)

١- الاحزاب ـ ٤٥/٤٦ ٢- الأحقاف ـ ٣١
٣- الأحقاف ـ ٣٢ ٤- آل عمران ـ ٣١
٥- الأحزاب ـ ٢١

ثمّ إنّه لا شكّ أنّ النبي كغيره من النّاس يموت قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾(١)

ولأجل هذا نرىٰ أنّه ﷺ قد مات بالمدينة وقبره ﷺ الآن مشهور، فما كان تكليف النّاس بعده إلّا كما كان قبله من العَمل بالأحكام الشّرعية فإنّ الدّين لا يموت بموت الرّسول ألا ترىٰ أنّه قال: حلاله حلال إلىٰ يوم القيٰمة وحرامه حرام إلىٰ يوم القيٰمة، وإذا كان الدّين باقياً فلا بُدّ من وصيّ له يبيّن للناس أحكامه وتفسير كتابه لئلّا يكونوا حيارىٰ بعد نبيّهم وهو المُعبّر في لسان الشّريعة بالإمام وإنّما عَبّر ﷺ عنه في المقام بالرّاعي من باب الإستعارة وذلك لأنّه شَبّه النّاس بالأغنام والإمام بالرّاعي فكما أنّ الأغنام لا بدّ لها من الرّاعي يَحفظها ويَصُونها عن الخَطرات من السّباع وغيرها فكذلك الإنسان لا بدّ لهم من راعٍ في أمر دينهم ودنياهم هم لئلّا يَسقطُوا في الهَلَكات كلّ هذا بمقتضىٰ العدل والرّحمة منه تعالىٰ.

وإذا كان كذلك فكما أنّ الغنم لا بدّ له من الإتّباع والإطاعة وإلّا يقع في خطر عظيم كذلك الإنسان لا بدّ له من إتباع الإمام والإطاعة له وإلىٰ هذا المعنىٰ أُشير في القرآن حيث قال: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُم﴾(٢)

تنبيه عرفاني: إعلم أنّ الإستجابة من الجواب وهي إجابة الدّاعي باللّفظ بعد إستماع قوله بالسّمع وإن شئت قلت: مَرحلة الأُولىٰ الإستماع والثّانية الإعتقاد والثّالثة الإجابة باللّفظ وما يَشبهه وهذه المراحل قد ثَبتت في الرّسالة ويعبّر عنها بالإسلام فقط.

فإنّ النّبي ﷺ قد دعا الناس إلىٰ الحقّ وقال: ﴿قُولُوا لا إِلٰهَ إِلّا الله تُفلِحوا﴾ فمن سمعه وإعتَقَد بصدقه أجاب الرّسول بلفظه وقال لا إله إلّا الله مُحمّد رسول الله ﷺ وهذا هو الإسلام وأمّا الإتّباع فهو المشي قولاً وفعلاً في طريق المُتّبع فإن خالفه كلّاً أو بعضاً فليس بمُتّبعٍ واقعاً وبعبارةٍ أُخرىٰ الإتباع هو العَمل في الفعل

١ـ الزمر ـ ٣٠ ٢ـ النساء ـ ٥٩

والهوىٰ وهذا هو الإيمان علىٰ مذهب الخاصّة كما عرفت سابقاً وعليه فقوله عليه السلام: **فَاسْتَجِيبُوا لِلدّاعِي** إشارة إلىٰ الإسلام وقوله واتّبعوا الرّاعي إشارة إلىٰ الإيمان فمن أجاب الدّاعي ولَم يَتّبع الرّاعي لَم يتصفْ بالإيمان بل هو مُسلِم فحسبُ **﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾**(١)

ومن أجاب الدّاعي واتَّبع الرّاعي أعني الإمام بعده فهو المؤمن حقّاً ولعلّه لأجل هذه الدّقيقة لَم يَقنع عليه السلام بقوله: **فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي** ، فقال بعده: واتّبعوا الرّاعي فإنّ الإسلام يَتمّ بالإيمان وهو بدونه ناقص لا يَنفع كذلك الرّسالة تتمّ بالإمامة وهي بدونها لا تَنفَع فكلّ متّبع مجيب وليس كلّ مجيب بمتبَع كما أنّ كلّ مؤمن مسلم ولا عكس فإفهم واغتنم.

وإنّما قال عليه السلام: **وَاتَّبِعُوا الرَّاعِي** ولَم يقل فاستجيبُوا الدّاعي بل قال عليه السلام للدّاعي، لِنُكتةٍ لابأس بالإشارة إليها وهي أنّ الرّاعي أعني الإمام ليس بواحد بل إثنىٰ عشر خَليفة أوّلهم عليّ ابن أبي طالب وآخرهم المَهدي سلام الله عليهم أجمعين وبعد المهدي في زمن الغيبة نوّابه الخاصّة والعامّة إلىٰ يوم ظهوره فالألف واللام في (الرّاعي) لِلجنس وهذا بخلاف الدّاعي فإنّه لم يكن إلّا واحداً وهو الرسول صلى الله عليه وآله ولِذلك قال لِلداعي ولَم يَقُل الدّاعي.

ويمكن أن يكون الألف واللام في الرّاعي لِلعهد الذّهني وعليه فهو إشارة إلىٰ الرّاعي المَعهُود في ذهنه عليه السلام وهو نفسه الشّريفة وعليه فالمعنىٰ إستجيبوا للدّاعي أعني الرسُول واتّبعوا الرّاعي المعهود أعني المتكلّم بهذا الكلام ونعم ما قيل: علىٰ ما في المناقب:

بـدين المـصطفى أرجـو نـجاتي وحُـبُّ المُـرتضىٰ مـن يـوم شـينِ
بـفاطمة البـتُول أتـاك رُشـدا ويـالحَسَن الزكـي ويـالحُسين
بـزين العـابدين وصَـلتُ حَـبلي عـلّي بـن الحسـين ومـن كـذين
وإنّ البـاقر بَـن عَـلّيَ رُكـني مُـحمّد وهـو رُكـن الأمّـتِين

١-الحجرات-١٤

وكَـهفي جَـعفر الصادق عِلمًا أفُــوز مــن الجَـنان بـحِلّتين
وكـاظم غَـيظه الطُّـهر مُوسىٰ إلىٰ رَبّــي جَـعلتُ وَسـيلَتين
وإنّـي بـالرّضا علّي بن مـوسىٰ وثَــقتُ بـأن أتـاك فَـضيلَتين
كـذاك وبـالزّكي أمنت يَوما مُـحمّد مــن أليـم عُـقوبَتين
وحَـسبي بـالإمام عـلّي وابـنٍ له حَسَـــن قـتيل العَسكـرين
تـحاب بـه وحُبّ الكّل جَـمعاً هـو المَـهدي أرجى خصلتين

▫ قوله ﷺ: **قَدْ خَاضُواْ بِحَارَ الْفِتَنِ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ...**

بعد ما أمرهم بإستجابة الدّاعي وإتّباع الرّاعي فكأنّه ﷺ تأسّف عليهم وقال قد خاضوا بحار الفتن بعد الرّسول وأخذوا بالبدع المُحدثة في الدِّين ولم يأخذوا بسنن الرّسول بل تَركُوها وبالجملة بعد موت النّبي صاروا مُتشتّتين مُتفرّقين وقد تكلّمنا في هذا الباب مُفصّلاً في شرح الخطبة الشِقْشِقيّة عند البحث في الإمامة وأمّا بحسب الإجمال فنقول.

أمّا قوله ﷺ: **قَدْ خَاضُواْ بِحَارَ الْفِتَنِ**، فهو إشارة إلىٰ الفتن والحوادث الواقعة بعد النّبي ﷺ من إعراض الناس عن أهل البيت وإقبالهم علىٰ أهل السّقيفة وما أسّسُوه فيها وقد قال النّبي ﷺ فيما رواه غير واحد من العامّة والخاصّة. **مثل أهل بيتي مثل سَفينة نُوح من ركبها نجا ومن تَخلّف عنها غَرق، أو هَلك**، فقوله ﷺ: **خَاضُواْ بِحَارَ الْفِتَنِ**، إشارة إلىٰ أنّهم لَم يركبُوها فلا محالة غَرقُوا في بحار الفتن وهو كذلك وكان النّبي ﷺ قد أخبر بها في حياته مراراً.

منه: ما رواه الثّعلبي في تفسيره عن عبد الله بن عبّاس (ابن حامد) عن أحمد بن محمّد بن الحسن عن أبي هريرة أنّه كان يُحدّث أنّ رسول الله ﷺ قال: **يَرِد علىٰ يوم القيٰمة رَهطٌ من أصحابي فَيُحلّؤن عن الحَوض فأقول يا ربّ أصحابي أصحابي فيقال: إنّك لا عِلم لك بما أحدَثُوا إرتدّوا علىٰ أدبارهم القَهقَرى**،« بحار الأنوار ج ٨ ص ٧ ط كمباني»...

ومنها: ما رواه عن صَحَيحتي البخاري ومُسلم والجمع بين الصّحيحَين

بإسنادهم إلىٰ ابن عبّاس قال خَطب رسول الله ﷺ فقال: أيّها النـاس إنكـم مَحشُورون إلىٰ الله يوم القيٰمة عُراة حُفاة عزلاً وساق الحديث إلىٰ أن قـال: ويجاء برجال من امّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا ربّ اصحابي فيقال إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك «الحديث ص ٧» والأحاديث في الباب كثيرة.

وأمّا قوله ﷺ: وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ، ففيه إشارة بل تصريح بأنّهم لَم يَقنعوا بما فَعلوه من الخوض في الفتن بل أحدثوا وأوجدوا البِدع في الدِّين وأدخلوا فيه ما ليس منه وتبعهم علىٰ ذلك قوم فَاتَّبِعُوا آثارهم وما كانُوا مهتدين والمراد بالبدع الّتي أخذوا بها البدع الّتي أبدعها أبو بكر وعُمر وعُثمان وقـد تَكلّمنا فيه تفصيلاً في المجلّد الأوّل من هذا الكتاب فلا نعيد الكلام بذكرها ثانياً ونشير إليها إجمالاً.

أمّا أبو بكر: فَمِن مُبدعاته إيجاد السّقيفة وتَصدّيه للخلافة مع أنّـها كـانت مَنصوصة في الدِّين ووجه كونهما بدعة أنّه ليس من الدين تعيين الخليفة بعد النّبي فمن قال به أدخَل في الدِّين ما ليس منه ولا نعني بالبدعة إلّا هذا.

ومنهاـ أنّه منع فاطمة حقّها وإرثها وقد ثَبت الإرث للوارث بأصل الشرع كتاباً وسنّة وإجماعاً ولمّا أسنده إلىٰ الشرع وجعل حديث: نحن معاشر الأنبياء لا نورّث، فقد أدخل في الدِّين ما لم يكن فيه وهو منع الإرث من غير سبب كذباً علىٰ الله ورسوله.

ومنهاـ قوله في الكلالة حيث قال: أقول فيها برأيي فإن كان صواباً فمن الله وإن يكن خطاء فمنّي، ولا نَعني بالبِدعة إلّا القول بالرّأي في مقابل الدّين.

ومنهاـ أنّه حَكَم بقطع يسار السارق في المَرّة الاولى وهو خلاف الإجماع والضّرورة من الدّين.

ومنهاـ حكمه بإحراق فجأة السّلمىٰ وهو من قبيل الإجتهاد في مقابلة النصّ وهو بِدعة.

وأمّا عمر ابن الخطاب فهو كان شريكاً له في الشّورىٰ وتَصدّي الخـلافة

وتفرّد بأمور.

منها- تحريمه المُتَمتِعِين مُتعة الحَج ومُتعة النِّساء ولم يكن له أن يشرع في الأحكام وينسخ ما أمر به سَيِّد الأنام ويجعل إتّباع نفسه أولىٰ من إتّباع من لا ينطق عن الهَوىٰ وقد إستوفينا الكلام في الباب في باب المطاعن وهو من أعظم البِدع.

ومنها- إنّه مَنَع من المغالات في صدقات النّساء وقال من غالىٰ في مهر ابنته أَجَعله في بيت المال وهو خلاف ما حَكَم به الكتاب حيث قال: ﴿إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً﴾ (١) وهو بِدعة.

ومنها- أنّه أَمَر بِتَرك الصَّلوة عند فقد الماء وقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾ (٢) وهو بِدعة.

ومنها- صلوة النافلة في شهر رمضان جماعة وقد قال النّبي ﷺ: **أيّها الناس إنّ الصّلوة في شهر رمضان من النافلة جماعة بِدعة وصلوة الضُّحىٰ بِدعة ألا فلا تجتمعوا ليلاً في شهر رمضان في النافلة فإنّ قليلاً في سنّة خير من كثير في بِدعة ألا وأنّ كلّ بدعةٍ ضلالة وكلّ ضلالةٍ سَبيلها إلىٰ النّار**، وروو أنّه قال فيها، هذه بِدعة ونِعَمت البِدعة.

ومنها- وضعه الخراج علىٰ أرض السّواد وعدم إعطائه أرباب الخمس منها خمسهم وقد إعترف الشارح المعتزلي به وهكذا غيره من علماء العامّة وأنّه مخالف للكتاب والسنّة وبِدعةٌ في الدّين.

ومنها- أنّه زاد الجَزية عمّا قَرَّرها رسول الله ﷺ وهو حرام علىٰ مذهب فقهائم الأربعة.

ومنها- بِدعة الطّلاق وهو أنّه جعل الطّلاق الواحد ثلاثاً وتفصيل الكلام فيه في محلّه.

ومنها- المَسح علىٰ الخُفّين وقد كان علىٰ عهد رسول الله ﷺ وعهد أبي بكر علىٰ خلافه.

١- النساء ـ ٢٠ ٢-المائده ـ ٦

ومنها- نقص تكبير من الصّلوة على الجنائز وجعلها أربعاً.

ومنها- القول بالعَول والتّعصيب في الميراث وتفصيل الكلام في كتاب الإرث.

ومنها- قوله الصّلوة خير من النوم مكان الحَيّعلات وغير ذلك ممّا يطول الكلام بذكره.

وأمّا عثمان ابن عفّان.

منها- فممّا أبدعه أنّه جَمع النّاس على قرائة زيد ابن ثابت خاصّة وأحَرَق المَصاحف كُلّها وأبطَل ما لا شكّ أنّه مُنزّل من القرآن وجَمْع النّاس على قرائة واحدة ليس من الدّين فهو بدعة.

ومنها- أنّه حَمىٰ الحَمىٰ عن المسلمين مع أنّ رسول الله ﷺ جَعَلهم شَرْعاً سواء في الماء والكلاء فهو بدعة.

ومنها- إتمامه الصّلوة بمِنىٰ مع كونه مُسافراً وهو مخالف لِلسنّة، فهو بدعة.

ومنها- تقديمه الخُطبَتين في العِيدين وهو خلاف السُنّة كما هو مقرّر في محله، فهو بدعة.

ومنها- إحداثه الأذان يوم الجمعة زائداً على ما سَنّه رسول الله ﷺ وهو بدعة محرّمة وغير ذلك منها وهذه البِدع والأحداث هي التي خاضوا فيها بعد الرسول ﴿ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾(1)

□ قوله ﷺ: وَأَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ ،وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ...

أي لمّا وَقَع ما وَقَع وخاضُوا فيما خاضُوا فلا مَحالة أرز المؤمنون أي إنقبضوا ونَطَق الضالّون المُكذّبون من إتّباع الأهواء والآراء بما شاؤا وأرادوا وذلك لأنّ الناس في كلّ عصر وزمان على صنفين ولا ثالث لهما صنف من أتباع الشيطان وآخر من أتباع الحَقّ.

أمّا الأوّل: وهو الأكثر غالباً يتّصف بالكذب في الأقوال والخِيانة والظُّلم في

1- الانعام- 91

الأعمال وسوء النيّة وخبث السّريرة في الإعتقاد فلا يقول ولا يفعل إلّا ما تقتضيه النّفس الأمّارة سواء كان مطابقاً للعقل والشرع أم مخالفاً لهما فإنّ المقصد الأصلي في جميع حركاته وسكناته هو جلب المنافع المادّية والزخارف الدّنيويّة حيثما شاء وكيف إتّفق.

والصِنف الآخر أهل الحقّ فلا يقول إلّا حقّاً ولا يفعل إلّا حُسناً فإن كان الأوّل ناطقاً فلا محالة يكون الثّاني ساكتاً وبالعكس بالعكس لإستحالة إجتماع النقيضين وإرتفاعهما وحيث كان الأمر بعد الرّسول على خلاف الكتاب والسنّة موافقاً لأميالهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة بسبب إختيارهم وإنتخابهم الخليفة من عند أنفسهم من غير أن يكون للمؤمنين في هذا الأمر حَقٌّ وسَهمٌ بل لَم يَعتنُوا بهم أصلاً فلم يُشاورُوهم بَل ولَم يُخبروهم فلا محالة وقع الأمر بما شاؤا فصاروا متصدّين لأمور النّاس دينهم ودنياهم فَحَكموا فيهم بما أرادوا وقَضَوا عليهم بما شاؤا كما هو شأن الأشرار إذا سلّطوا على الأخيار فشاع الكذب على الله ورسوله وكَثرت البِدع وظَهَرت الفُجور والفُسوق والبُهتان على الأخيار والصُّلحاء وبذلك أرز المؤمنون وحبسوا في زوايا الخمول وإستمرّت هذه السّيرة الخَبيثة إلى زماننا هذا وإلى الله نشكو حزننا ومنه نَستمدّ في رفع الهُموم والآفات ونلعَن من أسّس أساس هذا الظُّلم والعدوان فإنّ من سَنَّ سَيِّئةً فعليه وِرزها.

▫ قوله عليه السلام: **نَحْنُ الشِّعَارُ وَالْأَصْحَابُ، وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ...**

قال في المنجد: الشّعار مكان ذو شجر، ما تحت الدّثار من اللّباس وهو ما يلي شعر الجَسَد.

وقال: الشِعار بالكسر نداء مخصوص يعرف القوم به بعضهم بعضاً إلى أن قال وهو ما تحت الدّثار من اللّباس وهو ما يلي شَعر الجَسَد، جلّ الفرس وقال شِعار الحجّ مناسكه وعلاماته، وشعار المَمَلكة علاماتها والواحدة شعارة انتهى وبه قال الراغب في المفردات.

وأمّا قول الخَوئي ﷺ الشِعار بالكسر ما ولي الجسد من الثياب، إن كان مراده أنّ الشُعار بالفتح معناه غير ذلك فهو ليس بجيّد كما عرفت وإن كان مراده عدم الإنحصار فلا إشكال فيه فإنّ إثبات الشيء لا ينفي ما عداه وكيف كان فالشّعار في كلامه ﷺ بالفَتح والكسر والمعنىٰ واحد والأصحاب جمع (صاحب) وهو الملازم المعاشر للشيء كثيراً، والخَزَنة بفتح الخاء والزّاء جمع (خازن) كما أنّ السَّكنة جمع (ساكن) والأبواب جمع (باب) إذا عرفت هذا فنقول:

عني ﷺ بقوله (**نحن**) أهل البيت : أوّلهم ذاته الشريفة وآخرهم مهدي الموعود ﷺ والمعنىٰ نحن الشّعار في الإسلام، ونحن الأصحاب للرسول ونحن الخَزَنة لِلعلوم والحقائق، ونحن الأبواب الّتي لا تُؤتىٰ البيُوت إلّا منها فالمقاصد أربعة.

المَقصد الأوّل: في شرح قوله ﷺ: **نحن الشّعار**، قد بيّنا ونقلنا عن أهل اللغة أنّ الشعار بالفتح أو الكسر تارة يراد به، مكان ذو شَجَر، وتارةً يراد به ما تَحت الدّثار من اللّباس وتارة يراد به النّداء المَخصوص، وتارة العلامات وكلّ هذه الوجوه والإطلاقات لا بأس به في المقام.

فعلىٰ الأوّل: شَبّه ﷺ أهل البيت بالأشجار المُثمرة المُفيدة في مكان خاص فالكلام خَرج مَخرج الإستعارة وهذا التّشبيه ممّا لا بأس به بل هو من أحسن الإستعارات والتّشبيهات وذلك لأنّهم الكلمات التامّات تكويناً كما ورد عنهم . نحن الكلمات التامّات.

وقد شبّه الله تعالىٰ الكلمة بالشَّجَرة حيث قال: ﴿ **مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ** ﴾وقال: ﴿ **وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ**﴾هذا إن كان المراد بالكلمة الكلمة الوجوديّة التّكوينيّة وإن أريد بها الألفاظ المُفيدة كما هو المتفاهم بحسب العرف فكلماتهم من أحسن الكلمات وكيف كان فإطلاق الشعار عليهم بهذا المعنىٰ متين جدّاً.

وأمّا علىٰ الثاني: أعني ما تحت الدّثار من اللّباس ممّا يلي شَعر الجسد فهو

أيضاً صَحيح على طريق الإستعارة حيث شَبّه عليه السلام الإسلام أو الرّسول بالجَسَد وأهل البيت باللّباس الّذي يلي شعره وهو إشارة بكثرة ملازمة أهل البيت بل ملاصقتهم بالرّسول أو الإسلام بحيث لا يمكن إنفصالهم عنه فقد عَبَّر عليه السلام عن هذه الملاصقة بالشّعار.

وعلى الثّالث: أيضاً لا بأس به فإنّ النداء المخصوص الّذي يعرف القوم به بعضهم بعضاً هو أهل البيت وهو أيضاً على سبيل الإستعارة والوجه فيه هو أنّ معرفة القوم الإسلام وتَعريفهم الإسلام لغيرهم إنّما هو بسبب أهل البيت لأنّهم المصاديق الحَقيقيّة والمَجالي التّامة الكاملة للإسلام عِلماً وعَملاً وهو واضح.

وعلى الرّابع: فهو أوضح إذا لا علامة لِلإسلام أجلى وأظهر منهم ووجه الشَّبه في الكلّ لا يخفى.

المقصد الثاني: في شرح قوله عليه السلام: **وَالْأَصْحَابُ** أي ونحن الأصحاب.

قد ذكرنا أنّ الأصحاب جمع صاحب وهو الملازم المعاشر للشيء كثيراً عليه فقوله عليه السلام هذا إشارة إلى أنّ أهل البيت هم المصاحبون الملازمون للرسول لا غيرهم فأصحاب الرّسول في الحَقيقة أهل بيته وما ورد عنه صلى الله عليه وآله في مدح أصحابه يرجع إليهم أوّلاً وبالذات وإلى غيرهم ثانياً وبالعَرض.

فقول الرّسول صلى الله عليه وآله: **أصحابي كالنّجوم بأيّهم إقْتَديتم إهتديتم** على فرض صدوره عنه صلى الله عليه وآله راجع إلى أهل البيت لكونهم الأصحاب حقيقة لا إلى ما ذهب إليه بعض من لا خبرة له من أنّ المراد كلّ من رأى النّبي صلى الله عليه وآله وسمع منه كما عليه العامّة في معنى الصّحابي وهكذا قوله عليه السلام: لا تَسبُّوا أصحابي وأمثال ذلك ممّا رووا عنه إن كانت الرّواية صَحيحة.

والحاصل أنّه يستفاد من كلامه عليه السلام هذا **(نحن الأصحاب)** أنّ أصحاب الرّسول في الحَقيقة هم أهل البيت ومن تابعهم إلى يوم القيٰمة وليس لغيرهم فيه حظّ ولا نَصيبٌ.

ولا شكّ أنّ ما ذكره عليه السلام في مَعنى الأصحاب هو الصَّحيح المطابق للعقل

السليم وذلك لأنّ الأصحاب إن كان المراد بهم المَعنى العُرفي العامّي أعني كلّ من صحب الرّسول ورآه بلا قيدٍ وشرطٍ يلزم أن يكون الكفّار والمشركون والمُنافقون في صدر الإسلام من الأصحاب لأنّهم كانوا قد رأوه وسَمِعُوا كلامه غير مَرّةٍ بل صاحبوه بحَسب الظاهر في السَّفر والحَضر وهل يَحكمُ العاقل به وإن كان المراد بهم من لازمه ﷺ وعاشره على الإسلام كثيراً كما عليه أهل اللّغة فلا شكّ أنّ أمير المؤمنين ومن تابعه من مُحبّيه وشيعته أمثال سلمان وأبي ذر والمقداد وعمّار وغيرهم هم الّذين كانوا من أكمل الملازمين والمعاشرين له ﷺ وهو ممّا لا خفاء فيه إلّا على المُتعصّب العنيد.

المَقصد الثالث والرابع: قوله ﷺ: **والخَزَنة والأبواب.**

أمّا كونهم: خَزَنة الوَحي والتّنزيل فلا ينكره إلّا المُبغض المعاند وقد مرّ الكلام فيه عند البحث عن الرّاسخين في العلم في قوله تعالى: **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾** (1) وقلنا إنّ المراد بالرّاسخين في الآية آل محمّد وذكرنا الأخبار الواردة فيه وإذا ثبت ذلك في حقّهم فثبت كونهم خَزَنَة علم الله تعالى وهو المطلوب.

وهكذا الكلام في قوله ﷺ: **(والأبواب)** فقد قال الرسول: **أنا مدينة العلم وعليّ بابها** الحديث وهو من المُتواترات بين الفريقين فلا نحتاج إلى ذكر الأحاديث الواردة في الباب لكونها كالشّمس في رابعة النهار مضافاً إلى أنّها ممّا مرّت الإشارة إليه غير مرّة.

◻ قوله ﷺ: **وَلَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً...**

هذا في الحقيقة من تتمّة الحديث المشهور: **أنا مدينة العلم وعلّي بابها الحديث...**

روى الجوزي في المناقب بإسناده عن ابن عبّاس قال قال رسُول الله ﷺ:

1 - آل عمران - 7

أنا مدينة العلم وعلّي بابها فمن أراد المدينة (العلم) فليأت الباب« ص ٤٠»...

وفي غاية المرام من المناقب ابن المغازلي الشافعي بإسناده عن جابر ابن عبد الله قال أخذ النّبي بعضد أمير المؤمنين علّي عليه السلام وقال: هذا أمير البررة وقاتل الكفرة منصورٌ من نَصَره مخذولٌ من خَذَله ثُمّ مَدَّ بها صَوته فقال: أنا مدينة العلم وعلّي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب انتهىٰ « ص ٥٢٠»....

وأيضاً من طريق العامّة بإسناده عن ابن عبّاس قال قال رسُول الله: أنا مدينة العلم وعلّي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب انتهىٰ« ص ٥٢٠»...

وأيضاً عن ابن المغازلي الشافعي بإسناده قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم وعلّي بابها ولا تؤتى البيوت إلّا من أبوابها انتهىٰ« ص ٥٢٠»....

وأيضاً عنه بإسناده قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم وعلّي بابها كَذِبَ مَن زَعم أنّه يَصل إلىٰ المَدينة إلّا من الباب انتهىٰ« ص ٥٢٠»....

وأمّا من طريق الخاصّة فالأحاديث كثيرة لا حاجة لنا بذكرها بقي الكلام في أمور.

أحدها: لم قال عليه السلام الأبواب بصيغة الجمع ولم يقل الباب أو بابها وهكذا القول في الخَزَنة والجواب أنّه قال عليه السلام: **نَحنُ الشّعار** وأراد أهل البيت فاللاّزم هو ذكر الخَزَنة والأبواب بصيغة الجمع ليوافق اللّفظ المعنىٰ والذيل الصَّدر.

وثانيها: أنّ ما ورد عن الرسول في حديث المدينة إنّما ورد في أمير المؤمنين فقال صلى الله عليه وآله: **أنا مدينة العلم وعلّي بابها** والأحاديث كلّها علىٰ هذا المنوال فما معنىٰ قول علّي عليه السلام: **نحن الشّعار والأصحاب والخَزَنة والأبواب.**

والجواب: أنّ ما ثبت له عليه السلام من الرسول فقد ثبت لغيره من الأئمّة لعدم القول بالفصل فإذا كان عليه السلام باب علم النّبي فكذلك الأئمّة بعده وهكذا الكلام في باقي الأوصاف.

ثمّ إنّ عليّاً وأولاده : كما كانوا أبواب علم النّبي كذلك كانوا أبواب مَدينة

الجَنّة وأبواب دار الحِكمة وقد وَرَدت الرّوايات بها أيضاً والمآل واحد ولنعم ما قيل فيه:

مــدَينة العــلم عــلّيٌ بــابها — وكل من حادَ عن الباب جَهل
أم هـل سَـمعتُم قـبله مـن قـائلٍ — قـال سَلوُني قبل إدراك الأجَل

وقال العوفى :

وكم عُـلُومٌ مُـقفّلات فـي الوَرىٰ — قــد فَــتَح الله بــه أقـفالها
حَـرَّم بـعد المُـصطفى حـرامـها — كــما أَحَــلّ بَـينهم حـلالها
وكــم بـحَمد الله مــن قـضيّةٍ — مُشكــلةٍ حَـلَّ لهـم إشكـالها
حتّىٰ أقـرت أنـفُس القـوم بأنّ — لو لا الوَصّـي إرتكبت ضلالها

وثالثها: أنّه ﷺ سمّي الداخل فيها من غير الباب سارقاً والوجه فيه أيضاً ظاهر.

وحاصل هذه الكلمات في هذا الفصل هو أنّ النّاس كانوا مأمورين بإتّباعه ﷺ بعد موت الرّسول وبعد علّيٍ ﷺ بـإتّباع أولاده المعصومين ولكـنّهم أعرضوا عنهم فلَم يُطيعوا أوامرهم ونراهيهم وأخذوا بغير ما أنزل الله فَضلّوا وأضلّوا ﴿**وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾(١) ثمّ أشار ﷺ إلىٰ سائر أوصافهم وقال:

▫ قوله ﷺ: **فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرآنِ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمٰنِ، إِن نَّـطَقُوا صَـدَقُوا، وَإِن صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا...**

ذكر ﷺ لهم أوصاف أربعة في هذا الفصل كما ذكر لهم كذلك في الفصل المتقدّم وحاصل ما ذكره في المقام أنّ كرائم القرآن فيهم لا في غيرهم.

قال الخوئي ﵀ يحتمل أن يكون المراد بالكرائم الآيات الكريمة قال ﴿**وإنّه لقرآن كَريم**﴾ وأن يكون المراد بها الآيات الدالّة علىٰ كرامتهم أي علىٰ جمعهم لأنواع الشّرف والفَضائل انتهىٰ.

أقول: الكرائم جمع كريمة وهي مؤنث الكـريم وأيـضاً تـطلق عـلىٰ كـلّ

١- آل عمران- ١٨٢

جارحة شريفة كاليَد والأُذن ولهذا يقال الكريمتان العينان إذا عرفت هذا فنقول.

كرائم القرآن هي الآيات الشّريفة الأصلية النّازلة فيه فقوله عليه السلام: **فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ**، معناه في فضائل أهل البَيت نزلت الآيات الشريفة.

إن قلت ـ الآيات القُرآنيّة كُلّها شريفة فيلزم على ما ذكرت أن تكون الآيات بأسرها فيهم ولا يقول به أحد إذ كثير منها نزلت في الأحكام والقصص والحدود وأمثال ذلك.

قلنا ـ نعم ولأجل ذلك قال عليه السلام: **فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ**، ولم يقل فيهم نزل القرآن فَتَخصيص الكرائم منها فيهم يدلّ على وجود القِسمين في الآيات، الكرائم، وغير الكرائم، وهو أي وجود القِسمين لا ينافي كون الآيات كلّها شريفة كريمة وذلك لأنّ الآيات لها إعتباران إعتبار في نفسها وإعتبار بالنسبة إلى الغير فكلّ الآية في حدّ نفسها كَريمة شَريفة وبالنّسبة إلى آيةٍ أُخرى أكمل وأشرف منه غَير كريمة وبعبارة أُخرى هذا التُّقسيم في الآيات بالنّسبة إلى الآيات لا بالنّسبة إلى كتاب آخر أو شيء آخر كما يقال زيد عالم وجاهل، عالم بالنّسبة إلى نفسه ومن هو دونه وجاهل بالنّسبة إلى من هو أعلَم منه وما نحن فيه من هذا القبيل.

وإن أبيت إلّا عن هذا فنقول كلّ القرآن ورد فيهم في الحقيقة وذلك لأنّ الأئمّة عليهم السلام أُصول الإسلام وأركان الإيمان وحقائق القرآن وليست لله تعالى آية أكبر منهم.

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ عن أمير المؤمنين أنّ المراد بالآيات الأئمّة والدليل عليه قوله عليه السلام: ما لله آية أكبر مِنّي انتهى« بحار الأنوار ج ٧ ص ٤٢»...

وأيضاً روى بإسناده عن داود ابن كثير قال سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وما تُغني الآيات والنُّذُر عن قوم لا يؤمنون﴾ قال عليه السلام: الآيات الأئمّة

والنذر الأنبياء انتهىٰ« ص ۴۲»...

وفي قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَآيَاتٌ بَيِّنَاتٌ في صُدوُرِ الَّذينَ أوتُوالْـعِلمَ﴾ (١) قـال ﷺ: هـم الأئمّة قوله تعالىٰ: وما يَجحَد بآياتنا يعني ما يَجحَد أمير المؤمنين والأئمّة إلّا الكافرون انتهىٰ« ص ۴۲»....

وفي قوله تعالىٰ: ﴿كِتَابٌ اَنْزَلْنَاهُ اِلَيكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّ بَّـرُو﴾ (٢) أمـير المـؤمنين والأئمّة « ص ۴۲»....

وأنت ترىٰ أنّ هذه التفاسير المأثورة عنهم تـدلّ عـلىٰ أنّ الأئـمّة حـقيقة الكتاب ونفسه.

وأمّا علىٰ القول الأوّل: أعني اخـتصاص الكـرائـم بـهم فـقد وردت أيـضاً روايات.

روي في البحار بإسناده عن ابن كثير عن أبي عبد الله ﷺ فـي قـول الله عزّوجلّ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُـحْكَمَاتٌ هُـنَّ أُمُّ الْكِـتَابِ وَأُخَـرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ (٣) قال ﷺ: أمير المؤمنين والأئمّة وآخرُ مُتشابهات قال ،فلان وفلان: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (۴) قال ﷺ: هم أمير المؤمنين والأئمّة انتهىٰ « ص ۴۲»....

وبإسناده عن المـفضّل قـال سـئلت أبـا عـبد الله ﷺ عـن قـوله تـعالىٰ: ﴿ائت بقرآن غير هذا أو بَدِّله﴾ قال ﷺ: أو بدّل عليّاً انتهىٰ « ص ۴۲»...

أقول: ومنه يظهر أنّ عليّاً نفس القرآن، والأحاديث كثيرة وإن شئت التّفصيل فعليك بالبحار وغاية المرام وغيرها من الكُتُب الموضوعة لهذه الأبحاث ولولا مخافة الإطالة لأشبعناك ممّا ورد في فضائلهم ومناقبهم من الآيات.

قوله ﷺ: **وهم كنوز الرّحمٰن،** الكنوز جمع الكنز وهو في الأصل موضوع لما يَدّخر فيه نفائس الأموال ثمّ أستعير لكلّ ما يُدّخَر فيه الشيىء سواء كان من

١- العنكبوت ـ ۴۹ ٢- ص ـ ٢٩
٣- آل عمران ـ ٧ ۴-آل عمران ـ ٧

الأموال أم من غيرها وقيل بالعكس قال الرّاغب في المفردات: الكَنز جعل المال بعضه على بعض وحفظه وأصله من كَنزتُ التّمر في الوعاء انتهى.

والمقصود أنّ الأئمّة . قد أودع الله تعالى فيهم نفائس العلوم وخيار الكمالات فهم من هذه الجهة كُنوزه وهو كذلك فإنّ الأئـمّة منابع الفضائل والكمالات من العلم والسّخاء والحِلم والعدالة وغيرها وحيث إنّ هذه الفضائل أصلها من الله تعالى لكونها من توابع الوجود وهو منه فَصَحّ أن يقال هم كنوز الرّحمٰن لئلّا يتوهّم متوهّم أنّ هذه الفضائل لهم ﷺ من عند أنفسهم كما قال به بعض المنحرفين من الغلات.

▫ قوله ﷺ: **إِنْ نَّطَقُوا صَدَقُوا، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا...**

أي إن نطقوا صَدقوا في نُطقهم وإن صَمتُوا وسَكتوا عن النُّطق لم يُسبقُوا أي لم يسبقهم فيه أحد وحاصل المعنى أنّ كلّ ما صدر عنهم من الفعل والقول وعدمهما فهو حجّة على غيرهم وقد ثبت في بحث الإمامة أنّ الإمام فعله و قوله و تقريره حجّة وأمّا في المقام فقد أشار ﷺ إلى النُّطق والصَّمت وفيه إيماء إلى أنّ الإمام إن نطق أو صَمَت يجب على المأموم متابعته ولا يقول لِمَ نطق الإمام أو لِمَ ينطق لأنّ كلّ ما يفعله الإمام مَسبُوق بالمَصلَحة الّتي يراها فلا يَتكلّم من عند نفسه كما لا يصمت كذلك وهذا ممّا لا شكّ فيه عند من نقول فيهم بالعصمة إذ العصمة معناها أنّ الله تعالى يعصمهم ويحفظهم عن الخطاء في جميع شئونهم.

▫ قوله ﷺ: **فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ، وَلْيَكُن مِّنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ...**

قلنا الرّائد المُرسَل في طلب الماء والكلاء ليحضر أهله أي من أرسله إليه بما رآه فينبغي أن لا يكذبهم فإن كذب يكون خائناً، شَبَّه ﷺ الإمام بالرّائد وأثبتَ له ما أُثبتَ له على سبيل الإستعاوة والمعنى أنّ الإمام ينبغي أن يكون صادقاً فيما يقول لئلا يضلّ النّاس عن طريق الهدى، وقوله ﷺ: **وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ،**

من أحضر يحضر والمعنىٰ أحضر عقله وإحضار العقل عبارة عن التَّوجه والتَّذكُر علىٰ طريق البصيرة والفهم وهو مَمدُوح بالنّسبة إلىٰ جميع النّاس ولا إختصاص له بالزّائد فقط وإنّما خصّه عليه السلام به لوجهين:

أحدهما: أنّ العقل الخالي عن شوائب الأوهام الّذي أُمِرنا بإتّباعه لا يوجد في أكثر النّاس لو لا نقول كلّهم بل هو مُختصّ بمن عَصَمه الله عن الخطاء والزَّلل أعني المَعصُوم فغير المَعصُوم لا عقل له بهذا المعنىٰ حتّىٰ يحضره وهذا هو السِّر في لزوم الحجّة إذ لو كان لكلّ واحد من الناس ما للإمام من العقل والتَّدبير لما كان في وجود الإمام فيهم فائدة وفي كونه مُفترض الطاعة مَنفَعة وذلك لأنّ المَصلحة في جعل النّبي والإمام هي إرشاد النّاس إلىٰ خيرهم وصلاحهم ومافيه سعادة الدّارين وليس ذلك إلّا لضعف عقول الناس عن إدراك الصّلاح والسّداد وما هو خير للمبدء والمعاد فلو كانوا كاملين في عُقولهم كالأنبياء والأوصياء فقد كان الغرض حاصلاً وتحصيل الحاصل لا معنىٰ له مع أنّ الترجيح من غير مرجّح قبيح عقلاً فقد ثبت أنّ الإمام لابدّ من أن يكون أعقل من غيره بل كامل العقل وهو المطلوب.

وثانيهما: أنّ فيما ذكره عليه السلام إيماء بل تنبيه إلىٰ شدّة مَسئوليّة الإمام وأنّه علىٰ خَطَرٍ عظيم فينبغي أن لا يغفل أبداً ولذلك أمر عليه السلام بإحضار عقله والتّوجه بما يفعل ويقول.

وفي قوله عليه السلام: **وَلْيَكُن مِّنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ**، إلىٰ آخر ما قال إشارة إلىٰ أنّ الإمام ينبغي أن لا يكون غافلاً عن الآخرة مُتوجّهاً إلىٰ الدُّنيا وبعبارةٍ أُخرىٰ لا يكون من أبناء الدّنيا وذلك لأنّه جُعِل لِسَوق النّاس إلىٰ الآخرة والإعراض عن الدّنيا وزخارفها ومُعطِي الشّئ لا يكون فاقداً له فهو من أبناء الآخرة لا محالة ولهذا نبّهه عليه السلام بقوله: **فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ وَإِلَيْهَا يَنقَلِبُ** أي أنّ الإمام لابدّ له من التّوجه إلىٰ أنّه من الآخرة قدم إلىٰ الدُّنيا ومن الدُّنيا ينقلب إلىٰ الآخرة كما قال تعالىٰ: ﴿إنّا

لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ و : ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (١)

والمراد بالآخرة عالم المَلكُوت وقد يُعبَّر عنه بعالم الغيب وقوله عليه السلام: مِنْهَا قَدِمَ منها قدم إشارة إلىٰ أنّ الإنسان قد جاء من عالم الغيب وذلك لأنّ النّفس النّاطقة القدسيّة قدَمت منه وتَعلَّقت بالبدن في عالم المُلك أعني الدّنيا ثمّ ترجع ثانياً إلىٰ محلّها الأصلي وموطنها البدوي بعد قطع العلاقة عن البدن العُنصُري كما أنّ البدن يرجع إلىٰ مادّته الأصليّة وهي التُّراب قال الله تعالىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ (٢) فهذا للبدن العنصري

وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (٣) وهذا بالنّسبة إلىٰ الرّوح فإنّ كلّ شيء يرجع إلىٰ أصله.

بحث فلسفي: إعلم أنّ شيئية الشّيء بصُورته لا بمادّته وهذا ممّا إتّفقوا عليه وإستدلّوا عليه بأنّ الصُّورة ما به الشّيء هو أو هي فِعليّة الشّيء والمادّة ليست كذلك فإنّها صِرف القُوّة ومجرّد الإستعداد وما لم يخرج الشّيء من القوّة إلىٰ الفعل لا يكون شيئاً ولأجل هذا قالوا. إنّ الصُّورة فعليّة الشّيء مضافاً إلىٰ كون الصُّورة تمام العلّة لوجود المادّة والمادّة جزء العلّة لوجود الصُّورة وهذا الّذي ذكرناه لا خلاف فيه بين الفلاسفة وإذا كان كذلك فالنّفس النّاطقة الإنسانيّة بمنزلة الصُّورة للبدن العنصري المادّي فالإنسانيّة تحصل بسبب النّفس لا بسبب البدن وعليه فما لم يتعلّق الرّوح بالبدن لا يطلق علىٰ البدن إنّه إنسان.

ثمّ إنّهم إختلفوا في كيفيّة تعلّق النّفس بالجسم علىٰ أقوال أشهرها بين الفلاسفة قولان:

أحدهما: ما ذهب إليه المشّاؤن من أتباع أرسطو وهو أنّ النّفس جسمانيّة

١- الاعراف- ٢٩
٢- طه- ٥٥/٥٤/٥٣
٣-الفجر- ٣٠ - ٢٧

الحُدوث ورُوحانيّة البقاء ومعناه أنّها حَدَثت مع الجِسم ثمّ في البقاء صارت مجرّدة قال السبزواري:

النَّفس فـي الحُـدوث جِسـمانيّة وفـي البـقاء تكُـون رُوحـانيّة

والسبزواري ﷺ من مشاهير المتأخرين بل الحقّ أنّه خاتم الفلاسِفة وهو في فلسفته من أتباع الصدر الشيرازي ﷺ وقوله هذا هو الّذي أبدعه الصّدر قبله قال السبزواري في شرح المنظومة ما هذا لفظه:

يعني أنّ النفس جسمانيّة الحدوث وروحانيّة البقاء ففي الإبتداء حكـمها حكم الطّبائع المُنطبقة في المادّة بل أنزل منها إذ لم تكن شيئاً مذكوراً فالإضافة إلى المادّة داخلة في وجودها.

وثانيهما: أنّها رُوحانيّة الحُدوث والبـقاء مـعاً وهـذا القـول مـنسوب إلى أفلاطون الحكيم وهو الّـذي إرتـضاه أكـثر الإشـراقـيّين ولكـلّ مسـلكٍ مـن المَسلَكين أبحاث كثيرة ودلائل مُتعدّدة مذكورة في كتبهم من شـاء الإطّـلاع على تفصيلها فعليه بتأليفاتهم من الطّرفين إن كان أهلاً له إذا عـرفت هـذين القولين اللّذين هما في صدر الأقوال فنقول:

يظهر من كلام أمير المؤمنين ﷺ أنّ الحقّ في المقام مع أفلاطون وأتباعه وهو تَجرُّد الرّوح حُدوثاً وبقاءً وذلك لأنّ قوله ﷺ: **منْها قَدِمَ** يدلّ عليه.

وتوضيحه أنّ مجيئ الإنسان من عالم الغيب هو مجيئ نـفسه وروحـه لا مجيئ بدنه فإنّه من عالم المادّة ومبدئه التُّراب كما هو ظـاهر مـضافاً إلى أنّ إنسانيّة الإنسان بنفسه لا ببدنه كما مَرَّ فقوله ﷺ صَريحٌ بأنّ الإنسان الواقـعي أعني النّفس النّاطقة قد قَدِم من عالم الغيب وهو يدلّ على وجوده قبل قدومه إلى الدُّنيا فلو كانت النّفس حادثة بحدُوث البدن كما عليه المشّاؤن فلا معنى لقوله ﷺ: (**فَإنَّهُ مِنْها قَدِمَ**) بل حقّ العبارة أن يقال فإنّه في الدنيا حدث.

وبعبارةٍ أُخرى: لا يقال للشيء الحادث أنّه قَدِم، ألا ترى أنّه لا يقال قَدِم زيدٌ إذا حَدَث وَوَجد بل يقال قَدِم زيد إذا كان موجُوداً غائباً ثـمّ جـاء فـلو كـان

الإنسان الواقعي أعني النّفس النّاطقة حادثة بحدُوث البدن في هذه الدّنيا أو في عالم الرَّحم مثلاً كيف يَصحّ أن يقال قَدِمَ من الآخرة وهو واضح لاخفاء فيه وأظنّ أنّ الشيخ الرئيس أيضاً وافقَنا في ذلك مع أنّه رَئيسُ المشّائين في الفلسفة كما يظهر من قصيدته العَينيّة المشهورة وهي:

هَبَطت إليك من المَحلِّ الأرفع ... ورَقاءُ ذاتُ تَعزُّزٍ وَتَمنُّعِ
مَحجُوبةٌ عن كُلِّ مُقلَةِ عارِفٍ ... وهِيَ الّتي سَفَرت ولَم تَتبرقعِ
وصَلَت علىٰ كُرهٍ إليك ورُبّما ... كُرِهت فَراقِك وهِي ذاتُ تَفجُّعِ
أنفَت وما أَنِسَت فلمّا واصَلَت ... أَلِفَت مُجاورة الخَراب البَلقَعِ

إلىٰ أن قال:

فلأيّ شَيءٍ أُهبِطت من شامخٍ ... عالٍ إلىٰ قَعرِ الحَضيض الأوضعِ
إن كان أهبَطَها الإلٰه لِحِكمةٍ ... طُويت علىٰ الفَطن اللّبيب الأورَعِ
فَهُبُوطُها إن كان ضَربَة لازِبٍ ... لتكون سامعةً بما لَم تَسمَعِ
وتَعُود عالمةً بكُلّ خَفيّةً ... في العالمين فَخَرقها لَم يُوقَعِ

إلىٰ آخر القصيدة وهي من أحسن القصائد في الفَلسَفة وأنت ترىٰ تصريحه بما ذكرناه فقوله: هَبَطت إليك من المَحَلِ الأرفع وقوله: إن كان أهبَطَها الإلٰه وقوله: وصَلَت علىٰ كُرهٍ إليك وهكذا نَصٌّ في كون الرّوح من عالم المَلكُوت وأنّه كان موجوداً قبل وجود البَدن ثُمّ تَعلّق به بأمرٍ من الله تعالىٰ ولا سيّما قوله: وتَعُود عالمةً بكلّ خَفيّة في العالمين فهو دليل علىٰ أنّ المَصلَحة في تَعلّق النّفس بالبدن ووصولها إلىٰ كمالها المطلوب بَسَبَب البدن و آلاته فتأمّل.

▫ قوله ﷺ: **فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامَلُ بِالْبَصَرِ يَكُونُ مُبْتَدَاءُ عَمَلِهِ أَن يُعْلَمَ: أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ؟...**

قال الخوئي في شرح العبارة: أي ينبغي لصاحب العقل البصير في عمله أن يكون مُبتدءُ عَمله الخ أي يَعرف قبل أن يَعمل أنّ عمله نافع له مُقرّب إلىٰ الحضرة الرّبُوبيّة أم مُضِرٌ مُبعّدٌ له انتهىٰ.

أقول: تفسيره الكلام بقوله أي ينبغي لصاحب العقل البصير لا نفهم معناه وأظنّ أنّه ﷺ أخذ قوله ﷺ: (**بالبَصر**) من البَصيرة والمعنىٰ العامل بـالبصيرة، وهو ليس في مَحلّه إذ لو كان كما ذكره لينبغي أن يقول ﷺ: العامل بالبَصيرة فلِمَ عدل عنه وقال العامل بالبَصر والفَرق بين قولنا فلان عامل بالبَصر وفلان عامل بالبَصيرة ممّا لا يخفىٰ علىٰ أحد فإنّ الأوّل الرّؤيـة بـالحاسّة والثّـاني الرّؤيـة القَلبيّة.

فالمعنىٰ أنّ النّاظر بالقلب إلىٰ الأشياء عن بصيرة والعامل فيها بسبب البصر يكون كذلك وبعبارةٍ أُخرىٰ للعارف في أعماله وأفعاله نـظران نـظر بـالقلب ونظر بالبصر فبالنّظر الأوّل يُدرك مَصلَحة الفعل فيأتي به وبالنّظر الثّاني يرىٰ أنّ ما فَعَله هل هو عَلَيه أم لَه ففيه إيماء إلىٰ أنّ الإنسان ينبغي له التأمّل والتّدبُّر في العمل أوّلاً قبل إيجاده ثمّ النَّظَر إلىٰ أنّه عَلَيه أم لَه فعلىٰ ما ذكرناه قـوله ﷺ: (**العامل**) بمعنىٰ النّاظر وإنّما عَبَّر ﷺ به حَذراً عن التّكرار، أو نقول إنّ البصر ليس بناظرٍ بل النّاظر هو النّفس بسبب الآلات وعليه فالبَصر عامل لِلنّفس في الحقيقة وهذا بخلاف الجملة الأُولىٰ فإنّ القلب هو النّفس في المـقام وهـي ناظرة وليس المراد به القلب الصَّنُوبري الّذي هو قطعةٌ من اللّحم فَصَحّ التّعبير عن الأوّل بالنّاظر وعن الثّاني بالعامل فتأمّل.

□ قوله ﷺ: **فَإِن كٰانَ لَهُ مَضىٰ فِيهِ، وَإِن كٰانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ...**

أي فإن كان العمل الّذي أتىٰ به مطابقاً لما أمَرَ به الشّرع أو نهىٰ عنه مُوجباً للسّعادة والكمال المُترقّب فينبغي للعامل به الإدامة عليه وإن كان علىٰ خلاف الشّرع والعقل وَمُوجباً للشّقاوة والضّلالة وقف عنه وتركه بعدم الإتيان به ثانياً وهو واضح.

□ قوله ﷺ: **فَإِنَّ الْعٰامَلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسّٰائِرِ عَلىٰ غَيْرِ طَرِيقٍ، فَلاٰ يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوٰاضِحِ إِلاّٰ بُعْداً مِّنْ حٰاجَتِهِ...**

هذا الكلام منه ﷺ بمنزلة التّعليل لما تقدّم أعني قوله ﷺ: **فالنّاظر بالقلب**

إلىٰ قوله أم له فكأنّه قيل له عليه السلام ولِمَ يكون النَّظر بالقلب مقدّماً علىٰ العمل بالبصر فقال عليه السلام في الجواب فإنّ العامل الخ وتوضيحه أنّ العمل أيّاما كان ومن أيّ شخص صدر ينبغي أن يكون مَسبُوقاً بالعلم إذ العامل بغير علم كمن يسير علىٰ غير طريق يوصله إلىٰ المقصد فلا يزيده أي فلا يزيد العامل أو السّائر بُعده عن الطّريق إلّا بُعده عن حاجته وهو ظاهر إذ السّائر علىٰ غير طريق كلّما بَعُد عنه بَعُد عن المقصد والعمل في الدّين أيضاً كذلك فإنّ السّالك إذا سَلَكَ مَسلكاً بغير مُرشدٍ يُرشده والعامل إذا عمل بغير علم لا يصل إلىٰ مقصده أبداً ولذلك قال عليه السلام:

▫ قوله عليه السلام: **وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ...**

وهذا عكس القّضية الأُولىٰ وذلك لأنّ السّائر علىٰ غير علم إذا كان سيره موجباً لبُعدِه من حاجته فلا محالة يكون السّائر بالعلم علىٰ خلافه أي يكون سيره موجباً لقُربه من حاجته وعليه فينبغي أن ينظر النّاظر في العمل هل هو سائر فيه إلىٰ مقصده الأصلي أم راجع مُعِرضٌ عنه وهو لا يعلم فإن كان السّير في طريق العلم والعمل كان ناشئاً منه فهو سائر واقعاً وإن كان العَمل ناشئاً عن الجهل فهو راجع إلىٰ ما كان فيه قبل العمل أي لا يفيده العمل أصلاً وهذا ممّا لاخفاء فيه:

▫ قوله عليه السلام: **وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَىٰ مِثَالِهِ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ...**

وذلك لأنّ الظّاهر عنوان الباطن فإذا كان الظّاهر مطابقاً للشّرع والعقل فالباطن أيضاً كذلك وبالعكس بالعكس وذلك لوجهين:

أحدهما: أنّ الأعمال والأقوال الظّاهرة تُنشأ عن القلب فإذا كان القلب صَحيحاً عن الأمراض الباطنة من البُخل والحَسَد والكِبر والظُّلم وأمثالها فلا محالة ما ينشأ منه أيضاً يكون صَحيحاً عن الإنحرافات والإعوجاجات العَقليّة

والشّرعيّة وإذا كان القلب مَريضاً بالصّفات الرّذيلة والمَلَكات الخَبيثة يكـون العمل النّاشئ منه أيضاً كذلك ولأجل هذا قالوا: إنّ علم الأخلاق الّذي يُوجب تَطهير القَلب عن الأرجاس مُقَدَّمٌ علىٰ سائر العلوم والأعـمال فـإنّ الأعـمال النّاشئة عن القلب المتّصف بالرّياء والشّرك وحُبّ الجاه والبُخل وغيرها لا فائدة فيها والآيات والأخبار الدّالة علىٰ المُدّعىٰ كثيرة:

وثانيهما: أنّه لا سبيل لنا إلىٰ كَشف الباطن إلّا من طريق الظّاهر فَنحكُم من حُسن الظّاهر علىٰ حُسِن الباطن وعليه مدار العقل والعُرف والشّرع المُطهّر أيضاً قَرّره وأمضاه ألا ترىٰ أنّ الشّرع إكتفىٰ في العدالة بالعدالة الظّاهرة بمعنىٰ ترك الكبائر وعدم الإصرار علىٰ الصّغائر ومن كان كذلك في ظاهر الأمر نحكم بعدالته فَتصحّ الصّلوة خَلفه وتُقبل شهادته وإن كان في الواقع علىٰ خلاف الظّاهر فلا نحكم بقضاء الصّلوة في صُورة كشف الخلاف ويمكن أن يكون قوله عليه السلام: ناظراً إلىٰ الأعمّ الأغلب يعني أنّ الظّاهر غالباً عُنوان الباطن وإن وُجِد مورد أو موارد علىٰ خلافه فإنّ الحكم يدور مدار الأغلب ثمّ إستَدَلّ عليه السلام بقول الرّسول:

- قوله عليه السلام: **وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ صلى الله عليه وآله: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ...**

فَصَّل عليه السلام بين العَبد وعَمَله وأفاد أنّه لا ملازمة بين العَبد وعَمَله فيمكن أن يكون العَبد مَحبُوباً عند الله وعَمَله مَبغُوضاً ويمكن أن يكون العبد مبغُوضاً وعَمله محبُوباً ولا إشكال فيه فإنّ المُسلم المُؤمن يكون مَحبُوباً عند الله بذاته لإسلامه وإيمانه فإذا ظَلَم أو كَذِب أو زَنىٰ مَثلاً يكون العمل مبغُوضاً عند الله والكافر والمُشرك بالله يكون مَبغُوضاً عند الله لكفره وشركه فـإذا عَـدَل فـي النّاس أو صدق في قوله أو أعان ضَعيفاً يكون عَمَله مَحبُوباً عند الله:

والسِّر فيه هو أنّ العمل من آثار الذّات لا من لوازمه ففي الحقيقة هنا أمران، ذاتٌ، وعَمَلٌ فما كان منهما حَسَناً لا يتّصف بالقُبح وما كان قَبيحاً لا يتّصف

بالحُسن والحُسن مَمْدُوحٌ عقلاً في حَدّ نفسه والقُبح مذمومٌ كذلك فالعدل مثلاً حَسَن والظُّلم قبيحٌ وهذا الحكم ذاتيٌ لهما سواء صدرا من المُسلم أم من الكافر وقد زلّت في هذا المقام أقدام الشُّراح ونحن نتكلّم فيه في آخر الخطبة.

▫ قوله ﷺ: **وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً، وَكُلُّ نَبَاتٍ لاَ غِنىٰ بِهِ عَنِ الْمَاءِ، وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ...**

ثمّ أشار ﷺ إلىٰ ما هو الأصل في صُدور العمل وأنّه لِمَ يكون بعض الأعمال حَسَناً وبعضها قَبيحاً من شخصين أو من شخصٍ واحد فقال ﷺ: واعلم إلىٰ آخر ما قال:

وحاصله أنّ العمل يَشبَه النّبات في نَبته ونُمُوّه وطِيبه وخُبثه وهو في النّبات محسُوس فإنّا نرىٰ أنّ النّبات لابدّ له من وجود الماء إذ لو لَم يكن الماء لَم يَنبُت والمياه مختلفة طَعماً فمنها المُرّ ومنها الحُلو وهذا يؤثّر في النّبات كما قال ﷺ:

▫ قوله ﷺ: **فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَّتْ ثَمَرَتُهُ ،وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ...**

أي فما طاب من المياه طاب غرسه أي نباته وحَلَّت ثَمرتُه وما خَبُثَ منها خبث نباته وأمَرّت ثَمرته وهذا الّذي ذكره ﷺ في النّبات محسُوس لا يحتاج إلىٰ التكلّم وأمّا في المقام فنقول: شَبّه ﷺ العمل بالنّبات وأثبَت له ما هو ثابت لِلنّبات وهو الماء وفَرّعَ عليه أمرين:

أحدهما: الحُلو والثّاني المُرّ، وفي العمل حُسنه وقُبحه:

فالماء في العمل هو الإخلاص فيه أعني صدوره عن القلب الخاضع الخاشع الخائف من الله تعالى وبعبارةٍ أُخرىٰ قلب الطّاهر الخالي عن الشّرك والرّياء وإن شئت قلت: العمل النّاشي عن نِيّةٍ صادقةٍ وقصدٍ خالصٍ لوَجه الله فإن كان كذلك فالعمل يكون مَقبُولاً عند الله وهو كناية عن حسن العمل المُعبّر عنه بالحُلو الثّابت في الثّمرة وإن كان العمل ناشِئاً عن قلبٍ خبيثٍ فهو غير

مقبولٍ لقُبحه فهو مُرٌّ غير مفيد فالمهمّ في المقام هُو تطهير القلب أوّلاً ثمّ العمل ثانياً وإلّا فنفس العمل بما هو هو لاعتناء به مع قطع النّظر عن الحُسن والقُبح وهذا أصل كلّيّ في جميع الأعمال تبتني عليه فروع كثيرة لا ينكره إلّا معانِد ومكابِر:

قال رسول الله ﷺ: إنّما الأعمال بالنيّات، وقال ﷺ: لكلّ أمرءٍ ما نوىٰ...

وقال النّبي ﷺ: أربع يُفسدن القَلب ويُنبتن النّفاق في القلب كما ينبت الماء الشَّجر، إستماع اللَّهو والبَذاء وإتيان باب السّلطان وطلب الصَّيد انتهىٰ« مشكاة الأنوار ص ٢٥٥»...

ومن كتاب روضة الواعظين قال النّبي ﷺ: في الإنسان مُضغَة إذا هي سَلِمت وصَحَّت سَلم بها سائر الجَسَد وإذا سَقُمت سَقم بها سائر الجَسد وفَسد وهي القلب انتهىٰ «ص ٢٥٥»...

وقال النّبي ﷺ: لكلّ شيٍ معدنٌ ومَعدن التّقوىٰ قلُوب العارفين انتهىٰ« ص ٢٥٦»...

قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَّ فَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [(١)] صدق الله العلي العظيم.

تنبيه: إعلم أنّ الشّارح الخوئي ﵀ أورد في المقام إشكالاً ثمّ أجاب عنه ويظهر من كلامه ﵀ أنّ الإشكال الّذي خَطَر بباله من المُعضلات ونحن ننقل عباراته ثمّ نقول ما خطر ببالنا:

قال ﵀ بعد ذكره قول الرّسول ﷺ: إنّ الله يُحبّ العبد ويُبغض عَمَله ويُحبّ العمل ويُبغض بَدنه يعني إنّ الله يُحبّ العبد المؤمن بما فيه من وصف الإيمان لكنّه يبغض عمله لكونه سَيّئة وحَراماً ويبغض الكافر بما له من الكفر لكنّه يحبّ فعله لكونه حَسَناً وصالحاً وهذا لا غبار عليه ثمّ قال:

١- إبراهيم - ٢٦=٢٤

وإنّما الإشكال في إرتباط هذا الكلام لسابقه وفي إستشهاد الإمام به مع أنّه لا مناسبة بينهما ظاهراً وليس لِلإستشهاد به وجهٌ ظاهر بل منافاته لما مرّ أظهر من المناسبة كما هو غير خفيّ إذ لازم مَحَبّة الله العبد كون العبد طيّباً ولازم بغضه لعمله كون العَمل خَبيثاً فلم يكن الظّاهر موافقاً للباطن فَيُنافِي قوله عليه السلام: فما خبث ظاهره خَبُث باطنه وكذلك مقتضىٰ بُغض الله سبحانه لبدن الكافر كونه خَبيثاً وحُبّه لعمله كون عَمله طَيّباً ففيه أيضاً مخالفة الظّاهر لِلباطن فَيُنافِي قوله عليه السلام: **فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ** قال ﵀ بعد ذكره الإشكال ما لفظه:

والّذي سَنَح لي في وجه الإرتباط وحلّ الإشكال بعد التّروي وصرف الهمّة إلىٰ حلّه أيّاماً والإستمداد من جدّي أمير المؤمنين عليه السلام هو أنّه لما ذكر أنّ ما هو طيّب الظّاهر طيّب الباطن وما هو خَبيث الظّاهر خَبيث الباطن عقّبه بهذا الحديث النّبوي ﷺ تَنبيها وإيقاظاً للسّامعين بأنّ العبد قد يكون نَفسه محبُوباً وعَمله مبغُوضاً وقد يكون بالعكس كما أَفْصَح عنه الرّسول ﷺ فاللازم له إذا كان محبُوب الذّات لله سُبحانه ومَبغُوض العَمل أن يَجدّ في تَحبيب عَمله إليه تعالىٰ حتّىٰ يوافق نفسه عمله في المَحبُوبيّة وإذا كان محبُوب العمل ومبغُوض البدن أي الذّات أن يَجدّ في تَحبيب ذاته إليه كي يوافق عمله نفسه والغرض بذلك الحَثّ علىٰ تطبيق الظّاهر للباطن في الأوّل وتطبيق الباطن للظّاهر في الثّاني في المَحبُوبيّة حتّىٰ يكونا طَيّبَين ويفاز إلىٰ

النّعيم الدّائم والفَوز الأبد ولا يعكس حتّىٰ يكونا خَبيثَين مَبغُوضين له تعالىٰ فيقع في العذاب الأليم والخِزي العظيم وقد زلّت في هذا المقام أقدام الشّراح والمحشّين وَكَلّت فيه أفهامهم طَونَيا عن ذكر كلامهم من أراد الإطّلاع فليراجع الشّروح انتهىٰ ما ذكره ﵀ بألفاظه وعباراته:

أقول: صَدَق ﵀ في قوله وقد زلّت في هذا المقام أقدام الشّراح والمحشّين إلىٰ آخر ما قال أمّا الشّارح البحراني ﵀ فقال في شرحه لهذا الكلام ما هو خارج عن البحث ولا ربط له بكلامه عليه السلام أصلاً فبنىٰ ﵀ شرحه علىٰ الإستخراجات

الظّنيّة العِرفانيّة الّتي هي بمعزلٍ عن الأفكار المُستقيمة فضلاً عن غيرها وأظنّ أنّه ﷺ نفسه لَم يَفهم ما قال كما هو دأبه في كثيرٍ من المقامات وأمّا المُعتزلي فهو قد إستراح من هَمّ المُعضلات وحَلّها من أوّل الأمر فما أتىٰ في شرحه بشيءٍ يَشبه بالشّرح إلّا حلّ لغات الكلام في الجملة فهو بعدم الشّرح أشبَه منه بالشّرح إذا عرفت هذا فنقول:

لا إشكال في كلامه عليه السلام أصلاً لا ظاهراً ولا واقعاً وإنّما نَشأ الإشكال عن الأفكار الضّعيفة والأفهام السّقيمة وذلك لأنّ أساس الإشكال علىٰ ما ذكره الخوئي ﷺ هو أنّ لازم مَحبّة الله للعبد كونه طَيّباً ولازم بُغضه لعَمَله كون العَمل خَبيثاً فيلزم عدم تطابق الظّاهر للبّاطن فَيُنافي قوله عليه السلام: **فما خبث ظاهره خبث باطنه** وكذلك مقتضىٰ بغض الله لبدن الكافر كَونه خَبيثاً وحُبّه لعَمله كَون عَمله طَيّباً ففيه أيضاً مُخالفة الظّاهر للباطن فينافي قوله عليه السلام: **فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ** فهذا هو الإشكال الّذي أوقعه في التّروي وصَرف الهِمّة أيّاماً:

وأنت إذا تأمّلت في كلامه عليه السلام وإستدلاله بكلام الرّسول حقّ التأمّل لدَريت أنّ البَدن ليس باطن العَمَل سواء في المؤمن والكافِر وإنّما هو آلة الفعل بمعنىٰ أنّ الإنسان بسَبَب البَدن وما فيه من الأعضاء يَعمَل ويَفعل فإذا أحَبَّ الله عبداً وأبغض عَمَله ليس معناه أنّ العمل الخَبيث في الظّاهر لا يطابق الباطن حتّىٰ يلزم عدم تطابقهما بل العَمل الخَبيث يَكشف عن خُبث الباطن فهذا العبد مبغوض من حيث صُدور الخبيث عنه وإن كان محبُوباً من سائر الجهات كالإسلام والإيمان وهكذا الكلام في العبد المبغُوض الّذي يكون عمله محبُوباً فإنّ الكافر مثلاً مبغوض من حيث إنّه كافر وهو لا ينافي كونه محبُوباً من حيث صدور الفعل الحسن عنه فإذا عدل مثلاً فَفعلّه محبُوب وهو أيضاً من هذه الجهة أعني من حيث إنّه عَدَل محبوبٌ وإن كان من حيث الكُفر مَبغُوضاً فالظّاهر والباطن تطابقا ألا ترىٰ إلىٰ قول أمير المؤمنين حيث قال قبل هذا: وإعلم أنّ لكلّ ظاهرٍ باطناً علىٰ مثاله أي علىٰ مثال الظّاهر فإن كان الظّاهر خَبيثاً

فباطنه أي باطن هذا الظّاهر أيضاً خبيث لا مطلق باطن الإنسان كما توهّمه الخوئي وغيره فكلّ ظاهر يوافق باطنه أي باطن هذا الظّاهر الّذي نشأ الظّاهر منه أعنى قَصده وإرادته القَلبيّة ولا يلزم منه خُبث القَلب مُطلقاً وبعبارةٍ أخرىٰ الباطن له إطلاقان باطن هذا العمل وباطن المُطلق الّذي تصدر منه الأعمال خَيرها وشَرّها فباطن الخَير خَيرٌ وباطن الشّر شَرٌّ بإعتبارين وعليه فلا إشكال في كلامه عليه السلام وصَحّ إستدلاله بالخبر المنقول عن النّبي صلى الله عليه وآله:

فقول أمير المؤمنين عليه السلام: (**فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ**) معناه طاب باطن هذا الظّاهر الّذي نشأ الظّاهر منه لا مطلق الباطن وقوله عليه السلام: (**وماخَبُث ظاهره خبث باطنه**) معناه خبث باطن هذا العمل الخَبيث الّذي نشأ العمل منه لا مطلق الباطن وقول الرّسول: (إنّ الله يُحبّ العَبد ويُبغض عمله) معناه يحبّ العبد من حيث هو هو أعني إسلامه وإيمانه وهو لا ينافي عدم حُبّه من حيث صُدور القَبيح عنه وقوله صلى الله عليه وآله :يُحبّ العمل ويبغض بدنه معناه يبغض بدنه من حيث كونه صدر منه القبيح لا مطلقاً فالظّاهر والباطن قد تطابقا لا خلاف بينهما ولا نحتاج إلىٰ التّأويلات البعيدة الّتي إرتكبوها في المقام الّتي لا تغني عن الحقّ شيئاً فإفهم وتأمّل في كلامه عليه السلام حتّىٰ تعرف المتكلّم:

ومن خطبة له ﷺ (١٥٤)
يَذْكِرُ فِيهَا بَدِيعَ خِلْقَةِ الْخُفَّاش

□ قوله ﷺ: اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي انْحَسَرَتِ الْأَوْصَافُ عَن كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ، وَ رَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَىٰ بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ، هُوَ اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وأَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمَّا تَرَى الْعُيُونُ، لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلاً، خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَىٰ غَيْرِ تَمْثِيلٍ، وَلَا مَشْوَرَةِ مُشِيرٍ، وَلَا مَعُونَةِ مُعِينٍ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِع ،وَانْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ.

وَمِن لَّطَائِفِ صَنْعَتِهِ، وَعَجَائِبِ حِكْمَتِهِ، مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هٰذِهِ الْخَفَافِيشِ الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَّيَبْسُطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ، وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا عَنْ أَن تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا، وَتَصِلَ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَىٰ مَعَارِفِهَا، وَرَدَعَهَا بِتَلَأْلُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا، وَأَكَنَّهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِي بَلَجِ إِئْتِلَافِهَا، فَهِيَ مُسْدِلَةُ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَىٰ أَحْدَاقِهَا، وَجَاعِلَةُ اللَّيْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي الْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا، فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ، وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِ فِيهِ لِغَسَقِ دُجْنَتِهِ، فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَىٰ الضِّبَابِ فِي وِجَارِهَا، أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانَ عَلَىٰ مَآقِيهَا، وَتَبَلَّغَتْ بِمَا اكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاشِ مِن ظُلَمِ لَيَالِيهَا، فَسُبْحَانَ مَن جَعَلَ

اللَّيْلَ لَهٰا نَهاراً وَّمَعٰاشاً، وَّالنَّهٰارَ سَكَناً وَّقَرٰاراً، وَّجَعَلَ لَهٰا أَجْنِحَةً مِّنْ لَّحْمِهٰا تَعْرُجُ بِهٰا عِندَ الْحٰاجَةِ إِلَى الطَّيَرٰانِ كَأَنَّهٰا شَظٰايَا الآذٰانِ غَيْرَ ذَوٰاتِ رِيشٍ وَلاٰ قَصَبٍ، إِلاَّ أَنَّكَ تَرىٰ مَوٰاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلاٰماً، وَلَهٰا جَنٰاحٰانِ لَمْ يَرِقّٰا فَيَنشَقّٰا ،وَلَمْ يَغْلُظٰا فَيَثْقُلاٰ ، تَطِيرُ وَوَلَدُهٰا لاٰ صِقٌ بِهٰا، لاٰجِئٌ إِلَيْهٰا، يَقَعُ إِذٰا وَقَعَتْ، وَيَرْتَفِعُ إِذٰا ارْتَفَعَتْ، وَلاٰ يُفٰارِقُهٰا حَتّىٰ تَشْتَدَّ أَرْكٰانُهُ، وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنٰاحُهُ، وَيَعْرِفَ مَذٰاهِبَ عَيْشِهِ وَمَصٰالِحَ نَفْسِهِ، فَسُبْحٰانَ الْبٰارِئُ لِكُلِّ شَيْءٍ عَلىٰ غَيْرِ مِثٰالٍ خَلاٰ مِنْ غَيْرِهِ.

◁ اللّغة

(**الْخُفّٰاشِ**) طائر يَطير باللَيل مُشتقّ من الخَفش الّذي هو ضَعفٌ في البَصَر وضيقٌ في العَين والجمع خفافيش ويقال له الوَطواط أيضاً والظّاهر أنّه مبالغة في الخَفش قال في المجمع الخُفّاش كرُمّان وعليه فالأصل فيه ضَمّ الخاء (**إنحَسَرَتْ**) أي إنقطَعت (**رَدَعَتْ**) أي مَنَعت (**مَسٰاغاً**) أي مَسلَكاً (**لَّطٰائِفِ**) جمع لطيفة (**الضّياء**) النّور (**الظَّلاٰمُ**) ضدّ النّور (**الْقٰابِضُ**)القبض الأخذ (**عَشِيَتْ**) العشا مقصوراً سُوء البَصَر وضعفه (**سُبُحٰات**) بضَمّ السّين والباء جمع سُبحَة درجات النّور وأطواره (**بَلَج**) ظهر وَوَضَح (**إئْتِلاٰفِهٰا**) الإئتلاف اللّمعان (**مُسْدِلَةُ الْجُفُونِ**) سَدَل الثّوب أسدَله أرفاه والجُفُون جمع جَفن بفتح الجيم غطاء العين من أعلاها وأسفلها (**حِدٰاقِهٰا**)الحداق جمع حَدَقة مُحرّكة وهي سَواد العين (**أَسْدٰافُ**) مصدر من أسدف اللّيل أي أظلَمت (**دُجُنَّتِهِ**) بضمّ الدّال وتشديد النّون الظُّلمة وغسق الدّجنّة شدّتها (**أَوْضٰاحُ**)جمع وَضَح مُحرّكةٌ وهو بياض الصُّبح (**ضِبٰابِ**)ككتاب جمع ضَبّ (**وِجٰارِهٰا**) بكسر الواو أي حجرها (**مَآقِيهٰا**) جمع ماق وهو طرف العين ممّا يلي الأنف (**ظُلَم**) بضمّ الظّاء وفتح اللّام جمع ظُلَمة (**شَظٰايٰا**) جمع شظيّة كعطيّة وهي الفلقة من الشّئ (**أَعْلاٰماً**) الأعلام جمع عَلَم مُحرّكةٌ.

◁ **المعنىٰ**

(**اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي انْحَسَرَتِ**) وانقطَعت (**الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ**) لكونه غير متناهٍ ذاتاً وصفةً (**وَ رَدَعَتْ**) أي مَنعت (**عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ**) أي العقول (**مَسَاغاً**) ومَسلَكاً (**إِلىٰ بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ**) لقصُور العقل عن إدراكها (**هُوَ اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وأَحَقُّ**) أي أحرىٰ (**وَأَبْيَنُ**) وأظهر (**مِمَّا تَرَى الْعُيُونُ**) في عالم الحسّ (**لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ**) لعَدم إمكان تحديده (**فَيَكُونَ**) بذلك التحديد (**مُشَبَّهاً**) بغيره من الأشياء (**وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ**) علىٰ الله (**الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ**) لكونه مُنزّهاً عن القدر (**فَيَكُونَ**) بسبب التّقدير (**مُمَثَّلاً**) بغيره من الأمثال (**خَلَقَ الْخَلْقَ عَلىٰ غَيْرِ تَمْثِيلٍ**) جُعِلَ الخلق علىٰ منهاجه (**وَلاَ مَشْوَرَةِ مُشِيرٍ**) ليكون الخلق علىٰ طَبق المشورة (**وَلاَ مَعُونَةِ مُعِينٍ**) يستعين بها علىٰ خلقه (**فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ**) فحسب (**وَأَذْعَنَ**) الخلق وخَضع (**لِطَاعَتِهِ**) وإنقياده (**فَأَجَابَ**) أي الخلق في الخِلقة (**وَلَمْ يُدَافِعِ**) لعدم قدرة الخلق علىٰ الدفاع (**وَانْقَادَ**) أي صار مُنقاداً لربّه (**وَلَمْ يُنَازِعْ**) في الإنقياد (**وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ**) أي الربّ (**وَعَجَائِبِ حِكْمَتِهِ، مَا أَرَانَا**) الله تعالىٰ (**مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ**) ودقايقها (**فِي هٰذِهِ الْخَفَافِيشِ**) جمع خَفّاش (**الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ**) فلا ينتفع منها (**وَيَبْسُطُهَا الظَّلاَمُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ**) فينتفع منها (**وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا**) أي كيف ضَعفت أعين الخفافيش (**عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُوراً**) فلا تقدر علىٰ الإستمداد منها (**تَهْتَدِي**) الخفافيش (**بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا**) ومسالكها (**وَتَصِلَ بِعَلاَنِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ**) وظهورها (**إِلىٰ مَعَارِفِهَا، وَرَدَعَهَا**) ومَنعها (**بِتَلَأْلُؤِ ضِيَائِهَا**) أي ضياء الشّمس (**عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا**) أي درجات النّور وأطواره (**وَأَكَنَّهَا**) أي الخفافيش (**فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِي بَلَجِ ائْتِلاَقِهَا**) ووضوح لمعانها (**فَهِيَ**) أي الخفافيش (**مُسْدِلَةُ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلىٰ أَحْدَاقِهَا**) لإنقباضها وتأثر حاسّتها (**وَجَاعِلَةُ اللَّيْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ**) الخفافيش (**بِهِ فِي الْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا**) فتكسب رزقها بالليل (**فَلاَ يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ**) أي شِدّة الظُّلمة في

الليل لا تمنع عن أبصارها (وَلاَ تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِ فِيهِ لِغَسَقِ دُجْنَتِهِ) فيمضي فيه (فَإذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا) أي إذا طلَعت الشّمس (وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا) وظهر بياضها (وَدَخَلَ مِنْ إشْرَاقِ نُورِهَا عَلىٰ الضِّبَابِ) جمع ضَّب (فِي وِجَارِهَا) وحجرها (أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانَ عَلىٰ مَآقِيهَا) أي إكتفَت وقَنعت (وَتَبَلَّغَتْ بِمَا اكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاشِ مِن ظُلَمِ لَيَالِيهَا) فتَعيش وتقنع عليه (فَسُبْحَانَ مَن جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا) أي الخفافيش (نَهَاراً وَّمَعَاشاً، وَّالنَّهَارَ) أي وجعل النهار (سَكَناً وَّقَرَاراً) بعكس ما لِلإنسان (وَّجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِّن لَّحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا) أي بسبب الأجنحة (عِندَ الْحَاجَةِ إلَىٰ الطَّيَرَانِ) لتحصيل الرّزق مثلاً (كَأَنَّهَا شَظَايَا الْآذَانِ غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلاَ قَصَبٍ) كأجنحة سائر الطّيور (اِلاَّ أَنَّكَ تَرىٰ مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلاَماً) واضحة ظاهرة مثل طراز الثوب (وَلَهَا جَنَاحَانِ لَمْ يَرِقَّا فَيَنشَقَّا ،وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلاَ) يعني إنّ جناحيه لم يجعلا بالغين في الرّقة ولا غليظين كذلك بل هما متوسّطان بينهما (تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لاَصِقٌ بِهَا، لاَجِئٌ اِلَيْهَا) أي لائذ مُعتصم بها (يَقَعُ) الولد (اِذَا وَقَعَتْ) الخفافيش (وَيَرْتَفِعُ اِذَا ارْتَفَعَتْ) الخفافيش (وَلاَ يُفَارِقُهَا حَتّىٰ تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ) أي جوانبه وأعضائه (وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ) أي يمكنه الطّيران بنفسه (وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ، فَسُبْحَانَ الْبَارِئُ لِكُلِّ شَيْءٍ) والخالق له (عَلىٰ غَيْرِ مِثَالٍ خَلاَ) أي مضى وسبق (مِنْ غَيْرِهِ) وذلك لأنّ الخلق منه على سبيل الإبداع.

◁ الشّرح

▫ قوله عليه السلام: اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي انْحَسَرَتِ الْأَوْصَافُ عَن كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ...

قد مضىٰ منّا القول في الحمد لله غير مرّة وقلنا إنّ الألف واللّام فيه إمّا للجنس أو لِلإستغراق واللّام في قوله عليه السلام: لله لِلإختصاص والمعنىٰ جنس الحمد أو كلّه مختصّ بالله تعالىٰ الّذي إنحَسَرت وإنقطَعت الأوصاف عن كنه معرفته وذاته فإنّ الألسن أعيَت عن وَصفه بما هو حقّه والواصفون عَجزوا عن بيانه وذلك لأنّ المعلول لا يقدر علىٰ معرفة العلّة ووصف الشّيء كما هو حقّه

موقوف على معرفة الموصوف كذلك وعدم إمكان معرفة الموصوف دليل على عدم إمكان توصيفه وهو ظاهر ولنعم ما قيل بالفارسيّة:

اى برتر ازخيال وقياس وگمان و وهم
وز هر چه گفته‌اند وشنيديم وخوانده‌ايم
مجلس تمام گشت و به آخر رسيد عُمر
ما هم چنان در أوّل وصِف تو مانده‌ايم

وقال أيضاً:

آن نه روئيست كه من وصف جمالش دانم
اين حديث از دگرى پُرس كه من حيرانم

وقال أيضاً:

گر كسى وصف او ز من پرسد — بى دل از بى نشان چه گويد باز
عاشقان كُشتگان مَعشُوقند — بر نيايد زكشتگان آواز

□ قوله عليه السلام: **وَ رَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَىٰ بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ...**

أي منَعت عظمته العقول فلم تجد العقول مساغاً أي مَسلكاً ومذهباً إلىٰ بلوغ غاية ملكُوته وفيه إيماء إلىٰ أنّ عَجز العقول عن درك حقيقته وربوبيّته والوصول إلىٰ غاية ملكُوته ليس لمنع مانعٍ ورَدع رادعٍ بل العجز قهريٌ ذاتيٌ لها وذلك لأنّ عظمته غير متناهيّة والعقول في المخلوق متناهيّة وإدراك المتناهي غير المتناهي محال للزومه خروج المتناهي عن التّناهيّ أو كونه مُتناهياً أو كونه متناهياً وغير متناه وكلاهما محال قال الرّاغب في المفردات: الملكُوت مختصّ بملك الله تعالىٰ وهو مصدر ملك أُدخلت فيه التاء نحو رحموت ورهبوت قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ﴾ (١) وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٢) انتهىٰ.

إعلم: أنّ المَلكُوت هو باطن الكَون مطلقاً فَصحّ أن يقال إنّه عالَم الباطن كما

١- الانعام - ٧٥
٢- الأعراف - ١٨٥

أنّ عالم المَلك هو العالم الظّاهر أعني عالم الشّهادة وعالم المحسُوس وقد يُعبّر عن عالم الملكوت بعالم الغَيب المقابل لعالم الشهادة وكيف كان فهو خارج عن عالم الحِسّ وقد أشار الحقّ إلىٰ وجوده حيث قال: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(١)

و: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾(٢)

و: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٣)

و: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(٤)

وفي إصطلاح العُرفاء ينقسم إلىٰ عالم ملكُوت الأعلىٰ وهو عالم النّفوس الكليّة وَعالم الملكوت الأسفل وهو عالم المثال المطلق وترتيب العوالم عندهم هكذا.

عالم اللّاهوت، عالم الجَبَرُوت، عالم المَلكُوت، عالم النّاسُوت،

فالأوّل: هو العالم الرُّبوبى.

والثّاني: هو العالم العقُول الكليّة.

والثّالث: هو العالم النُّفوس الكُلّية وعالم المثال كما عرفت.

والرّابع: هو العالم المادّة والحِسّ إذا عرفت مراتبها فَقد عَرفت أنّ الملكَوت هو باطن النّاسوت كما أنّ الجبروت باطن الملكوت واللّاهوت باطن الجَبروت بل باطن الكلّ إذا عرفت معنىٰ المَلكُوت فنقول:

قوله ﷺ: **وَ رَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ** إلىٰ قوله ﷺ: **بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ**، يشعرنا بأنّ البلوغ إلىٰ غاية الملكُوت ونهايته لا يمكن لِلعقل وأمّا البلوغ إلىٰ بعض مراتبه فلا مانع منه بل هو واقع لِلخواصّ من الأولياء والصُّلحاء فضلاً عن الأنبياء والأوصياء.

والسّر في عدم البلوغ إلىٰ غايته هو أنّ ملكُوت الأشياء وبواطنها علىٰ التمام

١- الأنعام-٧٥ ٢- المؤمنون-٨٨
٣- يس-٨٣ ٤- الأعراف-١٨٥

والكمال لا يمكن العلم بها إلّا لخالِقها الّذي خَلَقها وأمّا غير الخالق فلا يمكن له الإحاطة بسّر الوجود وذلك لوجود النّقص في جميع شئون المخلوق علمه وقدرته وإرادته وسائر صفاته فإنّ الصّفات تابعة للموصوف أعني الذات ووجودها تابعة لوجوده فإذا كان المخلوق في حَدّ ذاته ناقصاً في الوجود كما هو شأن الممكن فكيف يعقل إحاطته بما هو غير مُتناهٍ وجوداً وإذا لم يمكن الإحاطة لم يمكن التَّعقّل وحيث إنّ بواطن الأشياء على ما هي عليه غير مكشوفة إلّا على خالقها فالعلم بها يختصّ بخالقها وإليه الاشارة بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[1] و : ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2]

وأمّا الإحاطة على بعض ما في المَلكُوت أو على كلّها إجمالاً لا تفضيلاً فهو غير مُستحيل على مَن خَصّه الله تعالى بذلك كما قال في إبراهيم: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[3] وإن شئت قلت: إنّ إبراهيم قد إطّلع على المَلكُوت تَفصيلاً فهو أيضاً لا بأس به ولا ينافي قوله عليه السلام في المقام حيث صرّح بعدم إمكان بلوغ العُقول إلى غايته وذلك لأنّ كلامه عليه السلام ناظر إلى العُقول المَشُوبة بالأوهام وأمّا العُقول الخالصة المأخوذة عن عين صافية فهي خارجة عن البحث خروجاً تَخَصُّصاً لا تخصيصاً فرُؤية إبراهيم عليه السلام مَلكُوت السّموات والأرض هي رؤية الله في الحقيقة حيث كانت بإذنه ومَشيئته وهكذا الكلام في غيره من الأنبياء والأوصياء والحاصل أنّ قوله عليه السلام بعدم البلوغ معناه أن العُقول البَشريّة لو خُلّيت وطباعها لا يمكن لها البلوغ إليها وهذا صَحيحٌ مضافاً إلى أنّ أصل المُدّعىٰ غير ثابت وقد تَلخّص ممّا ذكرناه أنّ العُقول البَشريّة من حيث هي هي لا يمكن لها البلوغ إليها إمّا مطلقاً بناء على القاعدة العَقليّة أعني عدم إحاطة المتناهي على غير المتناهي وإمّا مع قَطع النُّظر عن إتّصال العقل بالمَبدء الفيّاض فإنّه خارج عن البحث.

١-المومنون ـ ٨٨ ٢- يس ـ ٨٣
٣- الأنعام ـ ٧٥

▫ قوله ﷺ: **هُوَ اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وأَحَقُّ وأَبْيَنُ مِمَّا تَرَى الْعُيُونُ...**

أي الّذي وصفناه إلىٰ هنا هو الله أعني الذّات الواجبية المُستجمعة لجميع الصّفات الكماليّة الّذي يتألّهُ إليه المَخلوق في الشّدة والرّخاء والمالك لكلّ شيء والسّلطان علىٰ غيره بالقَهر والغَلبة بالحقّ لا بالباطل كما في غيره من الملوك أو أنّه لا سبيل للفناء إليه المُبين المُظهر للأشياء والعالم بحقيقتها سرائرها وضمائرها وظواهرها فلا يخفي عليه شيء منها ولا يَعزُب عن علمه مثقال ذرّةٍ لا في السّموات ولا في الأرض وهو أحَقّ وأبيَن أي أحرىٰ وأظهَر مِمّا تراه العُيون فإنّ كلّ ما تراه العُيون في عالم الحِسّ إنّما هو موجود به فليس في عالم الوجود إلّا هو وغيره من شئونه ومراتب تجلّياته فأيّ موجود أظهَر منه حتّىٰ يُري ولا يُرىٰ وقد ثبت أنّ المظهِر أعرف وأظهَر من المظهَر كما وَرد في الدّعاء.

يا مَن في البَرّ والبَحر سَبيله يا مَن في الآفاق آياته ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾(١) يا مَن في الآيات بُرهانه يا مَن في المَمات قُدرته يا من في القُبور عبرته يا مَن في القِيٰمة مُلكه يا من في الحساب هَيبتُه يا مَن في الميزان قضائه يا مَن في الجنّة ثَوابه يا مَن في النّار عقابه سُبحانك خَلّصنا من النّار يا رَبّ.

أَمُرُّ علىٰ جدار ديار سَلمَىٰ — أُقَبِّلُ ذا الجَدار وذا الجَدارا
وما حُبُّ الدّيار شَغَفَن قَلبي — ولكن حُبُّ مَن سَكَن الدّيارا

ولآخر:

الكُلّ عِبارةٌ وأنتَ المَعنىٰ — يا مَن هُو للقلوب مغناطيسُ

▫ قوله ﷺ: **لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً...**

قوله ﷺ: **مشبَّهاً** بفتح الباء ليكون إسم المفعول من شَبَّه يُشبِّه والمعنىٰ لم تبلغ العقول بكُنه مَعرفة الله وحَقيقة ذاته المُقدّسة بالتّحديد فيكون الله مُشَبَّهاً

١-الفصلت ـ ٥٨

بذلك بشيءٍ من الأشياء:

والمرادُ بالتّحديد إمّا معناه اللّغوي وهو التّقييد بالوَضع والمكان والزّمان وأمثال ذلك وإمّا معناه الإصطلاحي وهو بيان الماهيّة بكلا قِسمَيه التامّ والنّاقص فإنّ الحدّ الإصطلاحي كما مرّ مراراً تامّ وناقص والأوّل أعني التّام تعريف الشّيء بجنسه القريب والفصل كذلك كتعريف الإنسان بالحيوان النّاطق والثّاني تعريفه بالفصل فقط فيقال الإنسان ناطق أو به وبالجنس البَعيد فيقال الإنسان جسم نَاطق مثلاً وقوله عليه السلام في المقام ينفي الكلّ فيه تعالىٰ:

أمّا التّحديد اللّغوي فلأنّ الواجب مُنزّهٌ عن الزّمان والمكان والوضع وغيرها وهكذا من مشابهة غيره من الموجودات فلا يمكن تَحديده بهذا المعنىٰ والسِّر فيه أنّ التّحديد بهذا المعنىٰ في الحقيقة يرجع إلىٰ التّقييد والتّضييق والتّقييد يوجب التّناهي بل هو عينه إذ لا نعني بالتّناهي إلّا كون الشّيء مَحدُوداً بالجهات الإمكانيّة وقد ثَبت أنّه غير متناه فيلزم الخُلف المحال:

وأمّا التّحديد الإصطلاحي بكلا معنييه فهو لبيان الماهيّة للمحدود وحيث لا ماهيّة له فلا حَدّ له ثمّ إنّ قوله عليه السلام: **فَيَكُونَ مُشَبَّهاً** كالفرع علىٰ هذا الأصل ولذلك أتىٰ عليه السلام بالفاء المُفيدة لِلتّفريع والمعنىٰ أنّ الواجب لا يمكن للعقول تحديده مطلقاً إذ لو كان كذلك أي صَحَّ للعقُول تحديده فيكون مُشبّهاً بغيره والتّشبيه فيه تعالىٰ محال فالتّحديد الّذي يلزم منه التّشبيه أيضاً محال فإنّ إستحالة الملزوم توجب إستحالة اللّازم بل هي عينها وإلّا لا يكون اللّازم لازماً والوجه فيه هو أنّ الحدّ لو كان لغويّاً يلزم تَشبيه الله تعالىٰ بالموجودات الّتي وقَعَت في مَحدُودة الزّمان والمكان مثلاً وإن كان إصطلاحياً يلزم تَشبيهه بالموجودات الّتي لها ماهيّة أعني الجنس والفصل ولازم ذلك التّركيب وهو محال كما قيل.

فإن قلتُ بالتّنزيه كُنتُ مُقيّداً وإن قُلتُ بالتّشبيه كُنتُ مُحدِّداً
وإن قُلتُ بالأمرين كنت مُسدِّداً وكُنتُ إماماً في المعارف سَيّداً

فـإيّاك والتّشبيه إن كُنتُ ثابتاً وإيّاك والتّنزيه إن كُنتُ مفرداً

وقد روى الصّدوق في كتاب التّوحيد عن أبي إبراهيم موسىٰ إبن جعفر عليه السلام أنّه قال:

إنّ الله تبارك وتعالىٰ لم يَزل بلا زمانٍ ولا مكانٍ وهو الآن كما كان لا يَخلُو منه مكان ولا يَشغَل به مكان ولا يَحلّ في مكان ما يكون من نجوىٰ ثلثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ولا أدنىٰ من ذلك ولا أكثر إلّا هو مَعهم أينما كانوا ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه احتجب بغير حجابٍ محجُوب وإستَتَر بغير سَترٍ مَستُور لا إله إلّا هو الكبير المتعال:

قوله عليه السلام: **وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلاً...**

أي لا يقع الوهم عليه بمعنى دخُوله تحت الوهم بالتّقدير إذ لو كان كذلك يكون مُمَثَّلاً فَيَثبت له المِثل وإنّما قال في المقام لَم تَقع وفيما مضىٰ لم تبلغه وقال هنا بتقدير وهناك بتحديد وقال هنا مُمَثَّلاً وهناك مُشبَّهاً لنكات ينبغي التّنبيه عليها إن كُنتَ من أهله فإنّ الشّراح قد سَكتُوا في أمثال هذه العَويصات لأنّهم لم يكونوا من فرسان هذا الميدان إلّا قليلاً منهم ولهذا تراهم قد قَنعُوا بشرح ألفاظه وعباراته ولم يأتوا بشيء غيره فنقول:

كلّ ما يُدركه الإنسان إمّا من سنخ المَعاني أو من سِنخ الصُّور ولا ثالث لهما:

فإن كان المُدرَك من المعاني فهو ينقسم إلىٰ كلّي وجزئي وإن كان من الصُّور فلا يكون إلّا جزئيّاً فإنّ إدراك الصُّورة الكلّية لا معنىٰ له إذ الشّيء ما لم يتشخّص لم يوجد:

فإن كان المُدرَك من الصُّور الجُزئيّة فالمدرِك لها لوح النّفس وهو الحسّ المشترك الّذي هو كحَوض يُنصَبّ إليه الماء من أنهارٍ خَمسة أو هو كالسّلطان وهي جواسيسه ويقال له باليُونانيّة (بنطاسيا):

فالأوّل: من الخَمسَة الخيال الّذي هو خزانة للبنطاسيا الّذي هو في مقدّم البطن المقدّم والخيال في مؤخّره وهذا أعني الخيال علىٰ المَشهُور عند

الفلاسفة غير مُجرّدٍ وقال إبن سينا بتَجَرّده.

والثّاني والثّالث: منها (الوَهم) وهو يدرك المعاني الجُزئيّة والحافظ لها يسمّىٰ بالحافظة لكونها تحفظ مدرَكات الوهم فالفرق بين الواهمة والحافظة بالإعتبار:

والرّابع والخامس: منها العقل وهو يدرك المعاني الكلّية وخازنه القوّة القدسيّة المُسمّىٰ بالعقل الفعّال فهذه هي الخمسة الباطنة وقد إشتهر عندهم في المقام قوّة أخرىٰ وسَمُّوهابالمُفكّرة وشأنها تركيب الصُّور والمعاني بعضها مع بعض وهذه القوّة أعني المفكّرة بإعتبار إستعمال العقل إيّاها وأمّا بإعتبار إستعمال الوهم إيّاها فتسمّىٰ بالمُتخيّلة إذا عرفت هذا فنقول:

الفرق بين العقل والوَهم إنّما بإدراك الكلّي والجُزئي فالعقل مدرِك للكلّيات والوَهم لِلجزئيّات وهذا هو السِّر في تعبيره ﷺ في العقل (بتَحديد) وفي الوَهم (بتَقديرٍ) فإنّ التّحديد لغويّاً كان أو إصطلاحيّاً في الكُلّيات والتّقدير في الجُزئيات:

وذلك لأنّ التّحديد هو التّعريف فإذا قلنا الإنسان حيوان ناطق أو ناطق فقد عرّفنا الإنسان الكلّي الّذي يَنطبق علىٰ الكثيرين فكأنّه قلنا زيد حيوان ناطق، عمرو حيوان ناطق وهكذا وأمّا التّقدير فليس كذلك فإذا قلنا زيد في مكان كذا أو زمان كذا أو له شكل كذا ووضع كذا فهذا التّقدير مُختصّ بزيد ولا يشمل عمرواً ولا بكراً ولهذه الدّقيقة فقد علمت أنّ التّحديد لا يكون إلّا في الكُلّي والتّقدير مختصّ بالجزئي فلا يمكن تقدير الإنسان الكلّي بشيئٍ كما لا يمكن تحديد الجزئي بحدٍّ إلّا بإعتبار إنطباق الكُلّي عليه فَصَحّ أن يقال زيد حيوان ناطق بإعتبار أنّ الإنسان حيوان ناطق وزيد من أفراد الإنسان وأمّا مع قطع النّظر عن هذا فلا يصحّ وعليه فكأنّه قلنا الإنسان حيوان ناطق وأمّا تقدير الكلّي فلا يصحّ بوجهٍ من الوجوه إذ ليس من شأن الوهم إدراك الكُلّي حتّىٰ يُحدّده أو يُقدّره ولهذه الدّقيقة قال ﷺ في العقل بالتّحديد وفي الوَهم بالتّقدير فافهم ذلك وإغتنمه:

وبما ذكرناه قد ظهر لك وجه التّعبير في العقول بالتّشبيه وفي الأوهام بالتّقدير والتّمثيل فإنّ التّمثيل مُتفرّع على التّقدير كما أنّ التّشبيه على التّحديد وحيث إنّ الوَهم شأنه درك الجُزئي بالتّقدير فالمدرَك يكون مُمَثّلاً لا محالة بغيره من المقدّرات وقد قال الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

فتحديد الواجب يوجب تَشبيهه بغيره من المحدودات وتقديره يوجب تمثيله فالأوّل في الكلّي والثّاني في الجزئي فينتج أنّ الله تعالىٰ لا حدّ له ولا تقدير ولا يُوصف بالكُلّية والجُزئيّة:

▫ قوله ﷺ: خَلَقَ الْخَلْقَ عَلىٰ غَيْرِ تَمْثِيلٍ، وَّلاَ مَشْوَرَةِ مُشِيرٍ، وَّلاَ مَعُونَةِ مُعِينٍ...

أي خَلَق الله تعالىٰ خَلقه علىٰ غير تَمثيلٍ بأن كان للخلق مثل ثمّ خلق الله خلقه علىٰ منواله ولا مَشورة مُشيرٍ بأن شاور غيره في ذلك ولا بمَعُونة مُعينٍ بأن أعانه علىٰ الخلق غيره فإنّ الكلّ في حقّه مُستحيل لِوجهين:

أحدهما: أنّه لو كان كذلك لكان محتاجاً في خَلقِه الخلق إلىٰ غيره والإحتياج من لوازم الإمكان بل هو عينه وقد فرضناه واجباً (هذا خلف):

وثانيهما: أنّه يلزم عليه العَجز وذلك لأنّ الواجب لا يخلو إمّا أن يكون قادراً علىٰ الإيجاد بغير الإستعانة من غيره أو ليس بقادرٍ فإن كان الأوّل فقد ثبت المطلوب وإن كان الثّاني يلزم عليه العَجز لأستمداده من الغير فليس بقادرٍ وقد فرضناه قادراً (هذا خلف):

ويمكن إستخراج شقٍّ ثالث في المقام وهو أنّه لو إحتاج إلىٰ المَشوَرة والإستعانة والتّمثيل فهو ناقص في حَدّ ذاته وغيره أكمل منه لكونه مُستعاناً ومُستشاراً ومن كان كذلك أي كان ناقصاً بالنّسبة إلىٰ غيره فالغير هو الواجب والمُستعين والمُستشير مُمكن وقد فرضناه واجباً (هذا خلف).

▫ قوله ﷺ: فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِع ،وَانْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ...

أي إذا كان خلقه من غير تمثيلٍ ولا مَشورةِ مُشيرٍ ولا مَعُونة معينٍ فلا محالة

قد تَمّ خَلقه بأمره التّكويني كما قال في كتابه: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١)

و: ﴿وَلَٰكِنْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾ (٢)

و: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ (٣)

وإنّما قَيّدنا الأمر في المقام بالتّكويني لأنّ أوامر الله علىٰ قسمين تشريعي وتكّويني:

والأوّل في الأحكام والثّاني في الإيجاد فالأوامر التّكوينيّة هي الأوامر الإيجاديّة لا غيرها وقوله ﷺ: وأذعَن لطاعته إلىٰ آخر ما قال إشارة إلىٰ أنّ العصيان والمخالفة في الأوامر التّكوينيّة محال وإنّما هو في التّشريعيّات وهو أمرٌ مُبرهنٌ عليه في الفَلسَفة ألا ترىٰ أنّ الله تعالىٰ أمر الإنسان بالصّلٰوة والزّكٰوة والصّوم وغيرها من الواجبات والمُستحبّات وكثير من النّاس يَعصُونه ويَتَخلّفون عنها بترك الصّلٰوة والصّوم وغيرهما إذ لو لم يكن كذلك يَلزم الجَبر في الأعمال وهو ينافي الثّواب والعقاب فالأوامر التّشريعيّة إنّما صَدَرت علىٰ أصل الإختيار:

وأمّا الأمُور التّكوينيّة الإيجادية فليست فيها إختيار لِلخلق فليس لأحد أن يقول أنا لا أُخلَق ولا أُوجَد بل إذا أراد الله إيجاده فهو موجود شاء أم لم يشأ:

وحيث كان كذلك فالإذعان لطاعته قَهريٌ له والإجابة لها حَتَميّة في عالم الإيجاد: وأمّا قوله ﷺ: **فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِع ،وَانْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعُ** فقد قال الخوئي ﷺ بأنّ هاتين الجُملَتين مُفسّرتان للإذعان والمراد دخول الخَلق تَحت القُدرة الإلهيّة وعدم الإستطاعة لِلإمتناع انتهىٰ.

أقول: إن كان قوله ﷺ لَم يُدافع ولَم يُنازع من المضارع المعلوم فما ذكره حقّ وعليه فحقّ العبارة كسر الفاء (في يدافع) وكسر الزّاء في ينازع والمعنىٰ أنّ

١- البقرة ـ ١١٧ ٢- الأنفال ـ ٤٢

٣- القمر ـ ٥٠

الخلق أذعن لطاعته ولم يدافِع ولم ينازع الله في خلقه إيّاه بل صار مُطيعاً مُنقاداً له كما دلّت عليه الآية الشّريفة الّتي إستدلّ بها علىٰ مُدّعاه وهي قوله تعالىٰ: **﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾** (١)

وأمّا بناء علىٰ كون الفعلين المضارعين مجهولين بفتح الفاء والزّاء ونسخته أيضاً كذلك فما ذكره ليس بصَحيح اللّهمّ إلّا أن يقال إنّه ﷺ قرأهما مَعلومين والإعراب من المُعربين بعده وكيف كان فالتّحقيق في المقام الفَتح:

والمعنىٰ أنّ الخلق أذعن لطاعته فأجاب بها تكويناً ولَم يُدافَع الله غيره في خلقه ولَم ينازعه أحد كذلك وبعبارةٍ أُخرىٰ لم يكن هناك مَن يدفعه عن الإيجاد أو ينازعه فيه فهو كان مُتفرّداً فيه لعدم الشّريك له وإذا كان غيره مدافِعاً بكسر الفاء فالله تعالىٰ مدافَع بفتح الفاء وهكذا الكلام في (ينازع) فعدم كون الحقّ مدافعاً ومنازعاً بالفتح يستلزم عدم وجود المدافِع والمنازِع بالكسر أعني الشّريك له وهو المطلوب وإنّما قلنا ذلك صَوناً لكلامه عليه السلام عن التّفصيل الّذي لا فائدة فيه فإنّ قوله عليه السلام: **وأذعن لطاعته**، يغني عن هذا التّفصيل كما هو ظاهر مضافاً إلىٰ نفي الشّريك عنه علىٰ ما ذكرناه وكيف كان فالأمر واضح.

قوله عليه السلام: **وَمِن لَّطَائِفِ صَنْعَتِهِ، وَعَجَائِبِ حِكْمَتِهِ، مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هٰذِهِ الْخَفَافِيشِ...**

ثمّ بعد الحمد والثّناء عليه تعالىٰ وبيان أوصافه وأنّه خالق كلّ شيء أشار عليه السلام إلىٰ شرذمة من لطائف صُنعِه وعجائب خَلقِه وما أرانا من غوامض الحِكمة المُودَعة في الخفّاش وهو من مخلوقاته ومَصنُوعاته ولنُقدّم كلاماً في بيان ماهيّته ثمّ نشرح ما أشار عليه السلام إليه:

الخُفّاش بضَم الخاء وتَشديد الفاء علىٰ ما ضَبَطه الدّميري في حياة الحيوان واحد الخَفافيش الّتي تَطير في اللّيل وهو غريب الشُّكل والوَصف والخفش

١- فصّلت ـ ١١.

صغير العين وضَيّق البَصَر ثمّ قال:

الخفّاش له أربعة أسماء خفّاش، وخشّاف، وخُطّاف، وَوطَواط، وتسميّته خفّاشاً يحتمل أن تكون مأخوذة من الخَفش والخفش في اللّغة نوعان، ضَعيف البصر خلقةً، والثّاني لعلّةٍ حَدَثت، وهو الّذي يُبصر باللّيل دون النّهار ويَوم الغيم دون يَوم الصَّحو انتهىٰ.

وذكر الجاحظ أنّ إسم الخفّاش يقع علىٰ سائر طير اللّيل فكأنّه راعىٰ العموم، وكون الوَطواط هو الخَفّاش هو الّذي ذكره إبن قتيبة وأبو حاتم في كتاب الطَّير الكبير، وما ذكره البَطلميُوس من أنّ الخفّاش هو الخطّاب فيه نظر والحقّ أنّهما صنفان وهو الوَطواط وقال قوم: الخفّاش الصّغير والوطواط الكبير وكيف كان هو لا يُبصر في ضوء القَمر ولا في ضَوء النّهار كما قال الشّاعر:

مِثلُ النّهار يَزيد أبصار الورىٰ نوراً ويعمي أعيُن الخفّاشِ

ولمّا كان لا يبصر نهاراً إلتَمَس الوقت الّذي لا يكون فيه ظُلمة ولا ضوء وهو قريب غرُوب الشّمس لأنّه وقت هيجان البعوض فإنّ البعوض يخرج ذلك الوقت يطلب قوته وهو دماء الحيوان والخفّاش يخرج طالباً للطِعَم فيقع طالب رزقٍ علىٰ طالب رزق فَسُبحان الحكيم.

والخفّاش ليس هو من الطَّير في شئٍ فإنّه ذو أُذُنَين وأسَنان وخِصيَتَين ومنقارٍ ويَحيض ويَطهُر ويَضحَك كما يَضحَك الإنسان ويَبُول كما تبول ذوات الأربع ويرضع ولده ولا ريش له قال بعض المُفسّرين: لمّا كان الخفّاش هو الّذي خلقه عيسىٰ إبن مريم بإذن الله تعالىٰ كان مُبايناً لصنعة الخالق ولهذا سائر الطّيور تُقهره وتُبغضه فما كان منها يأكل اللّحم أكَلَه وما لا يأكل اللّحم قَتَله فلذلك لا يطير إلّا ليلاً وقيل لم يخلق عيسىٰ غيره لأنّه أكمَل الطَير خَلقاً وهو أبلغ في القُدرة لأنّ له ثَدياً وآذاناً وأسناناً ويَحيض كما تَحيض المرأة.

قال المؤلّف لهذا الكتاب: ما ذكروه من أنّ الخفّاش خلقه عيسىٰ إبن مريم

حديث عاميّ مَجهُول لا يُعبأ به وإنّما هو كسائر مَجعُولاتهم وكفىٰ في تكذيبهم هذه الخطبة الشّريفة.

وقال وهب إبن مُنبه، كان يطير مادام النّاس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سَقَط مَيّتاً لتميّز فعل الخلق من فعل الخالق وليُعلَم أنّ الكمال لله تعالىٰ انتهىٰ

وأنا أقول: هذا أيضاً كذبٌ مَحضٌ (مؤلّف) وقال بعضهم: إنّ الخفّاش من أعجَب الطّير خلقةً إذ هو لَحمٌ ودَمٌ يَطير بغَير ريشٍ وهو شديد الطّيران سريع التّقلّب يقتات البعُوض والذّباب وبعض الفَواكه وهو مع ذلك موصوف بطُول العُمر فيقال: إنّه أطول عُمراً من النّسر ومن حمار الوحش، أقول: ما ذكره هذا القائل من طُول عُمره يدّل علىٰ كذب إبن مُنبّه حيث قال إذا غاب عن أعينهم سَقَط مَيّتاً مؤلّف.

وقيل إنّه تلد أُنثاه ما بين ثلاثة أفراخ وسَبعة وكثيراً ما يفسد وهو طائر في الهواء وليس في الحيوان ما يحمل ولده غيره والقِرد والإنسان ويحمله تحت جناحه وربّما قبض عليه بفيه وذلك من حنوه وإشفاقه عليه وربّما أرضعت الأُنثىٰ ولدها وهي طائرة وفي طَبعه أنّه متىٰ أصابه ورق الدّلب حَذِر ولَم يَطر ويوصف بالحُمق ومن ذلك أنّه إذا قيل له أطرق كرّاً ألَصِق بالأرض انتهىٰ ما أردنا نقله عن حياة الحيوان للدّميري باب الخاء في الخفّاش: إذا عرفت هذا فلنرجع إلىٰ ما نحن بصدده من شرح كلامه عليه السلام وهو أعلم به من الكلّ وإنّما تعرّضنا لذكر الأقوال كي تعلم أنّ هذا الحيوان من أعجَب الحَيوانات علىٰ قول الكلّ وإلّا فما قالوا فيه ليس بحجّة وما قال عليه السلام هو الحقّ.

▫ قوله عليه السلام: **الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَيَبْسُطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ...**

وصف عليه السلام الخفافيش بعدم إستفادتها من الضّياء الباسط لكلّ شيئ و إستفادتها من الظّلام القابض لكلّ شيئ.

أمّا كون الضّياء باسطاً فلقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً﴾ (١)

و: ﴿مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (٢)

وكون الظّلام قابضاً فلقوله تعالىٰ: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (٣)

و: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً﴾ (٤)

وملخّص الكلام هو أنّ الخفافيش علىٰ عكس غيرها من الحيوانات من هذه الجهة.

▫ قوله ﷺ: **وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا...**

كيف للتّعجّب أي إنّي أتعجّب ويمكن كونه لِلإستفهام أي من يفهم سرّه فإنّا نستفهم منه في حَلّ المشكل أنّه لم عشيت وضَعُفَت أعين الخفافيش عن الإستمداد من الشّمس المُضيئة نوراً تهتدي الخفافيش به في مذاهبها ومسالكها كما في غيره من الحيوانات.

▫ قوله ﷺ: **وَتَصِلَ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَىٰ مَعَارِفِهَا...**

الواء للعطف أي وتتّصل الخفافيش بعلانية برهان الشّمس وظهورها إلىٰ معارفها أي ما تعرفه من طرق إنتفاعها ووجوه تصرّفاتها.

▫ قوله ﷺ: **وَرَدَعَهَا بِتَلَأْلُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا...**

أي ردَع الخفافيش ومنعها بسبب تلألوء ضَياء الشّمس عن المُضي في درجات النّور وأطواره إذ لو لم يكن هذا الرّدع فيها لما كانت كذلك.

▫ قوله ﷺ: **وَأَكَنَّهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِي بَلَجِ إِئْتِلَاقِهَا...**

أي سَترها وأخفاها في مكانها عن المَشي والطّيران في وضوح لَمعانها.

١- يونس-٥
٢- القصص-٧١
٣- الأنعام-١
٤- يونس-٦٧

□ قوله ﷺ: **فَهِيَ مُسْدِلَةُ الْجُفُونِ بِالنَّهارِ عَلىٰ أَحْداقِها، وَجاعِلَةُ اللَّيْلِ سِراجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي اِلْتِماسِ أَرْزاقِها...**

فهي أي الخفافيش مُسدلة لإنقباضها وتأثّر حاسّتها فلا تقدر علىٰ الرّؤية في النّهار علىٰ سواد عَينها وهي أيضاً جاعلة اللّيل سراجاً تستدلّ بهذا السّراج في إلتماس أرزاقها ومعاشها وفي قوله ﷺ: **وَجاعِلَةُ اللَّيْلِ سِراجاً**لطف لا يخفى.

□ قوله ﷺ: **فَلاٰ يَرُدُّ أَبْصارَها إِسْداڤُ ظُلْمَتِهِ، وَلاٰ تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِ فِيهِ لِغَسَقِ دُجْنَتِهِ...**

أي فلا يردّ أبصار الخفافيش أسداف ظُلمة اللّيل ولا تـمتَنَع مـن المـَضي والذّهاب في اللّيل لِغَسَق دجنّته وشدّة ظُلمته والحاصل أنّ ظلمة اللّـيل وإن كانت شديدة لا تمنع الخفافيش عن الأبصار.

□ قوله ﷺ: **فَإِذا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِناعَها، وَبَدَتْ أَوْضاحُ نَهارِها...**

شبّه ﷺ الشّمس بالمرأة ذات القناع وأثبت لهـا القـناع تـخييلاً والإلقـاء ترشيحاً وهو كناية عن طلوعها والمقصود أنّ حال الخفافيش كذلك حتّىٰ إذا ألقَت الشّمس قناعها وطَلَعت وبَدَت وظَهَرت بياض نهارها فإذا كان كذلك.

□ قوله ﷺ: **وَدَخَلَ مِنْ إِشْراقِ نُورِها عَلىٰ الضِّبابِ فِي وِجارِها...**

أي ودخل من إشراق نور الشّمس علىٰ الضّباب فـي وجـارها وحـجرها وذلك لأنّ الضّباب حالها كذلك بعكس الخفافيش فإنّ من عادتها الخروج عند طلوع الشّمس.

□ قوله ﷺ: **أَطْبَقَتِ الْأَجْفانَ عَلىٰ مَآقِيها، وَتَبَلَّغَتْ بِمَا اكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعاشِ مِن ظُلَمِ لَيالِيها...**

أي بعد طلوع الشّمس أطبقت الأجفان في الخفافيش على مآقيها وهو كناية عن بيتوتتها في مكانها لعدم قُدرتها علىٰ الخروج في النّهار فلا محالة تقنع بما إكتسبته من المعاش في اللّيل فتأكل ما جَمعته باللّيل في النّهار لصيرورة النّهار ليلاً واللّيل نهاراً.

▫ قوله ﷺ: **فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَاراً وَمَعَاشاً، وَالنَّهَارَ سَكَناً وَقَرَاراً...**

فسُبحان الخالق الّذي جَعَل بقُدرته اللّيل للخفافيش بمنزلة النّهار فتعيش وتَكتَسب فيه والنّهار ليلاً وتَستريح فيه وهو عجيب.

▫ قوله ﷺ: **وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيَرَانِ كَأَنَّهَا شَظَايَا الآذَانِ...**

أي وجَعَل الله تعالىٰ بقُدرته للخفافيش أجنحة من لَحمها تعرُج به عند الحاجة إلى الطّيران لتحصيل القوت وكسب الرّزق كأنّها أي الأجنحة شظايا الآذان أي كأنّها مؤلّفة من شقق الآذان.

▫ قوله ﷺ: **غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلاَ قَصَبٍ، إِلاَّ أَنَّكَ تَرَىٰ مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلاَماً...**

والمقصود أنّ أجَنحة الخَفافيش لا ريش ولا قَصَب فهو علىٰ خلاف أجنحة سائر الطّيور إلّا أنّك ترىٰ مواضع العُروق في الأجنحة بيّنةً وأعلاماً أي ظاهراً واضحاً.

▫ قوله ﷺ: **وَلَهَا جَنَاحَانِ لَمْ يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا ،وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلاَ...**

وللخفافيش جناحان مُتوسّطان بين الرِّقة والغِلظة المُفرطين والغرض أنّ الرّقة فيهما مُعتدلة وكذلك الغِلظة لئلّا ينشقّا ويثقلا في الطّيران فإنّ خير الامور أوسطها.

▫ قوله ﷺ: **تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لاَصِقٌ بِهَا، لاَجِئٌ إِلَيْهَا، يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ...**

أي تطير الخفافيش والحال أنّ وُلدها لاصِق عائذ بها لا جئ إليها يقع الولد إذا وقَعت الخَفافيش ويَرتفع ويَعلو إذا إرتَفَع وعلا والحاصل أنّه تابع لها في الإنخفاظ والإرتفاع.

▫ قوله ﷺ: **وَلاَ يُفَارِقُهَا حَتَّىٰ تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ، وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ، وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ...**

أي لا يزال الولد لاصق بأُمّه مُعتصم بها فلا يفارقها حتّىٰ تَشتَدّ وإستحكم أركانه أي أركان جِسمه وتحمله لِلنّهُوض جناحه أي يمكنه الطّيران والتّصرف بنفسه ويَعرف مَذاهب ومَسالك عيشه وطرق تحصيل مَعيشته ومصالح نفسه في جميع حَركاته وسَكناته.

▫ قوله ﷺ: **فَسُبْحَانَ الْبَارِئُ لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ خَلاَ مِنْ غَيْرِهِ...**

ختم ﷺ كلامه فيها بتسبيح الباريْ الخالق لكلّ شيْ كما إبتدء كلامه بالتّحميد فإبتداء الكلام به والإختتام أيضاً به ﴿**إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ**﴾ الّذي خلق الخلق علىٰ غير مثال خلا أي مضىٰ أو سبق من غيره أي لم يكن قبل الخلق خلق آخر فالخلق إبداعي.

تنبيه: قد ذكرنا أنّ أقوال العامّة في الباب تُشعر بأنّ الخفّاش ممّا خلقه المسيح عيسىٰ ابن مريم فقالوا في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿**وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ**﴾[1] عُنيَ به الخفّاش وقد ذكر الخوئي ﷺ في المقام عنهم هذا المعنىٰ وعبّر ﷺ عمّا ذكره (بالظّريفة) وهو دليل علىٰ عدم إرتضائه بما نقله عنهم وهو كذلك إذ الخطبة التّي شَرحناها ناصّة علىٰ خلاف ما ذكروه وأنّه من عجائب صُنعه ولطائف قدرته والإجتهاد في المقام لا يُثمر ولا يُغني من الحقّ شيئاً فهذه المجعولات في كتب العامّة كثيرة وليس هذا أوّل قارورةٍ كسرت في الإسلام.

١- المائده ـ ١١٠

ومن كلام له ﷺ (١٥٥)

ولها فصول ، الفصل الأوّل:

□ قوله ﷺ: فَمَنِ اسْتَطَاعَ عِندَ ذٰلِكَ أَن يَّعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى اللهِ عزّ وجلّ فَلْيَفْعَلْ، فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ عَلَىٰ سَبِيلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَـقَّةٍ شَدِيدَةٍ ،وَّمَذَاقَةٍ مَّرِيرَةٍ.

وَأَمَّا فُلاَنَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ، وَضِغْنٌ غَلاَ فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ، وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ، وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَىٰ وَالْحِسَابُ عَلَى اللهِ.

الفصل الثاني:

قوله ﷺ: سَبِيلٌ أَبْلَجُ الْـمِنْهَاجِ، أَنْـوَرُ السِّـرَاجِ، فَـبِالْإِيمَانِ يُسْـتَدَلُّ عَـلَى الصَّالِحَاتِ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيمَانِ، وَبِالْإِيمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ ،وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ، وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا، وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الْآخِرَةُ، وَ بِالْقِيَامَةِ تُزْلَفُ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَ تُبَرَّزُ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ،وَإِنَّ الْخَلْقَ لاَ مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ الْـقِيَامَةِ، مُرْقِلِينَ فِي مِضْمَارِهَا إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَىٰ.

الفصل الثالث:

قوله ﷺ: قَدْ شَخَصُوا مِن مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ، وَصَارُوا إِلَىٰ مَصَائِرِ الْغَايَاتِ، لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا، لاَ يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا، وَلاَ يُنْقَلُونَ عَنْهَا.

وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَإِنَّهُمَا

لاَ يَقرِبَانِ مِنْ أَجَلٍ، وَّلاَ يَنْقُصَانِ مِن رِّزْقٍ، وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ، فَـإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَافِعُ، وَالرِّأْيُ النَّاقِعُ، وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ، وَالنَّجَاةُ لِلْمُتِعلِّقِ، لاَ يَعْوَجُّ فَيُقَام، وَلاَ يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلاَ تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ وَ وُلُوجُ السَّمْعِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ.

وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَقَالَ : يَا أمير المؤمنين ،أَخبِرْنَا عَنِ الفِتْنَةِ، وَهَلَ سَأَلتَ عَنهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فقَالَ عليه السلام:

إِنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ ﷺ :(آلم أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وُهُمْ لاَ يُفْتَنوُنَ) عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لاَ تَنزِلُ بِنَا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هٰذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللهُ بِهَا؟ فَقَالَ: يَا عَلِيّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِن بَعْدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَ لَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مِنَ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ، فَشَقَّ ذٰلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتَ لِي أَبْشِرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِن وَّرَائِكَ؟ فَقَالَ لِي إِنَّ ذٰلِكَ لَكَذٰلِكَ فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذاً؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَيْسَ هٰذَا مِن مَّوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَلٰكِن مِّن مَّوَاطِنِ الْبُشْرىٰ وَالشُّكْرِ، وَقَالَ: يَا عَلِيّ إِنَّ الأُمَّةَ (القَوم) سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي بِأَمْوالِهِمْ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلىٰ رَبِّهِمْ، وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ وَ الأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، وَالُسحْتَ بِالْهَدِيَّةِ، وَالرِبَا بِالْبَيعِ فَقُلْتُ :يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذٰلِكَ؟ أَبِمَنزِلَةِ رِدَّةٍ أَمْ بِمَنزِلَةِ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ: بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ).

◁ اللغة

(يَعْتَقِلُ) الإعتقال الضَبط والحَبس يقال إعتَقَل نفسه أي ضَبطَها وحبسها (مَذَاقَةٍ) مَذَق مذاقةً إذا إختَبَر طَعمه (ضِغْنٌ) الضّغن الحقد (كمِرجَل) المِرجل بكسر الميم وفتح الجيم القِدر (والقَين) كَعين الحدّاد (مَقْصَرَ) كمقعد المَجلس (مُرقلين) أي مُسرعين (شَخَصُوا) ذهبوا (الأجداث) القبور (مصائر) جمع مصير (خُلَق) بضمّ الخاء السّجية (الناقع) يقال نقع العطش إذا أزاله (فَيُسْتَعْتَبَ)

الإستعتاب الإنصراف (وَلُوج السمع) إسماعه.

◁ **المعنى**

(**فَمَنِ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذٰلِكَ أَن يَّعْتَقِلَ**) وضبط (**نَفْسَهُ عَلىَ اللهِ**) في الإتيان بالواجبات وترك المحرّمات (**فَلْيَفْعَلْ**) فإنّه خير له (**فَإنْ أَطَعْتُمُونِي**) فيما آمركم به وأُنهيكم عنه (**فَإنِّي حَامِلُكُمْ إنْ شَاءَ اللهُ عَلىٰ سَبِيلِ الْجَنَّةِ**) أعني الشّريعة القويمة فإنّها سبيلها (**وَإنْ كَانَ**) ذلك السبيل (**ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ ،وَّمَذَاقَةٍ**) وإختبار (**مَّرِيرَةٍ**) مشاقّة فإنّ الحقّ مرّ (**وَأَمَّا فُلاَنَةُ**) عنىٰ بها عائشة (**فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ**) وهو الضّعف والسّوء (**وَضِغْنٌ**) وحِقد (**غَلاَ**) وأشتدّ (**فِي صَدْرِهَا**) أي صدر عائشة (**كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ**) أي كقِدر الحدّاد (**وَلَوْ دُعِيَتْ**) عائشة (**لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إلَيَّ**) من الحرب والفساد (**لَمْ تَفْعَلْ، وَلَهَا بَعْدُ**) أي بعد الحرب والفِتنة (**حُرْمَتُهَا الْاَولىٰ وَالْحِسَابُ عَلىَ اللهِ**) (**سَبِيلٌ أَبْلَجُ الْمِنْهَاجِ**) أي طريق الجنّة أوضح المسالك والطرق (**أَنْوَرُ السِّرَاجِ**) لايضلّ سالكها لوضوحها (**فَبِالْاِيمَانِ**) أي بسببه (**يُسْتَدَلُّ عَلىَ الصَّالِحَاتِ**) أعني الخيرات (**وَبِالصَّالِحَاتِ، يُسْتَدَلُّ عَلىَ الْاِيمَانِ**) لكونهما متلازمين (**وَبِالْاِيمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ**) أي عمارة العلم بسبب الايمان (**وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ**) فإنّ الجاهل غافل (**وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا**) وحياتها (**وَبِالدُّنْيَا**) أي بسببها (**تُحْرَزُ الْآخِرَةُ**) وتكتسب (**وَإنَّ الْخَلْقَ لاَ مَقْصَرَ**) ولا مفرّ (**لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ**) فإنّها لابدّ منها (**مُرْقِلِينَ**) مُسرعين (**فِي مِضْمَارِهَا إلَى الْغَايَةِ الْقُصْوىٰ**) التي عيّنها الله تعالىٰ.

(**قَدْ شَخَصُوا**) وذهبوا (**مِن مُّسْتَقَرِّ الْاَجْدَاثِ**) أعني القبور (**وَصَارُوا إلىٰ مَصَائِرِ الْغَايَاتِ**) أعني المراحل بعد عالم البرزخ (**لِكُلِّ دَارٍ**) من هاتين الدّارين (**أَهْلُهَا**) من السّعداء والأشقياء (**لاَ يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا**) غيرها (**وَلاَ يُنْقَلُونَ عَنْهَا**) إلىٰ غيرها (**وَإنَّ الْاَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَخُلُقَانِ**) وسجيّتان (**مِنْ خُلُقِ اللهِ سُبْحَانَهُ**) وسجيّته (**وَإنَّهُمَا**) أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (**لاَ يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ، وَّلاَ يَنْقُصَانِ مِن رِّزْقٍ**) فإنّ الأجل معلوم والرّزق مقسوم

(وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ، فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ) لكل داءٍ روحيّ (وَالرِّأيُ النَّاقِعُ) المُزيل للعطش (وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ) به (وَالنَّجَاةُ لِلْمُتَعِلِّقِ) الَّذي تعلّق به (لاَ يَعْوَجُّ فَيُقَامَ) لأنّه كلام الحقّ الّذي لا عوج فيه (وَلاَ يَزِيغُ) ولا يميل (فَيُسْتَعْتَبَ) ويَعدل عن الحقّ (وَلاَ تُخْلِقُهُ) خلقاً بالياً (كَثْرَةُ الرَّدِّ) والشّكوك (وُلُوجُ السَّمْعِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ) في قوله (وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ)في عمله في الوصول إلىٰ الفوز العظيم (وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَّقَالَ : يَا أَمِير المؤمنين أَخْبِرْنَا عَنِ الْفِتْنَةِ) ما هي (وَهَلْ سَأَلْتَ عَنْهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ ﷺ: لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ) في كتابه ﴿الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ) والبليّة (لاَ تَنزِلُ بِنَا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ) والحال أنّ رسول الله (بَيْنَ أَظْهُرِنَا) حيٌّ موجود (فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هٰذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِى أَخْبَرَكَ اللهُ بِهَا؟ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ) ويُمتحنون (مِن بَعْدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَ لَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مِنَ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحِيزَتْ) أي منعت (عَنِّي الشَّهَادَةُ) فلم أنلها (فَشَقَّ) وصعب (ذٰلِكَ) عدم الشّهادة (عَلَيَّ فَقُلْتَ لِي أَبْشِرْ) يا عليّ (فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِن وَّرَائِكَ؟فَقَال) رسول الله (لِي إِنَّ ذٰلِكَ لَكَذٰلِكَ) أي ما قلت لك حقّ (فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذاً) أي حين نلتها (فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَيْسَ هٰذَا مِن مَّوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَلٰكِن مِّن مَّوَاطِنِ الْبُشْرىٰ وَالشُّكْرِ) علىٰ الشهادة (وقال) رسول الله (يَا عَلِيُّ إِنَّ الأُمَّةَ (القوم) سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي بِأَمْوَالِهِمْ) بإخراج الحقوق الواجبة منها (وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ) مع ذلك (وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ) أي رحمة الله (وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ) وقهره (وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ) فيقولون هذا حلال (وَ الأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ) الغافلة عن الحقّ (فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ) فيقولون إنّ المتخذ منه ليس بخمر (وَالسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ) أي يأكلون الحرام من الرّشوة مثلاً فيقولون إنّه هديّة (وَالرِّبَا) أي يستحلّون الرباء (بِالْبَيْعِ) فيقولون هذا بيع (فَقُلْتُ :يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذٰلِكَ؟ أَبِمَنزِلَةِ رِدَّةٍ) فأحكم بردّتهم وكفرهم (أَمْ

بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ: بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ) انتهىٰ.

◁ الشرح

▫ قوله ﷺ: فَمَنِ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذٰلِكَ أَن يَّعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَىَ اللهِ عزّ وجلّ فَلْيَفْعَلْ...

إعلم: أنّ هذا الفصل من كلامه ﷺ قد خاطب به أهل البصرة علىٰ جهة إقتصاص الملاحم أعني إخبار فيه بما سَيَقع في الإسلام والمسلمين بعد وفاته ﷺ والظاهر أنّ هذا الكلام مَسبُوق بكلام قبله لَم يُظفر الرّضي ﵁ به وذلك لأنّ قوله ﷺ: **فَمَنِ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذٰلِكَ** إذ المشار إليه بكلمة (ذلك) غير مذكور بعد وكيف كان فالمعنىٰ من إستطاع ويقدر عند ذلك أن يَعتَقل نفسه بالضّبط والحَبس في أداء الواجبات وتَرك المحرّمات فليَفعل ذلك لوجوب طاعته عقلاً ونقلاً وفي التّعبير بالإعتقال، إشارة إلىٰ أنّ النّفس تميل وتَشتاق إلىٰ العصيان لكونها أمّارة بالسوء فيحتاج إلىٰ مانع يَمنعَها عن السُّقوط فكما أنّ الحيوان يحتاج إلىٰ العقال كذلك النّفس شَبَّه ﷺ النّفس الأمّارة به وأثبت لها ما أثبت له فالكلام خرج مخرج الإستعارة ولهذه الغُموضة قال ﷺ فمن إستطاع لعلمه بأنّ القادر علىٰ إعتقال النّفس قليل بل أقل:﴿وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (١) ويأتي الكلام في النّفس في محلّه.

▫ قوله ﷺ: فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ عَلَىٰ سَبِيلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ ،وَّمَذَاقَةٍ مَّرِيرَةٍ...

أي فإن أطعتمُوني فيما أقول لكم فإنّي حاملكم إن شاء الله علىٰ الشّريعة القَويمة والطّريقة المُستقيمة الّتي هي سبيل الجنّة وإن كان السّلُوك علىٰ سبيلها ذا مَشقّة شديدة من حيث كونه مخالفاً لِلنّفس الأمّارة بالسّوء وذا مذاقة مريرة أي وإن كان ذلك في ذَوق النّفس مُرّاً فإنّ ترك الشّهوة مُرٌّ لا حُلوٌ وهذا الّذي ذكره لا شكّ فيه وخلاصة البحث يقع في مقامين.

١- سباء-١٢.

المقام الأوّل: أنّ إطاعته تُوجب السّلوك على سبيل الجنّة والدّليل عقليّ ونقليّ.

أمّا العقل: فلكونه عليه السلام إماماً معصوماً منصوباً من قبل الله ورسوله لِلإمامة والوصاية بعد النّبي كما ثبت ذلك كلّه في محلّه فإطاعته إطاعة الرّسول وإطاعة الرّسول إطاعة الله يَنتج أنّ إطاعته إطاعة الله وإطاعة رسوله والعقل يحكم بأنّ إطاعة الله يوجب ما ذكره عليه السلام فكذلك إطاعته طابق النّعل بالنّعل.

وأمّا النّقل: فلقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾**(١) أمرنا الله تعالى بالكون مع الصّادقين ومن المعلوم أنّ مجرّد الكون بالمعنى اللّغوي لا ينفع بل المراد منه هو الإتّباع والإنقياد في أفعالهم وأقوالهم وقد ثبت كونه صادقاً مُصدّقاً بدليل العصمة فيجب إتّباعه ثمّ إن كان الإتّباع والمعيّة المأمورة بهما على سبيل النّار فهو لا يجوز لعدم الكذب في كلام الله تعالى وأنّه يوجب الإغراء بالجَهل وكلّ ذلك في حقّه تعالى محال فلا جرم هذه المعيّة في طريق الحقّ وسبيل الجنّة وهو المطلوب.

الثّاني: قوله تعالى: **﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾**(٢)

وجه الإستدلال بها أنّ الله تعالى خيّرنا بين المتابعة عمّن يهدينا إلى الحقّ ومِن ليس كذلك ثمّ قال ما لكم كيف تحكمون ومن المعلوم أنّا نحكم عقلاً بمتابعة الدّاعي إلى الحقّ وترك متابعة غيره وحيث إنّه عليه السلام قال إنّي حاملكم على سبيل الجنّة وهو صادق في ما قال فإتّباعة يوصل إلى المطلوب أعني السّلوك على سبيل الجنّة وهو المطلوب والآيات كثيرة إكتفينا بذكرهما.

ومن الأخبار ما رواه الجوزي في المناقب: وهو أحد أعلام العامّة بإسناده قال رسُول الله صلى الله عليه وآله: رَحِم الله من أعتَق بلال عن ماله رَحِم الله عليّاً اللّهم أدر الحقّ معه حيثما دار انتهى...

١ـ التّوبة ـ ١١٩.   ٢ـ يونس ـ ٣٥.

قال أخرج هذا أبو عيسىٰ التّرمذي في جامعه والبخاري من صحيحه المناقب« ص ٥٦»...

وأيضاً بإسناده عن إبن عُمر قال قال رسُول الله ﷺ: من فارق عليّاً فقد فارقني ومن فارقني فارق الله عزّ وجلّ انتهىٰ « ص ٥٧»... .

وأيضاً بإسناده عن أبي ليلىٰ قال قال رسُول الله ﷺ: ستكون من بعدي فتنة فإذا كان ذلك فالزمُوا عليّ إبن أبي طالب فإنّه الفاروق بين الحقّ والباطل انتهىٰ « ص ٥٧»...

وبإسناده عن أبي أيّوب الأنصاري قال سمعت النّبي يقول لعمّار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية وأنت مع الحقّ والحقّ معك يا عمّار إذا رأيت عليّاً سلك وادياً وسلك النّاس وادياً غيره فأُسلك مع علّي ودَع النّاس فإنّه لَن يُدخلك في أذىٰ ولن يُخرجك من الهُدىٰ يا عمّار إنّه من تَقَلّد سَيفاً أعان به عَليّاً علىٰ عَدوّه قَلّده الله يوم القيٰمة وشاحاً من درّ ومن تَقَلّد سيفاً أعان به عَدُوّ علّي قَلّده الله يوم القيٰمة وشاحاً من نار قال قلنا حَسبُك انتهىٰ « ص ٥٧»....

أقول: وأنت ترىٰ أنّ هذه الأخبار تنادي بأعلىٰ صوتها علىٰ إثبات المدّعىٰ وأنّ السّلُوك علىٰ الطّريقة المُستقيمة مُنحصر بمُتابعته إذ هو مع الحقّ والحقّ معه يدور معه حيث ما دار وأمّا الأخبار الواردة في الباب من طريق الخاصّة فهي أظهر من الشّمس وأظنّ أنّا لا نحتاج إلىٰ ذكرها في المقام بعد تصريح المخالفين بما ندّعيه.

المقام الثّاني: في شرح قوله ﷺ: وَإِنْ كٰانَ ذٰا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ ،وَّمَذٰاقَةٍ مَّرِيرَةٍ.

هذا المقام أيضاً إثباته لا يحتاج إلىٰ تكلّفٍ إذ هو في الحقيقة من المحسوسات الّتي لا تخفىٰ علىٰ أحد فإنّ من تَوَجّه إلىٰ نفسه الأمّارة وواظب علىٰ الأعمال الصّادرة منه بسَبَبها يَعلم بل يدرك أنّ الأعمال الحَسَنة من الصّدق والعدل والجود والأمانة وغيرها من الطّاعات والواجبات في الشّريعة المُقدّسة وكذلك ترك المُحرّمات، كلّها ينافي مقتضىٰ النّفس الأمّارة كما أنّ عكسه يوافق النّفس

فالنّفس الأمّارة بمقتضى خِلقته وجِبلّته تَستدعي ما هو يوافقها ولا تستدعي ما هو يخالف مَسيرها الأصلي ولمّا كانت النّفس كذلك فَردعها ومَنعها عمّا تقتضيه أمر مشكل لا يَتيسّر إلّا لأوحَديٍ من النّاس فذوق مخالفة النّفس مُرٌّ جدّاً ولأجل هذا قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفسي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (١)

و: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾ (٢)

و: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ (٣)

قوله ﷺ: **أعدىٰ عَدوّك نفسك الّتي بين جَنبَيك**)، (وقال ﷺ: **حُفّت الجنّة بالمَكاره وحُفّت النّار بالشّهوات**) والأحاديث كثيرة ولعنم ما قال المولوي بالفارسيّة:

نفس اژدرهاست او كى مرده است

از غم بى آلتى افسرده است

□ قوله ﷺ: **وَأَمَّا فُلاَنَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ، وَضِغْنٌ غَلاَ فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ...**

فلانة، كناية عن عائشة لَم يُسَمّ بإسمها إمّا تقيّةً وإمّا تأدّباً لحُرمة رسول الله ﷺ وكيف كان فقد إتّفقوا على أنّ المراد عائشة بنت أبي بكر وأظنّ ظنّاً قويّاً أنّ عدم التّعبير بإسمها لِلتّحقير لا غير وذلك لما ثبت في فنّ البلاغة أنّ إحدىٰ موارد الكنايات التّحقير وعدم الإعتناء بالمَكنّى عنه، والمقصود من هذا الكلام شكايته ﷺ عن عائشة وما فَعَلته بعد رسُول الله ﷺ بالنّسبة إليه ﷺ ولا سيّما حرب الجمل الّذي قتل فيه جمع كثير من المسلمين والتّواريخ كلّها شاهدة بأنّ الباني والمؤسّس لأساس الحرب إنّما هو عائشة وسيأتي الكلام في قصّة

١- يوسف ـ ٥٣. ٢- النّازعات ـ ٤٠
٣- الشّمس ـ ١٠-٧

الجمل وإن كان تفصيل الكلام فيها موكولاً إلىٰ محلّه وقد أومأنا سابقاً إلىٰ شطر منها وقد بيّن عليه لهذا الأمر الّذي وقع منها أموراً:

أحدها قوله عليه: **فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ**، و هذا الرّأي المؤمىٰ إليه يمكن أن يُوجَّه بوجوه:

الوجه الأوّل: أن يكون المراد به العجز والضّعف الثّابتان فيهنّ بحسب الجِبِلّة والفِطرة فإنّ النّساء شأنهنّ الضّعف في الآراء وقد ثبت أنّ ثبات الرأي وكماله (معلولان) لكمال العقل فمن كان عقله ضَعيفاً كيف يكون رأيه قاطعاً ثابتاً وضعف عُقُول النّساء أظهر من الشّمس.

الوجه الثّاني: أن يكون المراد به أنّ النّساء لا رأي لهنّ بالإستقلال وإنّما آرائهنّ تابعة للغير من دون أن يكون لَهُنّ نَظَر وإختيار في ذلك وهو أيضاً مشاهد محسُوس.

الوجه الثّالث: أنّ آرائهنّ تابعة لِلمُشتَهيّات والأميال النّفسانيّة فإذا إشتاقت المَرأة إلىٰ شيٍ حقّاً أو باطلاً فلا رأي لها بل هي تابعة مَحضَة وغير ذلك من الوجوه المُحتَملة ولأجل هذه الأمور نَهىٰ الاسلام عن قضاوتها ومَرجعيّتها للتّقليد والحكومة علىٰ النّاس وأمثال ذلك من المناصب العظيمة والحاصل أنّ عايشة أدركها هذا الضّعف الموجود في جِبِلّته (جبلّتها) فأخرجته من القُوّة إلىٰ الفعل وفعلت ما فعلت فَضَلّت وأضَلّت.

وثانيها قوله عليه: **وَضِغْنٌ غَلاَ فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ**، وفيه إشارة إلىٰ وجود الحقد فيها من أوّل الأمر إلّا أنّها لَم يقدر علىٰ إبرازه وإظهاره لمانع وحيث إرتفع المانع وَوُجِد المُقتضي أعني الأعوان والأنصار فصار الحقد المستتر في صدرها فعليّاً.

ويمكن أن يكون قوله عليه: **(غلا)** إشارة إلىٰ بيعة النّاس لأمير المؤمنين عليه وتَصدّيه للخلافة وذلك لأنّ خلافته عليه صارت موجبة لطغيان عائشة وأمّا قبلها فكانت ساكتة وإن كانت حَقُوداً من أوّل الأمر إلّا أنّ غليان الحقد بسبب

الخلافة ويؤيّد هذا الإحتمال ما ذكره المورّخون من أنّ عائشة لمّا حصر عثمان خرجت من المدينة إلىٰ مكّة وكانت فيها مُنتظرة لقتل عثمان وإنّما خرجت من المدينة أيّام المحاصرة لئلّا تتهم بعدُ بقتله فلمّا أخبرها المُخبر بقتل عثمان شكرت وسجدت ولمّا سئلت عن الخليفة بعده وقال المخبر علّي إبن أبي طالب قال وا إسلاماه قتل عُثمان مَظلُوماً وهذا الّذي ذكرناه ذكره المورّخون من العامّة والخاصّة وقد ذكره الشّارح المُعتزلي أيضاً في شرحه غير مرّة إلّا أنّهم اعتذروا عنه بما هو أوهن من بيوت العنكبوت وللكلام فيه مَوضع آخر.

وفي قوله عليه السلام: **كَمِرْجَلِ الْقَينِ** إشارة إلىٰ شِدّة غليان الحِقد في صدرها حيث شبّه عليه السلام: **صَدْرِهٰا كَمِرْجَلِ** أعني القِدر والحِقد المَوجود فيها بما هو موجود في القِدر وهو من تَشبيه المَعقُول بالمحسُوس.

▫ قوله عليه السلام: **وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنٰالَ مِنْ غَيْرِي مٰا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ...**

قال الشّارح المُعتزلي في شرحه لهذ الكلام ما لفظه.

فإنّما يعني به عُمر يقول لو أنّ عُمر ولي الخلافة بعد عثمان علىٰ الوجه الّذي قتل عليه والوجه الّذى أنا ولّيت الخلافة عليه ونسب إلىٰ عُمر أنّه كان يؤثّر قتله أو يُحرّص عليه ودعيت عائشة إلىٰ أن تخرج عليه في عصابة من المسلمين إلىٰ بعض بلاد الإسلام تُثير فتنة وتنقض البيعة لم تفعل وهذا حقّ لأنّها لم تكن تجد علىٰ عُمر ما تجده علىٰ علّيٍ عليه السلام ولا الحال الحال انتهىٰ ما ذكره.

وقال الخوئي رحمه الله بعد نقله ما نقلناه عنه قال العلاّمة المجلسي والأظهر الأعمّ أي لو كان عُمر أو أحَدٌ من أضرابه ولّي الخلافة بعد قتل عثمان ودعيت إلىٰ أنّ تخرج عليه لَم تَفعَل انتهىٰ.

أقول: ما ذكره المجلسي حَقٌّ ولا دليل علىٰ إختصاص الغير (بعمر) كما قال المعتزلي والحقّ في العبارة أن يقال لو دعيت عائشة إلىٰ حرب غيري لم تفعل ولمّا دعيت إلىٰ حربي فَعَلت وهو دليل علىٰ ضعف رأيها وحقدها بالنّسبة إليّ.

▫ قوله عليه السلام: **وَلَها بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْاَولىٰ وَالْحِسابُ عَلَى اللهِ...**

أي وللعائشة بعد هذه الجرائم حرمتها الأُولىٰ الّتي كانت قبلها والحساب بيني وبَينها علىٰ الله يَوم القيٰمة وفيه إشارة إلىٰ أنّه عليه السلام قد عفىٰ عنها لحرمة الرّسول ولم ينتقم منها أبداً ووكّل أمرها إلىٰ الله تعالىٰ إنّه نعم الوكيل.

تذنيب: إعلم أنّ هذا الكلام إنّما صدر عن أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة بعد قصّة الجَمل الّتي كانت في رأسها عائشة وقُتل فيها خلق كثير من الفريقَين وَوِزره علىٰ عائشة لأنّها كانت مُؤسّسة لهذه الفتنة الصَّعبة مع أنّها كانت مأمورة من الله ورسوله بالقرار في بيتها كسائر أزواج الرّسول لقوله تعالى: **﴿وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾**

وقد روىٰ في الطّبقات أنّها إذا قرأت هذه الآية بكت حتّىٰ تبلّ خمارها انتهىٰ «ج ٨ ص ٨١»...

وروىٰ أيضاً عن عبد الرّحمان إبن الحارث وهو قد شهد الجَمل مَع عائشة إنّها كانت تقول لأن أكونُ قعدتُ في منزلي عن مسيري إلىٰ البصرة أحبّ إليّ من أن يكون لي من رسُول الله عَشَرةٌ من الوَلَد كلّهم مثل عبد الرّحمن بن الحارث انتهىٰ «ج ٥ ص ٦»...

ولا بأس بالإشارة إلىٰ بعض الأُمور توضيحاً للمقال وتنبيهاً للمقام فنقول. عائشة بنت أبي بكر وأُمّها أُمّ رومان إبنة عامر إبن عُويمَر بن عبد شمس بن عتّاب بن أُذينة بن سَبيع بن دهمان إبن الحارث بن الغَنم بن مالك بن كنانة تَزَوّجها رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الهجرة بسَنَتين بعد وفاة خديجة وهي بنت سبع سنين وبنىٰ عليها بالمدينة وهي بنت تِسع سنين وأشهر (وعشرة أشهر).

وتَوفّىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله عنها وهي بنت عشرين وكنيتها أُمّ عبد الله، لأنّ عبد الله كان إبن أُختها فكَنّيت به هكذا قال الشّارح المعتزلي وأهل البيت أدرى بما في البيت.

والمَشهُور أنّ عائشة توفّيت في سنة سبع وخمسين من الهجرة وعمرها أربع وستُّون سَنة ودُفنت بالبَقيع في مُلك معاوية وصَلّىٰ عليه المسلمون ليلاً

وأمّهم أبو هريرة وذلك لِسبع عشرة خلت من شهر رمضان من السّنة المذكورة.

نقل في كتاب الحقائق عن كتاب الفائق (ج ١ ص ٥٨٤ سدل) أنّ أُمّ سلمة رضي الله عنها أتت عائشة لمّا أرادت الخُروج إلىٰ البصرة فقالت لها: إنّك سُدّة بَين رسول الله ﷺ وأُمّته وحجابك مضروب علىٰ حُرمته وقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه وسَكّن عُقيراك فلا تَصحربها، الله من وراء هذه الأُمّة لو أراد رسول الله أن يعهد إليك عَهد، غلتِ غلتِ بل قد نَهاك رسول الله ﷺ عن الفرطة في البلاد إنّ عمود الإسلام لا يُثاب بالنّساء إن مال ولا يرأب بهنّ إن صَدع حماديات النّساء غضّ الأطراف وحفر الأعراض وقصر الوهارة ما كنتِ قائلة لو أنّ رسول الله ﷺ عارضك ببعض الفلوات ناصة قلوصاً من مَنهَلٍ إلىٰ آخر إنّ بعين الله مَهواك وعلىٰ رسوله تُردين قد وجّهتِ سُدافته وتَركتِ عُهيداه لو سرتُ مَسيركِ هذا ثمّ قيل لي: إدّخلِي الفِردوس لأستحييت أن ألقىٰ محمّداً هاتكة الحجاب (حجابه) قد ضربه علَي إجعلي حِصنك بَيتِك ووقاعة السّتر قبرك حتّىٰ تَلقينه وأنت علىٰ تلك أطوَع ما تَكونين لله فألزميه انتهىٰ.

أقول: أمّا قصّة الجمل فقد مرّ ذكرها مفصّلاً ولا نعيد الكلام فيها وأمّا علّة ضغن عائشة له عليه السلام فقد ذكر الشّارح المعتزلي في شرحه ما يغنينا عن الكلام فيه إذ هو أيضاً من المُذعنين به و قد تَمّت الحُجّة عليه بما ذكره والحمد لله ربّ العالمين.

الفصل الثّاني:

- قوله عليه السلام: **سَبِيلٌ أَبْلَجُ الْمِنْهَاجِ، أَنوَرُ السِّرَاجِ...**

الظّاهر أنّ المُبتدء محذوف أي الدِّين سَبيل أبلج المنهاج أو أنّ الكلام مربوط بما قبله ولَم يَظفر الرّضي رحمه الله عليه ولا ضَير فيه فإنّ القرينة الحاليّة تدلّ علىٰ أنّ الفصل في وصف الدِّين والإيمان ومن المعلوم أنّ الموصوف بالوصفين المذكورين لا يكون إلّا الدِّين والمعنىٰ أنّ الإيمان أعني الدِّين

الواقعي سبيل لا سبيل أوضح منه فهو أوضح المسالك في الوصول إلىٰ مقام القرب وأنور السّراج فلا يضلّ سالكه ألبتّة لوضوح طريقها وإضاءة نورها.

▫ قوله ﷺ: **فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَىٰ الصَّالِحَاتِ، وَبِالصَّالِحَاتِ، يُسْتَدَلُّ عَلَىٰ الْإِيمَانِ...**

أي أنّهما أعني الإيمان والعَمل الصّالح متلازمان بمعنىٰ أنّ لازم الإيمان هو العَمل الصّالح فإنّ العمل في الحقيقة شطره لأنّه الإعتقاد بالقلب والإقرار باللّسان والعَمَل بالأركان وإذا كان كذلك فلازم العمل الصّالح أيضاً هو الإيمان وإلّا لا يكون العَمَل صالحاً إذ لا نعني بالصّلاح في العمل إلّا ما كان ناشئاً عن الإيمان فقوله ﷺ: **فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَىٰ الصَّالِحَاتِ**، معناه بسبب الإيمان يعرف العمل الصّالح فمن لا يكون مُؤمناً حَقّاً لا يُعرَف العَمَل الصّالح حقّاً، وقوله: بالصّالحات الخ معناه بسبب الأعمال الصّالحة يعرف الإيمان أي أنّها تُنبئ عنه وتنشأ منه.

إن قلت ـ أليس هذا من الدُّور المُستحيل وذلك لأنّ الإيمان لو يعرف بالعمل الصّالح والعَمل الصّالح أيضاً يعرف به كما هو المفروض فهو الدُّورا

والجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أنّه لم يقل الإيمان يعرف بالأعمال الصّالحة والأعمال تُعرَف به بل قال ﷺ : **بالإيمان** يُستدلّ علىٰ الصّالحات وبها علىٰ الإيمان ومعرفة الشّئ غير وقوف الشّئ علىٰ الشّئ والدُّور يجئ في الثّاني أعني في توقّف الشّئ علىٰ الشّئ وبالعكس أعني توقّف الآخر عليه أيضاً وما نحن فيه ليس من هذا القبيل كما هو ظاهر.

وثانيهما: أنّ الوجه في إستحالة الدُّور هو إستحالة توقّف الشّئ علىٰ نفسه فإذا قلنا مثلاً (أ) موقوف علىٰ (ب) وجوداً و(ب) موقوف علىٰ (أ) كذلك فهو الدُّور للزومه توقّف (أ) علىٰ نفسه أعني (أ) واقعاً لأنّ المفروض أنّ (أ) لا يوجد إلّا بعد وجود (ب) و(ب) لا يوجد إلّا بعد وجود (ا) فينتج أنّ الألف لا

يوجد إلّا بعد وجود الألف فوجوده يَتوقّف على وجوده وهو محال إذ يلزم أن يكون له وجود قبل وجوده.

وما نحن فيه ليس من هذا القبيل إذ الإيمان في كلامه ﷺ لا يتوقّف على العمل الصّالح وجوداً والعَمَل أيضاً لا يَتوقّف على الإيمان وجوداً ليلزم الدَّور فإنّ العمل الصّالح ليس نفس الإيمان وهكذا الإيمان ليس نفس العمل الصّالح بل العمل أحد أجزائه وله جزآن آخران هما الإعتقاد القلبي والإقرار اللّساني نعم لو كان وجود الإيمان وتَحَقّقه موقوفاً على وجود العَمل الصّالح وبالعكس لزم الدَّور فكلّ من عمل صالحاً فهو مؤمن وليس كلّ مؤمنٍ يَعمَل صالحاً بمعنى أنّه لو لم يعمل صالحاً لا يكون مؤمناً فإنّ المؤمن قد يعمل غير الصّالح وهو ظاهر.

ثمّ إنّ هذا التّلازم بين العمل والإيمان بحسب الخارج لا بحسب الواقع بالنّسبة إلى الصّالحات فقط ترى في أكثر الآيات ذكرهما معاً وهو دليل على التّلازم عرفاً وخارجاً غالباً: قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾(١)

و: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾(٢)

و: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾(٣)

و: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾(٤)

و: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾(٥)

و: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(٦)

و: ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾(٧)

١- العنكبوت ـ ٩   ٢- البقرة ـ ٢٥
٣- البقرة ـ ٨٢   ٤- البقرة ـ ٢٧٧
٥- آل عمران ـ ٥٧   ٦- المائدة ـ ٩
٧- الإسراء ـ ٩

والآيات بهذا المنوال كثيرة إن شئت الإطّلاع على تفصيلها فراجع القرآن وهذه الآيات كما ترى تنادي بأعلى صوتها بأنّ الإيمان يَتبَعه العمل الصّالح غالباً فلو كان الإيمان هو نفس العَمل الصّالح لكان ذكر العَمل الصّالح بعد الإيـمان لا فائدة فيه إذ يلزم أن يكون المَعطوف عين المَعطوف عـليه وهـو كـما تـرى فالإيمان ليس نفس العمل الصّالح وهو المطلوب.

وأمّا البحث في حقيقة الإيمان وأنّه بسيط أو مركّب فقد مـرّ الكـلام فـيه سابقاً.

▫ قوله ﷺ: **وَبِالْإِيمانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ ،وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْـمَوْتُ، وَبِـالْمَوْتِ تُـخْتَمُ الدُّنْيا...**

الباء في الكلّ سَببيّة أي بسبب الإيمان وبسبب العلم وبسبب الموت.

أمّا الأوّل فهو إشارة إلى أنّ العالم إذا لم يكن له إيمان يَعمُر به عِلمه فـلا فائدة في عِلمه وإنّما قال ﷺ: يَعمُر ولم يَقُل يُوجد أو يكمل مثلاً لأنه ليس من المحال حصول العلم من غير المؤمن فإنّ العلم عبارة عن حـصول الصّورة الحاصلة من الشّيْ عند العقل فـي العـلم الحُـصُولي وحـضور المـدرَك لدى المدرِك كحضور ذاتنا لذاتنا في العلم الحُضُوري وإنّهما قـد يـحصلان لغير المؤمن بل للكافر أيضاً فلا يجوز أن يقال غير المؤمن ليس بعالم.

فقوله ﷺ: (يعمر) إشارة إلى أنّ هذا العلم الّذي حصل للعالم إذا لم يكن مقروناً بالإيمان أي لا يكون لله تعالى كالبقعة الخربة الّتي لا نفع فيها بل تَضُرّ لإحتمال السّقوط فيها وما كان في مَعرض السّقوط يَنبغي التَّجنُب عنه فإنّ دفع الضّرر المُحتَمل واجب عقلاً.

والعلم أيضاً هكذا بل هو أضرّ لأنّ سقوط السّقف مثلاً بسبب عدم عمارته يوجب هلاك الجسم ولا يَضُرّ بآخرته وأمّا سقوط العلم يوجب هلاك الرّوح والجِسم معاً في الدّنيا والآخرة وما كان هذا خطره يجب على العاقل تعميره ولمّا كان التعمير في كلّ شيْ بحسبه فتَعمير البناء بالآجر والجُصّ وأمـثالهما وتعمير اللّباس بشيْ آخر وهكذا فيلزم أن يكون للعلم أيضاً تَعميرٌ لأنـه أي

العلم من أهمّ الأشياء، وأفضل النّعم على العباد فقال عليه السلام: **وَبِالْإِيمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ.**

هذا إذا كان المراد بالعلم العلم الاصطلاحي وإن كان المراد به النّور كما قال عليه السلام. **العلم نُورٌ يَقذفه الله في قَلب من يَشاء** فالأمر أوضح فإنّ العلم بهذا المعنى لا ينفكّ عن الإيمان قطعاً بل هو نفسه.

وأمّا الثاني أعني قوله عليه السلام: **وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ...**

الرَّهبة والرَّهب مخافة مع تحرّزٍ واضطراب والمعنى أنّ بسبب العلم الواقعي الّذي عُمّر بالإيمان يَرهبُ المَوت ويخافه قال الله تعالى: **﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾**(١)

وإنّما قال عليه السلام: يَرهَب وما قال يَرغَب مثلاً لأنّ الرَّغبة في الموت إذا لم تكن ناشئة عن العلم بالمَوت وأنّه راحة المؤمن لا فائدة فيها وبعبارةٍ أُخرى المقصود التوجّه بحقيقة المَوت وعواقبه وهذا لا يتأتّى إلّا من الرّاهب الخائف وأمّا الرّاغب بما هو هو فيمكن أن يكون الباعث له شئ آخر غير التوجّه إلى المَوت والتّهيّؤ له.

والثّالث قوله عليه السلام: **وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا...**

وهو واضح إذ بعد موت الشّئ لا وجود له في الدّنيا فلا محالة تختم الدّنيا وجوداً وإنّما قال عليه السلام تَختِم ولَم يَقُل تَعدم لأنّ الشّئ بعد وجوده لا تعدم بل ينتقل من حالة إلى أُخرى ومن عالم إلى عالم آخر كما عليه الفلاسفة ولقوله صلى الله عليه وآله: **خُلِقتم لِلبقاء لا لِلفناء** وقد تكلّمنا في ذلك سابقاً بما لا مزيد عليه ففي قوله عليه السلام إشارة إلى أنّ لكلّ بدوٍ خَتم وحيث إنّه قد ثبت حُدوث الدّنيا ذاتياً كان أو زمانياً فلا محالة لها آخر وهو يَتحقّق بالمَوت وهو ثابت لكلّ مخلوقٍ قال الله تعالى: **﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾**(٢)

والحاصل أنّ بالموت تختم الحياة الدّنيويّة المَجازية وتَشرع الحياة الأبديّة الحقيقيّة.

□ قوله عليه السلام: **وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الْآخِرَةُ، وَ بِالْقِيَامَةِ تُزْلَفُ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ...**

١- النّحل - ٥١   ٢- الرحمن - ٢٦/٢٧

أمّا الأوّل: فلأنّ الدّنيا مَزرعة الآخرة فَمن لَم يَزرع في الدّنيا لا يحصد في الآخرة.

وأمّا الثّاني: فلأنّ الزّلفة في الأصل المنزلة والخطوة وهي لا تحصل للمتّقين في الجنّة إلّا بسبب القيامة لا بغيرها لأنّ الآخرة هي دار الجزاء كما أنّ الدّنيا دار عمل قال الله تعالى: ﴿**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (١) و: ﴿**وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ**﴾ (٢) وقيل معناه التّقرّب لقول الرّسول ﷺ: **إزدلفوا إلى الله** بركعتين، أي تقرّبوا إليه بهما.

وعليه فالمعنى بالقيامة تقرب الجنّة لِلمتّقين، والمآل واحد.

وملخّص الكلام أنّ ثَمَرة الحياة في الدّنيا هي إحراز الآخرة وثَمَرة القيامة هي الوصول والبلوغ إلى نتائج الأعمال الّتي صدرت منه في الدّنيا فالدّنيا كالأصل والقيامة الفرع أو أنّ الدّنيا مقدّمة والقيامة ذي المقدّمة أو ما شئت فسمّه.

□ قوله ؑ: **وَ تُبَرَّزُ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ وَإِنَّ الْخَلْقَ لاَ مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ، مُرْقِلِينَ فِي مِضْمَارِهَا إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى...**

قوله ؑ: **وَ تُبَرَّزُ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ**، عطف على قوله وبالقيامة تزلف الجنّة للمتّقين وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ**﴾ (٣) فكما أنّ الله تعالى ذكر هذه الآية بعد قوله ؑ: **تُزْلَفُ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ** وعطف الثّاني على الأوّل كذلك هو ؑ قال بالقيامة تزلف الخ ثمّ قال وتبرز الجحيم والحاصل أنّ بالقيامة تعلم النّفس ما أحضرت من خيرٍ وشرٍّ فيدخل أهل الجنّة الجنّة وأهل النّار النّار.

وقوله ؑ: **وأنّ الخلق** إلى آخر ما قال إشارة إلى أنّ النّاس لا بدّ لهم من الورود على القيامة مُرقِلين ومُسرعين في مضمارها لا مُبطئين وفي قوله ؑ إلى الغاية القصوى إشارة إلى أنّهم كذلك في القيامة إلى ختم الحساب ولا بأس

١- الشّعراء ـ ٩٠
٢- التكوير ـ ١٣/١٤
٣- الشّعراء ـ ٩١

بصرف عنان الكلام إلىٰ القيامة وما فيها بحسب الأعمال تنبيهاً فنقول: القيامة من قام يقوم قياماً والتّاء في آخرها لِلدّلالة علىٰ وقوعها دفعةً وعليه فكلّ قيام من الإنسان كان دفعةً واحدة يقال له قيامة والألف واللّام في أوّلها لِلتّعريف أعني القيامة المَعرُوفة المَعهُودة قال رسول الله ﷺ: **من مات فقد قامت قيامتُه**.

وبما ذكرناه قد ظهر لك وجه تَسميتها بالقيامة فإنّ النّاس في ذلك اليوم تقومون قياماً واحداً لا تكرار فيه وبعبارةٍ أُخرىٰ للنّاس يومٌ واحد للقيام ولأجل هذه الوحدة والدَّفعَة أُلحِقَت التّاء بها.

وحيث إنجرّ الكلام إلىٰ القيامة فلا بأس بصرف عنان القلم إليها والتّكلّم فيها أعاذنا الله من خطراتها قال الله تعالىٰ: **﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾** (١)

وقال تعالىٰ: **﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾** (٢)

وقال تعالىٰ: **﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾** (٣)

وروى الشّيخ ؆ في أماليه مسنداً عن الباقر عن آبائه عن رسول الله ﷺ قال:

إذا كان يوم القيمة جَمع الله الخلائق في صَعيد واحد ونادىٰ مناد من عند الله يُسمع آخرهم كما يُسمع أوّلهم يقول أين أهل الصَّبر فيقوم عُنُقٌ من النّاس فتستقبلهم زُمرةٌ من الملائكة، فيقولون لهم ما كان صَبركم هذا الّذي صَبرتم فيقولون صَبرنا أنفسنا علىٰ طاعة الله وصَبرناها عن مَعصيته قال منادٍ من عند الله صدق عبادي خَلّوا سبيلهم ليَدخلوا الجَنّة بغير حساب الحديث...

وفي بشارة المُصطفىٰ مسنداً عن عليّ إبن الحسين ؑ أنّ رجلاً سأله عن

١- الحج ـ ٤٧ ٢- السجده- ٥

٣- الشعراء ٩١=٨٧

القيامة قال ﷺ: إذا كان يوم القيٰمة جَمع الله الأوّلين والآخرين وجَميع ما خُلق في صَعيدٍ واحدٍ ثُمّ نَزلت ملائكة السّماء الدّنيا فأحاطت بهم صَفّاً ثُمّ ضُرب حَولهم سُرادق من نارٍ.

ثُمّ نزلت ملائكة السّماء الثّانية فأحاطوا بالسُّرادق ثُمّ ضُرب حولهم سرادق من نارٍ.

ثمّ نزلت ملائكة السّماء الثّالثة فأحاطوا بالسُّرادق ثمّ ضُرب حولهم سرادق من نارٍ حتّىٰ عَدّ ﷺ ملائكة سبع سماوات وسَبع سرادقات فَصَعِق الرّجل فلمّا أفاق قال يابن رسُول الله أينَ عَلّيٌ وشيعته قال ﷺ علىٰ كثبان المسك يؤتون بالطّعام والشّراب لا يَحزُنهم ذلك انتهىٰ «تسلية الفؤاد ص ١٥٦ الىٰ ص ١٥٨»...

روى في البحار بإسناده عن أبي عبد الله ﷺ في قول الله عزّ وجلّ: (ذلك يوم مجموعٌ له النّاس وذلك يومٌ مشهود) قال ﷺ: المَشهود يوم عرفة والمجموع له النّاس يوم القيٰمة «ج ٣ص ٢٠٦»...

وبإسناده عن مُحمّد إبن مسلم عن أحدهما قال ﷺ في قول الله عزّ وجلّ (ذلك يوم مجموعٌ له النّاس وذلك يوم مَشهُود) فذكر يوم القيمة وهو يوم الموعود انتهىٰ «ص ٢٠٦»...

وبإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال: إذا كان يوم القيمة جمع الله الأوّلين والآخرين في صعيدٍ واحد فتَغشّاهم ظُلمة شديدة فَيَضجُّون إلىٰ ربّهم ويقولون يا ربّ إكشف لنا (عنّا) هذه الظُّلمة قال فيقبل قوم يمشي النُّور بين أيديهم وقد أضاء أرض القيٰمة الحديث «ج ٣ص ٢١٨»...

وبإسناده عن أبي جعفر ﷺ قال: إذا كان يوم القيمة جمع الله النّاس في صعيدٍ واحدٍ فهم حُفاة عُراة فَيُوقفُون في المَحشر حتّىٰ يَعرقوا عَرقاً شديداً فتشدّ أنفاسهم فيمكثون في ذلك مقدار خمسين عاماً الحديث «ص ٧١٩»...

وبإسناده عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني عن أبيه مُعَنعناً عن أمير المؤمنين ﷺ قال ﷺ: إسمَع ياذا الغَفلَة والتّصريف من ذي الوَعظ والتّعريف

جُعل يَوم الحَشر يَوم العَرض والسُّؤال والحباء والنَّكال يوم تقلّب إليه أعمال الأنام وتحصىٰ فيه جميع الآثام يوم تُذيب من النُّفوس أحداق عُيُونها وتَضع الحوامل ما في بطُونها وتَفرّق من كلّ نفس وجيبها ويُحار في تلك الأُحوال عقل لَبيبها إذ نكَرت الأرض بعد حُسن عمارتها وتَبدّلَت بالخلق بعد أنيق زهرتها أخرجت من معادن الغَيب أثقالها ونَفضت إلىٰ الله أحمالها يوم لا يَنفع الحَذر إذ عاينوا الهَول الشَّديد فاستكانوا وعُرف المجرمون بسيماهم فإستبانوا فإنشَقّت القبُور بعد إنطباقها وإستَسلَمت النُّفوس إلىٰ الله بأسبابها كشف عن الآخرة غطائها فَظَهَر لِلخلق أنباؤها فَدكّت الأرض دَكّاً ومُدّت لأمر يراد بها مَدّاً مدّاً وإشتدّ المُبادرون إلىٰ الله شَدّاً شَدّاً وتزاحفت الخلائق إلىٰ المحشر زَحفاً زَحفاً ورَدّ المُجرمون علىٰ الأعقاب رَدّاً رَدّاً وجدّ الأمر ويحك يا إنسان جِدّاً جِدّاً وقرّبوا للحساب فرداً فرداً وجاء ربّك والمَلك صَفّاً صَفّاً يسألهم عمّا عملوا حَرفاً حَرفاً وجِيَ بهم عُراة الأبدان خُشّعاً أبصارهم أمامهم الحساب ومن ورائهم جَهنّم يَسمعون زَفيرها ويَرون سَعيرها فلم يجدوا ناصِراً ولا وَليّاً يُجيرهم فَهُم يَعدُون سراعاً إلىٰ مواقف الحشر يساقون سوقاً فالسّمٰوات مَطويّاتٌ بيَمينه كَطَيِّ السِّجلّ للكتب والعباد علىٰ الصّراط وجَلَت قلوبهم يَظنّون أنّهم لا يَسلمون ولا يُؤذن لهم فيُكلّمون ولا يَقبَل منهم فيَعتذرون قد خُتِم علىٰ أفواههم وإستَنطَقت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبُون (يعملون) يا لها من ساعةٍ ما أشجىٰ مواقعها من القلُوب حتّىٰ مُيّزَ بين الفريقين فريقٌ في الجنّة وفريقٌ في السَّعير مِن مثل هذا فليَهرَب الهاربُون إذا كانت الدّار الآخرة لها يَعمل العاملُون انتهىٰ« ج ٣ ص ٢١٨»...

أقول: فيما ذكرناه من الأخبار كفاية لأُولي الأبصار ولا سيّما الرّواية الأخيرة فإنّها جامعة جدّاً.

وأمّا الآيات الواردة في القيامة بأسمائها المختلفة فهي لا تخفىٰ علىٰ من له أنسٌ بالقرآن وهي كثيرة.

□ قوله ﷺ: قَدْ شَخَصُوا مِن مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ، وَصَارُوا إِلىٰ مَصَائِرِ الْغَايَاتِ...

أي قد إرتحلوا من مَحلّ إستقرارهم وهي القبُور وصاروا وإنتقلوا بعد ذلك إلىٰ مصائر الغايات إمّا الجنّة أو النّار فَفَريقٌ في الجَنّة وفريقٌ في السَّعير.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لأَرَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (١)

و : ﴿وَاِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ، عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (٢)

و : ﴿أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ (٣)

وفي قوله ﷺ: وَصَارُوا إِلىٰ مَصَائِرِ الْغَايَاتِ إشارة إلىٰ الجنّة والنّار فإنّهما مصائر الغايات للنّاس وإنّما جمع ﷺ المصائر بإعتبار درجات الجنّة ودركات النّار.

وإلىٰ الأوّل:

أعني من كان مصيره إلىٰ الجنّة أشار في كتابه الكريم حيث قال عزّ من قائل: ﴿أُدْخُلُوا الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (٤)

و : ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٥)

و : ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً﴾ (٦)

و : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (٧)

و : ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّاً﴾ (٨)

و : ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً وَّ أَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ (٩) وغيرها من الآيات.

وإلىٰ الثّاني:

أعني أصحاب النّار أشار بقوله عزّ مِن قائل: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلىٰ جَهَنَّمَ﴾ (١٠)

و : ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ (١١)

١- الحجّ-٧
٢- الإنفطار-٥/٤
٣- العاديات ١٠/٩
٤- الأعراف-٤٩
٥- الأعراف-٤٣
٦- الأعراف-٤٤
٧- هود-١٠٨
٨- مريم-٦٣
٩- الفرقان-٢٤
١٠- آل عمران-١٢
١١- النّساء-٩٧

و: ﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً﴾(١)

و: ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(٢)

و: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾(٣)

و: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾(٤)

- قوله ﷺ: لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا، لاَ يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا، وَلاَ يُنْقَلُونَ عَنْهَا...

أي لكلّ دار من الدّارين أعني الدّنيا والآخرة أهل تلك الدّار لا يستبدلون فيستبدل أهل الدّنيا بأهل الآخرة وبالعكس ولا ينقلون عن الدّار الّتي كانوا أهلاً لها.

ويمكن أن يكون المراد بالدّار في قوله ﷺ الجنّة أو النّار وعليه فالمعنى أنّ لكلّ دار من هاتين الدّارين أعني الجنّة والنّار أهل تلك الدّار فلا يستبدل أحدهما بالآخر ولا ينقل عنها وبعبارةٍ أُخرى أهل الجنّة لا يستبدل بأهل النّار ولا ينقل منها إليها وبالعكس وهو إشارة إلى خلود أهل كلٍّ من الدّارين في داره فأهل الجنّة في الجنّة وأهل النّار خالدين فيها أبداً والآيات بالخلود في حقّ الطّرفين مُصرّحة ففي الجنّة قال الله تعالى: ﴿وَ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٥)

و: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٦)

و: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٧)

و: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٨)

و: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٩) وغيرها من الآيات.

١- النّساء-١٢١
٢- الأنفال-١٦
٣- مريم-٨٦
٤- الزمر-٦٠
٥- البقرة-٢٥
٦- البقرة-٨٢
٧- آل عمران-١٠٧
٨- هود-٢٣
٩- المؤمنون-١١

وفي النّار قال تعالىٰ: ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١)

و: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢)

و: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَه وَيَتَعَدَّ حُدُودَه يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا﴾ (٣)

و: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (٤)

و: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (٥) والآيات كثيرة.

□ قوله عليه السلام: **وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ اللهِ سُبْحَانَهُ...**

الخُلق بالضّم السَّجيّة والطَّبيعة والمعنىٰ إنّهما من سَجايا الله تعالىٰ وفيه إيماء إلىٰ أنّ الله تعالىٰ لَم يَزَل ولا يَزال آمِراً بالمَعروف وناهِياً عن المُنكر بل ذات الواجب مصداق الأكمل والأتمّ لِلمعروف والأمر به وللنّهي عن المنكر فإنّ المعروف لا يصير مُنكراً والمُنكر لا يصير مَعروفاً فإذا ثبت كون الحقّ معروفاً فلا يكون منكراً لإستحالة إجتماع النّقيضين فلا محالة يكون مصداقاً لِلنّهي عن المنكر إذ لو لم يكن كذلك يلزم إرتفاع النّقيضين وهو أيضاً محال ويعبارةٍ أُخرىٰ المَعروف هو النّهي عن المنكر والفرق باللّفظ ولأجل كونها من سَجيّة الله أمرنا بهما قال الله تعالىٰ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (٦)

و: ﴿وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (٧)

و: ﴿الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ﴾ (٨)

و: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلوٰةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (٩)

ومن الأخبار:

١- البقرة ـ ٢٥٧
٢- البقرة ـ ٣٩
٣- النّساء ـ ١٤
٤- المؤمنون ـ ١٠٣
٥- الزّخرف ـ ٧٤
٦- آل عمران ـ ١١٠
٧- الحجّ ـ ٤١
٨- التّوبة ـ ١١٢
٩- لقمان ـ ١٧

﴿يَفْسُقُونَ﴾[1] قال أمير المؤمنين عليه السلام أيّها المؤمنون إنّ من يَرىٰ عُدواناً يَعمَل به ومُنكراً يُدعىٰ إليه وأنكَرَه بِقلبه فقد سلم وبَريَ ومن أنكر بلسانه فقد أوجر وهو أفضل من صاحبه ومن أنكره بالسَّيف لتكون كَلِمَةَ الله هيَ العليا وكلمة الظّالمين السّفلىٰ فذلك الّذي أصّاب سبيل الهُدىٰ وقام علىٰ الطّريق ونوّر في قلبه اليقين.

▫ قوله عليه السلام: وَإِنَّهُمَا لَا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ، وَّلَا يَنْقُصَانِ مِن رِّزْقٍ...

أي أنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر لا يُقرّبان لصاحبهما الأجل ولا ينقصان رزقَه وهذا الكلام منه عليه السلام إشارة إلىٰ دفع بعض الأوهام من أنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر لهما آفتان، خوف القتل، ونقصان الرّزق.

أمّا خوف القتل فلأنّ صاحبهما ما يقع بسبب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في مظانّ القتل والحَبس وفي بعض الأوقات يقتل أو يُحبَس كما نرىٰ أنّ كثيراً من الآمرين به والنّاهين عنه قد قتلوا أو حُبسوا وهو ظاهر.

وأمّا نقصان الرّزق فلأنّ الحقّ مُرٌّ فإذا أمَر الآمر بالمعرُوف والنّاهي عن المنكر حاكماً من الحكّام أو شَخصاً من الأشخاص وكان له منهم نفع مادّي فلا محالة هو ينقص إن لم ينقطع أصلاً وهذا ممّا نراه بالحِسّ والعيان فقد ثبت الخوف منهما وهو المطلوب.

ووجه الدفع أنّ الأجَل والرِّزق بيد الله وتحت قُدرته وإرادته وليس لغيره فيهما مَدخل ولا نَصيبٌ وعليه فالخوف منهما بسببهما في غير محلّة.

أمّا كون الأجَل بيد الله فلقوله تعالىٰ: ﴿مَّا تَسْبِقُ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾[2]

و: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفساً إِذا جاءَ أَجَلُها﴾[3]

و: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾[4]

١- الاعراف - ١٦٤/١٦٥
٢- الحجر - ٥ المؤمنون - ٤٣
٣- المنافقون - ١١
٤- هود - ١٠٤

بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السَّماء انتهى الأحاديث منقولة عن «مشكاة الأنوار ص ٤٨ الى ص ٥٧»...

تنبيه: قال بعض المُحقّقين.

إنّ الله تعالىٰ قد أنعم علىٰ أمّةِ محمّد ﷺ وأكرمهم بأن جعلهم آمرين بالمعروف ناهين عن المُنكر ووصَفَهم بذلك في كتابه وأثنىٰ عليهم فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ﴾[٤] فقرن الأمر بالمعرُوف والنّهي عن المُنكر بالإيمان بالله (والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) وذَمّ قَوماً وعابهم وقَبّح فعلهم وأوعدهم أشدّ العذاب بتركهم الأمر بالمعرُوف والنّهي عن المنكر والأخذ علىٰ الظّالم فقال تعالىٰ في سورة المائدة: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَالِكَ بِمَا عَصَوا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ .كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(١)

وقال فيها أيضاً: ﴿تَرَىٰ كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. لَوْ لاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ(٢)﴾ فَسَوّىٰ الله تعالىٰ بين المباشر للمعصية والتارك لنهيه عنها في تهجين فعلهم والوعيد لهم ثمّ إنّ الله أمرنا بالمعرُوف ونهانا عن المنكر في غير موضع كتابه ووعد عليه الثواب العظيم وواعدنا علىٰ تركه العذاب الأليم.

فقال في سورة آل عمران ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ اُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٣)

وقال تعالىٰ في سورة الأعراف ﴿وَإِذْ قَالَتْ اُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا

٤-آل عمران ـ ١١٠

١-المائده ـ ٧٨/٧٩

٢-المائده ـ ٦٢/٦٣

٣-آل عمران ـ ١٠٤

و: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾(١)

وثالثها:

أنّ الكتاب هو الشفاء النافع لقوله تعالى: ﴿قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ﴾(٢)

و: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٣)

و: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفاءٌ﴾(٤)

ورابعها:

أنّ القرآن هو الرأي النّاقع القاطع للعلّة وذلك لأنّه إذا ثبت كون الكتاب شفاء لِلداء أعني الضلالة فلا محالة يكون رأياً ناقعاً وإلّا لا يكون شفاء واقعاً فكأنّ قوله عليه السلام: وَالرِّأْيُ النَّاقِعُ، تفسير لقوله: عليه السلام: وَالشِّفاءُ النافِعُ، إذ الشفاء لا يحصل إلّا بعد الريّ.

وخامسها:

قوله عليه السلام: وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ،لقوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾(٥)

و: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى لَا انْفِصامَ لَها﴾(٦)

وسادسها:

قوله عليه السلام وَالنَّجاةُ لِلْمُتَعِلِّقِ به يوم القيمة من العذاب لقوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾(٧)

وإذا كان الكتاب ناصّاً صريحاً على ما ذكره عليه السلام في المتن فلا نحتاج إلى ذكر

١- النساء-١٧٤ ٢- يونس-٥٧
٣- الإسراء-٨٢ ٤- فصلت-٤٤
٥- الزخرف-٤٣ ٦- البقرة-٢٥٦
٧- الزمر-٦١

و: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١) وغيرها من الآيات:

ومن الثاني:

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ﴾ (٢)

و: ﴿ هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ (٣)

و: ﴿أَمَّنْ هٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ (٤)

و: ﴿وَارْزُقْنا وَأَنْتَ خَيْرُ الرّازِقِينَ﴾ (٥)

و: ﴿وَما مِنْ دابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلاّ عَلَى اللهِ رِزْقُها﴾ (٦)

فإذا أثبت كونهما من الله ومن عنده وليس لغيره فيهما نصيب فلا ينبغي لأحد خلاف ما نَصَّ عليه القرآن وأيّده العقل السّليم فإنّ المخلوق كائناً من كان لا يقدر على شيء.

▫ قوله ﷺ: **وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ، فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، وَالرِّأْيُ النَّاقِعُ، وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ، وَالنَّجَاةُ لِلْمُتِعلِّقِ...**

ثمّ أمرهم وأمرنا بالأخذ بكتاب الله والعمل به وعلّل ذلك بأمور ستّة:

أحدها:

أنّ الكتاب هو الحَبل المَتين لقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾ (٧)

و: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ ما ثُقِفُوا إِلاّ بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ﴾ (٨)

وثانيها:

أنّ الكتاب هو النُّور المُبين قال تعالى: ﴿قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبِينٌ﴾ (٩)

و: ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنا﴾ (١٠)

١- نوح-٤ ٢-سبأ-٢٤
٣- فاطر-٣ ٤- الملك-٢١
٥- المائدة-١١٤ ٦- هود-٦
٧- آل عمران-١٠٣ ٨- آل عمران-١١٢
٩- المائدة آية ١٥ ١٠- التغابن-٨

▫ قوله عليه السلام: مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ...

أمّا الأوّل فلأنّ القرآن كلام مطابق للواقع صَدر عن الله تعالىٰ وهو صادق فكلامه صدق ومن قال بالصِدق فقد صَدَق في قوله أمّا كون القرآن صدقاً فلقوله تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَّعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾(١)

وأمّا أنّ الله تعالىٰ صادق في كلامه فلقوله تعالىٰ: ﴿وَاَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَّ اِنَّا لَصَادِقُونَ﴾(٢)

و: ﴿وَّمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً﴾(٣) و: ﴿وَّمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾(٤)

وإذا كان المتكلّم صادقاً في كلامه فمن قال بكلامه أيضاً صادق في قوله وهو المطلوب:

وقوله عليه السلام: وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ أي من عمل بالقرآن فقد سبق إلىٰ الجنّة وفاز فوزاً عظيماً كما قال تعالىٰ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾(٥)

و: ﴿وَ سَابِقُوا اِلىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾(٦)

و: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾(٧)

و: ﴿اِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنىٰ أُولٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾(٨)

قال السيّد رحمه الله وقام إليه رجل فقال أخبرنا عن الفتنة وهل سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام: لمّا أنزل الله سبحانه قوله: ﴿اَحَسِبَ النَّاسُ اَنْ يُتْرَكُوا اَنْ يَقُولُوا اٰمَنَّا وَهُمْ لاَيُفْتَنُونَ﴾(٩)

ظاهر الكلام يدلّ علىٰ أنّه قد مَرّ منه عليه السلام: ذكر الفتنة ولأجل هذا قال الرجل أخبرنا عن الفتنة أي الفتنة المذكورة أو يقال إنّها كانت معهُودة بينه وبينهم فعلىٰ الأوّل اللام في قول الرجل (الفتنة) للعهد الذّكري وعلىٰ الثّاني للعهد الذّهني.

١- الانعام ـ ١١٥
٢- الحجر ـ ٦٤
٣- النّساء ـ ١٢٢
٤- النّساء ـ ١٢٢
٥- الواقعة ـ ١٠
٦- الحديد ـ ٢١
٧- الصّافات ـ ١٧١
٨- الأنبياء ـ ١٠١
٩- العنكبوت ـ ٢

الأخبار الواردة فيه مع إنّا قد تكلّمنا في القرآن وما ورد فيه ولزوم الأخذ به في سالف القول بما لا مزيد عليه.

▫ قوله ﷺ: **لاَ يَعْوَجُّ فَيُقَامَ، وَلاَ يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلاَ تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ وَ وُلُوجُ السَّمْعِ...**

الظاهر أنّ قوله ﷺ: **(يُعْوَجّ)** مضارع مجهول من إعوجّ يَعوّج إعوجاجاً والإعوجاج الإنحراف إلىٰ الباطل وعليه فالمعنىٰ أنّ القرآن لا إعوجاج فيه لنحتاج إلىٰ الإصلاح والإستقامة وذلك لأنّه كلام الحقّ والإعوجاج في كلامه محال لأنّه ينشأ من النقص في المتكلّم وأمّا إذا كان المتكلّم كاملاً من جميع الجهات فكلامه أيضاً كامل وإلىٰ هذا المعنىٰ أُشير في الكتاب حيث قال.

﴿اَلْحَمْدُ للهِ الَّذي أَنْزَلَ عَلىٰ عَبْدِهِ الْكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً﴾ (١)

و: ﴿قُرْاناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٢)

وقوله ﷺ: **وَلاَ يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ.** معناه لا يَميل ولا يَعدل عن الحقّ حتّىٰ يطلب رجوعه إليه فإنّ أصل الزّيغ الميل عن الإستقامة والتزايق التّمايُل والفرق بين هذه الجملة والجملة السابقة هو أنّه ﷺ نفى في الأُوْلىٰ أصل الإعوجاج والإنحراف وفي الثّانية نفى الميل عنه إذ لا يبعد أن يكون شيئاً غير ذي عوج ولكن كان مائلاً إليه فإنّ الأوّل يرجع إلىٰ الفعليّة والثّاني إلىٰ القوّة فنفي الأوّل لا يستلزم نفي الثّاني وهو ظاهر.

وقوله ﷺ: **وَلاَ تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ وَ وُلُوجُ السَّمْعِ** ،إشارة إلىٰ عدم تَغيّره بكثرة التكرار والتّردّد علىٰ الألسِنة وولوجه في الاسماع كما هو ثابت في غيره من الكُتُب إذ كلّ كلام وكتاب نثراً كان أو نظماً تَمِلّ عنه الطّبائع وتَشمئزّ عنه القلوب بسبب كثرة التّلاوة والتّكرار علىٰ الألسِنة والقرآن ليس كذلك بل أمره بالعكس وهو عجيب.

١- الكهف ـ ١

٢- الزمر ـ ٢٨

أي فقال رسول الله ﷺ لي إنّ ذلك كذلك أي صحّ ما قلت لك من أنّ الشهادة من ورائك فكيف صَبرك على الشّهادة فقلت يا رسول الله ليس هذا الّذي ذكرت أعني الشّهادة من مواطن الصّبر ولكنّها من مواضع البُشرىٰ والشُّكر.

وفيما ذكره إيماء إلىٰ أنّ الشهادة من أعظم النِعَم الإلٰهيّة وأفضَل المَراتب الكماليّة فَمن فازَ بها فقد فازَ فَوزاً عَظيماً وإذا عُدَّت من النعم فالشكر عليها واجب لوجوب شكر المُنعِم عقلاً: قال الله تعالىٰ: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ﴾(١)

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾(٢)

▫ قوله ﷺ: وَقَالَ: يَا عَلِيّ إِنَّ الْأُمَّة (القَوم) سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي بِأَمْوَالِهِمْ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ...

قال ﷺ: يا علي إنّ الأُمّة سيُفتنُون أي سيختبرون ويُمتَحنُون بعد وفاتي بأموالهم قلةً وكثرةً ومن إكتسابها من حلال أو حرام وإخراج الحقوق الواجبة فيها وعدمه وغير ذلك من الأُمور ويَمنُّون بدينهم علىٰ ربهم وفيه إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ حيث قال: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لاَ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(٣)

▫ قوله ﷺ: وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ...

أي يَتمنّون رَحمة الحَقّ فيقولون إنّه رحيمٌ غفورٌ ويأمنون سَطوَته أي هيبته وغَضبه وغفلوا عن أنّه أشَدّ المعاقبين في موضع النَّكال والنَّقِمة والمؤمن ينبغي أن يكون بين الخوف والرجاء دائماً فلا ييئس من رحمته ولا يأمن سَطوَته فهذا هو الصراط المستقيم.

١- البقرة ـ ١٥٤
٢- النّساء ـ ٧٤
٣- الحجرات ـ ١٧

□ قوله عليه السلام: **عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لاٰ تَنْزِلُ بِنٰا وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بَيْنَ أَظْهُرِنٰا...**

وذلك لكونه صلى الله عليه وآله رحمةً للعالمين لقوله تعالى: ﴿**وَمٰا أَرْسَلْنٰاكَ إِلاّٰ رَحْمَةً لِلْعٰالَمِينَ**﴾(١) والفتنة تنشأ من غضب الله تعالى إن كانت بمعنى العذاب والجمع بين الرحمة والغضب غير ممكن عقلاً لكونه من قبيل إجتماع النقيضين فلا محالة مادام الرسول موجوداً في الدّنيا لا فتنة فيها.

نعم لو كانت الفتنة بمعنى الإمتحان والإختبار كما هو أحد معنييها فهي تنزل في حياة الرسول وهي إذا ليست إلّا نفس الرسول كما هو ظاهر وقوله عليه السلام: بين أظهرنا أي بين أيدينا.

□ قوله عليه السلام: **فَقُلْتُ: يٰا رَسُولَ اللهِ، مٰا هٰذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِى أَخْبَرَكَ اللهُ بِهٰا؟ فَقٰالَ: يٰا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِن بَعْدِي...**

فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة الّتي أخبرك الله بها في كتابه حيث قال: ﴿**الٓمٓ أَحَسِبَ النّٰاسُ**﴾فقال صلى الله عليه وآله: يا علي إنّ أمّتي سيفتنون من بعدي أي ستصيبهم الفتنة المذكورة في الآية.

□ قوله عليه السلام: **فَقُلْتُ: يٰا رَسُولَ اللهِ أَوَ لَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِى يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنَ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحِيزَتْ عَنِّى الشَّهٰادَةُ، فَشَقَّ ذٰلِكَ عَلَّى فَقُلْتَ لِى أَبْشِرْ فَإِنَّ الشَّهٰادَةَ مِن وَرٰائِكَ؟**

أقول: شرح هذه الفقرات ظاهر وأُحُد بضمّ الألف والحاء موضع بقرب المدينة وغزوة الأُحُد مشهورة قتل فيها جمع كثير من المُسلمين بسبب وجود المنافقين فيهم وتفصيلها مذكور في التّواريخ وإنّما قال عليه السلام ما قال وطلب الشهادة بعد مانالته الجروح الكثيرة فقال الرسول صلى الله عليه وآله: أبشر فإنّ الشهادة أعني القتل في سبيل الله من ورائك.

□ قوله عليه السلام: **فَقٰالَ لِي إِنَّ ذٰلِكَ لَكَذٰلِكَ فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذاً؟ فَقُلْتُ: يٰا رَسُولَ اللهِ، لَيْسَ هٰذٰا مِن مَوٰاطِنِ الصَّبْرِ، وَلٰكِن مِن مَوٰاطِنِ الْبُشْرىٰ وَالشُّكْرِ...**

١-الانبياء-١٠٧

وقال رسول الله ﷺ: من شرب الخَمر فإجلدُوه فإن عاد فإجلدوه فإن عاد الرّابعة فإقتلُوه وقال حقٌّ علىٰ الله أن يُسقِي من يشرب الخِمر ممّا يخرج من فروج المُومِسات والمُومِسات الزّواني يخرج من فروجهنّ صَديد والصَّديد قِيحٌ ودَمٌ غَليظٌ مختلط يؤذي أهل النّار حَرّه ونَتنه انتهىٰ...

وقال رسول الله ﷺ: من شرب الخمر لَم تُقبل منه صلٰوته أربَعين ليلة فإن عاد فأربعين ليلة من يوم شَربها فإن مات في تلك الأربعين ليلة من غير توبةٍ سقاه الله يوم القيٰمة من طينة خبال الحديث...

وروي عن محمد إبن مسعود العياشي في تفسيره عن عامر إبن السّمط عن علّي إبن الحسين عليه السلام قال عليه السلام: الخمر من ستّة أشياء التّمر والزّبيب، والحِنطة، والشّعير والعَسل، والذرّة انتهىٰ...

وبإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال عليه السلام: ما بَعَث الله نَبيّاً قطّ إلّا وقد علم الله أنّه إذا أكمَل له دينه كان فيه تَحريم الخَمر ولم تَزل الخَمر حَراماً إنّ الدّين إنّما يحَوّل من خصلةٍ ثمّ أُخرىٰ فلو كان ذلك جملة قطع بهم بالنّاس دون الدّين انتهىٰ...

وبإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: يأتي شارب الخمر يوم القيٰمة مُسودّاً وجهه مائلاً شقّه مُدلِعاً لسانه ينادي العَطَش العَطَش انتهىٰ...

وبإسناده عنه عليه السلام قال: يأتي شارب الخمر يوم القيٰمة مُسودّاً وجهه مُدلِعاً لسانه يَسيل لعابه علىٰ صَدره وحَقٌّ علىٰ الله أن يُسقِيه من طينةِ بئرِ خبال قال قلت وما بئر الخبال قال عليه السلام بئر يَسيل فيها صَديد الزّناة انتهىٰ...

وبإسناده عن يونس إبن ظبيان قال قال أبو عبدالله: يا يونس أبلغ عطيّة عنّي من شرب جرعة من خمر لَعنه الله ومَلائكته ورسله والمؤمنون وإن شربها حتّىٰ يسكر منها نَزع روح الإيمان من جسده وركَبت فيه رُوُح خبيثة سَخيفة مَلعُونة الحديث...

وبإسناده عن محمّد إبن مسلم قال سأل أبو عبدالله عن الخَمر فقال قال

▫ قوله ﷺ: وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ وَ الْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ...

أي أنّ الأُمّة يستحلّون حرام الله بسبب الشُّبهات الكاذبة الّتي حصلت لهم والأهواء السّاهية الّتي أحاطت بهم فَيَظنّون أنّهم يُحسِنون صُنعاً وقد بيّن ﷺ تفصيل ذلك بقوله.

▫ قوله ﷺ. فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، وَالُّسحْتَ بِالْهَدِيَّةِ، وَالرِبَا بِالْبَيْعِ...

أي فيحكمون بحِليّة الخَمر المُتّخذ من النّبيذ ويقولون إنّ الحرام هو المتّخذ من العِنب مثلاً ولَم يَعلموا أنّ الخَمر حرام من أي شيىء إتّخذ قليله وكثيره والملاك في حُرمته هو السُّكر لا غيره وبعبارةٍ أُخرىٰ الخمر حرام لأنّه مُسكر لا لأنّه متّخذ من العِنب أو من النّبيذ أو من الشّعير وإذا كانت العلّة هي السكر فحيثما وجدت وجد المَعلول: قال الله تعالىٰ في كتابه: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾(١)

و: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾(٢) وأنت ترىٰ الآية صَريحة بوجوب الإجتناب عن الخَمر بما هو خمر وهو ظاهر.

ومن الأخبار الدّالة علىٰ حرمة الخمر بجميع أقسامه:

ما رواه في الوسائل بإسناده عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ الخمر من خمسة العصير من الكرم والنّقيع من الزّبيب والبتع من العسل، والمرز من الشّعير، والنّبيذ من التّمر انتهىٰ «ج ٣ باب الأشربة»...

وبإسناده أيضاً عن علّي إبن الحسين ﷺ قال: الخمر من خمسة أشياء من التّمر والزّبيب والحنطة والشّعير والعَسل انتهىٰ...

وبإسناده عن النعمان قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: أيّها النّاس إنّ من العنب خمراً وإنّ من الزّبيب خمراً وإنّ من التّمر خمراً وإنّ من الشّعير خمراً ألا أيّها النّاس أنهاكم عن كلِّ مُسكرٍ انتهىٰ...

١- المائدة ـ ٩٠

٢- المائدة ـ ٩١

قال الله تعالى: ﴿لَوْ لا يَنْهاهُمُ الرَّبانِيُّونَ وَالْأَحْبارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانُوا يَصْنَعُونَ﴾(١)

و: ﴿وَتَرىٰ كَثِيراً مِنْهُمْ يُسارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢)

و: ﴿سَمّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾(٣)

ومن الأخبار: ما رواه في الوسائل بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مِن أَكلِ السُّحت الرَّشوة في الحكم انتهىٰ...

وبإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: وأمّا الرَّشاء في الحُكمِ فهو الكفر بالله انتهىٰ...

وبإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: لَعَن رسول الله من نَظَر إلىٰ فرج إمرأة لا تحلّ له ورَجلاً خان أخاه في إمرأته ورجُلاً إحتاج النّاس إليه لتفقّهه فسألهم الرَّشوة انتهىٰ...

وبإسناده عن يزيد إبن فرقد قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النَّجس فقال عليه السلام: هو الرَّشاء في الحُكم انتهىٰ...

وبإسناده عن عبد الله إبن سنان قال سئل أبو عبد الله عن قاض بين فرقتين يأخذ من السّلطان علىٰ القَضاء الرِّزق فقال عليه السلام: ذلك السُّحت انتهىٰ، كتاب القضاء من الوسائل باب تحريم الرّشوة...

وفي المُستدرك عن جعفر إبن محمّد عليه السلام أنّه قال: مِن أكلِ السُّحت الرَّشوة في الحُكم انتهىٰ «ج ٣ ص ١٩٦»...

وبإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: مِن السُّحت ثَمَن المَيتة إلىٰ أن قال والرَّشوة في الحُكم الحديث «ص ١٩٦»...

وعن عوالي اللئالي عن النّبي صلى الله عليه وآله قال: لَعَن الله الرّاشي والمُرتشي وما بَينهما يمشي انتهىٰ «ص ١٩٦»...

١- المائدة ـ ٦٣
٢- المائدة ـ ٦٢
٣- المائدة ـ ٤٢

رسُول الله ﷺ: إنّ أوّل ما نهاني عنه رَبّي جلّ جلاله عن عبادة الأوثان وشُرب الخمر ملاحاة الرّجال الحديث...

وقال رسول الله ﷺ: ثلاثة لا يدخلون الجَنَّة مُدمن الخمر ومُدمن سِحر وقاطع رحم ومن مات مُدمن خمر سقاه الله من نهر الغوطة وهو نهر يجري من فُروج المُومسات تؤذي أهل النّار رَيحهُنّ انتهى...

والأحاديث كلّها في الوسائل باب الأشربة وكثير منها لم نذكره حذراً عن الإطناب.

أمّا الإجماع على حرمة الخمر مطلقاً فهو ثابت في كلّ المذاهب ولا نعلم فيه مخالفاً من الفرق الإسلاميّة بل حرمته من ضُروريّات الدّين ولا نحتاج في ذلك إلى نقل الأقوال من علماء الخاصّة والعامّة.

وأمّا دليل العقل فيكفيك فيه حكم كلّ عاقل بقُبح شُرب الخمر وأنّ ما يترتّب عليه من المضارّ الدُّنيويّة فضلاً عن الأُخرويّة لا يُحصىٰ فإنّ ذهاب العقل يجعل الإنسان في زمرة الحيوانات ولو لا مخافة الإطالة والخروج عمّا نحن بصدده من شرح كلامه عليه السلام لأشبعناك من مضارّه ومفاسده.

قوله عليه السلام: **والسُّحت بالهَديّة**، السُّحت بضَمّ السّين وسكون الحاء كما قال الرّاغب في المفردات: القشر الّذي يستأصل يقال سحته وأسحته ومنه السُّحت للمَحظُور الّذي يلزم صاحبه العار كأنّه يسحت دينه ومُرُوّته قال عليه السلام: **كلّ لحمٍ نَبَت من سُحت فالنّار أولىٰ به**، ويُسمّىٰ الرّشوة سُحتاً وروي **كسب الحجّام سُحت** انتهىٰ ما ذكره.

أقول: فعلىٰ ما ذكره الرّاغب السُّحت مطلق المحظُور الّذي يلزم صاحبه العار فتسمية الرّشوة سُحتاً لكونها من مصاديقه وأنّها ممّا يلزم صاحبه العار فكأنّه يَسحت في دينه ومُرُوّته.

وكيف كان فالسُّحت في كلامه عليه السلام إمّا بمعنىٰ الرّشوة أو بمعناه العامّ الصّادق عليها وعلىٰ غيرها وكلاهما مَمنوعان وقد ورد الذّمّ به في الآيات والأخبار.

أكثر من صنف الأوّل لكونهم من المنافقين في الحقيقة والكلام متوجّه إليهم في المقام لأنّهم إستحلّوا الربوا بسبب البيع بزعمهم الفاسد.

ثمّ إنّ طريق المعاملة عندهم ضميمة شيئ غير ربويّ ممّا لا يكال ولا يوزن إلىٰ شيئ رَبَويّ وجعل الزيادة بزعمهم لِلضّميمة لا المُنضَمّ إليه فيعطون المشتري ألف دينار مثلاً بضميمة فرش أو كتاب أو حِنطةٍ أو غير ذلك ممّا لا منع فيه إذا بيع بأكثر من قيمته إلىٰ أجَلٍ معيّنٍ، بألفين إلىٰ رأس السّنة ويقولون إنّ الزيادة نأخذها لأجل الضّميمة وذلك لأنّ المفروض أنّ الضّميمة لا مانع فيها إذا بيعت بألف دينار مثلاً في المدّة المذكورة منفردة فكذلك ضميمةً.

فيقال لهم: لو بعتم الضُّميمة بألف دينار مثلاً والمفروض أنّ قيمتها اليوم دينار أو دينارين فقولكم حقٌّ وصدقٌ وأمّا إذا فرضنا عدم إمكان ذلك كما هو كذلك فما تقولون وتوضيحه هو أنّ للضميمة في المقام حالتان: واقعيّة، وغير واقعيّة:

فالأوّل كما إذا بعنا الشيء الرِّبَوي بأكثر من رأس المال مع انضمام شيئ آخر بصورته الواقعيّة كما إذا بعنا ألف دينار بضميمة فرش قيمته السوقيّة ثمان مِائة دينار مثلاً أو أقلّ أو أكثر بألفين دينار وجعلنا المُدّة سَنَة أو أكثر أو أقلّ مثلاً فهذا لا خلاف في صحته إذ الفرش إذا كان قيمته حين البيع ثمان مِائة تقريباً فبيعه بألف دينار في مدّة سنة لا بأس به فالمائتان يقعان في مقابل الفرش قطعاً ويبقىٰ الألف بلا زيادة وهذا ممّا لا كلام فيه.

وأمّا إذا فرضنا في المثال قيمته السُّوقية مِائة دينار مثلاً أو يقرب منه فلا يمكن أن يقال بصحّة البيع واقعاً وأنّ تسعمأة دينار وقعت في مقابل الفرش لأجل المدّة وإذا لم يمكن الوجه الزائد كلّه في مقابل الضّميمة فهو لا محالة لكليهما أعني الضّميمة والأصل وهو المطلوب.

ويمكن حمل العبارة علىٰ أنّهم يجعلون الرباء بالبيع معناه أنّهم يقولون الرّباء والبيع واحد لا فرق فيهما فيستحلّون الرّباء بالبيع أي بسبب كونه بيعاً وبعبارةٍ أخرىٰ بالقياس إلىٰ البيع كما حكىٰ الله تعالىٰ عنهم في كتابه حيث قال:

أقول: الأحاديث في الباب كثيرة ويظهر منها أنّ السُّحت له مصاديق كثيرة والرَّشوة منه والظّاهر أنّ المراد بالسُّحت في المقام هو الرّشوة لا غيرها مِن ثَمَن المَيتة وثمن العَذَرة وثَمَن الخَمر وأمثاله فإنّها مـن السُّحت قطعاً فـإنّ الأصل فيه هو أكل المال بالباطل وقد قال الله تـعالىٰ: **﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾**[1] إلّا أنّه عليه السلام لمّا قارنه بالهَديّة فيُعلَم أنّه أُراد الرَّشوة.

ثمّ المراد أنهم يأخذون الرَّشوة علىٰ الحكم وغيره ويقولون إنّها هَديّة ولَم يَعلمُوا أنّ الأمر قد إشتبه عليهم أو لم يشتبه ولكنّهم يقولون كذلك حَذَراً من ألسِنة الناس.

قوله عليه السلام: **والرِّبا بالبَيع**، الرّباء لغة هو الزّيادة وشرعاً عبارة عن الزيادة علىٰ رأس المال من أحد المتساويين جنساً ممّا يكال أو يوزن والبيع مبادلة مـالٍ بمالٍ.

والمقصود أنّهم يأخذون الرّباء بسبب البيع فتارةً يجعلون المبايعة وسيلة وسبباً لأخذ تلك الزيادة فيضمّون شيئاً إلىٰ المبيع ممّا يوجب صحّة المعاملة ظاهراً مع أنّ القصد في الحقيقة هو أخذ الزيادة كما هو المرسوم المتعارف في زماننا هذا بالنّسبة إلىٰ غير المتظاهرين بأخذ الرّبوا فإنّ الناس في ذلك علىٰ صنفين صنف منهم يأخذون الرباء عَلناً ولا يبالون بما قيل أو يقال فيهم فإنّهم بهذا الشغل يُعرَفون بل يفتخرون به ولا كلام لنا معهم فعلاً فإنّهم ليسوا ممّن يَستحلّ الرباء بالبيع بل يستحلّه برأسه أو يقول بحرمته ومع ذلك لا يتركه وكيف كان متجاهر به.

وصنف آخر يأخذون الرّباء بالبيع بالمعنىٰ الّذي ذكرناه أي بسببه وبواسطته فإذا قيل لهم أنتم تأكلون الرّبوا يقولون لا نأكله أبداً وهؤلاء من المتظاهرين بالشّريعة المقدّسة فيُصلّون ويَحِجّون ويُزكّون ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر يحضرون الجماعات في المساجد وهكذا وضررهم علىٰ الدِّين

١ - البقره - ١٨٨

و: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبوٰا لا يَقُومُونَ الى وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبٰا﴾ (١)

و: ﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبٰا وَيُرْبِي الصَّدقٰاتِ﴾ (٢)

و: ﴿وَمٰا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَا فِي أَمْوٰالِ النّٰاسِ فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللهِ﴾ (٣) وغيرها من الآيات:

ومن الأخبار: ما رواه في الوسائل بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: درهم ربا عند الله أشدّ من سبعين زَنْيةٍ كلّها بذات مَحرَم انتهىٰ ورواه الصدوق أيضاً ورواه الشيخ عن ابن أبي عمير عنه عليه السلام...

ومنها- ما رواه بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال عليه السلام: أخبَث المكاسب كسب الرِّبا انتهىٰ...

ومنها- ما رواه عن سماعة قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام إنّي قد رأيت الله تعالىٰ قد ذكر الرِّبا في غير آيةٍ وكَرَّره قال: أو تَدري لِمَ ذاك قلت: لا قال: لئلّا يَمتَنع الناس من إصطناع المعرُوف انتهىٰ...

ومنها- ما رواه بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله قال عليه السلام: درهم رباً عند الله أشدّ من ثلاثين زنـية كـلّها بـذات مَـحرَم مـثل عَـمّة وخـالة ورواه الصدوق أيضاً انتهىٰ...

ومنها- ما رواه عن سعيد ابن يسار عنه عليه السلام قال: درهم واحد رباً أعظم من عشرين زَنْيَة كلّها بذات مَحرَم انتهىٰ...

ومنها- ما رواه بإسناده عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له إنّي سمعت الله يقول: (يَمحَق الله الرِّبا ويُربي الصّدقات) وقد أرىٰ من يأكُل الرّبا يَربُو ماله فقال عليه السلام: أيّ مُحقٍ أَمحَق من درهمٍ رباً يَمحق الدِّين وإن تاب منه ذهب ماله وإفتقر ورواه الصدوق مرسلاً انتهىٰ...

ومنها- ما رواه عن هشام ابن الحكم قال سئلت (سئل) أبو عبدالله عن علّة تحريم الرّبا فقال عليه السلام: إنّه لو كان الرّبا حلالاً لترك الناس التّجارات وما

١- البقرة ـ٢٧٥ ٢- البقرة ـ٢٧٦

٣- الروم ـ٣٩

﴿الَّذينَ يأكُلُونَ الرِّبوٰا لا يَقوُمُونَ إلاّ كَما يَقوُمُ الَّذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطانُ مِنَ المَسِّ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قالوُا إنَّما البَيْعُ مِثْلُ الرِّبوٰا وَأَحَلَّ اللهُ البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبوٰا﴾ (١)

وعليه فالمعنىٰ أنّ الأمر قد إشتبه عليهم فظنّوا أنّ الرباء كالبيع فإستحلّوه وهذا المعنىٰ وإن كان جائزاً في نفسه مُحتملاً عند العقل إلّا أنّ الذوق السليم وسياق العبارة حاكِمان علىٰ المعنىٰ الأوّل نعم لو قال والرباء كالبيع لكان الإحتمال الثّاني صحيحاً بل قَويّاً مقطوعاً به وكيف كان لا شكّ في حرمة الرّبواء وَحِلّية البيع فما كان مصداقاً للأوّل فهو حرام وما كان مصداقاً للثّاني فهو حلال وحيث إنجرّ الكلام إلىٰ الربوا فلا بأس بالإشارة إلىٰ بعض ما ورد في الرّبوا كما هو دأبنا في هذا الكتاب فنقول: قال في المفردات: الرّباء الزّيادة علىٰ رأس المال لكن خُصّ في الشّرع بالزيادة علىٰ وجهٍ دون وجهٍ وبإعتبار الزيادة قال تعالىٰ: ﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوا في أَمْوالِ النّاسِ فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللهِ﴾ (٢) ونبّه بقوله:﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبا وَيُرْبِى الصَّدقاتِ﴾ (٣) إنّ الزيادة المعقولة المُعبّر عنها بالبَرَكة مرتفعة عن الرباء ولذلك قال في مقابلته: ﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ زَكوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ (٤) انتهىٰ.

أقول: يستفاد من كلامه أنّ الأصل في الرّبا الزّيادة كما يقال ربا إذا زاد وعلا إلّا أنّ هذه الزّيادة ليست مَمنوعة مطلقاً بل علىٰ وجهٍ دون وجهٍ كما إذا كانت في المكيل والمَوزُون مَثلاً دون غيرهما على ما فصّل في الكتب الفقهيّة وهو محرّم بالأدلّة الأربعة:

أمّا الكتاب فلقوله تعالىٰ: ﴿اتَّقُوا اللهَ وَ ذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ﴾ (٥)

و: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوُا لا تَأْكُلُوا الرِّبوٰا أَضْعافاً مُضاعَفَةً﴾ (٦)

و: ﴿وَ أَخْذِهِمُ الرِّبوٰا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوالَ النّاسِ بِالْباطِلِ﴾ (٧)

١- البقرة ـ ٢٧٥
٢- الروم ـ ٣٩
٣- البقرة ـ ٢٧٦
٤- الروم ـ ٣٩
٥- البقرة ـ ٢٧٨
٦- آل عمران ـ ١٣٠
٧- النساء ـ ١٦١

وإجراء حكم المرتدّ عليهم أم لا فقال ﷺ: بمنزلة فتنة أي ليسوا بمرتدّين بل هم بظاهر الأمر مفتونون.

وجه السئوال في المقام هو أنّهم لو كانوا مرتدّين لوجب على أمير المؤمنين ﷺ قتالهم فإنّ المرتدّ على قسمين ملّي وفطريّ.

أمّا الأوّل: فهو الّذي إرتدّ عن الإسلام ولم تكن نطفته إنعقدت عليه كإتباع المذاهب حيث أسلَمُوا ثُمّ رَجعوا وإرتدّوا عن الإسلام إلى ما كانوا عليه من المذهب فهذا هو المرتدّ المِلّي وحكمه في الشريعة أن يستتاب فإن تاب قبلت توبته ولم يقتل في الدَفْعة الأُوْلى وفي الثانية أو الثالثة قتل.

وأمّا الثاني: فهو الّذي إنعقدت نطفته على الإسلام ثمّ إرتدَّ ورجع عنه وحكمه القتل لا غير والتّوبة منه لا يَمنَعه عن القتل على المشهور وإن قبلت واقعاً في علم الله ولا تشترط الدُفعة أو الدَّفعات فيه إذا عرفت هذين القسمين في المُرتد فنقول.

الإرتداد يُوجد بإنكار المُسلم ضَروريّاً من ضروريّات الدّين ونعني بالضروري ما هو واجب ثابت بأصل الدّين كالصّلاة والزّكاة والحج والصوم وغيرها من الضّروريات في الأحكام والتّوحيد والنُّبوة والمَعاد في الإعتقادات وأمّا المنكر لضروريّات المذهب كالعدل والإمامة ففيه كلام وتفصيل الكلام فيه موكول إلى محلّه.

وهذا هو السّر في قوله ﷺ بمنزلة فتنة وذلك لأنّ مُنكر حُرمة الرّبا والسُّحت والخَمر وأمثال ذلك من المُحرّمات الّتي ثبتت حرمتها في الدين وإن كان داخلاً في صِنف المرتدّين كما هو أحد الأقوال في المسئلة إلّا أنّ البحث ليس فيه بل البحث فيمن يَستحلّها بسبب الشُّبهات الكاذبة والأهواء السّاهية وهو غير مُرتدٍّ قطعاً ضرورة وجود الفرق بين المُستحلّ بالإنكار والمُستحلّ بالشُّبهة والقائل الحاكم به يقول في الأوّل أعني صورة الإنكار دون الثاني فهؤلاء يدخلون في المَفتُونين هذا وأمّا الّذي ذكروه في شرح كلامه من البُغاة وغيرها فهو خارج عن البحث فعلاً.

يحتاجون إليه فَحَرّم الله الرّبـا لتـنفر النـاس مـن الحـرام إلىٰ الحـلال وإلىٰ التّجارات من البيع والشراء فيبقىٰ ذلك بينهم في القرض انتهىٰ...

ومنها- ما رواه بإسناده عن جعفر ابن محمّد عن آبائه عن النبي ﷺ في وصيّة لعلّي قال ﷺ: يا علي الرّبا سبعُون جُزء فأيسَرها مثل أن ينكح الرّجل أُمّه في بيت الله الحرام يا علّي درهم رباً أعظَمَ عند الله من سبعين زَنيّة كلّها بذات محرم في بيت الله الحرام انتهىٰ...

ومنها- ما رواه بإسناده عن النبي ﷺ قال: مَن أكَل الرِّبا ملاء الله بَطنه من نارِ جَهنّم بقدر ما اكتسب (ما أكل) وإن إكتسب منه مالاً لَم يَقبل الله منه شيئاً من عمله ولم يزل في لعنة الله والملائكة ما كان عنده قيراط واحد انتهىٰ...

ومنها- ما رواه بإسناده عن أبي جعفر قال عليه السلام قال أمير المؤمنين: آكِل الرِّبا وموكّله وكاتبه وشاهداه في الوِزرِيّة سواء وقال عليه السلام: لَعَن رسول الله الرِّبا وآكِله وبايَعه ومُشترِيه وكاتِبه وشاهديه انتهىٰ...

أقول: الأحاديث نقلناها عن الوسائل، كتاب التجارة باب الرّبا، وهي كثيرة جدّاً في الوسائل وغيره من الكتب الموضوعة لها وفيما ذكرناه كفاية لاولي الألباب ودراية لذوي الأفهام.

وأمّا الإجماع: ودليل العقل علىٰ قبحه وحرمته فهو أوضح مـن أن يـخفى علىٰ أحد كيف وقد أطبق العلماء والعقلاء من كلّ مِلّةٍ ومذهب علىٰ أنّه من أقبح القبائح فضلاً عن العلماء في الإسلام والكلام فيه طويل وكتابنا هذا ليس موضوعاً لهذه المباحث ولهذا أعرضنا عن الإطالة في الكلام في هذا البـاب ونـظائره واكـتفينا بـالإشارة إلىٰ بـعض الآيـات والأخـبار الواردة مـن غـير تفصيل ولا توضيح.

▫ قوله عليه السلام: **فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذٰلِكَ؟ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ: بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ...**

أي لمّا أخبرني رسول الله ﷺ بهذه الفتن بعده قلت له فبأيّ المنازل أُنزلهم عند ذلك أي بأيّ شيئ أحكم فيهم بالردّة أم بالفتنة أي بخروجهم عن الإسلام

مَرْغَبٌ، عِبَادَ اللهِ احْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ الْأَعْمَالُ، وَيَكْثُرُ فِيهِ الزِّلْزَالُ، وَتَشِيبُ فِيهِ الْأَطْفَالُ.

اَعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ، إِنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً مِّنْ أَنْفُسِكُمْ، وَ عُيُوناً مِنْ جَوارِحِكُمْ ،وَحُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمالَكُمْ، وَعَدَدَ أَنْفاسِكَمْ، لاَ تَسْتُرُكُمْ مِّنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ، وَّلاَ يُكِنُّكُمْ مِنهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ، وَّإِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ.

يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لاَحِقاً بِهِ، فَكَأَنَّ كُلَّ أمْرِؤٍ مِّنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ، وَمَخَطَّ حُفْرَتِهِ فَيَالَهُ مِن بَيْتٍ وَّحْدَةٍ، وَّمَنزِلِ وَحْشَةٍ، وَّمَفْرَدِ غُرْبَةٍ! وَكَأَنَّ الصَّيحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ ،وَالسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ، وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، قَدْ زَاحَتْ عَنْكُمُ الْأَبَاطِيلُ، وَاضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ الْعِلَلُ، وَاسْتَحَقَّتْ بِكُمُ الْحَقَائِقُ، وَصَدَرَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا، فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ، وَاعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ، وَانْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ.

◁ اللغة

(تَحْدُوكُمْ) تَسوقكم (بِشَوْلِهِ) الشُّول بالفتح جمع شائلة على غير القياس وهي من الإبل ما أتى عليها حملها أو وضعها سبعة أشهر (حُمَةُ الْخَطَايَا) الحمة بضم الحاء وفتح الميم إبرة الزّنبور والعقرب وهي محل سمّها (الظَّعن) السَّير (رِتَاجٍ) على وزن كتاب الباب العظيم إذا كان مُحكم الغلق (مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ) هو القبر (زَاحَتْ) بعدت وإنكشفت (بِالْعِبَرِ) بكسر العين وفتح الباء جمع عبرة (الْغِيَرِ) كذلك أي بفتح الياء وكسر الغين والباقي واضح.

◁ المعنى

(الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً) أي سبباً ووسيلة (لِّذِكْرِهِ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ) أي لزيادته (وَدَلِيلاً عَلَى آلائِهِ) ونعمائه (وَعَظَمَتِهِ) وكبريائه (عِبَادَ اللهِ) أي يا عباد الله (إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي) أي يَسري ويمضي (بِالْبَاقِينَ) من الناس (كَجَرْيِهِ) أي جَري الدّهر (بِالْمَاضِينَ) أي مَن مضى منهم (لاَ يَعُودُ) ولا يرجع

ومن خطبة له ﷺ (١٥٦)

◻ قوله ﷺ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، وَدَلِيلاً عَلَىٰ آلائِهِ وَعَظَمَتِهِ.

عِبَادَ اللهِ، إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ، لاَ يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّىٰ مِنْهُ، وَلاَ يَبْقَىٰ سَرْمَداً مَا فِيهِ، آخِرُ فِعَالِهِ كَأَوَّلِهِ، مُتَسَابِقَةٌ أُمُورُهُ، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلاَمُهُ، فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ، فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ، وَارْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ، فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفَرِّطِينَ.

اعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ، أَنَّ التَّقْوَىٰ دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ: لاَ يَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَلاَ يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ، أَلاَ وَبِالتَّقْوَىٰ تُقْطَعُ حُمَةُ الْخَطَايَا، وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَىٰ.

عِبَادَ اللهِ، اللهَ اللهَ فِي أَعَزِّ الأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقَهُ، فَشِقْوَةٌ لاَزِمَةٌ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ، فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لأَيَّامِ الْبَقَاءِ، فَقَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ، وَأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ، وَحُثِثْتُمْ عَلَى السَّيْرِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ لاَ تَدْرُونَ مَتَىٰ تُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ.

أَلاَ فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلآخِرَةِ؟ وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ، وَتَبْقَىٰ عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ؟!

عِبَادَ اللهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرَكٌ، وَلاَ فِيمَا نَهَىٰ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ

الْخَيْرِ مَتْرَكٌ) ومفرّ (وَلاَ فِيمَا نَهىٰ عَنْهُ مِنَ الشَّرِ مَرْغَبٌ) أي موضع رغبة (عِبَادَ اللهِ احْذَرُوا) واتّقوا (يَوْماً تُفْحَصُ) وتكشف (فِيهِ الْاَعْمَالُ، وَيَكْثُرُ فِيهِ الزِّلْزَالُ، وَتَشِيبُ فِيهِ الْاَطْفَالُ) وهو يوم القيامة (اَعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ، إِنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً) وحرساً (مِّنْ أَنْفُسَكُمْ، وَ عُيُوناً) وجواسيس (مِنْ جَوَارِحِكُمْ ،وَحُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ،) وهم الملائكة (وَعَدَدَ أَنْفَاسَكُمْ) وهم الكرام الكاتبون (لاَ تَسْتُرُكُمْ) ولا تغيبكم (مِّنْهُمْ) أي من الملائكة (ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ) أي شديدة الظّلمة (وَّلاَ يُكِنُّكُمْ) أي لا يستركم (مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ) أي بابٌ عظيمٌ مُغلَق (وَّإِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ) لقوله تعالىٰ: (إقتربت السّاعة) (يَذْهَبُ الْيَوْمُ) وهو يوم الدنيا (بِمَا فِيهِ) من النّعم والنّقم (وَيَجِيءُ الْغَدُ لاَحِقاً بِهِ) فإنّ الآخرة لاحِقة بالدّنيا (فَكَأَنَّ كُلَّ أمْرِؤ مِّنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْاَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ) وذلك لأنّ المُستقبل المُحقّق الوقوع في حكم الماضي فكأنّ الآخرة قد جائت (وَمَخَطَّ حُفْرَتِهِ) وقبره (فَيَالَهُ مِن بَيْتٍ وَّحْدَةٍ، وَّمَنْزِلِ وَحْشَةٍ، وَّمَفْرَدِ غُرْبَةٍ) كلّها أوصاف القبر (وَكَأَنَّ الصَّيحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ ،وَالسَّاعَةَ قَدْ غَشِيتْكُمْ) لما ذكرناه من قطعية وقوعها (وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ) في يوم الحساب (قَدْ زَاحَتْ عَنْكُمُ الْاَبَاطِيلُ) أي قد إرتفعت عنكم ما كنتم مشتغلين به من اللّهو واللّعب (وَاضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ الْعِلَلُ، وَاسْتَحَقَّتْ بِكُمُ الْحَقَائِقُ، وَصَدَرَتْ بِكُمُ الْاُمُورُ مَصَادِرَهَا، فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ) في الدنيا (وَاعْتَبِرُوا بِالْغِيرِ) فيها (وَانْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ) الّتي وردت في الكتاب والسنّة.

◁ الشّرح

▫ قوله ﷺ: اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِّذِكْرِهِ، وَسَبَباً لِّلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، وَدَلِيلاً عَلىٰ آلاَئِهِ وَعَظَمَتِهِ...

قد مرّ الكلام منّا في معنىٰ الحمد وكلمة (الله) غير مرّةٍ وقلنا إنّ المحامد كلّها ترجع إليه تعالىٰ وجعل ﷺ الحمد في المقام مفتاحاً لذكره تعالىٰ وسبباً لمزيد فضله ودليلاً علىٰ آلائه والكلّ صحيح فالمقامات ثلاثة.

(مٰا قَدْ وَلّىٰ) ومضىٰ (مِنْهُ) من الدّهر (وَلاٰيَبْقىٰ سَرْمَداً) أي دائماً (مٰا فِيهِ،) أي الدهر والحاصل ما في الدهر لا يبقى بحاله أبداً (اٰخِرُ فِعٰالِهِ كَأَوَّلِهِ،) أي يفعل الدهر بالآخرين كما فعل بالأوّلين (مُتَسٰابِقَةٌ اُمُورُهُ ،مُتَظٰاهِرَةٌ أَعْلاٰمُهُ) لا خفاء فيها (فَكَأَنَّكُمْ بِالسّٰاعَةِ) أي القيامة (تَحْدُوكُمْ) وتسرعكم (حَدْوَالزّٰاجِرِ بِشَوْلِهِ) أي كسعي السائق بإبله (فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ) من الأمور (تَحَيَّرَ فِى الظُّلُمٰاتِ، وَارْتَبَكَ فِى الْهَلَكٰاتِ) فلا يدري ما يَصنَع ولا يَهتدي إلىٰ الطّريق (وَمَدَّتْ بِهِ شَيٰاطِينُهُ فِى طُغْيٰانِهِ) كما قال تعالىٰ: (يمدونهم في الغيّ) (وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمٰالِهِ) كما هو دأب الشياطين (فَالْجَنَّةُ) ومقاماتها (غٰايَةُ) آمال (السّٰابِقِينَ) إلىٰ الخيرات (وَالنّٰارُ غٰايَةُ الْمُفَرِّطِينَ) في أعمالهم (اعْلَمُوا عِبٰادَ اللهِ) بحذف النداء (أَنَّ التَّقْوىٰ دٰارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَالْفُجُورَ دٰارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ)يعني أنّ التقوىٰ تُوقعه في العِزّة والفجور في الذلّة (لاٰ يَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَلاٰ يُحْرِزُ مَن لَجٰاءَ اِلَيْهِ) والغرض أنّ من تحصَّن بها لَيكونَنَّ ذليلاً لا محالة (أَلاٰ وَبِالتَّقْوىٰ تُقْطَعُ حُمَةُ الْخَطٰايٰا) ومحالّ سُمُومها (وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكِ الْغٰايَةُ الْقُصْوىٰ) من الفوز بالسعادة في الدّارين (عِبٰادَ اللهِ، اللهَ اللهَ فِى أَعَزِّ الاَنْفُسِ عَلَيْكُمْ، وَأَحَبِّهٰا اِلَيْكُمْ) والمراد به نفسه إذ نفس كلّ إنسان أعزّ وأحبّ إليه من غيرها من النفوس (فَاِنَّ اللهَ قَدْ أَوْضَحَ) وبيّن (لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ) بإرساله الرسل وإنزاله الكتب (وَأَنٰارَ طُرُقَهُ) أي طرق الحقّ (فَشِقْوَةٌ لاٰزِمَةٌ، أَوْ سَعٰادَةٌ دٰائِمَةٌ) ولا يخلو الحال منهما (فَتَزَوَّدُوا فِى أَيّٰامِ الْفَنٰاءِ) أعني الدنيا (لِاَيّٰامِ الْبَقٰاءِ) أعني الآخرة (فَقَدْ دُلِلْتُمْ) وأرشِدتم (عَلَى الزّٰادِ) في الدنيا لأجل الآخرة (وَأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ) والرّحيل (وَحُثِثْتُمْ عَلَى السَّيْرِ) إلىٰ الحقّ (فَاِنَّمٰا أَنْتُمْ) في الدنيا (كَرَكْبٍ وُقُوفٍ) لا يعلم متىٰ يسار به (لاٰ تَدْرُونَ مَتىٰ تُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ) إلىٰ الآخرة (أَلاٰ فَمٰا يَصْنَعُ) أي أيّ شيٍ يصنع (بِالدُّنْيٰا مَنْ خُلِقَ لِلآخِرَةِ؟ وَمٰا يَصْنَعُ) أي أيّ شيٍ (بِالْمٰالِ مَنْ عَمّٰا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ) فيدخل في القبر مسلوب المال والأولاد (وَتَبْقىٰ عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسٰابُهُ) غداً يوم القيمة (عِبٰادَ اللهِ) بحذف النداء (اِنَّهُ لَيْسَ لِمٰا وَعَدَ اللهُ مِنَ

معناه العامّ الشّامل لجميع الأذكار الإلٰهيّة وكون الحمد مفتاحاً له معناه إفتتاح الذِّكر به في جميع المقامات فَشَبَّه عليه السلام ذكر الله ببيتٍ مُغلَق وشَبَّه الحَمد مفتاحه الّذي لو لاه لا يفتح بابه لوجوه:

أحدها: أنّ الحَمد كما مَرّ منّا مراراً هو الثّناء على الله بالفضيلة وهي كثيرة غير مُنحصرة لا يمكن لأحد الوصول إليها تفصيلاً فجعل الله تعالىٰ كلمة الحمد مفتاحاً لها بمعنىٰ أنّ من حَمدَه فكأنّما وصل إلىٰ ما وصل وبعبارةٍ أُخرىٰ من حمده فقد أتىٰ بالثّناء عليه كما هو أهله ولهذه الجامعيّة يكون بمنزلة المفتاح.

وثانيها: أنّ ذكر الله حَسَنٌ علىٰ كلّ حالٍ قال الله تعالىٰ: **﴿ألا بِذكر الله تطمئنّ القلوب﴾** وهذا مسلّم إلّا أنّه لقائل أن يقول ما هذا الذكر الّذي به تطمئنّ القلوب ويثاب عليه.

فيقال له الذِّكر محبوسٌ في بيت التوحيد ومفتاحه الحمد فإذا قلت الحمد لله فكأنّك أتيتَ به واقعاً.

وثالثها: أنّ العقل يحكم بعدم جواز دخول البيت إلّا من بابه لقوله صلى الله عليه وآله: **أنا مدينة العِلم وعليّ بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها** وإذا كان الباب مُغلقاً يجب فتحه أوّلاً ثمّ الدخول وعليه فمعنىٰ قوله عليه السلام إنّ الحمد مفتاح ذلك الباب هو عدم جواز الورود في ذكره تعالىٰ إلّا بسبب الحمد وإلّا فالذِّكر يكون ناقصاً وقد دلّت الأخبار علىٰ ما ذكرناه.

منها ـ ما رواه الفيض رحمه الله في الصافي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سئل عن تفسير الحمد فقال عليه السلام: هو أنّ الله عَرَّف عباده بَعض نِعَمه عَليهم جملاً إذ لا يقدرون علىٰ معرفة جميعها بالتفصيل لأنّها أكثر من أن تحصىٰ أو تعرف فقال قولوا الحمد لله علىٰ ما أنعم به علينا انتهىٰ...

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: **ما أنعم الله علىٰ عبد بنعمةٍ صَغُرت أو كَبرت فقال الحمد لله إلّا أدّىٰ شكره انتهىٰ...**

وفي تفسير البرهان عن الصادق عليه السلام قال: **فقد لأبي بَغلَة فقال لأن رَدَّها الله عليّ لأحمدته بمحامدَ يَرضاها فما لبث أن أُتِيَ بها بسَرجها ولجامها فلمّا**

المقام الأوّل: في كون **الْحَمْدَ مِفْتاحاً لِذِكْرِهِ...**

قال المُعتزلي المراد بالذّكر هو القرآن لقوله تعالى: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾**[1] وكون الحَمد مِفتاحاً لذكره معناه أنّ الكتاب إفتتح به أي بسورة الحمد.

وأورد عليه الخوئي بأنّه إنّما يَتمّ لو كان سُورة الفاتحة أوّل ما نزل من القرآن أو يكون هذا الجمع والتّرتيب ووقوع الفاتحة في البداء بجعل مِن الله سبحانه وهو كما ترىٰ ثمّ بعد رَدّه ﷺ هذين الأمرين بما ذكره في شرحه قال ما لفظه.

فالأولىٰ أن يقال إنّ المراد إنّه سبحانه جعل الحمد مفتاحاً لذكره في عدّة سور وإطلاق الذِّكر علىٰ السورة لا غبار عليه كما أنّ القرآن يطلق علىٰ المجموع وعلىٰ البعض من سورةٍ وآيةٍ ونحوها انتهىٰ.

وأنا أقول: أمّا ما ذكره المعتزلي فهو لا يرجع إلىٰ مُحصّل لا بما ذكره الخوئي في الردّ عليه بل لأنّه لو كان الأمر كما ذكره لينبغي أن يقال مفتاحاً لِلذّكر وذلك لأنّ الذكر المَعهود هو القرآن للآية ولم يَقُل ﷺ به بل قال لذكره وذكر الله أعمّ من الكتاب وغيره من الأذكار بل هو يَنصرف إلىٰ غير الكتاب وليس كلّما يقال ذكر الله مثلاً يراد به الكتاب لإطلاق الذكر عليه وبعبارةٍ أُخرىٰ إطلاق الذِكر علىٰ الكتاب لا يدلّ علىٰ إختصاص الذِكر به في كلّ مورد بل الحقّ في المقام ما قلناه من أنّ الذكر أعمّ وكيف يقال هذا وقد قال الله تعالىٰ في كتابه: **﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِي﴾**[2] **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾**[3] وأمثال ذلك من الآيات فعلىٰ قول المعتزلي معناه أقم الصلاة لقرآني ومن أعرض عن قرآني ولَم يَقل به أحد والحاصل أنّ الذِكر لا يختصّ بما ذكره.

وأمّا قول الخوئي في المقام فهو أيضاً لا دليل عليه إذ أساسه علىٰ كون المراد بالذِكر في قوله ﷺ هو القرآن كلّاً أو بعضاً وقد قلنا إنّه لا دليل عليه.

والّذي يقوى في النّظر هو حمل الكلام علىٰ ظاهره من أنّ المراد بالذكر

١- الحجر - ٩

٢- طه - ١٤

٣- طه - ١٢٤

فهي كلمة الإخلاص الّتي لَم يُقبل الله من عبدٍ قَطُّ عملاً حتىٰ يقولها وإذا قال الله أكبر ملاء ما بين السماء والأرض وإذا قال لا حول ولا قوّة إلّا بالله قال الله أسلم وإستسلم انتهىٰ ص ١٣ ج ١.

ومن طريق الخاصة ما رواه في تفسير البرهان بإسناده عن أبي عبد الله قال ﷺ: **شُكر النِّعمة إجتناب المَحارم وتمام الشُّكر قول الرّجل الحمدُ لله ربّ العالمين انتهىٰ...**

المقام الثالث: قوله ﷺ: **وَدَليلاً عَلىٰ آلائِهِ وَعَظَمَتِهِ...**

والمعنىٰ أنّ الحمد يكون دليلاً علىٰ آلاء الله وعظمته أمّا أنّه يكون دليلاً علىٰ الآئه فالوجه فيه هو أنّ آلاء الله ونِعَمه لا تُحصىٰ لقوله تعالىٰ: **﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لاتُحْصُوهَا﴾**(١) وحيث كان كذلك فالدليل عليها هو الحَمد لا غير إذ لا سبيل إلىٰ الوصول بها إلّا به كما علِمت من الرّوايات.

وأمّا كونه دليلاً علىٰ عظمته فلأنّ حَمد الحامد يدلّ علىٰ عظمة المحمود وأنّه المُنعِم بالنِّعم الكثيرة الغير المتناهية الّتي أنعم بها علىٰ عباده ولهذا يقال المحامد كلّها يرجع إليه تعالىٰ.

□ قوله ﷺ: **عِبادَ الله، اِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْباقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْماضِينَ...**

والأصل يا عباد الله والمقصود أنّ الدهر يفعل بالباقين من الناس إلىٰ يوم القيٰمة كفعله بالماضين منهم فإنّ حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد.

والدَّهر بفتح الدال وسكون الهاء والرّاء علىٰ ما قاله الرّاغب في المفردات إسم لمُدّة العالم من مبدء وجوده إلىٰ إنقضائه قال تعالىٰ: **﴿هَلْ أَتىٰ عَلَىٰ الْإِنْسانِ حينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾**(٢) والحقّ عند الفلاسفة أنّ الدهر هو متن الزّمان كما أنّ السَّرمَد مَتن الدّهر فيقولون: إنّ الزّمان في الدّهر والدّهر في السَّرمد وحيث إنّ الزّمان مأخوذ في الدّهر فهو أعني الدّهر لا يخلو عن التغيير والحدوث ولذلك يقال الله سَرمَديٌ ولا يقال دَهريٌ وإنّما قلنا إنّ الزّمان مأخوذ فيه لأنّ الدهر كما قال الرّاغب يقال لمدّة العالم من مبدء وجُوده إلىٰ إنقضائه

١-ابراهيم-٣٤   ٢-الإنسان-١

إستوىٰ وضمّ إليه ثيابه رفع رأسه إلىٰ السماء وقال: الحَمدُ لله ولم يَزد ثمّ قال ما تركت ولا بقيت شيئاً جعلت جميع أنواع المحامد لله عزّ وجلّ فما من حمدٍ إلّا وهو داخل فيما قلت انتهىٰ «ج ١ ص ٢٩»...

ومن طريق العامّة: روي السيوطي في الدرّ المنثور بإسناده عن الحكم ابن عمير قال قال رسول الله: إذا قلت الحَمدُ لله ربّ العالمين فقد شكرتَ الله فزادك انتهىٰ...

وأيضاً فيه بإسناده عن جابر قال قال رسول الله ﷺ: ما من عبدٍ مُنعَمٌ عَليه بنعمةٍ إلّا كان الحمد أفضل منها انتهىٰ...

وأيضاً بإسناده قال رسول الله ﷺ: ليس شيءٌ أحَبّ الله من الحمد ولذلك أثنىٰ علىٰ نفسه وقال الحَمد لله انتهىٰ...

وأيضاً بإسناده قال رسول الله ﷺ: كلّ أمر ذي بال لا يَبدء فيه بحمد الله فهو أقطع انتهىٰ« ج ١ ص ١١ و ١٢»...

والأحاديث في الباب كثيرة تستنبط منها عظمة الحمد وأنّه مفتاح كلّ خير.

المقام الثاني: في كونه وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ...

والمقصود أنّه ما من نعمة أنعم الله بها عليك وفضيلة خصّها بك إلّا وأنّ الحمد يوجب المزيد فيها قال الله تعالى:﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾(١)

و : ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾(٢)

و : ﴿هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾(٣)

وقد روى السّيرطي في الدّرّ المثور بإسناده عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال إنّ العبد إذا قال سُبحان الله فهو صلاة الخلائق وإذا قال الحمد لله فهي كلمة الشُّكر الّتي لَم يَشكر الله عَبدٌ قطُّ حتىٰ يقولها وإذا قال لا إله إلّا الله

١- إبراهيم ـ٧
٢- النمل ـ١٩
٣- النمل ـ٤٠

عمّا مضى وعدم الإعتماد على ما هو موجود فعلاً وإنّ آخر الدّهر الفناء والزّوال ولو تأمّلتَ في هذه الكلمات حقّ التأمّل لَدريت أنّ سعادة الدّارين في العمل بها والتوجّه إليها في الأعمال والأقوال وذلك لأنّ الزّمان ينقسم إلىٰ الماضي والحال والإستقبال وكلّ ما صدر أو يصدر عن الإنسان بإعتبار كونه زّمانياً لا يخلو عن هذه الأزمنة فإنّ الإنسان مادام كونه في الدّنيا له أفعال وأثار وأقوال خيراً كانت أو شرّاً وهي تنقسم إلىٰ الماضي والحال والإستقبال فالعقل يحكم بأنّ ما مضىٰ لا يمكن الرجوع إليه والمستقبل لم يأت بعد فيبقىٰ له الحال فينبغي له التوجّه إليه.

▫ قوله ﷺ: **مُتَسابِقَةٌ أُمُورُهُ، مُتَظاهِرَةٌ أَعْلامُهُ...**

ومن أوصاف الدّهر تشابه أُموره وتظاهر أعلامه وآياته أمّا التّشابه في الأُمور فمعناه أنّ الدَّهر يفعل بزيد مثلاً كما فعل بعُمرو مع أدنىٰ تفاوت كمّاً وكيفاً فإنّ الهموم مثلاً ليست مُتساوية في جميع الأفراد وكذا غيرها من الفقر والغنا والشدّة والرّاحة وأمثالها وإنّما هي مُتشابهة ولهذا قال ﷺ مُتشابهة أُموره ولم يقل متساوية أُموره.

وأمّا أنّ أعلامه مُتظاهرة فهو غنيّ عن البيان إذ الآيات الباهرة والدلائل الواضحة الدالّة علىٰ عدم بقاء الدّنيا علىٰ نمطٍ واحدٍ كثيرة ولا سيّما القصور الرفيعة والأبنية الشّامخة الّتي تحكي عن الماضين وأنّ الدهر فَعَل بهم ما فَعل.

▫ قوله ﷺ: **فَكَأَنَّكُمْ بِالسّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَالزّاجِرِ بِشَوْلِهِ...**

كلمة (كأنّ) من حروف التّشبيه والمراد بالسّاعة إمّا ساعات الليل والنهار بإعتبار أنّها تَسوق الناس إلىٰ الدار الآخرة وإمّا القيامة فإنّ الناس يسعىٰ إليها للحساب والكتاب والثّواب والعقاب وكيف كان فالمعنىٰ أنّ الساعة تسوقكم كسوق الزاجر بشَوله أي ناقته الّتي خَلَت من الضَّرع واللّبَن فإنّه لا يُرحَم عليها في سوقه إيّاها بخلاف سائق العشار فإنّه يرفق بها ولا يزجرها كما هو واضح.

▫ قوله ﷺ: **فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُماتِ، وَارْتَبَكَ فِي الْهَلَكاتِ، وَمَدَّتْ بِهِ شَياطِينُهُ فِي طُغْيانِهِ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمالِهِ...**

وماله أوّل وآخر فهو زمانيّ وأمّا السّرمد فليس كذلك ولأجل هذه الدّقيقة قال المُحقّق الدّاماد ﷺ في حدُوث العالم بالحدُوث الدَّهرِي كما حقّق في محلّه.

أمّا قوله ﷺ: **يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ** فقد ظهر معناه ممّا ذكرناه إن تأمّلت فيه وذلك لأنّ الدَّهر هو الزّمان المُمتدّ من أوّل العالم إلىٰ إنقضائه فهو عين التَّغيير والحدوث وإذا كان كذلك فما فيه من الموجودات أيضاً مُتغيّر وحادث فإنّ الواقع في الحادث حادث فَنِسبة الدّهر إلىٰ جميع الموجودات الواقعة فيه علىٰ السواء من هذه الجهة كما هو شأن الظَّرف بالنّسبة إلىٰ مظروفه وعليه فَجَريُ الدَّهر بالباقين كجريه بالماضين فكما أنّه كان بالنّسبة إلىٰ الماضين مُتغيّراً كذلك بالنسبة إلىٰ الباقين وهذا مُسلّمٌ مطابق للقواعد العقليّة أيضاً فحيث نرىٰ أنّ الماضين قد ماتوا نعلم إنّا أيضاً نموت وكما نرىٰ أنّ المال والأولاد والرئيس والمرئوس والظّالم والمظلوم والغنيّ والفقير وأمثال ذلك من الأُمور والعناوين لم يبق منهم إلّا الآثار المُترتّبة علىٰ أعمالهم في الدّنيا فكذلك حالهم في زماننا وبعد زماننا وكما أنّ قصورهم وأبنيتهم قد خلت منهم فكذلك بالنّسبة إلينا والحاصل أنّ كلّ زمان بمنزلة المرآت فإنّ الدهر في الحقيقة يومان يومٍ لك ويوم عليك فإن كان لك فلا تبطر وإن كان عليك فإصبر فكلاهما عنك سيمضي كما مَضيا عَمّن كان قبلك ولنعم ما قال ابن الروحي في المقام:

خمسون عاماً كنت آمَلتُها ... كانت أمامي ثم خَلّفتُها
كَنزُ حياةٍ لِيَ أنفقته ... علىٰ تصاريفِ تَطرّفتها
لو كان عُمري مائة هَدَّني ... تَذكُّري إنّي تَسوّفتها

□ قوله ﷺ: **لاَ يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّىٰ مِنْهُ، وَلاَيَبْقَىٰ سَرْمَداً مَا فِيهِ، آخِرُ فِعَالِهِ كَأَوَّلِه...**

شرع في بيان أوصاف الدَّهر فقال: لا يعود أي لا يرجع إلىٰ ما كان أوّلاً قد ولّىٰ منه أي من الدّهر أي ما مضىٰ منه فقد مضىٰ لا سبيل لأحد إلىٰ الرّجوع فيه ولا يبقىٰ له أي لِلدّهر دائماً ما فيه موجود الآن فإنّه أيضاً يمضي وآخر فعال الدهر بأهله كأوّله من الفناء والمَوت والّذي يحصل لنا في المقام هو الإعراض

وبإسناده عن أبيعبد الله عن أبيه قال: قال رسول الله: كفىٰ بالمرء عيباً أن ينظر من النّاس إلىٰ من يعمي عنه من نَفسه ويعير النّاس بما لا يستطيع تركه ويُؤذي جليسه انتهىٰ «ص ١٣١»...

وقال رسول الله ﷺ: من مَقَت نفسه دون مَقِت النّاس آمنه الله من فزع يوم القيمة انتهىٰ «ص ١٣١»...

وقوله ﷺ: تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ معناه أنّ النّفس إذا إشتَغَلت بعيُوب غيرها فقد وقَعت في الحَيرة والضَّلالة فلا تدري ما تَصنع والمراد بالظُّلمات ظلمات الغّي والجهالة.

وقوله ﷺ: وَارْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ معناه وقع فيها أو إختلط فيها بحيث لا يكاد يتخلّص منها.

وقوله ﷺ: وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ معناه أنّ الشياطين يَمدُّونه في طغيانه وعصيانه.

وقوله ﷺ: وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ يعني أنّ الشياطين زيّنت له أعماله الخبيثة السَّيئة.

فالأوّل:

إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ (١)

و: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ (٢)

وإلىٰ الثاني:

أشير في الكتاب بقوله: ﴿وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٣)

وإلىٰ الثالث:

قوله تعالىٰ: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٤)

و: ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٥)

١- البقرة ـ ١٧

٢- الأنعام ـ ٣٩

٣- الأنعام ـ ٢٦

٤- الأنعام ـ ١١٠

٥- الأعراف ـ ١٨٦

أي من شغل نفسه بغير ذاته وبعبارةٍ أخرىٰ من نسىٰ عُيُوب نفسه واشتغل بعيوب غيره فقد وقع من حيث لا يحتسب في خطرات أربعة عظيمة.

أحدها التَحيُّر في الظُّلمات وثانيها الإرتباك في الهَلَكات وثالثها إستيلاء الشياطين عليه ورابعها أنّه يرى أفعاله حسنة مع أنّها قبيحة واقعاً فينتج أنّ إشتغال النفس بغيرها رأس الخَطايا وأُمّ الخبائث ومنشأ الشّقاوة والضّلالة وقد أُشير إليه في الكتاب حيث قال: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾(١)

و: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾(٢)

وجه الإستدلال بهما أنّ الله تعالىٰ أمرنا بوقاية النّفس عن إتّباع الهوى في الأولىٰ وبحفظها عن الخطايا والإنحرافات في الثّانية وهذا الأمر منه تعالىٰ دليل علىٰ وجوب حفظ النفس عن الآفات لمن يريد إصلاحها فهو مقدّم علىٰ كلّ شئ ومن إشتغل بعُيوب النّاس وغَفل عن عُيوب نفسه كيف يكون آتياً بما أُمِرَ به وهو واضح.

روى في البحار بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاثة في ظلّ عرش الله عزّوجلّ يَومِ لا ظِلّ إلّا ظلّه رجل أنصَف النّاس من نفسه ورَجلٌ لَم يُقدِّم رِجلاً ولَم يُؤخّر رِجلاً أُخرىٰ حتّىٰ يعلم أنّ الله عَزّ وجَلّ في ذلك رضا أو سَخط ورجل لم يُعب أخاه بعَيب حتّىٰ ينفي ذلك العيب من نفسه فإنّه لا ينفي منها عيباً إلّا بدا له عيبٌ آخر وكَفىٰ بالمَرءِ شُغلاً بنفسه عن النّاس انتهى «ج ١٦ ص ١٣٠»...

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: طُوبىٰ لِمَن شَغله عيبه عن عيوب النّاس انتهىٰ «ص ١٣٠»...

وفي وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحُسين عليه السلام: أي بُنَيّ إنّه من أبصَر عيب نفسه شَغَل عن عَيب غيره انتهىٰ «ص ١٣٠»...

١- التحريم-٦

٢- المائدة-١٠٥

▫ قوله عليه السلام: اعْلَمُوا عِبادَ اللهِ، أَنَّ التَّقْوىٰ دارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَالْفُجُورَ دارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ...

والمعنىٰ إعملوا الخيرات يا عباد الله فإنّ ذلك من التّقوىٰ والتقوى دار حصن عزيز أي دار حصارها العِزّة والفُجور دارٌ حصارها الذِلّة والمقصود أنّ العِزّة للمتّقين والذِلّة للفاجرين والدليل عليه من القرآن قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١) وجه الإستدلال بها أنّ الله تعالىٰ جعل العِزّة بعد الله ورسوله للمؤمنين أعني المتّقين وذلك لأنّ الإيمان لا يتحقّق عندنا إلّا بالعمل الصالح فإنّ العمل جزء الإيمان أو شرطه وإذا ثبت أنّ العِزّة لهم فلا محالة في ترك التقوىٰ أعني الإتيان بالفُجور يكون ضِدّ العِزّة وهو الذلّة فثبت أنّ في الفجور ذلّة وهو المطلوب والتّعبير في المقامين بالدار للإشارة إلىٰ أنّ المتّقين تكون العزّة محيطة بهم والفجّار تكون الذلّة محيطة بهم كما أنّ الدار محيطة بمن فيها ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (٢)

▫ قوله عليه السلام: لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَلَا يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ...

الظاهر أنّ فاعل الفعل أعنى يمنع هو الحصن أي لا يمنع الحِصن أهله عن الخروج منه ولا يحفظ من لجأ إليه عن الآفات إذ الإنسان مختار في فعله.

أو المعنىٰ أنّ حِصن التقوىٰ لا يمنع أهله وحِصن الفجور لا يحفظ من لجأ إليه.

ويمكن أن يكون قوله عليه السلام: لَا يَمْنَعُ إلىٰ آخره وصف وتوضيح للحِصن الذليل فقط والمعنىٰ أنّ الفُجور دار لها أوصاف ثلاثة أحدها أنّ حصارها الذلّة والحقارة وثانيها أنّ ذلك الحِصن لا يمنع أهله عن الورُود والوفُود كما قال تعالىٰ حكاية عن جهنّم إذا قيل لها: ﴿هَلِ امْتَلَأْتِ فَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ (٣) وثالثها

١- المنافقون ـ ٨
٢- العنكبوت ـ ٥٤
٣- ق ـ ٣٠

وإلى الرابع:

قوله تعالى: ﴿**كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾(1)

و: ﴿**فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ**﴾(2)

و: ﴿**وقَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾(3) وغيرها من الآيات.

- قوله عليه السلام: **فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفَرِّطِينَ...**

أي على ما ذكرناه فالجنّة غاية السّابقين إلى الخيرات والحَسنات كما أنّ النّار غاية المفرّطين في الأعمال المُقصّرين في الإتيان بما أمِرُوا به والإنتهاء عمّا نُهوا عنه.

فالأوّل:

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**﴾(4)

و: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ**﴾(5)

والثاني:

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ**﴾(6)

و: ﴿**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ**﴾(7)

و: ﴿**يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا**﴾(8) وغيرها من الآيات.

وأيضاً إشارة إلى قول رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: **خَلَقَ الله الجنّة لمن أطاعه ولو كان عبداً حَبشيّاً وخلق الله النّار لمن عصاه ولو كان سَيّداً قُرشيّاً...**

والتّعبير بالغاية إشارة إلى أنّه ليس وراء الجنّة شيء للسابقين ولا وراء النّار شيء للمفرّطين فالسابقون مُخلّدون في الجنّة والمفرّطون مُخلّدون في النّار.

١- يونس ١٢
٢- التّوبة ـ ٣٧
٣- الحجر ـ ٣٩
٤- الأنبياء ـ ١٠١
٥- آل عُمران ـ ١٣٣
٦- النّحل ـ ٦٢
٧- الزّمر ـ ٥٦
٨- الأنعام ـ ٣١

وخلاصها عن وَرَطة السقوط أوّلاً ثمّ تصل النّوبة إلىٰ غيرها ألا ترىٰ أنّ الله تعالىٰ قال في كتابه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾ (١) أمرهم الله أوّلاً بحفظ أنفسهم عن الخطرات ثمّ أهليهم وهو دليل واضح علىٰ ما ذكره عليه السلام هذا ما فهموه من العبارة ولا يبعد أن يكون المراد بأعزّ الأنفس هو نفس الرّسول والإمام فإنّ المؤمن علاقته وحبّه لِنَفس الرّسول والإمام بعده أشَدّ من علاقته لنفسه وقد ورد في بعض الأخبار في أوصاف المؤمن ما يَشْبه بل يصرّح به وعليه فالمعنىٰ عدم مخالفة الرّسول قال تعالىٰ: ﴿ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢)

و: ﴿النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (٣) وقوله صلى الله عليه وآله في يوم الغدير: ألستُ أولىٰ بكم من أنفسكم قالوا بلىٰ وأمثال ذلك كثيرة وعليه يجب علينا أن نراقب الله تعالىٰ في إطاعة الرّسول وهو المطلوب:

- قوله عليه السلام: **فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقَهُ...**

علّل عليه السلام كلامه السّابق بأنّ الله تعالىٰ قد أوضح وبيّن لكم سبيل الحقّ وأنار طُرقه فالحُجّة قد تمّت عليكم ليَهلك من هَلك عن بيّنةٍ ويحيىٰ من حَيّ عن بيّنةٍ: قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ (٤)

و: ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ (٥)

و: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ (٦)

و: ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٧)

و: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾ (٨)

- قوله عليه السلام: **فَشِقْوَةٌ لَازِمَةٌ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ...**

أي أنّ الأمر لا يخلو منهما أعني الشّقاوة والسعادة فالأوّل يحصل بترك

١- التّحريم ـ ٦ ٢- احزاب ـ ٢١
٣- الأحزاب ـ ٦ ٤- الإنسان ـ ٣
٥- الفرقان ـ ٩ ٦- ابراهيم ـ ١٢
٧- الأحقاف ـ ٣٠ ٨- الجنّ ـ ١٦

أنّ الحِصن لا يحفظ من لَجأ إليه من الآفات والعذاب والكلّ مُحتمل.

▫ قوله ﷺ: **أَلاَ وَبِالتَّقْوىٰ تُقْطَعُ حُمَةُ الْخَطَايَا، وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوىٰ...**

الحُمة إن قرئت بالتخفيف أعني تخفيف الميم فهي إبرة العقرب وإن قرئت بالتّشديد فهي من حُمّة الحرّ وهي معظمه فعلىٰ الأوّل معنىٰ العبارة أنّ بالتقوىٰ تقلع سُمُوم الخطايا شبّه ﷺ الخطايا بالعقارب وأثبت لها سُمُوماً تخييلاً علىٰ سبيل الإستعارة وعلىٰ الثّاني معناها أنّ بالتقوىٰ تقطع شدّة حرارة الخطايا وهو أيضاً علىٰ سبيل الإستعارة وأمّا قوله ﷺ: **وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ** الخ معناه أنّ الوصول إلىٰ المقامات الشّامخة والدّرجات الرّفيعة الإنسانيّة والفوز إلىٰ السعادة الأبديّة الّتي هي الغاية القصوىٰ لإيجاد الإنسان وجعل الأديان والشّرايع لا يمكن إلّا بسبب اليقين دون الشكّ.

ثمّ إنّ اليقين الّذي يقابل الشكّ والظنّ والوهم وأمثال ذلك ممّا يخالفه، من أعلىٰ مراتب العُبُوديّة بل غايتها ونهايتها ولا غاية فوقه إذ ليس فوق اليقين شيئاً كما قال الله تعالىٰ في كتابه: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾[1] وقوله: ﴿**إِنَّ هٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ**﴾[2]

و: ﴿**وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ**﴾[3]

و: ﴿ **ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ**﴾[4] و قد مضىٰ الكلام في معنىٰ اليقين وآثاره ومراتبه مفصّلاً فلا نعيده وكذلك في التّقوىٰ.

▫ قوله ﷺ: **عِبَادَ اللهِ، اللهَ اللهَ فِي أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ...**

والتقدير يا عباد الله علىٰ حذو قوله تعالىٰ: ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا**﴾[5] والمعنىٰ إحذروا الله وراقبوه في أعزّ الأنفس عليكم وأحبّها إليكم ومن المعلوم أنّ أعزّ الأنفس وأحبّها إلىٰ الإنسان هو نفسه إذ كلّ أحد يُحبّ نفسه بالذات ولا يحبّ غير نفسه إلّا بالعَرَض فينبغي لكلّ إنسان أن يجتهد في تهذيب نفسه

١- الحجر ـ ٩٩
٢- الواقعة ـ ٩٥
٣- الحاقّة ـ ٥١
٤- التكاثر ـ ٧
٥- يوسف ـ ٢٩

وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾(١)

و: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾(٢)

□ قوله عليه السلام: **فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ لَا تَدْرُونَ مَتَىٰ تُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ...**

شبّههم بالرّكب الوقوف أعني المسافر الواقف في مكانه الّذي لا يعلم زمان سيره وحركته فكما أنّ المسافر المُستعدّ لِلسفر ينبغي له التهيّوء والإنتظار كذلك الإنسان في الدّنيا ينبغي أن يكون مُستعدّاً لسفره غير غافل عنه وقد قال عليه السلام في مورد آخر **تَجهّزُوا رَحِمكم الله فقد نُوْدِي فيكم بالرّحيل** وقد مرّ الكلام فيه مفصّلاً وقوله عليه السلام: **لا تدرون** الخ إشارة إلىٰ أنّ الموت بيد الله تعالىٰ وهو واضح.

□ قوله عليه السلام: **أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلْآخِرَةِ؟ وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ، وَتَبْقَىٰ عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ...**

أي أيّ شيىء يصنع الإنسان بالدّنيا الدنيّة والمفروض أنّه خُلِق للآخرة لا لها لقوله صلى الله عليه وآله: **خُلِقتُم للبقاء لا للفناء** والعقل يحكم بالعمل للدّار الباقية الّتي خلق العامل لها وهي ليست إلّا الآخرة ثمّ أيّ شيىء يصنع بالمال والثّروة الّذي عمّا قليل يسلبه بالموت ويبقىٰ علىٰ الإنسان تَبعته أي وِزره وَوِباله وحسابه غداً يوم القيٰمة والمراد المال الّذي يجمعه الإنسان من غير طريقه ثمّ يموت ويبقىٰ المال بعده لورثته وأمّا الحلال من المال فلا وإن كان فيه أيضاً حساب فتركه علىٰ كلّ حال أولىٰ إذ لا نفع فيه إلّا العذاب أو الحساب:

□ قوله عليه السلام: **عِبَادَ اللهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرَكٌ، وَلَا فِيمَا نَهَىٰ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ...**

قوله عليه السلام: (**مَترك**) إسم مكان من تَرك يَترك أي محلّ الترك وكذا المرغب والأصل فيهما فتح الأوّل أعني الميم وسكون الثّاني وفتح الثالث وحاصل المعنىٰ أنّه ليس لِما وَعَد الله العباد من الخير بإتيان الطّاعات والحَسنات مَحلّ

١ـ الزّمر ـ ٣٠ ٢ـ الأعراف ـ ٢٥

المتابعة للكتاب والسنّة والإعراض عنهما والثّاني بالتمسّك بهما: قال الله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ﴾ (١)

و: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ (٢)

وفي الثاني:

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (٣)

و: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (٤)

و: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (٥)

▫ قوله ﷺ: فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ، فَقَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ، وَأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ، وَحُثِثْتُمْ عَلَى السَّيْرِ...

أي إذا كان الأمر على ما ذكرناه فَتَزَوَّدُوا في أيّام الفناء وهي الحياة الدّنيا لأيّام البقاء وهي الآخرة قد دُلِلتّم على الزّاد أي قد بيّن لكم الزّاد في الكتاب والسنته وأُمِرتُم بالظّعن أي الرّحيل من الدّنيا وحُثِثْتُم على المَسير إلى الآخرة وكلّ هذه الأمور ممّا لا شكّ فيه:

أمّا أنّ الدّنيا هي دار الفناء فلقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٦)

والآخرة هي دار البقاء لقوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (٧)

و: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ (٨)

و: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٩)

و قوله ﷺ: (قد دُلِلتّم على الزّاد) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (١٠)

و قوله ﷺ: (وأُمِرتُم بالظّعن إلى آخره) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ

١- المؤمنون ـ١٠٦ / ٢- هود ١٠٦

٣- هود ـ١٠٨ / ٤- هود ـ١٠٥

٥- طه ١٢٣ / ٦- الرحمن ـ٢٦

٧- الأعلى ـ١٧ / ٨- النحل ـ٩٦

٩- الشورى ـ٣٦ / ١٠- البقرة ـ١٩٧

و: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ .عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١)

و: ﴿فَلاَ يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢)

و: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٣)

و: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٤)

و: ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(٥)

و: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾(٦)

و: ﴿فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾(٧)

وثانيها:

قوله عليه السلام: وَيَكْثُرُ فِيهِ الزِّلْزَالُ والأصل في التَّزلزل الإضطراب:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾(٨)

وثالثها:

قوله عليه السلام: وَتَشِيبُ فِيهِ الْأَطْفَالُ:

قال الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً﴾(٩)

والمقصود كلّه هو أنّ يوم القيامة يومٌ عَسير ينبغي أن يخاف منه فنقول كما قال الله تعالى: ﴿اِسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾(١٠)

وقد مرّ الكلام في القيامة وأهوالها مفصّلاً:

□ قوله عليه السلام: اَعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ، إِنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَ عُيُوناً مِنْ جَوَارِحِكُمْ...

١- الحجر-٩٢
٢- القصص-٨٤
٣- فصّلت-٢٠
٤- النور-٢٤
٥- يس-٦٥
٦- هود-١٠٣
٧- إبراهيم-٤٧
٨- الحج-١/٢
٩- المزمل-١٧
١٠- الشورى-٤٧

لِلتَّرك فلا ينبغي تركه ولا لِما نَهىٰ الله تعالىٰ عنه من الشَّرّ والعصيان مَحَلّ لِلرغْبة والمَيل فما وعد الله من الخير لا يترك وما وأوعد الله عليه من الشَّرّ لا يَرغَب فيه كما قال تعالىٰ في كتابه توبيخاً لمن ترك ما وعد الله ورغب فيما نهىٰ عنه:

فمن الأوّل:

قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ (١)

و: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً﴾ (٢)

و: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ (٣)

و: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ (٤)

ومن الثّاني:

قوله تعالىٰ: ﴿ومن يَرغَب عن ملّة إبراهيم إلّا من سَفِه نفسه﴾ (٥)

و: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (٦)

و: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٧)

□ قوله عليه السلام: **عِبَادَ اللهِ احْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ الْأَعْمَالُ، وَيَكْثُرُ فِيهِ الزِّلْزَالُ، وَتَشِيبُ فِيهِ الْأَطْفَالُ...**

ثمّ حَذَّرهم عن هَول المَطلع وبيّن منه أموراً ثلاثة هي الأصل فيه وإلّا فعقباته كثيرة:

أحدها:

تَفَحُّص الأعمال فيه وأصل الفَحص البَحث والتَّفتيش:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (٨)

و: ﴿وَإِنَّ كُلاًّ لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٩)

١- التوبة ـ ١٦
٢- القيامة ـ ٣٦
٣- العنكبوت ـ ٢
٤- هود ـ ١٢
٥- التوبة ـ ١٢٠
٦- الاعراف ـ ١٦٦
٧- الحشر ـ ٧
٨- الأنعام ـ ١٣٢
٩- هود ـ ١١١

وهم الكرام الكاتبون أعمال الإنسان وعدد أنفاسه وإنّما وصفهم بالصِّدق لمكان عصمتهم وقد قال الله تعالىٰ في حقّ الملائكة: ﴿لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ﴾(١)

وقوله عليه السلام إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِراماً كَاتِبِينَ﴾(٢)

و: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حافِظٌ﴾(٣)

و: ﴿لَه مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وِمْن خَلْفِهِ يَحْفَظُونَه مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾(٤)

□ قوله عليه السلام: **لاَ تَسْتُرُكُمْ مِّنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ، وَّلاَ يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُورِتاج...**

أي لا تستركم من الملائكة الكرام الكاتبين ظُلمة ليل داجٍ أي شديدة الظّلمة ولا يَكِنّكم ولا يستركم منهم باب ذُو رتاج أي بابٌ عَظيم مُغلَق:

والوجه في عدم الإستتار هو أنّ الملائكة ليسوا من الأجسام العنصريّة الكثيفة حتّىٰ تَسترها الظُّلمة وإنّما هم من الأجسام اللّطيفة النّورانيّة علىٰ قول وعدم الجسم علىٰ قول آخر وحيث إنّ الظُّلمة المَحسُوسة تَستر الجِسم الكَثيف فالملائكة بمعزلٍ عنها كما مرّ في بحث الملائكة.

□ قوله عليه السلام: **وَّإِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لاحِقاً بِهِ...**

المراد بالغد يوم القيٰمة وباليوم الدّنيا ويمكن أن يكون المراد بهما معناهما المتعارف والمآل واحد فعلىٰ الأوّل إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِقْتَرَبَتِ السّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾(٥)

و: ﴿إِقْتَرَبَ لِلنّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾(٦)

و: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾(٧)

و: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيباً﴾(٨) وغيرها من الآيات.

١- التحريم ـ ٦
٢- الإنفطار ـ ١١/١٠
٣- الطّارق ـ ٤
٤- الرّعد ـ ١١
٥- القمر ـ ١
٦- الأنبياء ـ ١
٧- الأنبياء ـ ٩٧
٨- الإسراء ـ ٥١

رَصَد بالتّحريك الإستعداد للتّرقُب ويقال لِلرّاصد الواحد وللجماعة الرّاصدِين وللمرصُود واحداً كان أو جمعاً قاله الرّاغب في المفردات انتهى:

وعليه فقوله عليه السلام: رَصَداً معناه الجمع بقرينة مقابلة وهي العيون وإن كان لفظه مفرداً والعيُون بضمّ العين والياء جمع العين بفتح العين وهي تطلق على معان والمراد بها في المقام هو المراعي بالشّئ ويقال له (جاسوس):

وحاصل المعنى إعملوا يا عباد الله في الدّنيا خيراً فإنّ عليكم رَصَداً من أنفسكم وعُيُوناً وجواسيس من جوارحكم فلا يمكن لكم الفرار منها فقوله عليه السلام إنّ عليكم رصداً من أنفسكم إشارة إلى شهادة نفُوسهم عليهم يوم القيٰمة وقوله عليه السلام: وعيوناً الخ إلى شهادة الجوارح عليهم وهو حقّ بشهادة القرآن: قال الله تعالى: ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ... أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾(١)

و: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾(٢)

ومن الثّاني:

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٣)

و: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٤)

و: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٥)

و: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾(٦)

والمراد بشهادة نفوسهم عليهم إقرارها بالذّنب والتّقصير فإنّ الإقرار على النّفس شهادة عليها:

- قوله عليه السلام: وَحُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمالَكُمْ، وَعَدَدَ أَنْفاسَكُمْ...

١- الأنعام-١٣٠ ٢- الأعراف-١٧٣
٣- النّور-٢٤ ٤- فصّلت-٢٠
٥- فصّلت-٢١ ٦- الإسراء-٣٦

يدخل غير المَيّت في قبره ولا يَبيتُ معه فيه أحد فهو فيه أنيس عمله وجليس وحدته:

وقد ورى الشّيخ في أماليه فيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام لِمُحمّد بن أبي بكر قال عليه السلام:

يا عباد الله ما بعد الموت لمن لا يُغفر له أشدّ من الموت القَبر فإحذروا ضيقه وضنكه وغربته إنّ القبر يقول كلّ يوم: أنا بيت الغُربة، أنا بيت التُّراب، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدُّود، والهُوام والقَبر روضة من رياض الجنّة أو حفرةٌ من حُفَر النّيران وساق الحديث إلىٰ أن قال: يا عباد الله إنّ أنفسكم الضّعيفة وأجسادكم النّاعمة الرّقيقة الّتي يكفيها اليسير تضعف عن هذا فإن إستطعتم أن تجزعوا لأجسادكم وأنفسكم ممّا لا طاقة لكم به ولا صبر لكم عليه فإعملوا بما أحبّ الله وإتركوا ماكره الله انتهىٰ «أمالي الشّيخ ص ١٨»...

- قوله عليه السلام: **فَيَالَهُ مِن بَيْتٍ وَّحْدَةٍ، وَّمَنزِلِ وَحْشَةٍ، وَّمَفْرَدِ غُرْبَةٍ...**

قوله عليه السلام: (فياله) الضّمير يرجع إلىٰ المَرء والتّقدير فيا للمرء ويمكن أن يكون مرجعه (الله) تعالىٰ والتّقدير فيا لله وعلىٰ التّقديرين المقصود بيان عظم خطره والإخافة منه والأوّل أوفق بسياق العبارة وحاصل الكلام أن نقول: ﴿لِمِثْلِ هٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾[4] وباقي الكلمات معناه واضح إذ لا شكّ في كون القبر بيت وحدة ومنزل وحشة ومفرد غربة كما عرفت من الحديث.

- قوله عليه السلام: **وَكَأَنَّ الصَّيحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ ،وَالسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ، وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ...**

الكلام فيها كالكلام في قوله عليه السلام: (فكأنّ كلّ إمرؤ) والمراد بالصَّيحة الصَّيحة السّماويّة الّتي قال الله تعالىٰ في كتابه: ﴿مَا يَنْظُرُونَ اِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ. فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا اِلىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ. وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ اِلىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ. قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ. إِنْ كَانَتْ اِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا

٤-الصافات ـ ٦١

وفي تعبيره عليه السلام بالغَد عن يوم القيمة إشارة إلى قوله تعالى حيث قال: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَداً مَّنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ﴾ (١)

أي سَيَعلمُون يوم القيٰمة وأمّا إن حملناها على المعنىٰ العرفي فالأمر أوضح من أن يحتاج إلىٰ بسط الكلام فيه وعلىٰ كلا التّقديرين المقصود أنّ اليوم بما فيه من النِّعم والحوادث لا يبقىٰ لا محالة بل يفنىٰ كما هو شأنه سواء كان المراد به الدّنيا أم يوم الموجود ويجئ الغد أعني القيامة أو ما بعد اليوم لاحقاً به أي باليوم ومن المعلوم أنّ ما في الغد ليس موجوداً في اليوم فالإعتماد علىٰ اليوم لا معنىٰ له:

□ قوله عليه السلام: **فَكَأَنَّ كُلَّ أمْرِؤٍ مِّنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ، وَمَخَطَّ حُفْرَتِهِ...**

أي إذا كان الأمر علىٰ ما وصفناه من ذهاب اليوم ومَجئ الغَد علىٰ سبيل البتّ والقَطع فكأنّ كلّ رجل وإمرأة مِنكم قد بَلغ من الأرض مَنزل وحَدَته وهو مَخَطّ حُفرته وهو القبر وإنّما فسّرنا قوله عليه السلام: (إمرؤ) بالرّجل والمرأة لأنّ الحكم يشملهما والتّعبير بإمرؤ التّي هي جمع المَرء لِلتّغليب أي تغليب المَرء علىٰ المرأة وهو شائع ذائع قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ﴾ (٢)

و: ((كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (٣)

و: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ (٤)

و: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (٥) و لا شكّ أنّ ما ذكره الله تعالىٰ لا يختصّ بالرّجال لأدلّة الإشتراك في التّكليف وهو ظاهر:

وإنّما عَبّر عليه السلام بقوله (فكأنّ) لأنّ المُستقبل المُحقّق الوقوع في حكم الماضي فكأنّه قد وَقَع وعَبّر عليه السلام عن القبر بما عَبّر لأنّه منزل وحدة قطعاً إذ لا

١- القمر-٢٦
٢- النور-١٢
٣- الطور- ٢١
٤- المعارج-٣٨
٥- عبس-٣٧

أمّا الأمر الأوّل: أعني الصَّيحة فقد يقال إنّ المراد بها نَفخ الصّور وقيل إنّ الصَّيحة تكون قبله والمشهور عندنا هو الأوّل ثمّ إنّ النَّفخ ثلاث نَفَخات النَّفخة الأُولىٰ نفخة الفَزَع والثّانية نَفخة الصَّعق والثّالثة نَفخة القيام لربّ العالمين:

ويدلّ علىٰ الأُولىٰ:

قوله تعالىٰ: **﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى السَّمٰوٰتِ وَمَن فِى الْأَرْضِ﴾** (١)

وعلىٰ الثّانية:

قوله تعالىٰ: **﴿وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾** (٢)

وعلىٰ الثّالثة:

قوله تعالىٰ: **﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾** (٣)

قيل هي إثنتان الأُولىٰ نَفخة الفَزَع والصَّعق والثّانية نفخة القيام والبعث والأمر سهل بعد وضوح المراد وبالثّاني مال الطّبرسي في المجمع وعَبّر عن الأوّل بالقيل:

وقد روى المجلسي ﷺ في البحار بإسناده عن عليّ ابن الحسين ﷺ حيث سئل عن النَفخَتين كم بينهما؟ قال ﷺ: ما شاء الله فقيل له فأخبرني يابن رسول الله كيف ينفخ فيه فقال ﷺ:

أمّا النَّفخة الأُولىٰ فإنّ الله يأمر إسرافيل فيهبط إلىٰ الدّنيا ومعه صُور ولِلصّور رأس واحد وطرفان وبين طرف كلّ رأس منهما ما بين السّماء والأرض قال ﷺ: فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلىٰ الدّنيا ومعه الصُّور قالوا قد أذن الله في موت أهل الأرض قال ﷺ: فينفخ فيه نَفخَةً فيخرُج الصّوت من الطّرف الّذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو رُوح إلّا صَعِق ومات ويخرج الصّوت من الطّرف الّذي يلي السّموات فلا يبقىٰ في السّموات ذو رُوح إلّا صَعِق ومات إلّاإسرافيل قال فيقول الله لإسرافيل: يا إسرافيل مت

١- النّمل ـ ٨٧

٢- الزّمر ـ ٦٨

٣- الزّمر ـ ٦٨

﴿مُحْضَرُونَ﴾[1]

و: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾[2]

و: ﴿يوم يَسمَعُون الصَّيحة بالحَقِّ ذلك يوم الخُروج﴾[3] وغيرها من الآيات.

والمراد بالسّاعة ما أشار الله تعالى إليه في كتابه حيث قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾[4]

و: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾[5]

و: ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[6]

و: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾[7]

و: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[8] وغيرها من الآيات.

وفي قوله ﷺ لفصل القضاء إشارة إلى قوله تعالى حيث قال:

﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[9] و: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[10]

و: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾[11]

و: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً﴾[12]

و: ﴿إِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ لِيَوْمِ الْفَصْلِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾[13] ففي المقام أمور ثلاثة:

أحدها: الصَّيحة.

وثانيها: السّاعة.

وثالثها: فصل القضاء.

١- يس ـ ٤٩ الى ٥٣
٢- يس ـ ٢٩
٣- ق ـ ٤٢
٤- الأنعام ـ ٣١
٥- الأعراف ـ ١٨٧
٦- يوسف ـ ١٠٧
٧- الحجر ـ ٨٥
٨- الحج ـ ١
٩- الصّافات ـ ٢١
١٠- الدّخان ـ ٤٠
١١- المرسلات ـ ٣٨
١٢- النبأ/ ١٧
١٣- المرسلات ـ ١٤

شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (قال عليه السلام: مخاطبه النّاس عامّة وقوله: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾(١) أي تبقى وتَتَحيّر وتتغافل وتَضَع كلّ ذات حملٍ حَملها قال عليه السلام: إمرأة تموت تَضَع حملها يوم القيمة وترى الناس سُكارى قال عليه السلام: يعني من الخوف والفزع متحيّرين انتهى «ص ٢١٩»...

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾(٢) يعني الأُمور الّتي يدبّرها والأمر والنّهي الّذي أمر به وأعمال العباد كلّ هذا يظهر يوم القيمة فيكون مقدار ذلك اليوم ألف سنة من سني الدّنيا انتهى «ص ٢١٩»...

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾[١] قال عليه السلام: إذا جمَع الله الخَلق يوم القيمة بقوا قياماً على أقدامهم حتّى يُلجمهم العَرَق فينادوا يا ربّ حاسبنا ولو إلى النّار قال عليه السلام: فيبعث الله رياحاً فيَضرب بينهم وينادي منادٍ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾[١١] فيميّز بينهم فصار المُجرمون في النّار ومن كان في قلبه إيمان صار إلى الجنّة انتهى «ص ٢١٩»...

وأمّا الأمر الثّالث أعني قوله: وبُرزتم لفصل القضاء:

روي في البحار عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: لو ولّي الحساب غير الله لمكثوا فيه خمسين ألف سنة من قبل أن يفرغوا والله سبحانه يَفرَغ من ذلك في ساعة الحديث «ج ٣ ص ٢٢٥»...

وبإسناده عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا جمع الله الخلائق يوم القيمة فدخل أهل الجنّة الجنّة وأهل النّار النّار نادى منادٍ تحت العرش تتاركوا المظالم بينكم فعليّ ثوابكم انتهى «ص ٢٢٧»...

وبإسناده عن عبد الله إبن سنان عن أبي عبد الله قال: إذا كان يوم القيمة وكّلنا الله بحساب شيعتنا فما كان لله سئلنا الله أن يهبه لنا فهو لهم وما كان لنا

١- الحج - ٢
١- يس - ٥٩
٢- السجده - ٥
١١- يس - ٥٩

فيموت إسرافيل فيَمكثُون في ذلك ما شاء الله ثمّ يأمر السّموات فتمور ويأمر الجبال فتَسير وهو قوله (يوم تَمُور السّماء مَوراً وتسير الجبال سيراً) يعني تبسط (وتبدّل الأرض غير الأرض) يعني بأرض لم يكتسب عليها الذّنوب بارزة ليس عليها الجبال ولا نبات كما دَحاها أوّل مَرّة ويعيد عرشه علىٰ الماء كما كان أوّل مَرّة مُستقلاً بعظمته وقُدرته قال عليه السلام فعند ذلك ينادي الجبّار جلّ جلاله بصوت جهوري يسمع أقطار السّموات والأرضين (لِمَن المُلك) فلا يجيبه مُجيب فعند ذلك ينادي الجبّار جلّ جلاله مُجيباً لنفسه (لله الواحد القهّار) وأنا قَهرتُ الخلائق كلّهم وأمتّهم إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا وحدي لا شريك لي ولا وزير وأنا خلقت خلقي بيدي وأنا أمتّهم بمشيتي وأنا احييهم بقدرتي قال عليه السلام: فنفخ الجبّار نفخةً بالصّور يخرج الصّوت من أحد الطّرفين الّذي يلي السّموات فلا يبقى في السّموات أحد إلّا حيّ وقام كما كان ويعود حملة العرش ويحضر الجَنّة والنّار ويحشر الخلائق للحساب قال الرّاوي فرأيت علّي إبن الحسين يبكي عند ذلك بكاء شديداً انتهىٰ «ج ٣ ص ١٨٣ ط كمپاني»...

وأمّا الأمر الثّاني: أعني قوله عليه السلام: قد غَشِيَتكم السّاعة:

فإعلم أنّ المراد بها هو القيامة وقد مرّ الكلام فيها ولنذكر في المقام رواية بها يعلم هَولها.

روى في البحار بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا كان يوم القيٰمة جمع الله النّاس في صعيدٍ واحد فَهُم حُفاةٌ عُراة فيوقفون في المَحشَر حتّىٰ يَعرقوا عَرَقاً شديداً فتشتدّ أنفاسهم فيمكثون في ذلك مقدار خَمسين عاماً وهو قول الله عزّوجلّ: (وخشعت الأصوات لِلرّحمن فلا تَسمَع إلّا هَمساً) قال عليه السلام: ثمّ ينادي مناد في تلقاء العرش أين النّبي الأُمّي فيقول النّاس قد أُسمعت فسمّ بإسمه فينادي أين نبيّ الرّحمة محمّد إبن عبد الله الأُمّي صلى الله عليه وآله فيقدم رسول الله أمام النّاس كلّهم حتىٰ ينتهي إلىٰ حوض الحديث «ج ٣ ص ٢١٩»...

وروي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ

أي قد إرتفعت عنكم الأباطيل الّتي كنتم مُنغمرين فيها في الجاهليّة ببركة الإسلام ويمكن أن يكون المراد بها ما كانوا عليه في عهد الخلفاء قبله وعليه فالمعنىٰ ﴿وَ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾[1] وبذلك قد تمّت الحجّة عليهم، وإضمحلّت عنكم العِلل معناه إضمحلال العِلل النّفسانيّة أو العِلل الّتي كانوا بسببها علىٰ غير الطّريق وعليه فلا يبعد أن يكون العِلل كناية عن الحكّام قبله لأنّهم كانوا في الحقيقة عِلل سقوطهم وإنحطاطهم وقوله ﷺ: وإستَحقّقت بكم الحقائق معناه أنّ بعد رجوع الحَقّ إلىٰ محلّه وبعبارةٍ أُخرىٰ بعد ذهاب الباطل ومجيئ الحَقّ فالحقائق قد إستحقّت بكم وأمّا في دولة الباطل فليس الأمر كذلك فإنّ من لا يكون علىٰ الحقّ فكيف تَستحقّ الرّعية الحقائق في دولته.

□ قوله ﷺ: **وَصَدَرَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا، فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ، وَاعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ، وَانْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ...**

والمعنىٰ أنّ الأُمور قد صدرت بكم عن مصادرها وعن أهلها وقال البحراني أراد به رجوع كلّ إمرئٍ إلىٰ ثمرة ما قدّم وما ذكرناه أوضح وأظهر وأنسب بالمقام.

وقوله ﷺ: **فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ** أي بكلّ ما يفيد الإعتبار والتّنبيه واليَقظة من نوم الغفلة وبما فيه تذكرة للمَوت وما بعده من الشّدائد والأهوال:

وقوله ﷺ: **وَاعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ** أي ما يَتغيّر أعني الدّنيا وما فيها فإنّ التّغيّر والحدوث ثابتان لها لذاتها وقد مرّ الكلام فيها بما لا مزيد عليه:

وقوله ﷺ: **وإنتفعوا بالنُّذر** أي بكلّ ما يفيد التّخويف بالآخرة وما فيها من الأهوال والشّدائد من القبر والصّراط والحساب والميزان وغيرها من المخوفات أعاذنا الله منها ومعلوم أنّ الإنتفاع بها في الدّنيا وأمّا في الآخرة فلا يمكن الإنتفاع بها فإنّ الدّنيا دار عمل والآخرة دار حساب اللّهم وفّقنا لما تُحبّ وتَرضىٰ بمُحمّد وآله الأطهار آمين:

١-الاسراء ـ ٨١

فهو لهم ثمّ قرء أبو عبد الله عليه السلام ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾[1] انتهىٰ« ص ٢٦٧»...

وبإسناده عن علّي إبن الحسين عليه السلام قال حدّثني أبي أنّه سمع أباه علّي بن أبي طالب يحدّث النّاس قال عليه السلام: إذا كان يوم القيٰمة بَعَث الله تبارك وتعالىٰ النّاس من حُفَرهم غُرْلاً مَهلاً جُرداً مُرداً في صعيد واحد يَسوقهُم النّور وتجمعهم الظُّلمة حتّىٰ يَقفُوا علىٰ عَقبة المَحشَر فيركب بعضهم بعضاً ويزدحمون دونها فيُمنعون من المُضّي فتشتدّ أنفاسهم ويكثر عرقهم وتضيق بهم أُمورهم ويشتدّ ضجيجهم وترتفع أصواتهم قال عليه السلام: وهو أوّل هول من أهوال القيامة:

قال عليه السلام فيشرف الجبّار تبارك وتعالىٰ عليهم من فوق عرشه في ظلال من الملائكة فيأمر مَلَكاً من الملائكة فينادي فيهم يا معشر الخلائق أنصتوا و إستمعوا منادي الجبّار قال فيَسمَع آخرهم كما يَسمَع أوّلهم فتنكسر أصواتهم عند ذلك وتخشع أبصارهم وتضطرب فرائصهم وتفزع قلوبهم ويرفعون رؤسهم إلىٰ ناحية الصّوت مهطعين إلىٰ الدّاعي قال فعند ذلك يقول الكافر هذا يوم عسر قال عليه السلام: فيشرف الله عزّوجلّ الحَكَم العدل عليهم فيقول أنا الله لا إلٰه إلّا أنا الحَكَم العدل الّذي لا يجور اليوم أحكم بينكم بعدلي وقسطي لا يظلم اليوم عندي أحد اليوم آخذ للضّعيف من القوي بحقّه ولصاحب المظلمة بالمظلمة بالقصاص من الحسنات والسيّئات وأُثيب علىٰ الهبات ولا يجوز هذه العقبة اليوم عندي ظالم ولأحد عنده مظلمة إلّا مظلمة يهبها صاحبها وأُثيبه عليها وآخذ له بها عند الحساب فتلازموا أيّها الخلائق وإطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بها في الدّنيا وأنا شاهد لكم بها عليهم وكفى بي شهيداً الحديث «ص ٢٨٦»...

□ قوله عليه السلام: قَدْ زَاحَتْ عَنْكُمُ الْأَبَاطِيلُ، وَاضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ الْعِلَلُ، وَاسْتَحَقَّتْ بِكُمُ الْحَقَائِقُ...

١ـ الغاشية ـ ٢٦

بكسر الدّال من اللّباس أعلاه (**المَطايا**) جمع مَطيَة وهيَ الدّابة الّتي تَجدّ في سيرها (**الزَوامِلُ**) جمع زاملة وهيَ ما يحمل عليها الطّعام من الإبل ونحوها (**النُّخَامَةُ**) بضمّ النّون ما يدفعه الصّدر أو الدّماغ:

◁ المعنىٰ

(أرسله) أي أرسل الله النّبي ﷺ (**عَلىٰ حِينِ فَتْرَةٍ**) وإنقطاع وحي (**مِّنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ**) وغفلة (**مِنَ الأُمَمِ، وَانْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ**) علىٰ ألسنة الأنبياء السّابقين نقضها النّاس بمخالفتها (**فجاءَهم**) أي فجاء النّبي ﷺ إيّاهم (**بِتَصْدِيقِ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ**) أي مُصدّقاً لما قبله (**وَالنُّورِ الْمُقْتَدىٰ بِهِ**) لمن أراد الإقتداء بها (**ذٰلِكَ الْقُرآنُ**) تفسير لِلنّور (**فإستنطقوه**) أي إطلبوا النُّطق منه (ولن ينطق) أبداً (**وَلٰكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ**) وهو (**إنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي**) إلىٰ يوم القيٰمة (**وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي**) من الأمم السّالفة (**وَدَوَاءَ دٰائِكُمْ**) أي فيه دواء داء الجهل والضّلالة (**وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ**) من السّياسات وغيرها (**منها**) أي من الخطبة (**فعند ذلك**) أي دولة بني أُميّة (**لاٰ يَبْقىٰ بَيْتُ مَدَرٍ وَّلاٰ وَبَرٍ**) من أهل المُدن والبَوادي (**إلاّ وَأَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَةً**) وحَزناً (**أولجوا**) أي أدخلوا (**نقمة**) أي عذاباً وظلماً (**فَيَوْمَئِذٍ لاٰ يَبْقىٰ لَهُمْ فِي السَّمٰاءِ عٰاذِرٌ وَّلاٰ فِي الْأَرْضِ نٰاصِرٌ**) فيزول دولتهم (**أَصْفَيْتُمْ**) أي آثرتم وخصصتم (**بِالْأَمْرِ**) أي بالأمرة والحكومة (**غَيْرَ أَهْلِهِ**) أعني أهل البيت (**وَأَوْرَدْتُمُوهُ**) أي أوردتم الأمر (**غَيْرَ مَوْرِدِهِ**) ومحلّه (**وَسَيَنْتَقِمُ اللهِ مِمَّن ظَلَمَ: مَأكلاً بِمَأْكَلٍ، وَّمَشْرَباً بِمَشْرَبٍ مِّنْ مَّطَاعِمِ الْعَلْقَمِ**) أعني المُرّ (**وَمَشَارِبِ الصَّبِرِ وَالْمَقِرِ**) السّمّ (**وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ**) والوحشة (**وَدِثَارِ السَّيْفِ**) اللازم لهم لزوم الدّثار (**إنَّماهُمْ مَّطَايَا الْخَطِيئٰاتِ، وَزَوٰامِلُ الْآثٰامِ**) أي حمّال السّيّئات (**فَأُقْسِمُ ثُمَّ أُقْسِمُ**) بالله (**لَتَنَخَّمَنَهٰا**) الحكومة (**أُمَيَّةُ مِن بَعْدِي**) أعني معاوية وأتباعه (**كَمٰا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ**) عن الصّدر أو الدّماغ (**ثُمَّ لاٰ تَذُوقُهٰا وَلاٰ تَطْعَمُ بِطَعْمِهٰا أَبَداً مَّا كَرَّ الْجَدِيدٰانِ**) أي اللّيل والنّهار والمقصود أنّهم لا يجدون حلاوتها ولذّتها:

ومن خطبة له عليه السلام (١٥٧)

▫ قوله عليه السلام: أَرْسَلَهُ عَلىٰ حِينِ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ، وَانْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ، فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالنُّورِ الْمُقْتَدىٰ بِهِ ،ذٰلِكَ الْقُرآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَّنْطِقَ ،وَلٰكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ ،أَلاٰ إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ.

فَعِنْدَ ذٰلِكَ لاٰ يَبْقىٰ بَيْتُ مَدَرٍ وَّلاٰ وَبَرٍ إِلاَّ وَأَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَةً ،وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً، فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يَبْقىٰ لَهُمْ فِي السَّمَاءِ عَاذِرٌ وَّلاٰ فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ، أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ،وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ، وَسَيَنْتَقِمُ اللهُ مِمَّنْ ظَلَمَ: مَأكَلاً بِمَأْكَلٍ، وَّمَشْرَباً بِمَشْرَبٍ مِّنْ مَّطَاعِمِ الْعَلْقَمِ ،وَمَشَارِبِ الصَّبِرِ وَالْمَقِرِ، وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ ،وَدِثَارِ السَّيْفِ، وَإِنَّمَاهُمْ مَّطَايَا الْخَطِيئَاتِ، وَزَوَامِلُ الْآثَامِ، فَأُقْسِمُ ثُمَّ أُقْسِمُ لَتَنَخَّمَنَّهَا أُمَيَّةُ مِن بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ، ثُمَّ لاٰ تَذُوقُهَا وَلاٰ تَطْعَمُ بِطَعْمِهَا أَبَداً مَّا كَرَّ الْجَدِيدَانِ.

◁ اللغة

(فَتْرَةٍ) بفتح الفاء إنقطاع الوحي والرّسالة (هَجْعَةٍ) المَرّة من الهجُوع وهو النَّوم ليلاً والمراد بها في المقام نوم الغفلة في ظُلمات الجهالة (الْمُبْرَمِ) بضمّ الميم وفتح الرّاء إسم المفعول من الإبرام وهو الإثبات (ترحة) المَرّة من التَّرح بالتَّحريك، الحزن (أولجوا) الإيلاج الإدخال (أصفيتم) أصفيته بالشيْ آثرته وخصّصته (الصَّبر) ككتف عصارة شَجرٍ مُرّ (المَقِرّ) علىٰ وزانه السّم (دِثار)

ويدلّ على الأوّل:

قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (١)

و: ﴿فَإِنَّه نَزَّلَه عَلىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (٢)

و: ﴿وَالَّذي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (٣)

وعلى الثّاني:

قوله تعالى: ﴿فيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (٤)

و: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (٥)

و: ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذي أَنْزَلْنَا﴾ (٦)

و: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ (٧)

ويمكن أن يكون المراد بقوله ﷺ: **فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ** المعجزات وخوارق العادات الّتي جرت على يديه ﷺ وعليه فالمعنى أنه ﷺ أتى لهم بمعجزتين: فانية، وباقية، فالأولى صارت موجبة لتصديقهم أعني من كان حاضراً في ذلك الزّمان ورآها صدّقه في إدّعائه النّبوة والثّانية أعني القرآن صارت سبباً لتصديق من جاء بعده إلى يوم القيٰمة وقد مرّ الكلام فيهما عند بحثنا في النّبوة.

- قوله ﷺ: **فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَنْطِقَ ،وَلٰكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ...**

أي فإستنطقوا القرآن ولم ينطق لكم أبداً لكونه كلام الله الصّامت ولكن أُخبركم عنه فإنّي كلام الله النّاطق وقد قال ﷺ في يوم الصفّين: هذا (كلام الله) الصّامت وأنا كلام الله النّاطق:

- قوله ﷺ: **أَلاٰ إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ...**

ثمّ أخبرهم بما في القرآن على سبيل الإجمال وقال: ألا إنّ فيه أي في القرآن

١- آل عمران ـ٣
٢- البقرة ـ٩٧
٣- فاطر ـ٣١
٤- مائدة ـ٤٦
٥- المائدة ـ١٥
٦- التّغابن ـ٨
٧-الأعراف ـ ١٥٧

◁ الشّرح

▫ قوله ﷺ: أَرْسَلَهُ عَلىٰ حِينِ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ، وَانْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ...

الضّمير في قوله ﷺ: (أرسله) إلىٰ النّبي ﷺ ومنه يظهر أنّ هذا الكلام منه ﷺ كان تتميماً وتكميلاً لما سبق منه ولعلّه لم يظفر الرّضي ﵁ به وقد مرّ نظير هذا الكلام منه ﷺ في الخطبة الثّامنة والثمانين حيث قال ﷺ هناك: أرسله علىٰ حين فترة إلىٰ قوله من الأُمم إلّا أنّه قال هناك بعد كلامه ﷺ هذا: وإعتزام من الفتن الخ وفي المقام قال وإنتقاض من المُبرَم الخ ففي المقامين لَم يظفر الرّضي بماسبق منه ﷺ مقدّماً علىٰ هذا الكلام وكيف كان فنقول:

أرسَل الله النّبي ﷺ علىٰ حين فَترَةٍ من الرّسُل أي زمان إنقطاع الوحي والرّسالة وهو عهد الجاهليّة وقد تكلّمنا فيه هناك وبيّنا المقصود من الفَترة وطُول الهَجعَة والغفلة فإنّ النّاس كانوا في ذلك الزّمان كذلك أي كانوا متّصفين بأوصاف ثلاثة:

أحدها: عدم وجود الوَحي والرّسول.

وثانيها: الغفلة والإنغمار في الشّهوة.

وثالثها: نقضهم ما أُبرِم علىٰ ألسنة الأنبياء السّابقين بمخالفتهم الأديان السّالفة ومنه يظهر أنّ النّاس في ذلك الزّمان لم يكن لهم دين واقعاً بل كانوا تابعين لأهوائهم وأميالهم علىٰ ما مرّ تحقيقه مفصّلاً.

▫ قوله ﷺ: فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالنُّورِ الْمُقْتَدَىٰ بِهِ ،ذٰلِكَ الْقُرآنُ...

أي فجاءهم الرّسول من الله تعالىٰ وأتىٰ بشيئين دالّين علىٰ نبوّته:

أحدهما: تصديقه وتأييده لمن كان قبله من الأنبياء والأصياء وما جاؤوا به من الأديان والأحكام.

وثانيهما: أنّه أتىٰ بالقرآن الّذي هو النّور المُقتدىٰ به ومعجزته الباقية إلىٰ يوم القيمة:

قال قلت نعم قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: أتاني جبرئيل فقال يا مُحمّد ستكون في أمّتك فتنة قلت فما المخرج منها فقال كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خبر، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفَصل ليس بالهَزل من وليّه من جبّار فعمل بغيره قَصَمه الله ومن إلتمس الهُدىٰ في غيره أضلّه الله وهو حَبل الله المَتين وهو الذِّكر الحَكيم وهو الصّراط المُستقيم لا تُزيغه الأهوية ولا تُلبسه الألسنة ولا يخلق علىٰ الرَدّ ولا ينقضي عجائبه ولا يَشبع منه العلماء الحديث «تفسير الصّافي ص ٤»...

وبإسنادهما عن أبي عبد الله قال: قال رسول الله: القرآن هُدىً من الضّلالة وتبيان من العمىٰ وإستقالة من العَثرة ونُورٌ من الظُّلمة وضياء من الأجداث وعصمة من الهلكة ورُشد من الغواية وبيان من الفِتن وبلاغ من الدّنيا إلىٰ الآخرة وفيه كمال دينكم وما عدل أحد من القرآن إلّا إلىٰ النّار انتهىٰ« ص ٤»...

وعن تفسير الإمام قال: قال رسول الله: إنّ هذا االقرآن هو النُّور المُبين والحبل المَتين والعُروة الوثقىٰ والدّرجة العلياء والشّفاء الأشفىٰ والفضيلة الكبرىٰ والسّعادة العظمىٰ من إستضاء به نوّره الله ومن عقد به أُموره عصمه الله ومن تَمسّك به أنقذه الله ومن لم يفارق أحكامه رَفعه الله ومن إستشفىٰ به شفاه الله ومن آثره علىٰ ما سواه هداه الله ومن طلب الهُدىٰ في غيره أضَلّه الله ومن جَعله شعاره ودثاره أسعده الله ومن جعله إمامه الّذي يقتدي به ومعوّله الّذي ينتهي إليه أدّاه الله إلىٰ جنّات النّعيمانتهىٰ «ص ٤» والأحاديث كثيرة:

□ قوله ﷺ: **فَعِنْدَ ذٰلِكَ لاٰ يَبْقىٰ بَيْتُ مَدَرٍ وَّلاٰ وَبَرٍ اِلاّٰ وَأَدْخَلَهُ الظّٰلَمَةُ تَرْحَةً ،وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً**...

الظّاهر أنّ هذا الكلام منه ﷺ كان مسبوقاً بما لَم يظفر الرّضي ﵀ عليه والدّليل علىٰ ما ذكرناه قوله ﷺ: **فَعِنْدَ ذٰلِكَ** فإنّ المشار إليه بكلمة (ذلك) غير معلوم لنا وكيف كان فالمعنىٰ أنّ عند ذلك الّذي ذكرناه لا يبقىٰ بَيت مَدَر ولا

علم ما يأتي إلىٰ يوم القيٰمة من الحوادث والوقايع الآتية والحديث عن الماضي أعني الأُمم الماضية والأنبياء السّالفة، ودَواء دائِكم، وهو الضّلالة والغواية والجهالة فإنّها تتداوىٰ بالقرآن، ونظم ما بينكم من النّكاح والطّلاق والإرث والقصاص والدّيات وغيرها ممّا يوجب مراعاته النّظم في الإجتماع:

والأوّل:

إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لاٰ رَطْبٍ وَلاٰ يٰابِسٍ اِلاّٰ في كِتٰابٍ مُّبينٍ﴾ (١)

والثاني:

إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ الْقُرىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبائِهٰا﴾ (٢)

و : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (٣)

و : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ (٤)

و : ﴿كَذٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبٰاءِ مٰا قَدْ سَبَقَ﴾ (٥)

والثالث:

إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ جٰاءَتْكُمْ مَّوْعِظَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَشِفٰاءٌ لِّمٰا فِي الصُّدُورِ﴾ (٦)

و : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مٰا هُوَ شِفٰاءٌ وَّرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٧)

والرابع :

إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنٰا لِلنّٰاسِ في هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ (٨)

و : ﴿أَفَلاٰ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلىٰ قُلُوبٍ أَقْفٰالُهٰا﴾ (٩)

و : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنٰا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّدَّكِرٍ﴾ (١٠) وغيرها من الآيات:

روى العيّاشي بإسناده عن الحارث الأعور قال دخلت علىٰ أمير المؤمنين فقلت يا أمير المؤمنين إنّا إذا كنّا عندك سمعنا الّذي نسدّ به ديننا و إذا خرجنا من عندك سمعنا أشياء مختلفة مغموسة لا ندري ما هي قال: أو قد فعلوها

١- الأنعام ـ ٥٩. ٢- الأعراف ـ ١٠١

٣- يوسف ـ ٣ ٤- الكهف ـ ١٣

٥- طه ـ ٩٩ ٦- يونس ـ ٥٧

٧- الإسراء ـ ٨٢ ٨- الإسراء ـ ٨٩

٩- محمّد ـ ٢٤ ١٠- القمر ـ ١٧

و: ﴿فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ (١)

و: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ (٢) هذا إذا قلنا إنّ المقصود من الإنتقام الإنتقام الأُخروي وأمّا إذا قلنا بالإنتقام الدّنيوي فهو أيضاً ممّا لا بأس به والحقّ إرادة العموم منه وذلك لما علمنا أنّ الظّالمين قد إنتُقِم منهم في الدّنيا أيضاً، إن قلت: ليس الأمر كذلك فإنّ معاوية وأمثاله من الظّلَمة لَم يُنتقم منهم في الدّنيا بل كانوا في عيشهم ولذّتهم مُنهمكين مُنغمرين فلابدّ لنا من حَمل الإنتقام على الآخرة:

قلنا أمّا أوّلاً: فإنّ بقاء الظّالم وحياته إنتقام له في الحقيقة ألا ترىٰ يقول الله تعالىٰ في كتابه: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (٣)

وثانياً: أنّ الظّالم لا يختصّ بالمباشر بل هو ومَن سَلّطه علىٰ المظلوم ولا شكّ أنّ الّذين اختاروا بالأمر غير أهله كأصحاب السّقيفة وعبد الرّحمٰن إبن عوف في الشّورىٰ وعمرو إبن العاص في قصّة الحَكَمين بل وكلّ من رضي بفعلهم في ما فعلوه وأبدعوه فهو ظالمٌ بالحقيقة وهؤلاء بعد تَسليطهم الظّلمة علىٰ أنفسهم وأموالهم صاروا مخذولين مقهورين فإنّ من أعان ظالماً سَلّطه الله عليه.

□ قوله عليه السلام: **مِّنْ مَّطَاعِمِ الْعَلْقَمِ ،وَمَشَارِبِ الصَّبِرِ وَالْمَقِرِ، وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ ،وَدِثَارِ السَّيْفِ...**

كلمة (من) بيانيّة، أي سَينقتم الله منهم بهذه الأمور الخمسة وهو دليل علىٰ ما إستنبطناه من أنّ هذا الإنتقام المطلوب لا يختصّ بالآخرة بل هو أعمّ وذلك لأنّ الموارد المذكورة في الدّنيا.

أحدها: مطاعم العَلقَم، قال في المنجد: العَلقم، الحَنظَل كلّ شيء مُرٌّ والمَطاعم جمع مطعم وهو إمّا بمعنىٰ الطّعام أو بمعنىٰ المطعوم فإنّه يجيء بالمعنيين وكيف كان فمَطاعم العَلقَم في المقام كناية عن شدّة القتل والحبس

١- إبراهيم ـ ٤٧
٢- آل عمران ـ ٤
٣- آل عمران ـ ١٧٨

وَبَر وقد فسرّه الخوئي وغيره بأهل الحَضر والبَدْو، ولا دليل عليه بل الحقّ في تفسير الكلام هو أن يقال إنّهما كنايتان عن أهل الحضر والبدو والغرض أنّه لا يبقىٰ بيتٌ في الإسلام وغيره إلّا وأدخله الظّلمة ترحةً أي هَمّاً وحُزناً والظّاهر أنّ الظَّلَمَة مُحرّكة جمع ظالم والمراد بـها حكّام الغـاصبين مـن أولاد أُميّة وغيرهم وأولجوا أي أدخلوا فيه نقمة وعذاب وخلاصة الكـلام أنّ ظـلمهم يسري إلىٰ الكلّ.

▫ قوله ﷺ: فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَبْقَىٰ لَهُمْ فِي السَّمَاءِ عَاذِرٌ وَّلَا فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ...

أي إذا شاع الظُّلم منهم فيومئذ لا يبقىٰ لبني أُميّة في السّماء عاذِر ولا في الأرض ناصر فأهل السّماء وأهل الأرض يَتَبَرّؤن منهم ويلعَنونهم ويـتّمنون الخروج عن تحت قُدرتهم كما هو شأن المظلوم بالنّسبة إلىٰ الظّالم.

▫ قوله ﷺ: أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ،وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ...

الظّاهر أنّ المراد بالأمر هو الخلافة والزّعامة بعد النّبي ﷺ والمعنىٰ أنّكم بعد النّبي آثرتم بأمر الخلافة غير أهله وأوردتمّوه غَير مورده أي جعلتموه عند من لا يَستحقّه من أوّل الأمر وفي الكلام إشعار بعدم صلاحيّة الخلفاء بعد النّبي ﷺ وهو كذلك لعدم وجود شرائط الإمامة فيهم كما مرّ الكلام فيه عند البحث عن الإمامة وشرائطها ومن المعلوم أنّ الحاكم الّذي بيده القُدرة والسُّلطة إذا لم يكن لائقاً بالحكومة والرّئاسة بعدم وجود الشّرائط فيه فلا محالة يكون ضرره أشدّ وخطره أكثر من نَفعه فإنّ النّاس في الحقيقة علىٰ دين مُلوكهم وهذا هو الملاك في سقوط المُسلمين قطعاً.

▫ قوله ﷺ: وَسَيَنْتَقِمُ اللهُ مِمَّنْ ظَلَمَ: مَأكَلاً بِمَأْكَلٍ، وَّمَشْرَباً بِمَشْرَبٍ...

ثمّ دعا ﷺ علىٰ الظّالمين وقال: سَيَنتقم الله منهم في الآخرة مأكلاً بمأكلٍ ومَشرباً بمَشربٍ وفيه إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾(١)

و: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾(٢)

و: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾(٣)

١- السّجدة ـ ٢٢   ٢- الدّخان ـ ١٦

٣- الزّخرف ـ ٤١

مَطيّة وهي مطلق الدّابة التّي تَجدّ في سيرها والزّوامل جمع الزّاملة وهي التّي يحمل من الإبل فتارةً شبّههم بالمَطايا وأخرىٰ بالزّوامل.

▫ قوله عليه السلام: **فَأُقْسِمُ ثُمَّ أُقْسِمُ لَتَنَخَّمَنَهَا أُمَيَّةُ مِن بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ...**

والتقدير أُقسم بالله والتكرار لإفادة القطع واليقين وإنّه لكان كذلك والتَنَخُّم بفتح التاء والنون وضمّ الخاء دفع الفضولات من الأنف أو الصدر شبّه عليه السلام الخلافة بالنَخامة ووجه الشّبه عدم الإعتناء بها وذلك لأنّ الخلافة علىٰ ما أسّسوه فهي أشبه شئ بالفضُولات.

وحاصل الكلام أنّه عليه السلام قد أخبر بكلامه هذا عمّا وقع بعده من حكومة معاوية وغيره من أولاد أميّة ولَم يُصرّح بإسمه تحقيراً له كما هو مُقرّرٌ في فنّ البلاغة.

▫ قوله عليه السلام: **ثُمَّ لاٰ تَذُوقُهَا وَلاٰ تَطْعَمُ بِطَعْمِهَا أَبَداً مَّا كَرَّ الْجَدِيدَانِ...**

أي ثُمّ بعد ذلك لا تَذُوق الخلافة أُميّة ولا تَستطعم بطعم الخلافة أبداً أي لا تنلها ثانياً ما كرّ الجديدان أي ما دام اللّيل والنّهار موجودين وفيما ذكره عليه السلام إشارة إلىٰ أمور:

أحدها: أنّ مدّة خلافتهم تكون قصيرة لِظُلمهم وتَعدّيهم والملك يبقىٰ مع الكفر ولا يبقىٰ مع الظُلم وكانت مُدّة خلافتهم ألف شهر كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾(١)

وثانيها: إستيصالهم وتشرّدهم في الأرض بعد زوال الملك عنهم بحيث لا يمكن تَصدّيهم لها ثانياً.

وثالثها: أنّ الحكم يَستمرّ إلىٰ يوم القيٰمة فإنّ قوله عليه السلام ما كرّ الجديدان كناية عمّا ذكرناه وينتج أنّ الحكومة إذا كانت أساسها علىٰ الظّلم والجور فعاقبتها كذلك فإنّ حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد، اللّهم العن أوّل ظالم ظلم حقّ محمّد وآل محمّد وآخر تابع له علىٰ ذلك آمين.

١- القدر- ٣/١/٣

وأمثالهما ممّا يجئ من الظّالم علىٰ المظلوم.

وثانيها: مشارب الصّبر، بفتح الصّاد وكسر الباء علىٰ ما ضبطه بعض أهل التّحقيق وهو عصارة شَجَرٍ مُرّ.

وثالثها: والمَقِر أيضاً علىٰ وزانه وهو السّم.

ورابعها: شعار الخوف والشّعار علىٰ وزن كتاب من اللّباس أعلاه فوق الملابس.

وخامسه: ودثار السّيف، دِثار، قيل هو ما يلبس فوق الملابس وعليه فالشّعار ما يلي الجَسَد من الثّياب والدّثار ما فوقه وكلّ هذه كنايات وإستعارات ووجه الشّبه فيها لا يخفىٰ وقد كانوا في دَولة بني أُميّة وبني العبّاس بل إلىٰ زماننا هذا متّصفين بهذه الصّفات وذلك بما كَسَبت أيديهم وما ربّك بظلام للعبيد.

ويظهر من كلامه عليه السلام أنّ المراد بقوله **(من ظلم)** ليس الظّالم المباشر فقط بل هو ومن عَيّنه وإنتَخَبه والثّاني أوفق بسياق العبارة من الأوّل فإنّ العلّة أقوىٰ من المعلول والسّبَب من المُسّبب:

ثمّ إنّ دعائه عليه السلام عليهم صار مُستجاباً بشهادة التّواريخ فإنّ الله تعالىٰ قد إنتقم منهم فصاروا مَقتولين أو مَحبُوسين أو مُتشرّدين في أقصىٰ العالم خوفاً منهم وإستأصلوا إستئصالاً شديداً ومن أراد الإطّلاع علىٰ حقيقة الحال فعليه بمراجعة التّواريخ ولا سيّما عهد الخلفاء الاموي:

□ قوله عليه السلام: **وَإِنَّماهُمْ مَّطَايَا الْخَطِيئَاتِ، وَزَوَامِلُ الْآثَامِ...**

وإنّما هم أعني الظَّلَمَة ومن عاونهم علىٰ الظُّلم مَطايا الخَطيئات شبّههم بالمطايا لكونهم حَمّالين لِلخَطيئات كما أنّ الدّابة تحمل الأثقال من غير أن تنتفع بها فهؤلاء أيضاً يحملونها من غير أن ينتفعوا بها كما قال الله تعالىٰ: **﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾** (١)

وقوله عليه السلام: **وَزَوَامِلُ الْآثَامِ** معناه قريب ممّا ذكرناه والفرق أنّ المطايا جمع

---

١ - الجمعه - ٥.

◁ الشرح

▫ قوله عليه السلام: **وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوارَكُمْ...**

تصدير الكلام باللاّم ثُمّ قَدَ لِلدّلالة علىٰ أنّ ما قاله عليه السلام حقّ لا مرية فيه والمعنىٰ أنّي أحَسنتُ جواركم وفيه إشعار بأنّ حُسن الجوار مَمدوح عقلاً وشرعاً وفي الحديث: **عليكم بحُسن الجوار وحُسن الجوار يعمّر الدّار**، وقيل ليس حسن الجوار كفّ الأذىٰ فقط بل هو يتحقّق بأمور:

أحدها: كفّ الأذى **وثانيها**: تَحمّل الأذىٰ من جاره، **وثالثها**: إبتدائه بالسّلام، **ورابعها**: عيادته في المَرض، **وخامسها**: تَعزيته في المُصيبة، **وسادسها**: تهنئته في الفرح والسّرور، **وسابعها**: الصّفح عن زلّاته وعدم التّطلّع علىٰ عوراته، **وثامنها**: ترك مضايقته فيما يحتاج إليه من وضع جذوعه علىٰ جدارك وتسلّط ميزابه به علىٰ دارك وما أشبه ذلك وفيه أحَسِنوا جوار النِعم وتفسيره كما جائت به الرواية الشكر لمن أنعم بها عليك وأداء حقوقها وقوله عليه السلام يشمل الكلّ.

▫ قوله عليه السلام: **وَأَحَطْتُ بِجُهْدِي مِن وَّرائِكُمْ...**

أي دفعت الأشرار من ورائكم وإنّما قال عليه السلام ذلك لأنّ العدو غالباً يكون من وراء الهارب كذا فسّره الخوئي وأنت ترىٰ أنّ هذا التفسير لا يساعد كلامه إذ ليس البحث في الأعداء ولم يسبق منه ذكر العَدّو فكيف يحمل كلامه علىٰ ما حمله عليه.

والحقّ أن يقال إنّ الكلام إشارة إلىٰ عدم إطاعتهم وإنقيادهم له عليه السلام ففي الحقيقة كان عليه السلام من ورائهم مع أنّ وظيفة المأموم كونه من وراء الإمام في جميع الحركات والسكنات وحيث أنّ أصحابه كانوا غالباً علىٰ خلاف القاعدة كما يظهر ذلك من قصّة الحكمين فقال عليه السلام ما قال وحاصل المعنىٰ هو أنّي لم أتركِكم مع أنّكم كنتم مُتمرّدين عن طاعتي بل أحطتُ بجهدي من ورائكم في رفع النواقص والعيُوب وأُصلحت الأُمور بحسب جُهدي وطاقتي كما إقتَضَته المَسئوليّة.

ومن خطبة له عليه السلام (١٥٨)

▫ قوله عليه السلام: وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ ،وَأَحَطْتُ بِجُهْدِي مِن وَّرَائِكُمْ، وَأَعْتَقْتُكُم مِّن رِّبَقِ الذُّلِّ، وَحَلَقِ الضَّيْمِ ،شُكْراً مِنِّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ، وَإِطْرَاقاً عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ ،وَشَهِدَهُ الْبَدَنُ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ.

◁ اللغة

(جِوَارَ) مصدر قولك جاورته مجاورة وجواراً وقال في المجمع الكسر فيه أفصح من الضَمّ يقال أقام في جواره أي قرب مسكنه (رِّبَقِ) بفتح الراء وسكون الباء والقاف الحبل الّذي تكون فيه عدّة عرىٰ يشدّ به البُهم وكلّ عُروةٍ رَبقة بالكسر والفتح والجمع منه رِبَق بكسر الراء وفتح الباء كعِنَب وكلا هما محتملان (الذُّلِّ) الحقارة (وَحَلَقِ الضَّيْمِ) حَلَق محرّكة جمع حَلَقة والضَيم بفتح الضاد وسكون الياء الظّلم.

◁ المعنىٰ

(وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ) أي كنت لكم جاراً حَسناً (وَأَحَطْتُ بِجُهْدِي مِن وَّرَائِكُمْ) أي لم آلِ جهداً من شرّ الأعداء عنكم (وَأَعْتَقْتُكُم مِّن رِّبَقِ الذُّلِّ) أي كنتم أذلّة فأعتقتكم منها (وَحَلَقِ الضَّيْمِ) ورفعت عنكم حلق الظّلم والجور (شُكْراً مِنِّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ) أي ثناءً منّي للبرّ القليل من أفعالكم (وإطراقاً) أي سَكوتاً وغضّاً (عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ) بالمشاهدة (وَشَهِدَهُ الْبَدَنُ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ).

▫ قوله عليه السلام: **وَأَعْتَقْتُكُم مِّن رِّبَقِ الذُّلِّ وَحَلَقِ الضَّيْمِ...**

أي كنتم قبل ذلك مُقيّدين بحبل الذلّ وحلق الظّلم وفيه إشارة إلىٰ حكومة عثمان ومن كان قبله من الخلفاء وحكّامهم والتّقييد بعثمان لا دليل عليه مع أنّ عثمان أيضاً مِن تَبعات غصب الخلافة وتواليه الفاسدة المترتّبة عليه.

▫ قوله عليه السلام: **وَحَلَقِ الضَّيْم ،شُكْراً مِنّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ، وَإِطْرَاقاً عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ ،وَشَهِدَهُ الْبَدَنُ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ...**

أي كان البرّ منكم قليلاً جدّاً مع أنّ سكوتي بالبصر وما شهده البدن من المنكرات كان كثيراً وبعبارةٍ أُخرىٰ شرّكم كثير وخيركم قليل وفيه إيماء إلىٰ قلّة إعتنائهم بدينهم وكثرة النفاق فيهم وسكوته عليه السلام عمّا قد رأىٰ منهم من ترك الخيرات والإتيان بالمنكرات.

◁ المعنىٰ

(أَمْرُهُ) أي أمرُ الله تعالىٰ (قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ) لكونه مَسبُوقاً بالمصلحة (وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ) أمانٌ من العذاب ورَحمةٌ للمرحوم (يَقضي) الله (بعلم) في جميع الموارد لكونه تعالىٰ مُنزّهاً عن الجهل (ويَعفُو) عن السّيّئات (بحلم) لا بشيٍ آخر من الخَوف والعَجز وأمثالهما (اَللّٰهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلىٰ مَا تَأْخُذُ) مِنّا (وماوَتُعْطِي) لنا (وَعَلىٰ مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي) أي علىٰ السَّراء والضَّراء (حَمْداً يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ) وأعلاه (وَأَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيكَ) وأقربه (وَأَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ) وأكمَلَه (حَمْداً يَمْلأُ مَا خَلَقْتَ) ويَستوعبه (وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ) من حيث الكمال والتمام (حَمْداً لاَ يُحْجَبُ عَنْكَ، وَلاَ يُقْصَرُ دُونَكَ) لخلوصه من شَوب العُجب والرِّياء وما يمنعه عن الوصول إلىٰ درجة القبول والرّضا (حَمْداً لاَ يَنقَطِعُ عَدَدُهُ) بل كان دائمياً (وَلاَ يَفْنىٰ مَدَدُهُ) وأمده (فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ) فإنّ إدراك المتناهي غير المتناهي محال (إِلاّ أَنَّا نَعْلَمُ أَنَكَ حَيٌّ قَيُّومٌ) قائم بذاته والغير قائم به (لاَ تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ) لكونهما من شؤن الأجسام (لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ) فإنّك خفيٌ عن أنظار الناظرين (وَلَمْ يُدْرِكَكَ بَصَرٌ) لأنّك لست في جِهَةٍ حتّىٰ يدركك البَصر (أَدْرَكْتَ الأَبْصَارَ) لأنّك عالم بها خالق لها (وَأَحْصَيْتَ الأَعْمَارَ) إذ لا يخفىٰ عليك شيٌ لا في الأرض ولا في السّماء (وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ) إذ لا يمكن الفرار من حكومتك (وَمَا الذَي نَرىٰ مَنْ خَلْقِكَ) أي مخلوقاتك علىٰ كثرتها (وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ) أي مَقدُوراتك الغير المتناهية (وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ) النّافذ في الآفاق والأنفس (وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ) أكثر ممّا نراه (وَقُصِرَتْ أَبْصَارُنا عَنْهُ) أكثر ممّا نُبصره (وَانتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ) من المخلوقات المعقولات (وَحَالَتْ سُتُورُ الْغُيُوبِ بَيْنَنا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ) وأفخم فإنّ سرادقات العِزّة حائلة بيننا وبينه (فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ) لِلنّظر في عجائب المخلوقات (وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ) فيها (ليعلم) قطعاً (كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ) علىٰ كثرته (وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمٰوَاتِكَ) بغير عَمَدٍ

ومن خطبة له عليه السلام (١٥٩)

◻ قوله عليه السلام: أَمْرُهُ قَضٰاءٌ وَّحِكْمَةٌ، وَرِضٰاهُ أَمٰانٌ وَّرَحْمَةٌ، يَقْضِي بِعِلْمٍ، وَيَعْفُو بِحِلْمٍ.

اَللّٰهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلىٰ مٰا تَأْخُذُ وَتُعْطِي، وَعَلىٰ مٰا تُعٰافِي وَتَبْتَلِي، حَمْداً يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ، وَأَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ، وَأَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ ،حَمْداً يَّمْلأُ مٰا خَلَقْتَ ،وَيَبْلُغُ مٰا أَرَدْتَ، حَمْداً لاٰ يُحْجَبُ عَنْكَ، وَلاٰ يُقْصَرُ دُونَكَ.

حَمْداً لاّ يَنقَطِعُ عَدَدُهُ وَلاٰ يَفْنىٰ مَدَدُهُ، فَلَسْنٰا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ اِلاّ أَنّٰا نَعْلَمُ أَنَكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لاٰ تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلاٰ نَوْمٌ،لَّمْ يَنْتَهِ اِلَيْكَ نَظَرٌ، وَلَمْ يُدْرِكَكَ بَصَرٌ، أَدْرَكْتَ الْاَبْصٰارَ، وَأَحْصَيْتَ الْاَعْمٰارَ، وَأَخَذْتَ بِالنَّوٰاصِي وَالْاَقْدٰامِ، وَمَا الَّذِي نَرىٰ مِنْ خَلْقِكَ وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطٰانِكَ، وَمٰا تَغَيَّبَ عَنّٰا مِنْهُ، وَقَصُرَتْ أَبْصٰارُنٰا عَنْهُ، وَانْتَهَتْ عُقُولُنٰا دُونَهُ، وَحٰالَتْ سُتُورُ الْغُيُوبِ بَيْنَنٰا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ، فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ ،وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوٰاءِ سَمٰوٰاتِكَ ،وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلىٰ مَوْرِ الْمٰاءِ أَرْضَكَ، رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً، وَّعَقْلُهُ مَبْهُوراً، وَّسَمْعُهُ وٰالِهاً، وَّفِكْرُهُ حٰائِراً.

◁ اللغة

(تعافى) يقال عافاه الله إذا مُحِي عنه الأسقام والأمراض (وَتَبْتَلِي) الإبتلاء ضدّه (لاٰ يُحْجَبُ) الحُجب المَنع (حَسِيراً) حسر البصر من باب قعد، كَلَّ لطول مَدىً ونحوه فهو حسير (مَبْهُوراً) بَهره بَهراً غَلَبَه فالمَبهور المغلوب (وٰالِهاً) أَلَهَ تَحيّرَ

من اللّزوم الّذي لا يُرَد لا يكون فيها التخلّف قطعاً.

وإن كان مراده منها غيرها فكان عليه البيان.

وأمّا ما ذكره الخوئي وإستشهد على مُدّعاه بقول الزمخشري فهو كما ترى فإنّ الزّمخشري من علماء الأدب واللّغة والبلاغة وأمّا الفَلسَفة فهو بمعزلٍ عنها فكلامه فيها ليس بحُجّةٍ.

والّذي حصل لنا في المقام هو أنّ الأوامر الإلهيّة على ثلاثة أقسام:

أحدها: الأمر الإبداعي وهو الّذي يكون عين الكلام فيه مقصوداً أوّليّاً بالذّات ولا يكون بعده مقصوداً أشرَف وأهَمّ منه لكونه غايةً لما بعده وهذا مثل إبداعه تعالى عالم أمره بكلمة (كن) لا غير وهي كلمات الله التامّات والأنيّات العقليّات الّتي لا تَبيد ولا تَنقُص وليس الغرض من إنشائها منه تعالى سوى أمر الله وإليه الإشارة بقوله تعالى: **﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾**(١) وهو عالم القضاء الحتمي **﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾**

وثانيها: الأمر التّكويني وهو الّذي يكون لعين الكلام فيه مقصوداً آخر غيره إلّا أنّه يَترَتَّب عليه على وجه اللّزوم من غير جواز الإنفكاك بحسب الواقع وذلك كأمره تعالى لِلملائكة فإنّ أمر الله تعالى إذا وصل إليهم إمّا بلا واسطة أو بواسطة أمر آخر لا بواسطة خلقٍ فإنّهم يُطيعون أمر الله ولا يَتَمرّدون كما قال تعالى: **﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾**(٢) وهو عالم القَدَر قال تعالى: **﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾**(٣)

وثالثها: الأمر التّشريعي التّدويني وهو الّذي يكون لعين الكلام فيه مقصوداً آخر ولكن قد يتخلّف عنه وقد لا يتخلّف وفيما لا يَتَخلّف أيضاً إمكان التّخلف والتّعصّي إن لم يكن هناك عاصِمٌ عن الخطأ والعصيان وهذا كأوامر الله وخطاباته للمُكلَّفين بواسطة إنزال الملك وإرسال الرّسل قال تعالى: **﴿وَشَرَعَ**

١-القمر-٥٠

٢-التحريم-٦

٣-القمر-٤٩

نراها (وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلىٰ مَوْرَ الْماءِ) أي مَوجه وإضطرابه (أرضَك) مع ثقلها (رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً) خائباً كليلاً (وَّعَقْلُهُ مَبْهُوراً) مغلوباً (وَّسَمْعُهُ وٰالِهاً) مُتحيّراً (وَّفِكْرُهُ حٰائراً) قاصراً عن البُلوغ إلىٰ كُنه حقيقته.

◁ الشرح

▫ قوله ﷺ: أَمْرُهُ قَضٰاءٌ وَّحِكْمَةٌ، وَرِضٰاهُ أَمٰانٌ وَّرَحْمَةٌ...

قال البحراني ﷺ في شرح العبارة ما لفظه.

أمرَه هُو حُكم قدرته الإلٰهيّة وكونه قضاء كونه حُكماً لازماً لا يُردّ وكونه حِكمَة علىٰ وفق الحكمة الإلٰهيّة وإنتظام الأكمل ورضاه يعود إلىٰ علمه بطاعة العبد له علىٰ وفق أمره ونهيه انتهىٰ.

وقال الخوئي: يجوزان أن يراد بأمره الأمر التكويني أعني الإختراع والإحداث فيكون القضاء بمعنى الإنفاذ والإمضاء وساق الكلام إلىٰ أن قال ويجوز أن يكون المراد به الشّأن فيكون القضاء بمعنىٰ الحُكم يعني أنّ شأنه تعالىٰ حكم وحكمة لأنّه القادر القاهر العادل فبمقتضىٰ قُدرته وسُلطانه حاكم وبمُقتضىٰ عِلمِه وعَدله حكيم وكون الأمر بمعنى الشّأن قد صَرّح به غير واحد منهم الزّمخشري في تفسير الآية السّابقة ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ قال: إنّما شأنه إذا أراد شيئاً إذا دعاه داعٍ (داعي) حكمة إلىٰ تكوينه ولا صارف أن يقول له كن أن يكوّنه من غير تَوقُّفٍ فيكون منحدث أي فهو كائن موجود لا محالة انتهىٰ.

وأنا أقول: ما ذكره البحراني ﷺ وهو الأصل في شرح أمثال هذه الكلمات لغيره من الشُّراح المُقلّدين له لا يرجع إلىٰ محصّلٍ علىٰ ما فهمناه وذلك لأنّ أمره تعالىٰ هو حُكم قدرته الإلٰهيّة وكونه قضاء كونه حُكماً لازماً لا يردّ، كلام لا معنىٰ تحته إذ لقائل أن يقول أيّ أمرٍ من أوامِره هو حُكم قُدرته ثمّ أي أمر فيها يكون قضاء أي حكماً لازماً لا يُرّد فإنّا نعلم أنّ من أوامره ما لا يكون حُكماً لازماً لا يُردّ كالأوامر التّشريعيّة من الصّلاة والصّوم والحَجّ وأمثالها فإنّا نرىٰ فيها التّخلّف والعصيان بالنّسبة إلىٰ المكلّفين فلو كانت هذه الأوامر كما ذكره

وثانيهما: الإحسان المجرّد عن الرّقة وإذا وصف بها الباريْ فيراد بها المعنىٰ الثّاني أعني الإحسان المجرّد فقوله ﷺ: وَرِضٰاهُ أَمٰانٌ وَّرَحْمَةٌ معناه إحسان إلىٰ العَبد وحيث إنّ الإحسان إلىٰ الغير يَستدعي الرضا عنه فصحّ أن يقال إنّ الرضا رَحمَة.

▫ قوله ﷺ: **يَقْضِي بِعِلْمٍ، وَيَعْفُو بِحِلْمٍ...**

أي يقضي الله في حقّ عباده بسبب العلم فهو لا يخطئ في قضائه إذ الخطأ ينشأ عن الجهل بالحكم أو سَهوه ونسيانه والكلّ محال عليه ويَعفُو بحلم أي يعفو عن سيّئاتهم بسبب حلمه تعالىٰ وإنّما قال في الأوّل بعلم وفي الثّاني بحلم لأنّ شرط القضاء الصّحيح العِلم وشرط العَفو الحِلم.

▫ قوله ﷺ: **اَللّٰهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلىٰ مٰا تَأْخُذُ وَتُعْطِي، وَعَلىٰ مٰا تُعٰافِي وَتَبْتَلِي...**

ثمّ قال ﷺ اللّهم لك الحَمد علىٰ ما تأخذ مِنّا وعلىٰ ما تُعطينا وعلىٰ الرّخاء وعلىٰ الشّدة وبالجملة علىٰ كلّ حال وتوضيحه بحسب الإجمال إنّ أفعال الله تعالىٰ تنشأ عن المَصالح والمفاسد فكلّ ما فيه مَصلَحة يوجد في الخارج وكلّ ما فيه مفسدة لا يوجد فيه كما أنّ أوامره ونواهيه أيضاً علىٰ هذا الأصل.

والّذي نقول في المقام هو أنّ المصالح والمفاسد قد تكُونان في أفعاله وأوامره ونواهيه دائميّان وقد تكُونان مُوقّتَين بوقتٍ خاصٍّ لوجود المَصلَحة أو المفسدة فيهما كذلك.

فإيجاد الشّرور مثلاً لكون المفسَدة فيها غير موقّتٍ بوقتٍ معيّنٍ فهو لا توجد منه أصلاً ولهذا يقال إنّ مَحض الشّر لَم يُوجَد ولن يُوجَد أبداً كشريك الباريْ تعالىٰ.

وأمّا ما ليسَ شرّاً مَحضاً فهو ينقسم إلىٰ قسمين خيرٌ مَحض والمختلط منه ومن الشّر.

أمّا الأوّل: أعني الخير مَحضاً فهو منحصر بذاتة تعالىٰ وليس في عالم الوجود خيراً مَحضاً إلّا هُو رهو أيضاً لن يُوجَد أبداً إذ علىٰ فرض وجوده

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً﴾(1)

إذا عرفت هذا فنقول: قوله عليه السلام: **أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ**، المراد به هو الأمر الأوّل أعني الإبداعي الّذي هو عالم القَضاء الحَتمي والقضاء عبارة عن وجود الصُّور العقليّة لجميع الموجودات بإبداع الباريء تعالى إيّاها في العالم العقلي على الوجه الكلّي بلا زمانٍ على ترتيبها الطّولي الّذي هو بإعتبار سلسلة العِلل والمعلولات والعرضي الّذي هو بإعتبار سلسلة الزّمانيّات والمُعدّات بحسب مقارنة جُزئيّات الطَّبيعة المُنتَشرة الأفراد لأجزاء الزّمان.

كما أنّ القدر عبارة عن ثُبوت صُور جميع الموجودات في العالم النّفسي على الوجه الجُزئي مطابقةً لما في مَوادّها الخارجيّة الشّخصية مُستندةً إلى أسبابها الجُزئيّة.

وأمّا كونه حِكمة فنقول: الحِكمة بحسب الإصطلاح على قسمين:

أحدهما: العلم التّصوري بتَحقُّق ماهيّة الأشياء والتّصديق بها باليقين المَحض المُحقّق.

وثانيهما: الفعل المُحكم بأن يكون نظماً جامعاً لكلّ ما يحتاج إليه من كمال مترتّبة والله تعالى حكيم على المَعنيين وفعله نفس الحكمة وعليه فأمرُه الإبداعي قضاء أي عبارة عن وجود الصُّور العَقلَيّة، وحِكمةً بكلا المَعنَيين وهذا معنى كلامه عليه السلام فإفهم وتَدبَّر فيه فحكمته تعالى بعينها هي إيجاده الموجودات على أحكم الوجوه وأصلَحها وأتقَنها فهي الأمر الإبداعي والأمر هي كما أنّ القَضاء أعني وجود الصُّور العَقليّة هو الأمر والأمر هو والله العالم بحقائق الأُمور.

وأمّا قوله عليه السلام: **وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ**، أي ورضا الله عن العبد أمانٌ له عن العذاب وَرَحمَة والرّحمة تستعمل على معنيين:

أحدهما: الرّقة المُجرّدة.

1- الشورى - 13

لا تَعلَمُونَ﴾[1] فَمُلخّص الكلام أنّ العلم بالمصالح والمفاسد من خواصّ الواجب تعالىٰ ولا دخل لنا فيه فكلّ ما يَصل منه إلينا فهو نِعمة قطعاً كما هو المفروض إذ لا نعني بها إلّا ما هو أصلح بحالنا في الواقع ونفس الأمر وعليه فلا يصِل منه إلينا إلّا النِّعمة وإن غلب علىٰ ظَنّنا خلافها فإنّ الملاك في كونها نِعمة ليس ظَنّ المُنعَم عليه أو علمه بل الملاك وجود المَصلَحة فيه وعدمه والمفروض وجودها هذا:

ثمّ إنّ الحمد كما مرّ منّا مرارا لا يكون إلّا علىٰ النِّعمة وحيث قد ثبت كون الواصل من الله إلينا نِعمَة فالحَمد لا محالة ثابت له فإنّ شُكر المُنعِم علىٰ المُنعَم عَليه واجب عقلاً فينتج أنّ الحَمد ثابت لنا علىٰ جميع ما يصل إلينا منه تعالىٰ أيّ شيئ كان و لهذا قال عليه‌السلام: **لك الحَمد** الخ.

▫ قوله عليه‌السلام: **حَمْداً يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ، وَأَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيكَ، وَأَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ...**

أشار عليه‌السلام بقوله هذا إلىٰ أنّ الحَمد له مراتب شِدّةً وضَعفاً وكمالاً ونقصاً بحسب قُرب الحامد وبعده وإخلاصه وعدم إخلاصه كما أنّ للعبوديّة مراتب بالنسبة إلىٰ العبد ولمّا كان الأمر كذلك ولا يَعلم العبد مَرتَبة حَمده فَصَحّ أن يقال: حمداً يكون أرضىٰ الحَمد لك وهكذا وحاصل المعنىٰ أنّي أحَمدُكَ حَمداً يكون أرضىٰ عندك وأحَبّ وأفضَل من غيره.

▫ قوله عليه‌السلام: **حَمْداً يَمْلأُ مَا خَلَقْتَ ،وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ، حَمْداً لاَ يُحْجَبُ عَنْكَ، وَلاَ يُقْصَرُ دُونَكَ، حَمْداً لاَ يَنقَطِعُ عَدَدُهُ وَلاَ يَفْنَى مَدَدُهُ...**

ثمّ قال عليه‌السلام: **حَمْداً يَمْلأُ مَا خَلَقْتَ** أي حمداً كاملاً شاملاً ويبلغ أي يبلغ الحَمد من حيث التّمام والكمال لما أردتَ منه وحَمداً لا يحجَب ولا يَمنع عنك ولا يقصر دُونك حَمداً لا يَنقطع عدده ولا يفنىٰ مدَدَه والحاصل أحمدُكَ حَمداً يليق بشأنك كما أنت أهله فإنّا لا نقدر علىٰ أكثر ممّا نقول ونعترف به من العجز عن أداء حقّك:

١- البقرة-٢١٦

يكون مخلوقاً له تعالىٰ وكلّ مخلوق ممكن وكلّ ممكن ناقص والنَّقص شرٌّ فما فرضناه خيراً محضاً علىٰ فرض وجوده يكون شرّاً وهو خلاف الفرض فهو لا يُصلح لِلإيجاد .

وأمّا المُخلتط منهما فهو علىٰ ثلاثة أقسام:

أحدها: كون الخَير والشّرّ فيه متساويين.

وثانيها: غالب الخَير علىٰ الشّرّ.

وثالثها: عكسه.

والأوّل منها أيضاً لا يُوجَد لعدم التَّرجيح إذ ملاك الوجود الخَير وملاك عدم الوجود الشّرّ والمفروض تساويهما، وأمّا الثّاني والثّالث فهما موجودان وعليهما مدار الخِلقة والإيجاد إذا عرفت هذا فنقول:

الخَير والشّرّ قد يختلفان بإختلاف الأشخاص من حيث الإستعدادات والقابليّات بالنّسبة إلىٰ الأزمِنة، فرُبَّ شَخصٍ يكون وجود المال أو المقام أو الصّحة وأمثالها من النِّعَم أَنفَع وأصلَح له من عَدمه بمعنىٰ أنّ خَيره غالبٌ علىٰ شَرّه وربّما يكون الأمر بالعكس فإن كان الأوّل لا محالة يَتّصف بواحدٍ منها أو بجميعها وإن كان الثّاني فلا يتّصف وربّما يكون وجودها وعدمها بالنّسبة إلىٰ شخصٍ واحد أيضاً متفاوتة بحسب الزّمان ففي زمان يكون وجُودها أنفع وفي زمان عدمها أنفع وتشخيص هذا الأصل علىٰ الخالق وحيث إنّ المدار علىٰ غالب الخَير فكُلّ ما يأتينا من عنده فهو غالب الخَير سواء كان الفَقر أو الغنىٰ وسواء كان الصِحّة أو المرض وهكذا فالسَّراء والضَّراء كلاهما لا إشكال فيهما لَغلبة خيرهما علىٰ شَرّهما ومن هنا يعلم أنّ التَّعبير بالسَّرّاء والضَّرّاء أو النِّعمة والنِّقمة إنّما هو مِنّا وبالقياس إلىٰ أفهامنا القاصرة عن درك الحقائق وأمّا بالنّسبة إلىٰ الواقع فالكلّ خَيرٌ لنا وإلىٰ هذا المعنىٰ أُشير في القرآن بقوله تعالىٰ: ﴿**وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ**

عالماً قادراً فهو حيٌّ لا محالة كيف وقد قالوا إنّ الحَيّ هو الدّرّاك الفَعّال بمعنىٰ أنّهما يدلّان عليه.

وأمّا النّقل: فلقوله تعالىٰ: **﴿اللهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاٰ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاٰ نَوْمٌ﴾**(١)

و: **﴿اَللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾**(٢)

و: **﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾**(٣)

و: **﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاٰ يَمُوتُ﴾**(٤)

و: **﴿هُوَ الْحَيُّ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ﴾**(٥) وأمّا القيّوم فهو القائم بالذّات وقيام الغير به والله تعالىٰ كذلك فهو القيّوم عقلاً ونقلاً.

أمّا العقل: فلأنّه واجب الوجود والواجب قائم بالذات لأنّه لو كان قائماً بالغير فهو معلول للغير إذ لا نعني بالمعلول إلّا ما كان وجوده عن غيره ومعنىٰ ذلك قيامه به إذ كلّ معلولٍ قائم بالعِلّة فلو كان الواجب قائماً بغيره يكون مَعلُولاً له وهو ينافي الواجبيّة.

وأمّا أنّ الغير قائم به فقد ظَهَر وَجهه ممّا ذكرناه فإنّ الغير معلولٌ له والمعلول قائم بالعلّة فقد ثبت أنّه تعالىٰ قائم بذاته وغيره قائم به وهو المطلوب.

وأمّا النّقل: فالآيات المذكورة كلّها تدلّ علىٰ المُدّعى حيث وصف الحَيّ بالقيّوميّة وإنّما قَيّدَه بها لِلدّلالة علىٰ أنّ الحَيّ القيّوم هو الواجب تعالىٰ فحسب وأمّا الحيّ بما هو هو فلا يختصّ به.

▫ قوله ﷺ: **لاٰ تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلاٰ نَوْمٌ، لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ، وَلَمْ يُدْرِكَكَ بَصَرٌ...**

نفىٰ ﷺ عنه تعالىٰ أربعة أشياء:

أحدها: السنة.

١- البقرة ـ ٢٥٥
٢- آل عمران ـ ٢
٣- طه ـ ١١١
٤- الفرقان ـ ٥٨
٥- غافر ـ ٦٥

□ قوله ﷺ: **فَلَسْنا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ إلاّ أنّا نَعْلَمُ أَنَكَ حَيٌّ قَيُّومٌ...**

وفيه إشعار بالعجز المذكور وذلك لأنّ الحمد له تعالىٰ كما هو أهله موقوف علىٰ معرفته تعالىٰ حقيقةً وحيث إنّ المعرفة كذلك محال للمخلوق فلا محالة حمده كما هو أهله أيضاً محال وقد بَيّنا فيما مضىٰ وجه عدم مَعرفة الله حقّ معرفته وأنّ المخلوق المُتناهي الضّعيف لا يمكن له الإحاطة بغير المتناهي فلا يمكن حمده إلّا بقدر مَعرفته ولمّا كانت المَعرفة الحَقيقيّة غير ممكنٍ للَممكن قال ﷺ: **إلاّ أنّا نَعْلَمُ أَنَكَ حَيٌّ قَيُّومٌ** ذكر ﷺ من صفاته هذين الوصفين لكونهما الأصل بالنّسبة إلىٰ غيرهما من الصفات.

وذلك لأنّ العلم والقدرة والعَدل وأمثالها من الصفات فرع علىٰ حياته ووجوده فما ليس موجوداً كيف يكون عالماً قادراً أليسَ كلّ الصفات من شئون الوجود؟

وأمّا القيّوميّة فهي أيضاً كذلك لأنّها عبارة عن الوجود القائم بالذات فهي في الحقيقة مع الحياة إلّا أنّ كلّ قيّومٍ فهو حَيٌّ وليس كلّ حيّ قيّوم فبينهما عموم وخصوص مطلقاً وتوضيحه.

أنّ الحَيّ يطلق بحسب الاصطلاح علىٰ الموجود القائم بالغير وعلىٰ الموجود القائم بنفسه فالمخلوقات تتّصف به بالمعنىٰ الأوّل والواجب يتّصف به بالمعنىٰ الثّاني كما أنّ الوجود أيضاً كذلك والحقّ أنّ الوجود والحياة لفظان مترادفان والفرق بينهما بالإعتبار فالوجود يقابل العدم والحَيّ يقابل المَيّت والدّليل علىٰ كونه تعالىٰ حَيّاً أنّه أعطىٰ الحياة لغيره ومُعطي الشئ لا يكون فاقداً له أمّا أنّه مُعطي الحياة فلا شكّ فيه وقد فرغنا عن البحث فيه وأمّا أنّ مُعطي الشّئ لا يكون فاقداً له فالوجه فيه أنّه لو كان فاقداً لِما أعطاه يلزم أن يكون الشّئ المعلول بلا علّةٍ أو معلولاً لما هو نقيضه وكلا هما محال فإذن قد ثَبت كونه حَيّاً كما ثَبت أنّه عالمٌ قادرٌ مريدٌ متكلّمٌ.

وثانياً أنّ الصفات كلّها من لوازم الحياة وتوابعها وحيث إنّه قد ثبت كونه

كناية عمّا ذكرناه وكيف كان فما ذكره عليه السلام مؤيّد بالقرآن:

أمّا الأوّل:

فلقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١)

والثّاني:

فلقوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾ (٢)

و: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ (٣)

و: ﴿لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً﴾ (٤)

و: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً﴾ (٥)

والثالث:

قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (٦)

و: ﴿مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ (٧)

▫ قوله عليه السلام: **وَمَا الَّذِي نَرَىٰ مِنْ خَلْقِكَ وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ...**

كلمة (ما) نافية أو إستفهاميّة علىٰ سبيل التّحقير فعلىٰ الأوّل معنىٰ الجملة ليس الّذي نرىٰ من خلقِك علىٰ كثرته ونعجَب له من قدرتك الغير المتناهية ونَصِفه من عظيم سُلطانك القاهر علىٰ كلّ شيء ممّا يُعتنىٰ به بالنّسبة إلىٰ ما غاب عنّا مثلاً وعليه فنحتاج إلىٰ التقدير في آخر الكلام.

وعلىٰ الثّاني معناه فالّذي نَرىٰ أيُّ شيْ نَرىٰ من خلقك مع كثرتها وهكذا وهذا أولى من الأوّل.

أمّا أوّلاً: فلإنّا نرىٰ من خلقه وقدرته وسلطانه ما نرىٰ ولا يصحّ سلب الرّؤية إلّا علىٰ سبيل المَجاز ولا دليل عليه فإنّ العلاقة المُصحّحة له لا توجد في المقام.

١- الأنعام-١٠٣
٢- الجن-٢٨
٣- الكهف-٤٩
٤- مريم-٩٤
٥- النبأ-٢٩
٦- الرحمٰن-٤١
٧- هود-٥٦

وثانيها: النوم.

وثالثها: أن يكون منظوراً.

ورابعها: أن يكون مُبصَراً بالبصر والوجه في الكلّ أنّ هذه الأُمور من لوازم الأجسام وهو تعالىٰ مُنزّهٌ من الجِسميّة أمّا السِنَة: بكسر السين وفتح النّون فهو النعاس وهو الفُتور الّذي يَتَقدَّم النوم ومعلوم أنّها من لوازم الجسم وحيث إنّه ليس بجسم فلا تأخذه سِنَة.

وأمّا النّوم فهو بطريقٍ أولىٰ إذ لَو لَم تأخذه سِنة فكيف يأخذه النّوم الّذي تتحقّق بعدها؟

وأمّا أنّه تعالىٰ لا يكون مَنظُوراً بالنظر فلعدم كونه في جهةٍ ووضع وبهذا الدليل لا يدركه البَصَر أيضاً وقد تَكلّمنا في هذه الأُمور سابقاً وأقمنا هناك البراهين القاطعة علىٰ المُدّعىٰ فلا نُعيد الكلام ثانياً فقد روي العيّاشي عن الصادق عليه السلام أنّه رآىٰ جالساً مُتورّكاً بِرِجله علىٰ فَخذِه فقيل له هذه جلسة مَكرُوهة فقال: لأن اليهود قالَت إنّ الرّب لَمّا فَرَغ من خَلق السّموات والأرض جلس علىٰ الكُرسي هذه الجلسة لِيَستريح فأنزل الله ﴿**اَللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، لاٰ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاٰ نَوْمٌ**﴾ تفسير الصّافي ص ٦٧.

▫ قوله عليه السلام: **أَدْرَكْتَ الْأَبْصَارَ، وَأَحْصَيْتَ الْأَعْمَارَ، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ**...

أدركَتَ الأبصار أي أحطتَ بها وعلمت المُبصرَات فإنّ المراد بكونه تعالىٰ بصيراً أنّه عالم بالمُبصَرات لا أنّه بَصيرٌ بآلة البَصَر كما فينا ولأجل هذه الدقيقة عبّر عليه السلام بالإدراك وقال: أدركت الأبصار.

وقوله عليه السلام: **وَأَحْصَيْتَ الْأَعْمَارَ** إشارة إلىٰ أنّه لا يَعزُب عن علمه مثقال ذرّةٍ في الأرض وفي السّماء.

وقوله عليه السلام: **وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي** والأقدام معناه أنّك تأخذ الناس بما كَسَبُوا فإنّ النّواصي جمع ناصية والاقدام جمع قدم ولا يبعد أن يكون قوله عليه السلام هذا

في فكره وذلك لأنّ مظاهر القُدرة عَظيمة كَثيرة جدّاً والإدراكات منّا قليلة ضعيفة وقد فصّلنا الكلام في هذه الأُمور عند بَحثنا في خلق السّموات والأرض في المجلّد الأوّل من الكتاب عند شَرحنا للخطبة الأُولى ومع ذلك نشير إلىٰ مطالب قليلة ممّا حوته الخطبة المبحوثة عنها في المقام فنقول: في المقام أبحاث:

البحث الأوّل في شرح قوله عليه السلام: **كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ...**

العَرش بفتح العين وسكون الرّاء والشّين في الأصل شيء مُسقّف وجَمعه عُروش، وأيضاً العَرش شِبه هودجٍ لِلمرأة شبها في الهَيئَة بعَرش الكرم ويسمّىٰ مجلس السُّلطان عَرشاً إعتباراً بعُلوّه ثمّ كنّي به عن العِزّ والسُّلطان والمَملَكة قاله الرّاغب في المفردات قال الله تعالىٰ: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾(١)

و: ﴿الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ﴾(٢)

و: ﴿فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾(٣)

و: ﴿اللهُ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾(٤)

و: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(٥) وأمّا حقيقة عرشه وعظمته فليس للبشر إليها سبيل ولا نعلم منه إلّا إسمه.

وقد نقل المجلسي رحمه الله في البحار عن المحتضر بإسناده قال خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: سَلُوني فإنّي لا أُسئَل عن شيءٍ دُون العرش إلّا أجبت فيه ولا يقولها بعدي إلّا جاهل مُدّعٍ أو كذّاب مُفترٍ انتهىٰ «ج ١٤ ص ٨».

وعن تفسير العسكري عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله لمّا خلق العرش خلق له ثلاث مِائة وستّين ألف رُكن وخَلَق عند كلّ ركن ثلاث مِائة وستّين ألف مَلَك لو أذن الله تعالىٰ لأصغرهم فإلتقم السّموات السّبع والأرضين

١- التّوبة ـ ١٢٩.
٢- طه ـ ٥.
٣- المؤمنون ـ ١١٦.
٤- النّمل ـ ٢٦.
٥- الزخرف ـ ٨٢.

وثانياً: أنّه يحتاج إلىٰ التقدير والأصل عدمه فالحقّ في المقام أنّ كلمة (ما) لِلإستفهام التَّحقيري.

□ قوله ﷺ: **وَمٰا تَغَيَّبَ عَنّٰا مِنْهُ، وَقُصُرَتْ أَبْصارُنٰا عَنْهُ، وَانْتَهَتْ عُقُولُنٰا دُونَهُ، وَحٰالَتْ سُتُورُ الْغُيُوبَ بَيْنَنٰا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ...**

وعلىٰ ما إخترناه من كون كلمة ما (إستفهاميَة) فالواو في قوله ﷺ: **وَمٰا تَغَيَّبَ**، للحال: والمعنىٰ والحال أنّ ما تَغيَّب عنّا منه، أي من كلّ واحد من الخلق والقدرة والسُّلطان، وقَصُرت أبصارنا منه أي من رُؤيته وإنتهَت عقولنا دُونه بعدم وصولها إليه وحالت سَواتر الغُيُوب أي سُرادقات العِزّة وأستار القُدرة بَيننا وبَينه أي بين الغائب، أعظم مِمّا لا يكون كذلك وبعبارةٍ أُخرىٰ ما نرىٰ ونَدرك من عجائب خلقك وعظم سلطانك بالنّسبة إلىٰ ما تَغيَّب عن حوَاسنا وعُقولنا ليس إلّا شيئاً يَسيراً فالغائب عن الحواس أعظم ممّا نشاهده و نُدركه هذا.

□ قوله ﷺ: **فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ ،وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ...**

أي فمن فرغ قبله عن الأوهام والوساس الشَيطانيَة المانعة عن توجّهه إلىٰ أسرار الخِلقة وأعمَل فكره وأمعَن نظره ليَعلَم كيف أقمتَ عَرشك وكيف ذرأتَ وخلقتَ خلقك.

□ قوله ﷺ: **وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَواءِ سَمٰوٰاتِكَ ،وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلىٰ مَوْرَ الْمٰاءِ أَرْضَكَ...**

أي وكيف عَلَّقتَ سَماواتك في الهواء بغير عَمَدٍ نراها وكيف مَدَدتَ وبَسَطتَ علىٰ مَور الماء ومَوجه أرضك الّتي تحت أقدامنا.

□ قوله ﷺ: **رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً، وَعَقْلُهُ مَبْهُوراً، وَسَمْعُهُ وٰالِهاً، وَفِكْرُهُ حٰائِراً...**

هذه نتيجة لما تقدّم أي من فَرَغ قلبه وأعمل فكره ليعلم ما ذكرناه لا تَحصَل له إلّا الكلالة والملالة والحَيرة في عَقلِه والوَلَه في سَمعه والإضطراب والدّهشة

عشرين ألف عام لم يَنَل رأس قائمة من قوائم العرش ثمّ ضاعفَ الله في الجناح والقُوّة وأمَره أن يَطير فطار مقدار ثلاثين ألف عام لم يَنل أيضاً فأوحىٰ الله إليه أيّها الملك لو طرت إلىٰ نَفخ الصُّور مع أجنحتك وقُوّتك لَم تَبلغ إلىٰ ساق عرشي فقال الملك فسُبحان ربّي الأعلىٰ فأنزل الله عزّ وجل سَبّح إسم ربّك الأعلىٰ فقال النّبي: إجعلوها في سجودكم انتهىٰ« ج ١۴ ص ٩٩»...

أقول: والأحاديث في عظمة العرش كثيرة وأظنّ أنّ فيما ذكرناه كفاية في المقام.

وأمّا الكلام في أنّ العرش ما هو فقد مَرّ منّا البحث فيه في المجلّد الأوّل وقلنا إنّ الأقوال فيه مختلفة لإختلاف الرّوايات في الباب فَيَظهر من بعضها أنّ العرش هو قلب المُؤمن، وفي بعض آخر العَرش هو علمه تعالىٰ، وفي بعض آخر هو قدرته وهكذا ولأجل هذا نقول إنّا لا نعرف من العرش إلّا إسمه وأمّا حقيقته فالله أعلم بها.

البحث الثاني في شرح قوله ﷺ: **وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ...**

قال الرّاغب في المفردات الذرّة إظهار الله تعالىٰ ما أبدأه يقال ذرأ الله الخلق أي أوجَدَ أشخاصهم انتهىٰ.

أقول: وعليه فالمعنىٰ كيف أوجَدتَ خلقك قال الله تعالىٰ: **﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾**(١)

و: **﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾**(٢)

وعن الخصال بإسناده عن محمّد ابن مسلم قال سمعت أبا جعفر يقول: لقد خلق الله عزّ وجلّ في الأرض مُنذ خَلقها سَبعة عالمين ليسوا هم من ولد آدم خلقهم من أديم الأرض فأسكنهم فيها واحداً بعد واحدٍ مع عالَمِه ثمّ خلق الله عزّ وجلّ آدم أبا هذا البَشر وخَلق ذُرّيته منه ولا والله ما خلقت الجَنّة من أرواح المؤمنين منذ خلقها ولا خلقت النّار من أرواح الكفّار والعُصاة منذ

١- المؤمنون ـ٧٩ ٢- الملك ـ٢۴

السّبع ما كان ذلك بين لَهَواته إلّا كالرَّملة في المفازة الفضفاضة فقال لَهم الله يا عبادي إحتملوا عرشي هذا فتعاطوه فَلم يُطيقوا حَملَه ولا تَحريكه فَخَلق الله عزّ وجلّ مع كلّ واحدٍ منهم واحداً فلم يقدروا أن يُزعزِعُوه فَخَلق الله مع كلّ واحد عَشَرة فلم يقدروا أن يُحرّكوه فَخَلق الله بِعَدد كلّ واحد مثل جماعتهم فلم يقدروا أن يُحرّكوه فقال الله عزّ وجل لجميعهم خَلّوه عَلَيّ أمسكه بقدرتي فأمسكه الله عزّ وجل بقدرته ثمّ قال لثمانية فيهم إحملوه أنتم فقالوا يا ربّنا لَم نُطقه نحن وهذا الخلق الكثير والجمّ الغفير فكيف نُطيقه الآن دُونهم فقال الله عزّ وجل لأنّي أنا الله المُقرّب للبعيد والمُخفّف للشّديد والمُسهّل لِلعَسير أفعلُ ما أشاءُ وأحكمُ ما أُريد أُعلّمكم كلمات تَقُولونها يَخفّ بها عليكم قالوا وما هي قال تقولون بسم الله الرحمن الرحيم ولا حَول ولا قوّة إلّا بالله العلّي العظيم وصلّىٰ الله علىٰ محمّد وآله الطيّبين فقالوها وحملوه وخفّ علىٰ كواهلهم كشعرة نابتة علىٰ كاهل رجلٍ جَلَدٍ قَوّي فقال الله عزّ وجل لسائر تلك الأملاك خَلّوا علىٰ هؤلاء الثّمانية عرشي ليَحلموه وطُوفُوا أنتم حوله وسبّحوني ومجّدُوني وقدّسُوني فأنا الله القادر المطلق علىٰ ما رأيتم وعلىٰ كلّ شيئ قدير انتهىٰ «ج ١٤ ص ١٩٩»...

وعن كتاب روضة الواعظين روي جعفر ابن محمّد عن أبيه عن جدّه أنّه ﷺ قال: في العرش تِمثال ما خَلَق الله من البَرّ والبَحر قال وهذا تأويل قوله (وإن من شيء إلّا عندنا خزائنه) وإنّ بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثّانية خفقان الطير المُسرع مسير ألف عام والعَرش يكسي كلّ يوم سَبعين ألف لون من النُّور لا يستطيع أن ينظر إليه والأشياء كلّها في العرش كحلقةٍ في الفلاة وإنّ لله تعالىٰ مَلَكا يقال له خرقائيل له ثمانية عَشر ألف جناح ما بين الجُناح إلىٰ الجناح خمس مِائة عام فَخَطر له خاطر هل فوق العرش شيء فزاده الله تعالىٰ مثلها أجنحة أُخرىٰ فكان له سِتّ وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح إلىٰ الجناح خمس مِائة عام ثمّ أوحىٰ الله إليه أيّها الملك طِر فطار مقدار

وقوله عليه السلام: وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلىٰ مَوْرَ الْماءِ أَرْضَكَ...

أصل المَدّ البَسط وفيه إشارة إلىٰ أنّ الأرض قد بَسَطها الله تعالىٰ علىٰ مَور الماء ومَوجه قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهاراً﴾ (١)

و : ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ (٢)

و : ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (٣)

وأمّا كون الأرض علىٰ مَور الماء فقد تقدّم الكلام فيه أيضاً في المجلّد الأوّل ونَزيدك في المقام أنّ ما ذكره عليه السلام من أنّ الأرض علىٰ مَور الماء لا منافاة بينه وبين ما إستقرّ عليه الرأي العِلمي اليوم علىٰ أنّها كانت جُزءٌ من الشّمس وذلك لأنّ قوله عليه السلام لايَدُلّ علىٰ أكثر من أنّ الأرض قد أحاطها الماء من جميع جهاتها كما هو ثابت الآن فإنّ الأرض المَسكون هي ربع كُرة الأرض فثلاثة أرباع منها الماء وربع آخر خال عنه قابل لِلسُّكُونة وعليه فلا يبعد أن يكون مراده عليه السلام أنّ الأرض الّتي تَصلَح لِلسُكونة علىٰ مَور الماء أي مُحاطة به والماء مُحيط بها لا مطلق الأرض أعني كرة الأرض علىٰ مَور الماء إذ يلزم علىٰ ذلك كون الماء علىٰ الماء وهو كماترىٰ:

ويؤيّد ما ذكرناه أنّ المَور هو المَوج والإضطراب وحيث قال عليه السلام: علىٰ مَور الماء ولم يقل علىٰ الماء مثلاً، أشار به إلىٰ ما ذكرناه وأمّا الشرّاح فظنّوا أنّ كلامه عليه السلام هذا يدّل علىٰ أنّ الأرض خُلقت عن موج الماء فقوله عليه السلام: وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلىٰ مَوْرَ الْماءِ إشارة إلىٰ خلقها منه وأنت ترى أنّ الكلام لا يدلّ عليه وأنّها خُلِقَت منه بل يدلّ علىٰ كونها قديماً وحَديثاً عليه وبين المَعنَيين بونٌ بعيد فقوله عليه السلام في الخُطبة الأُولىٰ من الكتاب حيث قال عليه السلام هناك: ثمّ أنشأ سُبحانه فَتق الأجواء وشَقّ الأرجاء إلىٰ آخر ما قال يَحمَل علىٰ ما ذكره في المقام ويُقيّد

١- الرّعد-٣
٢- الحجر-١٩ و ق ٧
٣- الغاشية-٢٠

خَلقها عزّ وجلّ لعلّكم ترون أنّه كان يوم القيامة وصيّر الله أبدان أهل الجنّة مع أرواحهم في الجنّة وصَيّر أبدان أهل النّار مع أرواحهم في النار أنّ الله عزّ وجلّ لا يعبد في بلاده ولا يخلق خلقاً يعبدونه ويُوحّدونه ويُعظّمونه بلىٰ والله ليخلقنّ الله خَلقاً من غير فُحولةٍ ولا إناثٍ يعبدونه ويُوحّدونه ويُعظّمونه ويخلق لهم أرضا تَحملهم وسَماء تَظِلّهم أليس الله عزّ وجل يقول: (يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسّموات) وقال الله عزّ وجلّ: (أفَعَيينا بالخلق الأوّل بل هم في لبس من خلقٍ جديدٍ) انتهىٰ «بحار الأنوار ج ١٤ ص ٧٨»...

وعن العيّاشي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ لله عزّ وجلّ إثني عشر ألف عالم كلّ عالم منهم أكبر من سَبع سَموات وسَبع أرضين ما يرىٰ كلّ عالمٍ منهم إنّ لله تعالىٰ عالماً غيرهم وإنّي لَحُجّةٌ عليهم انتهىٰ «ص ٧٩»...

والأحاديث في الباب كثيرة وقوله عليه السلام: وكيف ذرأتَ خَلقك إشارة إلىٰ سّر الخلقة وأنّه مَجهول لنا ولغيرنا وذلك لأنّ سّر الخِلقة وكيفيّة إيجاده الممكنات علىٰ وجه التفضيل لايعلَمه إلّاالله تعالىٰ وأمّا قوله عليه السلام: وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَواءِ سَمٰوٰاتِكَ فهو إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ حيث قال: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمٰاءَ أَنْ تَقَعَ عَلىَ الْاَرْضِ اِلّاٰ بِاِذْنِهِ﴾ (١)

و : ﴿وَمِنْ آيٰاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمٰاءُ وَالْاَرْضُ بِاَمْرِهِ﴾ (٢)

و : ﴿اللهُ الَّذي رَفَعَ السَّمٰوٰاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهٰا﴾ (٣)

و : ﴿خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهٰا﴾ (٤)

و : ﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ أَنْ تَزُولاٰ﴾ (٥)

وأمّا البحث في مَعنىٰ السّماء وحقيقتها وما يتعلّق بها فقد مَرّ في شرح الخطبة الأولىٰ.

١- الحج ـ ٦٥
٢- الروم ـ ٢٥
٣- الرعد ـ ٢
٤- لقمان ـ ١٠
٥- فاطر ـ ٤١

يَعْمَلُ سَفائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِجُلَسائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَها؟ وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِن ثَمَنِها:

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عليه السلام قَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ، وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ ،وَكَانَ إِدامُهُ الْجُوعَ، وَسِراجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وَظِلالُهُ فِي الشِّتاءِ مَشارِقَ الأَرْضِ وَمَغارِبَها، وَفاكِهَتُهُ وَرَيْحانُهُ ما تُنبِتُ الأَرْضُ لِلْبَهائِمِ ،وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، وَلا مالٌ يَلْفِتُهُ، وَلا طَمَعٌ يُذِلُّهُ ،دابَّتُهُ رِجْلاهُ، وَخادِمُهُ يَداهُ!

فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ، صلى الله عليه وآله فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَن تَأَسّىٰ، وَعَزاءً لِّمَن تَعَزّىٰ، وَأَحَبُّ الْعِبادِ إِلَى اللهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ ،وَالْمُقْتَصُّ لأَثَرِهِ، قَضَمَ الدُّنْيا قَضْماً، وَّلَمْ يُعِرْها طَرْفاً، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيا كَشْحاً، وَّ أَخْمَصُهُم مِّنَ الدُّنْيا بَطْناً، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيا فَأَبىٰ أَنْ يَقْبَلَها، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ سُبْحانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ، وَصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينا إِلاّ حُبُّنا ما أَبْغَضَ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَتَعْظِيمُنا ما صَغَّرَ اللهُ وَرَسُولُهُ، لَكَفىٰ بِهِ شِقاقاً لِلّهِ، وَمُحادَّةً عَنْ أَمْرِ اللهِ، وَلَقَدْ كانَ صلى الله عليه وآله يَأْكُلُ عَلَى الأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ ،وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمارَ الْعارِيَ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيَكُونَ السِّتْرُ عَلىٰ بابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصاوِيرُ، فَيَقُولُ: يا فُلانَةُ ـ لإِحْدىٰ أَزْواجِهِ ـ غَيِّبِيهِ عَنِّي، فَإِنِّي إِذا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيا وَزَخارِفَها، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيا بِقَلْبِهِ، وَأَماتَ ذِكْرَها مِن نَّفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَن تَغِيبَ زِينَتُها عَنْ عَيْنِهِ لِكَيْلا يَتَّخِذَ مِنْها رِياشاً، وَّلا يَعْتَقِدَها قَراراً، وَلا يَرْجُوَ فِيها مُقاماً، فَأَخْرَجَها مِنَ النَّفْسِ، وَأَشْخَصَها عَنِ الْقَلْبِ، وَغَيَّبَها عَنِ الْبَصَرِ ،وَكَذٰلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَن يَّنظُرَ إِلَيْهِ، وَأَن يُّذْكَرَ عِنْدَهُ:

وَلَقَدْ كانَ فِي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ما يَدُلُّكَ عَلىٰ مَساوِي الدُّنْيا وَعُيُوبِها، إِذْ جاعَ فِيها مَعَ خاصَّتِهِ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخارِفُها مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ، فَلْيَنظُرْ ناظِرٌ بِقَلْبِهِ أَكْرَمَ اللهُ مُحَمَّداً بِذٰلِكَ أَمْ أَهانَهُ؟ فَإِن قالَ: أَهانَهُ، فَقَدْ كَذَبَ وَاللهِ الْعَظِيمِ وَأَتىٰ بِالإِفْكِ الْعَظِيمِ، وَإِنْ قالَ: أَكْرَمَهُ ،فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيا لَهُ،

به وإن كان هو أيضاً لا يخالف ما ذكره هيهنا بحسب الواقع وقد ذكرنا هناك ما يُغنيك وأمّا تفصيل الكلام فيه فيحتاج إلى تأليف كتاب مستقلّ في عِلم الهيئة:

□ قوله ﷺ: رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً، وَعَقْلُهُ مَبْهُوراً، وَسَمْعُهُ وٰالِهاً، وَفِكْرُهُ حٰائِراً...

ففيه إيماء بل تصريحٌ بأنّ أسرار الخلقة علينا خفيّة لا يعلمها إلّا هو ولا شكّ فيه.

من هذه الخُطبة

□ قوله ﷺ: يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللهَ! كَذَبَ وَالْعَظِيمِ! مٰا بٰالُهُ لاٰ يَتَبَيَّنُ رَجٰاؤُهُ فِي عَمَلِهِ، فَكُلُّ مَنْ رَّجٰا عُرِفَ رَجٰاؤُهُ فِي عَمَلِهِ اِلاّ رَجٰاءَ اللهِ تعالىٰ فَاِنَّهُ مَدْخُولٌ، وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ اِلاّ خَوْفَ اللهِ فَاِنَّهُ مَعْلُولٌ، يَرْجُو اللهَ فِي الْكَبِيرِ، وَيَرْجُو الْعِبٰادَ فِي الصَّغِيرِ، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مٰا لاٰ يُعْطِي الرَّبَّ. فَمٰا بٰالُ اللهِ« جَلَّ ثَنٰاؤُهُ» يُقَصَّرُ بِهِ عَمّٰا يُصْنَعُ لِعِبٰادِهِ؟! أَتَخٰافُ أَن تَكُونَ فِي رَجٰائِكَ لَهُ كٰاذِباً، أَوْ تَكُونَ لاٰ تَرٰاهُ لِلرَّجٰاءِ مَوْضِعاً؟! وَكَذٰلِكَ اِنْ هُوَ خٰافَ عَبْداً مِّنْ عَبِيدِهِ أَعْطٰاهُ مِنْ خَوْفِهِ مٰا لاٰ يُعْطِي رَبَّهُ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبٰادِ نَقْداً، وَّخَوْفَهُ مِنْ خٰالِقِهِ ضِمٰاراً وَّ وَعْداً، وَكَذٰلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيٰا فِي عَيْنِهِ وَكَبُرَ مَوْقِعُهٰا مِنْ قَلْبِهِ آثَرَهٰا عَلَى اللهِ فَانْقَطَعَ اِلَيْهٰا وَصٰارَ عَبْداً لَّهٰا:

وَلَقَدْ كٰانَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ كٰافٍ لَكَ فِي الْاُسْوَةِ، وَدَلِيلٌ لَكَ عَلىٰ ذَمِّ الدُّنْيٰا وَعَيْبِهٰا، وَكَثْرَةِ مَخٰازِيهٰا وَمَسٰاوِيهٰا، اِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرٰافُهٰا، وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنٰافُهٰا، وَفُطِمَ عَنْ رِضٰاعِهٰا، وَزُوِيَ عَن زَخٰارِفِهٰا.

وَاِن شِئْتَ ثَنَّيْتَ بِمُوسىٰ كَلِيمِ اللهِ ﷺ اِذْ يَقُولُ:(رَبِّ اِنِّي لِمٰا أَنْزَلْتَ اِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) وَاللهِ مٰا سَأَلَهُ اِلاّ خُبْزاً يَّأْكُلُهُ، لِاَنَّهُ كٰانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْاَرْضِ، وَلَقَدْ كٰانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرىٰ مِن شَفِيفِ صِفٰاقِ بَطْنِهِ لِهُزٰالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ.

وَاِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتَ بِدٰاوُدَ ﷺ صٰاحِبِ الْمَزٰامِيرِ، وَقٰارِئِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كٰانَ

عَمَلِهِ) وإلاّ فهو كاذب (إلاّ رَجاءَ اللهِ تعالىٰ فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ) أي مغشوش غير خالص (وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ) ثابت (إلاّ خَوْفَ اللهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ) من عِلَةٍ تعلّله (فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ، يَرْجُو اللهَ فِي الْكَبِيرِ، وَيَرْجُو الْعِبادَ فِي الصَّغِيرِ) أي يرجو الله في رحمته ومغفرته وجنّة ويرجو العباد في أمور دنيوية صغيرة (فَيُعْطِي الْعَبْدَ) في رجائه منه (ما لا يُعْطِي الرَّبَّ، فَما بالُ اللهِ «جَلَّ ثَناؤُهُ» يُقَصَّرُ بِهِ عَمّا يُصْنَعُ لِعِبادِهِ) أي عمّا يعمل به (أَتَخافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجائِكَ لَهُ) أي لله سبحانه (كاذِباً، أَوْ تَكُونَ لا تَراهُ) أي لا ترى الله (لِلرَّجاءِ مَوْضِعاً) ومحلاً (وَكَذٰلِكَ إِنْ هُوَ خافَ عَبْداً مِنْ عَبِيدِهِ) أي عبيد الله (أَعْطاهُ) العبد (مِنْ خَوْفِهِ ما لا يُعْطِي رَبَّهُ) فخوفه من العبد أعظم من خوفه من عبده (فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبادِ نَقْداً) لكونه في الدّنيا مثلاً (وَخَوْفَهُ مِنْ خالِقِهِ ضِماراً وَ وَعْداً) أي مسوّفاً به (وَكَذٰلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيا فِي عَيْنِهِ وَكَبُرَ مَوْقِعُها مِنْ قَلْبِهِ آثَرَها) أي آثر الدّنيا (عَلَى اللهِ فَانْقَطَعَ إِلَيْها) إلى الدّنيا (وَصارَ عَبْداً لَها) للدّنيا:

(وَلَقَدْ كانَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ كافٍ لَكَ فِي الْأُسْوَةِ) والاقتداء به إن كنت أهلاً له (وَدَلِيلٌ لَكَ عَلىٰ ذَمِّ الدُّنْيا وَعَيْبِها، وَكَثْرَةِ مَخازِيها) أي مهالكها (وَمَساوِيها) ومعايبها (إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ) عن رسول الله (أَطْرافُها) أي أطراف الدّنيا وجوانبها (وَوُطِئَتْ) ومهّدت (لِغَيْرِهِ) لغير الرّسول (أَكْنافُها) أي أطراف الدّنيا (وَفُطِمَ) الرّسول (عَنْ رِضاعِها) أي متاعها (وَزُوِيَ) أي قبض (عَنْ زَخارِفِها) وتجمّلاتها (وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتَ بِمُوسىٰ كَلِيمِ اللهِ عليه السلام إِذْ يَقُولُ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ أي إنّي محتاج إلى ما أنزلت إليّ (وَاللهِ ما سَأَلَهُ) أي ما سئل الله (إِلاّ خُبْزاً يَأْكُلُهُ) ليسدّ به رمقه (لِأَنَّهُ كانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ، وَلَقَدْ كانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ) ونضرته (تُرىٰ مِنْ شَفِيفِ صِفاقِ بَطْنِهِ) فلم يكن جلد بطنه حاجباً عن رؤية ما ورائه (لِهُزالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ) أي لهزال موسىٰ وتفرّق لحمه:

(وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتَ بِداوُدَ) النّبي عليه السلام (صاحِبِ الْمَزامِيرِ، وَقارِئِ أَهْلِ الْجَنَّةِ) لحسن صوته (فَلَقَدْ كانَ يَعْمَلُ سَفائِفَ الْخُوصِ) أي نسايج ورق النّخل (بِيَدِهِ،

وَزَوٰاهٰا عَنْ أَقْرَبِ النّٰاسِ مِنْهُ، فَتَأَسّىٰ مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ، وَإِلاّٰ فَلاٰ يَأْمَنُ الْهَلَكَةَ، فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ مُحَمَّداً ﷺ عَلَماً لِلسّٰاعَةِ، وَمُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ، خَرَجَ مِنَ الدُّنْيٰا خَمِيصاً، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيماً، لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلىٰ حَجَرٍ حَتّىٰ مَضىٰ لِسَبِيلِهِ، وَأَجٰابَ دٰاعِيَ رَبِّهِ، فَمٰا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللهِ عِنْدَنٰا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنٰا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ، وَقٰائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ ،وَاللهِ لَقَدْ رَقَعْتُ مِدْرَعَتِي هٰذِهِ حَتّىٰ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رٰاقِعِهٰا، وَلَقَدْ قٰالَ لِي قٰائِلٌ، أَلاٰ تَنْبِذُهٰا عَنْكَ، فَقُلْتُ اغْرُبْ عَنِّي «فَعِنْدَ الصَّبٰاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرىٰ!

◁ اللّغة

(بِزَعْمِهِ) أي بظَنّه (ضِمٰاراً) بكسر الضّاد من الوعود ما كان مسوّفاً به (الْأُسْوَةِ) بضَمّ الهَمزة القُدوة (أَكْنٰافُهٰا) الأكناف الجَوانب (وَزُوِيَ) بضمّ الزاء وكسر الواو أي قُبض (صِفٰاقٍ) بكسر الصاد الجلد الأسفل تحت الجلد الّذي عليه الشّعر (لِهُزٰالِهِ) الهزال نقيض السّمن (وَتَشَذُّبِ) التّشذّب بفتح التاء والشين وضَمّ الذال التّفرّق (سَفٰائِفَ الْخُوصِ) السفائف جمع سفيفة وهي النسيجة من سفّفت الخوص وأسفّفته نَسجتُه (وَظِلاٰلُهُ) مأواه (يَلْفِتُهُ) يقال لفته من كذا صَرفه (فَتَأَسَّ) أي إقتَدِ (قَضَمَ) القَضم الأكل بأطراف الأسنان (كَشْحاً) الكَشح ما بين الخاصرة إلىٰ الضّلع الخلف (أَخْمَصُهُم) أخلاهم (وَمُحٰادَّةً) المُحادّة المُخالفة في عنادٍ (رِيٰاشاً) الرّياش اللّباس الفاخر (أَشْخَصَهٰا) أبعدها (خٰاصَّةً) أي خصوصيّة عند ربّه (خَمِيصاً) أي خالي البطن (اغْرُبْ) أي إبعد وأذهب والباقي واضح.

◁ المعنىٰ

(يَدَّعِي) المُدّعي (بزَعمه) وظَنّه (أَنَّهُ يَرْجُو اللهَ! كَذَبَ) المُدّعي (وَالْعَظِيمِ) أي أُقسم بالله العظيم (مٰا بٰالُهُ) أي ما بال المُدّعي (لاٰ يَتَبَيَّنُ رَجٰاؤُهُ فِي عَمَلِهِ) فإنّ الرجاء لابدّ من أن يَظهر في العمل (فَكُلُّ مَنْ رَجٰا) الله تعالىٰ (عُرِفَ رَجٰاؤُهُ فِي

(فَيَقُولُ: يا فُلانَةُ) مخاطباً (لِاَحْدىٰ أَزْواجِهِ غَيِّبِيهِ عَنِّي، فَإِنِّي إِذا نَظَرْتُ إِلَيْهِ) أي إلىٰ ما فيه التّصاوير (ذَكَرْتُ الدُّنْيا وَزَخارِفَها، فَأَعْرَضَ) الرّسول (عَنِ الدُّنْيا بِقَلْبِهِ، وَأَماتَ ذِكْرَها) أي ذكر الدّنيا (مِن نَّفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَن تَغِيبَ زِينَتُها) أي زينة الدّنيا عن عينه (لِكَيْلا يَتَّخِذَ) الرّسول (مِنْها رِياشاً) ولباساً فاخراً (وَلاٰ يَعْتَقِدَها) أي الدّنيا (قَراراً، وَلاٰ يَرْجُوَ فِيها مَقاماً) فإنّها دار الفناء (فَأَخْرَجَها) أي فأخرج الرّسول الدّنيا (مِنَ النَّفْسِ، وَأَشْخَصَها) وأخرجها (عَنِ الْقَلْبِ، وَغَيَّبَها عَنِ الْبَصَرِ) فكانه ﷺ لا يراها (وَكَذٰلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَن يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَأَن يُذْكَرَ) الشّيء (عنده)

(وَلَقَدْ كانَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ ما يَدُلُّكَ عَلىٰ مَساوِي الدُّنْيا وَعُيُوبِها، إِذْ جاعَ) الرّسول (فِيها) في الدّنيا (مَعَ خاصَّتِهِ) وتقرّبه إلىٰ الله تعالىٰ (وَزُوِيَتْ) وقبضت (عَنْهُ زَخارِفُها مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ) مقامه (فَلْيَنْظُرْ ناظِرٌ بِقَلْبِهِ) وتفكّر (أَكْرَمَ اللهُ مُحَمَّداً بِذٰلِكَ) أي بالجوع فيها والإعراض عنها (أَمْ أَهانَهُ) أي أهان الرّسول (فَإِن قالَ: أَهانَهُ، فَقَدْ كَذَبَ) علىٰ الله (وَأَتىٰ بِالْإِفْكِ) والإثم (وَإِنْ قالَ: أَكْرَمَهُ ،فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهانَ غَيْرَهُ) أي غير الرّسول (حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيا) ووسّعها (لَهُ، وَزَواها) أي قبضها (عَنْ أَقْرَبِ النّاسِ مِنْهُ) وهو الرّسول فإنّ الدّنيا قد زواها الله عنه ﷺ (فَتَأَسّىٰ مُتَأَسٍّ) ومقتدٍ (بِنَبِيِّهِ، وَاقْتَصَّ) واتّبع (أَثَرَهُ، وَوَلَجَ) ودخل (مَوْلِجَهُ) ومدخله (وَإِلّا) أي وإلّا يكون كذلك (فَلاٰ يَأْمَنُ الْهَلَكَةَ) في الدّارين (فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ مُحَمَّداً ﷺ عَلَماً) وعلامةً (لِلسّاعَةِ) أي لقرب السّاعة والقيامة (وَمُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ،) بصريح الآيات (وَمُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ) كذلك لأنّه البشير النّذير (خرج) الرّسول (مِنَ الدُّنْيا) بالموت (خَمِيصاً) أي خالي البطن (وَوَرَدَ) الدّنيا (الْآخِرَةَ سَلِيماً) عن آفاتها وتبعاتها (لَمْ يَضَعْ حجَراً عَلىٰ حَجَرٍ) في الدّنيا (حَتّىٰ مَضىٰ لِسَبِيلِهِ، وَأَجابَ داعِيَ رَبِّهِ) بالموت (فَما أَعْظَمَ مِنَّةَ اللهِ عِنْدَنا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنا بِهِ) برسوله ﷺ (سَلَفاً نَتَّبِعُهُ، وَقائِداً) وإماماً (نَطَأُ عَقِبَهُ) بالسّير والسّلوك (وَاللهِ لَقَدْ رَقَعْتُ) وأصلحتُ (مِدْرَعَتِي) وثوبي (هذه)المدرعة (حَتّىٰ اسْتَحْيَيْتُ

وَيَقُولُ) داود (لِجُلَسائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا؟) أي بيع السفائف (وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِن ثَمَنِهَا):

(وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عليه السلام قَدْ كَانَ) عيسى (يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ) أي يأخذه وسادة (وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ) من اللباس (وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وَظِلاَلُهُ) ومأواه (فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ) من النّباتات (وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلاَ وَلَدٌ يَحْزُنُهُ) لعدم الزّوجة والوَلد له عليه السلام (وَلاَ مَالٌ يَلْفِتُهُ) ويصرفه عن ذكر الله تعالىٰ (ولا طمع) في مال الغير (يُذِلُّهُ) إذ الطمع يوجب الذلّ (دَابَّتُهُ رِجْلاَهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ) وهو كناية عن عدم الدابّة والخادم له عليه السلام (فتأسّ) واقتد (بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ، صلى الله عليه وآله) محمّد صلى الله عليه وآله (فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً) واقتداء (لِمَنْ تَأَسَّىٰ) واقتدىٰ به (وَعَزَاءً) ونسبته (لِمَنْ تَعَزَّىٰ) أي لمن إنتسب (وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ) لقوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (وَالْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ) أي المتّبع لأثره (قَضَمَ) الرّسول (الدُّنْيَا قَضْماً) أي لم يعتن بها ولم يتوجّه إليها (وَلَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً) أي لم يُعطها نظرةً علىٰ وجه العارية فضلاً عن غيرها (أَهْضَمُ) أي الرّسول (أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً، وَأَخْمَصُهُم مِّنَ الدُّنْيَا بَطْناً) والمقصود أنّ الرّسول كان كذلك (عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا) من قبل الله تعالى (فَأَبَىٰ) الرّسول (أَنْ يَقْبَلَهَا) وذلك لحقارتها (وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً) ولم يرده لأوليائه (فَأَبْغَضَهُ) النّبي (وَحَقَّرَ) الله (شَيْئاً فَحَقَّرَهُ، وَصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلاَّ حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللهُ وَرَسُولُهُ، لَكَفَىٰ بِهِ شِقَاقاً) ومخالفة (للهِ، وَمُحَادَّةً) أي معاداة (عَنْ أَمْرِ اللهِ):

(وَلَقَدْ كَانَ صلى الله عليه وآله يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيُرَقِّعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ) أي ما ليس عليه برزعة (وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ) أركب معه شخصاً آخر علىٰ حمارٍ واحدٍ (وَيَكُونَ السِّتْرُ عَلَىٰ بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ) أعني تصاوير الشّجر والنّبات هكذا قالوا

التأسّي بهم لا يَتحقّق بدون العمل فالرّجاء بلا عَمَل لا معنىٰ له وقد صرّح في القرآن به حيث قال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾ (١)

فمن ركان راجياً بزعمه من غير عَمَل يَصلَح له فهو كاذب في دعواه كما قال ﷺ كذب والعظيم.

▫ قوله ﷺ: **مَا بَالُهُ لاَ يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ، فَكُلُّ مَن رَّجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ...**

إشارة إلىٰ ما ذكرناه من أنّ الرّجاء بلا عَمَل لا معنىٰ له ولذا قال ﷺ: **ما باله** أي ما بال الزّاعم لِلرّجاء لا يَتبيّن رجاؤه في عَمله إن كان صادقاً في مُدّعاه فإنّ الرّجاء لابدّ له من أن يُرىٰ في العمل كما قال ﷺ وكلّ من رجا الخ فمن لا يَعمل ومع ذلك يَرجُو رَحمته فهو كالمُستهزء بالله تعالىٰ.

▫ قوله ﷺ: **اِلاّ رَجَاءَ اللهِ تعالىٰ فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ، وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ اِلاّ خَوْفَ اللهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ...**

إعلم: أنّ القوم قد إضطرب كلامهم في المقام وأظنّ أنّ وجه الإضطراب في كلماتهم يَدُور علىٰ أمرين.

أحدهما: المراد بالإستثناء أعني كلمة (**إلّا**) وأنّ ما ذكره ﷺ من أيّ شئ إستثناه وبعبارةٍ أُخرىٰ ما المُستثنى منه في الكلام ولهذا ترىٰ شارح الخوئي وقع في حيصٍ وبَيصٍ فتارة حَكم بكون (**إلّا**) لِلإستثناء تارة حكم بكون إلّا بمعنىٰ الغير.

وثانيهما: معنىٰ الجملة وربطها بما قبلها فتارةً حكموا بأنّ الضّمير في قوله ﷺ: (**فإنّه**) يرجع إلىٰ خَوف الله تعالىٰ وأُخرىٰ بعوده إلىٰ الخوف المطلق بأن يجعل قوله ﷺ: (**مُحقّق**) صفة لخوف وإلّا بمعنىٰ الغير.

وأمّا المُعتزلي فهو بمُستريح عن هذا فإنّه قال في شرح الكلام ما لا يفهم أصلاً كما هو دأبه في المعضلات ونحن أعرضنا عن نقل كلامهم حذراً عن

١- الكهف ـ ١١٠.

مِن رٰاقِعِهٰا) ومُصلحها (وَلَقَدْ قٰالَ لِى قٰائِلٌ، أَلاٰ تَنبِذُهٰا) وتطرحها (عنك فقلت إغرب) أي إذهب وتباعد عنّي (فَعِندَ الصَّبٰاحِ يُحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرىٰ) وهـو مثل يضرب:

◁ الشّرح

▫ قوله عليه السلام: يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللهَ! كَذَبَ وَالْعَظِيمِ!...

أي يدّعي المُدّعي بزعمه الفاسد وظنّه الكاسد أنّه يرجُو الله ولا يعلم أنّه كاذب في قوله هذا والله العظيم إذ الرّجاء بدون إصلاح العَمَل لا معنىٰ له ولابدّ لنا من توضيح المقال ليتّضح الحال إذ الرّجاء بالله علىٰ ما يظهر من الآيـات والآثار ممدوح في نفسه كما أنّ اليأس من رَحمته مذموم وهذا ممّا لا شكّ فيه إلّا أنّه لابدّ للرّاجي أن يعلم الرّجاء وموارده فنقول:

فمن الآيات الواردة في مدح الرّجاء قوله تعالىٰ: ﴿يَبْتَغُونَ إِلىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ (١)

و: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ (٢)

و: ﴿يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (٣)

و: ﴿مَا لَكُمْ لاٰ تَرْجُونَ لِلّٰهِ وَقَاراً﴾ (٤) وغيرها من الآيات:

إلّا أنّ بعض النّاس يكذب في قوله هذا وذلك لأنّ الرّجاء بلا عمل جهالة وحماقة وقد دلّت الآيات عليه قال الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (٥)

و: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (٦)

حيث قيّد الله تعالىٰ الرّجاء بالتأسّي لرسُول الله وغيره من الأنبياء ومعلوم أنّ

١- الإسراء ـ ٥٧ ٢- الزمر ـ ٩
٣- الأحزاب ـ ٢١ ٤- نوح ـ ١٣
٥- الممتحنة ـ ٦ ٦- الأحزاب ـ ٢١

هذا كلّه إذا حملنا قوله ﷺ: (معلول) علىٰ معناه اللّغوي أي مَعيُوب مَغشُوش ولا يبَعد حمله علىٰ المعنىٰ الإصطلاحي وعليه فالمعنىٰ كلّ خوف ليس بمعلول إلّا خَوف الله فإنّه مَعلُول لِلعلّة وتوضيحه أنّ الخوف من غير الله لا معنىٰ له إذ لم يوجد سببه وعلّته إذ العلّة فيه إنّما هي الذّنب وهو لا يتحقّق إلّا في ترك الأوامر الإلٰهيّة أو فعل نواهيه فإذا فرضنا أنّ العبد لَم يَذنب الله ومع ذلك خاف النّاس فهو خَوفٌ بلا علّة وجهة أو أنّ المعنىٰ أنّ الخوف من غير الله لا معنىٰ له وذلك لأنّ المخلوق لا يقدر علىٰ شئ فالخوف من غيره تعالىٰ يكون بلا علّة وجهة وقد ورد بذلك ما يدلّ عليه كما لا يخفىٰ.

▫ قوله ﷺ: **يَرْجُو اللهَ فِي الْكَبِيرِ، وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لاَ يُعْطِي الرَّبَّ...**

قالوا أي يَرجُو الله في رحمته ومَغفرته وجَنّته الّتي عَرضها السّموات والأرض ويَرجُو العباد في أمور دُنيويّة قليلة الجَدوىٰ سَريعة الزّوال ومع ذلك فَيُعطِي الرّاجي العَبد ما لا يُعطي الرّب هذا.

والمقصود أنّ بعض النّاس يرجُو الله في الأُمور المُهمّة من سعادة الدّارين مثلاً ويرجُو من غيره الأُمور الصّغيرة الّتي لا إعتناء بها عند العقلاء وهو مع ذلك يعطي العبد المَرجُوّ منه من الخُضُوع والخُشُوع والمَعذرة ما لا يعطي الرّب بل يدوم علىٰ طُغيانه وعصيانه.

▫ قوله ﷺ: **فَمَا بَالُ اللهِ« جَلَّ ثَنَاؤُهُ» يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ لِعِبَادِهِ...**

أي فما بال الله تعالىٰ تقصّر في حقّه ما لا تقصّر في حقّ غيره فيعطي الرّاجي لغيره ما لا يعطي إيّاه ويخاف من غيره أكثر ممّا يخاف منه ويعظّم بشأن غيره أكثر ممّا يعظّم بشأنه مع أنّ الحقّ هو عكسه.

▫ قوله ﷺ: **أَتَخَافُ أَن تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِباً، أَوْ تَكُونَ لاَ تَرَاهُ لِـلرَّجَاءِ مَوْضِعاً...**

ثمّ خاطب ﷺ من كان كذلك علىٰ سبيل الإستفهام وقال له إنّ هذا العمل

الإطناب فإن شئت الإطّلاع عليه فعليك بشروحهم.

والّذي نقول في المقام وظَهَر لنا بعون الملك الوهّاب هو أنّ كلّ واحد من الرّجاء والخَوف علىٰ قسمين الخَوف من الله والخَوف من المخلُوق والرّجاء من الله والرّجاء من غيره.

ثمّ إنّه لابدّ لكلّ منهما من علامة تدّل علىٰ وجود الخَوف والرّجاء فإنّ البَعرة تدلّ علىٰ البعير والأثر علىٰ المُؤثّر وأمّا إذا لم تكن هناك ما دلّ علىٰ وجودهما أو أحدهما فيعلم أنّه لا خوف ولا رجاء وهذا ممّا لا كلام فيه عقلاً ونقلاً إذا عرفت هذا فلنرجع إلىٰ المتن ونقول.

لمّا أفاد ﷺ في الجملة الأُولىٰ أنّ الرّجاء عُرِفَ في العَمَل فمن لا عَمَل له ويَدّعِي الرّجاء فهو كاذب في مُدّعاه قال ﷺ: **إلاّ رَجَاءَ اللهِ تعالىٰ فَإنَّهُ مَدْخُولٌ**، أي مغشُوش مَعيُوب وذلك لأنّ الرّجاء من المخلوق مثلاً إذا كان يعرف في عمل الرّاجي فما بال رجاء الله لا يُعرَف في عَمَله وعليه فالمعنىٰ أنّ الرّجاء حيثما وجد في المخلوق بالنّسبة إلىٰ مخلوق آخر يُعرَف في عَمل الرّاجي من التّواضع والخُشُوع وتَمهيد المقدّمات الموصلة إلىٰ المطلوب إلّا رجاء الله فإنّه ليس كذلك بالنّسبة إلىٰ كثير من الأفراد حيث إنّهم يدّعون الرّجاء بمُجرّد اللّفظ من غير عَمَل يناسبه وهو عَجيبٌ.

▫ وأمّا قوله ﷺ: **وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إلاّ خَوْفَ اللهِ فَإنَّهُ مَعْلُولٌ**، معناه كلّ خوف من غير الله تعالىٰ كالخَوف من السّلاطين والحكّام مثلاً مُحَقَّق ثابتٌ مقرون بالآثار الدّالة عليه إلّا خَوف الله تعالىٰ فإنّه مَعلُول أي غير مُحقّقٍ وغير ثابت بل مُتزلزلٌ مضطربٌ إذ ليس له آثار تدلّ علىٰ كونه مُحَقّقاً واقعاً في حَقّ مُدّعيه وهو أيضاً عجيب وخلاصة الكلام في المقامين أنّ كثيراً من النّاس رجاؤهم وخوفهم من غير الله مطابق للواقع موافق للقواعد العَقليّة من بروز الآثار لها وأمّا من الله فليس كذلك بل يرجُون الله لفظاً من غير عمل ويخافون منه أيضاً كذلك هذا ما فهمناه من العبارة وأظنّ أنّ الحقّ ما قلناه فالإستثناء في محلّه والعلم عند الله.

قال عليه السلام كذلك لأنّ من كان كذلك فَجَعل الدّنيا نَقداً والآخرة وما وعَد الله فيها ضِماراً ووعَداً وبعبارةٍ أخرى الملاك في المقامين واحد وهو النّقد والنّسيئة.

والى هذ المعنى أشار عُمر إبن سعد لَعَنه الله حيث قال:

فَوَ الله ما أدري وإنّي لَحائرٌ — أفكِّرُ في أمري على خَطَرين

أأتْرك مُلكَ الرّي والرّي مُنيتي — أم أرجِع مأثُوباً بقَتل حُسينٍ

يَقولُون إنّ الله خالق جَنّةٍ — ونارٍ وتعذيبٍ وغِلّ يدينِ

فإن صَدقُوا فيما يقُولون إنّني — أتُوب إلى الرّحمٰن مِن سِتّين

وإن كَذبُوا فُزنا بدنياً عَظيمةً — ومُلك عظيم دائم الحَجلين

فهذ الكلام منه ومن أمثاله يَدُلّ على عظمة الدّنيا وأنّها من المُلك العظيم وأمّا الآخرة فهو مُرَدّدةٌ بين الوجود والعدم وليس هذا إلّا من جهة أنّ الدّنيا مَحسُوسة يراها بعينه والآخرة ليست كذلك.

▫ قوله عليه السلام: **فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَصَارَ عَبْداً لَّهَا...**

وهذ الكلام بمنزلة النّتيجة لِما تقدّم أي إذا كانت الدّنيا في عينه عظيمة لكونها مَحسُوسة فلا محالة إنقَطَع إليها وإعتَمد عليها وصار عبداً لها مُطيعاً لها كما قال الحُسين عليه السلام في خُطبةٍ خَطبها لأصحابه: **النّاس عَبيدُ الدّنيا والدّين لَعقٌ على ألسَنتِهم فإذا مُحِصّوا بالبلاء قلّ الدّيانُون...**

وقد قال الله تعالى في ذَمّهم: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ (١)

و: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢)

و: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (٣)

و: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (٤) وغيرها من الآيات وقد مرّ الكلام في ذَمّها سابقاً.

▫ قوله عليه السلام: **وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله كَافٍ لَكَ فِي الْأُسْوَةِ...**

١- البقرة ـ٨٦
٢- البقرة ـ١١٤
٣- البقرة ٢١٢
٤- المؤمنون- ٣٧

منك لا يَخلُو من وجهين:

أحدهما: أن تكون في رجائك إيّاه كاذباً بمعنىٰ أنّك تعلم كذبك في مُدّعاك فلا محالة لا تَترتّب عليه الآثار المطلُوبة الدّالة علىٰ كونك صادقاً.

وثانيهما: إنّك لا ترىٰ الله مُستحقّا له وكلاهما كما ترىٰ فإنّ الأوّل يوجب تكذيب الأنبياء والكُتب المُنزلة الّتي وعَد الله تعالىٰ فيها رَحمته الواسعة والثّاني يوجب الكفر لأنّه سلب القُدرة عنه في الحقيقة وسلب القُدرة ضعف والضّعف ينافي الواجبيّة.

▫ قوله عليه السلام: **وَكَذٰلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْداً مِّنْ عَبِيدِهِ أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لاٰ يُعْطِي رَبَّهُ...**

بعد الفراغ عن مسئلة الرّجاء أشار عليه السلام إلىٰ الخوف وقال عليه السلام فيه ما قال فيه فقال وكذلك إن هو خاف عَبداً من عَبيده أي عبيد الله كالسّلاطين والحُكّام أعطاه أي أعطىٰ العبيد من خَوفه منهم ما لا يَعطي رَبّه في خَوفه منه فيكون من العبيد علىٰ حَذَر وأمّا من الله فلا.

▫ قوله عليه السلام: **فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبادِ نَقْداً، وَّخَوْفَهُ مِنْ خالِقِهِ ضِماراً وَّ وَعْداً...**

أي أنّ من كان كذلك جَعَل خَوفه من العباد نقداً فرَتّب عليه الأثر وجَعل خوفه من العباد ضِماراً ووعَداً لا يَعتمد عليه لإحتمال التّسويف والمُسامحة فيه كما هو شأن الوَعد في حقّ غيره تعالىٰ ولَم يَعلم أنّ وعد الله حقٌّ لا مرية فيه وبهذا الظنّ الفاسد حكم بترتّب آثار الخوف علىٰ الأوّل أعني الخوف من العَبيد دونه علىٰ الثّاني أعني الخوف من الله تعالىٰ وهو عين الحماقة والجهالة.

▫ قوله عليه السلام: **وَكَذٰلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيا فِى عَيْنِهِ وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ آثَرَهَا عَلَى اللهِ...**

أي وكذلك الأمر في الحماقة والجهالة مَن عَظُمت الدّنيا في عَينه وكَبُر مَوقعها في قلبه فَيَظُنّ أنّ الدّنيا لا فناء فيها وأنّها باقية ونِعَمها من أحسن النِّعَم فلا محالة آثَرها أي إنتخبها ورَجّحها علىٰ الله فأخذ بالدّنيا وتَرك الآخرة وإنّما

وإرادته وهو دليل على ذمّ الدّنيا إذ لو كانت مَمدُوحة لينبغي أن يُعطيها الله نَبيّه إذ لا شكّ أنّ النّبي ﷺ كان أشرف البَريّة وأقرب مَوجودات الله تعالىٰ به وهو ظاهر.

▫ قوله ﷺ: **وَإِن شِئْتَ ثَنَّيْتَ بِمُوسىٰ كَلِيمِ اللهِ ﷺ اِذْ يَقُولُ:(رَبِّ اِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ اِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ...**

أي وإن شئت تثنّيت الكلام في **الأُسْوَة** بموسىٰ كليم الله وإنّما قال تثنّيت لأنه ﷺ ذكر أوّلاً الأُسوة بالنّبي ﷺ وثانياً بموسىٰ وإنّما كان كذلك لأنّ الأُسوة بالنّبي ﷺ أولىٰ وأحرىٰ لِلمُسلمين من الأُسوَة بمُوسىٰ ﷺ لكون النّبي ﷺ أفضَل وأكمل وقوله ﷺ: **إذ يقول** أي يقول موسىٰ ﴿**رَبِّ اِنّي لِمَا اَنْزَلْتَ اِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾[1]

▫ قوله ﷺ: **وَاللهِ مَا سَأَلَهُ اِلاّ خُبْزاً يَأْكُلُهُ، لِاَنَّهُ كانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْاَرْضِ، وَلَقَدْ كانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرىٰ مِن شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ لِهُزالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ...**

أقسم بالله تعالىٰ أنّ موسىٰ ما سَأل الله إلّا خُبزاً يأكله لأنه أي موسىٰ ﷺ كان يأكل بَقلة الأرض ولهذا كانت خضرة البقل الّذي كان يأكله تُرىٰ من شَفيف صفاق بطنه فإنّ جِلد بطنه لم يكن حاصباً ومانعاً عن رُؤية ما في بطنه وذلك لهزاله أي هزال موسىٰ وتَفرّق لَحمه والهزال ضِدّ السّمن.

▫ قوله ﷺ: **وَاِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتَ بِداوُدَ ﷺ صاحِبِ الْمَزامِيرِ، وَقارِئُ أَهْلِ الْجَنَّةِ...**

فقوله ﷺ: **تثلّثت** أي تثلّثت الكلام بذكر داود والتأسّي وإنّما قال ذلك لأنّ داود ﷺ رقع في كلامه ﷺ في المَرتَبة الثّالثة من التأسّي والمَزامير جمع مزمار وكان داود ﷺ صاحب المزامير وقارئ أهل الجنّة لحُسن صَوته ﷺ كما هو المشهور.

▫ قوله ﷺ: **فَلَقَدْ كانَ يَعْمَلُ سَفائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِجُلَسائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَها؟ وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِن ثَمَنِها...**

١- القصص ـ ٢٤

إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]

والأُسوة التأسّي والمتابعة قولاً وفعلاً وقد أمرنا الله تعالىٰ به بصريح الآية وقال الله تعالىٰ في موضع آخر من كتابه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[2]

و: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾[3]

▫ قوله عليه السلام: **وَدَلِيلٌ لَكَ عَلىٰ ذَمِّ الدُّنْيا وَعَيْبِها، وَكَثْرَةِ مَخازِيها وَمَساوِيها...**

أي ودليل ذلك التأسّي به عليه السلام علىٰ ذمّ الدّنيا وعيبها وكثرة مخازيها ومهالكها ومساوئها ومعايبها تجده في أُمور.

أحدها قوله عليه السلام: إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرافُها...

أي أخذت عن النّبي صلى الله عليه وآله أطراف الدّنيا من تَجمّلاتها وزخارفها وقصورها ومُشتهياتها فإنّ النّبي صلى الله عليه وآله كان بمَعزلٍ عنها لا أنّه لَم يَقدر عليه بل لعدم إعتنائه بشأن الدّنيا وما فيها.

وثانيها قوله عليه السلام: وَوُطِئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنافُها...

أي مَهّدت وهيّأت لغيره صلى الله عليه وآله من النّاس أكناف الدّنيا وجوانبها في زمانه وهو ظاهر.

وثالثها قوله عليه السلام: وَفُطِمَ عَنْ رِضاعِها...

شَبّه عليه السلام الدّنيا بالنّاقة أو الشّاة الّتي لها ضَرع والرّسول صلى الله عليه وآله بوَلَد النّاقة ونِعَم الدّنيا باللّبَن المَوجُود فيها ثمّ قال عليه السلام: وفُطِم أي فُطم الرّسول عن رضاع الدّنيا والتّمتع من زخارفها والفَطم المَنع.

ورابعها قوله عليه السلام: وَزُوِيَ عَنْ زَخارِفِها...

أي زُوي الرّسول صلى الله عليه وآله ونُحّيَ عن زخارف الدّنيا وفي إتيانه عليه السلام بالأفعال المجهولة دون المَعلُومة إشارة إلىٰ نكتة مُهمّة وهي أنّ كلّ ذلك كان بمَشيئة الله

١- الأحزاب ـ ٢١

٢- آل عمران ـ ٣١

٣- طه ـ ٩٠

▫ قوله ﷺ: **وَفاكِهَتُهُ وَرَيْحانُهُ ما تُنبِتُ الْاَرْضُ لِلْبَهائِمِ ،وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلاَ وَلَدٌ يَحْزُنُهُ...**

أي هُو ﷺ كان من الفواكه والرّياحين بما تَنبُت الأض من النّباتات الّتي كانت لِلبهائم قانِعاً فلم تكن له فاكهة ولا ريحانة إلّا النّباتات المذكورة ولم يكن له ﷺ زوجة تَفتنه أي يَلتَذّ بوجودها ولا ولد يَحزُنه بسَبب المَوت والمَرض وأمثالهما فإنّه ﷺ كان بمعزل عن الزّوجة والوَلد.

▫ قوله ﷺ: **وَلاَ مالٌ يَلْفِتُهُ، وَلاَ طَمَعٌ يُذِلُّهُ ،دابَّتُهُ رِجْلاهُ، وَخادِمُهُ يَداهُ...**

أي لم يكن له ﷺ مال يلفِته ويصرفه عن ذكر الله ولا طَمَع يُذلّه ويُحقّره فإنّ الطّمع كذلك دابّته أي مَركَبه رِجلاه وخادمه يَداه والغَرض لم يكن له شيئ من هذه الأمور.

▫ قوله ﷺ: **فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْاَطْيَبِ الْاَطْهَرِ ،ﷺ فَاِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَن تَأَسّىٰ وَعَزاءً لِّمَن تعَزّىٰ...**

إن قلت ـ قد ذكر ﷺ في أوائل الفصل التأسّي بالنّبي ﷺ حيث قال: وقد كان في رسُول الله ﷺ كاف لك في الأسوة فما وجه ذكر التأسّي به ﷺ ثانياً أليس هذا من التّكرار المذموم في علم البلاغة؟

قلت ـ ليس هذا من التّكرار في شيئ والفرق بين المقامين بالإجمال والتّفصيل فما ذكره ﷺ هناك مجمل وما في المقام مفصّل وقد ثبت أنّ ذكر التّفصيل بعد الإجمال دليل علىٰ أهمّيّة الموضوع وجلالة شأنه وفي قوله ﷺ: **الْاَطْيَبِ الْاَطْهَرِ** حيث أتىٰ بأفعل التّفضيل دليل علىٰ كونه ﷺ أطيَب وأطهر من كلّ ما سواه ولأجل هذه النكتة لم يقل الطّيب الطّاهر وقد ثبت هذا في مقامه كما مرّ.

وقوله ﷺ **فَاِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَن تَأَسّىٰ** إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: **﴿وَلَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾** وقوله ﷺ: **وَعَزاءً لِّمَن تعَزّىٰ** أي نسبة لمن إنتسب أي من أراد التأسّي به ﷺ والإنتساب إليه فهو يليق بهما.

أي كان داود ﷺ يعمل نسائج ورق النّخل فإنّ السّفائِف جمع سَفيفة وهي النّسيجة ويقول داود لجلسائه أي الحُضّار في مَجلسه أيّكم يَكفيني بيعها أي بيع السّفائِف ويأكل قُرص الشّعير من ثَمَنها أي يأكل داود قُرص الشّعير من ثمن السّفائِف بعد بَيعها.

▫ قوله ﷺ: **وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي عِيسىَ بْنِ مَرْيَمَ ﷺ قَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ، وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ ،وَكَانَ إِدامُهُ الْجُوعَ...**

أي وإن شئت قلت في عِيسىٰ إبن مريم والتأسّي به فإنّه ﷺ: **كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ**، أي يأخذه وسادة له ويلبس الخَشِن من اللّباس وكان إدامه الجُوع والإدام بالفارسيّة يقال له (نان خُورشت) وفي قوله ﷺ كان إدامه الجُوع إحتمالات:

أحدها: ما إحتمله المَجلسي ﷺ علىٰ ما نَقل عنه الخُوئي في شرحه وهو أنّ الإنسان إنّما يحتاج إلىٰ الإدام لأنّه يَعسر علىٰ النّفس أكل الخُبز يابِساً فأمّا مع الجُوع الشّديد فيلتذّ بالخُبز ولا يطلب غيره فهو بمنزلة الإدام، وثانيها: ما إحتّمله أيضاً وهو أنّه يأكل الخُبز دون الشّبع فكان الجُوع مخلوطاً به كالإدام.

وثالثها: ما ذهب إليه الخوئي ﷺ علىٰ سبيل الإحتمال أيضاً وهو أن يكون المراد أنّه كان يَلتذّ بالجُوع كما يَلتَذّ بالإدام والطّعام أو أنّ الجُوع كان بدلاً عن إدامه فأُستعير لفظ الجُوع له من باب إستعارة إسم الضِدّ للضِدّ مثل قوله في الخُطبة الثّانية: **نومهم سُهُود وكُحلهُم دمُوع** انتهىٰ.

أقول: ما ذكروه في المقام لا بأس به فإنّ المقصود أنّه لم يكن له إدام أصلاً.

▫ قوله ﷺ: **وَسِراجُهُ بِالْلَّيْلِ الْقَمَرَ، وَظِلالُهُ فِى الشِتاءِ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَمَغارِبَها...**

أي لم يكن له سراج غير القَمر وضوئه ولا ظلال ومَكمَن من البَرد إلّا مشارق الأرض في الضُّحىٰ ومغاربها في المَساء فهو ﷺ كان يستفيد لدفع البَرد من حرارة الشّمس.

أقول: لا بأس بما ذكره ﷺ إلّا أنّه من قبيل الأكل من القفاء وذلك لأنّا لا نحتاج إلىٰ هذا التّكلّف في شرحه والحقّ أن يقال إنّه ﷺ لم يقصد ها أي الدّنيا طرفا ولَخطةً قال في المنجد عَرىٰ يَعرُو عُرواً، قَصَده، فكأنّه ﷺ قرأ (يُعرها) بضّم الياء وكسر الرّاء من أعار يعير إعارة، وأمّا علىٰ ما ذكرناه فالفعل بفتح الياء وسكون العين وضمّ الرّاء من عرىٰ يعرو عرواً وعلىٰ التّقديرين فالنّتيجة واحدة وهي عدم التوجّه إلىٰ الدّنيا مطلقاً.

وثالثها قوله ﷺ: **أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيا كَشْحاً أَهضَمُ** أفعل التّفضيل من الهَضم وهو خُمص البَطن أي خُلوّها وإنطباقها من الجُوع، والكشح بفتح الكاف وسكون الشّين والحاء ما بين الخاصرة إلىٰ الضّلع الخلف أي أعرض منه وقاطعه والمعنىٰ أنّه ﷺ كان أهضم وأخلىٰ بطناً وإعراضاً عن الدّنيا هذا إذا كان الكَشح مصدر كَشَح بفتح الشّين.

وأمّا إذا قلنا فيه كسر الكاف مصدر كشح بكسر الشّين فمعناه العداوة وهو أيضاً لا بأس له.

ورابعها قوله ﷺ: **وَّ أَخْمَصُهُم مِّنَ الدُّنْيا بَطْناً** أي وأخلاهم من الدّنيا بَطناً أو أخمَصهُم خاصرة وبَطناً والفرق بين الجملتين أنّ الأُولىٰ أفادت إعراضه ﷺ عن الدّنيا والثّانية جوعه فيها.

▫ قوله ﷺ: **عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيا فَأَبىٰ أَنْ يَقْبَلَهَا...**

قَد وَرَد في كثير من الأخبار العاميّة والخاصّية عرض مفاتيح كنوز الأرض عليه ﷺ فأبىٰ أن يَقبلها كما في الوسائل عن الباقر ﷺ في حديث إلىٰ أن قال ﷺ: **وقد أتاه جَبرئيل بمفاتيح خزائن الأرض ثلاث مرّات يُخيّره من غير أن يَنقُص ممّا أعَدّ الله له يوم القيمة شيئاً فيختار التّواضُع لله الحديث.**

والوجه في عدم قبوله ﷺ الدّنيا وما فيها أنّها فانية داثرة لا بقاء لها مضافاً إلىٰ أنّها مَحفُوفة بالبلايا فإنّ الدّنيا دار بالبلاء مَحفُوفة وبالغدر معرُوفة والعاقل لا يقبل ما شأنه الدّثور والأُفول بل يقبل ما شأنه الدّوام والبَقاء وهو الآخرة فضلاً عن الرّسول ﷺ وقد مرّ الكلام في ذمّ الدّنيا والحُبّ لها فإنّ حُبّ الدّنيا

□ قوله ﷺ: وَأَحَبُّ الْعِبادَ اَلىَ اللهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ ،وَالْمُقْتَصُّ لِاَثَرِهِ...

وذلك لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾(١)

وجه الإستدلال بها أنّ الله تعالىٰ قد علّق مَحبّته للعبد علىٰ متابعته لِنَبيّه وهو عين المُدّعىٰ وعليه فكُلّ من كانت متابعته له ﷺ أكثر وأكمل كان حُبّ الله تعالىٰ له أقوىٰ وَأشدّ فينتج أنّ أحَبّ العباد إلى الله أكثرهم متابعةً لأثره ومتأسّيا به وهو المطلوب.

ثمّ إنّ قوله ﷺ: الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ معناه التأسّي به ﷺ في أقواله وأعماله وأخلاقه، وقوله والمُقتَصّ لأثره معناه متابعة سيرته والعمل بأحكام الإسلام والأخذ بالسُّنَن بعد موته فإنّ أثر النّبي ليس إلّا السنّة وهي باقية لنا موجودة.

□ قوله ﷺ: قَضَمَ الدُّنْيا قَضْماً، وَّلَمْ يُعِرها طَرْفاً، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيا كَشْحاً، وَّ أَخْمَصُهُم مِّنَ الدُّنْيا بَطْناً...

شرع في أوصافه ﷺ الّتي ينبغى ان يتأسّي بها المتأسّي فى ترك الدّنيا والإعراض عنها وهي أُمور:

أحدها: أنّه ﷺ: **قَضَمَ الدُّنْيا قَضْماً**، أصل القضم أكل الشّئ بأطراف الأسنان وَيُقابله الخَضم وهو أكل الشّئ بالفَم كُلّه والقَضم في المقام كناية عن عدم ميله ﷺ بالدّنيا ولو كان مائلاً إليها لينبغي له أن يقال خَضَم الدّنيا خَضماً كما قال ﷺ في وصف بني أُميّة في الخُطبة الشّقشقيّة يَخضِمُون مال الله خَضَم الإبل نِبتَة الرّبيع ألا ترىٰ إنّ الإنسان الجائع كيف يأكل الطّعام وقوله ﷺ: قَضماً بالنّصب مفعول مطلق كقولك ضَربت ضَرباً أي نوعاً من الضّرب وفي المقام قَضَم ﷺ نَوعاً من القَضم وفيه إيماء إلىٰ أنّ هذا القَضم مُختصٌ به ﷺ لا يقدر أحد عليه بعده ولأجل هذه الدّقيقة قال هَضماً.

وثانيها أنّه ﷺ: **وَّلَمْ يُعِرها طَرْفاً**، قال الخوئي في شرح الجملة أي لم يعطها نظرة علىٰ وجه العارية فكيف بأن يَجعَلها مَطمَح نظَره وهو كناية عن عدم إلتفاته ﷺ إليها انتهى.

١- آل عمران-٣١

ويجلس جلسة العبد وكان يأكل على الحَضيض وينام على الحَضيض انتهى «ص ١٥٨» والأحاديث كثيرة.

ثمّ إنّ المراد بجَلسَة العَبد أن يضع قَصبَتي ساقيه على الأرض ويعتمد عليها بباطن فخذيه ويقال لها بالفارسية (دو زانو) وقوله عليه السلام ويَخصِف بيَده نعله إلى آخر ما قال يدلّ على تواضعه صلى الله عليه وآله لله وعدم إعتنائه بالدّنيا.

▫ قوله عليه السلام: **وَيَكُونَ السِّتْرُ عَلىٰ بٰابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصٰاوِيرُ...**

قال الخوئي رحمه الله: الظّاهر أنّ المراد به تصاوير الشّجر والنّبات وغيرها لا تصاوير الحَيوان وغيره من ذوي الأرواح إذ بيته كان مَهبط الوحي ومختلف الملائكة ولا يدخل الملك بيتاً فيه صُورة مُجسّمة كما ورد به الأخبار انتهى ما ذكره.

أقول: ما الفرق بين صُورة الشّجر وصُورة الحَيوان في كونهما صُورةً مُجسّمة أليس الشّجر من الأجسام نعَم لو قال صلى الله عليه وآله لا يدخل الملك بيتاً فيه صُورة ذي روح حيواني لكان له وجهٌ ويَثبُت الفَرق والحقّ أن يقال إنّ المراد بالصّور المُجسّمة الّتي ورد الأخبار بمَنعها وذمّها الصُّورة الّتي كانت لها جِسم كأصلها كالمُجسّمات المَنصُوبة في الميادين في زماننا هذا ومن المعلوم أنّها لم تكن في باب بيته صلى الله عليه وآله على السّتر وعليه فلا وجه لتَخصِيص الصُّور في كلامه عليه السلام بصُورة الشّجر والنّبات بل المراد بها الأعمّ منها ومن صُورة الحَيوان وكيف كان فلا شكّ في كراهتها لو لم نقل بحُرمتها شرعاً.

▫ قوله عليه السلام: **فَيَقُولُ: يٰا فُلاٰنَةُ ـ لِاَحْدىٰ أَزْوٰاجِهِ ـ غَيِّبِيهِ عَنِّي، فَإِنِّي إِذٰا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيٰا وَزَخٰارِفَهٰا...**

فيقول أي الرّسُول يا فلانة مخاطباً لإحدى أزواجه (وأظنّ أنّها عائشة) غَيّبيه أي إستُري عَنّي فإنّي إذا نظرت إليها (إليه) أي التّصاوير أو السُّتر ذكرت الدّنيا وزخارفها، لأنّ الدّنيا وما فيها أشبه شيئ بالتّصاوير المَنقوشة على الأستار فلا محالة النّظر إليها يُذكّر الدّنيا وزخارفها.

رأس كلّ خطيئة.

▫ قوله ﷺ: **وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ، وَصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ...**

أي وكيف يقبل الدّنيا مَن عَلِم أنّ الله سُبحانه أبغض شيئاً وهو الدّنيا فأبغضه النّبي أيضاً وحَقَّر الله تعالىٰ شيئاً فَحَقَّره النّبي أيضاً وصَغَّر الله شيئاً فصَغَّره النّبي أيضاً والحاصل أنّ النّبي حُبّه وبُغضه لله لا لِنفسِه وحيث إنّ الدّنيا مَبغُوضة لله تعالىٰ فلا محالة مَبغُوضة له ﷺ وقد ورد في الحديث أنّ من أحَبَّ لله وأبَغض لله وأعَطىٰ لله فهو مِمَّن كَمُلَ إيمانه.

▫ قوله ﷺ: **وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا اِلاّ حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللهُ وَرَسُولُهُ، لَكَفَىٰ بِهِ شِقَاقاً لِلّهِ، وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللهِ...**

أي إذا ثبت أنّ الدّنيا مَبغُوضة لله ورسُوله وصَغيرٌ حَقيرٌ عند الله ورسُوله فينبغي للمؤمن المُسلم الّذي، يَدّعي التأسّي بنَبيّه ﷺ أن تكون الدّنيا عنده أيضاً مبغُوضة مُصغّرة وإلّا لا يكون مؤمناً بالله وبرسُوله واقعاً وعليه فلو لم يكن ذنب لنا إلّا حبّنا الدّنيا المَبغُوضة وتَعظيمنا الدّنيا المُصَغّرة لكفىٰ لنا هذا الذّنب الّذي يدلّ علىٰ عدم التأسّي والحُبّ لِما أبغض الله تعالىٰ فكَفى به شَقَوةً وعداوةً من أمر الله تعالىٰ فإنّه تعالىٰ قد أمَرنا بِبغُض الدّنيا وعدم الرّكون إليها.

▫ قوله ﷺ: **وَلَقَدْ كانَ ﷺ يَأْكُلُ عَلَىَ الاَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيُرْقَعُ بِيَدِهِ ثُوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمارَ الْعَارِيَ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ...**

روى في البحار بإسناده عن أبي عبد الله ﷺ قال: ما أكَل رسُول الله ﷺ متكئاً مُنذُ بَعثه الله عزّ وجلّ حتّىٰ قُبض وكان يأكل أكلَة العبد ويَجلس جِلسَة العبد قلت ولِمَ ذاك قال ﷺ تواضُعاً لله تعالىٰ انتهىٰ «ج ٦ ص ١٥٨»...

وأيضاً بإسناده عنه ﷺ قال: كان رسُول الله يأكُل أكلَ العبد ويَجلس جِلسَة العبد ويَعلَم أنّه ﷺ عبد انتهىٰ« ص ١٥٨»...

وأيضاً بإسناده عن أبي جعفر ﷺ قال: كان رسُول الله يأكُل أكل العَبد

وقد ورد في الحديث عن الصّادق عليه السلام أنّه قال نَزَل جَبرئيل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فقال إنّ الله جَلّ جَلاله يَقرؤُك السّلام ويقول لك هذه بَطحاء مَكّة تكون لك رضراضه ذهباً قال عليه السلام فنَظر النّبي إلىٰ السّماء ثلاثاً ثمّ قال لا يا ربِّ ولكن أشبعُ يَوماً فأحَمدُك وأجوعُ يوماً فأسألك انتهىٰ «ج ٦ ص ١٥٣ بحار الأنوار»...

وإنّما قال صلى الله عليه وآله أشبع يوماً فأحَمَدُك لأجل الشُكر علىٰ النّعمة عملاً بقوله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾

وقوله عليه السلام: وأجُوع يوماً فأسألك لأنّ الجائع يسأل الله تعالىٰ النّعمة وفيه إشارة إلىٰ أنّ العبد الحَقيقي يَتوجّه إلىٰ الله علىٰ كلّ حال إمّا شاكراً وإمّا سائلاً والحصر عقليّ.

- قوله عليه السلام: **وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ...**

أي صُرفت عن الرّسول زخارف الدّنيا مع عظيم زلفته ومنزلته عند الله تعالىٰ.

- قوله عليه السلام: **فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِقَلْبِهِ أَكْرَمَ اللهُ مُحَمَّداً بِذٰلِكَ أَمْ أَهَانَهُ؟ فَإِنْ قَالَ: أَهَانَهُ...**

أي فلينظر ناظر فيما ذكرناه من حالات النّبي وأوصافه وسيرته وجوعه وتواضعه وغير ذلك بعقله وإنّما قال بعقله ولم يقل ببصره لأنّ البَصر لا يرى إلّا المحسُوس وهو الفَقر مثلاً وأمّا أنّ الفقر لِمَ وبِمَ فليس من شأن البَصر وإنّما هو شأن العقل الّذي يحكم ويقضي في القَضايا فالمراد بالنّظر العقلّي هو إدراكه والتأمّل فيه فإذا تأمّل فيما ذكرناه فلا يخلو أن يحكم بأنّ الله تعالىٰ قد أكرم نَبيّه بالإعراض عن الدّنيا والرّغبة عنها أم أهانه ولا يُعقل شِقٌّ ثالث في المقام.

- قوله عليه السلام: **فَقَدْ كَذَبَ وَاللهِ الْعَظِيمِ وَأَتَىٰ بِالْإِفْكِ الْعَظِيمِ...**

أي إن حَكَم عَقله بأنّ الله أهان النّبي صلى الله عليه وآله وحَقّره بعدم إعطائه إيّاه الدّنيا وزخارفها فقد كَذِبَ في إعتقاده وقوله علىٰ الله وأتىٰ بالإفك العظيم وذلك لأنّ النّبي أقرب المَوجودات إليه وهو الّذي قال تعالىٰ في حقّه: لولاك لما خُلقت

□ قوله ﷺ: **فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيا بِقَلْبِهِ، وَأَماتَ ذِكْرَها مِن نَّفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَن تَغِيبَ زِينَتُها عَنْ عَيْنِهِ...**

أي فأعرض الرّسول ﷺ عن الدّنيا بقلبه لا بلسانه فقط كما هو شأن كثير من أبناء الدّنيا يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم فيعرضون عنها بلسانهم ويُحبّونها بقلبهم، وأمات ذِكر الدّنيا عن نفسه فلم يَذكرها إلّا بالسّوء وأحَبَّ ﷺ أن تَغيب زينتها أي زينة الدّنيا عن عينه فإنّ العين هي الّتي ترىٰ الأشياء لا غيرها وإنّما أحَبَّ ﷺ غيبوبة الزّينة عن عينه لأنّ العين ترىٰ والقلب يُحبّ ويَعشق كما قال الشّاعر بالفارسيّة:

ز دست دیده و دل هر دو فریاد | که هر چه دیده بیند دل کند یاد
بر آرم خنجری نیشش ز پولاد | زنم بر دیده تا دل گردد آزاد

□ قوله ﷺ: **لِكَيْلاٰ يَتَّخِذَ مِنْها رِياشاً، وَلاٰ يَعْتَقِدَها قَراراً، وَلاٰ يَرْجُوَ فِيها مَقاماً...**

أي وإنّما كان ﷺ كذلك لكيلا يتّخذ الرّسول من الدّنيا رياشاً أي لباساً فاخِراً ولا يَعتقدها أي الدّنيا قراراً ومكاناً لنفسه فإنّها ليست بدار قرارٍ وإنّما هي دار مجازٍ، ولا يرجُو فيها أي في الدّنيا مقاماً لكونها فانية داثرة لا تَصلَح للمقام بها.

□ قوله ﷺ: **فَأَخْرَجَها مِنَ النَّفْسِ، وَأَشْخَصَها عَنِ الْقَلْبِ، وَغَيَّبَها عَنِ الْبَصَرِ، وَكَذٰلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَن يَنظُرَ إِلَيْهِ، وَأَن يُذْكَرَ عِنْدَهُ...**

أي فأخرج الرّسول الدّنيا من نفسه وأشخَصها أي أبعدها عن قلبه وغيّبها عن بَصَره لئلاّ يرغب فيها وكذا من أبغَض شيئاً من الأشياء أبغض من ينظر إلىٰ الشّيْ وأن يذكر عنده والرّسول كان كذلك.

□ قوله ﷺ: **وَلَقَدْ كانَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ ما يَدُلُّكَ عَلىٰ مَساوِي الدُّنْيا وَعُيُوبِها، إِذْ جاعَ فِيها مَعَ خاصَّتِهِ...**

أي لقد كان في ما فعل الرّسول بالدّنيا من الإعراض عنها وبغضها ما يدلّك ويُرشدك علىٰ مساويْ الدّنيا ومعايبها إذ جاع ﷺ في الدنيا مع خاصّته وأهل بيته الأقربين.

ثمّ إستدلّ ﷺ علىٰ مدّعاه أعني قوله وإلّا فلا يأمن الهَلكَة، بقوله فإنّ الله جعل مُحمّداً إلخ.

وحاصل الإستدلال هو أنّ الله أعطاه ثلاث خصال كلّها يثبت المُدّعىٰ:

أحدها: أنّه تعالىٰ جعل مُحمّداً ﷺ عَلَماً لِلسّاعة، قالوا في شرح الكلام أي مُطّلعاً بأحوال الآخرة جميعها فحيث آثر الآخرة علىٰ الدّنيا وتَركَ الرّكُون إليها مع إطّلاعه عليها عُلِم أنّه ليس ذلك إلّا لكون الدّنيا مَظَنّة الهلاك والعقبىٰ مَحَلّة النّجاة والحياة فالرّاكن إليها مُتعرِضٌ للهَلاك الدّائم والخزي الأبد لا محالة فينبغي التأسّي به ﷺ ليأمن عن الخزي والهلاك هذا.

أقول: لا بأس بما ذكروه فهو حقّ لا مرية فيه إلّا أنّ لنا في المقام إحتمالاً آخر وهو أنّ المقصود أنّه ﷺ علامةُ السّاعة أعني القيامة لقوله تعالىٰ: ﴿**إقتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ القَمَرُ**﴾(١)

فوجوده ﷺ ودينه يدلّ علىٰ إقتراب السّاعة والقيامة لكونه ﷺ خاتم الأنبياء ودينه آخر الأديان وحيث كان كذلك فينبغي أن يكون فعله وقوله ﷺ حجّة علىٰ الكلّ فتحصيل السّعادة لا يمكن إلّا بمتابعته قولاً وفعلاً كما أنّ الشّقاوة والهلاكة في ترك المتابعة والتأسّي به ﷺ.

وثانيها: أنّه تعالىٰ جَعَله مُبشّراً بالجنّة:

وجه الإستدلال به أنّ المبشّر بالجنّة لابدّ له من السّير في مَسير الجنّة وإلّا لا يكون مُبشّراً واقعاً بل يكون كاذباً في دعواه ولا سيّما إذا كان الوصف ممّا أعطاه الله تعالىٰ كما في ما نحن فيه.

وإذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال فينبغي للسّالك إلىٰ الله والمريد إلىٰ الجنّة أن يتأسّىٰ به إذ المفروض أنّه لا طريق إليها إلّا طريقه فالإعراض عن طريقه وترك التأسّي به يوجب الهلكة وهو المطلوب.

وثالثها: أنّه تعالىٰ جعله مُنذراً بالعقُوبة:

وجه الإستدلال به هو أنّ الإنذار إذا كان من قبل الله وبأمرِه فمخالفة المُنذِر

١- القمر - ١

الأفلاك فكيف أهانه وهل هذا إلّا بُهتان وإثمٌ مُبينٌ وقد علمتَ أنّ جبرئيل هبط إليه وأعطاه ومفاتيح كنوز الدّنيا ولَم يقبلها.

▫ قوله ﷺ: **وَإِنْ قَالَ: أَكْرَمَهُ ،فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ، وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ...**

أي وإن حَكَم عقله بأنّ الله تعالىٰ أكرم النّبي بذلك كما هو كذلك فلا محالة يعلم أنّ الله أهان غير النّبي حيث بَسَط الدّنيا وأعطاه النِّعَم وصَرفها ومَنعها عن أقرب النّاس منه وهو النّبي ﷺ حيث لَم يُعطه منها إلّا شيئاً يسيراً.

إن قلت ـ أي إشكال في كونهما حقّاً مَعاًفبَسَط الدّنيا لقومٍ وزَواها عن آخرين.

قلت ـ لا يمكن ذلك لأنّ إعطاء الدّنيا إن كان دليلاً علىٰ كون المُعطىٰ له مَحبُوباً مُقَرّباً عند الله فلا محالة عدم إعطائها يكشف عن كون الفاقد لها مَبغُوضاً عنده وإن كان بالعكس بالعكس والحُبّ والبُغض ممّا لايجتمعان في شيئٍ واحد لإستحالة إجتماع الضِدّين وهكذا الإكرام والإهانة فإنّ الإكرام من لوازم الحُبّ والإهانة من لوازم البُغض وأمّا المصلَحة فهو شيئ آخر لا كلام لنا فيها لإمكان وجودها في الموردين وحاصل الكلام أنّ الله تعالىٰ مع شِدّة حُبّه لِرسُوله لَم يُعطه الدّنيا ومع شدّة بغضه لأعدائه من الكُفّار أعطاهم إيّاها وهذا دليل علىٰ كون الدّنيا مَذموماً مَطروداً يجب الإجتناب عنها وهو المطلوب.

▫ قوله ﷺ: **فَتَأَسَّىٰ مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ، وَإِلاَّ فَلاَ يَأْمَنُ الْهَلَكَةَ...**

أي إذا كان الأمر كذلك وثبت أنّ الله قد أكرم نَبيّه بذلك فينبغي للمسلم المتأسّي برسوله ﷺ أن يتأسّي به في الإعراض عن الدّنيا والرّغبة إلىٰ الآخرة وأن يتّبع أثره ﷺ ويدخل في ما دخل ﷺ فيه وإلّا فلا يأمن الهَلَكة إذ لا يكون متأسّياً به ﷺ ومن كان غير متأسٍّ به فهو هالك.

▫ قوله ﷺ: **فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ مُحَمَّداً ﷺ عَلَماً لِلسَّاعَةِ، وَمُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ...**

والوجه فيه هو أنّ النِّعَم الّتي أنعَم بها علينا على قِسمين، مادّية، ومَعنويّة وإن شئت قلت حِسّية وغير حِسّية، والمادّية منها لا تُحصىٰ والمَعنويّة أيضاً ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحصُوهَا﴾

أمّا النِّعم الحِسّيه المادّية كالماء والغذاء والفواكه والمسكن وغير ذلك فهي فانية دائرة لا بقاء لها ولا إعتماد عليها فإنّ الدّنيا وما فيها بأسرها حالها كذلك.

وأمّا النّعم المَعنويّة العَقليّة كالعلم والقُدرة والشّجاعة والعدالة وأمثالها فهي أعلىٰ وأشرف لوجوه:

أحدها: أنّها باقية ببقاء الإنسان بل بعد موته أيضاً ومعلوم أنّ الباقي خير من الفاني.

وثانيها: أنّ إنسانيّة الإنسان بها لا بالنِّعم الحِسّية فإنّها تعمّ الإنسان وغيره.

وثالثها: أنّها أعني المَعنويّات من أوصاف الله تعالىٰ بخلاف المادّيات فإنّ الله تعالىٰ عالم عادل ولا يتّصف بالأكل والشّرب وغيرها من الحِسّيات والوجوه كثيرة.

ثمّ إنّ المَعنّويات مع شرفها وفَضلَها من شئون الدّين وثمراته إذ العلم والقُدرة وأمثالهما إذا لم يكن ناشئاً من الدّين وملازماً له لا عبرة به أصلاً ولأجل هذا قالوا رأس النِّعم المَعنويّة الدّين ورأس الدّين معرفة الله كما قال عليه السلام أوّل الدّين معرفته، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (١) أي ليعرفون فثبت أنّ معرفة الله تعالىٰ ومعرفة أحكامه والتّخلّق بأخلاقه من أفضل النّعم وأفضلها وأشرفها والمتكفّل لها هو الدّين وهو لا يُوجد إلّا بوجود الرسول فالرّسول من أعظم ما أنعم الله به علينا وهو المطلوب ولأجل هذه الدّقيقة ترىٰ الله تعالىٰ قد منّ علينا به فقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً﴾ مع أنّه تعالىٰ لَم يَمُنّ علىٰ عباده في النعم الحِسّية وهذا هو السّر في قوله عليه السلام حيث قال **فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللهِ** إلخ.

□ قوله عليه السلام: **سَلَفاً نَتَّبِعُهُ، وَقَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ...**

---

١ ـ الذاريات ـ ٥٦

تُوجب الوقُوع في الهَلَكة وهو واضح ثمّ إنّ كونه ﷺ كذلك فقد أثبته القرآن:
قال الله تعالىٰ: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ (١)
و: ﴿إِنْ أَنَا إِلاّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢)
و: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ (٣)
و: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ (٤)
و: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ (٥)
و: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ (٦)

□ وقوله ؑ: **خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصاً، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيماً...**

أي خرج الرّسول من الدّنيا خميصاً أي جائعاً إمّا حقيقة أو مجازاً بمعنىٰ عدم إستمتاعه ﷺ بها كما مَرّ وَوَرد الدّنيا بالولادة سليماً عن النّقائص من جميع الجهات وفي أكثر النّسخ وَوَرَد الآخرة سَليماً وعليه فالمعنىٰ أوضح إذ من أعرض عن الدّنيا فهو في الآخرة سليم.

□ قوله ؑ: **لَمْ يَضَعْ حجَراً عَلىٰ حَجَرٍ حَتّىٰ مَضىٰ لِسَبِيلِهِ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ، فَمَا أَعْظَمَ مَنَّةَ اللهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ...**

قوله ؑ: **لَمْ يَضَعْ حجَراً عَلىٰ حَجَرٍ** كناية عن عدم إعتنائه بالدّنيا فلم يَبن في الدّنيا بناءً ليسكُن فيه إلّا بقدر الحاجة لا أنه لَم يَضع حَجَراً علىٰ حَجر حقيقة وهو واضح.

وقوله ؑ: **حَتّىٰ مَضىٰ لِسَبِيلِهِ**، كناية عن مَوته ﷺ أي أنّه ﷺ كان كذلك إلىٰ أن مات ويدلّ عليه قوله ؑ: **وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ**، وقوله ؑ **فَمَا أَعْظَمَ مَنَّةَ**، كلمة (ما) للتعجّب المفيد للكثرة والغرض أنّ منّة الله علينا عظيمة حين أنعم علينا برسوله وفي قوله ؑ هذا إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً﴾ (٧)

١- المائدة ـ ١٩
٢- الأعراف ـ ١٨٨
٣- سبأ ـ ٢٨
٤- البقرة ـ ١١٩
٥- الإسراء ـ ١٠٥ والفرقان ـ ٥٦
٦- الفتح ـ ٨
٧- آل عمران ـ ١٦٤

مـــن فـــارغ الدنـــيا ومـــا أفـــاد مِـــنهما درهـــماً
ولم يكـــن كـــغيره مُـــتأكِـــلاً مُـــتّهِماً

وقد ثبت زهده أنّه لم يَحفل بالدّنيا ولا الرّئاسة فيها دُون أن عَكَفَ على غسل رسول الله وتجهيزه وقول أولئك منّا أمير ومنكم أمير إلىٰ أن تَقَمَّصها أبو بكر وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (١) و: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ واجتمعت الأمّة على أنّه من فقراء المهاجرين وكان عليه السلام جليّ الصَّفحَة، نَقِيُّ الصَّحيفة، ناصِح الحَبيب، نَقِيُّ الذيل، عذب المشرب عفيف المطلب، لم يتدلّس بحَطام ولَم يَتلبَّس بآثام وقد شهد النّبي صلى الله عليه وآله بِزُهده وقال صلى الله عليه وآله: عليّ لا يَرْزَءِ من الدّنيا ولا تَرزَءِ الدّنيا منه.

وعن أمالي الطوسي في حديث عمّار قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا عليّ إنّ الله قد زَيَّنك بزينةٍ لَم يُزيّن العباد بزينةٍ أحبّ إلىٰ الله منها، زَيَّنك بالزُّهد في الدنيا وجعلك لا تَرزَءِ منها شيئاً ولا تَرزء منك شيئاً وَوَهَبك حبّ المساكين فَجعلك ترضىٰ بهم أتباعاً ويرضون بك إماماً إنتهىٰ وعن اللؤلؤيّات قال عمر ابن عبد العزيز ما علمنا أحداً كان في هذه الأُمّة أزهَد من عليّ ابن أبي طالب بعد النّبي صلى الله عليه وآله وقال ابن عيينة أزهد الصحابة عليّ ابن أبي طالب.

وقال سالم ابن الجعد رأيت الغَنم تَبعر في بيت المال في زمن أمير المؤمنين وقال الشعبي كان أمير المؤمنين يَنضَحه ويصلّي فيه.

وعن سالم الجحدري قال شهدت عليّ ابن أبي طالب أُتىٰ بمال عند المساء فقال أقسموا هذا المال فقالوا قد أمسَينا يا أمير المؤمنين فأخّره إلىٰ غد فقال لهم تقبلون لي أن أعيش إلىٰ غَدٍ قالوا ماذا بأيدينا فقال لا تؤخّروه حتّىٰ تقسموه.

وروي أنّه كان يأتي عليه وقت لا يكون عنده قيمة ثلاثة دراهم يشتري بها إزاراً وما يحتاج إليه ثمّ يقسم كل ما في بيت المال على النّاس ثمّ يُصلّي فيه ويقول الحمد لله الّذي أخرجَني منه كما دخلته وقال الباقر عليه السلام لقد ولّي خمس

١- الحجرات - ١٣

أي كان رسول الله لنا سَلفاً نَتّبعه وقائداً نَطأ عَقبه ونَقفُوا أثَره كما قال تعالى: ﴿ ماآتاكُم الرَّسُولُ فَخُذوُهُ وُمَانهاكُم عَنهُ فَانتَهوُا﴾ [1] فإنّ المتابعة والتأسّي به ﷺ توجب سعادة الدّارين .

▫ قوله ﷺ: **وَاللهِ لَقَدْ رَقَعْتُ مِدْرَعَتِي هٰذِهِ حَتّىَ اسْتَحْيَيْتُ مِن رَاقِعِهَا...**

المِدرَعة ثَوبٌ من صُوف يتدرّع بها كذا قيل حتّىٰ إستحييت من راقعها وفيه إشارة إلىٰ إندراسها.

▫ قوله ﷺ: **وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ، أَلاَ تَنبِذُهَا عَنكَ، فَقُلْتُ اغْرُبْ عَنِّي «فَعِندَ الصَّبَاحِ يُحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرىٰ...**

أي لقد قال لي قائل حين رأىٰ أنّها خَلق وشَمل ألا تَنبذِها وتطرحها عنك فقلت له إغرب أي تباعد عنّي فعند الصّباح أي صباح القيٰمة يحمد القوم السري وهو مثل يضرب به والمقصود غداً يعلم الحقيقة وأنّ الحقّ كان معي أو معكم فإنّ المسافر إذا إحتمل المشقّة وبادر إلىٰ السري من أوّل الليل وجَدّ في سيره يبلغ عند الصباح منزله لا محالة سالماً بخلاف من أخذه نوم الغفلة فإنّه يسري آخر الليل فيقع في تَعَبٍ ومشقّةٍ وهكذا حال الإنسان بالنسبة إلىٰ الآخرة وحيث إنجرّ الكلام إلىٰ هذا وختم ﷺ كلامه بهذه المقالة الدالّة علىٰ زهده ﷺ وإن كانت الخطبة أيضاً مسوقة لبيان زهد الأنبياء فلا بأس بالإشارة إلىٰ بعض ما ورد في زهده ﷺ تبعاً لبعض الشرّاح وتيمّناً وتَبرّكاً بذكر بعض فضائله ﷺ ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

قال في المناقب: المعروفون من الصّحابة بالوَرَع علّي وأبوبكر وعمر وابن مسعود وأبوذر وسلمان وعمّار والمقداد وعثمان ابن مظعون وابن عمر، ومعلوم أنّ أبا بكر توفّي وعليه لبيت مال المسلمين نيّف وأربعون ألف درهم، وعمر مات وعليه نيّف وثمانون ألف درهم وعثمان مات وعليه ما لا يحصىٰ كثرة وعلّي مات وما ترك إلاّ سبعمأة درهم فضلاً عن عطائه أعدّها لخادم قال السروسي:

1- الحشر-٧

وقال الشريف المرتضىٰ فيه عليه السلام:

وإذ الأمور تشاهبَت وتَبَهَّمت ... فجلاؤها وشفاؤها أحكامه

وإذا التَفت إلىٰ التقىٰ صادفته ... من كلّ بِرٍّ وافراً أقسامه

فالليل فيه قيامه مُتهجّداً ... يَتلو الكتاب وفي النهار صيامه

يَعفي الثلاث تَعففاً وتكرُّماً ... حتّىٰ يصادف زاده ومقامه

فمضىٰ بَريئاً لَم تَشنُه ذُنوبه ... يَوماً ولا ظفرت به آثامه

روي أنّه مَرَّ علىٰ قَذَرٍ بمزبَلَةٍ قال هذا ما بخل به الباخلون.

ونروي أنّه عليه السلام كان في بعض حيطان فَدَك وفي يده مسحاة فهجمت عليه إمرأة من أجمل النساء فقالت يابن أبي طالب إن تَزَوّجتني أغنيك عن هذه المسحاة وأدلّك علىٰ خزائن الأرض ويكون لك المُلك ما بقيت قال لها فمن أنت حتّىٰ أخطبك من أهلك قالت أنا الدنيا فقال عليه السلام إرجعي فأطلبي زوجاً غيري فلست من شأني وأقبل علىٰ مسحاته وأنشاء عليه السلام يقول:

لقد خاب مَن عزّته دنيا دنيَّةَ ... وما هي إن عَزَّت قُروناً بباطل

أتتنا علىٰ زِيّ العَروس بثينَةٍ ... وزينتها في مثل تلك الشمائل

فقلت لها غُرّي سواي فإنّني ... عزوف عن الدّنيا ولست بجاهلٍ

وما أنا والدّنيا وإنّ مُحمّداً ... رهينٌ بِقفرٍ بين تلك الجنادل

وهَبها أتَتني بالكُنوز ودرّها ... وأموال قارونٍ وملك القبائل

أليس جَميعاً لِلفناء مصيرنا ... ويطلب من خزّانهابالطوائل

فغرّي سواي إنّني غير راغب ... لما فيك من عِزٍّ ومُلكٍ ونائل

وقد منعت نفسي بما قد رزقته ... فشأنك يا دُنيا وأهل الغوايل

فإنّي أخاف الله يَوم لقائه ... وأخشىٰ عذاباً دائِماً غير زايلِ

وقال الباقر عليه السلام: **إنّه ما ورد عليه أمران كلاهما رضىٰ الله إلّا أخذ بأشدّهما علىٰ بدنه...**

وإنّكَ قد ذكرت لدىٰ مليكٍ ... يَذِلّ بغيرة المتجبّرونا

فَخَرّ لوجهه صعقاً وأبدى ... لربّ الناس رَهبَة راهبينا

وقال لقد ذكرت لدىٰ إلٰهي ... فأبدي ذلّة المتواضيعنا

سنين وما وضع آجرة علىٰ آجرة ولا لَبَنة علىٰ لَبَنة ولا أقطع قطيعاً ولا وارث بيضاء ولا حمراء ولنعم ما قيل فيه:

لَم يشتَمَل قلبه الدّنيا بزخرفها　　　بل قال غُرِّي سواي قول مُحتقرٍ

وعن الزمخشري إنّ علياً إشترىٰ قَميصاً فقطع ما فضل عن أصابعه ثمّ قال للرجل حصه أي خطّ كفافه.

وعن أبي الحسن البلخي أنّه إجتاز بسوق الكوفة فتعلّق به كرسيّ فتخرّق قميصه فأخذه بيده ثمّ جاء به إلىٰ الخيّاطين فقال خيّطو لي ذا بارك الله فيكم.

وعن شَبيكة قال رأيت علياً يأتزر فوق سُرّته ويرفع إزاره إلىٰ إنصاف ساقيه.

وعن فضائل أحمد، رُؤي عليّ، إزار غليظ إشتراه بخمسة دراهم ورؤي عليه إزار مرقُوعٌ فقيل له في ذلك فقال يقتدي به المؤمنون ويخشع له القلب، وتذلّ به النّفس، ويقصد به المبالغ وفي رواية أشبه بشعار الصالحين.

وعن مسند أحمد وكان كمّه لا يجاوز أصابعه ويقول ليس للكمّين علىٰ اليدين فضل ونظر عليه السلام إلىٰ فقير إنخرق كمّ ثوبه فخرق كمّ قميصه وألقاه إليه.

وقال عليه السلام ما كان لنا إلّا أهاب كبشٍ أبيتُ مع فاطمة باللّيل ويعلف عليها الناضح.

أقول: الأخبار في المقام كثيرة إن أردت تفصيلها فعليك بكتب الموضوعة لذكر فضائله ولا سيّما المناقب لابن شهر آشوب ولنعم ما قيل فيه عليه السلام:

وكان طعامه خُبزاً وزيتاً　　　ويُؤثر باللُّحوم الطارقينا

وقال الآخر :

كلّا ولا أغنته عِفّةُ نفسه　　　عن جاعل يرضىٰ سواه حاضر

ولقاؤه شَهواته ببصيرة　　　معصومة عنها بذيل طاهر

وقال ابن زريك :

هو الزّاهد المُوفي علىٰ كلّ زاهد　　　فما قَطَع الأيّام بالشُّهوات

بإيثاره بالقُوت يَطوي علىٰ الطّوىٰ　　　إذا أمّه المسكين في الأزمات

تَقرُّب لِلرّحمٰن إذ كان راكعاً　　　بخاتمه في جملة القربات

وَنَعِيمُهُمْ، فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ الْأَوْلَادِ فَقْدَهَا، وَبِصُحْبَةِ الْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا، لَا يَتَفَاخَرُونَ، وَلَا يَتَنَاسَلُونَ، وَلَا يَتَزَاوَرُونَ، وَلَا يَتَحَاوَرُونَ، فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ، الْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ، النَّاظِرِ بِعَقْلِهِ، فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ، وَالْعَلَمَ قَائِمٌ، وَالطَّرِيقَ جَدَدٌ، وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ.

◁ اللغة

(أُسْرَتُهُ) بضمّ الألف وسكون السين وفتح الرّاء رهطه الأدنون (مُتَهَدِّلَةٌ) علىٰ وزن مُتدلّية لفظاً ومعنىً فإنّ التهدُّل التدلّي (بِطَيْبَةَ) بفتح الطاء المَدينة المنوّرة (مُتَلَافِيَةٍ) التّلافي الإستدراك (تَنْفَصِمُ) الإنفصام الإنقطاع (كَبْوَتُهُ) بفتح الكاف السّقطة (الشَّفِيقِ) الخائف (الكادح) المبالغ في سعيه والباقي واضح.

◁ المعنىٰ

(بَعَثَهُ) أي بعث الله الرسول (بِالنُّورِ الْمُضِيءِ) برهان النبوّة أوالقرآن (وَالْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ) الدالّ علىٰ صدقه في نُبوّته (وَالْمِنْهَاجِ الْبَادِي) أي الطريق الظاهر (وَالْكِتَابِ الْهَادِي) أعني القرآن الّذي يهدي إلىٰ سبيل الرشاد (أُسْرَتُهُ) أي أُسرة الرسول ورهطه (خَيْرُ أُسْرَةٍ) ورهطٍ (وَشَجَرَتُهُ) أي شجرة النّبوّة (خَيْرُ شَجَرَةٍ أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ) لا تميل إلىٰ اليَمين ولا إلىٰ اليسار (وَثِمَارُهَا) أي ثمار الشّجرة (مُتَهَدِّلَةٌ) مُتدلّية بها (مَوْلِده) أعني الرسول (بِمَكَّةَ) فإنّه ﷺ ولد بها (وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ) أعني المدينة (عَلَا) وإرتفع (بِهَا) أي بالمدينة (ذِكْرُهُ، وَامْتَدَّ بِهَا) أي بالمَدينة (صَوْتُهُ) ودَعوته (أَرْسَلَهُ) الله إلى عباده (بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ) مُتداركة ما فَسد في أيّام الجاهليّة (أَظْهَرَ) الله (بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ) الّتي كانت مَستُورة مُختفية (وَقَمَعَ) وبطل (بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ) من عبادة الأصنام وغيرها من آثار الشّرك (وَبَيَّنَ) وأظهر (بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ) الّتي فصّلها الله وقضىٰ بها علىٰ عباده (فَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ

ومن خطبة له عليه السلام (١٦٠)

□ قوله عليه السلام: ابعثهُ بِالنُّورِ الْمُضِئ ،وَالْبُرهانِ الْجَلِيّ، وَالْمِنْهاجِ الْبادِي، وَالْكِتابِ الْهادِي، أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ: أَغْصانُها مُعْتَدِلَةٌ، وَثِمارُها مُتَهَدِّلَةٌ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ، عَلا بِها ذِكْرُهُ، وَامْتَدَّ بِها صَوْتُهُ، أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلافِيَةٍ، أَظْهَرَ بِهِ الشَّرائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَ بِهِ الْأَحْكامَ الْمَفْصُولَةَ، فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً تَتَحَقَّقْ شِقْوَتَهُ، وَتَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ، وَتَعْظُمْ كَبْوَتُهُ، وَيَكُونُ مَآبُهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ، وَالْعَذابِ الْوَبِيلِ.

وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ تَوَكُّلَ الْإِنابَةِ إِلَيْهِ، وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَ إِلىٰ جَنَّتِهِ، الْقاصِدَةَ إِلىٰ مَحَلِّ رَغْبَتِهِ:

أُوصِيكُمْ عِبادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ وَطاعَتِهِ، فَإِنَّها النَّجاةُ غَداً، وَالْمَنْجاةُ أَبَداً، رَهَّبَ فَأَبْلَغَ، وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ، وَوَصَفَ لَكُمُ الدُّنْيا وَانقِطاعَها وَزَوالَها، وَانتِقالَها، فَأَعْرِضُوا عَمّا يُعْجِبُكُمْ فِيها لِقِلَّةِ ما يَصْحَبُكُمْ مِنْها، أَقْرَبُ دارٍ مِّن سَخَطِ اللهِ، وَأَبْعَدُها مِن رِّضْوانِ اللهِ، فَغُضُّوا عَنْكُمْ عِبادَ اللهِ غُمُومَها وَأَشْغالَها لِما قَد أَيْقَنتُمْ بِهِ مِن فِراقِها وَتَصَرُّفَ حالاتِها، فَاحْذَرُوها حَذَرَ الشَّفِيقِ النّاصِحِ، وَالْمُجِدِّ الْكادِحِ، وَاعْتَبِرُوا بِما قَدْ رَأَيْتُمْ مِّن مَصارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ: قَدْ تَزايَلَتْ أَوْصالُهُمْ، وَزالَتْ أَبْصارُهُمْ وَأَسْماعُهُمْ، وَ ذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ، وَانقَطَعَ سُرُورُهُمْ

(وَالْعَلَمَ قَائِمٌ) أي علم الشريعة قائم لا غبار عليه (وَالطَّرِيقَ) إلى الله (جدد) أي سهل يسير (والسبيل) إلى رضوان الله تعالى (قَصْدٌ.) أي مستقيم لا عوج فيه ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيي من حيّ عن بيّنة والله الهادي إلى سبيل الرشاد.

◁ الشرح

▫ قوله ﷺ: بَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيءِ ،وَالْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ، وَالْمِنْهَاجِ الْبَادِي، وَالْكِتَابِ الْهَادِي...

أي بعث الله تعالى رسوله بالنّور المُضيء قال المُعتزلي: المراد بالنُّور الدِّين والقرآن وقال الخوئي ﷺ المراد نُور النُّبوة فإنّ الكتاب يجيئ ذكره والمنهاج هو الدين والتأسيس أولى من التأكيد.

أقول: الإختلاف لفظي فإنّ القرآن أيضاً من أنوار النّبوة بل أفضلها وأشرفها وأنورها ويمكن أن يراد به نور الهداية الشّاملة للجميع وكيف كان في تعبيره بالنّور إشارة إلى كون الرّسول هادياً ومهدياً إذ النّور ظاهر بذاته مظهر لغيره والرّسول كذلك مَهديٌّ بذاته وهادياً لغيره وفي قوله: بَعثه، إشارة إلى أنّه ﷺ كان مبعوثاً إلى الخلق من عند ربّه وهو دليل على صحّة رسالته وصدق مدّعاه والدليل عليه قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ﴾(١)

و: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾(٢)

وقوله ﷺ: بِالنُّورِ الْمُضِيءِ يمكن أن يكون المراد بالنّور القرآن كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾(٣)

و: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً﴾(٤)

١- الجمعة-٢
٢- آل عمران-١۴۶
٣- إبراهيم-١
۴- الشورى-٥٢

الْإِسْلَامِ دِيناً) لنفسه (تَتَحَقَّقُ شِقْوَتَهُ) إذ الإسلام أكمل الأديان وناسخها (وَتَنْفَصِمْ) وتنقطع (عُرْوَتُهُ) وحبله (وَتَعْظُمْ كَبْوَتُهُ) وعثرته (وَيَكُونُ مَآبُهُ) ومآله (إِلَىٰ الْحُزْنِ الطَّوِيلِ، وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ) لقوله تعالىٰ: ﴿وَ هُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ (وَأَتَوَكَّلُ عَلَىٰ اللهِ تَوَكُّلَ الْإِنَابَةِ) والرّجوع (إِلَيْهِ) (وَأَسْتَرْشِدُهُ) أطلب منه الرشد (السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَ إِلَىٰ جَنَّتِهِ، الْقَاصِدَةَ إِلَىٰ مَحَلِّ رَغْبَتِهِ) أعني الطّريق المُنتهية إليها وهي الصراط المُستقيم (أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَىٰ اللهِ وَطَاعَتِهِ) فإنّ خير الزّاد التّقوىٰ (فَإِنَّهَا) أي التّقوىٰ (النَّجَاةُ غَداً) يوم القيمة (وَالْمَنْجَاةُ أَبَداً) دائماً في الدارين (رَهَّبَ) المجرمين (فَأَبْلَغَ) في ترهيبه إيّاهم (وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ) أي وأكمل في ترغيبه (وَوَصَفَ لَكُمُ الدُّنْيَا وَانْقِطَاعَهَا وَزَوَالَهَا، وَانْتِقَالَهَا) فإنّها دار فانية داثرة (فَأَعْرِضُوا) وتنحّوا (عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا) في الدنيا (لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا، أَقْرَبُ دَارٍ مِّن سَخَطِ اللهِ) أي الدنيا كذلك (وَأَبْعَدُهَا مِن رِّضْوَانِ اللهِ) ومقام قربه (فَغُضُّوا) أي بَعِدُّوا (عَنْكُمْ) عن أنفسكم (غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا لِمَا قَد أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِن فِرَاقِهَا) وما كان كذلك فغمُّها لماذا (وَتَصَرُّفَ حَالَاتِهَا) وعدم بقائها علىٰ حالة واحدة (فَاحْذَرُوهَا) أي الدنيا (حَذَرَ الشَّفِيقِ) الخائف (النَّاصِحِ) الخالص (وَالْمُجِدِّ) المُجتهد (الْكَادِحِ) المبالغ في سَعيه (وَاعْتَبِرُوا) منها بما (قَدْ رَأَيْتُمْ مِّن مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ) فإنّكم عمّا قليل لا حقّون بهم (قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ) وأعضائهم في القبور (وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ) كذلك (وَ ذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ، وَانْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ) بالموت الّذي لابدّ منه (فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ الْأَوْلَادِ فَقْدَهَا، وَبِصُحْبَةِ الْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا) أي وقع مكان قرب الأولاد فقد الأولاد ومكان صحبة الأزواج مفارقتها (لَا يَتَفَاخَرُونَ، وَلَا يَتَنَاسَلُونَ، وَلَا يَتَزَاوَرُونَ، وَلَا يَتَجَاوَرُونَ) في قبورهم (فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ) الأمّارة بالسوء (الْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ) المؤدّية إلىٰ الهلكة (النَّاظِرِ بِعَقْلِهِ) لا ببصره (فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ) لا خفاء فيه أصلاً

شَجَرته شجرة النبوّة الّتي خَير شَجَرة أصلاً وفَرعاً والمراد بالأغصان الأئمة عليهم السلام وثمارها شيعتهم ومُحبّيهم ولا يبعد أن يكون المراد بالثّمار ذراريهم إلىٰ يوم القيمة وإنّما وصف عليه السلام الأغصان بالإعتدال لأنّ المعصومين عليهم السلام كانوا معتدلين والإعتدال في المقام عبارة عن الطريق المُستقيم وهم كانوا كذلك فمن كان في مَشيه وطريقه مائلاً إلىٰ الإنحراف من اليمين واليسار فهو ليس بمُعتدلٍ فلا يكون من أغصان الشُجرة الّتي قال تعالىٰ فيها: ﴿مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَ فَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾

▫ قوله عليه السلام: **مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ، عَلاَ بِهَا ذِكْرُهُ، وَامْتَدَّ بِهَا صَوْتُهُ...**

وُلِدَ صلى الله عليه وآله بمَكّة يوم الجمعة عند طلوع الشّمس السّابع عشر من ربيع الأوّل عام الفيل وبه قال أبو علي الفضل ابن الحسن الطَبرسي ؛ وهو المشهور عند الإماميّة.

وفي رواية العامّة ولد عليه السلام يوم الإثنين ثمّ إختلوا فمن قائل لليلتين من ربيع الأوّل ومن قائل لعشر خلون منه وقيل لإثنتي عشرة ليلة وذلك لأربع وثلاثين سنة وثمانية أشهر مضت من ملك كسرىٰ وأُمّه آمنة بنت وهب ابن عبد مناف ابن زهرة ابن كلاب ابن مرّة وأبوه عبد الله ابن عبد المطلّب كما مَرّ في نسبه صلى الله عليه وآله في المجلّد الأوّل من الكتاب ولنعم ما قيل فيه صلى الله عليه وآله:

لقــد طــابت الدُّنـيا بـطيبِ مُـحمّدٍ
وزيـدت بـه الأيّام حُسناً علىٰ حُسنِ
لقــد فَكَّ أغــلال العــتاة مُـحمّدُ
وأنـزل أهـل الخوف في كنف الأمـن

ثمّ إنّه هاجر منها إلىٰ الطّيبة وكان إسمها يثرب فسمّاها رسول صلى الله عليه وآله بطيبة ثمّ إشتَهرت بمدينة الرسول كما هي عليه الآن في زماننا هذا أقام عليه السلام بمكّة أربعين سنة قبل الوحي وثلاث عشر سنة بعده وأقام صلى الله عليه وآله عشر سنين بالمدينة فقبض

ويمكن أن يكون المراد نور النبوّة والهداية كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَه نُوراً فَمَا لَه مِنْ نُورٍ﴾ (١)

و: ﴿وَدَاعِياً إِلَىٰ اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ (٢)

فالنّور المُضيءُ يمكن أن يكون وصفاً للنبي ﷺ وأن يكون وصفاً للكتاب المنزل عليه وكلاهما لا بأس به والمقصود أنّ الله تعالىٰ بعثه كذلك.

وقوله عليه السلام: **وَالْبُرهَانِ الْجَلِيِّ** أعني الّذي لا خفاء فيه فهو إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَائَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾ (٣)

وقوله عليه السلام: **وَالْمِنْهَاجِ الْبَادِي** أي الطريق الواضح قال تعالىٰ: ﴿ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٤)

و: ﴿وَهٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ (٥)

وقوله عليه السلام: **وَالْكِتَابِ الْهَادِي** قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَىٰ الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ (٦)

و: ﴿إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (٧) وقد مرّ الكلام في البعثة والقرآن في ما مضىٰ وقلنا هناك ما يشبعك فلا نطول الكلام في المقام.

□ قوله عليه السلام: **أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ: أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ، وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ...**

أي رهطه خَيرُ رهطٍ وذلك لأنّه ﷺ كان من قريش وقريش من أشرف القبائل في العَرب وأفضَلها وشَجرته خير شَجَرة لكونه ﷺ من شجرة هاشم ابن عبد مناف وهاشم كان من أفضل القريش وأكملهم وأشرفهم ومع ذلك

١- النّور ـ ٤٠
٢- الاحزاب ـ ٤٥/٤٦
٣- النّساء ـ ١٧٤
٤- البقرة ـ ٢
٥- الأنعام ـ ١٥٥
٦- الجنّ ـ ٢
٧- الإسراء ـ ٩

ولهذا من كان مُؤمناً مُعتقِداً بالإسلام فلا مَحيص له من الإيمان والإعتقاد بالأديان السّالفة كلّها كما هو شأن المُفصّل بالنّسبة إلىٰ المُجمل إذ المَجمل موجود في المُفصّل فالعلم بالمُفصّل هو العلم بالمُجمَل ولا عكس فالمؤمن بالإسلام مؤمن بكلّ الأديان والمؤمن بها ليس كذلك ولعلّه لهذه الدقيقة قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الخاسِرِينَ﴾ (١)

و: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (٢) كما قال عليه السلام:

▫ قوله عليه السلام: **فَمَن يَّبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلاٰمِ دِيناً تَتَحَقَّقْ شِقْوَتُهُ، وَتَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ، وَتَعْظُمْ كَبْوَتُهُ...**

أتىٰ بالفاء المفيد للتفريع لما ذكرناه أي إذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال من أنّ الإسلام أظهر الشّرائع وأمحىٰ البدع المدخُولة فيها بسبب المُبدعين وبَيَّن أحكامها المفصولة فهو في الحقيقة لبّ الأديان وعصارتها ومُبيّنها ومُفصّلها وعليه فمن يبتغ غيرالإسلام ديناً وإرتضاه لنفسه فقد تتحقّق شقوته لأنّه أخذَ بالمُجمَل وتَرَك المُفصّل أو تَمسّك بالناقص وأعرض عن الكامل ولا نعني بالشّقي إلّا هذا وإذا كان كذلك فلم يَتمسّك بالعُروة الوثقىٰ الّتي لا إنفصام لها بل تمسّك بالعروة المُنفصمة المُنقطعة وهي الدين المجهُول فلا محالة تعظم كَبوته وعَثرته فإنّ الشّرائع مجهولة مدخولة فالتَمسّك بها في خطر عظيم إذ لا يمكن له الإهتداء إليها حقيقة فتكون عثراته عَظيمة وسُقوطه في نار جهنّم قطعيّة كما قال عليه السلام:

▫ قوله عليه السلام: **وَيَكُونُ مَآبُهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ، وَالْعَذٰابِ الْوَبِيلِ...**

والمآب المَرجع والمقصود أنّ هذا الإنسان يكون مرجعه غداً يوم القيٰمة التأسّف علىٰ ما مضىٰ عليه في الدّنيا من الأخذ بما لا ينبغي والتّرك بما كان

١-آل عمران - ٨٥ ٢-البقرة - ٤

بها وهو ابن ثلاث وستّين سنة في سنة عشرين الهجرة.

وقوله ﷺ: **عَلاَ بِهَا ذِكْرُهُ، وَامْتَدَّ بِهَا صَوْتُهُ**، فمعناه واضح فإنّ النبي ﷺ بعد دخوله المَدينة ونُصرة الأنصار له قَهر الأعداء وخذَلهم وإشتَهر في الآفاق.

□ قوله ﷺ: **أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلاَفِيَةٍ...**

أي أرسله الله بحجّةٍ كافية ومعجزاتٍ باهرة دالّة علىٰ نبوّته وموعظة شافية لداء الجَهل قال الله تعالىٰ: **﴿ادْعُ إِلىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾**(١)

ودعوة متلافية مُتداركة لِما كان في عهد الجاهليّة من الضّلالة والفساد والعناد.

□ قوله ﷺ: **أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ...**

أي أظهر الله بالرسول ماكان مجهولاً عند الناس من الشّرائع الماضية وذلك لأنّه لم يكن لهم علم بها قبل ظهور الرّسول وإنّما أظهرها الرسول ﷺ وفيه إيماء إلىٰ أنّ الإسلام في الحقيقة أظهر الأديان السّالفة أو أنّ الأديان في عهد الجاهليّة قد مُسخت وتَغيَّرت وبعد ظهور الإسلام إنكَشفت حقيقة الحال وأنّ ما زعموه من الأديان ليس منها ويدلّ علىٰ ما ذكرناه قوله ﷺ: **وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ** في الأديان إذ لو لم يكن هناك شيٌ من البِدع فأيّ شيٍ قَمَعه النّبي والبِدعة إدخال ما ليس من الدين فيه وبذلك يعلم أنّ المُبدعين أبدَعُوا في الأديان ما لم يكن منها فصارت الشّرائع بها مَجهُولة بحيث لم يمكن لأحد التّطرّق إليها قبل البعثة وقوله ﷺ: **وَبَيَّنَ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ** أيضاً يُؤيّد المُدّعىٰ لعدم علم الناس بتفصيل الأحكام وإن كانوا عالمين بها إجمالاً والإجمال لا يغني عن التّفصيل فالإسلام في الحقيقة مُظهر الأديان ومُفصّلها

١- النحل - ١٢٥

وقال الباقر عليه السلام: من توكّل على الله لا يُغلَب ومن إعتَصَم به لا يُهزَم انتهىٰ...

وقال النّبي صلى الله عليه وآله: مَن سَرّه أن يكون أقوىٰ النّاس فَليتَوكَّل علىٰ الله ومَن سَرّه أن يكون أكرَم النّاس فليَتّق الله ومن سَرّه أن يكون أغنىٰ النّاس فَليَكُن بما في يد الله أوثق منه في يده انتهىٰ...

وقال عليه السلام: لَو أنّ رجلاً تَوكَّل علىٰ الله بِصِدق النيّة لإحتاجت إليه الأُمراء فمن دونهم فكيف يحتاج هو ومَولاه الغَنيّ الحميد انتهىٰ...

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: الإيمان له أركان أربعة: التَوكُّل علىٰ الله، وتَفويض الأمر إلىٰ الله، والرضا بقضاء الله، والتَّسليم لأمر الله انتهىٰ «مشكاة الأنوار ص ١٦ الىٰ ص ١٨»...

والأحاديث في مدح التوكّل كثيرة وإنّما قَيّد عليه السلام التوكّل بالإنابة وقال: توكّل الإنابة لأنّ الإنابة هي الرجوع إلىٰ الله كما أنّ التوبة هي الرجُوع عن مخالفة الله إلىٰ موافقته فأصل الرّجُوع مَحفوظ فيهما إذ العبد ما لم يكن له رجوع إليه تعالىٰ لا تتحقّق له حقيقة العُبوديّة منه وحيث كان كذلك فالإنابة أولىٰ وأفضل من التّوبة ولأجل هذا قالوا الإنابة إليه تعالىٰ من أعلى المقامات للعارفين إذ هي آخر مراحل العُبوديّة والتوبة أوّلها وقد أمر الله تعالىٰ عباده الصّالحين بالإنابة حيث قال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾ (١)

و: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٢)

و: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (٣)

و: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (٤)

وأمّا العقل: فلأنّ التوكّل والإنابة علىٰ غير الله وإلىٰ غير الله لا معنىٰ لهما وذلك لأنّ التوكّل هو الإعتماد علىٰ الغير والإنابة الرجوع إليه والعقل يحكم بقبح الإعتماد علىٰ من لا يقدر علىٰ شيء والرّجوع إلىٰ من لا يضرّ ولا ينفع

١- الزمر ـ ٥٤ ٢- الممتحنة ـ ٤

٣- هود ـ ٨٨ ٤- الشورىٰ ـ ١٠

مأموراً بأخذه وإتّباعه فلا مَفرّ له من العذاب ولا مَخلّص له من النار هذا.

□ قوله ﷺ: **وَأَتَوَكَّلُ عَلَىَ اللهِ تَوَكُّلَ الْاِنابَةِ اِلَيْهِ، وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَ اِلىٰ جَنَّتِهِ، القاصِدِةَ اِلىٰ مَحَلِّ رَغْبَتِهِ...**

التّوكيل أن تعتمد علىٰ غيرك وتَجعله نائباً عنك وذلك لأنّ الوكيل فعيل بمعنىٰ المفعول فقوله تعالىٰ: ﴿وكفىٰ بالله وكيلاً﴾ أي إكتف به أن يتولّىٰ أمرك إذا عرفت هذا فنقول: قوله ﷺ: وَأَتَوَكَّلُ عَلَىَ اللهِ معناه أعتمد عليه في جميع أُموري ولا شكّ أنّ من إعتمد عليه فهو حسبه نقلاً وعقلاً:

أمّا النقل: فلقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَىَ اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[(١)]

و: ﴿وَعَلىٰ اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[(٢)]

و: ﴿وَما لَنا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَىَ اللهِ وَقَدْ هَدانا سُبُلَنا﴾[(٣)]

و: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَىَ اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[(٤)]

و: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنا﴾[(٥)] والآيات كثيرة:

ومن الأخبار ما رواه في مشكاة الأنوار من كتاب المحاسن عن ابي عبد الله ﷺ قال ﷺ: إنّ الغِنىٰ والعِزّ يَجُولان فإذا ظفرا بموضع التّوكل أوطناه انتهىٰ« ص ١٦»...

وأيضاً عن أبي الحسن الأوّل ﷺ سأله علي ابن سويد السائي عن قول الله عزّ وجلّ: (ومَن يَتَوكّل علىٰ الله فهو حَسبه) فقال: التَّوكُل علىٰ الله درجات منها أن تتوكّل عليه في أُمورك كلّها فما فَعل بك كُنتَ عنه راضياً تعلم أنّه لا يألوك إلّا خيراً وفضلاً وتعلم أنّ الحكم في ذلك إليه ووثقت به فيها وفي غيرها انتهىٰ...

وقال النّبي ﷺ: من أحبّ أن يكون أتقىٰ النّاس فليَتَوكّل علىٰ الله انتهىٰ...

١- الطّلاق ـ٣ ٢- التّغابن ـ١٣
٣- إبراهيم ـ١٢ ٤- الأنفال ـ٤٩
٥- الملك ـ٢٩

و: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾(١)

و: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾(٢)

و: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾(٣)

و: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(٤) وقد مرّ الكلام منّا في التقوىٰ وآثارها في الدّنيا والآخرة بما لا مزيد عليه فلا نعيد الكلام بذكره ثانياً وأمّا قوله ﷺ: **فَإِنَّهَا النِّجَاةُ** مع أنّ التّقوىٰ سببٌ ووَسيلة لها لا نَفسها فهو من باب المُبالغة نَحو زيد عدل أي زيد من كُثرة عدله كأنّه صار نفس العدل فالتّقوىٰ أيضاً صارت نَفس النّجاة ولأجل هذه الدّقيقة قال ﷺ ثانياً بأنّها المنجاة أبداً في جميع المقامات يعني أنّ النجاة تحلّ فيها أو أنّها وسيلة وآلة لها والكلّ صحيح لاغبار فيه.

▫ قوله ﷺ: **رَهَّبَ فَأَبْلَغَ، وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ، وَوَصَفَ لَكُمُ الدُّنْيَا وَانْقِطَاعَهَا وَزَوَالَهَا، وَانْتِقَالَهَا...**

قال الرّاغب في المفردات الرَّهبة والرُّهب مخافة مع تحرّزٍ وإضطرابٍ والرَّغبة السّعة في الشيء والسعة في الإرادة فقوله ﷺ **رَهَّبَ فَأَبْلَغَ** أي رهّب الله المجرمين وأخافهم من عذابه وقوله ﷺ: **وَرَغَّبَ** أي رَغّب المُطيعين المُنقادين.

أمّا الأوّل: أعني التّرهيب فقال تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾(٥)

و: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾(٦)

وقال تعالىٰ في تخويف المجرمين: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾(٧)

١- البقرة ـ ٢٣٧ ٢- الأعراف ـ ٢٦
٣- آل عمران ـ ٧٦ ٤- التّوبة ـ ١٢٣
٥- البقرة ـ ٤٠ ٦- النحل ـ ٥١
٧- البقرة ـ ١٠

وغير الله كائناً من كان كذلك إذ هو مخلوق والمخلوق ضعيف فأيّ نفع في الإعتماد عليه والرّجوع إليه فالّذي يستحقّ لهذين الوصفين هو الله لا غير فثبت المطلوب.

▫ وقوله ﷺ: **وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَ إِلىٰ جَنَّتِهِ، الْقَاصِدَةَ إِلىٰ مَحَلِّ رَغْبَتِهِ** معناه أنّي بعد التّوكّل علىٰ الله أطلب منه الرُّشد والهداية إلىٰ الطريق المؤدّي إلىٰ جنّته أعني الطريق المُستقيم كما نقول: **﴿إهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾** (١)

وإنما طلب ﷺ الطّريق المُرشد إلىٰ جنّته ورَغبته منه تعالىٰ لأنّ إراءة الطريق منه إذ هو أعلم بالطّريق المُؤدّي إلىٰ جنّته ورَغبته فإنّ أهل البيت أدرى بما في البيت وقد ورَد في الأثر أنّ الله إذا أراد بعبد خَيراً هيّأ له أسبابه وَورد أيضاً اللّهم إهدنا من عندك وقد قال الله تعالىٰ في كتابه: **﴿إنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾** (٢)

وقال الله تعالىٰ: **﴿اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾** (٣)

▫ قوله ﷺ: **أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَىٰ اللهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَداً، وَالْمَنْجَاةُ أَبَداً...**

ثمّ أوصاهم بتقوىٰ الله وطاعته وإستدلّ عليه بأنّ التّقوىٰ رسيلة النّجاة عن العذاب غداً يوم القيمة وهي المُنجاة أبداً في الدّارين أمّا الوصية بالتقوىٰ فهي من أحسن الوصايا لأنّها منشأ الخيرات ورأس الحَسنات ويكفي في شأنها أنّ الله لا يقبل عَمَل عاملٍ إلّا بها فقال في كتابه **﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾** (٤) وقد أمَرنا في كتابه بالأخذ بها وعرّفها إنّها خَير الزّاد فقال: **﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوىٰ﴾** (٥)

١- الفاتحة ـ٦و٧ ٢- الإنسان ـ٣

٣- المائدة ـ٣٥ ٤- المائدة ـ٢٧

٥- البقرة ـ١٩٧

و: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾(١)

و: ﴿فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾(٢)

و: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾(٣) وقد مرّ الكلام في الدّنيا وحقيقتها وذمّها وزوالها مفصّلاً.

▫ قوله عليه السلام: **فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا، أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللهِ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللهِ...**

أي فأعرضوا عمّا يُعجبكم من نِعم الدنيا لقلّة ما يصحبكم من الدنيا وذلك لأنّ الموت يقطع العلائق الدنيويّة أقرب دار من سخط الله أعني الدنيا كذلك وأبعدها من رضوانه وهو الدنيا أيضاً ولأجل هذا وردت الروايات والآيات في ذمّها وقد ذكرنا كثيراً من الأخبار والآيات الواردة فيه فلا نعيد الكلام بذكرها وكفى في ذمّها قول الرسول: إنّ حُبّها رأس كلّ خطيئة.

▫ قوله عليه السلام: **فَغُضُّوا عَنْكُمْ عِبَادَ اللهِ غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا لِمَا قَدْ أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفَ حَالاَتِهَا...**

أي كُفُّوا أنفسكم عنها وأخرجوا عن قلوبكم غُموم الدّنيا وأشغالها وذلك لأنّكم أيقنتم بفراقها وتغيُّر حالها ومن المعلوم أنّ العاقل لا يُعتمد على ما هو مقطوع الفراق ومعلوم التّغيّر والزّوال وقوله عليه السلام: **غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا** المراد بهما الغموم والأشغال الدّنيوية وبعبارةٍ أُخرى الغَمّ لِلدّنيا وأمّا الغُموم والأشغال الّتي فيها لأجل الآخرة فلا فإنّها من الكمالات وأحسن الطّاعات كما أنّ حبّ الدنيا للدنيا مذمومٌ وأمّا حبّها لأجل الوصول إلى المقامات الإنسانيّة والفوز إلى روضات الجنان فلا ذمّ فيه بل هو ممدوحٌ كيف والغَرض الأصلي من خلق الدنيا والكون فيها هو هذا.

▫ قوله عليه السلام: **فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ، وَالْمُجِدِّ الْكَادِحِ...**

١- الأنعام-٣٢. ٢- لقمان-٣٣

٣- فاطر-٥

و: ﴿لَهُمْ فِى الدُّنْيا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾[1]

و: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ﴾[2] والآيات في الباب كثيرة جدّاً.

ومن التّرغيب قوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[3]

و: ﴿وَ ادْخِلْهُمْ جَنّاتِ عَدْنٍ الَّتِى وَعَدْتَهُمْ﴾[4]

و: ﴿جَنّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها﴾[5]

و: ﴿يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَيُرْزَقُونَ فِيها بِغَيْرِ حِسابٍ﴾[6]

و: ﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَساءَ فَعَلَيْها﴾[7] والآيات في التّرهيب والتّرغيب كثيرة وفيما ذكرناه كفاية لأُولي الدّراية.

وإنّما قال عليه السلام في الأوّل أعني التّرهيب فأبلَغ وفي التّرغيب فأسبَغ لنكتة وهي أنّ التّرهيب لكونه متضمّناً للتخويف بل هو نفسه فينبغي أن يقال إنّ الله تعالىٰ أبلغ فيه أي لم يترك شيئاً ممّا لابدّ من ذكره مع كونه صريحاً بليغاً لا خفاء فيه أو كاملاً لا نقص فيه.

وأمّا التّرغيب فحيث إنّه في الحقيقة نِعمةٌ أو وعدٌ بها والوعد بالنّعمة نِعمَةٌ فالأنسَب فيه أن يقال: أسبَغ كما قال الله تعالى: ﴿وأسبَغَ عليكم نِعَمهُ﴾ أي أتَمّ وأكمَل.

وقوله عليه السلام: وَوَصَفَ لَكُمُ الدُّنْيا وَانقِطاعَها وَزَوالَها، وَانتِقالَها فهو إشارة إلىٰ الآيات الواردة في ذمّ الدنيا وأنّها في معرض الفناء والزّوال وهي كثيرة: منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ وَلَعِباً لَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا﴾[8]

١- البقرة ـ ١١٤
٢- آل عمران ـ ٤
٣- البقرة ـ ٦٢
٤- غافر ـ ٨
٥- الرّعد ـ ٢٣
٦- غافر ـ ٤٠
٧- الجاثية ـ ١٥
٨- الأنعام ـ ٧٠

بِعَقْلِهِ...

أي فاحذروا عنها حَذَر من يغلب لنفسه إذ لو لم يغلب عليها كيف يقدر علىٰ تركها والمانع لشهوته فإنّ التابع للشهوات تابع للدنيا لا محالة والناظر بعقله إذ من لم يكن له عقل ينظر به لا يمكن له التّخلّص من آفات الدنيا فإنّ الناظر بالبصر لا يحذر إلّا من المحسُوس وهو ظاهر.

▫ قوله عليه السلام: **فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ، وَّالْعَلَمَ قَائِمٌ، وَالطَّرِيقَ جَدَدٌ، وَّالسَّبِيلَ...**

أي فإنّ أمر الدنيا وزوالها وفنائها واضح لا خفاء فيه والعَلَم أي عَلَم الشريعة أو العلامة الدالّة علىٰ ما ذكرناه قائم في الكتاب والسنّة والعقل والطّريق إلىٰ الله جدد أي سَهَل يَسير والسّبيل إلىٰ رضوانه مُستقيم هذا تمام الكلام في شرح الخطبة وإنّما إختصرنا الكلام في شرحها لأنّا قد بسطنا المقال في ما مضىٰ عند شرحنا لما هو نظير هذه العبارات الواردة منه عليه السلام في ذمّ الدنيا والحمد لله ربّ العالمين.

أي فاحذروا حذر الخائف الخالص والمُجتهد المبالغ في سعيه فإنّ ترك الدنيا صَعبٌ عسيرٌ.

▫ قوله ﷺ: **وَاعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِّنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ: قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ، وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ، وَ ذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ، وَانْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ...**

أي إن لم تكن الآيات والأخبار وكلمات الأنبياء والأوصياء والعلماء في ذمّ الدنيا كافية لكونها من المعقولات ولستُم من أهلها فإتّعِظُوا بمواعظ المَحسُوسة الّتي لا يشكّ فيها كلّ من له حِسّ ودَركٌ وهي عبارة عن الاعتبار بما قد رأيتُم من مصارع القرُون الماضية قبلكم قد تَزايَلت وأوصالهم ومفاصلهم وزالت أسماعهم بما فلا يسمعون بها وأبصارهم فلا يبصرون بها في قبورهم لفقد أُجزائهم فيها وأيضاً إنظروا إلىٰ شرفهم وعِزّهم وإنقطاع سُرورهم ونَعيمهم بالموت وما كان هذا آخره فالحَذَر عنه أولىٰ وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ حيث قال: **﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ، كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ. فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾**(١)

▫ قوله ﷺ: **فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ الْأَوْلَادِ فَقْدَهَا، وَبِصُحْبَةِ الْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا...**

أي قرب الأولاد لهم في الدُّنيا بُدِّل بفقدها بسَبب الموت وصُحبة الأزواج بمفارقتها به والحاصل أنّ الموت فَصَّل بينه وبين أولاده وأزواجه.

▫ قوله ﷺ: **لاَ يَتَفَاخَرُونَ، وَلاَ يَتَنَاسَلُونَ، وَلاَ يَتَزَاوَرُونَ، وَلاَ يَتَجَاوَرُونَ...**

وذلك لأنّ التّفاخر والتّناسُل والتّزاوُر والتّجاور كلّها من لوازم الدنيا وحياتها فإذا مات الإنسان فلا يقدر عليها لأنّه أسير جَنادلٍ وترابٍ.

▫ قوله ﷺ: **فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ، الْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ، النَّاظِرِ**

١- الدّخان ـ٢٩=٢٥

والإستقامة (ذِمامَةُ) بكسر الذال الحِماية (الصِّهْرِ) الصّلة بين أقارب الزّوج والزّوجة (نَوْطاً) بفتح النون التّعلّق (أَثْرَةً) الإختصاص بالشّيء (وَالْـمَعْودُ) بكسر الميم مكان العود وقد يقال بِفَتحِها وضَمّ العين وسكون الواو وسيأتي الكلام فيه (حَجَرَاتِهِ) جمع حُجرة النّواحي (الأَوَد) مُحرّكة الإعوجاج (فَوّارِهِ) والفوّارة من الينبوع الثّقب الّذي يفور الماء منه بشدّةٍ (وَجَدَحوُا) أي خلطوا ومزجوا (شِرْباً) بكسر الشين الحظّ من الماء (وَّبِيئاً) الوَبِيُ بفتح الواو وكسر الباء وسكون الياء المَرَض.

◁ المعنىٰ

(يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ: إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ) أي مُضطرب البِطاق وقليل الثّبات (تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ) أي تطلق عنان دابّتك في غير مَوضعه (وَلَكَ بَعْدُ) أي بعد ما ذكرناه (ذِمَامَةُ الصِّهْرِ) وحماية القرابة (وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ) أي حقّ السؤال فلابدّ لنا من الجواب (وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ) أي طلبت العلم والفهم (فَاعْلَمْ: أَمَّا الْإِسْتِبْدادُعَلَيْنا بِهذَا الْمَقامِ، وَنَحْنُ الْاَعْلَوْنَ نَسَباً، وَالْاَشَدُّونَ بِرَسُولِ ﷺ نَوْطاً فَإِنَّها كانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْها نُفُوسُ قَوْمٍ فاعلم أمّا الإستبداد علينا بهذا المقام) أي إستقلال الغاصبين علينا في مقام الخلافة:

(وَنَحْنُ الْاَعْلَوْنَ نَسَباً، وَالْاَشَدُّونَ بِرَسُولِ ﷺ) أي والحال أنّ نحن كنّا كذلك (نَوْطاً) وتَعلّقاً به ﷺ (فَإِنَّها) أي الخلافة والحكُومة (كانَتْ أَثَرَةً) أي طُعمة (شَحَّتْ) وبَخلت (عَلَيْها نُفُوسُ قَوْمٍ) فدفعوها عنّا (وَّ سَخَتْ) أي جادَت وبَذلت (عَنْها نُفُوسُ آخَرِينَ) فأعرضوا عنها وهم أهل البيت عليهم السلام (وَالْحَكَمُ) بيننا وبينهم (اللهُ) تعالىٰ فإنّ الله نِعَم الحَكَم (وَالْمَعُودُ اِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيمَةِ) ونعم المِيعاد هو (وَدَعْ) أي اترك (عَنكَ) عن نفسك (نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ) أي لا تسأل عمّا وقع (وَهَلُمَّ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيانَ) وهو معاوية لَعَنه الله أي هات ذِكر حديثه (فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ ابْكائِهِ) أي بعد ما أبكاني الدّهر فيما مضى أضحكني في قصّة معاوية وطَمَعه في الخلافة (وَلاَ غَرْوَ) ولا عَجب (وَاللهِ) من

ومن كلام له عليه السلام (١٦١)

حين سئله بعض أصحابه، كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به

▫ فقال عليه السلام: يا أَخا بَنِي أَسَدٍ: اِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ، تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ! وَلَكَ بَعْدُ ذِمامَةُ الصِّهْرِ وَحَقُّ الْمَسْئَلَةِ، وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ: أَمَّا الِاسْتِبْدادُ عَلَيْنا بِهٰذَا الْمَقامِ، وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَباً، وَالْأَشَدُّونَ بِرَسُولِ صلى الله عليه وآله نَوْطاً فَاِنَّها كانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْها نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْها نُفُوسُ اٰخَرِينَ، وَالْحَكَمُ اللهُ وَالْمَعُودُ اِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ.

وَدَعْ عَنكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَراتِهِ.

وَهَلُمَّ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيانَ! فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ اِبْكائِهِ، وَلاٰ غَرْوَ وَاللهِ فَيالَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ وَيُكْثِرُ الْأَوَدَ، حاوَلَ الْقَوْمُ اِطْفاءَ نُورِ اللهِ مِن مِصْباحِهِ، وَسَدَّ فَوّارِهِ مِن يَنْبُوعِهِ، وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً. فَاِن تَرْتَفِعْ عَنّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ الْبَلْوىٰ أَحْمِلْهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلىٰ مَحْضِهِ، وَاِن تَكُنِ الْأُخْرىٰ، (فَلاٰ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ، اِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ.

◁ اللغة

(لَقَلِقُ الْوَضِينِ) قَلق قَلقاً من باب تَعب أي إضطَرَب والقَلَق الإضطراب والوَضِين بفتح الواو وكسر الضّاد بطاق يُشَدّ به الرّحل علىٰ البعير كالحِزام لِلسَّرج (تُرْسِلُ) الإرسال الإطلاق (السَّدَدِ) بفتح السين كالسداد الصَّواب

أنت كمن أرسَل دابّته وأطلَق عنانه وذلك لأنّك أطلقت عنان كلامك فتقول وتَسْئل في غير مَحلّه وإنّما قال عليه السلام له ذلك لأنّ هذا السؤال كان عَبثاً لا طائل تحته لوجوه:

أحدها: أنّ دفعهم إيّاه عليه السلام عن مقام الخلافة كان قد مضىٰ عنه مُدّة تقرب ثلاثون سنة فهذا السؤال بعد تلك المُدّة أيّة فائدةٍ فيه فإنّ ما مضىٰ مضىٰ والعاقل لا يتكلّم فيه بل المُهمّ الحال والإستقبال.

وثانيها: أنّ زمانه عليه السلام كان زمان تَقِيّة والنّاس إلّا قليلاً منهم كانوا أتباع الخلفاء وأشياعهم وفي هذه الصُورة إن أجاب عليه السلام بما هو الواقع والحقيقة يستلزم ذمّ الخلفاء وهو خلاف التَقيّة وإن أجاب بغير الواقع فقد أغْرَ السّائل بالجهل ومع ذلك يلزم قلب الواقع من غير مرجّحٍ يُوجِبُه وإن لم يُجب أصلاً بقي السّؤال بلا جواب وهو خلاف الأدب.

وثالثها: أنّ معاوية وأصحابه قد تَشَبّثوا في تأسيس حكومتهم وتشييد مباني إمارتهم بأنّ عليّاً عليه السلام كان مخالفاً لأبي بكر وعُمر وعُثمان وعليه فإن أجاب عليه السلام حقّ الجواب يلزم صدق معاوية في دعواه ولا شكّ أنّ أكثر أصحابه كانوا من أتباع عمر وأبي بكر وعُثمان بل من أشياعهم ومُحبّيهم فكيف يَصلَح له عليه السلام ذكر الحقيقة ومن المعلوم أنّ العوام كالأنعام بل هم أضَلّ سَبيلاً ولهذه الوجوه وغيرها قال عليه السلام للسائل ما قال.

□ قوله عليه السلام: **وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصِّهْرِ وَحَقُّ الْمَسْئَلَةِ، وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ...**

بعد ما خاطبه عليه السلام بما خاطبه من أنّه قَلَق الوَضِين الخ تَصدّىٰ لجوابه وعَلّل عليه السلام الجواب بأمرين:

أحدهما قوله عليه السلام: **وَلَكَ بَعْدُ** أي بعد ما ذكرناه من أنّ المقام ليس مقام هذا السؤال ذمامة الصِّهر أي حماية القرابة وقد إختلفوا في هذه القرابة فقال المعتزلي لأنّ زينب بنت جَحش زَوج رسُول الله كانت أسَديّة والسائل أيضاً كان أسَديّاً فهذا هو وجه القرابة ثمّ إعترض علىٰ القطب الراوندي حيث عَلّل ذلك بأنّ أمير المؤمنين قد تَزوّج في بني أسَد فقال المُعتزلي بأنّ عليّاً لَم يَتزوّج

تَقلُّبات الدّهر (فَيالَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ وَيُكْثِرُ الْأَوَد) والإعوجاج كما هو شأن الدّهر (حَاوَلَ) وقَصد (الْقَوْمُ) معاوية وأصحابه (اطْفاءَ نُورِ اللهِ) أعني الدّين (مِن مِّصْبَاحِهِ) الذّي يُوضع السّراج فيه (وَسَدَّ فَوّارِهِ مِن يَّنبُوعِهِ) أي أراد سَدّ فوّارة الدّين من أصله (وجَدَحُوا) أي مَزَجُوا وخَلطوا (بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَّبِيئاً) وهو الفتنة الحاصلة (فَإن تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مَحِنُ الْبَلْوىٰ) وأطفئت نائرة الحَرب (أَحْمِلْهُمْ مِّنَ الْحَقِّ عَلىٰ مَحْضِنِهِ) وخالصه الذّي لا يشوبه شيء (وَإِن تَّكِنُ الْأُخْرىٰ) ولم يكشف الله هذه البليّة (فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ)الآية فإنّ الله لبالمرصاد.

◁ الشرح

▫ قوله عليه السلام: **يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ: إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ، تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ!...**

روي أنّ رجلاً من قبيلة بني أسد وكان من أصحابه سَئله عليه السلام عن أمر الخلافة وقال كيف دَفعَكم قَومكم عن هذا المقام ولعلّ المقصود بالقوم قُريش وأنتم أحَقّ به أصالتاً في قريش وقرابة لرسول الله والأقرب يمنع الأبعد والحاصل إن كان الملاك في التَصدّي لأمر الخلافة كون الخليفة من قريش فأنتم من بطن قريش وإن كان الملاك قرابة الرّسول فأنتم أقرب الناس إليه؟

فقال عليه السلام في الجواب: يا أخا بني أسد والتَعبير بالأخ لكون الرّجل مُسلماً والمُسلم أخُو المُسلم في الدّين وبني أسد كان من قبائل العرب إنّك لَقلَق الوَضين أي مضطرب البطاق وذلك لأنّ الوَضين كما قيل بطاق مَنسُوج بعضها علىٰ بعض يُشدّ به الرّحل علىٰ البَعير كالحزام لِلسّرج كذا قال الخوئي في شرحه نقلاً عن النهاية فالكلام خرج مَخرَج الإستعارة شبّه عليه السلام الكلام بالدّابة وصاحب الكلام بصاحبها فكما أنّ صاحب الدّابة يجب عليه تقييد الدّابة وإن لا يُطلقها ولا يُرسلها كذلك يجب علىٰ المتكلّم تقييد كلامه وإن لا يقول إلّا في مَوضعه ومَحلّه وحيث إنّ السائل عنه عليه السلام كان سؤاله في غير موقعه فقال عليه السلام له: **إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ**، ثمّ أوضح عليه السلام كلامه بقوله **تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ**له أي إنّما

وقد ثبت في التواريخ خلافه وقد ضَبطُوا من أولاده الذّكور ثمانية عَشر ومن الإناث أيضاً كذلك فهو أي الشارح لَم يَظفر بستّةٍ من أولاده الذّكور وبإثنَين من أولاده الإناث ومن كان كذلك فكيف يدّعي أنّ أمير المؤمنين لَم يَتزوّج في بني أسد ألبتّة وكيف يقول فهؤلاء أولاده، فمَن لم يذكره في الذّكور عبيد الله ابن عليّ المكنّى بأبي علّي قتل في حرب مَصعب مع المختار وقَبره في سواد بَصرة مشهورٌ يُزار وأيضاً عثمان الأصغر وعبّاس الأصغر وجعفر الأصغر وهؤلاء الثلاثة لم يظفر أحد بأمّهم أو أمّهاتهم ومن المُحتَمل أن تكون فيها أسديّة وهكذا ولا حاجة لنا في المقام بذكر أولاده ﷺ تفصيلاً والمقصود أنك تعلم أنّ المُعتزلي أولىٰ وأحقّ بما يقول مايخطر بباله من غَير تَحقيقٍ من القُطب ﷺ.

وكيف كان فقد ثَبت لِلسائل أنه كان من أصهاره ﷺ وأقربائه وهو يكفينا في المقام.

وثانيهما قوله ﷺ: **وَحَقُّ الْمَسْئَلَةِ** وفيه إيماء إلىٰ أنّ للسائل حقٌّ علىٰ المسؤل عنه وهو الجواب عن فسألته ولأجل هذا قال وقد إستَعلمت فأعلَم فلهذين الأمرين أعني ذمامة الصّهر وحَقّ المَسئلة تَصدّىٰ ﷺ للجواب عن سؤاله وإن كان السّؤال وقع في غَير مَحَلّه.

▫ قوله ﷺ: **أَمَّا الْاِسْتِبْدادُ عَلَيْنا بِهٰذَا الْمَقامِ، وَنَحْنُ الْاَعْلَوْنَ نَسَباً، وَالْاَشَدُّونَ بِرَسُولِ ﷺ نَوْطاً...**

الإستبداد مصدر من إستَبد يَستبدّ وهو الأخذ بالشّيء وعدم تركه قبل إتمامه يقال فلان مُستبدّ برأيه إذا كان كذلك ثمّ إنّ الإستبداد إذا كان في طريق الحقّ فهو مَمدوح لقوله تعالى: **﴿ إنَّ الّذينَ قالُوا ربُّنا الله ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتنَزَّلُ عَلَيْهِم الْمَلائِكَةُ﴾**(١) وقوله تعالى: **﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرتَ﴾**(٢) وأمّا إذا كان في طريق الباطل فهو مذموم كما أنّه في المَشكُوك أيضاً مَذموم لعدم علم المُستبدّ بكونه

١- الفصلت ـ ٣٠ ٢- هود ـ ١١٢

في بني أسد ألبتّة ثمّ ذكر أولاده وقال في آخر كلامه فهؤلاء أولاده وليس فيهم أحد من أسديّة ولا بَلَغنا أنّه تزوّج في بني أسد ولم يولد له ولكن الرّاوندي يقول ما يخطر له ولا يُحقّق انتهىٰ.

وأنا أقول: قد ظهر لنا في شرح المُعتزلي من البدو إلىٰ الختم أنّ له تَعصّبٌ خاصّ بالنِّسبة إلىٰ القُطب ﷺ فكأنّه شرط علىٰ نفسه أن لا يَقبَل من القُطب شيئاً حقّاً كان أو باطلاً والعَجَب إنّا ما رأينا في هذا الشرح مَورداً نقله الشارح عنه وتلقّاه بالقبول بل كلّ ما نقل عنه رَدَّه بزَعمه وأساءَ الأدَب بالنِّسبة إليه وكيف يمكن أن يكون الشرح أعني شرح القُطب كلّه باطلاً وهذا هو الّذي يوجب لنا العَجَب ونقول مَنشأه العصبيّة ليس إلّا فنقول:

أمّا أوّلاً: فمن أين ثبت علىٰ الشارح المُعتزلي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لَم يَتزَوّج في بني أسد والتّواريخ مُختلفة والآثار مُتشتّتة أليس عدم الوجدان لا يدلّ علىٰ عدم الوجود؟

وثانيا: من المُحتمل أنّ القُطب ﷺ ظَفَر في قوله هذا بما لَم يَظفر به المُعتزلي فقوله: يقول ما يَخطرُ له ولا يُحقّق، سُوء ظنٍ به بل تُهمَةٌ عليه نعم إن يدّع المُعتزلي أنّه أحاطَ بما لَم يُحط به أَحَد قبله فلا كلام لنا معه لأنّه من الكذب المَحض.

وثالثها: أنّ ما عَدَّه المُعتزلي من أولاده عليه السلام ثمّ حكم في آخر كلامه وقال فهؤلاء أولاده وليس فيهم أحد من أسَديّة ولا بَلغنا أنّه تَزوَّج في بَني أسد ولم يولد له، فهو أيضاً غير صَحيح وذلك لأنّ أولاده عليه السلام لَم تَنحصر فيما قال وأستقصاه بزعمه فإنّه عَدَّ من أولاده الذُّكور إثني عَشر ومن الإناث ستّة عشر فالذّكور علىٰ قوله الحسن والحسين، ومحمّد ابن حنفية وأبوبكر وعبد الله وعمر ويحيى وعون وجعفر والعبّاس وعبد الرحمن وعبد الله:

وأمّا الإناث: فزينب وامّ كلثوم ورقيّة ورملة وامّ الحسن من أزواجه عليه السلام.

وامّ كلثوم الصغرى وزينب الصُّغري وجمانة وميمونة وخديجة وفاطمة وأمّ الكرام ونفيسة وأمّ سَلمة وأمّ أبيها وامامة فهنّ لأمّهات أولاد شتّىٰ هذا:

فقوله عليه السلام في المقام رَدٌّ عليهم بما قالوا وأعترفوا به أي إن كان قولكم هذا حقاً وملاك الإمارة والخلافة هو هذين الأمرين كما تقولون فنحنُ أيضاً أحَقّ بها منكم فكأنّه عليه السلام أخذَ منهم كلامهم وإحتجاجهم علىٰ الأنصار ثمّ إحتجَّ به عليهم فقد تَمّت الحُجّة عليهم بذلك وأمّا غيرها من الشرائط فليس كذلك إذ لَم يقرّوا بها ولم يشترطوها في الإمامَة بل كانوا منكرين لها كما هو واضح.

قوله عليه السلام: **فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَ سَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ أخَرِينَ...**

الضمير في قوله عليه السلام: (فإنّها) إلىٰ الخلافة أو الحكومة المستفادة من قوله عليه السلام بهذا المقام إذ المقصود بالمقام هو مقام الخلافة والأثرة بفتح الألف قال في المنجد الإختيار إختصاص المَرء نفسه بأحسَن الشّيء دُون غيره حُبُّ النّفس المُفرط انتهىٰ.

والمعنىٰ أنّ الخلافة بعد الرّسول كانت مَحبُوبة لهم إشتاقت نفوسهم إليها وفيه إشارة إلىٰ قول الرّسول صلى الله عليه وآله حيث قال: سيكون بعدي أثَرة أي يستأثر بعضكم علىٰ بعضٍ.

وقوله عليه السلام: **شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ** قوم أي بَخَلت عليها نفُوس قومٍ وهم الغاصبون للخلافة ومن أعانهم عليه وفيه إيماء إلىٰ أنّ علّة ترك النّاس إيّاه وإقبالهم علىٰ غيره لم تكن إلّا بُخلهم وحَسَدهم عليه لا ما ذكره بعض من لا عقل له من أنّ أبا بكر وبعده عُمر ثمّ عُثمان كانوا أصلَح منه للخلافة كماعليه العامّة بل العِلّة ما ذكره عليه السلام وقد وردت به الروايات:

منها ـ ما رواه في غاية المرام بإسناده عن أبي الصباح قال سئلت أبا عبد الله عن قول الله عزّوجلّ: (أم يَحسدُون النّاس علىٰ ما آتاهم الله من فَضله) الآية فقال عليه السلام: يا أبا الصّباح نَحنُ المَحسُودون انتهىٰ...

وبإسناده عنه أيضاً قال قال أبو عبدالله عليه السلام: نحن قوم فرض الله عزّ وجلّ طاعتنا لنا الأنفال ولنا صَفوُ المال ونحنُ الرّاسخون في العِلم ونحنُ المَحسُودون قال الله تعالىٰ: ﴿أم يَحسدُون النّاس علىٰ ما آتاهم الله﴾ انتهىٰ...

حقّاً إذا عرفت هذا فقوله عليه السلام: **أَمَّا الاِسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا** فهو من أقسام المذمُوم قطعاً والدليل علىٰ ما ذكرناه قوله: علينا، وذلك لأنّ آل الرّسول كانوا علىٰ الحقّ لقوله صلى الله عليه وآله: عليّ مَع الحَقّ والحَقّ مَعه يَدوُر حَيثما دار فإذا كان عليّاً علىٰ الحقّ فالإستبداد عليه أي خلافه يكون علىٰ الباطل وإلّا يلزم إجتماع النّقيضين وقوله عليه السلام: **بهذا المقام** أراد به مقام الخلافة الّتي كانت حقّ أمير المؤمنين بعد الرّسول عقلاً ونقلاً كما مرّ تفصيل الكلام فيه في شرحنا علىٰ الخطبة الشّقِشقيّة ثمّ إستدلّ عليه السلام بأحقّيته للخلافة بأمرين:

أحدهما قوله عليه السلام: وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَباً...

وثانيهما قوله عليه السلام: وَالْأَشَدُّونَ بِرَسُولِ صلى الله عليه وآله نَوْطاً...

وكلاهما ممّا لا إشكال ولا كلام فيه.

أمّا الأوّل: أعني أنّهم الأعلون نَسَباً فلأنّهم أي آل الرّسول من بني هاشم ولا شكّ أنّ بني هاشم كانوا من بَطن قُريش وأفضَلهُم وأكملهم عِلماً وعملاً ومولداً وأباً وأمّاً ومَن يُنكِر هذا إلّا المُعانِد

وأمّا الثّاني: أعني كونهم أشدّين به صلى الله عليه وآله نَوطاً وتَعلّقاً فهو أيضاً واضح لا خفاء فيه فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان ابن عمّ الرّسول وزَوج إبنته وأبو سِبطَيه فهذا أيضاً لا خلاف فيه.

بقي في المقام شيء لابُدّ لنا من بيانه وهو أنّ شرائط الخلافة والإمامة كثيرة من العِصمَة والعِلم والتّقوىٰ والشّجاعة والسّخاوة والعِدالة والنّصّ من الله ورسُوله وأمّا ما ذكره عليه السلام من النّسب والتّعلّق بالرّسول فهو ليس منها في الحقيقة وعلىٰ فرض كون الوصفين منها لا تَنحصر الشّرائط فيهما فكيف إستدلّ عليه السلام بهما ولم يستدلّ بما هو أهَمّ منهما من النّصّ وغيره قلنا: وجه الإشارة بهما هو أنّهم إستدلّوا في السّقيفة بكونهم من قُريش وأقرَباء الرّسول وبهذين الوجهين إحتجّوا علىٰ الأنصار في أحقّيتهم للخلافة كما هو مذكور في التّواريخ كقوله صلى الله عليه وآله: **الأئمّة من قُريش وقولهم نحن الأقربون إلىٰ الرّسول** فَنحنُ الأُمَراء وأنتُم الوُزَراء.

□ قوله ﷺ: وَالْحَكَمُ اللهُ وَالْمَعودُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيمَةِ...

أي الحَكَم بَيننا وبَين من ظَلَمنا هو الله تعالىٰ ونِعَم الحَكَم هو والمِيعاد القيمة وإنّما أحال ﷺ ذلك إلىٰ القيمة لعدم وجود الأنصار له ﷺ في الدّنيا فلو كان له ﷺ من يعينه وينصره لقاتلهم ويارزهم.

□ قوله ﷺ: وَدَعْ عَنكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ، وَهَلُمَّ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ! فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ ابْكائِهِ...

البيت لأمرؤ القيس وتَتمّته وهاتِ حَديثاً ما حديثُ الرّواحل:

قاله عند ما كان جاراً لخالد بن سَدُوس فأغار عليه بنو جديلَة فذهبوا بأهله فشكىٰ لمُجيره خالد فقال له: أعطِني رواحَلك الحَق بها القوم فأرُدَّ إبلك وأهلَك فأعطاه وأدرك خالد القُوم فقال لهم رُدّوا ما أخذتُم من جاري فقالوا ما هو لك بجار فقال والله إنّه جاري وهذه رَواحله فقال نِعم فَرجعُوا إليه وأنزلوه عَنهُنّ وذهبوا بهنّ، والنَّهب بالفتح الغَنيمة وصَيح أي صاحوا للغارة في حُجراته جمع حَجرة بفتح الحاء الناحية ووجه التمثيل ظاهر.

وقوله ﷺ: وَهَلُمَّ معناه أذكُر والخَطب يقال لعظيم الأمر وعَجيبه والمعنىٰ أترك حديث ما مضىٰ يا أخا بني أسد وأذكر قِصّة ابن أبي سفيان أعني معاوية لَعَنه الله حيثُ إنّه يَدّعي الخِلافة مع حَسَبه ونَسَبه وسابقته وشَرفه وعِلمه وزُهده وسائر أوصافه فلقد أضحكَني الدّهر من إدّعائه بعد ما أبكاني وإنّما قال ﷺ بعد ما أبكاني لأنّ إدّعاء الخلافة من معاوية يُوجب التأسّف والبُكاء علىٰ الإسلام والمُسلمين حيث إنتهَت غاية أمر الإسلام إلىٰ ذلك والمُؤمِن يبكي عليه.

وأمّا الضّحك بعده فلأجل التعجّب منه:

□ قوله ﷺ: وَلاَ غَرْوَ وَاللهِ فَيالَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ وَيُكْثِرُ الْأَوَدَ...

أي لا عجب والله من ذلك من تقلّبات الدّهر وأحواله لمن كان مُطّلعاً علىٰ رسم الدّهر ودَيدَنه فإنّ عادته قد جَرت من قَديم الأيّام علىٰ وَضع الأشراف ورفع الأراذل والأرجاس حتّى صارت سجيّةً له وما شأنه هذا فلا عجب منه.

ومن طريق العامّة روي ابن المغازلي الشّافعي في كتاب المناقب بإسناده عن مُحمّد ابن عليّ الباقر عليه السلام في قوله تعالىٰ: (أم يَحسدُون النّاس علىٰ ما آتاهم الله من فَضله) قال عليه السلام: نَحنُ النّاس والله انتهىٰ) ، والأحاديث كثيرة ذكرها في غاية المرام وكتب العامّة والخاصّة مَشحُونة بها أُنظُر «غاية المرام ص ٢٦٨»...

وقد روي في البحار بإسناده عن أبي زيد النّحوي قال سئلت الخليل ابن أحمد العَرُوضي فقلت: لِمَ هَجَر النّاس عَليّاً وقُرباه من رسُول الله قُرباه وموضعه من المُسلمين مَوضعه وعِناؤه في الإسلام عِناؤه فقال: بَهَر والله نُوره أنوارَهم وغَلَبهم علىٰ صَفوِ كلّ مِنهَلٍ والنّاس إلىٰ أشكالهم أمَيَل أما سَمعت الأوّل حيث يقول:

وكلّ شكلٍ لشكلِه آلِف　　　أما ترىٰ الفيل يألِف الفِيلا

قال وأنشدنا الرياشي في معناه عن العباس ابن الأحنف أنّه قال:

وقائل كيف تهاجرتُما　　　فقلت قولاً فيه إنصاف
لم يك من شَكلي فهاجرتُه　　　والنّاس أشكالٌ وآلاَفُ

وأيضاً عن الخليل أنّه قال ما بال أصحاب رَسول الله صلى الله عليه وآله كأنّهم بنو أمّ واحدة وعلّيٌ عليه السلام كأنّه ابن عالة تَقدَّمهم إسلاماً وفاقَهم شَرفاً وعِلماً ورَجَّحهم حِلماً فَحسدُوه والنّاس إلىٰ أشكالهم أمَيَل انتهىٰ وقيل لمَسلمة ابن نَميل ما لعلّي رفضته العامّة وله في كل خيرٍ ضِرسٌ قاطع فقال لأنّ ضَوء عيُونهم قَصير عن نوره والنّاس إلىٰ أشكالهم أمَيَل.

وقوله عليه السلام: **وَّ سَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ أخَرِينَ** أراد بهم أهل البيت عليهم السلام لكونهم قد أعرضوا عنها لعدم رغبتّهم فيها والوجه فيه قول الشاعر حيث قال:

إذا وقع الذّباب علىٰ طعام　　　رفَعتُ يَدي ونَفسي تَشتهيه

وإنّما كان كذلك لأنّ النّاس قد تَركُوا الحَقّ وأقبلوا علىٰ الباطل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله مثل الإمام مثل الكَعبَة يُطاف ولا يَطُوف معناه أنّ وظيفة النّاس الرجوع إلىٰ الإمام ولا عكس.

الذين بعد الرّسول ومكتبه من أحسن المكاتب ومعاوية قد علم أنّ الدّين يَدور مدارَ علّي عليه السلام فأبَدع سَبّه ولَعنه لِيسَدّ به فوّار الله أعني مَظهر عِلمِه وقُدرته وسائر صفاته وهو أمر لا خفاء فيه فعداوته لعلّي عليه السلام كانت عداوة الدِّينيّة لا شَخصيّة كما تُوهِم إذ لو كانت شَخصيّة لما أمر بقتل أصحابه وأشياعه فإنّهم لَم يَقتلوا حنظلة ابن أبي سفيان وغيره بل جُرمهم وتقصيرهم عنده كان حُبُّهم لعلّي وإحيائهم لطريقته ومَكتبه.

▫ قوله عليه السلام: **وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً...**

أي مَزجُوا وخلَطوا بيني وبينهم شِرباً وَبيئاً أي الفتنة الحاصلة الّتي كالشرب المَخلَوط بالسَمّ فالكلام خَرج مَخرج الإستعارة حيث شَبّه عليه السلام الفتنة بالشرب الوَبيء.

▫ قوله عليه السلام: **فَإِن تَرْتَفِعْ عَنّا وَعَنْهُمْ مَحِنُ الْبَلْوىٰ أَحْمِلْهُمْ مِّنَ الْحَقِّ عَلىٰ مَحْضِهِ، وَإِن تَكُنِ الْأُخْرىٰ، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ، إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾...**

وحاصل ما أفاده عليه السلام في المقام هو أنّ الأمر بيننا وبين القوم لا يخلو عن وجهين:

أحدهما: الغَلَبة عليهم، **والثاني:** عدمها، فإن كان الأوّل أحملهم من الحقّ علىٰ مَحضه ولَيّه وإن كان الثّاني **﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾** فإنّ الله تعالىٰ يجازيهم علىٰ سُوء أعمالهم يَوم القيٰمة **﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾** وفيه إيماء إلىٰ أنّ المؤمن وظيفته القيام بحقّه وعدم السّكُوت بجنب الباطل والتسليم له ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلّي العظيم والحمد لله ربّ العالمين.

ثمّ قال عليه السلام: **فَيالَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ وَيُكْثِرُ الْأَوَد** على سبيل التعجّب وذلك لأنّ هذا الخطب العظيم ممّا قد إسترق المُتعجّب فيه بحيث لم يسبق منه ما يطلق عليه التعجّب وهذا الكلام من باب المبالغة في المبالغة كقول الشاعر فعجبت حتّىٰ كدت لا أتعجّب.

▫ قوله عليه السلام: **حاوَلَ الْقَوْمُ اطْفاءَ نُورِ اللهِ مِن مِّصْباحِهِ، وَسَدَّ فَوّارِهِ مِن يَّنبُوعِهِ...** المراد بالقوم هو معاوية وأصحابه ويمكن أن يكون المراد به مطلق الغاصبين وذلك لأنّ معاوية وأمثاله ممّن طَمع في أمر الخلافة كانوا من أتباعهم وأشياعهم وبعبارةٍ أخرىٰ لَو لَم تغصب الخلافة بعد الرّسول ولَم يُؤمِّر معاوية علىٰ الشّام لما وقع منه ما وَقَع.

وكيف كان فالمعنىٰ أنّ القَوم قَصدوا إطفاء نور الله تعالىٰ من مِصباحه الذّي وقع النُور فيه.

والأوّل:

إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: **﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾**(١)

و: **﴿وَيَأْبَى اللهُ إِلاّ أَنْ يُتِمَّ نُورَه وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾**(٢)

والثّاني:

إلىٰ قوله تعالىٰ: **﴿اللهُ نُورُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾**(٣) وأمّا أنّ معاوية وأصحابه حاولوا إطفاء نور الله تعالىٰ فهو ممّا لا شكّ فيه وقوله عليه السلام: **وَسَدَّ فَوّارِهِ مِن يَّنبُوعِهِ** لا يبعد أن يكون المراد من فَوّار الله تعالىٰ هو أمير المؤمنين عليه السلام ووجه الشّبه ظاهرٌ والتّعبير بالسّدّ إشارة إلىٰ سَبّه ولَعنه إيّاه وأمره النّاس بذلك في إمارته وفيه إيماء إلىٰ ما نَعتقده عن أنّ سبّ معاوية عليّاً وأمره النّاس به لم يكن لما ظَنّه القوم من أنّ عليّاً قتل حَنظلة ابن أبي سفيان وغيره من أقرباء معاوية بل الوجه فيه هو أنّ عليّاً كان أُنمُوذجاً في

١- الصّف ـ ٨
٢- التّوبة ـ ٣٢
٣- النّور ـ ٣٥

فِي السَّمٰوٰاتِ الْعُلىٰ كَعِلْمِهِ بِمٰا فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلىٰ.

منها

أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَالْمُنشأُ الْمَرْعِيُّ فِي ظُلُمٰاتِ الْأَرْحٰامِ وَمُضٰاعَفٰاتِ الْأَسْتٰارِ، بُدِئْتَ مِن سُلاٰلَةٍ مِّن طِينٍ، وَّ وُضِعْتَ فِي قَرٰارٍ مَّكِينٍ إِلىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ، وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ، تَمُورُ فِي بَطْنِ اِمِّكَ جَنِيناً: لاٰ تُحِيرُ دُعٰاءً، وَلاٰ تَسْمَعُ نِدٰاءً، ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِن مَّقَرِّكَ إِلىٰ دٰارٍ لَمْ تَّشْهَدْهٰا، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنٰافِعِهٰا، فَمَن هَدٰاكَ لاِجْتِرٰارِ الْغِذٰاءِ مِن ثَدْيِ أُمِّكَ؟ وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحٰاجَةِ مَوٰاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرٰادَتِكَ؟ هَيْهٰاتَ! إِنَّ مَن يَّعْجِزُ عَن صِفٰاتِ ذِي الْهَيْئَةِ وَالْأَدَوٰاتِ فَهُوَ عَن صِفٰاتِ خٰالِقِهِ أَعْجَزُ، وَمِن تَنٰاوُلِهِ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ.

◁ اللغة

(اَلْحَمْدُ للهِ خٰالِقِ الْعِبٰادِ) بأصنافهم (وَسٰاطِحِ الْمِهٰادِ) المهاد جمع مَهد المراد به الأرض وساطح المهاد باسِطها وجَعلها فراشاً (وَمُسِيلِ الْوِهٰادِ) سال الماء سَيلاً وسَيلاناً إذا طغىٰ والوهاد جمع وَهَدة وهي الأرض المُنخَفضة (النِّجٰادِ) النَّجد الأرض المُرتفعة (خَرَّتْ) أي خَضعت (الْجِبٰاهُ) جمع جبهة (الشِّفٰاهُ) جمع شَفَة (أَمَدٌ) الغاية (شُخُوصٌ) يقال شَخَص الرّجل بَصره إذا فتح عَينَيه (ازْدِلاٰفُ) الإقتراب (رَبْوَةٍ) بضمّ الراء وكسرها والفتح المَكان المُرتفع (غَسَقٍ) مُحرّكة الظّلام (يَتَفَيَّأُ) أي يتقلّب (وَتَأَثُّلِ) الإكتساب والباقي واضح.

◁ المعنىٰ

(اَلْحَمْدُ للهِ خٰالِقِ الْعِبٰادِ) بأصنافهم وأقسامهم (وَسٰاطِحِ الْمِهٰادِ) أي جعل الأرض فراشاً (وَمُسِيلِ الْوِهٰادِ) أي مُجري السَّيل في الأراضي المُنخفضة (وَمُخْصِبِ النِّجٰادِ) أي جاعل الأراضي المُرتفعة ذوات خَصب ورِفاه (لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدٰاءٌ) لكونه أزليّاً (وَلاٰ لِأَزَلِيَّتِهِ انقِضٰاءٌ) لكونه أبَديّاً (هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ

ومن خطبة له عليه السلام (١٦٢)

▫ قوله عليه السلام: اَلْحَمْدُ للهِ خَالِقِ الْعِبَادِ، وَسَاطِحِ الْمِهَادِ، وَمُسِيلِ الْوِهَادِ، وَمُخْصِبِ النِّجَادِ، لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلاَ لِأَزَلِيَّتِهِ انقِضَاءٌ، هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ، وَالْبَاقِي بِلاَ أَجَلٍ، خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ، وَوَحَّدَتْهُ الشِّفَاهُ، حَدَّ الْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةً لَّهُ مِن شَبَهِهَا، لاَ تُقَدِّرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ، وَلاَ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَدَوَاتِ، لاَ يُقَالُ لَهُ: مَتَىٰ؟ وَلاَ يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتَّىٰ، الظَّاهِرُ لاَ يُقَالُ: مِمَّا، وَالْبَاطِنُ لاَ يُقَالُ: فِيمَا، لاَ شَبَحٌ فَيَتَقَضَّىٰ، وَلاَ مَحْجُوبٌ فَيُحْوَىٰ، لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْتِصَاقٍ، وَّلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ، لاَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ، وَلاَ كُرُورُ لَفْظَةٍ، وَّلاَ ازْدِلاَفُ رَبْوَةٍ، وَلاَ انْبِسَاطُ خَطْوَةٍ فِي لَيْلٍ دَاجٍ، وَّلاَ غَسَقٍ سَاجٍ، يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، وَتَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ فِي الْأُفُولِ وَالْكُرُورِ، وَتَقَلُّبِ الْأَزْمِنَةِ وَالدُّهُورِ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُّقْبِلٍ، وَّإِدْبَارِ نَهَارٍ مُّدْبِرٍ، قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَّمُدَّةٍ، وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَّعِدَّةٍ، تَعَالَىٰ عَمَّا يَنْحَلُهُ الْمُحَدِّدُونَ مِن صِفَاتِ الْأَقْدَارِ، وَنِهَايَاتِ الْأَقْطَارِ، وَتَأَثُّلِ الْمَسَاكِنِ وَتَمَكُّنِ الْأَمَاكِنِ ،فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ، وَإِلَىٰ غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ.

لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ، وَّلاَ مِنْ أَوَائِلَ أَبَدِيَّةٍ، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ، وَصَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ، لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ، وَّلاَ لَهُ بِطَاعَةِ شَيْئٍ انتِفَاعٌ، عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ، وَعِلْمُهُ بِمَا

فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ) علىٰ أحسن الوجوه (لَيْسَ لِشَيء مِنْهُ امْتِناعٌ) إذ الكلّ مقهور تحت قُدرته (وَّلاٰ لَهُ) تعالىٰ (بِطاعَةِ شَيْئٍ انتِفاعٌ) لعدم إحتياجه إلىٰ غيره (عِلْمُهُ بِالْاَمْواتِ الْماضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْاَحْياءِ الْباقِينَ، وَعِلْمُهُ بِما فِي السَّمٰواتِ الْعُلىٰ كَعِلْمِهِ بِما فِي الْاَرْضينَ السُّفْلىٰ) فإنّه تعالىٰ قد أحاطَ بكلِّ شيٍ علماً.

(منها): أي من الخطبة (أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ) أي المُعتدل المُستقيم القامة (وَالْمُنشأُ الْمَرْعِيُّ) المَحفوظ (فِي ظُلُماتِ الْاَرْحامِ وَمُضاعَفاتِ الْاَسْتارِ) في عالم الرّحم (بُدِئْتَ مِن سُلاٰلَةٍ مِّن طِينٍ، وَّ وُضِعْتَ فِي قَرارٍ مَّكِينٍ) أعني الرّحم (إلىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ، وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ) من سَبعة أو تِسعة أشهر (تَمُورُ) وتَضطرب (فِي بَطْنِ اُمِّكَ جَنِيناً: لاٰ تُحِيرُ دُعٰاءً، وَلاٰ تَسْمَعُ نِداءً) فإنّ الإنسان مادام كونه في الرّحم كذلك (ثُمَّ اُخْرِجْتَ مِن مَّقَرِّكَ) بأمر الله وإرادته (إلىٰ دارٍ لَمْ تَشْهَدْها، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنافِعِها) وهي الدّنيا (فَمَن هَداكَ) في الدّنيا (لاِجْتِرارِ الْغِذاءِ مِن ثَدْيِ اُمِّكَ) إلّا الله تعالىٰ (وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحاجَةِ مَواضِعَ طَلَبِكَ وَإرادَتِكَ) غير الله تعالىٰ (هَيْهاتَ! إنَّ مَن يَّعجِزُ عَن صِفاتِ ذِي الْهَيْئَةِ وَالْاَدَواتِ) أعني المَخلوق (فَهُوَ عَن صِفاتِ خالِقِهِ أَعْجَزُ، وَمِن تَناوُلِهِ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ) لِتنزّهه عن مُجانسة مخلوقاته.

◁ الشرح

▫ قوله ﷺ: اَلْحَمْدُ للهِ خالِقِ الْعِبادِ، وَساطِحِ الْمِهادِ، وَمُسِيلِ الْوِهادِ، وَمُخْصِبِ النِّجادِ...

قد مضىٰ الكلام في معنىٰ الحمد غير مرّةٍ وقلنا: إنّ المحامد كلّها ترجع إليه ثمّ وصف الله تعالىٰ في المقام بأوصاف أربعة الّتي لا تليق بغيره تعالىٰ:

أحدها: أنّه تعالىٰ خالق العباد من الملائكة والإنسان والجنّ فإنّ العباد جمع العبد وهو كلّ من كان مُكلّفاً بالتّكاليف وإنّما قلنا ذلك لأنّ التّكليف مأخوذ في مفهوم العبد وهذا هو الفرق بين العبد والخلق وأمّا كونه تعالىٰ خالقاً للعباد فقد ثبت عقلاً ونقلاً كما مرّ في موضعه ونصّ الكتاب أيضاً يدلّ عليه: قال الله

يَزَلْ) لكونه غيرَ مَسبُوقٍ بالعدم (وَالْباقِي بِلا أَجَلٍ) أي مُدَّة لكون الأجل من شئون المُمكن (خَرَّتْ) وخَشعت (لَهُ الْجِباهُ) والنّواصي (وَوَحَّدَتْهُ الشِّفاهُ) بالإقرار بتوحيده (حَدَّ الْأَشْياءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَها) فإنّ المخلوق مَحدُود لا محالة (إِبانَةً لَهُ مِن شَبَهِها) أي لئلا يكون شَبيهاً بها إذ لو كان المخلوق غير مَحدُودٍ لكان شَبيهاً بالخالق (لا تُقَدِّرُهُ الْأَوْهامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكاتِ) لعدم إمكان إحاطة الوهم به تعالىٰ (وَلا بِالْجَوارِحِ وَالْأَدَواتِ) أي لا يمكن تَقَدُّره بها أيضاً لأنّه ليس بجسم (لا يُقالُ لَهُ: مَتىٰ؟) لكونه غيرَ زمانيٍ (وَلا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ) وغاية (بِحَتّىٰ) لأنّ حتّىٰ للغاية (الظّاهِرُ لا يُقالُ: مِمّا) أي لا يقال له ظهوره مِمّ فإنّه ظاهر بذاته (وَالْباطِنُ) لكلّ الأشياء (لا يُقالُ: فِيما) بطونه (لا شَبَحٌ فَيَتَقَضىٰ) كما هو شأن الشّبح (وَلا مَحْجُوبٌ) بالحجاب (فَيُحْوىٰ) به (لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْياءِ بِالْتِصاقٍ) إذ القُرب به من خواصّ الأجسام (وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْها) عن الأجسام (بِافْتِراقٍ) لما ذكرناه (لا يَخْفىٰ عَلَيْهِ مِنْ عِبادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ) فإنّه اللّطيف الخَبير (وَلا كُرُورُ لَفْظَةٍ) أي رجوعها وإعادتها (وَلَا ازْدِلافُ رَبْوَةٍ) أي ولا إقتراب المكان المُرتفع (وَلَا انْبِساطُ خَطْوَةٍ) فإنّه يعلمه (فِي لَيْلٍ داجٍ) ظُلماني (وَلا غَسَقٍ ساجٍ) ساكن أي هو تعالىٰ بالخُطوة المُنبسطة في اللّيلة المُظلمة (يَتَفَيّأُ) ويتقلّب (عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنيرُ، وَتَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذاتُ النُّورِ) بعد إنقضاء اللّيل (فِي الْأُفُولِ وَالْكُرُورِ، وَتَقَلُّبِ الْأَزْمِنَةِ وَالدُّهُورِ، مِنْ إِقْبالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ، وَإِدْبارِ نَهارٍ مُدْبِرٍ) بعد إقبال اللّيل (قَبْلَ كُلِّ غايَةٍ وَمُدَّةٍ، وَكُلِّ إِحْصاءٍ وَعِدَّةٍ) لأنّه خالق الكلّ ومُوجده (تَعالىٰ عَمّا يَنْحَلُهُ الْمُحَدِّدُونَ) وينسبُون إليه (مِن صِفاتِ الْأَقْدارِ) والأجسام (وَنِهاياتِ الْأَقْطارِ) طُولاً وعَرضاً ((وَتَأَثُّلِ الْمَساكِنِ وَتَمَكُّنِ الْأَماكِنِ) أي إكتساب المساكن وإستقرار الأحياز (فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ، وَإِلىٰ غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ) لكونه تعالىٰ مُبرّءٌ عنها (لَمْ يَخْلُقِ) الله تعالىٰ (الْأَشْياءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ) بَل أبدعها وأوجدها من العَدم (وَلا مِنْ أَوائِلَ أَبَدِيَّةٍ) إذ كان الله ولم يكن مَعَه شيئ (بَلْ خَلَقَ ما خَلَقَ فَأَقامَ حَدَّهُ، وَصَوَّرَ ما صَوَّرَ

العشب والخير فهو خصب وخصيب ومخصب ومخصاب انتهىٰ، والنّجاد جمع نجد وهو ما إرتفع من الأرض.

والمعنىٰ أنّه تعالىٰ جعل الأراضي المُرتفعة كثيرة العَشب من النّباتات والأشجار وفي هاتين الجملتين أعني قوله ﷺ: **وَمُسِيلِ الْوِهَادِ، وَمُخْصِبِ النِّجَادِ**، أشار ﷺ إلىٰ نكتة لطيفة وهي أنّ الأراضي المُنخفضة الّتي تجري المياه فيها لو قال قائل بأنّ إنبات النّبات والأشجار فيها إنّما هو بسَبب الماء الجاري فيها وطبيعة الأرض تقتضي ذلك فهذا الأثر فيها مُستَند إلىٰ الطّبيعة ولا رَبط له بالخالق فيقال له ما تقول في الأراضي المُرتفعة الّتي لا تَجري المياه فيه كرؤس الجبال والقُلَل ونحن نرىٰ منها ما هو أكثر من المُنخَفضات ففي الحقيقة قوله ﷺ: **وَمُخْصِبِ النِّجَادِ** جواب عن سؤالٍ مُقدّر.

□ قوله ﷺ: **لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلَا لِأَزَلِيَّتِهِ انقِضَاءٌ...**

أي ليس لأوّليّة الله تعالىٰ إبتداء ولا لأزليّته تعالىٰ إنقضاء وبعبارةٍ أُخرىٰ لا أوّل لأوّليته ولا آخر لأزليّته أمّا أنّه لا أوّل لأوّليته فلأنّها علىٰ قسمين وكلاهما في حقّه تعالىٰ محال:

أحدها: الأوّليّة بمعنىٰ كونها مَسبُوقة بالعدم أي كان مَعدوماً فصار موجوداً وهذا المعنىٰ محال عليه وذلك لأنّ لازم ذلك حُدُوثه والحُدوث ينافي الوجوب وقد ثبت وجوبه.

وثانيهما: الأوّلية بمعنىٰ مَسبُوقيّتها بالعلّة وعليه فالمراد بها الأوّليّة بحسب الخلقة كما يقال لِلعقل الأوّل إنّه صادر الأوّل بناء علىٰ أنّه غير مسبوقٍ بالعدم بل مسبوق بالعِلّة فقط كما هو أحد القولين في المسئلة وعلىٰ هذا القول بُني أساس القول بِقِدَم العالم أعني القِدَم الزّماني لا القِدَم الذّاتي فإنّه لا يطلق إلّا عليه تعالىٰ والأوّليّة بهذا المعنىٰ أيضاً محال عليه لأنّ الواجب تعالىٰ لا يكون مَعلُولاً لغيره فقد ثبت أن لا أوّل لأوّليته وهو المطلوب.

ثمّ إنّه لا يذهب عليك أنّ قوله ﷺ: **لا أوّل لأوّليته** معناه أنّ الواجب لا

تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْئٍ فَقَدَّرَه تَقْدِيراً﴾ (١)

و: ﴿هذا خلق الله فأرُوني ماذا خَلَقَ الّذين مِن دُونه﴾ (٢)

و: ﴿خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخَّارِ، وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ﴾ (٣)

و: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلىٰ، الَّذي خَلَقَ فَسَوّىٰ﴾ (٤)

و: ﴿اِقْرَء بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ﴾ (٥)

و: ﴿وَ قَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾ (٦)

و: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ (٧)

و: ﴿وَاتَّقُوا الَّذي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلينَ﴾ (٨) والآيات المُصرّحة به كثيرة وإنّما خصّ عليه السلام العِباد بالذّكر ولم يقل خالق الأشياء مثلاً لكون العِباد أشرف من غيرهم فتخصيص الذّكر بهم للتّغليب أو لأجل تشرّفهم بشَرف التّكليف.

وثانيها: أنّه تعالىٰ ساطح المهاد والمهاد جمع مَهد وهو كناية عن الأرض وسَطحها بَسطها وفيه إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَالَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (٩)

وإنّما قلنا إنّ المَهد كناية عن الأرض لقوله تعالىٰ: ﴿الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً﴾ (١٠) وقوله: ﴿اَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً﴾ (١١)

وإنّما أُطلق علىٰ الأرض لأنّ المَهد والمهاد المكان المُمهّد المُوطّئ يقال مهدّت لك كذا هَيأته وسَوّيته وحيث إنّ الأرض مكان المُمَهّد لساكنيه فَعَبّر عنها بالمهد.

وثالثها: قوله عليه السلام: وَمُسِيلِ الْوِهادِ، إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً﴾ (١٢)

ورابعها: أنّه مُخصب النّجاد قال في المنجد خصب خصباً المكان كثر فيه

١- الفرقان ـ٢
٢- لقمان ـ ٧١
٣- الرّحمٰن ـ ١٤ و ١٥
٤- الأعلىٰ ـ ٢
٥- العَلق ـ ١
٦- مريم ـ ٩
٧- النحل ـ ٧٠
٨- الشّعراء ـ ١٨٤
٩- الغاشية ـ ٢٠
١٠- طه ٥٣ الزّخرف ـ ١٠
١١- النّبأ ـ ٦
١٢- الرّعد ـ ١٧

مظنّة سؤال وهو أنّه تعالىٰ قد ثبت كونه أزلاً لقوله تعالىٰ: ﴿هو الأوّل والآخر﴾ أجاب عنه بقوله ﷺ: هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ، أي المراد بقوله تعالىٰ: هو الأوّل هو الأوّل بهذا المعنىٰ لا الأوّل المُقابل للآخر والّذي سَلبناه هو الثّاني وأمّا الأوّل فهو ثابت له وأنت ترىٰ أنّ كلامه ﷺ هذا يدلّ علىٰ صحّة ما إستَنبطناه من كلامه والحاصل أنّ الله تعالىٰ هو الأوّل لَم يَزل من غير كونه مَسبُوقاً بالعَدم أو بالعلّة كما هو شأن الممكن في كونه أوّلاً أزلاً وباقياً دائماً لا ينقضي بقائه وبهذا التّفسير قد ظهر لك أنّ هاتين الجُملَتين ليسَتا مؤكّدتين لسابقتيهما كما ظنّه الخوئي ﷺ بل هما مستقلّان أتىٰ بهما لدفع السؤال المقدّر.

- قوله ﷺ: خَرَّتْ لَهُ الْجِباهُ، وَوَحَّدَتْهُ الشِّفاهُ...

أي سَقَطَت وخَشَعت له الجباه بالسّجود ونَطَقَت بتوحيده الشّفاه والألسن وهو ظاهر.

- قوله ﷺ: حَدَّ الْأَشْياءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَها اِبانَةً لَهُ مِن شَبَهِها...

قال المحقّق البحراني ﷺ في شرحه لهذا الكلام ما هذا لفظه: الخامس أنّه لا يشبهه شيء إذ كلّ شيء ما عداه فهو مَحدُود يُقدّره العقل والوَهم ويشير إليه بحدود يُحيطان به منهما ولا شيء منه تعالىٰ كذلك إذ كلّ وهمٍ قَدَّره بحدٍّ أو بحركة أو جارحة أو أداةٍ كما هو مقتضىٰ الوَهم في إدراكه لِمدركاته فقد ضلّ ضلالاً بعيداً عن تَصوُّره انتهىٰ ما ذكره.

أقول: يظهر من كلامهم أنّهم حملوا الشّبه في قوله ﷺ: من (**شبهها**) علىٰ شبه المَخلوق بالخالق وعليه فمعنىٰ قوله ﷺ: (**اِبانَةً لَهُ مِن شَبَهِها**) أنّ الله تعالىٰ جعل للأشياء حَدّاً عند خلقه لها لئلّا يشتبه المَخلوق بالخالق ألا ترىٰ أنّ البحراني ﷺ يقول الخامس أنّه لا يَشبَهه شيء إذ كلّ شيءٍ ما عداه مَحدُود وهذا الكلام عندي منظور فيه:

أمّا أوّلاً: فلأنّ لازم ذلك هو إمكان وجود الشُّبه للخالق في حدّ نفسه إلّا أنّ الخالق لَم يَخلُق الخَلق كذلك لمصلحةٍ رآها بحيث لَو شاء كان قادراً عليه

يصدق عليه الأوّل مطلقاً وذلك لأنّه تعالىٰ علّة الموجودات وخالقها وكلّ عِلّة بالنّسبة إلىٰ المعلول أوّل إذ لا نعني بالأوّل إلّا ما لا يكون قبله شيئ والله تعالىٰ أوّل الأشياء بهذا المعنىٰ ويدلّ عليه قوله تعالىٰ في كتابه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]

بل المراد سَلب الأوّل عنه تعالىٰ الّذي يكون مقابلاً للآخر وبعبارةٍ أُخرىٰ الأوّل الّذي له آخر فهو مَنفيّ في حقّه إذ الأوّل بهذا المعنىٰ يوجد في الممكن الّذي له آخر لا محالة وأمّا الواجب فلا وحاصل الكلام أنّ المسلوب عنه تعالىٰ هو الأوّل المقيّد بالآخر لا الأوّل المطلق فإفهم.

وأمّا أنّه لا إنقضاء لأزليّته فهو قد ظهر ممّا ذكرناه في معنىٰ الأوّل إذ ما لا أوّل له بالمعنىٰ الّذي ذكرناه فلا آخر له أيضاً إذ هما مُتقابلان يوجب من نفي أحدهما نفي الآخر ومن ثبُوته ثبُوته.

وأمّا الشّارح الخوئي فقد قال في المقام تبعاً للبحراني ﷺ وأخذاً منه فلو كان لكونه أوّلاً لِلأشياء حَدٌّ تَقف عنده أوّليّته وتَنتهي به لكان مُحدثاً ولاشيئ من المُحدث بواجب الوجود لأنّ المُحدث ما كان مَسبُوقاً بالعدم وواجب الوجود يستحيل عليه العدم إلىٰ آخر ما قال.

وقال البحراني ﷺ قبله ما هذا لفظه: أي لا حَدّ لكونه أوّلاً لِلأشياء تَقف عنده أوّليّته وتنتهي به وإلّا لكان مُحدثاً فكان مُمكناً فلم يكن واجب الوجود انتهىٰ، **أقول:** هذا معنىٰ قولنا: تبعاً له وأخذاً منه.

وخلاصة الكلام في المقام هو أنّ المقصود سَلب الأوّل عنه تعالىٰ بالمعنىٰ الّذي ذكرناه أعني السَّلب المُقيّد لا سلب المطلق وأمّا ما ذكروه فهو شيء آخر لا ربط له بكلامه.

▫ قوله ﷺ: **هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ، وَالْبَاقِي بِلاَ أَجَلٍ...**

لما سلب ﷺ عنه تعالىٰ في كلامه السابق كونه أوّلاً في أوّليته وكان هناك

١- الحديد ـ ٣

الّتي توجب تَمييز كلّ واحدٍ منها عن الآخر وهذه الوجودات مخلوقة معلولة له تعالىٰ وعليه فالمعنىٰ أنّ الله تعالىٰ حَدَّ الأشياء أي قَيّدها بَحدٍّ خاصٍّ من الوجود إبانةً له من شَبهها أي لئلّا يشتبه بعضٌ منها ببعضٍ وأين هذا من تفسيرهم بأنّه جعلها كذلك لئلّا يَشتبهوا به تعالىٰ فتأمّل.

ويمكن أن يقال إنّه تعالىٰ جعل الأشياء كذلك لئلّا تَشتَبه وجوداتهم بوجوده تعالىٰ حيث إنّ وجود الحقّ غير مَحدُودٍ ووجودها محدُود وهذا هو الفرق بين الواجب والممكن.

▫ قوله عليه السلام: **لَا تُقَدِّرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَدَوَاتِ...**

الضّمير في قوله عليه السلام: (لا تُقدّره) إلىٰ الله تعالىٰ والمعنىٰ أنّ الأوهام لا تقدر علىٰ تقييده بالحدُود والحَرَكات ولا بالجوارح والأدوات.

والوجه فيه هو أنّ الوهم إذا قدّر شيئاً ينبغي له أن يَتوهّمه أوّلاً وكلّ مُتَوَهَّمٍ فهو مُحاط بالوَهم والوَهم مُحيط به وحيث إنّ الواجب تعالىٰ غير متناهٍ في وجوده والوَهم في المخلوق متناه لكونه من صفات المُمكن والممكن متناه فصفته أيضاً متناه فإذا فرضناه أنّ الوهم قَدَّرَه بشيء يلزم أن يكون المُمكن مُحيطاً والواجب مُحاطاً وهو محال فإذاً الواجب تعالىٰ لا يدخل في الوَهم وإذا كان كذلك فلا يقدّر فيه بالحُدوُد والحَركات الخ إذ كلّ هذه الأمور من شؤن التّوهُّم والمفروض عدم إمكانه وإنتفاء الأصل يوجب إنتفاء الفرع.

ثمّ إنّ المراد بالحُدود الحُدود العُرفيّة أو اللُّغوية لا الحُدود الإصطلاحيّة من التّام والناقص في التّعاريف الماهوي وذلك لأنّ الحَدّ بهذا المعنىٰ ليس من وظائف الوهم وإنّما هو من وظائف العَقل وأمّا الحُدود العُرفيّة فإنّها من شؤن الوهم والمراد بها الجهات من اليَمين واليَسار والشّمال والجنوب والمكان والزمان وغيرها وعليه فالمعنىٰ عدم إمكان تقديره الأوهام بهذه الأُمور المُوجبة لتقييده تعالىٰ بها.

والمراد بالحَركات ليس ما هو من لوازم الأجسام فقط بل أُريد بها معناها

وبعبارةٍ أخرىٰ لو لم يَجعل الخالق لها حَدّاً مانعاً عن الشُّبه لكانت الأشياء مُشتَبهة به مع أنّ التحقيق يأباه وذلك لأنّه قد ثبت في العلوم العقليّة إستحالة وجود الشِّبه له تعالىٰ في حدّ ذاته لإمتناع وجوده وإن شئت قلت: شِبه الواجب مُمتنع الوجود ومعنىٰ الإمتناع عدم إمكان الوجود وقولهم يدلّ علىٰ إمكانه في حَدّ ذاته لو لا المانع وهو إرادة الله تعالىٰ ومن المَقطُوع عَدم تعلُّق إرادة الواجب بما هو محال في نفسه.

وثانيها: أنّ المَخلُوق مُمكن وكلّ ممكن له حَدٌّ يقف عنده وإلّا لا يكون مُمكناً فالحدّ لِلممكن ليس بَجعل الجاعل حتّىٰ يقال إنّ الله تعالىٰ جَعل الشّيء محدُوداً بل يقال إنّ الله تعالىٰ أوجد الأشياء كما يقال إنّ الله أوجَد الأربعة ولا يقال جعل الأربَعة أربَعة إذ ثبوت الشّيء لنفسه ضَروريّ.

وثالثها: أنّ الحَدّ في المُمكن عبارة عن ماهيّته الّتي هو بها هو والماهيّة ليست بمجعولة.

وخلاصة الكلام هي أنّ عدم إشتباه المخلوق بالخالق ليس مُستنداً إلىٰ الخلق والجَعل بل هو من لوازم ذاته وإن شئت قلت: لا يمكن إيجاد شيء لا يكون له حَدّ إذ لو لم يكن له حَدّ فهو واجبٌ والواجب ليس بمخلوق فالمخلوق مَحدودٌ لا محالة والقول بكون الحَدّ مَجعُولاً له كلام بلا مُحصّل والّذي ظَهر لي في المقام بعون الملك الوهّاب هو أنّ المراد بالحَدّ في قوله ﷺ (حدّ الأشياء) تناهي وجودها بمعنىٰ أنّه تعالىٰ جعل وجُود كلّ شيء مَحدُوداً متناهياً زماناً أي جعل له أوّلاً وآخراً كما هو شأن الحادث وإنّما جعل ذلك لئلا يَشبَه مخلوق بمخلوق آخر في وجوده الخاصّ المخصوص به حدُوثاً وبقاءً وموتاً وإلّا فأصل الوجود في الأشياء واحد وهذا هو الوجه في عدم إشتباه موجودٍ بموجودٍ آخر ألا ترىٰ أنّ المخلوق مُركّبٌ من ماهيّةٍ ووجودٍ والماهيّة في الكلّ واحدة لعدم التشكيك فيها والوجود العّام البديهي أيضاً واحد في الكلّ حتّىٰ الواجب فالفَرق بين الموجودات ليس إلّا بسبب وجوداتها الخاصّة

جوارح تشبيهاً بها لأحد هذين انتهى.

أقول: فعليه المراد بالجوارح في المقام الأعضاء الكلّية من البدن كاليد والرجل والرأس وغيرها ونفي هذه الأمور عن الواجب لكونها من لوازم الجسم والواجب ليس بجسم والأدوات جمع أداة رهي كلّ ما يُتَوصَّل به إلىٰ المقصود يقال أَدَوت تَفعَل كذا أي إحتَلَت وأصله تناولت الأداة الّتي بها يُتوصّل إليه قاله في المفردات.

ونفيها عنه تعالىٰ يدلّ علىٰ عدم احتياجه إليها في فِعله وصنعه إذ لو كان إيجاده الخَلق بها يلزم إحتياجه إليها والإحتياج من شؤن الممكن فيلزم أن يكون ممكناً وقد فرضناه واجباً وإنّما أسند هذه الأُمور إلىٰ الوَهم دون العقل ولم يقل مثلاً لا تقدّره العُقول لأنّ التّقدير الفَرض وهُو شأن الوهم وأمّا العقل فلا يقدّر شيئاً بل يحكم به فهو مُنزّهٌ عن هذه التَّقديرات كما وَرد في الحديث: **كلّما مَيّزتُموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مَصنُوعٌ مِثلكم مردودٌ إليكم** قال عليه السلام: بأوهامكم ولم يقل بعقولكم وهو أيضاً لما ذكرناه.

- قال عليه السلام: **لاَ يُقَالُ لَهُ: مَتىٰ؟ وَلاَ يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتّىٰ...**

ولا يقال له أي لله تعالىٰ متىٰ أي لا ينسب إلىٰ الزّمان فإنّ متىٰ نسبة الشيء إلىٰ الزّمان بأن يقال متىٰ وُجد الله تعالىٰ أو إلىٰ مَتىٰ يكون مَوجوداً كلّ هذا لا يكون وأَمَد يقال لإنتهاء الزّمان وهو عبارة أُخرىٰ عن المُدّة المُنتهية وإنّما لا يضرب له أَمَد لكونه أبَديّاً لا انقضاء لوجوده فإنّه واجب الوجود وقد ثبت أنّ الواجب حيثيّة ذاته آبِيَةٌ عن العدم.

- قوله عليه السلام: **الظَّاهِرُ لاَ يُقَالُ: مِمَّا، وَالْبَاطِنُ لاَ يُقَالُ: فِيمَا...**

أي هو الظاهر ولا يقال ممّا أي من أيّ شيء ظَهَر وهو الباطن لا في الأشياء فلا يقال فيما أي في أيّ شيءٍ وحاصل المعنىٰ أنّ ظهوره بذاته لا أنّه ظَهر من شيء آخر وبطُونه أيضاً بذاته وفي هاتين الجملتين إشارة إلىٰ أمرين هما من خواصّ الواجب:

العامّ الشّامل لها ولغيرها من المُجرّدات عن الموادّ كالعقول والنفوس بناء على ثبوت الحركة الجوهريّة:

وتوضيحه: أنّ الحركة تارةً تتحقّق في الجسم كَحَركة زيد من مكان إلى مكان آخر وأُخرى في غيره كحركة النّفس من النقص إلى الكمال في مراتبها الأربعة من الهَيولائي وبالمَلكة وبالمُستفاد وبالفِعل وهكذا في غيرها من المجرّدات ومن هنا يقال إنّ الجوهر لا يخلو عن الحَركة مُجرّداً كان أو غير مُجرّد والأصل في القاعدة هو أنّ الممكن في حَدّ ذاته ناقص من جميع جهاته فهو يَسير إلى كماله المطلوب الّذي خُلق لأجله ولا نعني بالحركة إلّا هذا إذا عرفت هذا فنقول: واجب الوجود مُنزّهٌ عن الحَرَكَة مطلقاً والدّليل عليه من وجهين:

أحدهما: أنّه كامل في حَدّ ذاته ولا نقص فيه فلا يحتاج إلى الحَرَكَة إذ كلّ ما يحصل للموجود بسبب الحَرَكَة فهو موجود فيه بالفعل بل هو أصله ومَنشأه.

وثانيهما: أنّ الحركة من لوازم الحدُوث بل هي هو بعينه إذ لا نعني بالحدوث إلّا ما كان مسبُوقاً بالعدم وهذا بعينه تعريف الحركة وحيث قد ثبت وجوبه وأنّه قديم فلا حركة فيه وإلّا يكون حادثاً.

والشّارح الخوئي ﷺ حيث تَخيّل أنّ الحركة من لوازم الأجسام فقط والله تعالى ليس بجسم فلا محالة لا يتّصف بها ولم يعلم أنّ الحركة من لوازم الجَوهر الّذي هو أعمّ منه فعلى قوله نفي الحَركة في الواجب يدلّ على أنّه ليس بجسمٍ وعلى قولنا يدلّ على أنّه ليس بممكن حادث وإذا لم يكن ممكناً فهو واجبٌ لعدم الواسطة وهو المطلوب.

وأمّا الجوارح فهي جمع جارحة قال الرّاغب في المفردات الجرح أثر داءٍ في الجلد يقال جَرَحه جرحاً فهو جَريح ومجرُوح قال تعالى: ﴿**والجُروح قصاص**﴾ وتُسمّى الصائدة من الكلاب والفُهود والطُّيور جارحة وجمعها جوارح إمّا لأنّها تجرح وإمّا لأنّها تكسب إلى أن يقال وسُمّيت الأعضاء الكلّية

﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾(١) وعليه فمعنىٰ الجملة أنّ الله تعالىٰ ليس وجوده كذلك أي لا يكون كالأشباح الّتي يفرضها الفارض موجودة فيقتضي وجوده عند عدم فرضه بل وجوده أصيل أزليّ أبديّ بحيث لا وجود واقعاً إلّا وجوده فإنّه بنفسه ولنفسه وفي نفسه فكيف يكون شَبَحاً فهذا الكلام منه عليه السلام في الحقيقة رَدٌّ علىٰ من زعم أنّ وجود الواجب كذلك وليس المراد به نفي الجسميّة كما تَخيّلوه وأمّا قوله ولا محجُوب فيُحوىٰ.

معناه أنّ كلّ محجُوبٍ بأيّ حجاب كان لا محالة يكون مَحوياً بحجابه والحجاب حاوٍ له وكلّ مَحويٍ يكون مُحاطاً مَمنُوعاً والواجب محيط بالأشياء لا مُحاط لها إنّ الله بكلّ شيءٍ مُحيط فقوله عليه السلام: (**فَيُحْوىٰ بصيغة المجهول من حَوىٰ يُحوي**) ومعناه فيُحوىٰ بالحاوي وهو بعينه ما ذكرناه هذا.

وحاصل ما أفاده عليه السلام في المقام أمران أحدهما: أنّ الحقّ تعالىٰ ليس من الموجودات الشَّبحية الّتي لا أصل لها بل هو أصل الوجود وحقيقته، وثانيهما: أنّ كونه مَحجُوباً عنّا ليس لأجل الحجاب بيننا وبينه كما نرىٰ في غيره من المحجُوبين الّذين يَمنعهم الحجاب عن الرُّؤية بل الحقّ أنّه ليس بمحجُوب أصلاً بهذا المعنىٰ فخفائه من فرط ظُهوره وكَم فرقٌ بين المحجُوب بالحجاب السّاتر والمحجُوب من كثرَة الظهور كما قال السبزواري:

يا من هو إختفى لِفَرط نوره — الظّاهر الباطن في ظُهوره

قوله عليه السلام: **لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْتِصَاقٍ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ...**

وذلك لأنّ الإلتصاق والإفتراق من خواصّ الأجسام فلو كان قربه منها وبعده عنها بهما يلزم أن يكون من الأجسام فقُربه وبُعده ليس بهما وهو المطلوب.

وليعلم أنّ القُرب والبُعد المَنفيّين في كلامه عليه السلام ليس علىٰ سبيل الإطلاق بل علىٰ سبيل التّقييد ونفي المُقيّد لا يستلزم نفي المُطلق وتوضيحه أنّ القُرب

١ـ النور ـ ٣٩

أحدهما: أنّ ظُهوره بذاته وبُطونه أيضاً كذلك مع أنّهما في المخلوق بخلافهما في الخالق إذ الظُّهور في غيره تعالىٰ لابُدّ من أن يكون له مَنشأ ومَظهَر كما أنّ البطون في غيره لا يكون إلّا بالإختفاء في شيء آخر وهذا ظاهر.

وثانيهما: أنّ الواجب لو كان ظهوره من غيره وبطُونه في غيره لكان محتاجاً إلىٰ الغير في هذين الوصفين كما هو ظاهر وكلّ محتاج ممكن وقد فرضناه واجباً.

▫ قوله ﷺ: **لاٰ شَبَحٌ فَيَتَقَضىٰ، وَلاٰ مَحْجُوبٌ فَيحْوىٰ**...

قال البحراني ﷺ أي ليس بشخص فيلحقه التّغيير والإنقضاء ولا محجُوب فيحويه الحجاب إذ الشّخص لِلنّاظر والحجاب من لواحق الأجسام الّتي تَنزّه قدسه عنها انتهىٰ وتبعه الخوئي ﷺ فيه ولقائل أن يقول ليس التّغيير والإنقضاء من لوازم الشّخص بل غير الشُّخص أيضاً يَنقَضي ويتُّغيَر فهما من لوازم الحُدوث وهو أعَمّ من الشّخص هذا مضافاً إلىٰ أنّ تفسير الشّبَح بالشّخص بَعيد عن اللّغة غريب في الأذهان المُستقيمة والعرف أيضاً يأباه ألا ترىٰ أنّ العرف لا يطلق الشّبح علىٰ الشّخص فإذا رأىٰ الإنسان شَبَحاً لا يقول رأيت شَخصاً وبالعكس بل يقول رأيت شَبَحاً ورأيت شَخصاً وهو ظاهر هذا في الجملة الأولىٰ.

وأمّا الثانية فهو أيضاً محلّ كلام وبحثٍ بل في حَيّزِ المَنع وذلك لإنّا لا نُسلّم أنّ الحجاب من لواحق الأجسام فقط ألا ترىٰ أنّ الجِنّ والمَلَك والعَقل والنّفس محجُوبة عنّا مع أنّها ليست بأجسام فلا يلزم من كون الشيء محجُوباً أن يكون الحَجب بسبب الحجاب السّاتر.

والحقّ عندي في المقام هو أنّ المراد بالشّبح معناه المتعارف المعهود عند الناس أعني الشّيء الخيالي الوَهمي الّذي لا بقاء له ويكون دائماً في مَعرض التَقضّي والفناء وذلك لأنّه لا أصل لوجوده بل وجوده وَهميٌ يفرضه الفارض

من النظر وظهورها له لأنّه يقع عليها قَبل المُنخفضات وقال البحراني ﷺ الرّبي أوّل ما يقع في العَين من الأرض.

▫ قوله ﷺ: **فِي لَيْلٍ دَاجٍ، وَلاَ غَسَقٍ سَاجٍ...**

أي ولا يخفى عليه أيضاً إنبساط خُطوةٍ في ليلٍ داج ظلماني ولا غسقٍ ساج أي ساكن لا حَركة فيه كما قال الله تعالى: **﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾**(١)

▫ قوله ﷺ: **يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، وَتَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ فِي الأُفُولِ وَالْكُرُورِ...**

أصل الفيء الرّجوع قال الرّاغب في المفردات الفَيْ الفَيئة الرّجوع إلى حالة مَحمُودة انتهى.

فقوله ﷺ: **يتفيّأ** أي يَرجع من قولهم تَفيّأت الظّلال أي تَقلّبت قال الله تعالى في كتابه: **﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّداً للهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾**(٢) والمعنى أنّ القَمر المُنير يَتقلّب على الغَسق وتَعقبه أي تَعقب القَمر أو اللّيل الشّمس ذات النّور في الأُفول والكُرور قالوا أي في أُفول القَمر وكروره بمعنى أنّها تَطلَع عند أُفوله وتَغرب عند كُروره وأنت ترى أنّ هذا التّفسير لا يساعده العلم في زماننا هذا.

وذلك لأنّ القمر لا أُفول له ولا كُرور بمعنا هما على سبيل الحقيقة وذلك لوجهين:

أحدهما: أنّ القَمر لا نُور له ذاتاً بل يَستنير من الشّمس فَنوره في الحقيقة منها لا من نفسه فإسناد الأُفول والكُرور إليه على سبيل المجاز دون الحقيقة.

وثانيهما: أنّ القَمر لا أُفول له واقعاً بل هو موجود حتّى في اليوم عند وجود الشّمس ولا فرق فيه من هذه الجهة وإنّما الفرق في وجود الشّمس وعدمه فإن

١- الأنعام ـ٥٩.
٢- النّحل ـ٤٨.

والبعد يتصوّر على قسمين:

أحدهما: القُرب والبعد الحِسّي الّذي يكون مَنشأ وجوده الإلتصاق والإفتراق والواجب لا يَتّصف بهما لكونهما من خواصّ الأجسام.

وثانيهما: القرب والبعد المَعنَوي كما يقال فلان قريب من الرّحمة أو بعيد عنها ومن المعلوم أنّ الرّحمة ليست ممّا يَلتصق الشّئ بها أو يفترق عنها بل المقصود أنّه من حيث العَمَل يَصلح لِشمُول الرّحمة إيّاه وعدمه والواجب تعالىٰ بهذا المعنىٰ يَتّصف بهما كما قال تعالىٰ: ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾(١) وقال: ﴿**إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾(٢) وحيث أُطلق القرب بهذا المعنىٰ فالبعد أيضاً يصحّ إطلاقه عليه لأنّه ليس إلّا عدم القُرب.

▫ قوله عليه السلام: **لاَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ، وَلاَ كُرُورُ لَفْظَةٍ، وَلاَ ازْدِلاَفُ رَبْوَةٍ، وَلاَ انْبِسَاطُ خَطْوَةٍ...**

غرضه عليه السلام من هذه الكلمات هو أنّ الله تعالىٰ لا يخفىٰ عليه شئ من أعمال عباده وأقوالهم وحركاتهم وغير ذلك من الآثار وذلك لأنّه تعالىٰ عالم السِّر والخفيّات فلا يخفىٰ عليه شئ لا في الأرض ولا في السّماء ﴿**وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾(٣) و الآيات القرآنيّة مُصرّحةٌ به: قال الله تعالىٰ: ﴿**يَعْلم خائنة الأعيُن وما تُخفي الصّدُور**﴾(٤)

و : ﴿**رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ**﴾(٥)

و : ﴿**إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً**﴾(٦)

و : ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾(٧) وغيرها من الآيات.

ثمّ إنّ المراد بقوله عليه السلام: **شُخُوصُ لَحْظَةٍ** هو مَدّ البَصر من دون حَركة جفن وبقوله ولا كُرور لَفظَةٍ هو رجُوع الكلام وإعادتها وبقوله: إزدلاف ربوة تقرّبها

١- ق - ١٦ ٢- الاعراف- ٥٦
٣- الحديد- ٣ ٤- غافر-١٩
٥- إبراهيم ية ٣٨ ٦- الأحزاب-٥٤
٧- الغافر- ١٩

فكأنّه قيل له عليه السلام كيف يقلّبان الأزمنة فقال من إقبال ليلٍ وإدبار نهارٍ.

▫ قوله عليه السلام: **قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَّمُدَّةٍ، وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَّعِدَّةٍ...**

قال البحراني رحمه الله وتبعه الخوئي رحمه الله في تفسير الكلام إنّ الله تعالىٰ كان قبل غاية ومدّةٍ وكلّ إحصاء وعدّة لأنّه خالق الكلّ ومبدئه في جنب تقدّمه و قبليته انتهىٰ.

أقول: ما ذكراه لا بأس به إذ لا شكّ في كونه قبل كلّ شيءٍ إلّا أنّ الكلام ليس فيه بل الكلام في إحاطة علمه بالأشياء وعليه فالحقّ في المقام هو تعلّق الظّرف بقوله عليه السلام لا يخفىٰ عليه من عباده شُخُوص لَحظَة والمعنىٰ لا يخفىٰ عليه شيءٌ ممّا ذكرناه قبل كلّ غاية الخ.

أي علمه بها لا يكون بعد وجودها بل كان قبله أيضاً فهو عالم بكلّ شيءٍ قبل وجود وبعد وجوده والغاية والمُدّة والإحصاء والعدّة لا دخل لها في علمه بها وجوداً وعَدماً وهو رَدٌّ علىٰ بعض الفلاسفة القائلين بكونه تعالىٰ عالماً بها قبل وجودها إجمالاً وبعد وجودها تفصيلاً ومن يقول بعدم العلم قبل وجودها أصلاً لا إجمالاً ولا تفصيلاً كما مرّ في ما مَضىٰ.

▫ قوله عليه السلام: **تَعَالىٰ عَمَّا يَنْحَلُهُ الْمُحَدِّدُونَ مِن صِفَاتِ الْأَقْدَارِ، وَنِهَايَاتِ الْأَقْطَارِ، وَتَأَثُّلِ الْمَسَاكِنِ وَتَمَكُّنِ الْأَمَاكِنِ ...**

بعد ما وصف عليه السلام الله تعالىٰ بما وصف من صدر الخطبة إلىٰ هنا قال عليه السلام:

تعالىٰ أي تعالىٰ الله عمّا يَنحَله ويَنسبه المُحدّدون المُلحدون من صفات الأقدار أعني الصّفات الّتي تُقدّره الأوهام بالحُدود والحَرَكات ونهايات الأقطار بضرب الأمَد له بحتّىٰ وتأثّل المساكن أعني إكتسابها والإستقرار فيها وتمكّن الأماكن أي ثبوت المكان له والتّمكّن فيه والوجه في الكلّ هو أنّها من صفات المخلوقات وأمّا الخالق فهو مُنزّه عنها لكونه غنياً بالذّات أزليّاً أبديّاً مجرّداً عن المادّة ولواحقها كما حقّقناه في محلّه.

▫ قوله عليه السلام: **فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ، وَإِلىٰ غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ...**

كانت الشّمس طالعة لا يُرىٰ لِلقَمر نُور لا بمعنىٰ أن لا نور له بل بمعنىٰ أنّ نُوره مَقهُورة تحت نور الشّمس كما هو شأن جميع الكَواكب عند طلُوع الشّمس وحاصل الكلام أنّ تفسير الأُفُول والكُرور بما ذكروه لا يَصحّ والحقّ في المقام هو أن يقال: إنّ المراد بالأُفُول والكُرور معناهما المجازي أعني عَدم رُؤية نُور القَمر ورؤيتها في النّهار واللّيل بالبَصَر وهذا ممّا لا إشكال فيه:

ويدلّ علىٰ ما ذكرناه أعني عدم الأُفُول والكُرور الحقيقيّين للقمر قوله عليه السلام: فيه (**الْقَمَرُ الْمُنِيرُ**) وفي الشّمس (**الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ**) حيث وصف القمر بكونه منيراً والشّمس بكونها ذات النُّور.

وجه الدّلالة أنّ كون الشّيّ مُنيراً لا يدلّ علىٰ كون النّور ذاتياً له بل هو أعمّ من الذّاتي والعَرَضي والقَمر كذلك ولأجل هذه الدّقيقة لم يقل للقمر ذات النّور.

وأمّا كون الشّيْ ذات النّور فليس كذلك بل معناه أنّ النّور من لوازم ذاته والشّمس كذلك فكلامه عليه السلام يدلّ علىٰ أنّ الشّمس مُضيئة بالذّات والقمر لا بالذّات وهو موافق لما عليه القوم في زماننا هذا في الهيئة الجديدة.

هذا كلّه إذا قلنا بأنّ المراد بالأُفُول والكُرور الأُفُول والكُرور في القمر كما فسّروه أمّا إذا قلنا إنّ المراد بهما الأُفُول والكُرور في الغَسَق أعني اللّيل فلا يَتَوجّه الإشكال أصلاً وعليه فالمعنىٰ أنّ الشّمس تعقبه في أُفول اللّيل وكُروره ففي الأُفول بلا واسطة وفي الكُرور بواسطة القَمر فتأمّل.

▫ قوله عليه السلام: **وَتَقَلُّبِ الْأَزْمِنَةِ وَالدُّهُورِ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ، وَإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ...**

أي أنّ الشّمس والقَمر حالهما كذلك في الأُفول والكُرور وتقليب الأزمنة والدّهور ضرورة أنّ الأزمنة والدّهور تحصلان من تعاقبهما ووجود اللّيل والنّهار بسببه ثمّ الشّهر ثمّ السّنة ثمّ القَرن وهكذا وهذا معنىٰ قولهم إنّ الزّمان معلول لحركة الأفلاك وفي التّعبير بالتقلّب إشارة إلىٰ أنّهما يجعلان اللّيل والنّهار ويقلّبان أحدهما بالآخر فكلمة (من) في قوله من إقبال ليل الخ بيانيّة

يكون إلّا قطعياً والمنسوب ليس كذلك والفرق بينهما ظاهر فكلامه يُشعر بأنّ تحديده تعالىٰ ممّا لا أصل له بل هو كذبٌ وإنتساب:

والشّارح البحراني ﷺ حيث علم أنّ نسبة الحَدّ إليه تعالىٰ ممّا لا يجوز فقال ما قال ولَم يَعلم أنّ عدم الجَواز لا يلزم عدم الوقُوع وكلامه ﷺ ليس في الجواز وعدمه لعلمه ﷺ بأنّ الإنتساب قد وقَع من المَحدّدين فأشار ﷺ بأنّه مجرد إنتساب لا واقع له.

وحاصل الكلام أنّ الغرض بيان الفرق بين الحَدّ المَضرُوب والحدّ المنسوب والأوّل للخلق والثّاني لله تعالىٰ والحدُود المُنتسبة إليه تعالىٰ من قبل الثّاني فتأمّل في المقام.

▫ قوله ﷺ: **لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ، وَلاَ مِنْ أَوَائِلَ أَبَدِيَّةٍ...**

نقل الخوئي عن العلاّمة المجلسي ﷺ أنّه قال: هو ردٌّ علىٰ الفلاسفة القائلين بالعقول والهَيولى القَديمة وقال المعتزلي الرَدّ في هذا علىٰ أصحاب الهَيولىٰ والطِّينة الّتي يزعمون قدمها.

وقال البحراني إنّه لَم يَخلُق ما خَلق علىٰ مثالٍ سَبَق يكون أصلاً انتهىٰ ما ذكروه.

أقول: ما ذكروه في المقام لا مَحصّل له والمقصود بيان شئ آخَر وهو أنّ الله تعالىٰ خلق الخلق علىٰ سبيل الإبداع ولا كلام فيه وقد إستوفينا الكلام في الإبداع وغيره من أقسام الخَلق بما لا مزيد عليه وليس جميع أقسام الخلق إبداعياً كما زعموا بل منه إبداعيّ ومنه غير إبداعيّ والعقُول والنّفُوس من الأوّل والموجودات في عالم العناصر من الثّاني فإنّها خُلقت من مادّةٍ لا محالة فإنّ الإنسان والحيوان مثلاً لهما مادّة ألَيسَت النُّطفة مادّة لهما والفلاسفة لم ينكروا هذا والبحث فيه موكول إلىٰ محلّه.

والحاصل أنّ المعنىٰ أنّ الله تعالىٰ لم يخلق الأشياء من أُصول أزليّة كانت قبلها بل أبَدعها وأوجَدها لا من شئ كان قبلها من الأُصول الّتي توجد الأشياء

قال البحراني في شرحه لهذا الكلام فإنّ تلك الحدُود مضروبة لخلقه ومنسوبة إليهم انتهىٰ وبه قال الخوئي أيضاً وعليه فالمعنىٰ أنّ الحُدود سواء كانت لغويّة أم إصطلاحية مَضرُوبة لخَلقه لكون الخلق مَحدُوداً بالحُدود لا محالة فهي مجعولة لهم منسُوبة إليهم فعلىٰ قول البحراني ﷺ الضَّمير في قوله ﷺ: (وَإِلىٰ غَيْرِهِ) يرجع إلىٰ الله أي إلىٰ غير الله ينسب الحَدّ وهو المخلوق ولقائل أن يقول إن كان المراد ما ذكره المُحقّق فأيّ نفع في ذكر قوله (وإلىٰ غيره مَنسُوب) أليس قوله ﷺ: **فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ**، بكّاف في إفادة الغَرض فإنّ الحَدّ إذا كان مَضرُوباً لخلقة فهو منسوبٌ إليه لا محالة فلا فائدة في ذكر الجملة الثّانية أصلاً.

والّذي يختلج بالبال في حلّ الإشكال هو أنّ الضّمير في قوله ﷺ: (وَإِلىٰ غَيْرِهِ) يرجع إلىٰ الخلق لا إلىٰ الله والمعنىٰ أنّ الحَدّ لخلقه مضروبٌ مجعولٌ وإلىٰ غير الخلق أعني الله تعالىٰ مَنسوبٌ لا مَضرُوبٌ وبه يفترق الخالق عن المخلوق ولتوضيح المقال نقول:

أمّا كون الحَد لخلقه مَضرُوباً فلأنّ المخلوق كائناً من كان محدودٌ متناهٍ وجوداً وعدماً سواء كان الحَدّ فيه إصطلاحياً أم لَغويّاً وإنّما قال ﷺ: (**مَضرُوباً**) للإشارة إلىٰ أنّ الحدّ للمخلوق ممّا لابدّ منه بمعنىٰ أنّ الخلق لا يكون إلّا محدوداً ضرورة أنّه لو لم يكن مَحدُوداً لكان غير محدودٍ وكلّ غير محدود فهو واجب الوجود فالخلق واجب الوجود وقد فرضناه مُمكناً وأمّا أنّه إلىٰ غير الخلق أعني الله تعالىٰ منسوبٌ فلوجهين:

أحدهما: أنّ الحدّ منسوبٌ إليه بزَعم المُلحدين المحدّدين كما قال ﷺ في الجملة الثّانية: تعالىٰ عمّا يَنحَله المُحدّدون إلخ وهذا ممّا لا كلام فيه إذ كثير من النّاس يَنسبُون الحدّ إليه.

وثانيهما: إثبات الفرق بين الحَدّين فإنّه أعني الحدّ في الخلق مضروبٌ مجعول وفي الله تعالىٰ منسوبٌ بزَعم الزّاعمين المُحدّدين والمضرُوب لا

إلّا أنّ الأُصول والأوائل في غير المَجرّدات عبارة عن المادّة وفي المجرّدات عبارة عن خالقها وموجدها إذا جعل كلّ شئ بحسبه فلنرجع إلىٰ المتن ونقول:

معنىٰ العبارة أنّ الله لم يخلق الأشياء من أُصول أزليّة ولا أوائل أبديّة لما ذكرناه بل خَلَقَها إمّا من غير أُصول وأوائل أصلاً وإمّا من أُصول وأوائل غير أزليّة ولا أبديّة بل من أُصول وأوائل غير مُقيّدة بهما وأظنّ أنّ هذا هو الحقّ الحقيق بالمقام:

▫ قوله عليه السلام: **بَلْ خَلَقَ مٰا خَلَقَ فَأَقٰامَ حَدَّهُ، وَصَوَّرَ مٰا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ...**

ثمّ أضرَب عليه السلام عمّا قال وفسّر الإيجاد وقال: بل خلق الله تعالىٰ ما خلق من الخلق بأنواعه وأقسامه فأقام حَدّه أي جعله مَحدُوداً بالزّمان والمكان والأين والوضع وغيرها وصَوَّرها بأحسن ما صَوّرها بحيث لا يمكن إيجاد صُورةٍ أحسن من صورته الّتي صُوّر عليها وفيه إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ حيث قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾(١)

و: ﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾(٢)

و: ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾(٣)

وقال تعالىٰ في الإنسان: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(٤)

و: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾(٥)

و: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾(٦) فالخلق والتّصوير كلاهما منه تعالىٰ وقد ثبت أنّ الكامل لا يُوجَد إلّا الكامل.

▫ قوله عليه السلام: **لَيْسَ لِشَىْءٍ مِنْهُ امْتِنٰاعٌ، وَلاٰ لَهُ بِطٰاعَةِ شَيْئٍ انْتِفٰاعٌ...**

أي ليس لشئ من مخلوقه إمتناع من الخلق إذ له الأمر والخلق وهو علىٰ كلّ شئ قدير ولا له أي لله بطاعة شئ إنتفاع وفائدة يَتَوجّه إليه تعالىٰ:

١- الأعراف ـ ١١. ٢- الحشر ـ ٢٤
٣- التّغابن ـ ٣. ٤- المؤمنون ـ ١٤
٥- آل عمران ـ ٦. ٦- الإنفطار ـ ٨

منها وهذا في العقُول مُسلّمٌ ولنا في المقام إحتمال آخر وهو أنّه ﷺ لَم يَنفِ الأُصول مطلقاً بل نفىٰ الأُصول الأزليّة وهكذا الكلام في الأوائل فإنّه ﷺ لم ينفها مطلقاً بل نفىٰ الأوائل الأبديّة ونَفي المُقيّد لا يستلزم نفي المُطلق فإذا قال القائل ما جائني زيد العالم ليس معناه عدم مَجيئ زيد مطلقاً بل معناه عدم مجيئ زيد الموصوف بالعلم إذا عرفت هذا فنقول.

قال ﷺ: **لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ، وَّلاَ مِنْ أَوَائِلَ أَبَدِيَّةٍ** ولم يقل لم يخلق الأشياء من أُصول ولا من أوائل فنفي ﷺ خلق الأشياء من الأُصول المقيّدة بكونها أزليّة ومن الأوائل المُقيّدة بكونها أبديّة وهو لا يستلزم نفي خلقها من الأُصول والأوائل مطلقاً فثبتَ أنّ للخلق ليست أُصولاً أزليّة وأوائل أبديّة وأمّا أنّه ليست لها اصولاً وأوائل مطلقاً فلا يستفاد من كلامه وعلىٰ المدّعِي الإثبات وأنّىٰ له بإثباته.

إن قلت ـ ما الفرق بين الأصول الأزليّة ومطلق الأصول والأوائل الأبديّة وغيرها حتّىٰ لا يستلزم من نفي الأُصول الأزليّة نفي الأُصول مطلقاً وهكذا في الأوائل.

قلنا ـ الفرق بينهما هو الفرق بين المُطلق والمُقيّد وهو لا يخفىٰ علىٰ أحد من أرباب الفَضل هذا أوّلاً وثانياً الأُصول الأزلية والأوائل الأبديّة غير مَجعولةٍ قطعاً بل لا تنال يد الجَعل إليها إذ لو كانت مجعولة مخلوقة فلا تكون أزليّة أبديّة إذ الأزلي ما لا يكون مَسبُوقاً بغيره والأبدي ما لا يكون ملحوقاً بالعدم وما كان كذلك فهو واجب الوجود فكيف يكون مخلوقاً مجعُولاً فثبت أنّ الأُصول الأزليّة والأوائل الأبديّة ليست بمَجعُولة وهو المطلوب.

وأمّا الأُصول والأوائل المُطلقة الغير المُقيّدة بها فهي مجعولة قطعاً إذ المانع من الجَعل هو قيد الأزل والأبد لا نَفس الأُصول والأوائل وعليه فنفي الأوّل أعني المقيّد لا يستلزم نفي الثّاني وهو المطلق فلا يبعد جعل الأُصول والأوائل لبعض الأشياء كالمادّيات ووجودها لبعض آخر كالعقُول والنّفُوس المُجرّدة

ممكن ليس بواجب فيلزم أن لا يكون الواجب واجباً وبعبارةٍ أُخرىٰ لو فرضنا إنتفاع الخلق بطاعة المخلوق يلزم خروج الواجب عن كونه واجباً فهو تعالىٰ واجب الوجود غنيّ عمّا سواه والكلّ محتاج إليه وهو المطلوب:

▫ قوله ﷺ: **عِلْمُهُ بِالْأَمْوٰاتِ الْمٰاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيٰاءِ الْبٰاقِينَ، وَعِلْمُهُ بِمٰا فِي السَّمٰوٰاتِ الْعُلىٰ كَعِلْمِهِ بِمٰا فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلىٰ...**

والمقصود أنّ الله تعالىٰ لا يخفىٰ عليه شيٰ لا في الأرض ولا في السّماء وعلمه بالأموات كعلمه بالأحياء لأنه قد أحاط بكلّ شئ علماً وأنّه بكلّ شيىء عليم وقد تكلّمنا في علمه وكيفيّة تعلّقه بالأشياء قبل وجودها وبعد وجودها عند بحثنا في صفاته الثّبوتيّة في المُجلّد الأوّل وغيره من المجلّدات في تضاعيف الأبحاث وقلنا هناك: إنّ علمه بها قبل وجودها وبعد وجودها علىٰ حدٍّ سواء خلافاً لما ذهب إليه بعض الفلاسفة من كون علمه بها قبل وجودها إجماليّاً وبعد وجودها تفصيلاً أو أنّه لَم يَعلَم قبل الوجود وبَعده يَصير عالماً وأمثال ذلك من الموهومات ولم يعلموا أنّ علمه تعالىٰ بها تكون حضوريّاً لا حصُوليّاً فلا يحتاج إلىٰ الصُّورة الحاصلة من الشّئ عند العقل ولا إلىٰ الصّور المُرتَسمة عنده كما ذهب إليه الشّيخ في الإشارات وغيرها من كُتبه ولتحقيق القول فيه مقام آخر:

ثمّ إنّ السِّر في كون الواجب عالماً بكلّ شئ أمران عقليّان:

أحدهما: أنّه خالق الأشياء وموجدها فهو العلّة وما سواه معلول لها وكلّ علّةٍ محيط بالمعلول إحاطةً تامّةً كاملة والعلم ليس إلّا إحاطة المُدرِك بالمدرَك فلو خفي علىٰ العِلّة شئ من مَراتب المَعلُول يلزم عدم كون العِلّة علّة لِلمرتبة المجهولة إذ لا يعقل جهل المُوجِد بالموجَد وهو واضح:

وثانيهما: أنّ الجهل نقص والنّقص يلازم الإمكان بل هو هو والواجب منزّه عن النّقص فلو فرضنا جهله بشئ أو أشياء يلزم خروج الواجب عن كونه واجباً وهو كما ترىٰ:

أمّا الأوّل: فلأنّ المَخلوق مَقهورٌ مَغلوبٌ تحت قُدرة الخالق فكيف يقدر على الإمتناع وقد قال الله تعالى: **﴿إنّما أمرُهُ إذا أرادَ شيئاً أن يقولَ لهُ كُن فيكُونُ﴾** (١)

و: **﴿يزيدُ في الخَلْقِ ما يشاءُ إنّ الله على كلّ شيءٍ قديرٌ﴾** (٢)

و: **﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾** (٣)

والدّليل العقلي على المدّعى: هو أنّه قد ثَبت أنّ العصيان والتمرُّد في الأوامر التّشريعيّة وأمّا التّكوينيّات فلا عصيان فيها وذلك لأنّ المخلوق قائم بالخالق فلا وجود له مع قطع النّظر عن مُوجده والإمتناع والعصيان في المخلوق فرع على أصل الوجود وأمّا قبل الوجود فلا يقدر عليه وبعبارةٍ أُخرى الإمتناع وعدمه من آثار الموجود والأثر لا يوجد إلّا بعد وجُود المؤثّر والمفروض أنّه ليس بموجود فكيف يمتنع عن الوجود فإذاً على فرض تحقّق الإمتناع يلزم تقدّم الأثر على المُؤثّر وهو محال لكونه مستلزماً لتقدّم الشّئ على نفسه هذا في الأوامر التّكوينيّة:

وأمّا الأوامر التّشريعيته: فليست كذلك إذ هي تتوجّه إلى العبد بعد وجوده والموجود مختار في فعله إن شاء فَعَل وإن لم يَشأ لم يَفعل هذا هو السِّر العقلي فيه:

وأمّا بحسب النّقل: فالوجه فيهما هو أنّ الثّواب والعقاب ممّا يترتّب على الأوامر التّشريعيّة فلو كان العبد مجبُوراً فيها ولا يقدر على العصيان يصير فاقد الإختيار ويبطل به الثّواب والعقاب:

وأمّا التّكوينيّات :فلا ربط لها بالثّواب والعقاب كما هو واضح:

وأمّا الثّاني أعني عدم إنتفاع الخالق بطاعة المخلوق فلأنّ الإنتفاع بشئ يدلّ على إحتياج المُنتفع به والإحتياج يساوق الإمكان بل هو هو في الواقع وكلّ

١- يس-٨٢ ٢- فاطر-١
٣- الفرقان-٢

و: ﴿إِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾(١)

و: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ﴾(٢)

والمراد بالأستار أستار الرّحم والعطف تفسيري هكذا قالوا في شرح الكلام:

قال الخوئي ﷺ العطف كالتّفسير والمراد بها ما أُشير إليه في قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾(٣)

أي ظلمة البطن والرحم والمَشيمة أو الصُّلب والرّحم والبَطن والأوّل مَرويّ عن أبي جعفر عليه السلام انتهى ما ذكره.

أقول: ما ذكره ﷺ لا بأس به وعليه الشرّاح في شروحهم بل هو الظاهر من العبارة في باديْ الأمر ولكن لا يبعد أن يكون الكلام من ذكر العامّ بعد الخاصّ فإنّ الأستار أعمّ من الأرحام وعليه فالمعنى أنّ الإنسان يكون أوّلاً في ظُلمة الرّحم وثانياً في الأستار المُضاعفة ولتوضيحه نقول:

إعلم: أنّ ظُلمة الرّحم لا تكون إلّا واحدة وليست له ظُلُمات ثلاث وإستدلالهم بالآية الشّريفة لا وجه له إذ الآية قد دلّت على وجود الظُلُمات له وأمّا كونها في الرّحم فلا دلالة لها عليه بل هي على غير الرّحم أدلّ بدليل قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾(٤) والظاهر أنّها أعمّ من ظلمة الرّحم وهي إحديها ألا ترى أنّ الإمام عليه السلام فسرّ الثلاث بما فسّره وعَدّ ظُلمة الرّحم منها فلو كان المراد بها كما ذكروه لا معنى لدخول ظُلمة البطن والمَشيمة فيها ضرورة أنّ البطن والمَشيمة غير الرّحم اللّهم إلّا أن يقال ذلك على سبيل المجاز بإعتبار علاقة الجزء والكلّ لو لا أنّ الآية تأباه حيث لم يذكر فيها الرّحم أصلاً ولست أدري لأيّ شيء وبأيّ دليل حملوا قوله عليه السلام: **فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ** على قوله تعالى: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾(٥) والّذي ظهر لي في

١- النجم ـ ٣٢
٢- آل عمران ـ ٦
٣- الزمر ـ ٦
٤- الزمر ـ ٦
٥- الزمر ـ ٦

وأمّا كيفيّة تَعلّق علمه بها بحيث لا يلزم منه التكثّر في ذاته ولا يكون ذاته محلاً للحوادث فالوجه فيها أنّه تعالىٰ عالم بذاته وذاته علّة لما سواه فعلمه بذاته بعينه علمه بما سواه وعلمه بما سواه ليس إلّا علمه بذاته كما حُقّق في محلّه:

▫ قوله ﷺ: **أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَالْمُنْشأُ الْمَرْعِيُّ فِـي ظُـلُمَاتِ الْأَرْحَـامِ وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ...**

بعد ما أثبت ﷺ من صدر الخطبة إلىٰ هنا أوصافاً ونعوتاً لله تعالىٰ وأنّه خالق العباد وساطح المهاد إلىٰ آخر ما قال صرف عنان الكلام إلىٰ المخلوق السّوي أعني الإنسان الّذي هو أشرف المخلوق لو علم قدره وعمل بوظيفته وأطاع ربّه فقال: أيّها المَخلوق السّوي أعني المُستقيم القامة يقال صراط السّوي أي المُستقيم وقوله ﷺ: **وَالْمُنْشأُ الْمَرْعِيُّ** المُنشأ بضّم الميم وسكون النّون وفتح الشّين فعل المضارع المجهول من أنشأ يُنشئ إنشاء والإنشاء الإيجاد وقيل الإنشاء إيجاد الشّئ وتربيته وأكثر ما يقال ذلك في الحيوان كما قال تعالى: **﴿قُلْ هُوَ الّذي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ﴾** (١)

و: **﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾** (٢)

و: **﴿ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ﴾** (٣)

و: **﴿ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ﴾** (٤) و غيرها من الآيات.

والمَرعي إسم مفعول من رعىٰ يرعى أي حفظ فهو مرعي أي محفوظ والمعنىٰ أنّ الله تعالىٰ أنشأ الإنسان وخلقه في بطن أُمّه المحفوظ في ظلمات الأرحام ومضاعفات الأستار وفيه إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ حيث قال: **﴿يَخْلُقُكُمْ في بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ في ظُلُماتٍ ثَلاثٍ﴾** (٥)

١- الملك ـ ٢٣ ٢- النّجم ـ ٣٢
٣- المؤمنون ـ ٣١ و ٤٢ ٤- المؤمنون ـ ١٤
٥- الزّمر ـ ٦

قوله عليه السلام: فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ.

وأمّا قوله عليه السلام: وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ فقد علمت تفسيره على مسلك القوم وهو كونه كالتفسير لقوله عليه السلام: فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ ونحن نقول: قوله عليه السلام: مضاعفات، جمع مضاعفة وهي مشتقّة من الضِّعف بكسر الضاد وضعف الشيء هو الّذي يثنّيه يقال ضعف العشرة وضعف المِائة إذا أُضيف إلى كلّ واحد من العشرة والمِائة مثله فضعف العشرة عشرون وضعف المأة مائتان.

وقيل لا يبعد كونه مشتقّاً من الضَّعف بفتح الضاد وقد نقل الرّاغب هذا المعنى أيضاً في المفردات عند قوله تعالى: ﴿ لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَوا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً﴾[1] قال: فقد قيل أتى باللفظين على التأكيد وقيل بل المُضاعفة من الضَّعف لا من الضِعف والمعنى ما يَعدُّونه ضِعفاً فهو ضَعف أي نقص انتهى وعليه فإن قلنا بالمعنى الأوّل أعني كونها من الضِعف يصير معنى الجملة أنّ المخلوق يكون في مضاعفات الأستار كما كان في ظلمات الأرحام والفرق بين المعنيين أنّ الظُّلمة توجب عدم رؤية الشيء الواقع فيها بالبَصر والسّتر يوجب عدم خروج المَستُور عن مكانه فالسّتر مانع عن الخروج وأمّا عن الرُّؤية فلا إلّا أن يكون من الأستار الكَثيفة وأمّا إذا كان رقيقاً شفافاً فيمكن أن يراه النّاظر من وراء السّتر فكلّ ظلمةٍ سَتر وليس كلّ سَترٍ ظلمة إذا عرفت هذا:

فاعلم أنّ قوله عليه السلام: فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ يدلّ على أنّ المخلوق لا يرى مادام كونه في ظُلمة الرّحم وقوله ومضاعفات الأستار يدلّ على عدم إمكان خروجه عن مَوضعه قبل رَفع السّتر بإذن الله تعالى وإن شئت قلت إنّ المخلوق في عالم الرحم مُقيّدٌ بقيدين قيد الظُّلمة وقيد السّتر وجمع الأستار بإعتبار أنّ الستر لا يختصّ بواحد بل للإنسان في بطن أُمّه سَتر بعد سَتر ومانعٌ بعد مانع إلى أن يخرج منه وأمّا عدد الأستار فلا يعلمه إلّا الله تعالى هذا بالنّسبة إلى الأوّل وأمّا إن قلنا بالثّاني أعني كون المُضاعفات من الضَعف وهو النقص فالمراد أنّ

١- آل عمران-١٣٠

المقام هو أنّ الرّحم ظُلُمات بإعتبار مراتبها شِدَّةً وضعفاً ونقصاً وكمالاً لا بمعنىٰ أنّ له ظُلُمات علىٰ سبيل الحَقيقة فإنّ الظُلمة الموجودة فيه واحدة من أوّلها إلىٰ آخرها وذلك كما أنّ الزمان واحد بالحقيقة وقد يُعبّر عنه بالأزمنة فيقال مثلاً فلان كان كذا في أزمنة كثيرة أو أمكنة كثيرة ولا شكّ أنّ المكان أيضاً واحد بالحقيقة وإنّما يَتكثّر بإعتبار ما يَتمكّن فيه فيقال مكان كذا ومكان كذا أو زمان كذا وزمان كذا والحاصل أنّ التكثّر فيهما إنّما هو بإعتبار ما فيهما من الزمانيات والمكانيات لا بإعتبار نفسهما فإنّ صرف الشيء لا يتثنّىٰ ولا يتكرّر والتكرّر من الماهيّات إذا عرفت هذا فنقول:

الظلمة من حيث هي هي واحدة لا تكثّر فيها فإنّها عبارة عن عدم النور وهو في جميع الموارد علىٰ السّواء إذ لا مَيز في الأعدام من حيث العدم وإنّما التكثّر فيها نشئت من الماهيّات المُستندة إليها سواء كانت الماهيّات متكثّرة واقعاً أم إعتباراً بإعتبار المراتب والشؤن المُختلفة فيها وحيث إنّ المخلوق في قوله عليه السلام: **(أيّها المخلوق السّوي)** يشمل الإنسان الكلّي فكأنّه قال عليه السلام أيّها الإنسان المستقيم القامة والمَنشأ المرعي المحفوظ في ظلمات الأرحام ولا شكّ أنّ الظلمة والرحم بهذا الإعتبار أعني إستنادهما إلىٰ كلّ الأفراد و وقوع الأفراد فيهما تطلق الكثرة عليهما إذ كلّ فرد من أفراد الإنسان يكون في رَحَم يَختَصّ به لا يشركه فيه غيره وظلمة كذلك فَصَحّ أن يقال أيّها المخلوق في ظُلُمات الأرحام وهذا هو حقّ الكلام في شرح العبارة وأنت ترىٰ أنه ممّا لا غبار عليه لفظاً ومعنىً فحمل العبارة أعني قوله عليه السلام: **فِى ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ** علىٰ ما ذكروه تَعسُّف مَحض وتكلّف بَحت وأظنّ أنّ الّذي حملهم عليه هو أنّ في قوله عليه السلام: **فِى ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ** قد أتىٰ عليه السلام بها علىٰ صيغة الجمع فقالوا أنّ المراد بها كذا وكذا ولم يعلموا أنّ جمعها بإعتبار الأفراد المتكثّرة الواقعة فيها المُستفاد من كلمة المخلوق بإعتبار معناه الشامل لجميع أفراد الإنسان أي جميع أفراد الإنسان لا مَحيص لهم من طَيّ ظُلُمات الأرحام والأُمّهات هذا كلّه في شرح

فكأنّه عليه السلام قال أيها البَدن العُنصري أنت كذلك فقوله عليه السلام أيّها المخلوق السَّوي إشارة الى قوله تعالى:﴿فإذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُّوحي﴾

▫ قوله عليه السلام: إلىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ، وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ...

فقوله عليه السلام: إلىٰ قَدَرٍ إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ حيث قال: ﴿مِنْ أيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ (١) وقوله عليه السلام: وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ طينٍ ثُمَّ قَضىٰ أَجَلاً﴾ (٢)

و: ﴿ومنكم مَن يَتوفّىٰ من قبل ولتبلغوا أجلاً مُسمّىٰ﴾ (٣) والمقصود أنّ مدّة بقاء المخلوق السَّوي في بطن أُمّه مُقدَّرٌ بتقديره تعالىٰ ومعلوم في علمه لا يعلمه إلّا هو لا أنّه معلوم لغيره تعالىٰ وقوله عليه السلام: وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ أي مقسوم بين أفراد المخلوق في عالم الرَّحم أو مطلقاً وخلاصة المعنىٰ أنّ المخلوق من بَدو ظُهوره إلىٰ آخر وجوده مَقهُورٌ تحت قدرته لا يمكن له الفرار من حكومته فهو أي الله تعالىٰ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد:

▫ قوله عليه السلام: تَمُورُ فِي بَطْنِ إِمِّكَ جَنِيناً: لاَ تُحِيرُ دُعَاءً، وَلاَ تَسْمَعُ نِدَاءً...

المَور الجريان السَّريع يقال مار يَمُور مَوراً قال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً﴾ (٤) والجَنين بفتح الجيم من الجنّ وهو الستر يقال جنّه الليل أي سَتَره سمّي الجنّ جنّاً لإستِتاره عن الناس والتَّعبير بالجَنين لأجل كونه مستُوراً عن النّاظر مادام كونه في بَطن أُمّه كما قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ في بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ﴾ (٤) والمقصود أنّك كنت تضطرب وتَتَحرّك فيه وهو دليل علىٰ ضعفك وعجزك بحيث لا تقدر علىٰ رَدّ جواب من دَعاك كما لا تقدر علىٰ إستماع ندائه:

▫ قوله عليه السلام: ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِن مَّقَرِّكَ إِلىٰ دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا...

١- عبس ـ ١٩ ٢- الانعام ـ ٢
٣- غافر ـ ٦٧ ٤- الطور ـ ٩
٤- النجم ـ ٣٢

الإنسان قبل ولادته يكون تحت أستارٍ ضعيفة ومع ذلك لا يقدر على الخروج وهو يدلّ على نقص الإنسان وضعفه كما قال تعالى: ﴿خُلِقَ الإنسان ضَعيفاً﴾ هذا والعلم عند الله.

▫ قوله ﷺ: **بُدِئْتَ مِن سُلاٰلَةٍ مِّن طِينٍ، وَّ وُضِعْتَ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ...**

قوله ﷺ: **بُدِئْتَ وَّ وُضِعْتَ** بضمّ أوّلهما وكسر الثاني وفتح الآخر فعلان مجهولان ماضيان من بَدَء يَبدَء ووضَع يَضع والمعنى أنك أيها الإنسان بُدِئتَ من سلالة من طين أي كان إبتداء خلقك كذلك وَوُضِعتَ أي جعلت في قرار مكين أعني رحم أمّك:

فقوله ﷺ: **مِن سُلاٰلَةٍ مِّن طِينٍ** إشارة إلى أنّ المخلوق السّوي خُلق منه وهو كذلك بنصّ القرآن قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ)[1] و :(وَبَدَءَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ﴾[2]

و قوله ﷺ: **وَّ وُضِعْتَ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ** إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾[3] وإنّما قال ﷺ في الجملة الأولى (**بُدِئت**) وفي الثانية (**وُضِعت**) للدلالة على أنّ النُّطفة الموضوعة في الرّحم أصلها الطين فإنّ مرتبة الوَضع بعد مَرتبة الخَلق:

إن قلت ـ أليس الإنسان مركّباً عن الروح المَلكُوتي والجَسد المَلكي فقوله ﷺ بُدِئت وَوُضِعت يدلّ على الإنسان كذلك ومن المعلوم أنّ الروح لَم تُخلق من سلالةٍ من طين ولا وُضعت في قرار مكين والجَسد العُنصري وإن كان كذلك إلّا أنّه ليس من الإنسان بشيء على قول الفلاسفة وجزء الإنسان المُركّب منه ومن الروح على مذاق العَوام:

قلت ـ لَم يَقُل ﷺ الإنسان كذلك حتّى يَتوجّه الإشكال عليه بل قال ﷺ أيّها المَخلُوق السّوي أنت كذلك ومن المعلوم أنّ المخلوق السّوي أعني المستقيم القامة لا يطلق إلّا على البدن العُنصري الموصوف بالوصف المذكور

١- المؤمنون ـ ١٢ ٢- السّجدة ـ ٧
٣- المؤمنون ـ ١٣

هذا القبيل فإنّ الإحاطة بصفات الخالق من المخلوق بعيد غاية البُعد ولأجل هذا قيل إنّ كلمة (**هيهات**) تستعمل فيما إذا كان الوصول إلىٰ المقصد غير ممكن عادة وعقلاً إذا عرفت هذا:

فنقول: غرضه عليه السلام إنّ المخلوق الذّي يَعَجز عن معرفة نفسه ومعرفة أبناء زمانه مع كونهم جميعاً من ذوي الهَيئة والأدَوات المُوجبة لمحدوديّة المخلوق وبعبارة أخرىٰ تناهيه فكيفَ يقدر علىٰ الإحاطة بغيره من المخلوقين الذّين بمَعزلٍ عن الهَيئة والأدوات كالعقُول والنّفُوس والملائكة وغيرها من المُجرّدات عن المادّة فضلاً عن خالقها وبارئها إذ معرفة الخالق ذاتاً وصفة لا يمكن إلّا بعد معرفة مخلوقه كذلك فمن عَجَز عنها فهو عنها أعَجز وأضَعف.

أي ثمّ أُخرِجت بقدرة الخالق من مَقرّك الّذي كنت فيه أعني بطن أمّك إلىٰ دار لم تَشهدها وهي الدُّنيا ولم تعرف سبل منافعها وطرق مصالحها وفي قوله ﷺ: (أُخرِجت) بصيغة المجهول إشارة إلىٰ أنّ الخروج منه إلىٰ الدُّنيا ما كان بإرادتك وإختيارك وقُدرتك بل كان بأمر من الله تعالىٰ إذ لو كان الخروج بإختياره لكان حقّ العبارة أن يقال (ثمّ خرجت) وذلك لأنّ الإخراج يحتاج إلىٰ المُخرِج الذّي هو غير المُخرَج وإلّا لا يكون إخراجاً بل هو الخروج.

▫ قوله ﷺ: **فَمَن هَدٰاكَ لاِجْتِرارِ الْغِذٰاءِ مِن ثَدْيِ أُمِّكَ؟ وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحٰاجَةِ مَوٰاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرٰادَتِكَ...**

أي إذا كنت جنيناً لا تُحير دعاءً ولا تَسمع نداءً ولم تقدر علىٰ الخروج ولا علىٰ عدمه فمن هَداك وأرشدك لإجترار الغذاء أعني اللّبن من ثَدي أمّك والإجترار من الجَرّ وهو بالفارسيّة (كَشيدن و مَكيدن) ومنه جَرّ النّفع إلىٰ نفسه وقوله ﷺ: وَعَرَّفَكَ معطوف علىٰ قوله ﷺ: **فَمَن هَدٰاكَ** أي ومن عَرّفك عند الحاجة إلىٰ الغذاء مواضع طلبك وإرادتك بالبكاء والنّظر إلىٰ الثّدي والإضطراب وغيرها ممّا هو مفهم لإرادتك فإنّك لا تقدر علىٰ الكلام ولا علىٰ الإشارة.

▫ قوله ﷺ: **هَيْهٰاتَ! إِنَّ مَن يَعْجِزُ عَن صِفٰاتِ ذِى الْهَيْئَةِ وَالْأَدَوٰاتِ فَهُوَ عَن صِفٰاتِ خٰالِقِهِ أَعْجَزُ، وَمِن تَنٰاوُلِهِ بِحُدُوُدِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ...**

كلمة هيهات معناها بَعُدَ والمقصود من البعد المستفاد منها ليس البعد العُرفي المشهور فإنّ البُعد يتّصور علىٰ قسمين:

أحدهما: ما يمكن الوصول إليه.

وثانيهما: ما لا يمكن الوصول إليه.

والأوّل: كما يقال مكانٌ بعيد وزمانٌ بعيد.

والثّاني: كما يقال وجود شريك الباري بَعيد وإجتماع النّقيضَين بعيد فهو في الحقيقة من المحال إلّا أنّه قد يطلق عليه البُعد بهذا المعنىٰ وما نحن فيه من

وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً، فَلاَ تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً، يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلاَلِ السِّنِّ، وَتَقَضِّي الْعُمْرِ!!

فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي حَتَّىٰ أَخْرُجَ إِلَيْهِم مِن مَظَالِمِهِمْ.

فَقَالَ ﷺ: مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلاَ أَجَلَ فِيهِ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ.

◁ اللّغة

(اسْتَفْسَرُونِي) أي جعلوني سفيراً (وَشِيجَة) عرق الشّجرة والواشجة الرّحم المشتبكة (يُرْتَبَطُ) أي يَشُدّ (يَلْبِسُ) اللّبس الإشكال والاشتباه (يَبُثُّ) أي ينشر (يَمْرُجُونَ) يقال مَرج أمرَه إذا إختلَط واضطَرب (سَيِّقَةً) بتشديد الياء ما أستاقه العَدوّ من الدّواب.

◁ المعنىٰ

(إِنَّ النَّاسَ) أعني المسلمين النّاقمين عليك (وَرَائِي، وَقَدِ اسْتَفْسَرُونِي) أي طلبوا منّي السّفارة والوساطة (بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ) لإصلاح الأمر (وَوَاللهِ) أقسم به (مَا أَدْرِي) ما أعلم (مَا أَقُولُ لَكَ) أي أيّ شيءٍ أقول لك (مَا أَعْرِفُ شَيْئاً) أقول لك (تَجْهَلُهُ) أنت (وَلاَ أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَمْرٍ لاَ تَعْرِفُهُ) فإنّك تعرف الطّريق وذلك (إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ) من الأمور (مَا سَبَقْنَاكَ إِلَىٰ شَيْءٍ) منها (فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلاَ خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ) فإنّك (وَقَدْ رَأَيْتَ) الرّسول ﷺ (كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ) منه ﷺ (كَمَا سَمِعْنَا) عنه ﷺ (وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَمَا صَحِبْنَا) فكُنتَ من أصحابه (وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ) أي ليس ابن أبي قحافة أو ما كان ابن أبي قحافة وهو أبوبكر (وَلاَ ابْنُ الْخَطَّابِ) وهو عُمر (بِأَوْلَىٰ) وأحَقّ (بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنكَ) وذلك لأمرين أحدهما (وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَشِيجَةً) أي قرابةً (رَحِمٍ مِنْهُمَا) أعني من أبي بكر وعُمر وثانيهما (وَقَدْ نِلْتَ مِن صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالاَ) فإنّك كُنتَ زوج إبنته (فَاللهَ اللهَ فِي نَفْسِكَ) أي إتّق الله (فَإِنَّكَ، «وَاللهِ» مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمىً، وَلاَ تُعَلَّمُ مِن جَهْلٍ) أي لا تحتاج إلى التّبصّر والتّعلّم وذلك لوضوح الأمر

ومن كلام له عليه السلام (١٦٣)

لَمّا اجْتَمَعَ النّاسُ اِلَيْهِ وَشَكَوْا ما نَقَمُوهُ عَلىٰ عُثْمانَ، وَسَأَلُوهُ مُخاطَبَتَهُ عَنْهُمْ واسْتِعْتابَهُ عَنْهُمْ، فَدَخَلَ عليه السلام عَلىٰ عُثْمانَ فَقالَ:

□ قوله عليه السلام اِنَّ النّاسَ وَرائِي، وَقَدِ اسْتَفْسَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَوَاللهِ ما أَدْرِي ما أَقُولُ لَكَ؟ ما أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ، وَلاٰ أَدُلُّكَ عَلىٰ أَمْرٍ لاٰ تَعْرِفُهُ، اِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نَعْلَمُ، ما سَبَقْناكَ اِلىٰ شَيْءٍ فَنُخْبِرُكَ عَنْهُ، وَلاٰ خَلَوْنا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغُكَهُ، وَقَدْ رَأَيْتَ كَما رَأَيْنا، وَسَمِعْتَ كَما سَمِعْنا ،وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله كَما صَحِبْنا، وَمَا ابْنُ أَبِي قُحافَةَ وَلاَ ابْنُ الْخَطّابِ بِأَوْلىٰ بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ اِلىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَشِيجَةَ رَحِمٍ مِّنْهُما، وَقَدْ نِلْتَ مِن صِهْرِهِ ما لَمْ يَنالاٰ، فَاللهَ اللهَ في نَفْسِكَ فَأَنكَ، «وَاللهِ» ما تُبَصَّرُ مِنْ عَمىً، وَّلاٰ تُعَلَّمُ مِن جَهْلٍ، وَاِنَّ الطُّرُقَ لَواضِحَةٌ وَاِنَّ أَعْلامَ الدِّينِ لَقائِمَةٌ، فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبادِ اللهِ عِنْدَ اللهِ اِمامٌ عادِلٌ هُدِيَ وَهَدىٰ، فَأَقامَ سُنَّةً مَّعْلُومَةً، وَأَماتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً، وِاِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَها أَعْلامٌ، وَاِنَّ الْبِدَعَ لَظاهِرَةٌ لَها أَعْلامٌ، وَ اِنَّ شَرَّ النّاسِ عِنْدَ اللهِ اِمامٌ جائِرٌ ضَلَّ وَ ضُلَّ بِهِ، فَأَماتَ سُنَّةً مَّأْخُوذَةً، وَأَحيىٰ بِدْعَةً مَّتْرُوكَةً، وَاِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: يُؤْتىٰ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِالْاِمامِ الْجائِرِ وَلَيْسَ لَهُ (مَعَهُ) نَصِيرٌ وَلاٰ عاذِرٌ، فَيُلْقىٰ فِي نارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيها كَما تَدُورُ الرَّحىٰ، ثُمَّ يُرْتَبَطُ فِي قَعْرِها.

وَاِنِّي اُنشِدُكَ اللهَ أَن لاٰ تَكُونَ اِمامُ هٰذِهِ الْاُمَّةِ الْمَقْتُولَ ،فَاِنَّهُ كانَ يُقالُ: يُقْتَلُ فِي هٰذِهِ الْاُمَّةِ اِمامٌ يَّفْتَحُ عَلَيْها الْقَتْلَ وَالْقِتالَ اِلىٰ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ، وَيَلْبِسُ اُمُورَها فِيها، وَيَبُثُّ الْفِتَنَ فِيها فَلاٰ يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْباطِلِ، يَمُوجُونَ فِيها مَوْجاً،

نفرٌ منهم زيد ابن ثابت وأبو أسيد الساعدي وكعب ابن مالك وحسان ابن ثابت فأجتمع النّاس فكلّموا علّي ابن أبيطالب فدخل علىٰ عثمان فقال له: النّاس ورائي الخ:

والمقصود أنّه قال لعثمان إنّ النّاس إتّخذوني سَفيراً بينك وبينهم لإصلاح الأمر فيما نقموا عليك.

▫ قوله عليه السلام: **وَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ؟ مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ، وَلاَ أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَمْرٍ لاَ تَعْرِفُهُ...**

ثمّ أقسم عليه السلام بالله وقال ما أدري أي ما أعلم أيَّ شَيء أقول لك ما أعرف أي لا أعرف شيئاً من الخطايا التّي صدرت عنك والبدع التّي أبدعتَها وأوجَدتها تجهله أنت وذلك لأنّ من يَفعل شيئاً لا يكون جاهلاً به ولا أدلّك علىٰ أمر من الأمور المُوجبة للنّجاة لك لا تَعرفه فإنّ الطّريق واضحة لا خفاء فيها وأعلام الدّين قائمة لا عِوَج فيها لمن كان مُعتقِداً بها عاملاً لها.

▫ قوله عليه السلام: **إنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ، مَا سَبَقْنَاكَ إِلَىٰ شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلاَ خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ...**

أي إنّك لتعلَم ما نَعلَم في ما نَقمُوا عليك ولا يخفىٰ عليك شئ منه وذلك لأنّا ما سَبقناك إلىٰ شئ ممّا فعلتَ ولا عمِلنا به فَنخبِرك عنه ولا خلونا بشئ منه في غيبتك فَنبلّغه إليك والمقصود أنّ هذه الفظايع والحوادث الغير المترقّبة قد إشتهرت في الآفاق ولَم يَخف منها شئ علىٰ أحدٍ من النّاس فضلاً عن المهاجر والأنصار.

▫ قوله عليه السلام: **وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا ،وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله كَمَا صَحِبْنَا...**

الواو للحال والمعنىٰ إنّك تمشي علىٰ غير الطّريق وتأخذ بغير الكتاب والسنّة والحال أنّك رأيت أي رأيت الرّسول كما رأيناه وسمَعت منه كما سمعنا منه وصَحبته كما صَحبناه ومن كان هذا شأنه فلا ينبغي له التّخطّي عن سنّته صلى الله عليه وآله.

▫ قوله عليه السلام: **وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلاَ ابْنُ الْخَطَّابِ بِأَوْلَىٰ بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنكَ...**

وعدم خفائه عليك (وَإِنَّ الطُّرُقَ) الشّرعية (لَوَاضِحَةٌ) بيّنة (وَإِنَّ أَعْلاَمَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ) بسبب الكتاب والسّنة (فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللهِ عِنْدَ اللهِ) فضيلة ومقاماً (إِمَامٌ عَادِلٌ هُدِيَ) بالدين (وَهَدَىٰ) النّاس إليه (فَأَقَامَ سُنَّةً مَّعْلُومَةً) من الدّين (وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً) منه (وإِنَّ السُّنَنَ) فيه (لَنَيِّرَةٌ لَهَا أَعْلاَمٌ) أي لنورانيّة السُّنن أعلام (وَإِنَّ الْبِدَعَ) المُحدثة فيه (لَظَاهِرَةٌ) لاخفاء فيها إذ لها أيضاً أعلام (وَ إِنَّ شَرَّ النَّاس عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ) بنفسه (وَ ضُلَّ) النّاس (بِهِ) أي بسببه (فَأَمَاتَ سُنَّةً مَّأْخُوذَةً، وَأَحيىٰ بِدْعَةً مَّتْرُوكَةً) بعكس الإمام العادل (وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: يُؤْتىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ) للحساب (وَلَيْسَ لَهُ (مَعَهُ) نَصِيرٌ) ينصره (وَلاَ عَاذِرٌ) يعذره (فَيُلْقىٰ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا) في النّار (كَمَا تَدُورُ الرَّحىٰ، ثُمَّ يُرْتَبَطُ) ويُشَدّ (فِي قَعْرِهَا)أي قَعر جَهَنم.

و(وَإِنِّي أُنْشِدُكَ اللهَ أَن لاَ تَكُونَ إِمَامٌ هٰذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولَ) بأيديهم (،فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: يُقْتَلُ فِي هٰذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَّفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ، وَيَلْبِسُ) ويشكل (أُمُورَهَا فِيهَا) أي أمور الأمّة على الأمّة والمقصود أنّ هذا الإمام المقتول يلبس ويشتبه أمور الأمّة عليهم (وَيَبُثُّ الْفِتَنَ) وينشرها (فِيهَا) في الأمّة (فَلاَ يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ) لإشتباههما عليهم (يَمُوجُونَ) النّاس (فِيهَا) في الأمور المُشتبهة (مَوْجاً، وَّيَمْرُجُونَ) ويضطربون فيها إضطراباً (فَلاَ تَكُونَنَّ) الخطاب لعثمان (لِمَرْوَانَ) ابن حكم لعنه الله (سَيِّقَةً ،يَّسُوقُكَ) مروان (حَيْثُ شَاءَ) كسوق صاحب الإبل (بَعْدَ جَلاَلِ السِّنِّ) وكبره (وَتَقَضِّي الْعُمْرِ) وفنائه وإنقضائه:

◁ الشّرح

▫ قوله عليه السلام: إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي، وَقَدِ اسْتَفْسَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ...

قال ابن الأثير في الكامل وفي هذه السنة (أربع وثلاثين) تكاتب نَفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ وغيره بعضهم إلىٰ بعض أن أقدِموا فإنّ الجهاد عندنا وعظم النّاس علىٰ عثمان ونالوا منه وليس أحد من الصّحابة يَنهمي ولايَذُب إلّا

والمقام من هذا القبيل فإنّ النّاس في عهد أبي بكر وعمر كانوا يَزعمُون أنّهما علىٰ الحقّ وأعمالهم علىٰ الحقّ وبذلك كانوا يَذمّوّن ويَنتَقدُون من عثمان وعمله فقوله عليه السلام إشارة إلىٰ هذا الأصل فتقدير الكلام هو هكذا إن كان أعمال أبي بكر وعُمر كذلك بزعم النّاس ولذلك لم يَنتَقدُوا عليهما فأنت أقرب إلىٰ العمل بهذا الحقّ أيضاً منهما فإنّك نلت من صهره ما لم ينالا.

وفي المقام إحتمال آخر في الجواب عن الإشكال وهو أنّ الأمور نسبيّة ولا يبعد أن يكون أعمال أبي بكر وعُمر أحَقّ وأحسَن ممّا فعله عثمان بل كان كذلك واقعاً فإنّ عثمان فَعل ما لم يفعلا من الفظائع والفجائع ولا سيّما تسليطه بني أميّة علىٰ رقاب النّاس ولهذا قتلوه دونهما.

▫ قوله عليه السلام: **فَاللهَ اللهَ فِي نَفْسِكَ فَإِنَّکَ، «وَاللهِ» مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمىً، وَلاَ تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ...**

ثمّ حَذّره عليه السلام وخَوّفه من الله سُبحانه وقال: الله الله والتّكرير يفيد المبالغة في التّحذير وقوله عليه السلام: فإنّك والله الخ إشارة إلىٰ أنّ عثمان كان عالماً بالطّريق ومع ذلك سَلَك مَسلكاً آخر ومعنىٰ العبارة أنّك لا تحتاج إلىٰ التّبصرة والتعلّم من غيرك في هذا المَورد إذ لا خفاء فيه فلا تكون مَعذُوراً عند الله.

▫ قوله عليه السلام: **وَإِنَّ الطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ وَإِنَّ أَعْلاَمَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ...**

الواو للحال أي كيف تحتاج إلىٰ التّبصِرة والتّعليم والحال أنّ الطّرق في الشّريعة لواضحة بسبب الكتاب والسنّة وأعلام الدّين لقائمة بالحقّ لا عوَج فيها ليهلك من هَلَك عن بيّنةٍ ويَحيىٰ من حَيّ عن بيّنةٍ وبذلك قد تَمّت الحجّة.

▫ قوله عليه السلام: **فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللهِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هُدِيَ وَهَدىٰ...**

ثمّ شرع عليه السلام في إرشاده ووعَظه وقال: فإعلم أنّ أفضل عباد الله عند الله مقاماً ودرجةً إمام عادل هُدي بنفسه أوّلاً ثمّ هَدىٰ ثانياً وذلك لأنّ مُعطي الشّيئ لا يكون فاقداً له فمن لا يكون كذلك لا يكون لائقاً بالإمامة وإلىٰ هذا المعنىٰ أشير بقوله تعالىٰ: **﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا**

كلمة (**ما**) نافية أي وليس أبو بكر ولا عُمر أولىٰ وأحقّ بعمل الحقّ منك بل أنت أولىٰ به منهما وذلك لقوله ﷺ:

▫ قوله ﷺ: **وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَشِيجَةَ رَحِمٍ مِّنْهُمَا، وَقَدْ نِلْتَ مِن صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالاَ...**

الواو للحال أي والحال أنت أقرب إلىٰ رسول الله ﷺ منهما سبباً فإنّك نلت من صَهر الرّسول ما لم يناله أبو بكر ولا عُمر وفيه إشارة إلىٰ أنّ الأقرب إلىٰ الرّسول سبباً ونسباً يجب أن يكون أقرب إلىٰ العمل بالكتاب وسنّته ﷺ أيضاً وحيث كان عثمان نال من القرابة ما لم ينالا فينبغي أن يكون في العمل بسنّته ﷺ أيضاً كذلك وحيث لم يكن كذلك فإستحقّ اللّوم والذّمّ وأمّا الكلام في كونه صهراً ﷺ فقد مرّ الكلام فيه مُفصّلاً وقلنا هناك ما قلنا وذكرنا الخلاف في أنّ الإبنتين اللّتين كانتا في حبالة نكاح عثمان هل كانتا له ﷺ حقيقة أو كانتا إبنتا لِزَوجته خَديجة من غيره ﷺ وعليه فكانتا رَبيبتَين له ﷺ وعلىٰ التّقديرين فهو أعني عثمان كان صهراً له ﷺ حقيقة أو مجازاً بقي في المقام شئ وهو أنّه يستفاد من كلامه ﷺ أنّ أبا بكر وعُمر كانا يعملان بالحقّ لقوله ﷺ: **وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلاَ ابْنُ الْخَطَّابِ بِأَوْلَىٰ بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنكَ** وإذا كان كذلك فما معنىٰ قوله ﷺ في الخُطبة الشّقشقيّة وغيرها من كونهما غاصبين للخلافة ولا شكّ أنّ الغاصب كلّ ما يَفعَل في المَغصُوب فهو باطل إذ الغصب عبارة عن التّصرُّف في مال الغير أو حقّه عُدواناً وظُلماً من غير إجازةٍ لصاحب المال والحقّ وإذا فرضنا أنّ الخلافة بعد الرّسول ﷺ كانت مُختصّة بعلّي ﷺ فمن تَصدّىٰ لها فهو غاصب ظالم فكيف يمكن له العَمل بالحقّ والمفروض أنّ أصل العمل من التصرّف الممنوع المحرّم:

ويمكن الجواب عنه بأنّ قوله ﷺ لا يدلّ علىٰ أنّهما كانا عاملين بالحقّ عند الله تبارك وتعالىٰ بل المقصود أنّهما كانا كذالك في نَظَر العُرف من العوام فإنّهم يرون الظّاهر من الأمر ويحكمُون به ألا ترىٰ أنّ السّارق مثلاً إذا أعطىٰ شيئاً لِلمسكين يَحكُم النّاظر الجاهل بحُسنه وأنّه عمل بالحقّ ولا يعلم أنّه عَمَل بالباطل مَرّةً أخرىٰ ومن هذا القبيل كثيرٌ من أحكام العوام وآرائهم وهو ظاهر

وَلَيْسَ لَهُ (مَعَهُ) نَصِيرٌ وَلاَ عَاذِرٌ، فَيُلْقَىٰ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحىٰ، ثُمَّ يُرْتَبَطُ فِي قَعْرِهَا...

أقول: وقد روى صاحب مشكاة الأنوار من مجموع السيّد ناصح الدّين أبي البركات عن الرّضا عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إيّاكم والظّلم فإنّه يخرب قلوبكم انتهىٰ «ص ٣١٥»...

وأيضاً قال صلى الله عليه وآله: من مَشَىٰ مع ظالمٍ ليُعينُه وهو يَعلَم أنّه ظالم خَرج من الإسلام انتهىٰ« ص ٣١٥»...

وقال صلى الله عليه وآله: عَدلُ ساعةٍ خَير من عبادة سَبعين سَنَة قيام ليلها وصيام نهارها وجور ساعةٍ في حكمٍ أشَدّ وأعظم عند الله من المعاصي سِتّين سنة انتهىٰ «ص ٣١٦»...

وقال صلى الله عليه وآله: من ولي عشرة فلم يَعدِل بينهم جاء يوم القيمة ويداه ورجلاه ورأسه في ثَقب فأسي انتهىٰ «ص ٣١٦»...

وقال صلى الله عليه وآله: من ولي شيئا من أُمور المُسلمين فضَيّعهم ضَيّعه الله انتهىٰ «ص ٣١٦»...

□ قوله عليه السلام: **وَإِنّي أُنْشِدُكَ اللهَ أَن لاَ تَكُونَ إِمَامٌ هٰذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولَ ،فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: يُقْتَلُ فِي هٰذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيمَةِ...**

قوله عليه السلام: **وَإِنّي أُنشِدُكَ** أي أسألك وأقسم عليك أن تكون إمام هذه الأُمّة المقتول أي الّذي يُقتَل فإنّه كان في سالف الزّمان يقال يُقتل في هذه الأُمّة إمام يفتح عليها أي يفتح الإمام على الأُمّة القتال إلىٰ يوم القيمة فالضّمير في قوله عليه السلام: عليها يرجع إلى الأُمّة لا إلى الإمام والقائل هو النّبي صلى الله عليه وآله فإنّه صلى الله عليه وآله قد أخبَر عَليّاً بما سَيقع بعده من غصب الخلافة وإعراض النّاس عن الحقّ وإقبالهم إلى الباطل وغيرها من الحوادث وإنّما لم يُصرّح عليه السلام به تقيّةً وإقتضاءً للمصلحة.

□ قوله عليه السلام: **وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا فِيهَا، وَيَبُثُّ الْفِتَنَ فِيهَا فَلاَ يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ...**

أي ويلبس الإمام المذكور أُمور الأُمّة عليها والمقصود أنّه يصير سبباً لإشتباه الأُمور على الأُمّة وبثّ الفِتَن فيها فلا يُبصرون الحقّ من الباطل وحاصل

لكمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(١)

▫ قوله ﷺ: **فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً، وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ...**

أي فأقام الإمام بمقتضىٰ قِسطه وعَدله سنّةً معلومةً في الدّين وأمات وأمحىٰ بدعةً مجهولة فيه ثُمّ أوضَح كلامه فيهما وقال: إنّ السُّنَن لَنيِّرة لها أعلام فلا خفاء فيها كما أنّ البِدع لَظاهرةٌ في الدّين بأماراتها وعلاماتها وإنّما جَعَل ﷺ ذلك من وظائف الإمام مع أنّه وظيفة لكلّ فرد من أفراد المسلمين لوجوب الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر لأنّ القُدرة بيده فهو أولىٰ وأحَقّ بهذا التّكليف من غيره وقد ثبت أنّ إثبات الشّيْ لا يَنفي ما عَداه وهذا أعني كون الإمام المَبسُوط اليَد أولىٰ به لكونه أقدر عليه ممّا لا شكّ فيه ولهذا قيل إنّ النّاس علىٰ دين ملوكهم.

▫ قوله ﷺ: **وَ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَ ضُلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً، وَأَحيىٰ بِدْعَةً مَتْرُوكَةً...**

وذلك لأنّ الخير والشّر متقابلان فإذا كان خير النّاس وأفضلهم الإمام العادل فلا محالة يكون شرّهم الإمام الجائر الّذي ضَلّ بنفسه عن طريق الهُدىٰ وضَلّ غَيرُه به فإنّ المأموم تابع للإمام ثمّ أوضَح ﷺ ضلالته بإقامة السنّة المأخوذة المَشرُوعة وإحيائه البِدعة المَتروكة المَطرُودة ووجه كونه شَرّهم ظاهر وذلك لما ثبت أنّ الموجود بما هو هو لا يكون شرّاً وإنّما يكون شرّاً بإعتبار أفعاله وآثاره وأقواله وهذا هو الملاك في كونه خَيراً أو شَرّاً وعليه فمن كان أحسن آثاراً فهو خَير النّاس ومن كان أسوء وأقبح آثاراً فهو شَرّ النّاس وحيث إنّ الإمام الجائر الّذي يُميت السنّة ويُحيي البِدعَة يَفعل ما يَفعل ثمّ يُجريه في النّاس بالقَهر والغَلبة فهو شَرّ النّاس لا محالة وأمّا غير الإمام فليس كذلك إذ لا يقدر علىٰ إشاعة الفحشاء والمنكرات كقدرة الإمام عليها وهو ظاهر.

▫ قوله ﷺ: **وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: يُؤْتىٰ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِالْإِمامِ الْجائِرِ**

١- يونس ـ ٣٥.

ثمّ إنّ في التّعبير عنهم بقوله عليه السلام: **يَمُوجُون** فيه نكتةٌ أخرىٰ وهي أنّ الموج في الأصل الإرتفاع يقال ماج البحر أي إرتفع ماج القوم إختلفت أُمورهم فقوله عليه السلام: **يَموجُون** الخ إشارة إلىٰ أنّ النّاس يَسيرون في الشّبهات كالأمواج بالنّسبة إلىٰ البحر فكما أنّ الماء يذهب بالمَوج حيث يشاء كذلك الشّبهات تَذهب بهم إلىٰ ما لا يدرون صَدَق ولّي الله عليه السلام.

▫ قوله عليه السلام: **فَلاٰ تَكُونَنَّ لِمَرْوٰانَ سَيِّقَةً ،يَسُوقُكَ حَيْثُ شٰاءَ بَعْدَ جَلاٰلِ السِّنِّ ،وَتَقَضِّي الْعُمْرِ!!...**

أكدّ عليه السلام الفعل بالنون التّأكيد وقال فلا تكوننّ للدّلالة علىٰ أهمّية الموضوع وأنّه ينبغي أن لا يَغفل عنه وقوله عليه السلام: **سَيِّقَةً** بفَتح السّين وكسر الياء المشدّدة وفتح القاف علىٰ وزن بيّنة وسَيّئة ما إستاقه العَدُوّ من الدّواب شبّه عليه السلام عثمان بالدّابة والمروان بالسّائق الّذي يَسُوقها والمعنىٰ لا تكوننّ لمروان إبن الحكم كالدّابة الّتي يسوقك مروان حيث شاء بعد جلال السّن أي كبره وتَقضّي العُمر ومُضيّه وإنّما قال ذلك له لأنّ عثمان كان كثير السّن ومن كان كذلك فهو أحَقّ بترك الدّنيا وحُبّها من الشّاب الّذي ليس كذلك فإنّ الذّنب قَبيح علىٰ كلّ حال إلّا أنّه من الشّيخ والشّيخة أقبح.

▫ قوله عليه السلام: **فَقٰالَ لَهُ عُثْمٰانُ: كَلِّمِ النّٰاسَ فِي أَن يُؤَجِّلُونِي حَتّىٰ أَخْرُجَ إِلَيْهِم مِن مَّظٰالِمِهِمْ. فَقٰالَ عليه السلام: مٰا كٰانَ بِالْمَدِينَةِ فَلاٰ أَجَلَ فِيهِ، وَمٰا غٰابَ فَأَجَلُهُ وصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ...**

أي قال عثمان في جواب علّي عليه السلام كلّم النّاس في أن يُؤجلّوني ويُمهّلوني حتّىٰ أخرج من مظالمهم الّتي يطلبونها منّي فقال عليه السلام في جواب عثمان: ما كان من المظالم بالمدينة فلا أَجل فيه لكونه تحت قدرتك وإختيارك وما غاب عن المدينة كَعزل الحُكّام وأخذ حقوق النّاس ومظالمهم منهم فأجّله ومدّته وصول أمرك إليه وإنّما قال عليه السلام ذلك لعدم إعتماده علىٰ عثمان فإنّه كان مُتّهماً ومشهوراً بنَقض العهد والميثاق كما أنّه لم يَفِ بذلك العهد أيضاً وتفصيل الكلام فيه من وظيفة التّاريخ وقد أومأنا إلىٰ بعض عهوده ونقوضه في ما مضىٰ ولا سيّما الخطبة الشقشقيّة.

الكلام أنّ هذا الإمام يَصير سَبَباً لهذه الأُمور وهو كان كذلك أمّا أنّه فتح القتل والقتال على الأمّة فهو ظاهر فإنّه أوّل من إتّفقت الأُمّة على قتله وأمّا الثّاني والثّالث أعني تلبيس الأُمور وبَثّ الفِتَن عنها فهو أظهر من الشّمس وأبيَن مِن الأمس ألا ترى إلى إستدلال عائشة وطلحة والزّبير ومعاوية وأمثالهم بقولهم إنّه قتل مظلوماً ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً﴾ (١) وأعجب منه إنتسابهم القتل إلى أمير المؤمنين من جهة التّسبيب مع علمهم بخلافه وإنّما تَفوّهوا به إستِحِماراً للنّاس وإستعماراً لهم ليصلوا بذلك إلى مقاصدهم ومطامعهم ورأينا أنّ معاوية بلغ إلى ما بلغ بهذه الوسيلة ثمّ بعده صارت الخلافة مِيراثاً لبنّي أُميّة وبنّي المَروان وبنّي العبّاس وغيرهم إلى زماننا هذا فلعبوا بها والآن أيضاً يلعبُون بها لَعب الطّفل مع الكرة فَقُتل مَن قُتل وسُبي من سُبي ونُهب ما نُهب وصار الحقّ مغلوباً والباطل غالباً والمؤمن مظلوماً والكافر الفاسق ظالماً فلا يَتَّميز النّاس الحَقّ من الباطل لإشتباه أحدهما بالآخر وإذا صار الحقّ مشتبها فكيف يؤخذ به وعلى فرض أن يؤخذ به فهو لا يشفي المريض إلّا لمن كان له قلب.

▫ قوله ﷺ: يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً...

أي يَموجُون النّاس في الأُمور المشتبهة موجاً ويَمرجُون أي يختلطون فيها إختلاطاً لا يمكن لهم الفصل بين الحقّ والباطل هذا إذا قرأناه بالرّاء المهملة وأمّا إذا قرأناه بالزّاء المُعجمة فهو من المزج والمآل واحد فإنّ المرج في أصل اللّغة الخلط والمُروج الإختلاط كما أنّ المَزج أيضاً الخَلط يقال مَزَج الشّراب بالماء إذا خَلَطه به والإمتزاج الإختلاط والفرق أنّ المزج يقال فيما لا يمكن الفصل بين المَمزُوج أصلاً والمَرج بالرّاء يقال فيما يمكن عقلاً بالنّسبة إلى أهله ولأجل هذه الدّقيقة عبّر ﷺ بالمَرج دون المَزج فإنّ الفصل بين الحقّ والباطل أمرٌ مقدورٌ ممكن عادة وعقلاً بخلاف الفصل بين الماء الّذي مَزج بغيره.

١- الاسراء- ٣٣

الْمُغْتَلِمَةِ لِلضِّرابِ ا أُحِيلُكَ مِن ذٰلِكَ عَلىٰ مُعايَنَةٍ، لا كَمَن يُحِيلُ عَلىٰ ضَعِيفِ إِسْنادِهِ، وَلَوْ كانَ كَزَعْمِ مَن يَزْعَمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُها (تنشجها) مَدامِعُهُ فَتَقِفُ في ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ ،وَأَنَّ أُنْثاهُ تَطْعَمُ ذٰلِكَ ثُمَّ تَبِيضُ لا مِن لِقاحِ فَحْلٍ سِوَى الدَّمْعِ الْمُنْبَجِسِ، (المنبجس) لَما كانَ ذٰلِكَ بِأَعْجَبَ مِن مُطاعَمَةِ الْغُرابِ. تَخالُ قَصَبَهُ مَدارِيَ مِن فِضَّةٍ وَما أُنبِتَ عَلَيْها مَن عَجِيبِ داراتِهِ وَشُمُوسِهِ خالِصَ الْعِقْيانِ وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ، فَإِن شَبَّهْتَهُ بِما أَنبَتَتِ الأَرْضُ قُلْتَ: جَنًى جُنِيَ مِن زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ، وَإِن ضاهَيْتَهُ بِالْمَلابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ، أَوْ كَمُونِقِ عَصْبِ الْيَمَنِ، وَإِن شاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذاتِ أَلْوانٍ قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ، يَمْشِي مَشْيَ الْمَرِحِ الْمُخْتالِ، وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَناحَيْهُ فَيُقَهْقِهُ ضاحِكاً لِجَمالِ سِرْبالِهِ، وَأَصابِيغِ وِشاحِهِ، فَإِذا رَمىٰ بِبَصَرِهِ إِلىٰ قَوائِمِهِ زَقا مُعْوِلاً بِصَوْتٍ يَكادُ يُبِينُ عَنِ اسْتِغاثَتِهِ، وَيَشْهَدُ بِصادِقِ تَوَجُّعِهِ ،لِأَنَّ قَوائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلاسِيَّةِ، وَقَدْ نَجَمَتْ مِن ظُنْبُوبِ ساقِهِ صِيصِيَةٌ خَفِيَّةٌ، وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْراءُ مُوَشّاةٌ، وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَالإِبْرِيقِ، وَمَغْرَزُها إِلىٰ حَيْثُ بَطْنِهِ كَصِبْغِ الْوَسْمَةِ الْيَمانِيَّةِ، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآتاً ذاتَ صِقالٍ، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ إِلاّ أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مائِهِ وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ أَنَّ الْخُضْرَةَ النّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ، وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الأُقْحُوانِ أَبْيَضُ يَقَقٌ، فَهُوَ بِبَياضِهِ فِي سَوادِ ما هُنالِكَ يَأْتَلِقُ، وَقَلَّ صِبْغٌ إِلاّ وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ، وَعَلاهُ بِكَثْرَةِ صِقالِهِ وَبَرِيقِهِ وَبَصِيصِ دِيباجِهِ وَرَوْنَقِهِ، فَهُوَ كَالأَزاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ لَمْ تُرَبِّها أَمْطارُ رَبِيعٍ وَلا شُمُوسُ قَيْظٍ، وَقَدْ يَتَحَسَّرُ مِن رِيشِهِ، وَيَعْرىٰ مِن لِباسِهِ، فَيَسْقُطُ تَتْرىٰ ،وَيَنْبُتُ تِباعاً، فَيَنْحَتُّ مِن قَصَبِهِ انْحِتاتَ أَوْراقِ الأَغْصانِ، ثُمَّ يَتَلاحَقُ نامِياً حَتّىٰ يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ: لا يُخالِفُ سالِفَ أَلْوانِهِ، وَلا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكانِهِ، وَإِذا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِن شَعَراتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً، وَتارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً، وَأَحْياناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً:

فَكَيْفَ تَصِلُ إِلىٰ صِفَةِ هٰذا عَمائِقُ الْفِطَنِ، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرائِحُ الْعُقُولِ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ

ومن خطبة له ﷺ (١٦٤)

يذكر فيها عجيب خلقة الطّاوس

الفصل الأوّل:

□ قوله ﷺ: اِبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوانٍ وَمَواتٍ، وَساكِنٍ وَذِي حَرَكاتٍ، فَأَقامَ مِن شَواهِدِ الْبَيِّناتِ عَلىٰ لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا انْقادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ وَمُسَلِّمَةً لَهُ، وَنَعَقَتْ فِي أَسْماعِنا دَلائِلُهُ عَلىٰ وَحْدانِيَّتِهِ، وَما ذَرَأَ مِن مُخْتَلِفِ (إختلاف) صُوَرِ الأَطْيارِ الَّتِي أَسْكَنَها أَخادِيدَ الأَرْضِ وَخُرُوقَ فِجاجِها وَرَواسيَ أَعْلامِها مِن ذاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهَيْئاتٍ مُتَبايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمامِ التَّسْخِيرِ، وَمُرَفْرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِها فِي مَخارِقِ الْجَوِّ الْمُنفَسِحِ وَالْفَضاءِ الْمُنفَرِجِ، كَوَّنَها بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُن فِي عَجائِبِ صُوَرٍ، ظاهِرَةٍ، وَرَكَّبَها فِي حِقاقِ مَفاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ، وَمَنَعَ بَعْضَها بِعَبالَةِ خَلْقِهِ أَن يَسْمُوَ فِي السَّماءِ (الْهَواءِ) خُفُوفاً، وَجَعَلَهُ يَدِفُّ دَفِيفاً، وَنَسَقَها عَلَى اخْتِلافِها فِي الأَصابِيغِ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ، وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ، فَمِنْها مَغْمُوسٌ فِي قالَبِ لَوْنٍ لا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ ما غُمِسَ فِيهِ، وَمِنْها مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلافِ ما صُبِغَ بِهِ.

وَمِنْ أَعْجَبِها خَلْقاً الطّاوُسُ الَّذِي أَقامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، وَنَضَّدَ أَلْوانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنضِيدٍ، بِجَناحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ، وَذَنَبٍ أَطالَ مَسْحَبَهُ، إِذا دَرَجَ إِلَى الأُنْثىٰ نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ، وَسَما بِهِ مُطِلّاً عَلىٰ رَأْسِهِ كَأَنَّهُ قِلْعُ دارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ، يَخْتالُ بِأَلْوانِهِ، وَيَمِيسُ بِزَيَفانِهِ، يُفْضِي كَإِفْضاءِ الدِّيَكَةِ، وَيَؤُرُّ بِمُلاقَحَةٍ أَرَّ الْفُحُولِ

(**خُرُوقَ**)جمع خرق (**فِجَاجِهَا**) الفجاج جمع فَجّ الطَّريق الواسع (**مُرَفْرَفَةٍ**) من رفرف الطائر إذا بَسَط جناحيه (**مَخَارِقِ**) جمع مخرق الفلاة (**الْمُنفسح**) الوَسيع (**حِقَاقِ**) بكسر الحاء جمع حَقّ بضَمّ الحاء مُجتمع اَلمَفصيَلن (**مُحْتَجِبَةٍ**) أي مُستترة (**بِعَبَالَةِ**) العبالة الضّخامة (**يَّسْمُو**) أي يرتفع (**خُفُوفاً**) سُرعةً وخفّةً (**يدف دفيفاً**) دفيف الطائر مُروره فويق الأرض أو أن يُحرّك جناحيه ورجلاه في الأرض (**نَسَقها**) رتّبها (**في الْأَصَابِيغ**) جمع أصباغ بفتح الهمزة جمع صبغ بكسر الصاد اللّون أو ما يُصبَغ به (**نَضّد**) أي نَظّم ورتّب (**أَشْرَجَ**) أدخل (**شَمَاعِنَا**) أي إرتفع (**مُطِلّا**) أي مُشرفاً (**قِلْعُ دارِيّ**) والقلع بكسر القاف وسكون اللام شُراع السيف (**عَنَجَهُ**) جَذَبه (**يَميس**) أي يفتخر من ماس إذا إفتخر (**بزيغان ذنبه**) أي بحركتَها شِمالاً ويَميناً (**يُفضي**) أي يسافد (**الدِّيَكَةِ**) جمع ديك (**يَؤُرّ**) بفَتح الياء وضَمّ الواو المُشدّدة فعل مضارع من وَرّ كَشُدّ أي يأتي أنثاه (**بِمُلاقَحَةٍ**) أي مسافدةٍ (**الْمُغْتَلِمَةِ**) علىٰ صيغة إسم الفاعل من إغتلم إذا غلب لِلشّهوة (**الضِّراب**) بكسر الضاد الفَحل لأنثىٰ (**أُحِيلُكَ**) من أحال يحيل أي أحوّلك عنه إلىٰ معاينةٍ (**ضَفّتي**) تثنيه ضَفّة وهي الجانب (**تَطْعَمُ**) أي تذوق (**المنبجس**) النّابع من العين (**قَصَبَه**) القصب جمع قَصبة وهي عمود الرّيش (**مَدَارِيَ**) جمع مِدرىٰ بكسر الميم مصنوع من حديد أو خشب علىٰ شكل سنّ من أسنان المشط (**دَارَاتِهِ**) الدّارات حالات القَمر أي داراته سُمّيت بذلك لإستدارتها (**الْعِقْيَانَ**) بالكسر وقيل بالضمّ الذّهَب الخالص (**فِلَذَ**) جمع فلذة وهي القَطَعة (**جَنِّي**) فعيل من جنيت الثمرة والزّهرة وإجتنيتها (**زَهْرَةٍ**) زهر النّبات بالفتح نُوره (**كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ**) الموشي علىٰ صيغة إسم الفاعل المَنقُوش (**عَصْبِ**) بالفتح ضرب من البُرود منقوش (**كفصُوص**) جَمع فَصّ وهو الخاتم (**الْمُخْتَالِ**) الزّاهي بحُسنه (**سِرْبَالِهِ**) السربال اللّباس مطلقاً أو الدِّرع خاصّة (**وِشَاحِهِ**) ألوشاح نظامان من لؤلؤ وجوهر (**زَقَا مُعْوِلاً**) زقا يزقو صاح والمعول مَن رَفع صوته بالبكاء (**حُمْشٌ**) جمع أحمش أي دقيق (**الدِّيَكَةِ الْخِلاَسِيَّةِ**)

وَصْفَهُ أَقْوالُ الْواصِفِينَ.

وَأَقَلُّ أَجْزائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهامَ أَن تُدْرِكَهُ، وَالْأَلْسِنَةَ أَن تَصِفَهُ؟ فَسُبْحانَ الَّذي بَهَرَ الْعُقُولَ عَنْ وُصْفِ خَلْقٍ جَلاّهُ لِلْعُيُونِ فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً، وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً، وَأَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَن تَلْخِيصِ صِفَتِهِ، وَقَعَدَ بِها عَن تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ.

وَسُبْحانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوائِمَ الذَّرَّةِ وَالْهَمَجَةِ إِلىٰ ما فَوْقَهُما مِنْ خَلْقِ الْحِيتانِ وَالْفِيَلَةِ، وَوَأىٰ عَلىٰ نَفْسِهِ أَن لا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ إِلاّ وَجَعَلَ الْحِمامَ مَوْعِدَهُ وَالْفَناءَ غايَتَهُ:

الفصل الثاني :

منها في صفة الجنة

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ ما يُوصَفُ لَكَ مِنْها لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَن بَدائِعِ ما أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيا مِنْ شَهَواتِها وَلَذّاتِها وَزَخارِفِ مَناظِرِها، وَلَذَهَلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفاقِ أَشْجارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُها فِي كُثْبانِ الْمِسْكِ عَلىٰ سَواحِلِ أَنْهارِها، وَفِي تَعْلِيقِ كَبائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسالِيجِها وَأَفْنانِها، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمامِها، تُجْنىٰ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ، فَتَأْتِي عَلىٰ مُنْيَةِ مُجْتَنِيها، وَيُطافُ عَلىٰ نُزّالِها فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِها بِالْأَعْسالِ الْمُصَفَّقَةِ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ، قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرامَةُ تَتَمادىٰ بِهِمْ حَتّىٰ حَلُّوا دارَ الْقَرارِ، وَآمِنُوا نُقْلَةَ الْأَسْفارِ ،فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلىٰ ما يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِن تِلْكَ الْمَناظِرِ الْمُونِقَةِ لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْها، وَلَتَحَمَّلْتَ مِن مَّجْلِسِي هٰذا إِلىٰ مُجاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجالاً بِها، جَعَلَنَا اللهُ وَإِيّاكُم مِمَّنْ يَّسْعىٰ بِقَلْبِهِ إِلىٰ مَنازِلِ الْأَبْرارِ بِرَحْمَتِهِ.

◁ اللغة

(إِبْتَدَعَهُمْ) الابداع إيجاد الشيء لا عن مادّةٍ ومُدّةٍ بلا إحتذاءٍ وإقتداءٍ والضمير إلىٰ المخلوق (خَلْقاً) أي مخلوقاً (عَجِيباً من حيوان) مأخوذ من الحَي (نعقت) بفتح العين والقاف أي صاحت (أَسْماعِنا) جمع سَمع (ذَرَء) أي خلق (الْأَطْيارِ) جمع طير (الأخاديد) جمع أخدود وهو الشّق في الأرض

(اِبْتَدَعَهُمْ) أي المخلوق على سبيل الابداع (خَلْقاً) ومخلوقاً (عَجِيباً) في خلقتهم (مِنْ حَيَوانٍ وَّمَواتٍ، وَّساكِنٍ وَّذِي حَرَكاتٍ) وهي أقسام الموجودات العلويّة والسفليّة (فَأَقامَ مِن شَواهِدِ الْبَيِّناتِ عَلىٰ لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ) التي لا نهاية لها (مَا انْقادَتْ) وأطاعت (لَهُ الْعُقُولُ) حال كونها (مُعْتَرِفَةً) ومقرّة (به) أي بإيجاده الموجودات كذلك (وَمُسَلِّمَةً لَّهُ) تعالىٰ فيه (ونَعَقت)وصاحت (فِي أَسْماعِنا) التي نسمع بها (دلائله) الدّالة (عَلىٰ وَحْدانِيَّتِهِ) وأنّه لا شريك له (وَمَا ذَرَأَ) وخلق (مِن مُّخْتَلِفِ (إختلاف) صُوَرِ الْاَطْيارِ الَّتِي أَسْكَنَها) الله تعالىٰ بمقتضىٰ حكمته (أَخادِيدَ الْاَرْضِ) وشقوقها (وَخُرُوقَ فِجاجِها) أعني الطّريق الواسعة بين الجبال (وَرَواسيَ أَعْلامِها) كالصّقور (مِن ذاتِ أَجْنِحَةٍ مُّخْتَلِفَةٍ) فيها (وَّهَيْئاتٍ مُّتَبايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمامِ التَّسْخِيرِ) لكونها مسخّرة مقهورة تحت قدرته (وَمُرَفْرِفَةٍ) أي حال كونها كذلك بسبب (بِأَجْنِحَتِها فِي مَخارِقِ الْجَوِّ الْمُنَفِسِخِ) الواسع (وَالْفَضاءِ الْمُنفَرِجِ) غير المنقبض (كَوَّنَها) أي أوجد الطّيور (بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُن فِي عَجائِبِ صُوَرٍ، ظاهِرَةٍ) ليكون الخلق على مثال (وَّرَكَّبَها) أي ركّب أبدانها (فِي حِقاقِ مَفاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ) أي مستترة باللّحم والجلد وغيرهما (وَّمَنَعَ بَعْضَها) أي بعض الطّيور (بِعَبالَةِ خَلْقِهِ) وضخامة جثّته كالنعامة مثلاً (أَن يَّسْمُوَ) ويعلو (فِي السَّماء (الْهَواءِ) خُفُوفاً) فلا يقدر علىٰ الطّيران كذلك (وَجَعَلَهُ يَدِفُّ) أي يحرك جناحيه (دَفِيفاً) أي حركة لا سرعة فيها (ونَسقها) ونظمها (عَلَىَ اخْتِلافِها فِي الْاَصابِيغِ) والألوان (بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ، وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ، فَمِنْها) فمن الطيور (مَغْمُوسٌ فِي قالِبِ لَوْنٍ لا يَشُوبُهُ) ولا يختلطه (غَيْرُ لَوْنِ ما غُمِسَ فِيهِ) من حيث الخلقة (وَمِنْها مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلافِ ما صُبِغَ بِهِ) فلون ما طوّق به غير لون ما غمس فيه:

(وَمِنْ أَعْجَبِها) أي أعجب الطّيور (خَلْقاً الطّاوُسُ الَّذِي أَقامَهُ) الله تعالىٰ (فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ) وأحسن تقويم (وَنَضَّدَ) ورتّب (أَلْوانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنضِيدٍ)

بكسر الخاء المتولّد بين دجاجتين هنديّة وفارسيّة (نَجَمَتْ) نبتت (ظُنْبُوبَ سَاقِهِ) الظّنبوب كعُرقوب عظم حرف الساق (قُنْزُعَة) بضمّ القاف والزاء بينهما سكون الخصلة من الشّعر تترك على رأس الصّبي (مُوَشَّاةٌ) أي منقوشة (مَغْرِزُهَا) الموضع الّذي غُرز فيه العُنق (كَصِبْغِ) بكسر الصاد النّيلج المعروف بالنّيلة (صِقَالٍ) الصقال الجلاء (بِمَعْجَرٍ) المعجر كمنبر ثوب تعتجر به المَرأة فتضع طرفه على رأسها (أَسْحَمَ) الأسود (الْأُقْحُوَانِ) البابونج (يَقَق) محرّكاً شديد البياض (الْأَزَاهِيرِ) جمع أزهار جمع زهر (قَيْظٍ) الحرّ (تترى)أي شيئاً بعد شيىء (فينحتّ) أي يسقط وينتثر (عَمَائِقُ) جمع عَميقة (الْفِطَنِ) جمع فِطنة (جَلاّهُ) كشفه (الذَّرَّةِ) واحدة الذرّ صغار النّمل (وَالْهَمَجَةِ)محرّكة واحدة الهَمج ذباب صَغير يَسقط على وجوه الغنم (الْحِمَامَ) الموت (لغرفت) غرفت الإبل كفرح إشتكت بطرنها من أكل الغرف وهو الثمام (إصطفاق أشجارها) اصطفاقُ الأشجار تضارُب أوراقها بالنّسيم بحيث يسمع لها صَوت (كُثْبَانِ) جمع كَثيب وهو التّل (أَفْنَانِهَا) جمع فنن بالتّحريك وهو الغُصن (غُلُف أكمامها) غُلُف بضمّتين جمع غلاف والأكمام جمع كم بكسر الكاف وهو وعاء الطلع وغطاء النوار (تحنىٰ) من حناه حَنواً عَطَفه (الْمُونِقَةِ)المُعجبة: قال السّيد ﷺ بعد إيراد الخطبة تفسير بعض ما جاء فيها من الغريب:

(ويَؤُرّ بملاقحة) الأرّ كناية عن النّكاح يقال أرّ الرّجل المرأة يؤرّها إذا نَكَحها وقوله ﷺ: (كأنّه قلع داري عَنَجه نُوتيّه) القلع شراع السّفينة وداري منسوب إلىٰ دارين وهي بَلَدة علىٰ البَحر يجلب منها الطّيب وعَنَجه أي عطفه يقال عنجت النّاقة كنصرت أعنجها عنجاً إذا عطفتها والنّوتي الملاّح وقوله ضَفّتي جفونه أراد جانبي جفونه والضّفتان الجانبان وقوله وفِلَذ الزّبرجد جمع فلذة وهي القطعة، وقوله: والكبائس جمع الكباسة وهي العذق والعساليج: الغصون واحدها غسلوج انتهىٰ.

حُمْشٌ) دقاق (كَقَوائِمِ الدِّيَكَةِ الخِلاسِيَّةِ) الّتي بين دجاجتين هنديّة وفارسيّة (وَقَدْ نَجَمَتْ) وطلعت (مِن ظُنبُوبَ ساقِهِ صِيصِيةٌ خَفِيَّةٌ) وهي في الأصل شوكة الحائك (وَّلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ) وهو شعر عنقه (قُنزعة) أي رويشات يسيرة (خَضْراءُ مُّوَشّاةٌ، وَّمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَالاِبْرِيقِ، وَمَغْرِزُها) أي مَنْبت عنقه (اِلَىٰ حَيْثُ بَطْنِهِ كَصِبْغِ الْوَسْمَةِ الْيَمانِيَّةِ) في الخُضرة الشّديدة (أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُّلْبَسَةٍ مِّرْآتاً ذاتَ صِقالٍ) في لونها المخصوص (وَّكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ) ومُكتسي (بِمَعْجَرٍ أَسْحَمَ) أي ثبوت ذي سَحم وسواد (اِلاّ أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مائِهِ وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ أَنَّ الْخُضْرَةَ النّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ) وليس كذلك واقعاً (وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الأُقْحُوانِ) أي البابونج (أَبْيَضُ يَقَقٌ، فَهُوَ) أي الخط (بِبَياضِهِ فِي سَوادِ ما هُنالِكَ يَأْتَلِقُ) ويلمع (وَقَلَّ صِبْغٌ اِلاّ وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ) وافر (وعلاه) أي زاد عليه (بِكَثْرَةِ صِقالِهِ وَبَرِيقِهِ) أي جلائه ولمعانه (وَبَصِيصِ دِيباجِهِ وَرَوْنَقِهِ،) وحسنه وبهائه (فَهُوَ كَالاَزاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ) المُتفرقّة (لَمْ تُرَبِّها أَمْطارُ رَبِيعٍ وَّلا شُمُوسُ قَيْظٍ) كما هو شأن الأزاهير (وَّقَدْ يَتَحَسَّرُ) ويتعرّىٰ (مِن رِّيشِهِ، وَيَعْرىٰ مِن لِّباسِهِ) في الخريف (فَيَسْقُطُ تَترىٰ) شيئاً بعد شيء (وَيَنْبُتُ تِباعاً) من غير فصل بينهما (فينحتّ) ويسقط (مِن قَصَبِهِ انْحِتاتَ أَوْراقِ الاَغْصانِ، ثُمَّ يَتَلاحَقُ نامِياً) في الربيع (حَتّىٰ يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ: لاَ يُخالِفُ) لون الثّاني (سالِفَ أَلْوانِهِ، وَلا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكانِهِ) بل وقع في محلّه الأوّل طابق النعل بالنعل كمّاً وكيفاً (وَاِذا تَصَفَّحْتَ) وتجسّست (شَعْرَةً مِّن شَعَراتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ) تلك الشّعرة (حُمْرَةً وَّرْدِيَّةً، وَّتارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً) وتارة أُخرىٰ (صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً) وهو عجيب (فَكَيْفَ تَصِلُ اِلَىٰ صِفَةِ هٰذا) الطائر (عَمائِقُ الْفِطَنِ) أي الفطن العَميقة (أو) كيف (تَبْلُغُهُ قَرائِحُ الْعُقُولِ) أي العقول الجيّدة الصحيحة (أو) كيف (تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوالُ الْواصِفِينَ، وَأَقَلُّ أَجْزائِه) وهو الشعرة (قَدْ أَعْجَزَ الاَوْهامَ أَن تُدْرِكَهُ، وَالاَلْسِنَةَ أَن تَصِفَهُ) أي إذا عجز الوهم عن إدراك أقلّ أجزائه والألسنة من وصفه فكيف يمكن له إدراكه بتمامه وكماله (فَسُبْحانَ الَّذِي بَهَرَ)

وترتيب (بِجَناحٍ أَشْرَجَ قَصَبَه،) وركّب عُروق جناحه وأُصولها (وَذَنَبٍ أَطالَ مُسْحَبَهُ) علىٰ وجه الأرض (إذا دَرَجَ إِلَى الأُنْثىٰ نَشَرَهُ) أي نشر ذنبه (مِنْ طَيِّهِ، وَسَمَا) وارتفع (به) بالذّنب (مظلاًّ) ومشرفاً (عَلىٰ رَأْسِهِ كَأَنَّهُ) أي كأنّ ذنبه (قِلْعُ دارِيٍّ) أي شراع سفينة يرفع فوقها (عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ) أي يعطفه ويعرفه ملاّح السفية كيف يشاء يميناً وشمالاً (يختال) الطّاوس ويتكبّر (بألوانه) الّتي أعطاها الله إيّاه (ويَميس) ويختبر (بزَيفانه) ومشيّته (يُفضي) ويُسفد (كَإِفْضاءِ الدِّيَكَةِ، وَيَؤُرُّ) ويجامع (بِمُلاقَحَةٍ أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ) وذات الغلم والسّبق.

(أُحِيلُكَ مِن ذٰلِكَ) الّذي ذكرناه (عَلىٰ مُعايَنَةٍ) ومشاهدة (لا كَمَن يُحِيلُ عَلىٰ ضَعِيفِ إِسنادِهِ) ويزعم خلاف ما نذكره (وَلَوْ كانَ) الأمر (كَزَعْمِ مَن يَزْعَمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ) ويحبل (بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُها) وتسكنها (مَدامِعُهُ فَتَقِفُ فِي ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ) وجانبيها (وَأَنَّ أُنْثاهُ تَطْعَمُ ذٰلِكَ ثُمَّ تَبِيضُ لا مِن لِقاحِ فَحْلٍ سِوَى الدَّمْعِ الْمُتَبَجِس) المُنفجر (لَما كانَ ذٰلِكَ بِأَعْجَبَ مِن مُطاعَمَةِ الْغُرابِ. تَخالُ قَصَبَهُ) وعظام أجنحته (مَدارِيَ مِن فِضَّةٍ) في الصفاء والبياض (وَما أُنبِتَ عَلَيْها) أي علىٰ الأجنحة (مِن عَجِيبِ داراتِهِ وَشُمُوسِهِ) الّتي في الريش (خالِصَ الْعِقْيانَ) أي الذّهب في الصّفرة (وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ) في الخُضرة والنّضارة (فَإِن شَبَّهْتَهُ بِما أَنبَتَتِ الأَرْضُ) من الأزهار (قُلْتَ: جَنِيٌّ جُنِيَ مِن زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ) في إختلاف ألوانه وأصباغه (وَإِن ضاهَيْتَهُ) وشاكلته (بِالْمَلابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ) المنقّشة (أَوْ كَمَوْنِقِ عَصْبِ الْيَمَنِ) أي البرد اليماني المَصبُوغ (وَإِن شاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ) مختلفة (قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ، يَمْشِي) الطاوس (مَشْيَ الْمَرِحِ الْمُخْتالِ) المُعجب بنفسه (وَيَتَصَفَّحُ) أي يقلّب جناحه وذنبه (فَيُقَهْقِهُ ضاحِكاً لِجَمالِ سِرْبالِهِ) وقميصه (وَأَصابِيغِ وِشاحِهِ) وألوان لباسه (فَإِذا رَمىٰ بِبَصَرِهِ إِلىٰ قَوائِمِهِ) ورجليه (زَقا) وصاح (مُعْوِلاً بِصَوْتٍ) رافعاً صوته بالنياح (يَكادُ يُبِينُ) ويرتحل:

(عَنِ اسْتِغاثَتِهِ وَيَشْهَدُ) عويله (بِصادِقِ تَوَجُّعِهِ)وتفجّعه وذلك (لِأَنَّ قَوائِمَهُ

بِقَلْبِهِ إِلىٰ مَنٰازِلِ الْأَبْرٰارِ بِرَحْمَتِهِ) آمين.

◁ الشرح

▫ قوله ﷺ: **إِبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوٰانٍ وَّمَوٰاتٍ، وَّسٰاكِنٍ وَّذِي حَرَكٰاتٍ...**

أي خلقهم على سبيل الإبداع وهو الخلق لا عن مادّةٍ ولواحقها من الزمان والمكان وغيرهما وقد فصّلنا الكلام في أقسام الخلق وقلنا: إنّ الفعل منه تعالىٰ إمّا أن لا يكون مَسبُوقاً بالمادّة والمُدّة فهو المُبتدع وإمّا أن يكون مسبُوقاً بهما وهو الكائن وأمّا أن يكون مَسبُوقاً بالمادّة دون المدّة وهو المخترع وأمّا عكسه فلا وجود له في المخارج فالأفعال الموجودة في الخارج ثلاثة:

والضمير في قوله ﷺ: **إبتدعهم** برجع إلىٰ جميع المخلوق وتذكيره بإعتبار التغليب ومرجع الضمير إمّا أن تقدّم لفظاً في كلام قبل هذا الكلام ولم يظفر السيّد ﷺ به وإمّا معنىٰ والتقدير أنّ هذه الموجودات من الحيوان الخ إبتدعهم خلقاً عجيباً وإمّا حُكماً أي إبتدع المُبتدعات خلقاً عجيباً كقوله تعالىٰ: ﴿**اِعدِلُوْ هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوىٰ**﴾(١) أي العدل.

وقوله ﷺ: **خلقاً** الخلق مصدر بمعنىٰ المخلوق وقوله ﷺ: **عجيباً** أي مشحون بالغرائب والعجائب من حيث الأسرار المُودّعة فيهم وكلمة (**من**) بيانيّة والمقصود أنّ هذا الخلق عبارة من الحيوان كالملائكة والحيوان والجنّ والإنس والموات كالجماد والنبات والساكن كالأرض وما فيها من الجمادات وذي حركات كالإنسان والحيوان ونحوهما ممّا له حركة إراديّة هكذا قالوا في شرح العبارة والمعنىٰ أنّ الله تعالىٰ خلق الموجودات علىٰ أصنافها وأقسامها وأوصافها علىٰ غير مثال وأودع فيها من أسرار الخلقة ما لا يُحصىٰ:

ثمّ إنّ التّعبير بالمَوات والسّاكن ليس علىٰ حقيقته كما هو ظاهر بل المقصود من الموات ما لا حياة له كحياة الحيوان لا ما لا حياة له مطلقاً فإنّ الشّيء بعد

---

١ ـ المائده ـ ٨

وعَجز (الْعُقُولَ عَنْ وَّصْفِ خَلْقٍ جَلاَّهُ لِلْعُيونِ فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُّكَوَّناً) موصوفاً بالحدود والتكوين (مؤلّفاً) من الأجزاء (مُلَوَّناً) بالألوان المختلفة (وَأَعْجَزَ الأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ) فلم تقدر عليه (وَقَعَدَ بِهٰا عَن تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ) ووصفه (وَسُبْحٰانَ مَنْ أَدْمَجَ) وأحكم (قَوٰائِمَ الذَّرَّةِ) من صغار النمل (وَالْهَمَجَةِ) وهي صغير الذباب (إِلىٰ مٰا فَوْقَهُمٰا مِنْ خَلْقِ الْحِيتٰانِ وَالْفِيَلَةِ) وغيرهما من الحيوانات الكبيرة العظيمة (وَوَأىٰ) وألزم (عَلىٰ نَفْسِهِ أَن لاٰ يَضْطَرِبَ شَبَحٌ) وشخص (مِمّٰا أَوْلَجَ) وأدخل (فِيهِ الرُّوحَ اِلاّٰ وَجَعَلَ الْحِمٰامَ) والموت (مَوْعِدَهُ وَالْفَنٰاءَ غٰايَتَهُ) لقوله تعالىٰ ﴿كلّ من عليها فان﴾:

منها في صفة الجنة:

(فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ) أي بعين بصيرتك (نَحْوَ مٰا يُوصَفُ لَكَ مِنْهٰا) أي من الجنة في الكتاب والسنّة (لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ) وأعرضت (عَن بَدٰائِعِ مٰا أُخْرِجَ اِلىٰ الدُّنْيٰا مِنْ شَهَوٰاتِهٰا وَلَذّٰاتِهٰا وَزَخٰارِفِ مَنٰاظِرِهٰا) ولم تجد لشيء منها موقعاً عندها لعدم إعتبارها (وَلَذَهَلَتْ) النّفس مغمورة (بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفٰاقِ أَشْجٰارٍ) أعني تضارب أوراقها بالنّسيم الّتي (غُيِّبَتْ عُرُوقُهٰا فِي كُثْبٰانِ الْمِسْكِ) اي في تلالٍ من المسك بدل الرمل (عَلىٰ سَوٰاحِلِ أَنْهٰارِهٰا، وَفِي تَعْلِيقِ كَبٰائِسِ اللُّؤْلُؤَ الرَّطْبِ فِي عَسٰالِيجِهٰا وَأَفْنٰانِهٰا) وفروعها وأغصانها (وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمٰارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمٰامِهٰا) ووعاء طلعها وغطاء نوارها (تجني) وتؤخذ (مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ) ومشقّة (فَتَأْتِي) الثمار (عَلىٰ مُنْيَةِ مُجْتَنِيهٰا) حسبما تشتهيه نفسه (وَيُطٰافُ عَلىٰ نُزّٰالِهٰا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهٰا بِالأَعْسٰالِ الْمُصَفَّقَةِ) المصفّاة (وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ) الغير الكدرة (قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكِرٰامَةُ تَتَمٰادىٰ بِهِمْ حَتّٰى حَلُّوا دٰارَ الْقَرٰارِ) أعني الجنّة (وَآمِنُوا نُقْلَةَ الأَسْفٰارِ) وشدائدها (فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهٰا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ اِلىٰ مٰا يَهْجُمُ) ويدخل (عَلَيْكَ مِن تِلْكَ الْمَنٰاظِرِ الْمُونِقَةِ) المعجبة (لَزَهقَت) وبطلت (نَفْسكَ شَوْقاً إِلَيْهٰا، وَلَتَحَمَّلْتَ مِن مَّجْلِسِي هٰذٰا اِلىٰ مُجٰاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ) من شوق الوصول إليها (اسْتِعْجٰالاً بِهٰا، جَعَلَنَا اللهُ وَاِيّٰاكُم مِمَّنْ يَّسْعىٰ

فإنّها تدلّ على الصّانع القادر الحكيم كما تدلّ البَعرة على البَعير والأثر على المؤثّر ولا فرق بينهما من هذه الجهة أعني الدّلالة على المؤثّر إلّا في الشدّة والضّعف وقد مرّ الكلام فيه غير مرّة في الأبحاث الماضية:

تفكر في نبات الأرض وأنظر إلىٰ آثار ما صَنَع المليك
ففي رأس الزّبرجَد شاهدات بأنّ الله ليس له شريك

وقال تعالىٰ في كتابه: ﴿كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(١)

و: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(٢)

□ قوله ﷺ: وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ...

أي وصاحت في أسماعنا دلائله الدالّة على وحدانيّته والمراد بها الدّلائل التّشريعة من الآيات القرآنيّة والمواعظ الإلهيّة والبراهين العقليّة فإنّ هذه الدّلائل قد صاحت في أسماعنا وأثبتت لنا توحيده:

□ قوله ﷺ: وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ (إختلاف) صُوَرِ الأَطْيَارِ الَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ الأَرْضِ وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا وَرَوَاسِيَ أَعْلَامِهَا...

الذّرء إظهار الله تعالىٰ ما أبداه يقال ذَرَأ الله الخَلق أي أوجد أشخاصهم والتّعبير بالذّرء دون الإيجاد والخلق إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وجعلوا لله ممّا ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً﴾

و: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ﴾(٣)

و: ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(٤) وغيرها من الآيات:

والمعنىٰ أنّ الله تعالىٰ ذرأ وأوجد الأطيار علىٰ إختلاف صورها الّتي أسكنها أخاديد الأرض والأخاديد جمع أخدود وهي الخُضرة المستطيلة والمقصود أنّ الله تعالىٰ جعل مساكنها خُضر الأرض وقوله ﷺ: وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا أي

١- البقرة-٢١٩ و ٢٣٦
٢-آل عمران ١٩١
٣- النّحل-١٣
٤- المؤمنون-٧٩

وجوده يكون حَيّاً لا محالة إلّا أنّ حياة كلّ شيئ بحسبه كيف وقد قال الله تعالى:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾(١)

و: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾(٢)

ومن المعلوم أنّ التّسبيح فرع المعرفة وهي فرع الحياة فالموجودات بأسرها أحياء.

وهكذا الكلام في السّاكن إذ لا مخلوق في عالم الوجود يتّصف بالسكون حقيقة ولا سيّما على القول بالحَرَكة الجَوهرية إذ المخلوق إنّما خلق لأجل الوصول إلى الكمال والسّاكن لا يصل إليه أبداً نعم بعض المخلوق بالنّسبة إلى بعض آخر يصدق عليه أنّه ساكن كالجماد بالنّسبة إلى النّبات وهي بالنّسبة إلى الحيوان وهو ممّا لا خفاء فيه.

▫ قوله ﷺ: **فَأَقَامَ مِن شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَىٰ لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ وَمُسَلِّمَةً لَهُ...**

أي بعد إيجاده الموجودات أقام من شواهد البيّنات والآثار الواضحات الدالّات على لطيف صنعته وعظيم قُدرته ما إنقادت له العقول إنقياداً كاملاً معترفةً مقرّةً به تعالى ومسلّمة له بالتّسليم الّذي لا مَردّ له لو كانوا يعقلون وهذا الّذي ذكره ﷺ يسمّى بالبُرهان الإنّي أعني العلم من المعلول بالعِلّة وذلك لأنّ شواهد البيّنات الدالّة على الخالق والمُوجد معلولة له.

ثمّ إنّ الشّواهد الموجبة لإنقياد العقول وتسليمها لربّ العالمين على قسمين:

تشريعيّ وتكوينيّ:

فالتّشريعي: منها عبارة عن الكتب المنزلة والأحكام الشّرعية الّتي قد دلّتنا على وجود الخالق القادر العدل الحكيم فمن تَفكّر فيها لا يشكّ فيه أبداً.

والتّكويني: منها عبارة عن كلّ الموجودات التّكوينيّة السّماويّة والأرضيّة

١- الإسراء ـ ٤٤

٢- الإسراء ـ ٤٤

والمعنىٰ أنّ الطّيور مُرفرَفة بأجنحتها بَسطاً وقَبضاً في مخارق الجَوّ المُنفسخ ولو لا إنفساخه لما أمكن الطّائر من بسط جناحيه فيه والفضاء المُنفرج إذ لو كان منقبضاً لما يقدر علىٰ الطّيران والفرق بين الجَوّ والفَضاء هو أنّ الجَوّ بفتح الجيم يطلق علىٰ ما بين الأرض والسّماء وعلىٰ ما إتّسع من الأوَدِية وعلىٰ بطن كلّ شيْءٍ يقال جَوّ البيت أي داخله والفضاء ما إتّسَع من الأرض يقال مكانٌ فَضاء أي واسع وعليه فكلّ جَوٍّ فضاء وليس كلّ فضاءٍ جَوّ ولعلّه لأجل هذا وصف الجَوّ بالإنفساخ والفضاء بالإنفراج فإنّ الإنفساخ أعَمّ من الإنفراج وقد مرّ الكلام في هذا الباب عند شرحنا للخطبة الأُولىٰ.

□ قوله ﷺ: **كَوَّنَهَا بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُن فِي عَجَائِبِ صُوَرٍ، ظَاهِرَةٍ، وَّرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ...**

أي كوّن الله الطّيور بعد إذ لم تكن والغرض أنّ الله تعالىٰ أوجدها وفي التّعبير بقوله ﷺ: **كَوَّنَهَا** إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**كن فيكون**﴾ وفيه إشعار بأنّ الإيجاد منه تعالىٰ إبداعي كما مرّ الكلام فيه في صدر الخطبة عند قوله ﷺ: (**إبتدعهم الخ**) وقوله ﷺ: **فِي عَجَائِبِ صُوَرٍ، ظَاهِرَةٍ**، من إضافة الصّفة إلىٰ الموصوف والتّقدير في الصُّوَر العَجيبة الظّاهرة والغرض أنّه تعالىٰ بمقتضىٰ حكمته وكمال قدرته لم يخلقها علىٰ صورة واحدة وغير الطّيور أيضاً كذلك وإختصاصها بالذّكر لأنّ الكلام فيها لا في غيرها وقد ثبت أنّ إثبات شيْءٍ لشيْءٍ لا ينفيه عن غيره فإنّ إثبات الشّيْءِ لا ينفي ما عداه.

ثم إنّ إختلاف صُور الطّيور مَشهُودٌ محسُوس لا يحتاج إلىٰ برهان بل لا نرىٰ إثنين منها متّحدة الصّورة وقوله ﷺ: **وَّرَكَّبَهَا** إشارة إلىٰ كيفيّة خلق أبدانها وأنّها مركّبة من الأجزاء والأعضاء فإنّ الحقاق جمع حُقّ بضّم الحاء وهو رأس الورك الّذي فيه عظم الفَخذ ورأس العَضُد الّذي فيه الوابلة وأمّا علىٰ قول الشّارح المعتزلي فهو مجمع المَفصَلين من الأعضاء وكيف كان فالمعنىٰ أنّ الله ركّب أبدان الطّيور في هيئةٍ خاصّة ونَمَطٍ خاصّ فجعَل فيها عظماً ولحماً

الطّرق الواسعة بين الجبلين وذلك لأنّ الفَجاج جمع فَجّ وهو في الأصل شقّة يكتنفها جبلان ويُستعمل في الطّريق الواسع قال تعالىٰ: ﴿من كلّ فجّ عميق﴾ وقال: ﴿فيها فجاجاً سُبُلاً﴾ قاله الرّاغب في المفردات والخُروق جمع خَرق وهو ضدّ الإلتئام وبالفارسيّة يقال له (شِكاف) والمعنىٰ أنّ بعض الطّيور أسكنه الله أخاديد الأرض وبعض آخر منها أسكنه في خُروق فجاج الأرض أعني الخُروق الواقعة الواسعة بين الجبلين أو الشّقوق الّتي يكتنفها جبلان والأوّل كالقطّاء والثّاني كالقَبج وفيها صنف آخر يسكن الجبال الشّامخات وإليه أشار بقوله عليه السلام: **وَرَوَاسيَ أَعْلاَمِهَا** كالصّقور والعقبان وأمثالهما فإنّها تأوى في الجبال الرّاسيات.

□ قوله عليه السلام: **مِن ذَاتِ أَجْنَحِةٍ مُّخْتَلِفَةٍ، وَّهَيْئَاتٍ مُّتَبَايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ...**

كلمة (من بيانيّة) أي ومن الطّيور ذوات الأجنحة المختلفة والهيئات المتباينة المُتخالفة والكلّ في زمام التّسخير تحت قدرته تعالىٰ وفيه إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ حيث قال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١)

ألا ترىٰ أنّ العقاب والغراب والحمام والنّسر والعصفور وأمثالها من الطّيور أجنحتها مختلفة وهيئاتها متغايرة متباينة مع إشتراكها في الطّيران وهو يدلّ علىٰ كمال قُدرة الخالق الّذي خلقها علىٰ تلك الحالة ومع ذلك كلّها مقهورة في ذلّ القُدرة.

□ قوله عليه السلام: **وَمُرَفْرَفَةٍ بِأَجْنَحِتِهَا فِي مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُنَفِسِخِ وَالْفَضَاءِ الْمُنفَرِجِ...**

الواو للعطف وقوله عليه السلام هذا معطوف علىٰ قوله عليه السلام: مُصرّفة والتّقدير أنّ الله تعالىٰ جعلها مصرّفة في زمام التّسخير ومرفرفة الخ قال في المنجد أرفّ إرفافاً الطّائر بَسط جناحيه انتهىٰ.

١- النّحل ٧٩

ألوانه في أحسن تنظيم وترتيبٍ وإنّما خصّ الذّكر بالطّاوس مع أنّ الحيوانات كلّها خلقها الله في أحكَم تعديل وأحسن تنضيد لوجهين:

أحدهما: أنّ أصل الكلام في الخطبة يَدُور مَداره وإنّما أشار في صدر الخطبة إلىٰ غيره من الطّيور إستطراداً ومقدّمةً ولأجل هذا عَرفت الخطبة بالخطبة الطّاوسيّة ألا ترىٰ أنّه عليه السلام فصّل الكلام فيه وأجمَل في غيره؟

وثانيهما: أنّ الطّاوس في الطّيور كالعَروس في النّساء ولأجل هذا يشبّهون النّاس قديماً وحَديثاً الحيوانات الجَميلة بالطّاوس ويقولون هذا كالطّاوس ولا يقولون هذا كالحمام والعصفُور والصَّقر وأمثالها والحاصل أنّ الطّاوس من أجمل الطّيور خلقاً وأحسَنها لَوناً وصبغاً وهو مع ذلك قَبيح الرِّجل بالقياس إلىٰ سائر أعضائه وأجزائه كما سَتسمعه في أواخر الخطبة وهذا هو الّذي يدلّنا علىٰ كمال قدرة الخالق ولطيف حكمته ولا يبعد أن يكون هو الوَجه في البحث فيه ثمّ إنّ الطّاوس مشتقّ من الطَّوس بفتح الطّاء وهو في اللّغة الحُسن يقال تَطَوّست الجارية إذ تَزَيّنت ويقال للشّئ الحَسن إنّه لَمَطوّس كما قيل إرفان ذات الغبغب المطوّس ووجه مطوّس حسن قال الشّاعر:

إذ تَستَبِي قلبي بذي غُذرٍ ... ضافٍ يَمجّ المِسك كالكرم
ومُطوّسٌ سَهلٌ مدامعه ... لا شاحبٌ عارٍ ولا جَهَم

وقال المؤرخ الطّاوس في كلام أهل الشّام الجميل من الرّجال وأنشدَ:

فلو كُنت طاوساً لكُنتَ مُملِكاً ... رعينُ ولكن أنت لأمٌ هَبنَقَعُ

والطّاوس في كلام أهل اليمن الفضّة وأيضاً الطّاوس يقال لِلأرض المُخضّرة أيّام الرّبيع.

والطّاوس طائر حَسن هَمزته بدل من واو لقولهم في الجمع طواويس وقد يجمع علىٰ أطواس بإعتبار حذف الزّيادة وتصغيره طويس بعد حذف الزّيادة قاله في لسان العرب، وسيأتي الكلام فيه مفصّلاً.

ومفاصل ثمّ سَتَر المفاصل باللّحم فصارت مُحتَجبة به وسَتَر اللّحم بالجلد وهو بالشَّعر وفي كلّ هذا الأُمور أسرار لا يعلمها إلّا هو.

▫ قوله ﷺ: **وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعَبَالَةِ خَلْقِهِ أَن يَسْمُو فِي السَّمَاءِ (الْـهَوَاءِ) خُـفُوفاً، وَجَعَلَهُ يَدِفُّ دَفِيفاً...**

وبقدرته الكاملة وحكمته الشّاملة منع بعض الطّيور خلقاً بسبب عظم جثّته وضخامة بدنه أن يَسمُو ويَعلُو في جهة العلوّ بسُرعة وجعله يَدُفّ دَفيفاً أي يحرّك جناحيه للطّيران.

▫ قوله ﷺ: **وَنَسَقَهَا عَلَى اخْتِلاَفِهَا فِـي الْأَصَـابِيغِ بِـلَطِيفِ قُـدْرَتِهِ، وَدَقِـيقِ صَنْعَتِهِ...**

أي ونَظَّمها ورَتَّبها على إختلافها فـي الأصـابيغ والألوان بـلطيف قـدرته ودقيق صنعته من إضـافة الصّـفة إلى المـوصوف والتّـقدير بـقدرته اللّـطيفة وصنعته الدّقيقة.

▫ قوله ﷺ: **فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالِبِ لَوْنٍ لاَ يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ...**

فمن الطّيور ما هو مغموس في قالب لونٍ واحد لا يشوبه ولا يختلطه غير لون ما غَمَس فيه أي اللّون في بـعض الطّـيور واحـد لا فـرق فـيه كـالأسود والأبيض والأحمر والأصفر وغيرها من الألوان.

▫ قوله ﷺ: **وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلاَفِ مَا صُبِغَ بِهِ...**

أي ومن الطّيور ما هو ليس فيه اللّون واحداً بمعنى أنّ اللّون الّذي غُمِس فيه غير اللّون الّذي طُوّق به فلون جُثّته غير لون طوقه الّذي طَوَّقه بـه كـما نـراه ونشاهده.

▫ قوله ﷺ: **وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُسُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ...**

أي ومن أعجب الطّيور خلقاً الطّاوس الّذي أقـامه الله تـعالى فـي أحكـم تعديل أي أعطاه في الخلق ما يَستحقّه وخلقه على وجه الكمال ونَضَّد ورَتّب

بيضة وأقلّ وأكثر ولا تبيض متتابعاً ويسفد في أيّام الرّبيع ويلقي ريشه في الخريف كما يلقي الشّجر ورقه فإذا بدا طلوع الأوراق في الشّجرة طلع ريشه وهو كثير العبث بالأنثىٰ إذا حضنت وربّما كبر البيض ولهذه العلّة يحضن بيضه تحت الدّجاج ولا تقدر الدجاجة علىٰ حضن أكثر من بيضتين منه وينبغي أن تتعاهد الدّجاجة بجميع ما تحتاج إليه من الأكل والشّرب مخافة أن تقوم عنه فيفسده الهواء والفرخ الّذي يخرج من حضن الدجاجة يكون قليل الحسن ناقص الخلق وناقص الجثّة ومدّة حضنه ثلاثون يوماً وفرخه يخرج من البيضة كالفروخ كاسياً كاسياً قال الشّاعر في وصفه:

سُبحان مَن من خلقه الطّاوس — طَيرٌ علىٰ أشكاله رئيسُ
كأنّه في نقشه عَرُوس — في الرّيش منه ركّبت فلُوس
تَشرق في داراته شُمُوس — في الرّأس منه شَجَرٌ مغروس
كأنّه بَنفسجٍ يُميس — أو هو زَهوٌ حَرم يَببيس

ثمّ أطال الكلام فيه بما لا فائدة فيه ولا دليل علىٰ صحّته ولَفّق الرّطب باليابس حتىٰ إسوَدّ أوراق كتابه وقال في آخر كلامه وقيل الطّاوس إمرأة أعجميّة غير مُسلِمة أقول: أُنظروا معاشر العلماء إلىٰ هذه التّحقيقات الرّشيقة والتّدقيقات العجيبة الّتي تحَيّرت الأفهام فيها كيف لا وهي من وساوس الشّيطان ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ وإلّا فأيّ دليل علىٰ هذه الموهومات الّتي لا طائل تحتها.

أقول: ما ذكره عليه السلام في كيفيّة جماعه وأنّه بملاحقةٍ مثل أزّ الفحُول هو الحقّ الحقيق اللّائق بالتّصديق لا ما ذكره الدّميري وأمثاله فإنّ الظّنّ لا يغني من الحقّ شيئاً وذلك لوجهين:

أحدهما: أنّه إمام معصوم عالم بما كان وما يكون وما هو كائن إلىٰ يوم القيمة كما هو ثابت في محلّه وأمّا غيره من العلماء كائنا من كان فيجُوز عليه الخطأ بل خطأه أكثر من صوابه فقوله مظنون وقول الإمام مقطوع والمظنون لا يعارض

▫ قوله ﷺ: **بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَه، وَذَنَبٍ أَطَالَ مُسْحَبَهُ...**

قالوا أي ركّب عُروق جناحه وأُصولها بعضها في بعض وقيل معناه داخل بين آحاده ونظمها على إختلافها في الطُّول والقصر وقوله أطال مسحبه من سَحَبَ على الأرض سَحباً أي جَرّه عليها فإنسَحَب والمقصود أنّ ذنبه طويل المُنسَحب وهو مَشهُود.

▫ قوله ﷺ: **إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَىٰ نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ، وَسَمَا بِهِ مُطِلّاً عَلَىٰ رَأْسِهِ...**

أي وإذا مشى إلى أُنثاه ليسامده نَشَر ذلك الذّنب بعد طيّه وسَما به أي رفعه مُطِلّا ومُشرِفاً على رأسه كأنّه يُظلّه مُستديراً.

▫ قوله ﷺ: **كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ ،يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ، وَيَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ...**

أي كان ذنبه شراع سفينة عَنَجَه وجَذَبه نُوتيّه ملاّحها جَذباً وإرخاءً يَميناً وشمالاً كيف شاء وذلك لأنّ ملاّح السَّفينة يقلّب القلع كيف يشاء بحسب إقتضاء المصلحة.

وقوله يختال أي يختال الطّاوس ويتكبّر بألوانه ويَميس ويَتبَختر بزيفانه ومَشيَته وذلك لِعُجبه بحُسنه وجَماله ولَونه كما أنّ بعض النّاس أيضاً كذلك.

▫ قوله ﷺ: **يُفْضِي كَإِفْضَاءِ لِدِّيَكَةِ، وَيَؤُرُّ بِمَلَاقَحَةٍ أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ لِلضِّرَابِ...**

أي يفضي الطّاوس ويسفد كإسفاد الدّيكة ويَؤُرّ ويجامع مع أُنثاه بملاحقة مثل أَرِّ الفحول المُغتلمة للضّراب وبعبارةٍ أُخرىٰ يجامع كمجامعة الفحُول وفيه بيان لكيفيّة جماع هذا الحيوان وأنّ له آلة تناسلية كالدِّيك والفَحل وسائر أصناف الحيوان ردّاً على من زعم خلاف ذلك وأنّ سفاده بتَطعُّمِ الدَّمع:

قال الدّميري في كتابه المُسمّىٰ بحياة الحيوان بعد ما وصفه بما وصف ما هذا لفظه.

والأُنثىٰ منه تبيض بعد أن يمضي لها من العمر ثلاث سنين وفي ذلك الأوان يكمل ريش الذّكر ويتمّ لونه وتبيض الأُنثىٰ مَرّةً واحدةً في الشّتاء إثنتي عشرة

فانصته إليها من منقاره إلى أن قال:

أمّا كلام أمير المؤمنين عليه السلام فلا يخفى أنّ ظهوره في كون سفاد الطّاوس باللِّقاح حيث شبّهه بإفضاء الدِّيكة وبأزّ الفحُول وعبّر عن القول الآخر بالزّعم كظهوره في كون سفاد الغراب بالمطاعمة وأمّا المثل فلا يدلّ على أنّ الغراب لا يسفد بل الظّاهر منه خلافه على أنّي قد شاهدتُ عياناً غير مرّة سفاد الغراب الأبقع فلابدّ من حَمل كلامه عليه السلام على صائر أصناف الغُراب وإن كان ظاهره الإطلاق والله العالم بحقائق الخبيثات وأوليائه انتهى ما ذكره.

وأنا أقول: قد عرفت من كلامه عليه السلام أنّ الطّاوس يفضي كإفضاء الدِّيكة ويؤزّ بملاقحة أزّ الفحُول المُغتلمة للغراب فسفاده كسفاد الدّيك والفَحل بآلات التّناسل كسائر أصناف الحيوان.

وعرفت أيضاً ممّا نقلناه عن الدُّميري والمُعتزلي أنّ قوماً زعموا أنّه يلقح بدمعة إلى آخر ما ذكروه ونقله عليه السلام عنهم في المقام أيضاً وقال: ولو كان الأمر كزعم من يزعم أنّه يَلقَح إلى قوله سوى الدّمع المُتبَجس وخلاصة البحث هو أنّ جماع الطّاوس هل هو بآلات التّناسل كما عليه أمير المؤمنين عليه السلام أو بدَمعَةٍ تَسفحها مدامعه لا من لقاح فحلٍ كما عليه الجمهور.

وإستدلّ عليه السلام على مُدّعاه بالمعانية والمشاهدة برأي العين ولا دليل أقوى من دليل الحِسّ والعيان وأمّا القوم فلم يَستدلّوا على مُدّعاهم بشيٍ ولنرجع إلى شرح كلماته.

ولو كان الأمر في الطّاوس كزعم من يزعم من النّاس أنّ الطّاوس يلقح بدمعه تَسفحها وتَسكبها مدامعه فتقف الدُّمعة في ضَفّتي جفُونه وجانبيها وأنّ أنثى الطّاوس تَطعم ذلك ثمّ تَبيض لا من لقاح فَحل (كما ذكرناه) سوى الدّمع المُتبجس على ماظنّوه لما كان ذلك الزّعم منهم بأعجب من مطاعمة الغراب وأنّه لا يسفد فهذا الزّعم في الطّاوس مثل ذلك الزُّعم في الغراب وليس زعمهم في المقام بأعجب منه هناك وبعبارةٍ أخرى لا تعجّب منهم فإنّ هذا ليس أوّل قارورةٍ كُسرت في الإسلام وإنّ النّاس يقولون ما لا يَعلمُون.

المقطوع فهو المتّع ولا أقلّ من كونه ﷺ أعلم من غيره من علماء الأمّة وفيه كفاية لإثبات المدّعىٰ والأخذ بقوله ﷺ:

وثانيهما: أنّه إستدلّ علىٰ ما ذكره بما لا يَتطرّق إليه الشكّ كما ستسمعه وأمّا ما ذكَروُه فلا دليل لهم عليه ومعلوم أنّ الثّابت بالدّليل أقوىٰ من غير الثّابت وإلىٰ هذا الدّليل أشار ﷺ بقوله:

▫ قوله ﷺ: **أُحِيلُكَ مِن ذٰلِكَ عَلىٰ مُعٰايَنَةٍ، لا كَمَن يُحِيلُ عَلىٰ ضَعِيفِ إِسنٰادِهِ...**

قوله ﷺ: **أُحيلك** من أحال يُحيل إحالة والمعنىٰ أُرجعك ممّا ذكرناه في جماع الطّاوس علىٰ معاينةٍ ومشهُود بحيث لا تشكّ فيه أبداً فإنّ المدّعىٰ إذا كان مقروناً بالدّليل ولا سيّما الحِسّ والمُشاهدة فهو ثابت لا محالة لأنّ الشّهود غير قابل للإنكار فما ذكرناه في الباب من هذا القبيل كما ستراه لا كمن يحيل ويرجع مدّعاه علىٰ الوهم والظّنّ والخيال والأسناد الضّعيفة وحاصل ما ذكره ﷺ هو أنّ ما ذكروه في كيفيّة جماع الطّاوس لا يساعده عقل ولا نقل صحيح بل سَنده ضَعيف مستند إلىٰ الوهم فقط.

▫ قوله ﷺ: **وَلَوْ كٰانَ كَزَعْمِ مَن يَزْعَمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهٰا (تنشّجها) مَدٰامِعُهُ فَتَقِفُ فِي ضَفَّتَيْ جُفوُنِهِ ،وَأَنَّ أُنْثٰاهُ تَطْعَمُ ذٰلِكَ ثُمَّ تَبِيضُ لا مِن لُقٰاحِ فَحْلٍ سِوَى الدَّمْعِ الْمُنبَجِس، (المنبجس) لَمٰا كٰانَ ذٰلِكَ بِأَعْجَبَ مِن مُطٰاعَمَةِ الْغُرٰابِ. تَخٰالُ قَصَبَهُ مَدٰارِيَ مِن فِضَّةٍ وَمٰا أُنبِتَ عَلَيْهٰا مَن عَجِيبِ دٰارٰاتِهِ وَشُمُوسِهِ خٰالِصَ الْعِقْيٰانَ وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ...**

إعلم: أنّ قوماً زعموا أنّ الطّاوس الذّكر يَدمَع عَينه فتَقف الدّمعة بين أجفانه فتأتي الأُنثىٰ فتطعَمها فتَلقح من تلك الدّمعة هكذا قاله الشّارح المعتزلي في شرحه ثمّ قال:

وأمير المؤمنين ﷺ لَم يحل ذلك ولكنّه قال ليس بأعجب من مطاعمة الغراب والعَرب تَزعم أنّ الغراب لا يُسفد ومن أمثالهم أخفىٰ من سفاد الغراب فيزعمون أنّ اللّقاح من مطاعمة الذّكر والأُنثىٰ وإنتقال جزء من الماء الّذي في

بالحُليّ فهو كالخاتم الّتي نُطّق بـاللّجين المكـلّل واللّـجين الفِـضّة أي جـعل اللّجين وهو الفِضّة منطّقة له والمكلّل المزيّن بالجواهر وبعبارةٍ أُخرىٰ هو مثل الخاتم المَنطّق بالفِضّة المُزيّن بالجواهر.

▫ قوله عليه السلام: **يَمْشِي مَشْيَ الْمَرِحِ الْمُخْتَالِ، وَيَـتَصَفَّحُ ذَنَـبَهُ وَجَـنَاحَيْهُ فَـيَقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ، وَأَصَابِيغِ وِشَاحِهِ...**

أي يَمشي الطّاوس مَشي الفَرحان المُعجب بنفسه وأصل المَرح بفتح الميم واللّام شدّة الفَرح والتّوسّع فيه والمختال ذُو خيلاء، والخُيلاء بالضّمّ والكسر الكبر فالمُختال المُتكبّر وكلاهما أعني المَرَح والمُختال قـد ورد فـي القـرآن ذمّهما ما لا يخفىٰ فقال تعالىٰ.

في الأوّل: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً﴾ (١)

وفي الثّاني: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ﴾ (٢)

وقوله عليه السلام: **وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ** أي يُقلّبه كيف يشاء وقوله: **فَيَقَهْقِه** وهـي شـدّة الضّحك والسّربال بكسر السّين القَميص، والوِشاح بكسر الواو شئ يُنسج من أدِيَم ومرصّع شبه القلادة تلبسه النّساء.

والمعنىٰ أنّه يُقلّب ذَنبه وجناحه ويَضحك ضِحكاً شديداً لجمال قميصه وألوان وشاحه ولباسه.

▫ قوله عليه السلام: **فَإِذَا رَمَىٰ بِبَصَرِهِ إِلَىٰ قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوِلاً بِصَوْتٍ يَكَادُ يُـبِينُ عَـنِ اسْتِغَاثَتِهِ، وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ...**

أي فإذا رمي الطّاوس ببصره نحو قوائمه ونظر إليها والقوائم جمع قائمة وهي الّتي يُبنىٰ عليها الشّئ والمقصود منها في المقام رِجلاه فإنّ الجسد قائم بهما وحاصل المعنىٰ أنّه إذا نظر إلىٰ رِجليه زَقا وصاحَ معولاً أي رافعاً صوته بالعَويل والنّياح والبكاء يكاد يبين أي يطعن ويَرتحل ويَموت عن إستغاثته ويشهد عَويله بصادق توجّعه وتَفجّعه أي هو صادق في العَويل.

▫ قوله عليه السلام: **لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْـخِلَاسِيَّةِ، وَقَـدْ نَـجَمَتْ مِـن**

---

١ - الإسراء ـ ٣٧.　　٢ - لقمان ـ ١٨.

ثمّ شرع عليه السلام في وصف أجنحة الطّاوس وقال: تخال قصبه، أي عظام أجنحة مداري من فضّة في الصّفاء والبياض والقصب جمع قصبة وهي عمود الرّيش والمداري جمع مِدري بكسر الميم مصنوع من حديد أو خشب على شكل سنٍّ من أسنان المشط، وما أنَبَت عليها أي على القصب من عجيب داراته وشمّوسه خالص العقيان أي كالذّهب الخالص في الصّفرة الفاقعة والبَريق والفلذ الزّبرجَد في الخضرة والنّضارة، وهذا كلّها أوصاف أجنحة الطّاوس وهي كذلك حقّاً.

▫ قوله عليه السلام: **فَإِن شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ قُلْتَ: جَنِيٌّ جُنِيَ مِن زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ...**

أي فإن شبّهتَ الطّاوس بما انبَتَت الأرض قلتَ هو جَنِيٌ جُني من زهرة كلّ ربيع في إختلاف ألوانه وأصباغه كما أنّ الأزهار الّتي أنبتها الرّبيع مختلفة في الألوان والحاصل إن شَبَّهتَه بها تَجد كلّ الألوان الموجودة في الأزهار موجوداً فيه شبّه عليه السلام الطّاوس في جامعيّته للألوان بما أنبَتّه الرّبيع من الأزهار المختلفة بحسب اللّون والصّبغ ونعم التّشبيه هو.

▫ قوله عليه السلام: **وَإِن ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ، أَوْ كَمُونِقِ عَصْبِ الْيَمَنِ...**

أي وإن شاكلته وشَبَّهته بالملابس فهو أي الطّاوس كَمَو شيّ الحلل المنقّشة والموشيّ بضمّ الميم على صيغة إسم الفاعل المَنقوش وهذا التّشبيه الثّاني أو كمونق عصب اليمن والعصب بالفتح ضرب من البرُود وإضافته إلى اليمن لكون البرد اليماني مشهوراً في البرُود والمقصود أنّه أي الطّاوس مثل البرد اليماني المصبوع فهو تشبيه ثالث وإن أدخلناه في الملابس فهو من الثّاني على سبيل التّخيير.

▫ قوله عليه السلام: **وَإِن شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ...**

ثمّ أشار عليه السلام إلى تشبيه آخر وهو تَشبيهه بالحُليّ، والحليّ جمع حليّة وهي الّتي تتزّين المرأة بها والفصوص جمع فَصّ وهو الخاتم والمعنى إن شبّهته

▫ قوله عليه السلام: **وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الْأُقْحُوانِ أَبْيَضُ يَقَقٌ، فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ...**

ثمّ وصف عليه السلام الخطّ الأبيض عند مَحَلّ سَمعه وقال: ومع فتق سَمعه خط كَمُستَدقّ القَلَم في لونٍ مثل لون البابُونج وهو أي الخطّ أبيض يقق شديد البياض ببياضه أي بسَبَب بياضه في سَواد ما هنالك يأتلق ويَلمَع.

▫ قوله عليه السلام: **وَقَلَّ صِبْغٌ إلاَّ وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ، وَعَلاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ وَبَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ...**

أي وقلّما يوجد صبغ في العالم إلّا وقد أخذ الطّاوس منه بقِسطٍ وسهم وزاده بكثرة صقاله وبريق لَمعانه وحُسنه وبعبارةٍ أُخرىٰ أخَذَ من كلّ صبغ قِسطاً مع هذه الزّيادات المذكورة بحسب الكَيفيّة فهو واجد لكلّ الأصباغ الكاملة الشّاملة.

▫ قوله عليه السلام: **فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ وَلاَ شُمُوسُ قَيْظٍ...**

فالطّاوس كالأزاهير المَبثُوثة المُتفرّقة المُتشتّتة لم تُربّها أمطار رَبيع ولا شموس قَيظ وهذا هو الفرق بينه وبينها حيث إنّ الأزاهير لا تُوجد بغير الأمطار والشّموس وهو ظاهر والجَمع في الشّموس مع أنّ الشّمس واحدة بإعتبار طلُوعها كلّ يوم علىٰ الأزاهير.

▫ قوله عليه السلام: **وَقَدْ يَتَحَسَّرُ مِن رِيشِهِ، وَيَعْرىٰ مِن لِبَاسِهِ، فَيَسْقُطُ تَتْرىٰ، وَيَنْبُتُ تِبَاعاً...**

أي وقد يَتعرّىٰ من ريشه ويَعري لباسه الّذي ألبسه الله به فيَسقط ذلك اللباس سقوط أوراق الأشجار وذلك في الخَريف تَترىٰ أي شيئاً فشيئاً وينبت بعد ذلك تباعاً من غير فترة السّقوط والنّبت.

▫ قوله عليه السلام: **فَيَنْحَتُّ مِن قَصَبِهِ انْحِتَاتَ أَوْرَاقِ الْأَغْصَانِ، ثُمَّ يَتَلاحَقُ نَامِياً حَتّىٰ يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ...**

أي فيسقط وينقشر من قصب الطّاوس كما تنحتّ أوراق الأغصان في

ظُنبُوبَ سَاقِهِ صِيصِيةٌ خَفِيَّةٌ...

علّل عليه السلام ما ذكره فيه من العَويل وقال لأنّ قوائمه ورجليه حمش دقاق كقوائم الدّيكة الخِلاسيّة بكسر الخاء وهي المتولّدة بين دُجاجتين هندية وفارسيّة وإنّما قال عليه السلام ذلك لأنّ قوائم الدّيكة الخَلاسيّة قَبيحة سَيّئة المَنظَر وقد نجمت من ظنبوب ساقه أي من صرف عظمه الأسفل صيصية وهي من شوكةٍ تكون في الرّجل ولا سيّما رجل الدّيك كما هو المشاهد المحسُوس.

وحاصل المراد أنّ الطاوس مع جماله وحُسنه من جميع الجهات كما عرفت له قوائم قَبيحة بحيث إذا رَمَىٰ ببَصَره إليها صاحَ معولاً فسجان الّذي خلقه هكذا لئلا يَمشي مَشي الفَرِح المُختال.

▫ قوله عليه السلام: **وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنزُعَةٌ خَضراءُ مُوَشَّاةٌ، وَمَخرَجُ عُنقِهِ كَالإبْرِيقِ...**

عُرف الدّابة شعر عُنُقه والمعنىٰ أنّ له في عُرفه قنزعة وخصلة من الشَّعر منقوشة ومخرج عنق الطّاوس كالإبريق أي كمَحَلّ خروج عنق الإبريق ووجه الشّبه ظاهر.

▫ قوله عليه السلام: **وَمَغْرِزُهَا إِلَىٰ حَيْثُ بَطْنِهِ كَصِبْغِ الْوَسْمَةِ الْيَمَانِيَّةِ، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآتاً ذَاتَ صِقَالٍ...**

أي وموضعها الّذي غرز فيه العُنُق مُنتهياً إلىٰ مكان البَطن لَونه كلَون الوَسمة اليمانيّة وهي نَباتٌ يخضب به أو هي نبات النيل الّذي منه صِبغ النّيلج المعروف بالنّيلة.

أو كحَريرة ملبسة مرآتاً ذات صقالٍ في لونها المخصوص.

▫ قوله عليه السلام: **وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ إلاّ أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ...**

أي وكأنّه مُكتسي ومَستُور بثوب كالعصابة ذي سَحم وسَواد إلا أنّ الطّاوس يخيّل أو أنّ الإنسان النّاظر إليه يُخيّل ، مَعلُوماً ومَجهُولاً، لكثرة مائه وشِدّة بريقه ولمعانه أنّ الخضرة النّاضرة مُمتزجة به وليس كذلك واقعاً.

الفاء للتّفريع أي إذا كان الأمر على هذ المنوال فسُبحان الّذي بَهر العقول أي قَهرها فردّها عن وصف خلق جَلّاه وكشفه للعيون النّاظرة إليه فأدركته العقول محدوداً مكوّناً ومؤلّفاً من الأجزاء ومُلوّنا بالألوان.

▫ قوله ﷺ: **وَأَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ...**

أي وأعجز الله الألسن عن تلخيص صفة الطّاوس وتأدية نعته والفرق بين النّعت والصّفة قد مرّ ذكره في المُجلّد الأوّل وحاصله أنّ النّعت كثيراً ما يستعمل للوصف بما حَسُن وطابَ والوصف ليس كذلك فإنّه يُستعمل في الحسن والقبيح وتفصيله يطلب ممّا مرّ وحاصل الكلام أنّ الألسُن قد عَجَزت عن بيان صفاته الحَسَنة والقبيحة وكلّت عن تأدية أوصافه ونعُوته الجَميلة الحَسَنة.

▫ قوله ﷺ: **وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ وَالْهَمَجَةِ إِلَىٰ مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحِيتَانِ وَالْفِيَلَةِ...**

الواو للعطف أي وسُبحان الله الّذي أدَمج وأحكم قوائم الذَرّة وهي صغار النّمل والهَمجَة محرّكة واحدة الهِمَج ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم وقوائمها أرجلها والإدماج الإيداع والمعنى أودَع، وقيل الأحكام والمآل واحد وخلاصة المعنى أنّه تعالى أودَع وأحكم أرجُل الذَرّة والهَمجَة إلى ما فَوقهما من الحيوانات الكبار أمثال الحيتان والأفيلة، جمع فيل وفي بعض النّسخ والفِيلة.

▫ قوله ﷺ: **وَوَأَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَن لَا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ إِلَّا وَجَعَلَ الْحِمَامَ مَوْعِدَهُ وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ...**

أي ووعَد الله على نفسه أن لا يَضطرب شَبَح ولا يَتحرّك شَخص ممّا أولج وأدخل فيه الرّوح إلّا وجَعل الحمام والمَوت موعده والفناء غايته ومقصده كما قال تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾(1) وإنّما قال ﷺ والفناء غايته ولم يقل والعدم تبعاً للآية وطبقاً للأُصول العقليّة من أنّ

1- الرحمن ـ 27/ 26

الأشجار ثمّ يتلاحق نامياً حتّىٰ يَعُود كما كان قبل السّقوط وذلك في فصل الرّبيع.

▫ قوله ﷺ: **لاٰ يُخٰالِفُ سٰالِفَ أَلْوٰانِهِ، وَلاٰ يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكٰانِهِ...**

أي لا يخالف لون ريشه الثّاني لون سابقه ولا يَقع لون الثّاني في غير مكانه الأوّل والحاصل أنّ الرّيشَين واحد لا فرق فيهما إلّا بحسب الزّمان فيقال ريش الأوّل وريش الثّاني وهو يدلّ علىٰ كمال قُدرة الخالق وأنّ الأُمور بيده.

▫ قوله ﷺ: **وَإِذٰا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِّن شَعَرٰاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَّ رْدِيَّةً، وَّتٰارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً، وَّأَحْيٰاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً...**

التَّفحُص التَّجسُّس أي إذا تجسّستَ وتحقَّقت شعرةً من شعرات قَصب الطّاوس أرتك الشَّعرة حُمرة ورِديّة أي تَراها هكذا وتارةً خُضرة زبَرجَديّة أي تراها بهذ اللّون وأحياناً صُفرة عَسجُدية أي تراها مُصفَرة والحاصل أنّ الشَّعرة تتغيّر بحسب اللّون في النَّظر وهو عَجيب.

▫ قوله ﷺ: **فَكَيْفَ تَصِلُ إِلىٰ صِفَةِ هٰذٰا عَمٰائِقُ الْفِطَنِ، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرٰائِحُ الْعُقُولِ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوٰالُ الْوٰاصِفِينَ...**

أي إذا عرفت ما ذكرناه من أوصاف الطّاوس والأسرار العَجيبة المُودَعة فيه كمّاً وكيفاً ولَوناً وشكلاً وحالةً وخِلقةً فقد علمت أنّه لا يمكن الوصول إلىٰ صفة هذا الحيوان فكيف تصل إليها عمائق الفطن العقيمة الّتي من شأنها إدراك حقائق الأشياء علىٰ ما هي عليه أو كيف تبلغه العقول بجودة القريحة أو كيف تستنظم وصفه أقوال الواصفين له في تعاريفهم.

▫ قوله ﷺ: **وَأَقَلُّ أَجْزٰائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهٰامَ أَن تُدْرِكَهُ، وَالْأَلْسِنَةَ أَن تَصِفَهُ...**

الواو للحال أي والحال أنّ أقلّ أجزاء الطّاوس وهو الشَّعرة مثلاً قد أعجز الأوهام أن تُدركه وأعجز الألسِنَة أن تَصفه وإذا كان أقلّ أجزائه هكذا فما ظنّك بالكلّ.

▫ قوله ﷺ: **فَسُبْحٰانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ عَنْ وَّصْفِ خَلْقٍ جَلاّٰهُ لِلْعُيُونِ فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُّكَوَّناً، وَّمُؤَلَّفاً مُّلَوَّناً...**

▫ قوله ﷺ: **وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا...**

الكبائس بفتح الكاف جمع الكبائسة وهي الغدق وهو من النّخل كالعنقود من العِنَب والمعنىٰ أنّ كبائس اللؤلؤ الرّطب في عساليجها أي فروعها وأفنانها أي أغصانها مُعلّقة فثَمَرة أشجار الجَنّة اللّؤلُؤ الرّطب أُعدّت للمُتّقين.

▫ قوله ﷺ: **وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةٍ فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا، تُجْنَىٰ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ، فَتَأْتِي عَلَىٰ مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا...**

ثُمّ بَيّن ﷺ كَيفيّة ظهور الأثمار في أشجار الجنّة وقال: طلوع الثّمار مُختلفة لا متّحدة بالجنس والنّوع فمنها العنب ومنها الرّمان ومنها التفّاح ومنها الرّطب وغير ذلك من أنواع الفواكه والعجب أنّ الشّجرة الواحدة لها أثمار مختلفة وقوله ﷺ: **فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا**، غُلُف بضمّتين جمع غلاف، والأكمام جمع كِم بكسر الكاف وهو وعاء الطّلع وغطاء النّوار والمعنىٰ أنّ الثّمار في غُلُف الأكمام مختلفة فقوله ﷺ: **فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا**، الجار والمجرور متعلّق بقوله ﷺ: **مُخْتَلِفَةٍ**لا بقوله ﷺ: **وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ**، ضرورة أنّ الطّلوع بمعنىٰ الظّهور وهو لا يتحقّق إلّا بعد خروجها عن غُلُف الأكمام، وإلّا لا يقال ظَهر أو طَلَع فالمعنىٰ ظهور تلك الثّمار مختلفة وهذا الإختلاف يكون في الغلاف وبعبارة أُخرىٰ هذه الثّمار مادام كونها في غُلُف الأكمام مختلفة هذا إذا حملنا الطّلوع في قوله ﷺ علىٰ الطّلوع الخارجي أعني الظّهور في خارج الغُلُف كما هو الظّاهر بحسب فهم العرف.

وأمّا إذا قلنا بأنّ الطّلوع عبارة عن وجود الثّمرة ولو في غُلُف الأكمام فالمعنىٰ أنّ الطّلوع فيها مختلفة وعليه فالظّرف مُتعلّق بالطّلوع.

وقوله ﷺ: **تُجْنَىٰ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ** معناه أنّه لا مشقّة ولا تكلّف في الوصول إليها والإستفادة بها ولهذا قال ﷺ فتأتي أي الثّمار علىٰ مُنية مُجتنيها وآخذها ويظهر من العبارة أنّ المشتهي كلّما أراد ثَمرةً من الثّمار فهي عنده حاضرة ولا يحتاج إلىٰ القيام والقعود والصعود علىٰ الشجرة لإجتناء ثَمرتها فإنّ: **﴿فِيهَا مَا**

الموجود لا يعدم أصلاً.

منها: أي من الخطبة ما ذكره في صفة الجنّة:

▫ قوله عليه السلام: **فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَرَفَتْ نَفْسُكَ...**

إنّما قال عليه السلام: ببصر قلبك ولم يقل ببَصرك لأنّ الجنّة لاترىٰ بالبصر الظّاهر ولهذا سُميّت الجنّة بها فإنّها مَستُورة عن الحواسّ أو لكونها مستورة بالأشجار الموجودة فيها، وكيف كان فالمعنىٰ أنّك لو رميتَ ونظرت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك من الجنّة في الآيات والأخبار لغرفت وأعرضت نفسك وقيل لكرهت نفسك من أُمور ذكرها عليه السلام بقوله:

▫ قوله عليه السلام: **عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِـهَا وَزَخَـارِفِ مَنَاظِرِهَا...**

بدائع جمع بديعة والمعنىٰ أنّك لو رميتَ ببصر قلبك إلىٰ آخر ما ذكره عليه السلام لكَرهَت وأعَرَضت نفسك من بدائع ما أُخرج إلىٰ الدّنيا من شهواتها ولذّاتها وزخارف مناظرها وذلك لأنّها فانية داثرة لا بقاء لها وما كان كذلك لا يُعبأ به عند العقلاء فإنّها﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾(١)

▫ قوله عليه السلام: **وَلَذَهَلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِـي كُـثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَىٰ سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا...**

الواو للعطف أي ولذَهَلت نَفسك من شِدّة الشّوق إليها بسبب الفكر والتَدبّر في إصطفاق أشجار الجنّة الّتي غيّبت عروقها وأُصولها في كثبان المِسك بَدل الرّمل والأصل في إصطفاق الأشجار تضارب أوراقها بالنّسيم بحيث يسمع لها صوت، والكثبان بضَمّ الكاف والثاء المثلّثة جمع كثيب وهو التّل، وحاصل ما أفاده عليه السلام في وصغ الجنّة هو إصطفاق أشجارها وغيبة عروقها في كثبان المسك لا في كثبان الرّمل كما في أشجار الدّنيا وأنّ الأشجار علىٰ سواحل أنهار الجنّة.

١- النور- ٣٩

عند العرفاء أنّ الجنّة مع قطع النظر عن كونها منازل الأبرار لا وقع لها عند الأبرار وفي قوله عليه السلام: برحمته، إشارة إلى أنّ الوصول إلى هذا المقام بلطفه ورحمته تعالى إذ لو لا رحمته وعنايته لصار الأمر صَعباً ونحن نقول آمين.

تذكَرة: قد وعَدنا الإشارة إلى بعض ما ورد في وصَف الجنّة وما فيها من الآيات ونحنُ نشير إليه ونُذيله بذكر بعض الأخبار الورادة في المقام تَيمُّناً وتَبرّكاً فنقول.

أمّا الآيات فمنها قوله تعالى: **﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**(1)

و: **﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ، وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ، لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ، نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾**(2)

و: **﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً﴾**(3)

و: **﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّاً﴾**(4)

و: **﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ، هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ، لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ، سَلَامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾**(5)

و: **﴿إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ، أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ، فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ، يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ، بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ، وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ،كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾**(6)

و: **﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ،وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، لَكُمْ فِيهَا**

١- الزخرف ـ ٧٢
٢- الحجر ـ ٤٥ الى ٥٠
٣- الكهف ـ ٣١
٤- مريم ـ ٦٣
٥- يس ـ ٥٥ الى ٥٨
٦- الصافات ـ ٥٠ = ٤٠

تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾.

▫ قوله عليه السلام: **وَيُطَافُ عَلَىٰ نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ...**

أي ويطاف علىٰ نُزّال الجنّة في أفنية قصورها بالأعسال المُصفّاة والخمور المتَصفَّة بالصّفاء، والتّصفيق تحويل الشّراب من إناءٍ إلىٰ إناءٍ لِتَصفُو، والرّواق الصافي منه وفي قوله عليه السلام: **وَيُطَافُ** بصيغة المجهُول إشعار بأنّ الملائكة يطُوّفونهم إذ لو طافوا بأنفسهم لينبغي أن يقال يَطُوفُون فيها وما ذكره في المقام قد صَرّحت الآيات به وستأتي الإشارة إلىٰ شطرٍ منها.

▫ قوله عليه السلام: **قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكِرَامَةُ تَتَمَادىٰ بِهِمْ حَتّىٰ حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ، وَآمِنُوا نُقْلَةَ الْأَسْفَارِ...**

قوله عليه السلام: (قوم) خبر والمبتداء محذوف والتقدير، هُم قوم لم تزل الكرامة تتمادىٰ بهم، أي الكرامة لهم ثابتة باقية مُمتدّة حتّىٰ حَلّوا ونزلوا دار القرار وآمنوا نقلة الأسفار أي من مشقّة الأسفار أو من إنتقالها والمراد بالأسفار العوالم بعد الموت ولا شكّ أنّ مكارهها وشدائدها كثيرة موحشة والأمن منها مطلوب محبُوب لكلّ أحد فمن حلّ دار القرار وأمن فيها فقد فاز فوزاً عظيماً.

▫ قوله عليه السلام: **فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلىٰ مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمُونِقَةِ لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هٰذَا إِلىٰ مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالاً بِهَا...**

أي لو توجّهت إلىٰ ما ذكر في وصف الجنّة وما أعدّه الله للمتّقين فيها وأخبرهم به في الآيات من تلك المناظر المُونقة المُعجبة فيها لَزهقت وبطلت نفسك وهو كناية عن المَوت شَوقاً إليها ولتَحمّلت وإرتحلت من مجلسي هذا إلىٰ مجاورة أهل لقبور إستعجالاً بها أي بتلك المناظر.

▫ قوله عليه السلام: **جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُم مِمَّنْ يَسْعىٰ بِقَلْبِهِ إِلىٰ مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ...**

ثمّ دعاء عليه السلام له ولهم وقال: (جَعلنا الله إلىٰ آخر كلامه وتَخصيصه عليه السلام منازل الأبرار بالذكر دليل علىٰ أنّها من أعلىٰ المقامات في الجنّة وهو كذلك بل الحقّ

أدخلني الجنّة ونجّني من النار،

قال أبو بصير فبكيت وقلت له جعلت فداك زدني قال يا أبا محمّد إنّ في الجنّة نهراً في حافّتيها جوار نابتات إذا مَرَّ المؤمن بجارية أعجبته قلعها وأنبت الله مكانها أُخرىٰ قلت جعلت فداك زدني قال المؤمن يُزوّج ثمان مِائة عذراء وأربعة آلاف ثيّب وزوجتَين من الحُور العين قلت جعلت فداك ثمان مِائة عَذراء ؟ قال: نعم ما يفترش منهنّ شيئاً إلّا وجدها كذلك قلت جعلت فداك من أيّ شئ خلقن الحور العين ؟ قال: من تربة الجنّة النُورانيّة ويُرىٰ مخّ ساقيها من وراء سَبعين حلّة كبدها مرآته وكبده مرآتها ، قلت جعلت فداك أَلَهُنَّ كلام يَتَكلَّمن به في الجنة ؟ قال نعم كلام يتكلّمن به لم يسمع الخلائق بمثله ، قلت ما هو ؟ قال يقلن نحن الخالدات فلا نموت ونحن النّاعمات فلا نيأس ونحن المُقيمات فلا نَظعَن ونحن الرّاضيات فلا نسخط طوبىٰ لمن خلق لنا وطوبىٰ لمن خلقنا له نحن اللّواتي لو أنّ قرن إحدانا علّق في جوّ السماء لأغشىٰ «نوره الأبصار ص ٢٠٧ وتفسير القمّي ص ٢٣٨»...

وروي عن أمالي الصدوق عن أبي بصير عن الصادق عن آبائه قال قال أمير المؤمنين عليه السلام: طوبىٰ شجرة في الجنّة ، أصلها في دار النبي صلى الله عليه وآله وليس من مؤمن إلّا وفي داره غصن منها ، لا تخطر علىٰ قلبه شهوة شئ إلّا أتاه به ذلك الغصن ، ولو أنّ راكباً مُجدّا سار في ظِلّها مِائة عام ما خرج منها، ولو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها حتّىٰ يَسقط هرما (هوما) ألا ففي هذا فارغبوا انتهىٰ «ص ٢٠٧ الأمالي»...

أقول: وقد أومأنا إلىٰ بعض الأخبار الواردة في أوصاف الجنّة فيما مضىٰ والأخبار فيها فوق حدّ الإحصاء من طرق العامّة والخاصّة ونحن نكتفي في المقام بما ذكرناه حذراً عن الإطالة وخوفاً من الملالة ومن أراد الإطّلاع علىٰ تفصيل الكلام فيها وما ورد من الأخبار في أوصافها فعليه بالبحار وغيره من المطوّلات والحمد لله ربّ العالمين.

فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (١)

و: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ، فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ، كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ، يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ (٢)

و: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ (٣)

و: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ (٤)

و: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ (٥) والآيات كثيرة.

ومن الأخبار:

ما رواه في تسلية الفؤاد عن تفسير علي ابن إبراهيم عن أبي بصير قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك يابن رسول شوّقني فقال: يا أبا محمّد إنّ الجنّة يوجد ريحها من مسيرة ألف عام من مسافة الدّنيا وإنّ أدنى أهل الجنّة منزلا لو نزل به الثّقلان الجنّ والإنس لوسَعَهم طعاما وشرابا ولا ينقص مما عنده شيئ وإنّ أيسر أهل الجنّة مَنزلا من يدخل الجنّة فيرفع له ثلاث حدائق فإذا دخل أدناهنّ رأى فيها من الأزواج والخِدم والأنهار والأثمار ما شاء الله فإذا شكر الله وحمده قيل له إرفع رأسك إلى الحَديقة الثّانية ففيها ما ليس في الأولى فيقول يا ربّ أعطني هذه فيقول لِعَلي إن أعطيتك إيّاها سألتني غيرها فيقول ربّ هذه هذه فإذا هو دخلها وعظمت مسرّته شكر الله وحمده قال فيقال إفتحُوا له باب الجنّة ويقال له إرفع رأسك فإذا قد فتح له باب من الخلد ويرى أضعاف ما كان فيما قبل فيقول عند تضاعف مسرّاته ربّ لك الحمد الذي لا يحصى إذ مننت علي بالجنان ونجّيتني من النيران فيقول ربّ

١- الزخرف ـ ٧١ الى ٧٣
٢- الدخان ٥٦ =٥١
٣- الواقعة ـ ١٠ الى ١٦
٤- الطّور ـ ١٨ الى ٢٠
٥- الطّور ـ ٢٢ الى ٢٥

◁ اللغة

(لِيَتَأَسَّ) التأسّي الإقتداء والإتّباع (لْيَرْأَفْ) من الرّأفة وهي الشّفقة والرّحمة (كَجُفَاةِ) بضمّ الجيم جمع الجافي وهو الظالم (كَقَيْضِ) بفتح القاف وسكون الياء القشرة العليا اليابسة على البيضة (أَدَاحٍ) جمع أُدحىٰ بالضمّ وقد يكسر وهو الموضع الّذي تبيض فيه النّعامة وتفرّخ (وِزْراً) بكسر الواو الوبال والإثم (حِضَانُهَا) بكسر الحاء يقال حَضِن الطائر بَيضه إذا ضمّه إلىٰ نفسه تحت جناحه للتفريخ (قَزَعُ الْخَرِيفِ) القَزع مُحرّكاً القِطَع المُتفرّقة من السّحاب واحدته قَزَعة بالتحريك (كَرُكَامِ السَّحَابِ) والركام السّحاب المُتراكم (مُسْتَثَارِهِمْ) موضع إنبعاثهم (كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ) أي سَيل العرم الّذي عاقب الله به قوم سَبأ (قَارَّةٌ) كالقرارة ما إطمأنّ من الأرض (أَكَمَةٌ) مُحرّكة غليظ من الأرض يرتفع عمّا حواليه (رَصُّ طَوْدٍ) الرصّ بفتح الرّاء يراد به الإرتصاص وهو الإنضمام والتّلاصق (والطّود) بفتح الطاء المشدّدة الجبل العظيم (حِدَابُ) بكسر الحاء جمع حَدَب بالتّحريك ما غَلُظ من الأرض في إرتفاع (يُذَعْذِعُهُمْ) أي يفرّقهم (بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ) كناية عن مسالك الإختفاء (الْأَلْيَةُ) الشّحمة (التّيهُ) الحيرة (الْفَادِحَ) الثقيل:

◁ المعنىٰ

(لِيَتَأَسَّ) وليقتد (صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ) في الدّين والدّنيا (وَلْيَرْأَفْ) وليرحم (كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ، وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ) وطُغاتهم (لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ ،وَلَا عَنِ اللهِ يَعْقِلُونَ، كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ) أي كالقشرة اليابسة على البيضة الّتي في أداح أعني الموضع الّذي تبيض فيه النّعامة (يَكُونُ كَسْرُهَا) أي كسر البيضة (وِزْراً) وإثماً (وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا) أي ما فيها (شَرّاً) إذ يخرج منها أفعيّاً قاتلاً (افْتَرَقُوا) أي الناس (بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ) في حياة الرسول (وَتَشَتَّتُوا) وتفرّقوا (عَنْ

ومن خطبة له عليه السلام (١٦٥)

□ لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ، وَلْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ، وَلاَ تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ: لاَ فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ، وَلاَ عَنِ اللهِ يَعْقِلُونَ، كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ، يَكُونَ كَسْرُهَا وِزْراً، وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرّاً.

ومنها

اِفْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ، فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ، عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ، يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ. ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَاباً يَسِيلُونَ مِن مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ وَلاَ حِدَابُ أَرْضٍ، يُذَعْذِعُهُمُ اللهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ يَأْخُذُ بِهِمْ مِن قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ، وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ، وَأَيْمُ اللهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ كَمَا تَذُوبُ الأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ، لَمْ يَطْمَعْ فِيكُم مَّنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَن قَوِيَ عَلَيْكُمْ. لٰكِنَّكُمْ تُهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِن بَعْدِي أَضْعَافاً بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الأَدْنَىٰ، وَوَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ!! وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ سَلَكَ بِكُم مِّنْهَاجَ الرَّسُولِ، وَكُفِيتُم مَؤُونَةَ الاِعْتِسَافِ، وَنَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفَادِحَ عَنِ الأَعْنَاقِ.

◁ **الشرح**

▫ قوله ﷺ: **لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ، وَلْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ...**

المراد بالصغير والكبير إمّا معناهما بحسب اللغة أو بحسب العرف الخاصّ أعني الشّريعة المُقدّسة فعلىٰ الأوّل معنىٰ العبارة أنّه ينبغي الإقتداء والإتّباع في جميع الأُمور لمن كان أصغَر سنّاً ممّن كان أكبَر سنّاً منه وإن بلغا في السنّ ما بلغا فمن بلغ سنّه عشرين مثلاً يقتدي بمن بلغ ثلاثين وهو بمن بلغ أربعين وهكذا وعلىٰ الثاني معنىٰ العبارة أنّ من لَم يُبلغ الحلم أو لم ينبت الشعر، ينبغي له الإقتداء في أُموره بمن كان مكلّفاً شرعاً والوجه في التأسّي ظاهر في المقامين فإنّ الأكبر يكون أصلح وأكمل وأعرف بالأُمور غالباً من الأصغر ولا سيّما في الأُمور الإجتماعية المُبتنية علىٰ التّجربة والتّمرينات كثيراً ومن المعلوم أنّ هذا الحكم في جميع المصاديق لا يجري إذ ربّ صغيرٍ هو أعقَل وأفضَل من الكبير بحيث ينبغي إقتداء الكبير به ولا سيّما إذا حملنا هما علىٰ المعنىٰ اللّغوي فلا دليل علىٰ لزوم التأسّي في الصغير مطلقاً اللّهم إلّا أن يقال إنّ الحكم بإعتبار الأغلب أو أنّ الحكم إرشاديّ مَحضٌ بمعنىٰ أنّ حفظ النظم يقتضي ذلك وفي المقام إحتمال ثالث وهو أنّه لا يبعد أن يكون صدور هذا الكلام منه ﷺ بالنّسبة إلىٰ الجنود فإنّ حفظ المراتب فيها ممّا لا محيص عنه كما هو واضح إذ لو لم يتأسّ الصغير بالكبير في الغزوات والحُروب يلزم التفرّق والتشتّت وإختلاف الكلمة وهو يوجب غلبة الأعداء وإستيلائهم وحاصل الكلام أنّ هذا الحكم لابدّ لنا من أن نخصّصه في بعض الموارد والحاكم به العقل ألاترىٰ أنّ الرسول ﷺ أمّر علىٰ الجيش أُسامة ابن زيد وهو كان أصغَر سنّاً من أكثر أفراد الجيش ومع ذلك قال ﷺ: **لَعن الله مَن تَخلّف عن جَيش أُسامة** نعم لو قلنا بأنّ المراد بالصغير معناه المصطلح عند المُتشرّعة فقط أعني من لم يبلغ الحلم فله وجه ولكنّه بعيد غاية البعد وهكذا الكلام في

أَصْلِهِمْ، فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ) من أغصان الشّجرة أعني شَجَرة الرسالة أو شَجرة الدين (أَيْنَما مٰالَ) الغُصن (مٰال مَعَهُ) مع الغصن (عَلىٰ أَنَّ اللهَ تَعالىٰ سَيَجْمَعُهُمْ) أي الناس بعد تفرّقهم (لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَني أُمَيَّةَ) فيكون إجتماعهم على الباطل (كَمٰا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ) أي السحاب في الخريف (يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكٰاماً كَرُكٰامِ السَّحٰابِ) أي كالسحاب المتراكم (ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوٰاباً يَسِيلُونَ مِن مُسْتَثٰارِهِمْ) أي موضع ثَورانهم وهيجانهم (كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ) اللّتين أخبر الله بهما في كتابه العزيز كما ستعرفه (حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قٰارَّةٌ) أي جبل (وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ) ولا تَل (وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ) أي جَبَل مرصُوص (وَلاٰ حِدٰابُ أَرْضٍ) أي الأراضي الغليظة المُرتفعة (يُذَعْذِعُهُمُ اللهُ) ويُفرّقهم (فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ) ومسالك الإختفاء (ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنٰابِيعَ فِي الْأَرْضِ يَأْخُذُ بِهِمْ مِن قَوْمٍ) ظالمين (حُقُوقَ قَوْمٍ) مظلومين (وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيٰارِ قَوْمٍ ،وَأَيْمُ اللهِ) واُقسم به (لَيَذُوبَنَّ مٰا فِي أَيْدِيهِمْ) أي بنيّ اُميّة أو بني العبّاس (كَمٰا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ عَلَى النّٰارِ أَيُّهَا النّٰاسُ ،لَوْ لَمْ تَتَخٰاذَلُوا) ولَم تقعدوا (عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ وَلَمْ تَهِنُوا عَن تَوْهِينِ الْبٰاطِلِ، لَمْ يَطْمَعْ فِيكُم مَّن لَيْسَ مِثْلَكُمْ) في الدّين (وَلَمْ يَقْوَ مَن قَوِيَ عَلَيْكُمْ، لٰكِنَّكُمْ تُهْتُمْ مَتٰاهَ بَنِي إِسْرٰائِيلَ) وتَحيّرتم مثل تحيّرهم (وَلَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ) أضعافاً (لَكُمُ التِّيهُ) والحَيرة (مِن بَعْدِي أَضْعٰافاً) مضاعفة (بِمٰا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرٰاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الْأَدْنىٰ) أي العترة (وَوَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ) من الغاصبين الظالمين (وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِن اِتَّبَعْتُمُ الدّٰاعِيَ) أراد به نفسه الشريفة (لَكُمْ سَلَكَ) الدّاعي (بِكُم مِّنْهٰاجَ الرَّسُولِ) وطريقه (وَكُفِيتُم مُّؤُونَةَ الْاِعْتِسٰافِ) في طريق الضلال (وَنَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفٰادِحَ عَنِ الْأَعْنٰاقِ) أي الأثم والعذاب في الآخرة:

واستعار لفظ الأداحي للإعشاس مجازاً لأنّ الأداحي لا تكون إلّا للنعام تدحوها بأرجلها وتبيض فيها ودحوها توسيعها من دحوت الأرض انتهىٰ.

أقول: وجه الشبه هو عدم العلم بحقيقة الحال فكما أنّ كاسر البيض لعدم علمه بأنّها بيض النعام أو بيض الأفاعي يكون حيراناً في كسرها وعدمه فإن كسرها يمكن أن يكون آثماً فيه وإن لم يكسرها يخرج حضانها شرّاً فإنّ بيض الأفاعي لا يخرج منها إلّا الأفعي وهو شرّ أعني شرّه غالب علىٰ خيره لا أنّه شرّ محض فإنّه لم يوجد ولن يوجد أصلاً.

فكذلك من لم يتفقّه في دينه ولم يعرف الله حقّ معرفته فهو كالبيض الّتي توجد في الأداحي من جهة عدم العلم بحاله واقعاً فإنّه مسلم ظاهراً ومنافق واقعاً فقتله يكون إثماً لأنّ القاتل قتل مسلماً ظاهراً وحِضانه أي إبقائه يكون شرّاً لأنّه ليس بمسلم واقعاً وإذا كان كذلك فيَصير الإنسان حيراناً وليس كذلك الأمر في المسلم الحقيقي المُتفقّه في دينه فإنّ حضانه لا يكون إلّا خيراً.

▫ قوله ﷺ: **اِفْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ، فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ...**

قال المعتزلي هو ﷺ يذكر حال أصحابه وشيعته بعده إفترقوا بعد أُلفتهم أي بعد إجتماعهم وتَشَتّتوا عن أصلهم أي عنّي بعد مفارقتي، فمنهم آخذ بغُصن أي يكون منهم من يتمسّك بمن أُخلّفهُ بعدي من ذُرّية الرسول أينما سَلَكُوا سَلَكوا معهم وتقدير الكلام ومنهم من لا يكون هذه حاله لكنّه لم يذكره ﷺ إكتفاء بذكر القسم الأوّل لأنّه دالّ علىٰ القسم الثّاني انتهىٰ.

وقال الخوئي ﷺ بما قاله المعتزلي في الجملة الأُولىٰ أعني قوله ﷺ: (اِفْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ) وهكذا في سائر الجمل إلّا أنّه قال في شرح قوله ﷺ: (وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ) توضيحاً لما أفاده المعتزلي ما هذا لفظه: أي تفرّقوا عن إمام الحقّ الّذي يحقّ الإئتمام به فصار بعضهم كيسانيّاً وبعضهم زيديّاً وبعضهم فطحيّاً وغيرها انتهىٰ.

قوله عليه السلام: وَلْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ من حيث المراد بهما إلّا أنّ الأمر فيه سهل بل لا إشكال فيه أصلاً من حيث الرّأفة وذلك لأنّها مطلوبة مَمدوحة علىٰ كلّ حال بخلاف التأسّي كما عرفت وبعبارةٍ أُخرىٰ تأسّي الصغير بالكبير علىٰ إطلاقه ممنوع وأمّا رأفة الكبير لِلصّغير علىٰ إطلاقه صحيح.

▫ قوله عليه السلام: **وَلاَ تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ: لاَ فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ، وَلاَ عَنِ اللهِ يَعْقِلُونَ...**

ثمّ خاطبهم وقال لهم: لا تكونوا كجُفاة الجاهليّة القاسيّة قلوبهم لا في الدين تَفقّهون أي لا بَصيرة لهم في الدين ولا معرفة لهم بالله تعالىٰ ومن كان كذلك فهو أعرابي وإلىٰ هذ المعنىٰ أشار الصادق حيث قال عليه السلام: **تفقّهوا في الدين فإنّ من لم يتفقّه منكم في الدّين فهو أعرابي...**

▫ قوله عليه السلام: **كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ، يَكُونَ كَسْرُهَا وِزْراً، وَيَخْرُجُ حِضَانُهَا شَرّاً...**

الكاف للتشبيه، شبّه عليه السلام المنافقين من أصحابه الّذين لَم يَتفقّهوا في الدين بقيضٍ بيضٍ في أداح أعني القشرة البيض العليا اليابسة وقيل الّتي خرج ما فيها من فَرخ يكون كسرها أي كسر البيض وِزراً وإثماً يخرج حضانها وطائرها شرّاً واختلف كلامهم في وجه الشُّبه:

فقال المُعتزلي وجه الشبه أنّها إن كَسرَها كاسر آثِم لأنّه يَظنّه بيض النعام وإن لم يكسر يخرج حضانها شرّاً إذ يَخرج أفعياً قاتلاً وإستعار لفظ الأداحي للإعشاش مجازاً لأنّ الأداحي لا تكون إلّا للنِعام هكذا نقله الخوئي رحمه الله في شرحه ونحن نقلناه عنه بعين عباراته وبعد الرجوع إلىٰ شرح المعتزلي رأيت إنّ الخوئي لم ينقل عباراته بعينها بل نقلها بالمعنىٰ ونحن ننقل عبارات المعتزلي بألفاظها إذ من المحتمل لو لا القطع بأنّ مقصوده غير ما فهمه الخوئي من كلامه قال:

ثمّ شبّههم ببيض الأفاعي في الإعشاش يظنّ بيض القطا فلا يحلّ لمن رآه أن يكسره لأنّه يظنّه بيض القطا وحضانه يخرج شرّاً لأنّه يفقص عن أفعي

قالوه ونَبذُوه وراء ظهورهم وتفرّقوا تفرّق أيادي صبا وتمسّكوا بـغصن مـن أعضان شجرة الولاية كالقرآن مثلاً وقـالوا حسـبنا كـتاب الله ولم يـعلموا أنّ الغصن يحرّك لا يستقرّ في مكان واحد فإنّ القرآن له بطن ولبطنه بطن وكلّ يجرّ النار في تفسيره إلىٰ قرصته وينطبق مرامه ومقصده علىٰ ظواهـره وأمّـا الأصل الّذي هو مستقرّ في مكانه لا تحرّكه العواصف والحوادث الواقعة في مجاري الزمان فهو القرآن الناطق أعني الإمام ومع الأسف أنّهم قد تشتّتوا عنه وأخذوا بغصونه من ظواهر الكتاب والصّلاة والصّوم والحجّ وغيرها:

ويوضح هذ المعنىٰ ما رواه غير واحد من أصـحابنا فـي صـحاحهم عـن الصادق عليه السلام أنّه قال: **بُني الإسلام علىٰ خمسٍ علىٰ الصّلاة والصّوم والزّكاة والحجّ والولاية وما نـودي بشـيء كـما نـودي بـالولاية فأخـذوا بـالأربع وتركوها** انتهىٰ وهذا هو الأصل في الإختلاف والإفتراق بعد الرسول صلى الله عليه وآله:

وأمّا قول المعتزلي فمضافاً إلىٰ ما ذكرناه وحقّقناه من أنّه موافق لمـذهبه مخالف لما هو المسلّم عند الخواص بشهادة التاريخ أنّ شيعة أمير المؤمنين عليه السلام لم يتخلّف أبداً من عهد الرسول إلىٰ زماننا هذا والّذي خلط عليه الأمر هو أنّه لم يفهم معنىٰ الشيعة والمراد منها فإنّ الشيعة غير المحبّ والتابع بالمعنىٰ الأعمّ بل الشيعة عبارة عن التابع بالمعنىٰ الأخصّ قولاً وفعلاً وعملاً وعقيدة أمثال سلمان والمقداد وعمّار وأبي ذرّ الغفاري صَعصَعة كُميل وزيـد ابـن صوبان فهؤلاء ونظرائهم كانوا من الشيعة في زمانه ولم يقل أحـد بـالإفتراق والإختلاف فيهم بعد الرسول إلىٰ شهادته عليه السلام وهكذا الكلام في الشّيعة بـعد عليّ عليه السلام إلىٰ زماننا هذا والإخـتلاف فـي الأُمـور الجُـزئيّة الفَـرعيّة ليس مـن الإختلاف في الاصول وقد قال عليه السلام: **وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ**، فالتَشتُّت في الأصل دليل علىٰ أنّ المراد غير الشيعة بل المراد مـن أسّس أسـاس الظُّـلم والجَـور والبِدعة في الإسلام وتَمسّك في دينه بالغُصون الواهية ويزعم أنّه علىٰ طريق الحقّ ولم يعلم أنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيئاً هذا وأمّا تـوضيح البـحرانـي

وقال البحراني في شرحه أيضاً بهذه المقالة إلّا أنه قال هو إفتراقهم إلىٰ خوارج وغيرهم بعد إجتماعهم عليه انتهىٰ ويظهر من كلماتهم إتّفاقهم علىٰ أنّ المراد بقوله ﷺ: **إِفْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ** هو إفتراق شيعته بعد إجتماعهم وتشتّت أصلهم بعد مفارقتهم عنه ﷺ وبعبارةٍ أُخرىٰ أخبر ﷺ بإفتراقهم وتَشَتّتهم في حياته أو بعد مماته بعد إجتماعهم وأُلفتهم في صدر خلافته وبيعتهم إيّاه:

وأنا أقول: أمّا الشارح المعتزلي فلا عجب منه حيث صرف الكلام عن ظاهره وحمله علىٰ مرامه ومذهبه وقال يذكر حال أصحابه وشيعته بعده ولم يقل يذكر حال أصحاب الرسول بعد وفاته ﷺ وذلك لكونه منافياً للإجماع الّذي إدّعاه هو وأمثاله بعد موت الرسول وأنّهم إتّفقوا علىٰ بيعة أبي بكر وبعده لغيره فقال في شرح الكلام ما قال إشعاراً بأنّ الإختلاف والإفتراق إنّما نشأ من خلافة عليّ ﷺ وبيعة الناس له مع أنّ الأمر ليس كذلك:

بل العجب من البحراني والخوئي قدّس سرّهما حيث وافقاه علىٰ هذ الحمل من غير تَعَمُّقٍ ولا تَدَبُّرٍ فيه والّذي يقوي في نفسي هو أنّ كلامه ﷺ هذا إخبار عن أصل الإختلاف والفساد في الأُمّة وأنّه نشأ بعد موت الرسول بتأسيسهم السقيفة وتعيينهم الخليفة فقوله ﷺ: إفترقوا أي الناس بعد أُلفتهم وإجتماعهم ظاهراً في عهد الرسول وتشتّتوا أي تفرّقوا عن أصلهم أي عن دينهم الّذي إرتضاه الله لهم وإرتضوه لأنفسهم، فمنهم أي من الناس من هو آخذ بغصن من أغصان الدين وتارك لأصل الشجرة أينما مال الغصن بسبب الرياح أعني الحوادث مال معه ولم يعلم أنّ حركة الغصن يميناً وشمالاً لا يوجب حركة أصل الشجرة أعني الدين:

ثمّ إنّ لبّ الدين وأصله الولاية إذ الدين مع قطع النظر عن الولاية لا فائدة فيه ولا ثمرة له فالمعنىٰ أنّهم إفترقوا بعد أُلفتهم وإجتماعهم في عهد الرسول في مسألة الإمامة والولاية حيث بايعوني في غدير خمّ عليها وقالوا بخّ بخّ لك يا عليّ أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة وبعد موته ﷺ كأنّهم نسوا ما

فعلىٰ ما ذكرناه يصير المعنىٰ أنّ الله تعالىٰ سَيَجمع هؤلاء المُتفرّقين بعد النّبي بإنكارهم الولاية والإمامة من أهل البيت لِشَرّ يوم لبني أُميّة فيقرّون بإمامتهم وإمارتهم ويَجتمعُون حَول بني أُميّة كما تَجتَمع قزع الخَريف وهذا من العجائب ففي هذا الكلام إشعار بأنّ من لا يقبل الحقّ فهو يقبل الباطل لا محالة لأنّ الأمر يدور مدارهما ولا يخلو منهما لإستحالة إرتفاع النَّقيضين وحيث إنّهم كانوا متفرّقين مختلفين في دولة الحقّ فلا جرم يأتلفون في دولة الباطل بالقَهر والغَلَبة وتَشبيههم بالقزع الخريف أعني السحاب المُتفرّقة الّتي تجتمع في الخريف لا يخفىٰ لطفه فإنّ السحاب المتفرّقة إذا اجتمعت في مكان واحد وأمطرت يجري منه السَيل غالباً وإذا جرىٰ السَّيل فهو يهدم ويخرب ما هو في مسيره وطريقه من غير تفاوت فيه:

وهكذا الناس إذا إجتمعوا علىٰ الباطل توجد من إجتماعهم قدرة مُخرّبة مُهلكة غالبة علىٰ العقل والدّين قاهرة علىٰ الضُّعفاء والمحرومين كما أنّ الإجتماع علىٰ الحقّ يوجب عكسه:

▫ قوله ﷺ: **يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكاماً كَرُكامِ السَّحابِ...**

أي يؤلّف الله بينهم في باطلهم ثُمّ يَجعلهم ركاماً أي مُجتمعاً كمجتمع السحاب المُمطرة المُخرّبة الموحشة وقد أخبر ﷺ بهذه الكلمات عن إجتماع الناس لبني أُميّة بعد شهادته ﷺ هذا:

وأمّا ما ذهب إليه المعتزلي ومن تبعه من الشرّاح فهو أنّه ﷺ قد أخبر بذلك عن إجتماعهم علىٰ إزالة الملك عن بني أُميّة وبني المروان من الشّيعة وغيرها ثمّ أشار الخوئي إلىٰ تجهيز السّفاح عَمّه صالح ابن عليّ وظهور أبي مسلم الخراساني وغيرها من الحوادث فعلىٰ قولهم يحمل قوله ﷺ: **ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكاماً كَرُكامِ السَّحابِ**، علىٰ إجتماعهم في إزالة الملك عن بني المروان،

وأمّا علىٰ مسلكنا فالمراد إجتماعهم حول بني أُميّة لِتَقوية دَولتهم وتشديد صَولتهم فهذ الكلام منه ﷺ تأسّف وتَحسّر في إفتراقهم وتخلّفهم عنه

وتمثيله بالخوارج وهكذا قول الخوئي حيث قال فصار بعفهم كيسانياً وبعضهم زيدياً وبعضهم فَطحياً وغيرها:

فلقائل أن يقول لهما هل الخوارج والكيساني والزّيدي والفَطحي وغيرها كانوا من شيعته ﷺ ثمّ صاروا كذلك أم كانوا من بقايا المُخالفين وأعقابهم وأولادهم وأتباعهم، فإن أجابوا بالثّاني فهو دليل على أنّهما لم يَعرفا الشيعة أيضاً بل حملا لفظها على معناها اللّغوي ليدخل فيه الأشعث وابن ملجم وغيرهما من الخوارج والكَيساني والزّيدي والفَطحي، مع أنّهم لم يكونوا من الشّيعة أصلاً وإن قالوا بالأوّل فهو المطلوب هذا كلّه مضافاً إلى أنّه ﷺ قد أخبر عمّا مضى وقال (إفترقوا) بضيغة الماضي ومن المعلوم أنّ الكيساني والفَطّحي والزّيدي وغيرها إنّما وجدوا بعد موته ﷺ فلو كان المراد ما ذكره الخوئي لينبغي أن يقال (ستَفتَرق) مثلاً وبعبارةٍ أُخرى كلامه ﷺ ناظر إلى الماضي أو الحال وأمّا الإستقبال فلا دليل عليه:

وأمّا إستدلال المعتزلي ومتابعتهما له على مُدّعاه بقوله ﷺ: **فمنهم آخذ الخ**، بتقريب أنّ المتمسّك بمن أُخلّفه من بعدي ذريّة الرسول أينما سلكوا سلكوا معهم وتقدير الكلام، ومنهم من لا يكون هذه مآله لكنّه لم يذكره إكتفاء بذكر القسم الأوّل لأنّه دالّ على الثّاني ففيه:

أمّا أوّلاً: أنّ الكلام ليس في من خلّفه بعده من ذريّة الرسول بل الكلام في الإفتراق والإختلاف بعد الأُلفة في زمانه فمن أين إستخرج المعتزلي من كلامه ما ذكره:

وثانياً قوله: أنّ الله سَيجمَعهم الخ ينفي ما ذكره فإنّ الظاهر من العبارة أنّ الله سَيجمَع المُتفرّقين لِشَرّ يوم لبني أُميّة ولا شكّ أنّ شيعته لم تجتمع لبني أُميّة أبداً:

▫ قوله ﷺ: **عَلىٰ أَنَّ اللّهَ تَعَالىٰ سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ...**

أنّه مطلق بالنسبة إلىٰ فتنة العبّاسيّين وغيرها نعم لاننكر وجود القرائن والأمارات الحاليّة والمقاليّة وأمّا النصّ فلا:

▫ قوله ﷺ: **يَأْخُذُ بِهِمْ مِن قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ، وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ...**

قالوا أي يأخذ بهم من قوم ظالمين حقوق قوم مظلومين والمراد بهم آل الرسول ويمكن لقوم من بني هاشم في ديار قوم من بني أُميّة، وأنت ترىٰ أنّ هذا التفسير أيضاً علىٰ أصلهم وأساسهم أعني ماظنّوه من أنّ المراد بهؤلاء القوم بني أُميّة وبني العبّاس وإلّا فأيّ دليل دلّ علىٰ أنّ بني العبّاس أخذوا حقوق قوم مظلومين ثمّ أيّ دليل دلّ علىٰ أنّ المراد بالمظلومين آل محمّد وثالثاً أين أخذوا حقوقهم وحاصل الكلام أنّ المُدّعىٰ في المقام علىٰ أُصلهم وأساسهم أُمور ثلاثة:

أحدها: أنّ الله يأخذ بهم أي بسببهم ومعونتهم من قوم ظالمين أعني بني أُميّة.

وثانيها: أنّ المراد بالمظلومين الّذين أخذ الله حقوقهم ذريّة الرسول:

وثالثها: أنّهم أخذوا حقوق ذريّة الرسول، والكلّ لا دليل عليه كما هو ظاهر فإنّا نسأل عنهم ونقول كيف أخذ الله بظالم أو ظالمين أي بسببهم من ظالم آخر حقّ المظلوم والمفروض أنّ الظالم الثاني كان أظلم من الأوّل وبعبارة اخرى إمّا أن يكون المراد من الحقوق المأخوذة بزعم الشرّاح مطلق الحقوق بالنسبة إلىٰ جميع الأفراد بمعنىٰ أنّ الله أخذ بهم حقوق جميع المظلومين أو أنّ المراد أنّه تعالىٰ أخذ بهم حقوق آل محمّد وذريّة الرسول فقط:

أمّا الأوّل فلم يؤخذ به أصلاً بل زادوا علىٰ الظُّلم ظلماً آخر فإنّ بني العباس كانوا أخبث وأظلم من بني أُميّة بشهادة التّواريخ:

وأمّا الثاني فهو أيضاً لم يؤخذ وذلك لأنّ حقوق ذريّة الرسول تجتمع في حقّ واحد وهو غصب الخلافة ومن المعلوم المسلم أنّهم لم يأخذوا ذلك الحقّ من بني أُميّة لذريّة الرسول بل أخذوه لأنفسهم وإن كان الحقّ المأخوذ به

واجتماعهم لبني أميّة:

▫ قوله عليه السلام: **ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَاباً يَسِيلُونَ مِن مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَّةٌ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ...**

أي ثمّ بعد ذلك العصر يفتح الله لهم أبواباً للغلبة على أعداء الدين أعني بني أميّة فيسيلون ويخرجون من مستثارهم أي من موضع ثورانهم وهيجانهم كسيل الجنّتين اللّتين أخبر الله بهما في كتابه وتكون قوّة ذلك السيل بحيث لم تسلم عليه قارّة أي جبل ولم تثبت له أكَمَة وتلّ:

▫ قوله عليه السلام: **وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ وَلاَ حِدَابُ أَرْضٍ، يُذَعْذِعُهُمُ اللهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ...**

الواو للعطف أي ولم يردّ سننه وطَرقه رَصُّ طود أي جبل مرصُوص شديد الإلتصاق وهو أعني رصّ طود، من إضافة الصفة إلى الموصوف والأصل طود رصّ، ولا حداب أرض، أي ولا يردّ سننه حداب أرض أعني الروابي فإنّ الحداب بكسر الحاء جمع حدبة وهي ما إرتفع من الأرض وهو أعني قوله عليه السلام: (**حداب أرض**) أيضاً من إضافة الصفة إلى الموصوف، ويذعذعهم الله أي يفرّقهم ويشتّتهم في بطون أوديته ثمّ يسلكهم ينابيع الأرض بعد اختفائهم والمقصود من ذلك كلّه بيان قدرة هؤلاء القوم بعد إجتماعهم وإتّفاقهم على قتال أعدائهم من بني أميّة وبني المروان فقوله عليه السلام: **ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَاباً** إلى هنا إشارة إلى قيام المسلمين في أواخر حكومة بني المروان على رأي الشارح المعتزلي وتبعه عليه من كان بعده من الشرّاح وقد أشار الخوئي رحمه الله في المقام إلى شطر من حالات السفّاح وأنّه كيف قتل مروان ابن محمّد وهو آخر خلفاء الامويّين في سنة ثلاث وثلاثين ومِائة ونحن قد أشرنا إلى كيفيّة القضيّة في موضعه ولا نعيد الكلام بذكرها ثانياً:

وأمّا نحن فلا نرى في كلامه عليه السلام دليلاً على ظهور العبّاسيّين ولا نعلم أنّ المعتزلي ومقلّديه من أين ظهر لهم هذا مع أنّ الكلام بمعزل عنه ولا أقلّ من

زمانه ﷺ وذلك لأنّه ﷺ كان أكمل المصاديق للحق بل هو عينه كما أنّ معاوية أكمل مصاديق الباطل وأمّا أنّه ﷺ أراد به نفسه وبالباطل معاوية بخصوصه فلا دليل عليه بل الدليل قائم على عدمه فإنّ الحقّ والباطل ممّا لا يختصّ بزمان دون زمان وبشخص دون شخص فلفظ الخطاب وإن كان خاصاً بأصحابه إلّا أنّ المعنىٰ عامّ يشمل كلّ الأفراد في كلّ عهد وزمان وأمثال هذا المعنىٰ كثير في القرآن والأخبار:

وأمّا قوله ﷺ: **لَمْ يَطْمَعْ فِيكُم مَّن لَيْسَ مِثْلَكُمْ** معناه من ليس مثلكم في إتّباع الحقّ والعمل به مثل أهل الباطل وإنّما قال ﷺ ذلك لأنّ من كان مثلهم في الصدق والحقّ لا يطمع في شيءٍ من الباطل وإنّما يطمع فيه من كان من أهله ويغتنم الفرصة للوصول إلىٰ مقاصده ومعلوم أنّ الطامع إذا رأىٰ أنّ الحقّ لا يعمل به وأنّ الباطل لا ينهي عنه يصيد صيده بأحسن الوجوه:

وقوله ﷺ: **وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ** إشارة إلىٰ أنّ قدرة الجابرين وظلم الظالمين معلولة لتخاذل الناس عن نصر الحقّ وتسامحهم عن توهين الباطل وهو حقّ وصدق ألا ترىٰ أنّ معاوية بلغ إلىٰ ما بلغ من القدرة والشوكة والغلبة علىٰ الضعفاء المظلومين بتخاذل النّاس عن نصر الحقّ أعني عليّاً ﷺ فلو نصروه وأعانوه علىٰ الحقّ وإجرائه وإضمحلال الباطل وإفنائه لما بقي من معاوية ومن حذىٰ حذوه عين ولا أثر ولكنّهم مع الأسف لم ينصروه بل خالفوه وخاذلوه وعاونوا ونصروا معاوية وأصحابه في الحقيقة إذ خذلان الحقّ نصرة الباطل بعينه وحيث كان كذلك فلا جرم ضعف الحقّ وقوي الباطل فسلّطوا بأعمالهم وأفعالهم معاوية وأمثاله علىٰ أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وقد قال الله تعالىٰ: ﴿**وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً**﴾

ثمّ إنّ معاوية لا خصوصية له كما أنّ عليّاً ﷺ أيضاً كذلك وإنّما الملاك هو الحقّ والباطل وهما لا يموتان أبداً فالحقّ في كلّ عصر هو أمير المؤمنين والباطل هو معاوية كما مرّ منّا مراراً من أنّ أكثر الخطابات الواردة في الكتاب

غير ما ذكرناه فعلى المدّعي بيانه وخلاصة الكلام أنّ قوله عليه السلام هذا لا يساعد تفسيرهم بوجه من الوجوه فتفسير القوم الثاني في كلامه عليه السلام بالمظلومين أعني آل الرسول لا وجه له للزومه الكذب في كلامه عليه السلام وهو عليه السلام منزّه عنه:

والحقّ في المقام أن يحمل الكلام على ظاهره والمعنى يأخذ بهم أي بهؤلاء القوم من قوم حقوق قوم آخر ويمكّن لقوم في ديار قوم وأمّا أنّ القوم من هم فلا نفهم من العبارة شيئاً يدلّ عليه وعلى فرض حمل القوم على ما حملوه عليه لا دلالة على أنّ المراد بالقوم في قوله عليه السلام **حقوق** قوم آل الرسول وهو ظاهر فالمقصود أنّ عادة الله جرت على أن يأخذ من قوم حقوق قوم ويمكن قوم في ديار قوم كما نرى ونشاهد:

▫ قوله عليه السلام: **وَأَيْمُ اللهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ...**

أي وأقسم بالله ليَذوبَنّ ما في أيديهم من الملك بعد العلوّ والتمكين أي الإرتفاع والإستقرار كما تَذوب وتَضمَحلّ الألية على النار والضمير في قوله عليه السلام: (أيديهم) يرجع إلى بني أميّة أو عموم الغاصبين والمقصود أنّ الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم وللحقّ دولة وللباطل جولة:

▫ قوله عليه السلام: **أَيُّهَا النَّاسُ ،لَوْ لَمْ تَتَخاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ، لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَّنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ...**

ثمّ بيَن عليه السلام وجه تسليط بني أميّة على رقابهم بل ومطلق غلبة الظّالم على المظلوم في كلّ عهد وزمان وذكر عليه السلام منه وجهين هما أساسه وأصله أحدهما التخاذل والتقصير عن نصر الحقّ وثانيهما التساهل والتسامح عن توهين الباطل وبيان معايبه وإن شئت قلت الأوّل إشارة إلى الأمر بالمعروف والثاني إلى النهي عن المنكر وكلاهما ممّا لا كلام فيه وقد أشبعنا الكلام فيهما سابقاً:

قال بعض الشّارحين أُراد عليه السلام بنصر الحقّ نفسه لأنّ الحقّ معه وهو مع الحقّ وأراد بتوهين الباطل معاويه وأصحابه أقول: لا بأس بما ذكره ﷺ بالنّسبة إلى

وقد علمت وجه الشبه في كلام أمير المؤمنين حيث شبّه أصحابه ببني إسرائيل وأنّهم تحيّروا كتحيّرهم أربعين سنة وهو الّذي أشار به الرسول ﷺ في قوله: **النّعل بالنّعل والقذّة بالقذّة**:

وكما أنّ تحيّر بني إسرائيل مع وجود موسىٰ فيهم دليل علىٰ ضعف إيمانهم به كذلك تحيّر أصحابه عليه السلام مع وجوده فيهم دليل علىٰ ضعف إيمانهم به:

▫ قوله عليه السلام: **بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الأَدْنَىٰ، وَوَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ...**

فكأنّه قيل له عليه السلام ولِمَ وقعنا في التّيه والحَيرة فقال عليه السلام في جوابهم لأمور ثلاثة:

أحدها: أنّكم **خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ** وأعرضتم عنه وقد أُمِرتم بالإقبال عليه والتّمسك به فقال رسول الله ﷺ: **الحقّ مع عليّ وعليّ مع الحقّ يدور معه حيثما دار** فبايعوا غيره وتركوه وخذلوه ومن المعلوم أنّ الإعراض عن الحقّ يوجب التيه والحيرة في الدين:

وثانيها قوله عليه السلام: **وَقَطَعْتُمُ الأَدْنَىٰ** قال بعض الشارحين أي الأقرب إلىٰ رسول الله ﷺ نسباً وصهراً وأراد به نفسه .

أقول: لا بأس بما ذكره ﷺ إذ لا إشكال في كونه عليه السلام كذلك إلّا أنّه لم يدلّ دليل لا عقلاً ولا نقلاً علىٰ أنّ الأقرب إلىٰ رسول الله ﷺ نسباً وصهراً يجب إتّباعه بل المراد الأقرب إلىٰ الله تعالىٰ من حيث العلم والعمل وهو عليه السلام كان كذلك بعد الرسول ومعلوم أنّ الأقرب إلىٰ الله أقرب إلىٰ الرسول أيضاً وبالعكس إذا كان القرب معنوياً وأمّا إذا كان القرب ظاهرياً كالقرب بالنَسب والحَسب فهو لا يلزم قرب الله تعالىٰ إذ كثير من أولاده ﷺ مع أنّهم كانوا إليه أقرب من غيرهم لم يكونوا من الأقربين إلىٰ الله تعالىٰ ولا كانوا ممّن يجب إتّباعه بل كانوا منفورين مطرودين وهكذا الكلام في أقربائه ﷺ من حيث الحَسَب بطريق أولىٰ فالملاك كلّ الملاك في المقام هو أقرب الديني والدّنو الإيماني وقطع هذا القرب عدم إتّباعه ومخالفته وعلىٰ ما ذكرناه وحقّقناه

والسنّة من قبيل إيّاك أعني واسمعي يا جارة.

▫ قوله ﷺ: **لَكِنَّكُمْ تُهْتُمْ مَتَّاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِن بَعْدِي أَضْعَافاً...**

قوله ﷺ: **تُهْتُمْ** بضم التائين وسكون الهاء بينهما على وزان قلتم من تاه يتوه وهو لغة في تاه يتيه تيهاً والتيه بكسر التاء المشدّدة الحيرة يقال تاه فلان إذا تحيّر وعليه فقوله ﷺ: (تهتم) إن كان من تاه يتوه فالأصل فيه الضمّ كما قلنا وإن كان من تاه يتيه فالحقّ كسر التاء فيقال تهتم كما يقال بعتم لأنّه من باع يبيع والأوّل أشهر وأعرف وقوله (متاه) مصدر ميمي بمعنى التيه والمعنى أنّكم تحيّرتم في دينكم كتحيّر بني إسرائيل في دينهم وطريقهم ولعمري أي أقسم بنفسي ليضعّفنّ لكم التيه والحيرة من بعدي أي بعد موتي أضعافاً ممّا ترونه الآن فيكم والتعبير بالتيه إشارة إلى قصّة بني إسرائيل كما قال تعالى في كتابه:

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[1] العيّاشي عن الباقر ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: والّذي نفسي بيده لتركبنّ سنن من كان قبلكم حذو النّعل بالنّعل والقذّة بالقذّة حتى لا تخطون طريقهم ولا تخطاكم سنة بني إسرائيل.

ثمّ قال أبو جعفر ﷺ قال موسى لقومه: يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة الّتي كتب الله لكم فردّوا عليه وكانوا ستّ مِائة ألف فقالوا يا موسى إنّ فيها قوماً جبارين الآيات قال ﷺ فعصى أربعون ألفاً وسلم هرون وأبناه ويوشع ابن نون وكالب ابن يوفنا فسمّاهم فاسقين فقال: **﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾** فتاهوا أربعين سنة لأنّهم عصوا فكانوا حذو النّعل بالنّعل إنّ رسول الله لمّا قبض لم يكن على أمر الله إلّا عليّ والحسن والحسين وسلمان والمقداد وأبوذر فمكثوا أربعين حتّى قام عليّ فقاتل من خالفه وتفصيل الكلام فيها موكول إلى محلّه.

1- المائدة ـ 26.

وَكُفِيتُم مُؤُونَةَ الْاِعْتِسافِ، وَنَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفادِحَ عَنِ الْأَعْناقِ...

وإنّما قال الدّاعي بالألف واللّام ولم يقل (داعياً) لأنّ معاوية وأمثاله أيضاً كانوا داعين فاللّام للعهد أي الداعي المعهود من الله ورسوله وهو نفسه الشريفة والمعنىٰ أنّكم إن إتّبعتم الداعي المعهود الّذي نصبه الله ورسوله لكم للدعوة إلىٰ الحقّ بعده ﷺ لأخذتم منه أموراً:

أحدها: أنّه يسلك بكم **مِنْهاجَ الرَّسُولِ**، وطريقه الّذي أمِرتم به في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾(١)

و: ﴿وَلَكُم فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ وذلك لأنّه كان وصيّ الرسول والوصي أعرف بمقاصد الموصي من غيره وقد مرّت الأخبار الدالّة عليه:

وثانيها: وَكُفِيتُم مُؤُونَةَ الْاِعْتِسافِ، في طريق الضلال والوجه فيه أيضاً ظاهر فإنّ من كان مع الحقّ والحقّ معه يدور حيثما دار فهو يكفي لمتابعيه مؤنة الإعتساف وإلّا يلزم كذب الرسول ﷺ نعوذ بالله منه وإغرائه الامّة بالجهل حيث أمرهم بإتّباع من لا يليق بالإمامة.

وثالثها: وَنَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفادِحَ عَنِ الْأَعْناقِ قالوا أي الإثم والعذاب في الآخرة عن الأعناق .

أقول: غرض الشارح أنّ متابعته توجب رفع العذاب عن أعناقهم في الآخرة.

وأنا أقول: هذا التفسير لا يساعد كلامه ؑ لا ظاهراً ولا باطناً:

أمّا الظاهر؛ فلأنّ الفدح في أصل اللّغة الثقل الكثير يقال فدحه الدين إذا أثقله والفادح الصعب المثقل يقال نزل به أمر فادح وركبه دين فادح وعليه فالمعنىٰ أنّكم إذا إتّبعتم الداعي نبذتم وتركتم الثقل الفادح أعني الصّعب المثقل عن الأعناق وأي دليل في اللفظ علىٰ تفسيرهم من أنّ المراد بالثقل

١- آل عمران ـ ٣١

فالمقصود أنّكم بقطعكم القرب المعنوي وعدم رعايتكم حقّي ومخالفتكم إيّاي وقعتم في الحيرة والضلالة:

وثالثها قوله ﷺ: **وَوَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ** قالوا أراد به معاوية ولكلام فيه كالكلام في قبله فإنّ الأَبعَد ليس المراد منه الأبعَد نَسباً بل الأبعد عَن الحقّ ومعاوية أحد مصاديقه ووصله إتّباعه وإطاعته في أوامره ونواهيه والمعنىٰ أنّكم وصلتم أي أطعتم وإتّبعتم الأبعَد من الدّين وجَعلتمُوه إماماً فلا محالة وقعتم في الحيرة والضلالة:

إن قلت ـ أليس قوله ﷺ: **قَطعتُم الأقرب** كافياً وافياً بالمراد فإنّ قطع الأقرب يلازم وصل الأبعد قلت: لا ملازمة بينهما أصلاً نعم بين القرب والبعد يمكن إثبات التلازم إذا قلنا بأنّ البعد هو عدم القرب والقرب عدم البعد فكلّ واحد منهما ينفي الآخر لأنّهما من الأُمور النسبيّة الإضافيّة المتناقضة واجتماع النقيضين كارتفاعهما محال:

وأمّا قطع القرب والبعد فليس كذلك إذ ليس قطع القرب ملازماً لوصل البعد لعدم الملازمة بين القطع والوصل فمن قطع شيئاً ليس معناه أنّه وصل شيئاً آخر والمقام من هذا القبيل فقوله قطعتم الأدنىٰ لا يغني عن قوله ووصلتم الأبعد إذ يمكن لهم قطع الأدنىٰ بعدم إتّباعه مثلاً وعدم وصل الأبعد بإتّباعه وإطاعته فمن ترك عليّاً لا يلزم منه متابعة معاوية نعم متابعتهما لا يمكن وأمّا مخالفتهما أو مخالفة أحدهما وإطاعة الآخر لا إستحالة فيه فكان لهم بعد تركهم عليّاً تركهم الأبعد أعني معاوية وأمثاله أيضاً وبيتوتهم في بيوتهم لا إلىٰ عليّ ولا إلىٰ معاويه وحيص تركوا عليّاً وأخذوا معاوية فلهم ذنبان ذنب بتركه ﷺ وذنب بمتابعة معاوية فقوله ﷺ يشعر بأنّهم بعد قطعهم الأدنىٰ أعني عليّاً لَم يَقعدُوا ولَم يسكتوا بل نَصرُوا الباطل ووصلوا حبله وسلّطوه علىٰ رقابهم ورقاب غيرهم من المؤمنين:

□ قوله ﷺ: **وإعلموا أنّكم إن تّبَعْتُمُ الدّاعِيَ لَكُمْ سَلَكَ بِكُم مِنْهاجَ الرَّسُولِ،**

نصبه الله لهم فهم في الحقيقة شركاء للظّالمين إلىٰ يوم القيٰمة وهذا هو الّذي نفهم من العبارة وسياق الكلام أيضاً يساعده ويؤيّده كما لا يخفىٰ علىٰ المتأمّل في كلامه والحمد لله ربّ العالمين.

الفادح هو العذاب في الآخرة وليس الكلام فيها أصلاً هذا **أوّلاً**.

وثانياً: لو كان الأمر كما ذكروه فحقّ العبارة أن يقال عن أعناقكم ولا يصحّ أن يقال عن الأعناق وذلك لأنّ متابعتهم عن إمامهم توجب رفع العذاب عنهم لا عن غيرهم وبعبارةٍ أُخرىٰ متابعة الشخص أو الأشخاص عن الإمام لا توجب رفع العذاب عن أعناق غيرهم بل كلّ امرئ بما كسب رهين فالعبارة لا تساعد التفسير أصلاً.

وأمّا الباطن؛ فلأنّ البحث من صدر الخطبة إلىٰ هنا في الإفتراق والأُلفة والتّخاذُل عن الحقّ وأمثال ذلك من الأُمور الإجتماعيّة وأمّا العذاب في الآخرة وإن كان من آثار العمل في الدنيا إلّا أنّه ﷺ لم يذكره في المقام أصلاً لعدم البحث فيه وعليه فالتفسير المذكور لا يساعده الكلام معنىً أيضاً وعلى المُدّعىٰ إقامة الدليل على المُدّعىٰ وإذ ليس فليس.

والّذي نقول في حلّ الإشكال وتفسير الكلام هو أنّ المراد بالثقل الفادح هو ظلم الظالمين ورواج المنكرات وتضييع الحقوق وغير ذلك من الخطوب النازلة علىٰ العباد من حكّام الجور والغاصبين فهذه الأُمور هي الّتي أوجبت الفساد في الناس وثقل حملها عليهم وإن شئت قلت: الظّالم هو الّذي ركب الأعناق بالقهر والغلبة ولا شكّ أنّ حمله ثقيلٌ للمظلوم إذا عرفت هذا فنقول: معنىٰ العبارة أنّكم إن إتّبعتم الداعي أعني الإمام العادل الداعي إلىٰ الحقّ نَبَذتُم وتركتم وراء ظهوركم الثقل الفادح أعني ظلم بني أُميّة وبني العبّاس وأمثالهم إلىٰ يوم القيمة عن أعناق الناس وذلك لأنّ تقصيرهم وإعراضهم عن نصر الحقّ صار موجباً لتقوية الأعداء وتسلّطهم علىٰ الناس فلو أطاعوا عليّاً ونصروه لما كان من معاوية وأمثاله ما كان، فإنّه ﷺ أراد إستئصال المعاندين المخالفين إلىٰ أن يرجع الحقّ إلىٰ محلّه فما ثبت وبقي في أعناق الناس من الظلم والجور من الجائرين الظالمين إلىٰ زماننا هذا وإلىٰ زمان القائم المنتظر سببه عدم إطاعة المسلمين المنافقين في صدر الإسلام عن الإمام العادل الّذي

◁ المعنى:

(إِنَّ اللهَ سُبحانه أَنزَلَ) على نبيّه (كِتاباً هادِياً) للناس (بَيَّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ) أي بيانهما وهو القرآن (فَخُذُوا نَهجَ الْخَيْرِ) وطريقه (تهتدوا) به (وَاصْدِفُواْ)وأعرضوا (عَن سَمْتِ الشَّرِّ) وجانبه (تَقْصِدوُا) سبيل الرشاد (الْفَرائِضَ الْفَرائِضَ) أعني الواجبات (أَدّوُها) أي الفرائض (إِلَى اللهِ) وقُربَةً إليه (تُؤَدِّكُمْ) الفرائض (إِلَى الْجَنَّةِ، إِنَّ اللهَ حَرَّمَ حَراماً غَيْرَ مَجْهُولٍ) في الشّريعة المقدّسة كتاباً وسنّة (وَأَحَلَّ حَلالاً غَيْرَ مَدْخُولٍ) ليس فيه عَيب ولا نَقص (وَفَضَّلَ حُرْمَةَ المُسْلِمِ عَلىَ الْحُرَمِ كُلِّها) فلا حرمة فوق حرمته (وشَدَّ)وإستحكم (بِالْإِخْلاصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمينَ فِي مَعاقِدِها) ومحالّها (فَالْمُسْلِمِ مَن سَلِمَ الْمُسْلِموُنَ مِن لِسانِهِ وَيَدِهِ إِلاّ بِالْحقِّ، وَلاَ يَحِلُّ أَذَىَ الْمُسْلِمِ إِلاَّ بِما يَجِبُ)كالحدُود والقِصاص وأمثالهما (بادِروُا) وسارعوا (أَمْرَ الْعامَّةِ وَخاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ) أي ذلك الأمر (الْمَوْتُ، فَإِنَّ النّاسَ أَمامَكُمْ) في السبق إلى الموت (وَإِنَّ السّاعَةَ تَحْدُوكُمْ) وتسوقكم (تَخَفَّفوُا) في الدنيا فيها (تَلْحَقوُا) بمن سبقكم إلى الموت:

(فَإِنَّما يُنتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ) للبعث والنشور (اتَّقوُا اللهَ فِي عِبادِهِ) فلا تظلموهم (وَبِلادِهِ) فلا تخربوها (فَإِنَّكُمْ مَّسْؤُلوُنَ) غداً يوم القيمة (حَتَّىٰ عَنِ الْبِقاعِ وَالْبَهائِمِ، أَطِيعُوا اللهَ وَلاَ تَعْصُوهُ) فيما أمركم به ونهاكم عنه (وَإِذا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ) بالعمل (وَإِذا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَصْدِفُوا عَنْهُ) بتركه والإعراض عنه:

◁ الشرح

▫ قوله ﷺ: إِنَّ اللهَ سُبحانه أَنزَلَ كِتاباً هادِياً بَيَّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ...

المراد بالكتاب القرآن أنزله الله سُبحانه علىٰ نبيّه وفيه إشارة إلىٰ كون القرآن منزلاً من عنده تعالىٰ وقد نصّ عليه في القرآن بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ

ومن خطبة له عليه السلام (١٦٦)

▫ قوله عليه السلام: إِنَّ اللهَ سُبحانه أَنزَلَ كِتاباً هادِياً بَيَّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ فَخُذُوا نَهجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَاصْدِفُوا عَن سَمْتِ الشَرِّ تَقْصِدُوا.

الْفَرائِضَ الْفَرائضَ أَدُّوها إِلىَ اللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلىَ الْجَنَّةِ. إِنَّ اللهَ حَرَّمَ حَراماً غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَأَحَلَّ حَلالاً غَيْرَ مَدْخُولٍ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلىَ الْحُرَمِ كُلِّها، وَشَدَّ بِالْاَخْلاصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمينَ في مَعاقِدِها. فَالْمُسْلِمِ مَن سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ وَيَدِهِ اِلاّ بِالْحَقِّ، وَلا يَحِلُّ أَذَى الْمُسْلِمِ اِلاّ بِما يَجِبُ.

بادِرُوا أَمْرَ الْعامَّةِ وَخاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ، فَإِنَّ النّاسَ أَمامَكُمْ، وَإِنَّ السّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ. تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا، فَإِنَّما يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ.

اتَّقُوا اللهَ في عِبادِهِ وَبِلادِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْؤُلُونَ حَتّىٰ عَنِ الْبِقاعِ وَالْبَهائِمِ، أَطِيعُوا اللهَ وَلا تَعْصُوهُ، وَإِذا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذا رَأَيْتُمُ الشَرَّ فَأَصدِفُوا عَنْهُ (فَأَعْرِضُوا عَنْهُ خ ل).

▷ اللغة:

(وَاصْدِفُوا) أعرِضوا (بادِرُوا) أي سارِعوا (السّاعَةَ) القيامة (تَحْدُوكُمْ) يَسُوقكم (الْبِقاعِ) جمع بُقعَة وهي ما إرتفَع من الأرض (وَالْبَهائِمِ) جمع بهيمة:

◘ قوله عليه السلام: فَخُذُوا نَهجَ الْخَيرِ تَهْتَدُوا، وَاصْدِفُواْ عَنْ سَمْتِ الشَرِّ تَقْصِدُوا...

أي خذوا طريق الوصول إلىٰ الخير حتىٰ تهتدوا إلىٰ الصراط المستقيم وأعرِضوا عن طريق الشرّ حتّىٰ تستقيموا في السُّلوك إلىٰ سبيل الرّشاد وبعبارةٍ أخرىٰ خذوا بما أحلّه الله وإنتهوا عمّا نهىٰ الله عنه ففي الأوّل الإهتداء وفي الثاني الإستقامة وعدم الإعوجاج.

◘ قوله عليه السلام: الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ أَدُّوهَا إِلَىٰ اللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ...

التكرار يفيد التأكيد وفي قوله عليه السلام: أدّوها إشارة إلىٰ أنّها أمانات من الله وإنّما قلنا ذلك لأنّ قوله عليه السلام: أدّوها أمرٌ من التّأدية وتأدية الشّئ عبارة عن تحويله إلىٰ صاحبه من غير تصرّفٍ فيه ألا ترىٰ أنّه يقال فلان أدّىٰ دَينَه إذا أدّاه علىٰ ما أخذه أوّلاً من غير زيادةٍ ونقيصةٍ فإنّ أدّاه مع الزّيادة يقال أدّىٰ دَينَه وأكثر وإن أدّاه مع النّقيصة لا يقال أدّاه أصلاً وهذا هو السّر في تعبيره عليه السلام بما عبّر كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (١)

و: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ (٢)

وأمّا أنّ الفرائض أمانات فلقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ (٣) وهذه الأمانة المعروفة في كلامه تعالىٰ ليست إلّا الدين وتأديتها العمل بها علىٰ وجهها من غير نقيصةٍ فيها فمن أدّاها كذلك تؤدّه إلىٰ الجنّة أي ترجعه إليه فإنّ تأدية الشّئ إرجاعه إلىٰ ما كان وأمّا علىٰ مسلك غيرنا فالمعنىٰ أوصلوها أي الفرائض إليه تعالىٰ لتوصِلكم إلىٰ الجنّة وهو من باب المشاكلة إذ المراد بإيصالها إلىٰ الله التّقرّب بها إليه وطلب الزُّلفىٰ بها لديه ونسبة التأدية إلىٰ الجنّة إليها من باب المجاز العقلي والإسناد إلىٰ السبب انتهىٰ.

◘ قوله عليه السلام: إِنَّ اللهَ حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَأَحَلَّ حَلالاً غَيْرَ مَدْخُولٍ...

قالوا في شرح الكلام إنّ الله حرّم حراماً في كتابه وسنّة نبيّه غير مجهولٍ ولا

١- النساء ـ ٥٨ ٢- البقرة ـ ٢٨٣
٣- الأحزاب ـ ٧٢

عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً﴾(1)

و : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾(2)

و : ﴿وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾(3)

و : ﴿لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾(4)

و : ﴿آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾(5)

ثمّ أفاد ﷺ إنّ هذا الكتاب المنزل يكون هادياً للناس وهو أيضاً منصوص: قال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ، هُدىً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾(6)

و : ﴿آلم ،ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾(7)

و : ﴿وَإِنَّهُ لَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(8)

و : ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ﴾(9) وغيرها من الآيات:

وأمّا أنّ الله بيّن في الكتاب الخير والشرّ فهو أيضاً ممّا لا كلام فيه بصريح القرآن: قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾(10)

و : ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾(11)

و : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾(12)

ثمّ إنّ المراد ببيان الخير والشرّ فيه بيان موارد هما وأنّ أيّ العمل يكون خيراً وأيّ العمل شرّاً وقد سبق منّا الكلام في معنى الكتاب وإعجازه وأوصافه وقد سبق أيضاً البحث في الخير والشرّ وقلنا إنّ الشرّ المطلق لا وجود له فكلّ ما أجاز الشارع فعله فهو خير وكلّ ما نهى عنه فهو شرّ وإن كان في حدّ نفسه خيراً بحسب وجوده أو يقال إنّ الخير ما يقرّب العبد إلى رضوانه والشرّ ما يبعّده عنه وغير ذلك من التعاريف:

1- الكهف ـ 1
2- آل عمران ـ 7
3- النساء ـ 113
4- النساء ـ 166
5- النساء ـ 136
6- لقمان 2/3
7- البقرة ـ 1/2
8- النمل ـ 77
9- فصلت ـ 44
10- النحل ـ 89
11- النحل ـ 64
12- البقرة ـ 256

كتابه الموسوم بالحدائق الناظرة ما هذا لفظه:

الثالث: إستفاضت الأخبار بتثليث الأحكام حلالٌ بَيِّنٌ وحرامٌ بَيِّنٌ وشُبهات بَين ذلك وتفصيل الكلام في الباب والتّحقيق فيه خارج عن طور الكتاب:

والتّحقيق عندي في شرح العبارة أن يقال لا شكّ أنّ الحرام ما فيه مَنقَصة والحلال ما فيه مَصلَحة وكلّ حكمٍ من الأحكام الشّرعية لا يخلو عنهما في الواقع ونفس الأمر وذلك لأنّ كلّ فعلٍ من الأفعال إمّا في إيجاده والإتيان به مصلحة أو لا يكون كذلك وعلىٰ الأوّل إمّا أنّه لا مفسدة فيه أصلاً فهو الواجب أو مصلحته غالبة علىٰ مفسدته وهو المستحبّ أو لا يكون أحدهما غالباً علىٰ الآخر فهو المباح فهذه الأقسام الثلاثة يجمعها الحلال ويطلق عليها:

والّذي فيه مفسدة إمّا أن لا تكون فيه مصلحة أصلاً فهو الحرام أو أنّ المفسدة غالبة علىٰ المَصلحة فهو المكروه ويجمعها الحرام فالأحكام الخمسة التكليفيّة لا تخلو عن هذين القسمين أعني الحلال والحرام واقعاً إلّا أنّ الإصطلاح علىٰ خلافه فإنّ الأحكام بحسبه خمسة:

ثمّ إنّ الحلال أعني ما فيه المصلحة والحرام أعني ما فيه المفسدة وإن كانا بحسب الواقع كذلك إلّا أنّهما بالقياس إلينا يمكن تقسيم كلّ واحد منهما إلىٰ قسمين حرام واقعي وغير واقعي وبعبارةٍ أُخرىٰ حرام واقعاً وظاهراً وحرام واقعاً لا ظاهراً والحلال أيضاً بهذا القياس علىٰ قسمين حلال واقعاً وظاهراً وحلال واقعاً لا ظاهراً ونعني بقولنا ظاهراً فيهما بحسب الأدلّة من الكتاب والسنّة والإجماع والعقل:

أمّا الحرام واقعاً وظاهراً كالقتل بغير حقٍّ والزّنا وشُرب الخمر والرّباء وأمثال ذلك من المُحرّمات الّتي دلّت الأدلّة الأربعة أيضاً علىٰ حرمتها:

وأمّا المُحرّمات واقعاً لا ظاهراً فهي عبارة عمّا حرّم الله علىٰ العباد حقيقة إلّا أنّ الأدلّة لا تدلّ علىٰ حرمتها إمّا لكونها قاصرة الدلالة وإمّا لعدم وصول دليل الحرمة إلينا ولا يمكن لنا إنكار هذا القسم من المُحرّمات وإن كنّا معذورين

خفيّ بل هو واضح جليّ فلا عذر لِمَن جهله وأحَلَّ حَلالاً غير مدخول أي ليس فيه عيب ولا ريب فلا بأس على من تناوله انتهى ما ذكره الخوئي في شرحه تبعاً لغيره:

أقول: لا نفهم ما ذكروه في تفسير العبارتين فإن كان مرادهم أنّ المحرّمات الّتي حَرّمها الله تعالىٰ غير خفي علىٰ المُكلّفين من الناس بل هي واضحة لمن أراد الإطّلاع عليها كما يظهر من قول الخوئي حيث قال بل واضح جلّي فلا عُذر لمن جهله فهو غير مسلّم عندنا وذلك لخفاء كثير من المحرّمات علينا وعلىٰ غيرنا ولا نعلم أحداً إدّعىٰ عدم خفاء المحرّمات عليه مطلقاً:

وإن كان مرادهم عدم خفائها علىٰ رسوله والأئمّة المعصومين فهو مسلّم لكنّه لا يُجديه إذ لا كلام لنا فيه وهكذا الكلام في الجملة الثّانية فقولهم أحلّ حلالاً غير مدخُول أي ليس فيه عَيب ولا ريب إن كان المراد عدم العَيب والرّيب عند أهله فهو خارج عن مورد البحث وإن كان المراد عدم العَيب والرّيب عندنا فهو أوّل الكلام مضافاً إلىٰ أنّ البحث ليس في الرّيب والعَيب وحاصل الكلام وخلاصة المقال في المقام أنّ هذا التفسير ليس بمُقنع وثانياً إن كانت المُحرّمات الّتي حرّمها الله تعالىٰ غير مَجهُولة علينا والواجبات كذلك فما معنىٰ إجتناب المشتبهات الّتي لا نعلم أنّها من المُحرّمات أو من المُحلّلات ولتوضيح المقال نقول: الأمور ثلاثة: حلال بيّن وحرامٌ بيّن وشُبهات بَينهما نعم في الواقع ونفس الأمر الحكم لا يخلو منهما وليس كلامنا فيه بل الكلام في الحُكم الظّاهري وهو قد يكون مُردّداً بينهما وهذا أعني الحكم المُشتبه بين الحلال والحرام هو الّذي ألجأ الأخباريّين إلىٰ وجوب الإجتناب عن المُشتبهات إذ الوقوف عند الشُّبهات خير من الإقتحام في الهَلَكات وأمّا المُجتهدون فهم أيضاً لا ينكرون المُشتبهات إلّا أنّهم قالوا بإستحباب الإحتياط فيها والحاصل أنّ وجود المُشتبهات في الشّريعة ممّا لا كلام فيه لدىٰ الكلّ ولذلك قال صاحب الحدائق رضوان الله عليه في مقدّمة

بحسب الدليل وأمّا المجهول منه بحسب الدليل فلا حرمة فيه فالمُشتبهات حيث لا تكون حُرمتها مَعلومة بحسبه فلا حرمة لها أو أنّ الله لم يُحرّمها على المكلّفين:

وقوله ﷺ: **وأحلّ حلالاً غير مدخُول** أي غير مشكوك فيه أو لا نقص فيه بحسب الدليل وأمّا المدخُول المَشكُوك أعني المُشتبه بالحُرمة فلم يحلّه وذلك كاللّحم الّذي لا نعلم بكونه مُذكّىً فإنّه لا يجوز أكله ومن هذا القبيل أكل مال الغير أو التصرّف فيه إذا كان مشكوكاً من جهة إذِن صاحِبه والدليل على الكلّ أنّ الله لم يحلّ الأشياء مطلقاً بل أحلّ ما لا شكّ فيه كما أنّه لا يحرّم الأشياء أيضاً مطلقاً بل حرّم ما كان غير مجهول الحرمة وأمّا المجهول فلا وهذا لعمري لا غبار عليه ألا ترى أنّه ﷺ لم يقل إنّ الله حرّم المحرّمات غير مجهول وأحلّ المحلّلات غير مدخول بل قال: حرّم حراماً وأحلّ حلالاً ومعلوم أنّ النكرة في المقام لا يفيد العموم لأنّها ليست في سياق النفي فقوله ﷺ: **حرّم حراماً** ليس معناه حرّم المحرّمات كلّها أو أحلّ المحلّلات كذلك كما فهموه من العبارة وليت شعري كيف غفلوا عن هذه الدّقيقة ولم يُفرّقُوا بين قول القائل حرّم حراماً كذلك وبين قوله حرّم المحرّمات كذلك وخلاصة الكلام أنّه ﷺ ما كان بصدد بيان المحرّمات والمحلّلات بل كان بصدد بيان أنّ من المحرّمات الّتي حرّمها الله واقعاً منها مجهول عند المكلّف ومنها غير مجهول والمحرّم عليه هو الثّاني دون الأوّل وممّا أحلّه الله مدخول مشكوك وغير مدخول عنده والحلال عليه هو الثاني دون الأوّل وهذا ظاهر على المتأمّل المنصف:

قوله ﷺ: **وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرَمِ كُلِّهَا، وَشَدَّ بِالْاِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا...**

الحُرَم بضمّيتين جمع حُرمة والمعنى أنّ الله سبحانه فَضّل وشَرّف حُرمة المسلم على كلّ حرمةٍ وشَدّ وإستحكم بالإخلاص والتّوحيد حقوق المُسلمين في معاقدها ومواضعها:

بالنسبة إليه من جهة عدم وصول الدّليل الدال علىٰ حرمته إلينا وإنا غير مأمورين بالواقع وذلك كشرب التّتن مثلاً حيث إنّ من المحتمل حرمته واقعاً والدّليل لم يصل إلينا ولهذه الدّقيقة ذهب الأخباريّون إلىٰ وجوب الإحتياط فيه لإحتمال الحرمة الواقعيّة والمُجتهدون إلىٰ إباحته لعدم الدليل علىٰ وجوب الإجتناب عنه ولكن الفريقين لا ينفيان الإحتمال فالأخباري يقول بعدم المَعذوريّة لأدلّة الإحتياط والأُصولي يقول بالمَعذوريّة لقوله ﷺ: **الناس في سِعَةٍ ما لا يعملون**:

وأمّا الحلال واقعاً وظاهراً كشرب الماء وأكل الغذاء والنّكاح وأمثالها ممّا لم يرد فيه من الشارع منع بل الأدلّة مُصرّحة بحِليّته:

وأمّا الحلال واقعاً لا ظاهراً فهو الّذي في الواقع حلال إلّا أنّ الأدلّة لا تدلّ علىٰ حلّيّته ويمكن أن يكون شُرب التُّتُن من هذا القبيل كما هو أحد الإحتمالين فيه إلّا أنّ القاعدة تقتضي الحكم بكونها حلالاً لأصالة الإباحة فإنّ الأصل الإباحة إلّا ما ثبت حرمته ولقوله ﷺ: **كلّ شيءٍ لك حلال حتّىٰ تعرف الحرام منه بعينه** وأمثال ذلك والأخباري أيضاً يقول بهذه المقالة في المقام إذا عرفت هذا فنقول:

أمّا القسم الأوّل: من الحرام أعني ما يكون حراماً واقعاً وظاهراً فهو الحرام المعلوم وما لا يكون كذلك فيكون حراماً واقعاً لا ظاهراً نعبّر عنه بالحرام المَجهُول ونعني بالمَعلُوم والمَجهُول المعلوم والمجهول عندنا بحسب الأدلّة الأربعة وإن شئت قلت الحرام المَجهُول هو المُشتبه:

والقسم الأوّل: من الحلال أعني ما يكون حلالاً واقعاً وظاهراً فهو الحلال الّذي لا شكّ فيه.

والقسم الثاني: أعني ما يكون حلالاً واقعاً لا بحسب الأدلّة فهو الحلال المدخَول المَشكُوك:

فقوله عليه السلام: **إِنَّ اللهَ حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ**، معناه أنّ الله حرّم حراماً معلوماً

حُرمة المُسلم الفاقد لهاتين المَرتبَتَين وقوله عليه السلام: **حُقوُق الْمُسْلِمينَ في مَعَاقِدِهَا** أيضاً يؤيّد ما ذكرناه وحَقَّقناه فإنّ قوله عليه السلام: **حُقوُق الْمُسْلِمينَ في** مفعول لقوله عليه السلام: وشَدَّ وفَصَّل بين الفعل ومفعوله الجار والمجرور أعني قوله بالإخلاص والتوحيد وتقدير العبارة هكذا:

إنّ الله شَدَّ حقوق المُسلمين المذكورين في أوّل الكلام من حيث الحرمة بسبب الإخلاص والتَّوحيد الموجودين فيهم فتصير حرمتهم أشدّ وأكثر هذا مافهمناه من العبارة ولنشر إلىٰ بعض ما ورد في الباب قريباً إنشاء الله وقوله عليه السلام: **في مقاعدها** الضّمير يرجع إلىٰ الحقوق أي مواضع الحقوق وفيه إشارة إلىٰ أنّ الحرمة ليست علىٰ إطلاقها بل تجب في مواضِعها ومحالّها فإنّ المسلم القاتل والسارق والزاني وأمثالها لا حُرمة له وهكذا المُتجاهر بالفِسق والسّاب وغيرهما والجامع أنّ الحرمة تجب له في حدُود الشّرع وأمّا في الخارج عنها فلا حرمة له فإنّ من خرج عن زيّه فدَمُه هَدَرَ.

ومن هنا يعلم أنّ المراد بالمُسلم الّذي فَضّل الله حرمته علىٰ الحُرَم كلّها إمّا المُسلم بمعناه الأعمّ وهو القائل بالشهادتين فقط أو المُسلم بمعناه الأخصّ وهو القائل بهما لساناً والمُعتقد بهما قلباً أو المُسلم بمعناه الواقعي الّذي يعبّر عنه بالمؤمن وهو الّذي بعد الإقرار والإعتقاد يعمل بمقتضاهما مخلصاً لله تعالىٰ وكيف كان فقد وَرد في مدحه وكفّ الأذىٰ عنه ما لا يحصىٰ من الأخبار:

منها ـ ما رواه في الكافي بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: قال الله تعالىٰ لَيَأذن بَحربٍ منّي من أذىٰ عَبدي المُؤمن ولَو لَم يكن من خَلقي في الأرض فيما بين المشرق والمغرب إلّا مؤمنٌ واحد مع إمام عادلٍ لأستغنيت بعبادتهما عن جميع ما خلقت في أرضي ولقامت سَبع سَموات والأرضين بهما ولَجَعلت لهما من أعيانهما إنساً لا يحتاجان إلىٰ أنس سواهما انتهىٰ «مرآت العُقول ج ٢ ص ٣٣٥»...

وأيضاً عنه عليه السلام قال: إذا كان يوم القيٰمة نادىٰ مناد أين الصُّدود لأوليائي فيقوم قوم ليس علىٰ وجُوههم لحمٌ فيقال هؤلاء الّذين آذوا المؤمنين

ثمّ إنّه يظهر من كلام الشارحين في المقام أنّ المقصود أنّ الله أرجب على المُخلصين المُوحّدين المحافظة على حقوق المسلمين في مواضعها على ما نقله الخوئي ﷺ عن المجلسي ﷺ والبحراني والمعتزلي:

وأمّا هو ﷺ فقال إنّه سبحانه شَدَّ حَقّ المُسلم في معقده بسبب إخلاصه الوحدانيّة وتوحيده لله سُبحانه انتهى.

وأنا أقول: ما ذكروه لا بأس به في باديْ الأمر وأمّا عند التحقيق فيظهر من قوله ﷺ: **وَشَدَّ بِالْاَخْلَاصِ** معنى آخر غير ما فهموه من العبارة وتوضيح الكلام أنّ المسلم في الإصطلاح على قسمين: ظاهري وواقعي أمّا الظاهري منه فهو عبارة عمّن أسلم بلسانه ولم يسلم بقلبه كمن يقول بالشهادتين فهو مسلم ظاهراً وتجري عليه أحكام الإسلام ونعبّر عنه في الإصطلاح بالمنافق:

وأمّا الواقعي منه فهو الّذي أسلم بلسانه وبقلبه ويقرن العمل بهما في الخارج ويعبّر عنه في الإصطلاح بالمؤمن فالمسلم على قسمين: مؤمن وغير مؤمن وهذا التقسيم مأخوذ من الشرع كما قال تعالى في كتابه:

﴿و قَالَتِ الْاَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا اَسلَمْنَا﴾ (1) فالإيمان يغاير الإسلام بحسب الإصطلاح وإن وافقه بحسب اللغة في الأصل وكثيراً ما يطلق المسلم على كليهما إذا عرفت هذا فنقول:

قوله ﷺ: **وَّفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرَمِ كُلِّهَا** إشارة إلى حرمة القسم الأوّل فقط أعني المُقرّ بالشهادتين وقوله ﷺ: وشدّ بالإخلاص والتوحيد إلى آخره إشارة إلى القسم الثاني أعني المسلم المؤمن:

والدليل على ما ذكرناه قوله: بالإخلاص والتوحيد فإنّ المسلم بالمعنى الأوّل لا إخلاص له ولا توحيد بل هو أسلم بلسانه فقط والمعنى أنّ الله تعالى شدّد وإستحكم تلك الحرمة الثابتة لكلّ مسلم بالإخلاص والتوحيد في قلبه فإنّ المسلم يصير بوجودهما في قلبه مؤمناً ومعلوم أنّ حرمة المؤمن أشدّ من

١- الحجرات ـ ١٤

﴿فتمنَّوا المَوت إن كنتم صادقين﴾ وقد مرّ الكلام فيه مفصّلاً.

□ قوله ﷺ: **فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ، تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ...**

ثمّ علّل ﷺ ما ذكره من المُبادرة إلىٰ الموت بأنّ الناس أمامكم أي سبقوكم إلىٰ الموت وحكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد وأنّ الساعة والقيامة تسوقكم من خلفكم ولو أُريد بالسّاعة السّاعة المُصطلحة العُرفيّة أعني حصّة من الزمان لا بأس به بل هو أظهر إذ كلّ ساعة مَضت من العُمر ينقص من العمر وتقرّبه إلىٰ الموت فالزّمان في الحقيقة هو السائق.

وقوله ﷺ: **تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا** معناه تخفّفوا في الدنيا من جهة العلائق وترك الحرص حتّىٰ تَلحقُوا بمن سار قبلكم فإنّ المسافر كلّما خفّف زاده ومتاعه يكون أسرع باللُّحوق إلىٰ أصحابه كما قال ﷺ: فإنّما ينتظر بأوّلكم آخركم أي من مات منكم ينتظر لحوقكم به فإستعدّ لسفرك وحصّل زادك قبل حلول أجلك فإنّ الموت ممّا لا محيص عنه.

□ قوله ﷺ: **اتَّقُوا اللهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّىٰ عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ...**

أي إتّقوا الله في عباده فلا تظلموهم في بلادهم فلا تخربوها فإنّكم مسئولون غداً عند الله حتّىٰ عن البقاع والأراضي المُرتفعة والبهائم والحيوانات لقوله ﷺ: كلّكم راع وكلّكم مَسئُول عن رَعيّته قال الله تعالىٰ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (١)

□ قوله ﷺ: **أَطِيعُوا اللهَ وَلَا تَعْصُوهُ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَصْدِفُوا عَنْهُ (فَأَعْرِضُوا عَنْهُ خ ل)...**

أي أطيعوا الله في أوامره ولا تعصوه بإتيان نواهيه وإذا رأيتم الخير فخذوا به بالعمل به وإذا رأيتم الشرّ فأصدِفوا عنه أي أعرضوا عنه بتركه فإنّ الخير مُقرّب والشرّ مبعّد والتّوفيق منه.

---

١ - الصّافات - ٢٤

ونَصَبُوا لهم وعانَدُوهم وعَنَفوُهم في دينهم ثم يُؤمَر بِهِم إلىٰ جهنّم انـتهىٰ «ص ٣٣٥»...

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله: قال الله تعالىٰ: من أهان لي وليأ فقد أرصَد محاربتي انتهىٰ «ص ٣٣٥»...

وعنه عليه السلام قال: من حَقَّر مُؤمناً مِسكيناً أو غير مسكينٍ لَم يزل الله عزّ وجلّ حاقراً له ماقتاً حتّىٰ يرجع عن محقرته إيّاه انتهىٰ «ص ٣٢٥»...

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد نابَذَني من أذلَّ عَبدي المؤمن انتهىٰ «ص ٣٣٥» والأحاديث كثيرة.

□ قوله عليه السلام: **فَالْمُسْلِمِ مَن سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ وَيَدِهِ اِلاّ بِالْحَقِ، وَلاٰ يَحِلُّ أَذَىٰ الْمُسْلِمِ اِلاّ بِما يَجِبُ...**

ثمّ عَرَّف عليه السلام المُسلم بمن سَلم المُسلمون من لسانه فلا يغتبهم وَلا يَسبُّهم ولا يتّهمهم ومن يَده فلا يضرّ بهم ولا يقتلهم إلّا بالحقّ ففي هذه الصورة لا بأس بإيذائه غيره بل هو ليس من الإيذاء واقعاً كما قال عليه السلام: ولا يحلّ أذىٰ المسلم إلّا بما يجب إيذائه له كإجراء الحدود عليه وقصاصه وحبسه:

ومن هذا التعريف يظهر أنّ مراده عليه السلام بالمُسلم في قوله: وفَضَّل حرمة المسلم، ليس المسلم الظاهري أعني من يقول بالشّهادتين فقط بل المراد من سلم المسلمون من لسانه ويده وعليه فلا حرمة لمن ليس كذلك ممّن يتّصف بالظلم والغيبة والسبّ وأمثال ذلك متظاهراً بـه ألا تـرىٰ أنّ الله تـعالىٰ لعن الظالمين في كتابه سواء كانوا مسلمين أم غيرهم:فقال:(ألا لَعنة اللّه علىٰ القوم الظّالمين.

□ قوله عليه السلام: **بٰادِرُوا أَمْرَ الْعامَّةِ وَخٰاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ...**

المُبادرة المُسارعة والإستباق والمعنىٰ سارِعُوا وإستبقوا أمر العامّة وخاصّة أُحدكم وهو أي ذلك الأمر المَوت الّذي لا بدّ له لكلّ مخلوق والمبادرة إليه التَهَيّوء له بالعَمَل الصّالح وترك الدنيا وزخارفها كما قال صلى الله عليه وآله: **مُوتُوا قَبل أن تَمُوتُوا** أي موتوا بالموت الإرادي قبل أن تموتوا بالموت الطَبيعي وقال تعالىٰ:

◁ المعنى

(يا اَخُو تاهُ، اِنّي لَسْتُ أَجْهَلُ مٰا تَعْلَمُونَ) فإنّي أعلم بكم من أنفسكم (وَلٰكِن كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ) على ما تقولون من القصاص والإنتقام عن قَتَلة عُثمان (وَّالْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ) المُجتمعُون في قتله (عَلىٰ حَدِّ شَوْكَتِهِمْ) وقُدرتهم (يَمْلِكُونَنا) ومُسلّطون علينا (وَلاٰ نَمْلِكُهُمْ) أي لَسنا بمُسلّطين عَليهم (وَهٰا هُمْ هٰؤُلاٰءِ قَدْ ثارَتْ) وهاجَت (مَعَهُمْ عُبْدانُكُمْ) وشاركوهم في قتله (وَالْتَفَّتْ) وانضمّت (اَلَيْهِمْ) إلى القوم (أَعْرابُكُمْ، وَهُمْ خِلاٰلَكُمْ) وفيما بَينكم (يَسُومُونَكُم) ويَسُوقونكم (مٰاشاؤُوا، وَهَلْ تَرَونَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ، عَلىٰ شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ) من القصاص والإنتقام (وَاِنَّ هٰذَا الْاَمْرَ أَمْرُ جاهِلِيَّةٍ) أي مَنشأ هذا القتل كان كذا (وَاِنَّ لِهٰؤُلاٰءِ الْقَوْمِ) المَجلبين (مادّة) وأصلاً (اِنَّ النّٰاسَ مِنْ هٰذا الْاَمْرِ اِذا حُرِّكَ عَلىٰ اُمُورٍ) مختلفة (فرقة) منهم (تَرىٰ مٰا تَرَوْنَ وَفِرْقَةٌ) أُخرىٰ (تَرىٰ مٰا لاٰ تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ) أُخرىٰ (لاٰ تَرىٰ هٰذا وَلاٰ ذاكَ) أي تخالف هاتين الفِرقتين (فَاصْبِرُوا حَتّىٰ يَهْدَأَ النّٰاسُ) ويسكن (وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَواقِعَهٰا) وسكن إضطرابها وقَلقَها (وَتُؤْخَذَ الْحُقُوقُ مُسْمِحَةً) مُطيعة (فَاهْدَاؤُ اعَنّي،) مُتفرّقين (وَانْظُرُوا مٰاذٰا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي،) فلا تَسرعُوا في طلبكم (وَلاٰ تَفْعَلوُا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ) وتهدم (قُوَّةً، وَّتُسْقِطُ مُنَّةً) وقُدرة (وَتُورِثُ وَهْناً وَّذِلَّةً، وَسَأُمْسِكُ الْاَمْرَ مٰا اسْتَمْسَكَ، وَاِذٰا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّوٰاءِ الْكَيُّ) القتل:

الشرح

▫ قوله عليه السلام: يٰا اَخُوتاهُ، اِنّي لَسْتُ أَجْهَلُ مٰا تَعْلَمُونَ ،وَلٰكِن كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ وَّالْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ عَلىٰ حَدِّ شَوْكَتِهِمْ يَمْلِكُونَنا وَلاٰ نَمْلِكُهُمْ...

إعلم: أنّه عليه السلام لما بُويع بالخلافة بعد قتل عثمان على ما مضى شرحه قال له عليه السلام قوم من الصّحابة لَو عاقبت قوماً ممّن أجلَب وألَبَ على قتل عثمان لكان خيراً لك فقال عليه السلام مُخاطِباً لهم: يا إخوتاه إنّي لستُ أَجهَل ما تَعلَمون ولكن

ومن كلام له ﷺ (١٦٧)

بعد ما بويع بالخلافة،

وقد قال قوم من الصحابة: لو عاقبت قوماً ممَن أجلب علىٰ عثمان .

▫ قوله ﷺ: يا اَخوتاهُ! اِنّي لَستُ أَجْهَلُ ما تَعْلَمونَ، وَلٰكِن كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ وَالْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ عَلىٰ حَدِّ شَوْكَتِهِمْ يَمْلِكُونَنا وَلا نَمْلِكُهُمْ؟ وَها هُمْ هٰؤُلاءِ قَدْ ثارَتْ مَعَهُمْ عُبْدانُكُمْ، وَالْتَفَّتْ اَلَيْهِمْ أَعْرابُكُمْ، وَهُمْ خِلالَكُمْ يَسُومُونَكُم ماشاؤُوا، وَهَلْ تَرونَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ، عَلىٰ شَيْ تُرِيدُونَهُ؟ وَاِنَّ هٰذَا الْاَمْرَ أَمْرُ جاهِلِيَّةٍ، وَاِنَّ لِهٰؤُلاءِ الْقَوْمِ مادَّةً، اِنَّ النّاسَ مِنْ هٰذا الْاَمْرِ اِذا حُرِّكَ عَلىٰ اُمورٍ: فِرْقَةٌ تَرىٰ ما تَرَوْنَ وَفِرْقَةٌ تَرىٰ ما لا تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ لا تَرىٰ هٰذا وَلا ذاكَ، فَاصْبِرُوا حَتّىٰ يَهْدَأَ النّاسُ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَواقِعَها، وَتُؤْخَذَ الْحُقُوقُ مُسْمِحَةً، فَاهْدَأُوا عَنّي، وَانْظُرُوا ماذا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي، وَلا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً، وَتُسْقِطُ مُنَّةً، وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً، وَسَأُمْسِكُ الْاَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ، وَاِذا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّواءِ الْكَيُّ.

◁ اللغة

(أجلب) أي تألّب وهجَم (الْمُجْلِبُونَ) المتألبون المهجمون (حدّ) حدّ الشيْ مُنتهاه (عُبْدانُكُمْ) بكسر العين جمع عبد (خِلالَكُمْ) فيما بينكم (يَسُومُونَكُم) سام فلان الأمر إذا كلّفه (يَهْدَأ) من هدأ يهدأ إذا سكَن (مُسْمِحَةً) إسم فاعل من أسمَح إذا جادَ وكَرم (مُنَّةً) كالقُوّة لفظاً ومعنىً (الكَيُّ) القتل:

في عهد الجاهليّة كانوا كذلك فكانوا يقتلون كثيراً بواحد ولا سيّما إذا كان الواحد من أشرافهم وأمّا الإسلام فقد هَدَم هذه الرسومات الخُرافيّة وقال: ﴿النَّفس بالنَّفس﴾ وحيث إستدعوا منه قتل كثير من الصّحابة لأجل عثمان فقال ﷺ: إنّ هذا أمر جاهليةٍ وإلّا فحقّ القول فيه أن يقولوا له ﷺ أُقتُل قاتل عثمان لَو وجدتّه وما قلنا في تفسير كلامه أولىٰ ممّا حملوه عليه كما هو واضح:

وأمّا قوله ﷺ: وَإِنَّ لِهٰؤُلاَءِ الْقَوْمِ مَادَّةً فقالوا في تفسيره أي مَدَداً ومُعينين أي عَدَدهم كثير:

والحقّ أنّ المادّة في كلامه بمعناها اللّغوي الأصلي إذ لَم نَقَف علىٰ من فسرّها في اللّغة أو في الإصطلاح بما فَسَّرها الخوئي ﷺ أعني المَدَد والمُعين ولا نعلم من أين أخَذَه والظَّن القوي أنّه من عند نفسه إذ لو أخذها من المَّدَ فهو في اللّغة الجَرّ وإن أخذها من غيره فكان عليه بيانه:

والحقّ أنّ المادّة مُؤنث مادّ وهو ما يتركّب منه الشّيْ ويقوم به قاله في المنجد:

وأنا أقول: لايبعد أن يكون التاء فيها للوحدة وأمّا في الإصطلاح فهي الّتي يحصل الشّيْ معها بالقُوّة وقال بعضهم: هو نفس القُوّة وعليه فهي الأصل في كلّ شيْ ومادّة المواد أصل الأُصول إذا عرفت هذا فنقول: قوله ﷺ: وَإِنَّ لِهٰؤُلاَءِ الْقَوْمِ مَادَّةً ليس معناه أنّ لهم مَدَداً مُعيِنين بل معناه أنّ لهم أصلاً لا يمكن قطعه بسهولة وقطع الفَرع لا أثر إذا بقي الأصل بحاله ألا ترىٰ أنّ الأغصان فرع علىٰ أصل الشّجرة وقطع الغُصن بل الأغصان لا يوجب قَطع الشّجر إذا عرفت هذافنقول:

غَرضه ﷺ والله العالم بحقيقة الأمر إنّ لِهؤلاء القوم مادّة وأصلُ وهُم فروعٌ عليه وأصل هؤلاء القوم هو عائشة فإذا أردنا عقاب المُجلبين كما تَزعمون فينبغي عقابها أوّلاً إذ هي الّتي قالت غَير مَرّة أُقتُلوا نَعثلاً قَتله الله وجَهَّزت الناس علىٰ قتله ثمّ كيف يمكن قتلها مع هؤلاء العَوام وأنتم أيضاً منهم وإذا

كيف لي بقوّة على عقابهم والحال أنّ القوم الّذين أجابوا على عثمان وقتلوه على حَدّ شوكتهم وقدرتهم يَملكوننا أي مُسلّطون علينا ولا نُسلّط عليهم فكيف يمكن عقابهم على ما فعلوه وإنّما قال ﷺ ذلك لأنّ المُتلَبّسين على قتل عثمان كانوا من أعيان المسلمين وأشرافهم حَسَباً وَنَسَباً ودِيناً وَورَعاً بل أكثر الناس من المهاجر والأنصار دخلوا في هذه الفِتنة مضافاً إلى رُؤس القبائل من أهل مِصر واليَمن والكُوفة والحجاز إمّا مُباشرةً أو تَسبيباً وفي رأس المُجلبين عليه عائشة وطلحة والزّبير وأمثالهم ممّن أوقدوا نار الجَمَل بعد قتله ومن المَشهور أنّ عائشة كثيراً ما قالت إقتلوا نَعثلاً قتله الله.

- قوله ﷺ: **وَهٰا هُمْ هٰؤُلاٰءِ قَدْ ثٰارَتْ مَعَهُمْ عُبْدٰانُكُمْ، وَالْتَفَّتْ اَلَيْهِمْ أَعْرٰابُكُمْ، وَهُمْ خِلاٰلَكُمْ...**

أي وقد ثارت وهاجَت مع هؤلاء الأشراف عِبدانكم أيضاً وإنضمّت إليهم أَعرابكم أعني أهل البوادي وهم خلالكم أي فيما بينكم الآن فكيف يمكن عقاب هؤلاء القوم.

- قوله ﷺ: **يَسُومُونَكُم مٰاشٰاؤُوا، وَهَلْ تَـرَونَ مَـوْضِعاً لِـقُدْرَةٍ، عَـلىٰ شَـيْءٍ تُرِيدُونَهُ...**

أي من هؤلاء المُجلبين من يَسُومُونكم ويُكلّفونكم ما شاؤوا فلا تقدرُون على مخالفتهم ففي هذه الصُّورة هل ترون مَوضعاً ومَحَلاً لقدرةٍ على شيءٍ تريدونه من عقابهم أو قتلهم.

- قوله ﷺ: **وَإِنَّ هٰذَا الْأَمْرَ أَمْرُ جٰاهِلِيَّةٍ، وَإِنَّ لِهٰؤُلاٰءِ الْقَوْمِ مٰادَّةً...**

وإنّ هذا الأمر أي قتلهم إيّاه أمر جاهليّة أي كان منشأه العَصَبيّة لا الدّين وإحياء السنّة هكذا فسّروا الكلام ولا يبعد أن يكون المراد بقوله ﷺ: **هٰذَا الْأَمْرَ** ما أرادوا منه ﷺ من عقاب المُجلبين وعليه فالمعنى أنّ ما تدّعون مَنشأه الجاهليّة والعصبيّة لا الدين وإلّا فكيف يُمكن شَرعاً قتل هؤلاء الأشخاص مع كثرتهم بقتل عثمان وهو لم يكن إلّا واحداً وإنّما قال ﷺ أمر جاهليّة لأنّ الناس

أي سير على خلاف مَسيركم وفِرقةٌ أُخرىٰ لا تَرىٰ هذا أي ما يقوله الأوّل ولا ترىٰ هذا أي ما يقوله الثّاني وهذه أصناف ثلاثة وإذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال من عدم إتّفاق الآراء فكيف يمكن لنا حَسم مادّة الإشكال بحيث لا يكون فيه خلاف بينهم فالقضيّة ليست علىٰ ما تَزعُمون بل هي صَعبَة والُدخول فيها أصعَب.

▫ قوله عليه السلام: **فَاصْبِرُوا حَتّىٰ يَهْدَأَ النَّاسُ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤْخَذَ الْحُقُوقُ مُسْمِحَةً...**

ثمّ قال عليه السلام لهم فأصبروا حتّىٰ يَهدَأ ويسكُن النّاس وتقع القلوب مواقعها أي سكَنت عن القَلَق والإضطراب وتُؤخذ الحقوق مُسمِحة أي مطيعة منقادة بسهولة والمقصود من هذه الكلمات أنّ الأُمور مَرهُونةٌ بأوقاتها والعجلة في الأُمور ممّا يورث النّدامة والخُسران.

▫ قوله عليه السلام: **فَاهْدَأُوا عَنِّي، وَانْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي...**

أي فإهدؤا عنّي مُتفرّقين وأنظرُوا أي وإنتظروا أمري وحكمي في تلك القضية فإنّي أعلم منكم بوظيفتي وتَكليفي ووظائفكم الشّرعية والإجتماعية:

▫ قوله عليه السلام: **وَلاَ تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً، وَتُسْقِطُ مُنَّةً، وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً...**

أي لا تفعلوا من عند أنفسكم شيئاً يوجب هدم القُوّة وسُقوط الشُّوكة وتورث وَهناً وضَعفاً في الحكومة وذِلّةً في الإسلام والمُسلمين **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَ لاَتَفَرَّقُوا﴾**(١)

▫ قوله عليه السلام: **وَسَأُمْسِكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ، وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ....**

قال الشّارح المُعتزلي أي أمسِكُ نَفسي عن محاربة هؤلاء النّاكثين للبيعة ما أمكن وأدفع الأيّام بمراسلتهم وتَخويفهم وإنذارهم وإجتهدُ في رَدّهم إلىٰ الطّاعة بالتّرغيب والتّرهيب فإذا لم أجِد بُدّاً من الحَرب فآخِر الدَّواء الكَيّ أي الحَرب لأنّها الغاية الّتي يَنتهي أمر العصاة إليها انتهىٰ.

١-آل عمران-١٠٣

كانت القضيّة هكذا فلا يمكن الإقدام بسهولة:

ولا يبعد أن يكون المراد بالمادّة المشار إليه بني أُميّة وفي رأسهم معاوية لعنه الله حيث إنّهم في وصُولهم إلىٰ مقاصدهم تَمَسّكوا بقتله وأنّه قتل مظلوماً وإتّهموا علياً عليه السلام أيضاً في هذه المَعركة وإستَدلّوا علىٰ ذلك بأنّ علياً لولم يكن دخيلاً في قتله فلِمَ لا يُسلّم إلينا قاتليه حتّىٰ نَقتلُهم ومن المعلوم أنّ قاتليه جُلّ المهاجر والأنصار مُضافاًإلىٰ عائشة امّ المؤمنين عندهم:

والأصل المُعبّر عنه بالمادّة في هذه القَضيّة هو أنّ عقاب قاتليه أو قصاصهم حيلة تَمَسّكُوا بها لِعِلمهم بأنّ هذا الّذي إدّعوْه غير مَقدُور لنا فإنّهم أعني معاوية وأتباعه أرادوا بذلك عمّار والأشتر وأمثالهما من الخواص وبالجملة كلّ من أرادوه هؤلاء فإنّ تَعيين القاتل ليس تحت إختيارنا بل بَميلهم وإرادتهم وهم لا يريدون إلّا الكبار من المهاجر والأنصار الّذين قتلهم في الحقيقة قَتلَ الدّين وهذا هو المادّة الّتي أشار إليها في كلامه:

فتلخّص ممّا ذكرناه وحقّقناه أنّ المراد بقوله عليه السلام: **هذا هو** تفهيمه عليه السلام أصحابه بأنّ الأمر ليس علىٰ ما تَزعُمون من عقابنا بعض من أجلَب علىٰ عثمان بل الأمر فوق هذا وما أفاده عليه السلام صِدقٌ وحقٌّ:

ثمّ إنّ المشار إليه في قوله عليه السلام: **(لهؤلاء)** يمكن أن يكون المُجلبين علىٰ قتله ويمكن أن يكون الطّالبين بدَمه والثّاني أولىٰ وأظهَر وعليه فالمعنىٰ أنّ ما يقول الطّالب من تَسليمنا قتلة عثمان إليه حيلة ومكرٌ وأنتُم لا تعلمون ما أرادوا بقولهم هذا وليس هذا الإدّعاء سَهلٌ يَسيرٌ بل له بطنٌ عميقٌ:

- قوله عليه السلام: **إِنَّ النَّاسَ مِنْ هٰذَا الْأَمْرِ إِذَا حُرِّكَ عَلَىٰ أُمُورٍ: فِرْقَةٌ تَرىٰ مَا تَرَوْنَ وَفِرْقَةٌ تَرىٰ مَا لَا تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ لَا تَرىٰ هٰذَا وَلَا ذَاكَ...**

أوضح عليه السلام كلامه السّابق (وإنّ لهؤلاء القوم مادّة) وقال عليه السلام: إنّ الناس في تلك القَضيّة علىٰ أمور:

فرقة منهم تَرىٰ ما تَرون ويَقولُون ما تَقولُون وفرقةٌ أُخرىٰ تَرىٰ ما لا تَرون

الشيطان فالعاقل ينبغي له التّفكر والتّدبّر في الأمور لئلّا يَندم بعد الفعل ويقع في الحسرة ولا فائدة فيه:

ورابعها: التّوجّه إلىٰ أصل الفِتنة ومادّتها فإنّ الفِتنة لها أصل أو اصول لا محالة وأمّا العوام الّذين لا يعلمون الحِرّ من البِرّ ويَطوفُون حولها لا ذنب لهم غالباً إلّا جهلهم بالموضُوع فهم قاصرُون لا مُقصّرون والمُقصّر مَن حَرَكّهم وهَيَّجَهم فإذا أراد الإنسان قَلع الفِتنة فلابدّ له من قطع أصلها أعني المُحرّكين لها وإلّا فقتل العوام الّذين دخلوا فيها عن جهلٍ فأيّ فائدةٍ فيه ألا ترىٰ أنّ قطع أغصان الشّجرة لا يوجب قطعها بل تَنبُت أغصاناً ثانياً وثالثاً وهكذا:

وخامسها: أنّ الإنسان إذا علم كونه علىٰ حقٍّ والمخالف علىٰ الباطل لا ينبغي قتل المخالف له أوّلاً بل يجب أوّلاً الموعظة والنّصيحة والدّعوة بالصُّلح فيما إذا لم يكن الصُّلح مُضِراً بدينه وحيث لا يقبل غير الفساد والعناد فآخِر الدّواء الكيّ فهذه الأمور ممّا لابدّ لكلّ أحد ولا سيّما الحاكم علىٰ النّاس مراعاتها ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيىٰ من حييٰ عن بيّنة.

أقول: بناء على ما ذكره الشارح فالكيّ كناية عن الحرب مع النّاكثين وهو أحد الإحتمالات فيه:

وقال بعض آخر إنّ الكيّ كناية عن القَتل وهذا أولىٰ ممّا ذكره المعتزلي وذلك لأنّ القتل في الحقيقة نتيجة الحرب والحرب إذا لم تنته بالقتل فهي ليست آخر الدّواء كما هو ظاهر ثمّ على الإحتمال الأخير فالمعنى أنا أرفَقَ بهم ما أمكَن بترك المقاتلة والمحاربة وإذ لم أجد بُدّاً أي إذا رأيت أنّ الرُّفق والملايمة لا ينفع فآخر الدّواء القتل قتلي أو قتلهم أي هذا الأمر يَتمّ إمّا بقتلهم إيّايَ أو بقتلي إيّاهم فإن قتلوني فإنّي آنس بالمَوت من الطفل بثَدي أمّه ولا سيّما في مسير الحقّ فإنّ الموت كذلك هو الشهادة الّتي هي منتهى أمَلي.

وإن قَتَلتهُم فهو أيضاً من أفضل الطّاعات والقُربات إلى الله تعالى إذ قتل المعاند والمنافق المانع عن إجراء المعروف والنّهي عن المنكر فيه تقوية الإسلام والمسلمين وأيّ عمل أفضل من قطع دابر الظُّلمة قال تعالى: **﴿فَقُطع دابر القوم الّذين ظلموا﴾** والحمد لله ربّ العالمين:

تنبيه: نذكر فيه أُموراً تستنبط من هذه الخطبة:

أحدها: أنّ الجاهل بالشّيء ليس له الإعتراض والإشكال على من هو عالم به ولا سيّما إذا كان الإمام مَعصُوماً عن الخطأ عالماً بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيٰمة كما فيما نحن فيه فمن إعترض عليه فهو دليل على عدم معرفته به نَعم في غير المعصوم يصحّ الإعتراض فيما إذا كان المأموم عالماً والإمام جاهلاً به وهو كثير:

وثانيها: أنّ من لم يَقدر على شيءٍ لا ينبغي له الإقدام عليه فإنّه بمنزلة إلقاء النّفس إلى التّهلُكة وقال تعالى: **﴿وَ لاٰ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى اَلتَّهْلُكَةِ﴾** ألا ترى أنّ الله تعالى جعل من شرائط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر القدرة عليها فلو لم يقدر المكلّف فهو ساقط عنه:

وثالثها: أنّ العَجَلة في غير الخيرات مذمُومة مطرُودة حتّى قيل إنّها من

◁ **المعنىٰ**

(إِنَّ اللهَ بَعَثَ) إلينا (رَسُولاً) من عنده (هٰادِياً بِكِتٰابٍ نٰاطِقٍ) وهو الإمام بعده (وَأَمْرٍ قٰائِمٍ) إلىٰ يوم القيمة وهو الدّين (لاٰ يَهْلِكُ) عن الدين أو الكتاب (إِلاّٰ هٰالِكٌ) شقّي فإنّ الحُجّة قد تَمّت (وَإِنَّ الْمُبْتَدَعٰاتِ) الحادثات في الدين (الْمُشَبِّهٰاتِ) بالحقّ (هُنَّ مِنَ الْمُهْلِكٰاتُ) لا غيرها لكونها مُلتبسة بالحَقّ (إِلاّٰ مٰا حَفِظَ اللهُ مِنْهٰا) من المُبتدعات المُشبّهات (وَإِنَّ فِي سُلْطٰانِ) أي حكومة الإسلامي الواقعي (عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ) فإنّها تَعصمكم عن الزلّات والإنحرافات (فَأَعْطُوهُ) أي فأعطوا السّلطان الديني (طٰاعَتَكُمْ) فأطيعوه (غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ، وَلاٰ مُسْتَكْرَهٍ بِهٰا) أي لا ملامة ولا إكراه في إطاعته (وَاللهِ لَتَفْعَلُنَّ) كذلك بالطّوع والرّغبة (أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللهُ عَنكُمْ سُلْطٰانَ الْاَسْلاٰمِ) فيسلّط عليكم أعدائكم (ثُمَّ لاٰ يَنقُلُهُ اِلَيْكُمْ) سلطان الإسلام (أَبَداً) إلىٰ يوم الموعود وهو ظهور الحجّة عليه السلام (حَتّىٰ يَأْرِزَ) أي ينقبض ويرجع (الْاَمْرُ إِلىٰ غَيْرِكُمْ) من بني أُميّة وبني العبّاس وغيرهم (إِنَّ هٰؤُلاٰءِ) الأشرار من أصحاب الجَمل (قَدْ تَمٰالَؤُوا) وتَعاونوا (عَلىٰ سَخْطَةِ إِمٰارَتِي) فإنّ إمارتي في طريق الحَقّ وهم علىٰ الباطل وهما لا يَجتمعان (وَسَأَصْبِرُ) علىٰ هذه الفاجعة (مٰا لَمْ أَخَفْ عَلىٰ جَمٰاعَتِكُمْ) من التّفرق وإنفصام حبل الإسلام (فَإِنَّهُمْ إِن تَمَّمُوا عَلىٰ فَيٰالَةِ هٰذَا الرَّأْيِ) الضعيف وأتمّوا ما قصدوه من تَصدّي الحكومة (انْقَطَعَ نِظٰامُ الْمُسْلِمِينَ) لكونهم رؤس المُنافقين والأشرار ولا سِيّما وفي رأسهم إمرأة لا عقل لها (وَإِنَّمٰا طَلَبُوا هٰذِهِ الدُّنْيٰا) أي الحكومة (حَسَداً لِّمَنْ أَفٰاءَهٰا اللهُ) الحكومة (عليه) وهو الرسول وبعده وصيّه (فَأَرٰادُو رَدَّ الْاُمُورِ عَلىٰ أَدْبٰارِهٰا) في عهد الجاهليّة (وَلَكُمْ عَلَيْنٰا الْعَمَلُ بِكِتٰابِ اللهِ تَعٰالىٰ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَالْقِيٰامُ بِحَقِّهِ، وَالنَّعْشُ) والرفع وإعلاء الكلمة (لسنّته):

ومن خطبة له عليه السلام (١٦٨)

عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة

قوله عليه السلام: إِنَّ اللهَ بَعَثَ رَسُولاً هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ، لاَ يَهْلِكُ عَنْهُ إِلاَّ هَالِكٌ، وَإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ مِنَ الْمُهْلِكَاتِ، إِلاَّ مَا حَفِظَ اللهُ مِنْهَا، وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ اللهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ، وَلاَ مُسْتَكْرَهٍ بِهَا، وَاللهِ لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَيَنقُلَنَّ اللهُ عَنكُمْ سُلْطَانَ الْاسْلاَمِ، ثُمَّ لاَ يَنقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَداً حَتَّىٰ يَأْرِزَ الْأَمْرُ إِلَىٰ غَيْرِكُمْ.

إِنَّ هٰؤُلاَءِ قَدْ تَمَالَؤُوا عَلَىٰ سَخْطَةِ إِمَارَتِي، وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَىٰ جَمَاعَتِكُمْ فَإِنَّهُمْ إِن تَمَّمُوا عَلَىٰ فَيَالَةِ هٰذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا اللهُ عَلَيْهِ، فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَىٰ أَدْبَارِهَا، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ، وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ.

اللغة

(الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ) البدع المُلتبسة حقّها بباطلها (يَأْرِزَ) من أَرَزَ يأرَزُ إنقَبَض (تَمَالَؤُوا) أي تعاوَنوا (فَيَالَةِ) فال رأيه أي ضَعُف وأخطأ.

والمراد بالأمرِ القائم أيضاً إمّا الدِين أو الحُجّة فعلىٰ الأوّل معناه أنّ الدين قائم بالحقّ إلىٰ يوم القيٰمة وعلىٰ الثّاني الحُجّة كذلك وفيه إشارة إلى أنّ الأرض لا تخلو عن حُجّة إلىٰ آخر الدّهر إذ لو لا الحُجّة لساخت الأرض بأهلها وهذه الحجّة قائمة بالحَقّ دائماً لِعصمتِه وعليه فقوله ﷺ: وأمرٍ قائم عطفٌ نفسيري لقوله: بكتابٍ ناطقٍ وأمّا علىٰ التّفسير الأوّل فيهما أنّ الرسول يهدي بالكتاب والسنّة والمحصول من الكلّ هو إتمام الحُجّة من الله تعالىٰ علىٰ عباده:

▫ قوله ﷺ: **لاَّ يَهْلِكُ عَنْهُ اِلاّ هَالِكٌ، وَاِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ مِن الْمُهْلِكَاتُ، اِلاّ مَا حَفِظَ اللهُ مِنْهَا...**

كلمة (**عن**) تفيد الإعراض والمعنىٰ لا يُهلك معرضاً أو من أعرض عن الرسول وما جاء به إلّا هالك قال الخوئي أي من بلغ الغاية في الهلاك فالتنكير لقصد النوع كما في قوله تعالىٰ: ﴿إن نظنّ إلّا ظنّاً﴾ [1] انتهىٰ أقول لو كان الأمر كما ذكره فحقّ العبارة أن يقال إلّا هالكاً بالنصب لتفيد النّوع وذلك لأنّ قوله ﷺ هالك علىٰ ما ذكره يصير مفعولاً مطلقاً للفعل أعني قوله يهلك وحقّه النصب الآية الّتي إستشهد بها وحيث قال ﷺ هالكٌ بالرفع فهو يدلّ علىٰ عدم إفادته النّوعيّة:

والمعنىٰ لا يهلك عنه إلّا هالك لا يقبل الهداية والإرشاد وأمّا من يقبلها فهو ليس بهالك وتوضيحه أنّ المُعرض عن الدّين تارةً يُعرض عنه لجَهله وعدم إطّلاعه ومعرفته كأكثر الجُهّال والعوام فإذا إرتفع جهلهم بالوعظ والنّصيحة يدخلون في دين الله أفواجاً فهؤلاء ليسوا من الهالكين واقعاً:

وأُخرىٰ لا يكون كذلك بل يُعرض عنه لعناده وتَعصُّبه أو أنّه يرىٰ الدّين منافياً مغايراً لمنافعه المادّية وأغراضه الشّهوية مع علمه بكون الدّين حقّاً وأكثر أصحاب الرسول كانوا من هذا القبيل فلا يمكن أن يقال إنّ أمثال أبي سفيان ومعاوية وابن العاص وأشباههم من المنافقين في صدر الإسلام لم

1- الجاثية - ٣٢

◁ الشّرح

▫ قوله ﷺ: إِنَّ اللهَ بَعَثَ رَسُولاً هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ...

هذه الخطبة خطبها ﷺ عند مسيره إلىٰ البَصرة أو عند مسير أصحاب الجمل إليها وبيّن ﷺ فيها أُموراً تنبيها لأصحابه وكشف ﷺ فيها عن فساد نيّة أصحاب الجمل وأنّ قصدهم البَغي والفساد في الأرض والوصول إلىٰ آمالهم الدُّنيوية وفي رأسها الخلافة والحُكومة علىٰ المُسلمين لإحياء الشّريعة والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر والإصلاح بين الناس كما ينطقون بها عند العوام:

فقال ﷺ: إنّ الله تعالىٰ بعث إلينا رسولاً هادياً إلىٰ الحقّ بكتاب ناطق وأمرٍ قائم فقوله ﷺ: بعث إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (١)

و: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ (٢)

وفي قوله ﷺ: هادياً إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ مخاطباً لرسوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (٣)

وفي قوله ﷺ: بِكِتَابٍ نَاطِقٍ إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ (٤) وقوله تعالىٰ: ﴿هٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ (٥)

وفي قوله ﷺ: وأمرٍ قائم إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ﴾ (٦) والمقصود أنّ الله تعالىٰ بمقتضىٰ لطفه وكرمه قد مَنّ الله علىٰ عباده بإرساله الرسول وإنزاله الكتاب الناطق بالحقّ لإرشاد الناس إلىٰ طريق الهدىٰ ولم يتركهم سُدىً:

ثمّ إنّ الكتاب الناطق إمّا كتابه التّدويني أعني القرآن وأسند النُّطق إليه مجازاً أو كتابه التّكويني أعني الإنسان الكامل الّذي هو حقيقة الكتاب التدويني ولبّه وهو الرسُول ثمّ بعده الأوصياء واحداً بعد واحد إلىٰ يوم القيٰمة:

١- آل عمران-١٦٤ ٢- الجمعة-٢
٣- الرّعد-٧ ٤- المؤمنون-٦٢
٥- الجاثية-٢٩ ٦- الحجرات-٩

للإنسان من التّمسّك بذيل عنايته فإنّ الطّريق واضحة وسبل الرشاد لامعة:

◻ قوله ﷺ: **وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ اللهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ فَاعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ، وَلَا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا...**

وإنّ في سلطان الله وحكومة أوليائه على النّاس عصمة من الخطايا والزلّات فأعطوه أي فأعطوا الله طاعتكم إيّاه غير مُلوّمة فيها ولا مُستكره بها وفي هذا الكلام لطائف:

إحداها: لا شك أنّ الناس لابدّ لهم من حكومة وحاكم حقّاً كانت الحكومة أو باطلاً أمّا الباطل فلا عِصمة له إذ هو طريق الشّيطان **﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً﴾**(١)

وأمّا الحقّ فهو عاصم لمن إعتصم به من الورطات وهاد لمن إهتدى به من الظّلمات وشافٍ لمن إستشفى به لِلأمراض الرّوحانيّة والوساوس النّفسانيّة الموقعة في الهَلَكات:

وثانيها: أنّ الإنقياد والإطاعة لله تعالى والخُضوع والتّسليم بالنّسبة إلى أوامره ونواهيه وبالجُملة تَقَبُّل سُلطانه وإجراء أحكامه ممّا لا ملامة فيه فإنّ العبد بعبوديّته له يفتخر وهذا بخلاف دَولة الباطل وحكومة الشّيطان فإنّ المطيع له أحقّ بالملامة والتّوبيخ:

وثالثها: أنّ العَبد مُخيّر في طاعته وعصيانه له تعالى وليس بمُستكره فيهما لقوله تعالى: **﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً﴾**

◻ قوله ﷺ: **وَاللهِ لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَيَنقُلَنَّ اللهُ عَنكُمْ سُلْطَانَ الْاسْلامِ، ثُمَّ لا يَنقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَداً حَتَّى يَأْرِزَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ...**

ثمّ بعد ما ذكر ﷺ سُلطان الله وشرائط بقائه ودوامه أقسَم بالله وقال أقسم بالله لتَفعَلنّ ما أقول لكم من الطّاعة والإنقياد بحكم الله تعالى في دولته وسُلطانه وذلك لأنّ سُلطانه ﷺ كان سُلطان الله أو ليَنقَلنّ الله عنكم سُلطان

١- الانسان- ٣

يَعرفوا الحقّ ولم يعلموا أنّ الرّسُول حقّ والكتاب حقٌّ وأمير المؤمنين بعده عليه السلام أحقّ وأولىٰ بالخلافة من غيره فمن ظَنّ فيهم كذلك وإعتَقد أنّ إنكارهم الحقّ والقيام عليه إنّما هو لجهلهم به فهو جاهل وكيف يمكن القول بأنّ الزُّبير وطَلَحَة وعائشة وابن الزّبير وأمثالهم في حرب الجَمل لم يعرفوا عليّاً ولأجل هذا أقدموا علىٰ مقاتلته ومحاربته نعم أنّهم عرفوه وسَمعوا النُّصوص عن النّبي عليه السلام فيه ومع ذلك فَعلوا ما فَعلوا كما سيظهر لك من نصّ كلامه عليه السلام: إذا عرفت هذا فنقول: قوله عليه السلام: **لاَ يَهْلِكُ عَنْهُ إلاّ هَالِكٌ** المقصود منه هو المنافق المُعاند للحقّ وأصحاب الجمل من مصاديقه الأتمّ الأكمل:

وأمّا أنّ المُبتدعات المُشبّهات هنّ المهلكات فالوجه فيه ظاهر لأنّ الحقّ إذا إلتَبس بالباطل وصار مُشتبهاً علىٰ المكلّف لا يمكن له تَمييز أحدهما عن الآخر فإن تَركه رأساً فهو لا يجوز لإحتمال الحقّ فيه وإن أتىٰ به أيضاً لا يجوز إذ المحتمل بطلانه فهو لا يدري الفعل والتّرك ولأجل هذا قال الله تعالىٰ في كتابه: **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾**(١)

ففي الحقيقة نهىٰ الله الناس عن الدخول فيها وأمرهم بإتّباع الرّاسخين وهو أدلّ دليلٍ علىٰ كون المُشتبهات من المهلكات في الدنيا والآخرة ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ قبل هذا الكلام: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾**(٢)

وقد مرّ الكلام منّا في المُشتبهات وأنّ الدخول فيها من الإقتحام في الهلكات وإنّما قال عليه السلام هذا الكلام في المقام لأنّ أصحاب الجمل وقعوا فيها ولم يخرجوا عنها إلاّ في نار جَهَنّم مع أنّ الرّاسخ في العلم أعني أمير المؤمنين عليه السلام كان موجوداً فيهم فلم يتّبعوه بل إتّبعوا ما تشابه منه إبتغاء الفتنة وقوله عليه السلام: **إلاّ مَا حَفِظَ اللهُ مِنْهَا** إشارة إلىٰ أنّ المَلجأ والملاذ في جميع الأُمور ولا سيّما في ما نحن فيه هو الله تعالىٰ فإنّه تعالى هو الحافظ في الإنحرافات والزّلاّت فلابدّ

١- آل عمران - ٧

٢- آل عمران - ٧

□ قوله عليه السلام: **وَإِنَّمَا طَلَبُوا هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا اللهُ عَلَيْهِ، فَأَرَادُو رَدَّ الْأُمُورِ عَلَىٰ أَدْبَارِهَا...**

كلمة (إنّما) تفيد الحصر أتىٰ بها في صدر الجملة إشعاراً بأنّ قيام أصحاب الجمل وطلبهم الدّنيا ليس إلّا لها لا لأجل الدّين كما يقولون مكراً وحيلة لإغفال النّاس وإنحرافهم عن طريق الحَقّ ومنشأ طلبهم إيّاها هو الحَسد لمن أفاءها الله عليه والضّمير في أفاءها راجع إلىٰ الدّنيا أو إلىٰ الخلافة بقرينة السياق وفيه إشعار بأنّ الدّنيا وما فيها ممّا أفاءه الله تعالىٰ علىٰ رسوله وأوصيائه : وبعض النّاس حَسدوا عليهم وإلىٰ هذ المعنىٰ أشار الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَيٰهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (١)

فقال عليه السلام: نحنُ المَحسُودون في الآية ثمّ قال عليه السلام: **فأرادُوا رَدَّ الأُمور علىٰ أدبارها** أي أراد إرجاع الخلافة وأحكام الدّين إلىٰ ما كان قبلي في عهد الخُلفاء الثّلاثة أو إلىٰ قبل الإسلام والأوّل أظهر بدليل أنّهم كانوا في عَهد الخُلفاء قبله عليه السلام مُطيعين مُنقادين لهم وحيث وصلت النّوبة إليه خالفوه ونكثوا بيعته ولم يقنعوا بذلك بل حاربوه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **يا علي حَربك حَربي وسِلمك سِلمي** ومعلوم أنّ خلافة الخُلفاء قبله عليه السلام كانت موافقة لطباعهم وأميالهم فإنّهم أعني الخلفاء الثلاثة ولا سيّما الأخيرين كانوا قد قسّموا بيت المال علىٰ خلاف الرّسول ولم يراعوا التّساوي في الحقوق الماليّة الّتي عليها بُنِيَ أساس الإسلام وأمّا علّي عليه السلام فلم يتّبعهم فيه ولا في غيره بل إقتدى برسول الله صلى الله عليه وآله في جميع الأمور وحيث كان هذ الرّأي منه عليه السلام علىٰ خلاف أميالهم وأغراضهم فخالفوه وأرادوا رَدَّ الأمُور علىٰ أدبارها وهذا هو الوجه في مخالفتهم بل ومخالفة غيرهم بعد موت الرّسول صلى الله عليه وآله له عليه السلام وإلّا فَعِلّيٌ لم يفعل شيئاً يوجب إنكارهم عليه وقد مرّ الكلام في الباب تفصيلاً مع أنّه غنّي عن البيان بعد شهادة التّواريخ

١- النساء ٥٤

الإسلام إلىٰ غير سُلطان الإسلام بتسليطه بني أميّة وبني العبّاس وغيرهم عليكم فيبدّل سُلطان الإسلام بسُلطان الكُفر والنِّفاق والعَدل بالظُّلم ثمّ لا ينقله إليكم أبداً حتّىٰ يأرز ويرجع الأمر إلىٰ غيركم من الأخيار والصُّلحاء المُستعدّين لقبول سُلطانه والمنقادين لحكومته وطاعته المُبرّئين عن النِّفاق والإختلاف وهؤلاء أصحاب المهدي عليه السلام فقوله عليه السلام إلىٰ غيركم هو هذا لا ما ذكروه من الأقاويل في المقام وقد عدّها الخوئي إلىٰ خمسة ثمّ إختار منها الثّالث والرّابع وقال أحسنهما ثانيهما أي الرّابع فراجع شرح الخوئي رحمه الله لتعرف الحال تطّلع علىٰ تفصيل المقال:

وذلك لأنّ الأمر أوضح من أن يخفىٰ والدّولة العبّاسيّة خارجة عن البحث كما مرّ الكلام فيها والحاصل أنّ سُلطان الله بعده عليه السلام لم يرجع إلىٰ النّاس أبداً وهكذا يكون إلىٰ يوم الموعود:

وعليه فما معنىٰ قوله إن قيل قلنا:

▫ قوله عليه السلام: **إِنَّ هٰؤُلاءِ قَدْ تَمالَؤُوا عَلىٰ سَخْطَةِ إِمارَتِي، وَسَأَصْبِرُ ما لَمْ أَخَفْ عَلىٰ جَماعَتِكُمْ...**

أي قد تَمالؤوا أعني طلحة والزبير وغيرهما من المُخالفين التَّمالُوءِ التّعاوُن أي تعاونوا واتّفقوا علىٰ سخطة إمارتي فغضبوا عليها ولم يقبلوها وسأصبِر علىٰ هذا ما لم أخَف علىٰ جماعتكم أي فإذا خفت عليها بالتّشتُّت والنّفاق والقتل والنّهب فلا أصبر وفي هذ الكلام إشارة إلىٰ ترجيحه عليه السلام منافع النّاس وراحتهم علىٰ منافعه وراحته وهو عليه السلام كان كذلك:

▫ قوله عليه السلام: **فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلىٰ فَيالَةِ هٰذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظامُ الْمُسْلِمِينَ...**

أي فإنّ أصحاب الجمل إن تمّموا علىٰ فيالة هذ الرّأي وضعفه إنقطع نظام المُسلمين لعدم صلاحيّتهم لهذا الأمر مُضافاً إلىٰ وجود الإختلاف بينهم فإنّ طلحة يرىٰ نفسه أحقّ بها والزبير كذلك وعائشة لا يراها إلّا لابن اخته عبد الله ابن الزبير ومعاوية بالشّام أحرص عليها منهم فلا جرم ينقطع نظامهم:

وكيف كان فالحقّ ثابت للوالي وللرّعية فعلىٰ الرّعية الإطاعة وعلىٰ الوالي العدالة فوجود أحدهما يستلزم وجود الآخر ونفيه نفيه فإذا لم تطع الرّعية فكيف يعمل الوالي بالحقّ وإذا لم يعمل الوالي به فكيف تطيع الرّعية فهما متلا زمان نفياً وإثباتاً في حكومة الحقّ وأمّا في الباطل فلا:

به ولا خفاء فيه إلّا على مُتعصِّبٍ عَنيد الّذي قال تعالىٰ فيه وفي غيره من نظرائه:
﴿خَتَمَ اللهُ عَلىٰ قُلوُبِهِمْ وَعَلىٰ سَمْعِهِمْ وَعلىٰ أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظيمٌ﴾ (١)

و: ﴿في قُلوُبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذابٌ اَليمٌ بِما كانوُا يَكْذِبوُنَ﴾ (٢)

وأمّا المنصف المؤمن بالله وبرسوله فلا يخفىٰ عليه شيء ممّا ذكرناه بل يرىٰ الحقّ برأي العين ﴿إنَّ في ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ اَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهيدٌ﴾ (٣)

□ قوله ﷺ: وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتابِ اللهِ تَعالىٰ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْقِيامُ بِحَقِّهِ، وَالنَّعشُ لِسُنَّتِهِ...

بعد ما أشار ﷺ في قوله: وإنّ في سُلطان الله عِصمة لأمركم فأعطوه طاعتكم إلىٰ آخر ما قال، إلىٰ حقّ الوالي على الرّعية أشار في المقام إلىٰ حقّ الرّعية على الوالي وقال لكم علينا العمل بكتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ والقيام بحقّ الله وحقّ رسوله وإعلاء كلمته ورفع شريعته فهذه الأمُور الأربعة هي أصول الحكومة الحقّة الإلٰهيّة وعلىٰ الوالي العمل بها وإجرائها في النّاس وجميع ما يحتاج النّاس إليه في دينهم ودُنياهم تحت هذه الشرائط ومن لم يعمل بها من الحُكّام فلا يعتّد به بل ولا يجوز إطاعته و الإنقياد له للنّاس لأنّ إطاعته من الإعانة على الإثم وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَ لا تَعاوَنوُا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ﴾ وقد مرّ منه الكلام في حقّ الرّعية علىٰ الوالي وشرائط الإمارة والحكومة في الإسلام ونحن أيضاً تكلّمنا في الباب عند شرحنا لقوله ﷺ حسب ما إقتضاه المقام وسيأتي تفصيل الكلام منه ﷺ ومنّا في شرح الخطبة المُفصّلة الّتي جمع فيها حقوق الطرفين بما لا مزيد عليه حين ولي ﷺ الأشتر علىٰ مصر إنشاء الله:

١- البقرة ـ ٧
٢- البقرة ـ ١٠
٣- ق ـ ٣٧

◁ الشّرح

إعلم: أنّ هذا الكلام على ما ذكره الرّضي ﷺ ممّا كلّم ﷺ به بعض العرب ويقال إنّه يُعرف بالكليب الجرمي وقد أرسله قوم من أهل البصرة لمّا قرب ﷺ منها ليعلم منه ﷺ حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشُّبهة من نفوسهم فبيّن له من أمره معهم ما علم به أنّه على الحقّ ثمّ قال ﷺ له بايع فقال إنّي رسول قوم ولا أُحدث حدثاً حتّى أرجع إليهم:

▫ فقال ﷺ: **أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذينَ وَرٰاءَكَ بَعَثُوكَ رٰائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسٰاقِطَ الْغَيْثِ...**

قال ﷺ مُخاطباً للرّجل أعني الكليب الجرمي أرأيت الخ وحاصله أنّي أسئلك سؤالاً وهو أنّ القوم الّذي وراءك وبعثوك إلينا لو كانوا بعثوك رائداً تبتغي لهم مساقط الغيث لِلمرعى مثلاً وبعبارة أخرىٰ لو بعثوك رائداً إلىٰ غير ما بعثوك إليه:

▫ **قوله ﷺ: فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ فَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلٰاءِ وَالْمٰاءِ فَخٰالَفُوا إِلَى الْمَعٰاطِشِ وَالْمَجٰادِبِ...**

أي فَرَجعتَ إلىٰ النّاس الّذين بعثوك لتبتغي لهم مساقط الغيث فأخبرتهم عن الكلاء والماء وأنّها هناك مثلاً فخالفوك فيما أخبرتهم به واتّخذوا طريقاً إلىٰ المعاطش والمجادب وموضعهما ولم يقبلوا قولك:

▫ قوله ﷺ: **مٰا كُنْتَ صٰانِعاً؟ فَقٰالَ: كُنْتُ تٰارِكَهُمْ وَمُخٰالِفَهُمْ إِلَى الْكَلٰاءِ وَالْمٰاءِ...**

أي إذ رأيت هذا فما تصنع فقال الرّجل أتركهم وأخالفهم وأذهب إلىٰ الماء والكلاء كما هو مقتضىٰ العقل وبعبارةٍ اخرىٰ مخالفتهم لما أخبرتهم به دليل علىٰ حماقتهم ومتابعتي لهم وهم علىٰ تلك الحالة دليل علىٰ سفاهتي وجنوني وحيث إنّي عاقل فأتركهم لا محالة:

▫ **قوله ﷺ: فَقٰالَ ﷺ فَامْدُدْ إِذاً يَدَكَ! فَقٰالَ الرَّجُلُ: وَاللهِ مٰا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ عِنْدَ قِيٰامِ الْحُجَّةِ عَلَيَّ، فَبٰايَعْتُهُ...**

ومن كلام له ﷺ (١٦٩)

▫ قوله ﷺ: أَرَأَيْتُ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ فَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلاَءِ وَالْمَاءِ فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ وَالْمَجَادِبِ، مَا كُنْتَ صَانِعاً؟ فَقَالَ: كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالِفَهُمْ إِلَى الْكَلاَءِ وَالْمَاءِ. فَقَالَ ﷺ فَأمْدُدْ إِذاً يَدَكَ! فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللهِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ عِنْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيَّ، فَبَايَعْتُهُ.

◁ اللغة

(رَائِداً) الرّائد المُرسَل في طلب الكلاء (الْمَعَاطِشِ) مواضع العَطش (الْمَجَادِبِ) مواضع الجَدب:

◁ المعنى

(أَرَأَيْتُ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً) مُرسَلاً (تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ) والمرعى (فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ فَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلاَءِ وَالْمَاءِ فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ وَالْمَجَادِبِ) أي فخالفوك وذهبوا إلىٰ مواضع العَطش والجدب لا إلىٰ الماء والكلاء (مَا كُنْتَ صَانِعاً) بهم في هذه الصورة (فَقَالَ: كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالِفَهُمْ) وأذهب إلىٰ الماء والكلاء (فَقَالَ ﷺ فَأمْدُدْ إِذاً يَدَكَ!) للبيعة (فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللهِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ) عن البيعة (عِنْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيَّ، فَبَايَعْتُهُ).

أرض لا ماء فيها كذلك النِّعَم الرّوحانية العَقلية المعنَّوية لا تنبت من أرض قلب لا معرفة لها ولا خشوع لربّ العالمين فشبّه عليه السلام قلبه المقدّس بالأرض ونورانيّته ومعرفته بالماء والصّفات الكَمالية الموجودة النّابتة منه بالكلاء والنّاس بالأغنام والأحشام الّتي تستفيد منها وقلوب المخالفين المعاندين بالأراضي الّتي لا ماء فيها ولا كلاء فمن ترك الأوّل وأخذ بالثاني ليس بعاقل أصلاً انتهى.

الفاء للتفريح أي إذا كان كذلك فأمدُد إذاً يَدَك للبيعة بمقتضى تسلُّمك وقبولك فقال الرّجل والله ما أستطعتُ المخالفة في بيعتي وأن أمتنع منها والحُجّة قد تمّت عليّ فبايعته.

تنبيه: إعلم أنّه عليه السلام بيّن في المقام أمُوراً يجب التّنبيه عليها والإتّعاظ بها وهي أمور:

أحدها: أنّ الإنسان إذا بُعِثَ إلى شيء من الأشياء أو أمرٍ من الأمُور أو شخص من الأشخاص ينبغي له قبل قبول البِعثة أن يتفكّر في الباعث والمبعوث إليه فإنّ الباعث إذا كان جاهلاً مُعانداً وهكذا المبعوث إليه يلزم منه عدم قدرة المبعوث على إداء وظيفته وفي بعض الأوقات يصير مُتّهماً وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إتّقوا مواضع التُّهَم.

وثانيها: أن لا يكون المبعوث معانداً متعصّباً بالنسبة إلى أحدهما بل كان مستعدّاً لقبول الحقّ.

وثالثها: إذا عرف الحقّ في المبعوث إليه ينبغي له متابعته وترك الباعث وهذا لا يُعَدّ قبيحاً ولا خيانة بل عدم قبول الحقّ خيانة.

ورابعها: أن يكون مُنصفاً معتدلاً لا مُفرّطاً مُنحرفاً لقوله تعالى: ﴿**فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾(١) ومن ليس كذلك فهو خارج عن الإنسانيّة إذا عرفت هذا فقد علمت أنّ الرّجل المعروف بكليب الجرمي الّذي بعثوه إلى أمير المؤمنين عليه السلام كان واجداً للشرائط المذكورة فعرف أنّ الباعثين كانوا من الحُمقاء والمبعوث إليه من العقلاء والأولياء وكان أيضاً مستعدّاً لقبول الحقّ وعلم أنّ الحقّ مع عليٍ وهو أعني الرّسول كان مُعتدلاً مُنصفاً فلا محالة بايعه ولزمه وتركهم ولم يرجع إليهم أصلاً.

وإنّما مثّل عليه السلام له بالماء والكلاء إشعاراً بأنّ مقام الولاية واجد لجميع النِعَم والبركات فكما أنّ النِّعَم المحسوسة في الدّنيا إذا كانت من النّباتات لا تَنبُت من

١- الروم-١٧.

◁ المعنىٰ

(اَللّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفوعِ) أعني السّموات (وَالْجَوِّ الْمَكْفُوفِ) الممنوع عن السّقوط (الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً) أي محلّ نقصان (لِلَّيْلِ وَالنَّهارِ) طولاً وقصراً في الأيّام واللّيالي (وَمَجْرىً لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ) فإنّهما تجريان فيه (وَمُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّيّارَةِ) أي محلّاً لإختلافها في السّير سرعةً وبُطئً (وَجَعَلْتَ سُكّانَهُ) الضّمير للسقف أي سكّان السقف المرفوع (سِبْطاً مِنْ مَلائِكَتِكَ لا يَسْأَمُونَ) أي لا يملّون ولا يفترون (مِنْ عِبادَتِكَ) لأنهم خُلقوا لها (وَرَبَّ هٰذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَها) أي الأرض (قراراً) ومُستقرّاً (للأنام) الإنس والجّان (وَمَدْرَجاً لِلْهَوامِّ) أي الحشرات (وَالْأَنْعامِ) والبهائم (وَما لا يُحْصىٰ) عدده (مِمّا يُرىٰ) من الموجودات (وَمِمّا لا يُرىٰ) منها:

(وَرَبَّ الْجِبالِ الرَّواسِي) الثّابتات (الَّتِي جَعَلْتَها) الجبال (لِلْأَرْضِ أَوْتاداً) لقوله تعالى: (والجبال أوتاداً) (وَلِلْخَلْقِ إِعْتِماداً) يعتمدون عليها وينتفعون بها (إِنْ أَظْهَرْتَنا) وغلبتنا (عَلىٰ عَدُوِّنا فَجَنِّبْنا) وبعّدنا (عن الْبَغْيَ) والظُّلم عليهم (وَسَدِّدْنا لِلْحَقِّ) والعمل به (وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ) أي العدوّ (عَلَيْنا) بالغَلبة (فَارْزُقْنا الشَّهادَةَ) فإنّها خيرٌ من المَوت الطّبيعي (وَاعْصِمْنا) واحفظنا (مِنَ الْفِتْنَةِ) والفَساد (أَيْنَ الْمانِعُ لِلذِّمارِ) أعني من يحُب حفظه (وَالْغائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقائِقِ) أي صاحب الغيرة والحَميّة عند الشّدائد (مِنْ أَهْلِ الْحِفاظِ) أي من أهل المحافظة: (الْعارُ (النار خ ل) وَراءَكُمْ، وَالْجَنَّةُ أَمامَكُمْ) أي في الإدبار عن الحرب عار وفي الإقبال عليها الجنّة:

◁ الشّرح

- قوله ﷺ: اَللّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفوعِ، وَالْجَوِّ الْمَكْفُوفِ...

قيل إنّه ﷺ قال هذ الكلام لمّا عَزم علىٰ لقاء القوم بصِفّين أعني معاوية

ومن كلام له عليه السلام (١٧٠)

□ قوله عليه السلام: اَللّٰهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفوعِ، وَالْجَوِّ الْمَكْفُوفِ، الَّذِى جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لِّلَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَمَجْرىً لِّلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَمُخْتَلَفاً لِّلنُّجُومِ السَّيّارَةِ، وَجَعَلْتَ سُكّانَهُ سِبْطاً مِّنْ مَّلائِكَتِكَ لا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبادَتِكَ. وَرَبَّ هٰذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَها قَراراً لِّلْأَنامِ، وَمَدْرَجاً لِّلْهَوامِّ وَالْأَنْعامِ، وَما لا يُحْصىٰ مِمّا يُرىٰ وَمِمّا لا يُرىٰ، وَرَبَّ الْجِبالِ الرَّواسِي الَّتِي جَعَلْتَها لِلْأَرْضِ أَوْتاداً وَلِلْخَلْقِ اِعْتِماداً، اِنْ أَظْهَرْتَنا عَلىٰ عَدُوِّنا فَجَنِّبْنا الْبَغْيَ، وَسَدِّدْنا لِلْحَقِّ، وَاِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنا فَارْزُقْنا الشَّهادَةَ، وَاعْصِمْنا مِنَ الْفِتْنَةِ.

أَيْنَ الْمانِعُ لِلذِّمارِ، وَالْغائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفاظِ؟! الْعارُ (النار خ ل) وَراءَكُمْ، وَالْجَنَّةُ أَمامَكُمْ.

◁ اللّغة

(الْمَكْفُوفِ) من الكَفّ وهو المَنع والجَوّ المكفوف أي الممنوع عن السّقوط والجَوّ يطلق على ما بين الأرض والأجرام العالية (مَغِيضاً) من غاض الماء إذا نقص (سُكّان) بضمّ السين وتشديد الكاف جمع ساكن (يَسأَمُون) أي لا يَملّون (الْبَغْيَ) الظّلم والفساد (الذِّمار) ما يلزمك حفظه من الأهل والعشيرة (الْغائِرُ) من غار على إمرأته وهي عليه تغار غيرة.

المؤثّر والمؤثّر لا يكون مُمكناً لنقل الكلام فيه ويتسلسل فلا محالة يكون واجباً إذ الموجود ينحصر فيهما وإذا كان واجباً فالمطلوب ثابت:

وإختار عليه السلام الرّب على سائر الأسماء ولم يقل خالق السّقف المرفوع أو إله السّقف وأمثال ذلك لنكتةٍ وهي أنّ الرّب في الأصل التّربية وهي إنشاء الشّئ حالاً فحالاً إلى حَدّ التّمام ولذلك قيل إنّ الرّب مَصدر مُستعار للفاعل ولا يطلق الرّب حقيقة إلّاعلى لله تعالى المُتكفّل بمصالح الموجودات وعلى هذا يحمل قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً﴾ (١)

فالرّب المُطلق الحَقيقي هو الله تعالى لأنّه مُنشئ الموجودات ومُوصلهم حالاً فحالاً إلى حَدّ الكمال والتّمام وأمّا غيره فلا يطلق الرّب عليه بهذ المعنى أعني الحقيقي منه وأمّا المجازي فلا بأس به فيقال: ربّ البيت وربّ الفرس وربّ الإبل قال عبد المطّلب عليه السلام: أنا ربّ الإبل وللبيت ربّاً آخر:

ولهذه الدّقيقة الّتي ذكرناها فيه ترى ذكره كثيراً في الآيات كما لا يخفى.

وأمّا قوله عليه السلام: **والجوّ المكفوف**، قال الرّاغب الجَوّ الهواء وقيل ما بين السّماء والأرض وهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللهُ﴾ (٢)

إختلفت الكلمات في شرح قوله عليه السلام: **والجَوّ المَكفُوف**، فقال الخوئي أي الفضاء الّذي كَفّها بقُدرته وجَعَله مَحلّا لِسَماواته وأرضه انتهى، وقال البحراني: والسّقف المَرفُوع السّماء وكذلك الجَوّ المكفُوف وبه قال المعتزلي أيضاً:

وأنا أقول: ما ذكروه من إتّحاد معنى السّماء والجَوّ لا بأس به إن أرادوا به معناهما العُرفي المُصطلح وأمّا أنّه لا فرق بينهما أصلاً بمعنى أنّ المراد بأحدهما هو المراد بالآخر في الأصِل فلا وذلك لأنّ السّماء بإتّفاق علماء اللّغة هي جهة العلوّ والفوق فحسب وأمّا الجَوّ فهو أعَمّ منها ومن اليَمين والشّمال ولا إختصاص له بالعلوّ فقط فالحقّ أنّ الجوّ عبارة عن مطلق الفضاء والهَواء

١- آل عمران-٨٠ ٢- النّحل-٧٩

وأصحابه القاسطين، وقيل قاله عليه السلام في اليوم الرّابع من الوقعة سابع شهر صفر من سنة سبع وثلاثين، وكيف كان فهو دعاءٌ منه عليه السلام إشعاراً بأنّ العبد ينبغي أن يكون متوجّهاً إلىٰ الله في جميع حالاته ولا سيّما في البؤس والشِّدة وهذ التّوجه القلبي إذا ظهر في قالب الألفاظ يقال له الدّعاء وهو لا ينافي التّقدير من الله تعالىٰ كما ثبت في محلّه بل أُمِرنا به كتاباً وسُنّة:

أمّا الكتاب فلقوله تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (١)

و: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ (٢)

و: ﴿اُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٣)

و: ﴿اُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٤)

وأمّا الآثار فكثيرة، كقوله صلى الله عليه وآله: سلاح المؤمن الدّعاء، وقول الصادق: الدّعاء أنفذ من السِّنان الحديد، وقول السجّاد عليه السلام: الدّعاء يدفع البَلاء النّازل وما لم ينزل وغير ذلك من الأخبار.

ولأجل هذا دعا عليه السلام ربّه وقال: اللّهم ربّ السّقف المرفوع أعني السّماء وربّ الجوّ المكفوف المَمنوع عن السّقوط وإنّما لم يقل ربّ السّماء بدل السّقف المرفوع لوجهين:

أحدهما: التأسّي بالقرآن قال الله تعالىٰ: ﴿لطّور و كتابٌ مسطور﴾ (٥) إلىٰ قوله ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ (٦)

و: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ (٧)

وثانيهما: أنّ في ذكر السّقف المرفوع بدل السّماء تنبيه وإيقاظ للمُستمع ليس في ذكر السّماء كما أنّ في التّفصيل بالنّسبة إلىٰ الإجمال كذلك مضافاً إلىٰ الإشعار بأنّ المرفوع يحتاج إلىٰ الرّافع لكونه مُمكناً والمُمكن يحتاج إلىٰ

١- النّمل - ٦٢
٢- الرّوم - ٣٣
٣- غافر - ٦٠
٤- الأعراف - ٥٥
٥- الطّور - ٢
٦- الطّور - ٥
٧- الأنبياء - ٣٢

الأمور هو الجَوّ الأعمّ من السّماء أعني جهة العلوّ وغيرها من الجهات نعم ما ذكره ﷺ يصحّ علىٰ مذهب القدماء في علم الهيئة وأمّا علىٰ ما ثبت اليوم وصار كالمحسُوس لنا من أنّه لَيس إلّا الجوّ والسّماء لا وجود لها بخصوصها وبعبارةٍ أخرىٰ السّماء ليست إلّا جهة العلوّ وجهة العلوّ كسائر الجهات من الامور الإعتباريّة فإذا قام الإنسان علىٰ رجليه فسمائه فوق رأسه وإذا قام منكوساً فالأرض تصير سمائه وعليه فالسّماء بما هي هي لا وجود لها إستقلالاً وما كان كذلك لا نبحث فيه أصلاً فضلاً عن كونه متّصفاً بالصّفات والموصُوف الإعتباري لا يوصف إلّا بالوصف الإعتباري فكونها أوصافاً للسّماء أو للسّقف المرفُوع كلام بلا محصّل:

وأمّا الجَوّ فهو موجود واقعاً بل هو من المحسُوسات وإن شئت قلت: لا نرىٰ ولا نشاهد غيره، فكلّ ما في جهة الفَوق واقع فيه أي في الجَوّ، والجهة أيضاً في الجَوّ وإن كنّا لا نعلم حقيقته وماهيّته ونُعبّر عنه بالفَضاء الواسع تارةً وبالهواء أُخرىٰ ضرورة أنّ خفاء الحقيقة لا يوجب خفاء الوجود:

ثمّ إنّ المعنىٰ علىٰ ما ذكرناه في كون الأوصاف أوصافاً للجوّ هو أنّ الله تعالىٰ جعل الجَوّ مُغيضاً لِلّيل والنّهار أي مَحلّا أو باعثاً لنقصانها وزيادتها طولاً وقصراً فكان هذ الجَوّ مَنبع الضّياء والظّلام وهو يغيضها كما يغيض الماء في البئر وكونه محلّا لهما بإعتبار وجودهما ووقوعهما فيه ولذلك إستعار عليه السلام له لفظ المغيض وقوله ومُجرىٰ للشّمس والقَمر أي الجوّ مجراهما أي أنّهما يجريان فيه كما يجرى السّمك في الماء وأطلق عليه السلام الجري عليها لقوله تعالىٰ:

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾(١)

و: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾(٢) ومعلوم أنّ مَجراهما الجَوّ:

١- يس-٣٨ ٢- يس-٣٩

والسّماء عبارة عن جهة العلوّ منه فبينهما عموم وخصوص مطلق فذكر الجَوّ بعد السّماء من ذكر العامّ بعد الخاصّ:

ثمّ إنّ المراد بكونه مكفُوفاً كونه مكفُوفا بقُدرته تعالىٰ كما أنّ كون السّماء مرفُوعاً أي مرفُوعاً بقُدرته وتقريب الإستدلال فيه علىٰ وجود الخالق كتقريبه في سابقه وكيف كان فالعبارة قد دلّت علىٰ أنّ الرّفع في السّقف والكَفّ في الجوّ بيده وتحت قدرته وأمّا حقيقتهما وبيان ماهيّتهما فغير واضح علينا.

▫ قوله ﷺ: **الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لِّلَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَجْرىً لِّلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَمُخْتَلَفاً لِّلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ...**

يظهر من كلام بعضِ الشّارحين أنّ هذه كلّها من أوصاف السّماء ثمّ قال وإحتمال كونها صفاتاً لِلسّقف المرفُوع مدفُوع بإستلزامه الفصل بين التّابع والمتبوع بالأجنبي وهو خلاف القواعد الأدبيّة انتهىٰ.

أقول: مراده بالأجنبي قوله ﷺ: **(والجَوّ المَكفُوف)** ولا نفهم ما أراد من قوله هذا فإنّه ﷺ جعل الأوصاف لِلسّماء ودفع إحتمال كونها صفاتاً لِلسّقف المرفُوع لِلُزومه الفَصل بين التّابع والمَتبُوع بالأجنّبي، مع أنّه وغيره من الشّراح إتّفقوا علىٰ أنّ المراد بالسّقف المَرفُوع هو السّماء وعليه فما الفرق بين كونها أوصافاً للسّماء أو للسّقف المرفُوع مضافاً إلىٰ أنّه ﷺ لم يذكر السّماء أصلاً، وأمّا الفصل بين التّابع والمتبُوع بالأجنّبي فيقال له أين الأجنّبي ألَيس قوله ﷺ: والجَوّ المكفُوف بمعنى السّقف المَرفُوع علىٰ مذاق أكثر الشّراح فإنّهم قد صَرّحُوا بأنّ المراد بهما واحد وهو السّماء فإذاً ليس هو بأجنّبي أصلاً.

والحقّ في المقام أنّ هذه الأوصاف لِلجَوّ لا لِلسّماء ولا لِلسّقف المرفُوع وذلك لوجهين:

الأوّل: أنّ قوله ﷺ: **الَّذِي جَعَلْتَهُ** الخ بعد قوله ﷺ: **والجَوّ المكفُوف** ومن المعلوم أنّ الأقرب يَمنَع الأبعد.

الثّاني: أنّ المذكورات ليست من أوصاف السّماء ضرورة أنّ المتكفّل لهذه

وبكونها مُعتَمداً للخلق ثالثة:

أمّا الأوّل: فلقوله تعالىٰ: **﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾**(١)

و: **﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾**(٢)

و: **﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا﴾**(٣)

والثاني: لقوله تعالىٰ: **﴿والجبال أوتاداً﴾**(٤)، وقد مرّ تفصيل الكلام فيها أيضاً بما لا مزيد عليه في المجلّد الأوّل وحيث إنّا فصّلنا الكلام هناك في السّماء والأرض وما فيهما وشرحنا الأوتاد والرّواسي وأشرنا إلىٰ بعض ما ورد في كثرة المخلوقين فيهما وغير ذلك ممّا ناسب البحث فلا نعيد الكلام بذكره ثانياً وإن شئت الإطّلاع عليه فراجع إلىٰ هناك.

▫ قوله ﷺ: **إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَىٰ عَدُوِّنَا فَجَنِّبْنَا الْبَغْيَ، وَسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ...**

لمّا كان لازم الغلبة علىٰ العدوّ البغي عليه وإستئصاله من جميع الجهات وعدم مراعات الحقّ والعدل فيه كما نرىٰ في كلّ من غلب علىٰ عدوّه وشهدت التّواريخ أيضاً به في الحروب وذلك لأنّ الإنسان بمقتضىٰ فطرته وغريزته الحيوانيّة يميل إلىٰ إجراء ما هو من صفاته الحيوانيّة من الغضب والشّهوة وأمثالها ممّا هو مركوز في جبلّته وحيث إنّ العدوّ نازعه وحاربه وأذاه، فلا محالة إذا سلّط عليه يشفي غيضه بإعمال الغضب والقهر عليه ولا يترحّمه ولا يرأف به وهذا هو الأصل الّذي بني عليه الفرع بمقتضىٰ غريزته الحيوانيّة في جميع القرون والأعصار إلّا من عصمه الله من الزّلل وحفظه الله عن التعدّي والفساد والظّلم ولمّا كان كذلك فلا جرم لا مخلّص له عن هذه الوَرطَة إلّا بتوفيقٍ من الله وعصمةٍ منه والتّوفيق لا يحصل إلّا بالتّهيّوءِ والإستعداد لقبوله أوّلاً وإستدعائه من الله تعالىٰ ثانياً، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب.

١- المرسلات ـ ٢٧ ٢- ق ـ ٧
٣- فصّلت ـ ١٠ ٤- النبأ ـ ٧

وقوله ﷺ: وَمُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ، معناه أنّ الجوّ كما أنّه مَجرىٰ لِلشّمس والقَمَر كذلك يكون مختلفاً للنّجوم السيّارة فإنّها أيضاً تَسير فيه وقد مرّ الكلام في النّجوم السيّارة وغيرها من الثّوابت في المجلّد الأوّل من الكتاب.

▫ قوله ﷺ: وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً مِّنْ مَّلاٰئِكَتِكَ لاٰ يَسْأَمُونَ مِنْ عِبادَتِكَ...

السِّبط بكسر السّين الأمّة والمعنىٰ جعلتَ سُكّان السّموات أي ساكنيها سبطاً، قبيلاً من ملائكتك ولا يَسأمُون أي لايملّون ولا يفترون من عبادتك أبداً وفيه إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ حيث قال:

﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لاٰ يَسْئَمُونَ﴾(1)

▫ قوله ﷺ: وَرَبَّ هٰذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرٰاراً لِلْأَنَامِ، وَمَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ وَالْأَنْعَامِ، وَمٰا لاٰ يُحْصىٰ مِمّٰا يُرىٰ وَمِمّٰا لاٰ يُرىٰ...

الأنام، الإنس والجنّ، والهوامّ والحشرات والطّيور والأنعام البهائم وقوله ﷺ: مالا بحصىٰ إلىٰ آخره إشارة إلىٰ كثرة المخلوقات بحيث لا يمكن إحصائها إلّا لخالقها وموجدها:

أمّا أنّ الأرض قرار لهم فلقوله تعالىٰ: **﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاٰلَهَا أَنْهَاراً﴾**(2)

و: **﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمٰاءَ بِنٰاءً﴾**(3)

و: **﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتٰاعٌ إِلىٰ حِينٍ﴾**(4) وغيرها من الآيات.

▫ قوله ﷺ: وَرَبَّ الْجِبَالِ الرَّوٰاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتٰاداً وَلِلْخَلْقِ اِعْتِمٰاداً....

وصف ﷺ الجبال بكونها راسيات تارةً وبكونها أوتاداً للأرض أخرىٰ

١- فصّلت ـ ٣٨
٢- النّمل ـ ٦١
٣- غافر ـ ٦٤
٤- البقرة ـ ٣٦

إليكم من الإقبال على الأعداء والحرب معهم وقتلهم وكفّ الأذى عن المؤمنين وفي بعض النّسخ (النّار) بدل (العار) وعليه فالمعنى في وراء الحرب والإدبار عن الحرب النّار كما أنّ في الإقبال على الحرب في سبيل الله الجنّة.

ولأجل ما ذكرناه قال ﷺ: إن أظهرتنا على عدوّنا الخ أي لا تكلنا إلىٰ أنفسنا فإنّ النّفس الأمّارة بالسّوء إلّا ما رحم ربّي وإستدعىٰ ﷺ عن الله أمرين أحدهما: الإجتناب عن البغي، وثانيهما: التّسديد على الحقّ لأنّ الإجتناب عن البغي لا يلازم التّسديد علىٰ الحقّ، وهو يظهر بالتأمّل:

▫ قوله ﷺ: **وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ، وَاعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ...**

أي وإن غلبتَ العدوّ علينا بمقتضى مَصلَحتك فارزقنا الشّهادة في سبيلك وأعَصِمنا من الفِتنة والضّلالة في طريق دينك وأنت ترىٰ أنّ في هاتين الفقرتين دلالة واضحة علىٰ أنّ أمير المؤمنين ﷺ لم يطلب إلّا ما فيه رضىٰ لله وهو من أعلىٰ مقامات العارفين:

▫ قوله ﷺ: **أَيْنَ الْمَانِعُ لِلذِّمَارِ، وَالْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاظِ؟! الْعَارُ (النار خ ل) وَرَاءَكُمْ ،وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ...**

كلمة (أين) إستفهامية والمعنىٰ أين الّذين يمنعون الأعداء لأجل حفظ الأهل والعشيرة وغيرهم من الإخوان في الدّين ثمّ أين أصحاب الغيرة عند نزول النّوازل الثّابتة الّتي لا تدفع بل لا تلقع إلّا بعازمات الهِمَم وقوله ﷺ: من أهل الحفاظ كلمة من بيانيّة وأهل الحفاظ بيان للمانع والغائر والتّقدير أين المانع والغائر الّذين هم أهل الحفاظ وفي الكلام توبيخ منه لأصحابه حيث إنّهم لمكان نفاقهم وعنادهم وقلّة معرفتهم بدينهم وإمامهم بل وعدم غيرتهم في أهلهم وعشيرتهم تكاهلوا وتسامحوا في دفعهم شرّ الأعداء ولم يكونوا بحافظين علىٰ عوراتهم وعورات المسلمين وفيه إشعار بأنّهم مضافاً إلىٰ قلّة معرفتهم بالدّين بل عدمها لم يكونوا من أهل الغيرة والحميّة أيضاً فكان معاوية وأصحابه يهجمون عليهم بالقتل والنّهب والغارة وهم كأنّهم نائمون، قوله ﷺ: **الْعَارُ وَرَاءَكُمْ** معناه أنّكم مع فعلكم هذا لا تبقون إلّا العار والخفّة في دار الدّنيا، وقوله ﷺ: **وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ**، في صورة العمل بالوظائف المحوّلة

إلاّ رَجُلاً وَّاحِداً مُّعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ بِلاَ جُرْمٍ جَرَّهُ، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذٰلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ، إذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنكِرُوا وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَّلاَ بِيَدٍ، دَعْ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ.

◁ اللغة

(تُوَارِي) أي تحجب (أبرزا) أظهرا (سَمح) جاد (غَدراً) أي مكراً وخدعة:

◁ المعنىٰ

(اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي لاَ تُوَارِي) ولا تحجب (عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً) أخرىٰ (وَّلاَ أَرْضٌ) أي ولا تحجب عنه أرض (أَرْضاً) أخرىٰ بل هو محيط بكل شيء (منها) أي ومن الخطبة (وَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ) قيل هو سعد إبن أبي وقاص (إنَّكَ عَلَىٰ هٰذَا الْأَمْرِ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ) أي أمر الخلافة (لَحَرِيصٌ! فَقُلْتُ) له (بَلْ أَنْتُمْ وَاللهِ لَأَحْرَصُ) عليها منّي (وَأَبْعَدُ) منها (وَأَنَا أَخصُّ) بها (وَأَقْرَبُ) إليها منكم (وَإنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِّي) وهو الخلافة (وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ) وتمنعون (بَيْنِي وَبَيْنَهُ) أي بيني وبين الحقّ (وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ) دون الحقّ (فَلَمَّا قَرَعْتُهُ) أي قرعت القائل (بِالْحُجَّةِ) الواضحة (فِي الْمَلَاءِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ) وإنتبه (كَأَنَّهُ لاَ يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ) إذ لم يكن له جواب أصلاً (اَللّٰهُمَّ إنِي أَسْتَعْدِيكَ) أي أستغيث بك منهم (عَلَىٰ قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ،) علىٰ ما فعلوه بي من تضييع حقّي، (فَإنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَصَغَّرُوا) وحقّروا (عَظِيمَ مَنزِلَتِي) عند الله ورسوله (وَأَجْمَعُوا) وإتّفقوا (عَلَىٰ مُنَازَعَتِي) ومخالفتي (أَمْراً هُوَ لِي) وهو الخلافة (ثُمَّ قَالُوا: أَلاَ إنَّ فِي الْحَقِّ أَن تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَن تَتْرُكَهُ) أي إدّعوا أنّ الحقّ لهم والواجب عليّ ترك المُنازعة:

ومنها

ومن الخطبة في ذكر أصحاب الجمل:

(فَخَرَجُوا) أي أصحاب الجمل (يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ) وهي عائشة

ومن خطبة له عليه السلام (١٧١)

▫ قوله عليه السلام: اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي لاٰ تُوٰارِي عَنْهُ سَمٰاءٌ سَمٰاءً، وَلاٰ أَرْضٌ أَرْضاً.

منها:

وَقَدْ قٰالَ لِي قٰائِلٌ: إِنَّكَ عَلىٰ هٰذَا الْأَمْرِ يَا ابْنَ أَبِي طٰالِبٍ لَحَرِيصٌ! فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَاللهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ، وَإِنَّمٰا طَلَبْتُ حَقّاً لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ، فَلَمّٰا قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَاءِ الْحٰاضِرِينَ هَبَّ (بهت خ ل) كَأَنَّهُ لاٰ يَدْرِي مٰا يُجِيبُنِي بِهِ!

اَللّٰهُمَّ إِنِي أَسْتَعْدِيكَ عَلىٰ قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعٰانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلىٰ مُنٰازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي، ثُمَّ قٰالُوا: أَلاٰ إِنَّ فِي الْحَقِّ أَن تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَن تَتْرُكَهُ.

منها

في ذكر أصحاب الجمل

فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله كَمٰا تُجَرُّ الْأَمَةُ عِنْدَ شِرٰائِهٰا، مُتَوَجِّهِينَ بِهٰا اِلَى الْبَصْرَةِ، فَحَبَسٰا نِسٰاءَهُمٰا فِي بُيُوتِهِمٰا، وَأَبْرَزٰا حَبِيسَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله لَهُمٰا وَلِغَيْرِهِمٰا فِي جَيْشٍ مٰا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلاّٰ وَقَدْ أَعْطٰانِيَ الطّٰاعَةَ، وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ طٰائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ، فَقَدِمُوا عَلىٰ عٰامِلِي بِهٰا وَخُزّٰانِ بَيْتِ مٰالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهٰا: فَقَتَلُوا طٰائِفَةً صَبْراً، وَطٰائِفَةً غَدْراً، فَوَاللهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ

وأمّا أنّه لا حجاب بينه وبين خلقه لأنّ الحجاب يُعقَل في الأجسام الكثيفة وأمّا المَجرّد التامّ الكامل المُنزّه عن الجسم والجسمانيّات فلا يعقل الحجاب بالنّسبة إليه كما ثبت في العلوم العقليّة.

وثانيهما: أنّ السّماء والأرض لَيستا بواحدةٍ بل لهما كثرة واقعيّة وقد فرغنا عن بحثهما في المجلّد الأوّل من كتابنا هذا عند شرح الخُطبة الأُولىٰ مع أنّا لا نحتاج إلىٰ إثبات التَعدُّد فيهما بعد نصّ القرآن به حيث قال تعالىٰ: ﴿**اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوٰاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**﴾(١)

و: ﴿**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوٰاتٍ طِبٰاقاً**﴾(٢)

و: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمٰوٰاتٍ طِبٰاقاً**﴾(٣) وأمّا أنّ السّماء ما هي وما المراد من سبع سموات والأرض فقد قلنا هناك إنّ العدد المذكور ليس للحصر بل لبيان الكثرة فلاينافيه كونهما أكثر وإن كان الإعتماد علىٰ ظاهر الكتاب أيضاً لا بأس به وكيف كان فالكلام هنا طويل والأقوال كثيرة وأمّا أنّهما أعني السّماء والأرض ليستا بواحدة فهو ممّا لا كلام فيه عند الكلّ وهو يكفينا في المقام.

□ قوله عليه السلام: **وَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: إِنَّكَ عَلَىٰ هَذَا الْأَمْرِ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ...**

قال المعتزلي هذا من خطبة يذكر فيها ما جرىٰ يوم الشّورىٰ بعد قتل عَمروَ الّذي قال له هذا الكلام سعد إبن أبي وقّاص مع روايته فيه: أنت مِنّي بمَنزلة هرون من موسىٰ، وهذا عَجَب وقالت الإماميّة هذا الكلام يَوم السّقيفة والّذي قال له هذ الكلام هو أبو عبيدة إبن الجرّاح والرّواية الأُولىٰ أظهَر وأشهَر انتهىٰ.

وأنا أقول: الرّواية الأُولىٰ كالثّانية والثّانية كالأُولىٰ في عدم الشُّهرة والظّهور ونحن لا ندري مَنِ القائل به ولا نحتاج إلىٰ هذا العِلم بعد ما ثبت أصل الموضوع وهو أنّ هذا الكلام قد قيل له والمُهِمّ هو هذا لا القائل به فإنّ القائل به أحد مخالفيه سواء كان سَعد أم أبو عبيدة أم عثمان أم أبو سفيان وغيرهم

١- الطّلاق ـ١٢ ٢- الملك ـ٢
٣- نوح ـ١٥

(كَمَا تُجَرُّ الْأَمَةُ عِندَ شِرَائِهَا) ولا إختيار لها (مُتَوَجِّهِينَ) هـؤلاء القوم (بـها) بعائشة أي بمصاحبتها (إِلَى الْبَصْرَةِ) للحرب (فَحَبَسَا) أي الزبير وطلحة (نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا) بالمدينة (وَأَبْرَزَا) وأظهرا (حَبِيسَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا) أي ولغيرهما من أصحاب الجمل (فِي جَيْشٍ مَّا مِنْهُمْ) كلمة ما للنفي (رَجُلٌ إِلاَّ وَقَدْ أَعْطَانِيَ الطَّاعَةَ، وَسَمَحَ) وجاد (لِي بِالْبَيْعَةِ) في المدينة (طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ) في بيعتهم إيّاي (فَقَدِمُوا) هؤلاء الأشرار (عَلَىٰ عَامِلِي بِهَا) بالبصرة (وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِّنْ أَهْلِهَا) أي أهل البصرة (فَقَتَلُوا) فيها،(طَائِفَةً صَبْراً) وظلماً بلا دفاع منهم (وَّطَائِفَةً) أُخرىٰ (غَدْراً) ومكراً وحيلةً (فَوَاللهِ) أي أقسم به (لو لم يُصيبُوالَوْ لَمْ يُصِيبُوا) هؤلاء ولم يقتلوا (إِلاَّ رَجُلاً وَّاحِداً مُّعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ بِلاَ جُرْمٍ جَرَّهُ) وإجتراه (لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَٰلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ) وذلك (إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنكِرُوا) قتله (وَلَمْ يَدْفَعُوا) عن قتله (بِلِسَانٍ وَّلاَ بِيَدٍ) وهو دليل علىٰ رضاهم به بل شركتهم فيه (دَعْ مَا أَنَّهُمْ) كلمة ما موصولة (قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلِ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ) أي مع أنّهم قتلوا من المسلمين عدد جيشهم وعليه فعقابهم أشدّ وأكثر وبعبارةٍ أُخرىٰ إن كان قتلهم واحداً من المسلمين يوجب قتلهم جميعاً فما تقول في قتلهم عدد جيشهم؟

◁ الشرح

▫ قوله ﷺ: اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي لاَ تُوَارِي عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً، وَّلاَ أَرْضٌ أَرْضاً...

قد مضىٰ الكلام غير مرّةٍ في معنىٰ الحمد وإسم الجلالة والمقصود أنّي أحمد الله أو الحمد لمن هو كذلك أي الله الّذي لا تحجب عنه سماءٌ سماءً أُخرىٰ ولا تحجب أرض أرضاً أخرىٰ بل هو محيط بكلّ شيء لا يحجب عنه شيء شيئا وفي هذ الكلام أشار ﷺ إلىٰ أمرين:

أحدهما: علمه وإحاطته بكلّ الأشياء وأن لا حجاب بينه وبين خلقه بل نسبته إلىٰ الكلّ ونسبة الكلّ إليه علىٰ حدّ سواء وذلك لأنّه خالق الكلّ والكلّ مخلوق له والنِسبتان مُتساويتان:

والقَدرة والعدل والأمانة والسّخاوة وغيرها ممّا هو مُعتبر فيها ومَنِ الّذي يَدّعي وجودها في غيره إلّا الجاهل العَنُود:

۴ـ **وكونه أقرب إلىٰ الخلافة** فوَجهه قد ظهر ممّا ذكرناه ويمكن أن يكون المراد به أقرب إلىٰ الرّسول نسباً أو أقرب إليه إيماناً أو أقرب إلىٰ الله والأقرب يمنع الأبعد:

▫ قوله ﷺ: **وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ...**

أي لستُ بحَريصٍ كما توَهمَت بل إنّما طلبتُ حقّاً هو لي لا لغيري وهو الخلافة وأنتم معاشر قريش تَحولُون بَيني وبَين حَقّي وتَضربون وجهي دُونه أي تدفعونه عنّي بالقهر والظّلم ومن المعلوم أنّ طلب الحقّ ليس من الحِرص بل هو واجب علىٰ كلّ مُسلِمٍ وَصَل إليه أم لا إذ في تَرك الحقّ من غير عذرٍ إعانة علىٰ الظّلم وتشجيع للظّالم علىٰ فعله وفيما ذكره إيماء إلىٰ أنّ القائل كأكثر النّاس لَم يَعلَم الفرق بين الحِرص وطلب الحقّ بل نقول المذموم من الحِرص هو الحِرص علىٰ الدّنيا لا مطلقا فإنّ الحِرص علىٰ طلب الحقّ وإجراء العدالة وطلب العلم والمسارعة في الخيرات وأمثال ذلك لا منع فيه بل هو مَمدُوحٌ إن جَوّزنا إطلاق الحِرص عليها فمن منع صاحب الحقّ عن الوصول إليه ثمّ غَصبه لنَفسه فهو الحَريص علىٰ الدّنيا واقعاً وهو غيره ﷺ:

▫ قوله ﷺ: **فَلَمَّا قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَاءِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ (بهت خ ل) كَأَنَّهُ لاَ يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ...**

قرعته من قرعه بالعصا ضربه بها والمعنىٰ فلمّا ضَربتُه وألزَمتُه بالحُجّة والبُرهان في الملاء الحاضرين هَبَّ أي إنتبه عن غفلته وفي نُسخَةٍ بُهِت فمن قوله تعالىٰ: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ كأنّه أي القائل لا يَدري ولا يعلم الجواب وهذا هو الدّليل علىٰ كذبه وحُمقه:

والحاصل أنّ البحث في أصل القول لا في القائل به والمراد بالأمر في كلامه هو الخلافة والحريص فعيل من الحِرص وهو فرط الشّره وفرط الإرادة وهو من الصّفات القَبيحة في الإنسان بل أقبَحها وأشنَعها وأصل ذلك من حَرَصَ القصّار الثّوب أي قَشّره بِدقّةٍ وقد وردت الآيات والأخبار بذمّه وسيجئ الكلام فيه:

▫ قوله عليه السلام: **فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَاللهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخصُّ وَأَقْرَبُ...**

أي فقلت في جواب القائل: بل أنتم والله أحَرص بالخلافة منّي والحال أنّكم أبعد بها منّي وأنا أقرب إليها منكم وأخَصّ بها أمّا كونهم أحَرص منه فلأنّهم طلبو أمراً ليس لهم وأمّا أنّهم أبعد منها فلعدم وجود الشّرائط فيهم وأمّا أنّه عليه السلام كان أخصّ وأقرب فلوجود الشّرائط فيه عليه السلام وكونه أقرب إلى الخلافة منهم وتوضيح الكلام يستدعي رسم أمُور:

أحدها: أنّهم كانوا أحرص.

وثانيها: كونهم **أَبْعَدُ.**

وثالثها: كونه عليه السلام **أَخصُّ.**

ورابعها: كونه عليه السلام **أَقْرَبُ.**

١ـ **أمّا الأوّل:** فلأنّ القائل بهذا الكلام كائنا من كان لم يكن له حَقٌّ في الخلافة بنصّ من الله ورسوله والأدلّة العَقليّة وهكذا غيره من أمثاله وأقرانه وحيث إنّهم كانوا طالبين لها من غير حقٍّ فهم أحَرص عليها فإنّ طلب الشّئ من غير حقٍّ أدلّ دليل على الحِرص:

٢ـ **وأمّا كونهم** أبعد أي عن الخلافة فلكونهم غير واجدين لشرائط الخلافة ومن كان كذلك فهو بعيدٌ عنها ويمكن أن يكون المراد بقوله عليه السلام: أبعَد، أبعَد عن الله ورسوله أو أبعَد عن الدّين والكلّ محتمل والمآل واحد.

٣ـ **وأمّا قوله** عليه السلام وأنا أخَصّ أي أخَصّ بها أو أخَصّ بالرّسول: أمّا كونه أخصّ بالخلافة فلأنّ شرائط الخلافة كانت موجودة فيه لا في غيره من العلم

المطّلب وهكذا غيره، نازعوه وخالفوه بل حاربوه ونَكثُوا بَيعَته مُشعراً بعدم لياقته للخلافة، مع سكوتهم في عهد أبي بكر وعُمر وعُثمان وهو دليل على موافقتهم لهم، فلا محالة معاوية وأمثاله أيضاً يَغتنمُون الفُرَص ويقولون ويفعلون فيه كلّ ما أرادوا ولا عَجَب منهم ففي الحقيقة الذّنب كلّ الذّنب للقريش الّذين أسّسوا هذا الأصل وجعلوه كأحدٍ من النّاس ولم يُراعوا فيه الله ورسوله وأيّ قطع رحم أشَدّ وأعظَم منه فصاروا بذلك مصداقين لقوله تعالى حيث قال: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١)

وأمّا قوله عليه السلام: **وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنزِلَتِي**، فهو إشارة إلى أمرين:

أحدهما: أعني قومه صَغّرَوه وحَقّروه، بجعلهم غيره أولى بالخلافة منه فبايعوا أبابكر أوّلاً وعُمر ثانياً وعثمان ثالثاً وإن كانوا أعني الخلفاء الثلاثة أيضاً من قريش إلّا أنّهم لو لا حماية القوم عنهم ومساعدتهم وموافقتهم إيّاهم على الخلافة لم يكن لهم منها حظٌّ ولا نصيبٌ لعدم لياقتهم لها من جميع الجهات فهم وإن أذنبوا من جهة تَصدّيهم لها وقبولهم الخلافة الّتي كانت لِغيرهم إلّا أنّه لا ينافي كون غيرهم أيضاً مُذنبين لمساعدة الغير إيّاهم بل الحقّ أنّ الحامي لِلظّالم الخاطئ ذنبه أشدّ وأعظم مِمّن يَتصدّى له ضرورة أنّ قوام الظّالم بغيره من أعوانه وأنصاره:

وكيف كان لا شكّ لنا عقلاً ونقلاً في ثبوت الإمامة له عليه السلام كما مرّ الكلام فيه في المجلّد الأوّل عند شرحنا للخطبة الشّقشقيّة وقد قال عليه السلام في أوّلها: أما والله لقد تقمّصها فلان وأنّه ليعلم أنّ محلّي محلّ القطب من الرّحى إلى آخر ما قال وهو نصّ منه عليه السلام على المُدّعى فمَن منعه عنها وجعله في المَرتبة الرّابعة من الفضل على ترتيب الخلافة فقد حَقّروا وصَغّروا منزلته:

وثانيهما: أنّ له عليه السلام عند الله ورسوله منزلة عظيمة لم ينلها أحد من أصحابه

١- البقرة ـ ٢٧

▫ قوله عليه السلام: **اَللّٰهمَّ إنِي أَسْتَعْدِيكَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي...**

ثمّ دعا علىٰ قريش وقال اللّهم إنّي أستعديك وفي نسخة أستعينك علىٰ قريش والمعنىٰ واحد ومن أعانهم أي أعان قريشا علىٰ ما فعلوا بي فإنّهم قطعُوا رَحمي الّذي كان بَيني وبَينهم وصَغّرُوا وحَقّرُوا عظيم منزلتي بين النّاس:

أمّا أنّهم قطعوا رحمه فهو ظاهر وذلك لأنّهم كانوا مأمورين من الله ورسوله بإحياء كلمة التّوحيد وسنّة الرّسول قال تعالىٰ: ﴿**ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[1] وممّا جاء به الرّسول هو نصب علّي بإمارة المؤمنين بل هو الأصل فيما جاء به صلى الله عليه وآله وما ذكرناه وإن كان من وطائف العموم أعني جَميع المُسلمين لعموم الخطاب إلّا أنّ طائفة قريش لقرابتهم بالنّبي صلى الله عليه وآله كانوا أحقّ بالعمل به فلأجل هذا قال عليه السلام ما قال فيهم:

والوجه الآخر أنّهم أي قُريش إستدّلوا علىٰ مقاصدهم في السّقيفة بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الأئمّة من قُريش وبهذه الحُجّة جعلوا الخلافة فيمن جعلوها ألا ترىٰ أنّ المدّعين للخلافة قالوا في جواب الأنصار منّا أمير ومنكم أمير، نحنُ أقرب إلىٰ رسول الله منكم فنحنُ الأُمراء وأنتم الوزراء وحيث إنّهم بهذه الوجوه خصّوا الحقّ بهم فلِمَ لَم يَجعلوه فيمن هو أقرب برسول الله صلى الله عليه وآله منهم وبذلك قَطعوا رَحمه والجامع هو أنّهم لم يُعينوه ولم يَنصُروه في إستيفاء حقِّه بل خَذَلُوه ثمّ حاربُوه في قصّة الجَمل وإتّهموه بما لا يَنبغي له ولهم ونَزّلوه عن مقامه الّذي جَعَله الله له حتّىٰ وصلت النّوبة إلىٰ إبن أبي سفيان الدّعِي إبن الدّعِي وقال العوام كالأنعام: علّي ومعاوية وهو أعني معاوية أيضاً ادّعىٰ الخلافة في حياته عليه السلام ولِمَ لا يَدّعي وقد إدّعاها من هو مثله ووصل إليها فإذا رأىٰ معاوية وأمثاله أنّ الزّبير وطَلحة وأمثالهما من أكابر قريش مع قرب نِسبتهم به عليه السلام فإنّ الزّبير كان إبن عمّة أمير المؤمنين إذ أُمّه صَفيّة بنت عبد

١ ـ الحشر ـ ٧

وقال الشّيخ عبده في شرحه المُختصر على نهج البلاغة أي أنهم إعترفوا بفضله وأنّه أجدرهم بالقيام به ففي الحقّ أن يأخذه ثمّ لما إختار المقدّم في الشّورى غيره عقدوا له الأمر وقالوا للإمام في الحقّ أن تتركه فتناقض حكمهم بالحقيقة في القَضِيتين ولا يكون الحَقّ في الأخذ إلّا لمن توفّرت فيه شروطه انتهى.

أقول: الكلام في مقامين:

أحدهما: أنّ العبارة (تأخذه وتتركه) بالتّاء فيهما أو بالنّون كذلك أو النّون في الأوّل والتّاء في الثّاني أو بالعكس فالإحتمالات أربعة ففي هذا المقام نقول:

الإحتمال الثّالث والرّابع لا محلّ لهما فإنّ من روى التّاء رواه فيهما ومن روى النّون أيضاً كذلك وأمّا الثّالث والرّابع وإن كانا في باديْ الأمر معقّولين إلّا أنّه لم يقل بها أحد غير الخُوئي فإنّه على ما يظهر منه قال بالثّالث، وأمّا رواية النّون فهي شاذة إحتملها البَحراني فقط فيما نعلم وأمّا غيره من الشّراح فقد قالوا بالتّاء فيهما وهو الأصح بالنّظر إلى سياق العبارة إلّا على وجهٍ بعيدٍ فالحقّ هو التّاء:

وثانيهما: ما معنى العبارة فإنّهم كما ترى إختلفوا فيه والّذي نفهم منها هو أنّ القوم قالوا إنّ في الحقّ أن تأخذه أي تأخذ الحَقّ وفي الحقّ أن تترك الحقّ أي أن تأخذ الحقّ عنهم فهو حقّ لك وأن تتركه فهو أيضاً كذلك فالأمر بيدك وعليه فكلمة (أن) في المقامين شرطية ويمكن كونها مَصدريّة على بُعدٍ فيه وعليه فالمعنى في الحَقّ أخذك به وتركك به والأوّل أولى:

ووجه إستبعاد هذ الكلام هو أنّه من جمع المتناقضين إذ لو كان الحقّ في أخذه فكيف يكون الحقّ في تركه أيضاً وبعبارةٍ أُخرى لو كان أخذ الحقّ حقّاً فلا محالة تركه ليس بحقّ وبالعكس بالعكس:

ومنها في ذكر أصحاب الجمل:

ﷺ عقلاً ونقلاً، وفي قوله إشعار بأنّ هذه المنزلة كانت مُختصّة بـه ﷺ لا يدّعيها إلّا منافق معانِد أو مكابِر عَقله، ولكنّ القوم لَم يُراعوها ولم يَحفظوها فيه حَسداً منهم عليه ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (١) وفي تعبيره ﷺ بقوله وصَغّروا، الّذي هو ماض من باب التّفعيل دليل علىٰ كونهم مُتعمّدين فيه بعد معرفتهم إيّاه كما هو مقتضىٰ القواعد الأدبيّة وهو كذلك إذ لا يمكن القول بأنّ الزّبير وطَلحة وعائشة وأمثالهم لم يَعرفُوه ولا سيّما الزّبير مع كثرة مخالطته ومحادثته إيّاه مضافاً إلىٰ قرابة نسبه وكذلك عائشة مع أنّها قد سَمِعت فيه من النّبي ما لم يَسمَعه أحد، ثـمّ إنّ هـؤلاء القـوم نَكثُوا بَيعته وخـالفُوه وحاربوه وأيّ تَصغيرٍ أشَدّ وأعظَم منه:

وأمّا الأخبار الدالّة علىٰ كونه عظيمٌ منزلةً فهي لا تخفىٰ علىٰ أحدٍ وقد ملأت متون الكُتب بذكرها من الطّرفين وقد دَوّنَ في فضائله ومناقبه بعض العامّة ما لم يُدوّنه الخاصّة ولا نحتاج إلىٰ التّعرّض بها في المقام لوضوحها وعدم إمكان إحصائها مضافاً إلىٰ أنّها من توضيح الواضحات ومع ذلك كلّه نشير إلىٰ بعض ما ورد فيه ﷺ تتميماً للبحث وتيمّناً وتبرّكاً به في خاتمة الكلام.

▫ قوله ﷺ: **وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي، ثُمَّ قَالُوا: أَلا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ...**

أي إتّفقوا هؤلاء علىٰ مُنازعتي فيما كان لِي لا لهم وهو الخلافة ثمّ قالوا ألا إنّ في الحقّ الخ:

قال الخوئي تبعاً للمعتزلي في شرح العبارة ما هذا لفظه:

أي إدّعوا أنّ الحقّ لهم وأنّ الواجب عليّ أن أترك المنازعة فيه معهم فليتهم أخذوه مُذعِنين بأنّه حقّي فكانت المُصيبة أهوَن والتّحمّل بها أسهَل انتهىٰ:

وقال البحرانّي: ورُوي نأخذه ونَتركه بالنّون في الكلمتين وعليه نسخة الرّضي والمراد إنّا نَتصرّف فيه كما نشاء بالأخذ والتّرك دونك انتهىٰ:

١- الشعراء - ٢٢٧

وثالثها: تشبيهها بالأَمَة المُعدّة للشّراء بيد صاحبها فكما أنّها لا تقدر على شيٍ إذ هي مملوكة لغيرها:

فكذلك عائشة لم تقدر على شيٍ في الحقيقة كما علمت في قصّة الحوئب:

▫ قوله عليه السلام: **فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا...**

أي فحبس الزّبير وطلحة نسائهما في بيوتهما بالمَدينة وأظهرا حَبيس رسول الله أعني عائشة وإنّما قال عليه السلام حَبيس رسول الله لأنّ المرأة شأنـها أن تُحبَس في البيت ولا تخرج منه إلّا لضرورةٍ وقوله عليه السلام: **لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا،** المقصود منه ظاهر فإنّ عائشة قد ظَهرت لكلّ العَسكَر وتَخيَّلت أنّ العَسكر من المؤمنين وهي أُمّهم وكون الأمّ فيما بين الأولاد لا بأس به ولَم تَعلَم أنّ الأُمومة في أزواج النّبي معناها عدم جواز نكاحهنّ على أحدٍ بعد الرّسول صلى الله عليه وآله لا جواز النّظر إليهنّ فإنّ النّظر إليهنّ كان مُحرّماً على النّاس وليتَ شِعري كيف رضَيت بدخولها في العَسكر مع أنّ العامّة تعتقدون بأنّها كانت عالِمة بالأحكام الشّرعيّة حتّى أنّهم أخذوا كثيراً من أحكامهم الفَرعيّة عنها وهي لم تَعلم وَظيفَتها وإن قالوا إنّها عَلِمت وخرجتْ فنقول لِمَ خرجت وعدلت عن قول الله تعالى أليس هذا من المُحرّمات وكيف بَقيت مع هذا على كونها أُمّ المؤمنين وأيّ فسقٍ أكبر منه وتفصيل الكلام في الخاتمة:

▫ قوله عليه السلام: **فِي جَيْشٍ مَّا مِنْهُمْ رَجُلٌ إلاّ وَقَدْ أَعْطَانِيَ الطَّاعَةَ، وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ طَائعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ...**

وذلك لأنّ أصحاب الجمل كلّهم بايعوه على الطاعة كما بايعوه غيره من الخلفاء قبله وقوله عليه السلام: **غَيْرَ مُكْرَهٍ**، بفتح الرّاء بصيغة إسم المفعول إشارة إلى أنّ بيعتهم له عليه السلام كانت بالطّوع والرّغبة لا بالجَبر والكراهة كما إدّعاه رُؤس المُفسدين في أنظار العوام وقد قال تعالى: ﴿فَمَنْ نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى

□ قوله ﷺ: فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَمَا تُجَرُّ الْأَمَةُ عِنْدَ شِرائِهَا، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا اَلَى الْبَصْرَةِ...

أي خرجُوا عن مَكّة وفيهم عائشة ولم يراعوا فيها حُرمة رسول الله ﷺ وكانوا يَجرّونها كما يَجُرّ صاحب الأمة أمته عند شرائطها مُتوجّهين هؤلاء إلى البصرة لإيجاد الفِتنة وفي الكلام لطائف:

إحداها: في قوله ﷺ: **يَجرّون**، ففيه إشارة إلى أنّهم ساقوها لا إختيار لها فإنّ الجرّ في الأصل الجَذب والمدّ قال في المنجد جَرّه جَرّاً وجَرّ به، جذبه مَدّه جَرّ الابل ساقها رويداً انتهى.

ومن المعلوم أنّ في المَجرور ليس إختيار بل هو سَوق الشيء من الإبل وغيرها إضطراراً وحيث كان كذلك فَعبّر ﷺ بقوله يَجرّون مُشعراً بأنّهم جَرّوها كما يَجُرّ الشّخص الإبل ويَدلّ على ما إستظهرناه أنّها بعد ما وصلت إلى الحوئب وتذكّرت ما قال النّبي ﷺ لها ولغيرها في كلاب الحَوئب وقد مَرّت القضيّة مفصّلاً في سالف الكلام، أرادت أن تَرجع إلى المَدينة فمَنعها عَبد الله إبن الزّبير وأقام أربعين رجلاً من أهل البادية على أنّ المَحلّ لا يُسمّى بالحَوئب فشَهدوا بالكِذب وأخذوا الرّشوة عليها وكانت الشّهادة هذه أوّل شهادة بُنيت على الرّشوة على ما ذكروه في الإسلام وهذه القضية مع شهرتها قد دلّت على أنّ عائشة كانت بإختيارهم وإرادتهم ساقوها حيث شاؤوا وهذا معنى الجَرّ.

وثانيها: في قوله ﷺ: (**حُرمة رسول الله**) وعدم ذكرها بإسمها فلم يقل يجرّون عائشة مثلاً وذلك لوجهين:

أحدهما: أنّهم لم يراعوا فيها الرّسول ﷺ. وثانيهما: أنّه لا حُرمة لها إلّا حُرمة الرّسول فهي مع قطع النّظر عن هذه العُلقة ليست بشيء ولعلّه لهذا لم يذكرها بإسمها تَحقيراً لها أو لأجل التّقية والأوّل أظهر إذ ليس المقام من موارد التّقية كما هو ظاهر.

لهم في عملهم هذا ومن رضي بفعل قومٍ فهُو منهم فإجراء الحكم عليهم على حدٍّ سواء وقوله عليه السلام: **دع ما أنّهم** الخ كلمة (ما) نافية ودع فعل أمر من دعا يدعوا ومعناه إترك والمقصود دع ما قلت من أنّهم لو لم يُصيبوا الخ فإنّهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدّة الّتي دخلوا بها عليهم أي على أهل البصرة أي أنّهم قتلوا من المسلمين ما عدّتهم كانت كعدّة القاتلين الظالمين هذا تمام الكلام في شرح عبارات الخطبة وقد مرّ الكلام منّا في أصحاب الجمل وحالاتهم على سبيل الإجمال سابقاً ولكن لمّا كانت الحوالة توجب الملالة وفي بعض الموارد العُسر الشّديد أردنا أن نذكر في المقام ما يوجب لك زيادة بَصيرةٍ ولا سيّما أنّ الشّارح المُعتزلي لَفّق في الباب ما يلزمنا الجواب عنه وعلى الله التوكّل وبه الإعتصام فنقول في الخطبة تنبيهات:

التنبيه الأوّل: أنّ الله تعالى لا يخفى عليه شيءٌ لا في الأرض ولا في السماء فإنّه يَعلَم السّر والعَلَن والجَهر والخفى وما في الضمائر والسرائر وهو ممّا لا كلام فيه عند المُسلمين بل جميع الأديان عقلاً ونقلاً فإنّ العلّة أعرف بالمعلول منه بل يقال إنّه ليس إلّا رشحٌ من رشحات العِلّة وفيض من إفاضاتها والجهل به يستلزم عدم عليّة العِلّة بالنّسبة إلى المجهُول سواء كان الجهل بكلّ المعلول أو ببعضه فالمعلول بما هو معلول لا يخرج عن قدرة الخالق وإحاطته به وهذه الإحاطة هي العلم به إذ العلم عبارة عن كشف المعلوم لدى العالم أو ظهور المدرَك لدى المدرِك أو ما شئت فسمّه وكلّ ذلك داخل تحت الإحاطة التامّة الناشئة عن الخالقيّة وإلى هذا أشار عليه السلام بقوله: الحمد لله الّذي لا تواري عنه سماء سماء ولا أرض أرضاً.

التنبيه الثاني: أنّ الحِرص على إطلاقه ليس بمذموم بل الحرص المذموم عبارة عن الحرص على الدّنيا وزخارفها للدنيا وذلك لأنّ الحرص في الحقيقة عبارة عن التّشهي المُفرِط وهو يختلف بإعتبار مُتعلّقه فإن كان المُتعلّق فيه الحقّ فهو حرص على الحقّ وإن كان الباطل فهو حِرصٌ على الباطل فالحِرص

نَقْسِيهِ﴾(١)

و : ﴿وَإِنْ نَّكَثُوٓا أَيْمَانَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوٓا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾(٢)

□ قوله ؏: **فَقَدِمُوا عَلَىٰ عَامِلِي بِهَا وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهُمْ مِّنْ أَهْلِهَا: فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْراً، وَّطَائِفَةً غَدْراً...**

أي فقدموا هؤلاء النّاكثين المفْسدين علىٰ عاملي بها أي بالبصرة وهو عثمان ابن حنيف الأنصاري من كبار أصحاب الرسول الله ﷺ وهَجمُوا علىٰ بيت المال فَنَهبُوه وسَرقوا أموال المُسلمين وغير هم من أهلها أي وغَير خزّان بيت المال من أهل البَصرة فإنّ أموالهم أيضاً صارت مَنهُوبة بل لم تَقنعُوا به فقتلوا طائفة من المسلمين صَبراً وطائفةً غَدراً ومَكراً والحاصل فعلوا بأهل البصرة من القتل والنُّهب والضَّرب والشُّتم وغيرها من الأذىٰ ما لم يَفعَله مُشركٌ كافر بمسلم أبداً:

□ قوله ؏: **فَوَاللهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إلاّ رَجُلاً وّاحِداً مُّعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ بِلاَ جُرْمٍ جَرَّهُ، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذٰلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ...**

أي أقسم بالله لَو لَم يُصيبوا ولَم يَقتلوا من المُسلمين إلّا رجلاً واحداً مُتَعَمدين وقاصدين لقتله بلا جُرم جَرّه المُسلم وإرتكبه ليكون مُجوّزاً لِقتله، لَحَلّ لي قتل ذلك الجَيش كلّه فَضلاً عن قتلهم كثيراً من المسلمين فإذا كان قتل الجيش واحداً كذلك حكمه كذا فما ظنّك بجيش قتل ستّة آلاف رجل أو أكثر:

□ قوله ؏: **إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنكِرُوا وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَّلاَ بِيَدٍ، دَعْ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ...**

علّل ؏ كلامه المتقدّم أعني حِلّية قتل ذلك الجَيش كلّه بقتلهم رجلاً واحداً بقوله إذ حَضرُوه أي حَضرُوا القَتل فلم ينكروا علىٰ فاعله ومباشره ولم يدفعوه بلسان ولا يَدٍ وهو أي سُكوتهم دليل علىٰ كونهم راضين به موافقين

١ - الفتح - ١٠

٢- التّوبة - ١٢

التكلّم في موارد الجهل بالأمور وأيضاً إلزام الخصم بالحجّة والبرهان القاطع كما فعله عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(١)

التنبيه الثالث: أنّه ينبغي للإنسان ولا سيّما المسلم أن لا يضيّع حقّ غيره ولا يصغّره ولا يحقّره لأجل الوصول إلى الحطام الدنيويّة والشهوات النفسانيّة كائناً من كان صاحب الحقّ إلّا أنّه بالنّسبة إلى المؤمن آكد وأشدّ وأمّا بالنّسبة إلى الله ورسوله وأوليائه فبطريق أولى كيف وبه يخرج الإنسان عن حريم الإنسانيّة فضلاً عن إيمانه وإسلامه إذا عرفت هذا فنقول:

إعلم: أنّ أكثر المسلمين ولا سيّما طائفة قريش إرتكبوا هذا الجرم بعد الرسول علناً وإنّما قلنا علناً لأنّهم كانوا في حياته صلى الله عليه وآله أيضاً كذلك إلّا أنّهم كانوا لا يعلنون به لأجل المصالح والدليل على ما ذكرناه هو أنّه من آمن بالله وبرسوله في حياة الرسول وأدّى حقّه فهو مؤمن به أيضاً بعد حياته ومعنى الإيمان كذلك عدم مخالفته بعد الحياة كقبلها فمن خالف الرسول بعد موته نكشف منه المخالفة في حياته وهذا حكم لا يخالفه العقل.

ثمّ المخالفة والمعاندة لمن ولّاه الرسول من قبل الله تعالى في الحقيقة مخالفة للرسول وهي مخالفة لله تعالى فتحقير مقام الوصي هو تحقير مقام الرسول ومنازعته منازعته ولأجل هذه الدّقيقة قال عليه السلام اللّهم إنّي أستعديك على قريش الخ.

وفي قوله عليه السلام: **وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي،** تصريح منه عليه السلام بأنّ الخلافة كانت له لا لغيره وأيّ تصريح أصرح منه فمن قال بخلافه قال بكذبه عليه السلام في مقالته هذه وتكذيبه تكذيب الرسول وهو تكذيب الله والعجب من الشارح المعتزلي في هذا المقام فإنّه لمّا رأى ما رأى من تصريحه بأنّه كان أحقّ بها من غيره وأنّهم حالوا بينه وبين حقّه إلى أن دعا على قريش بما دعاه خرج عن الإنصاف وسلك مسلك الإعتساف ولفّق من الرطب واليابس ما لا يليق

١-النحل-١٢٥

بما هو هو لا ذمّ فيه وإنّما يَسري الذمّ إليه من مُتعلّقه كما أنّ القتل أيضاً كذلك إذ القتل بما هو هو لا إشكال فيه وإنّما الإشكال فيه إذا تَعلّق بالمقتُول ظُلماً إذا عرفت هذا فاعلم أنّ الحَريص على كسب الخيرات والوصول إلى المقامات والدّرجات في مقام السلوك وإجراء المعروف وإحيائه وإماتة المنكر ورفعه وكسب الفضائل الإنسانيّة من العلم والشجاعة والعدالة وأمثال ذلك فهو ممّا لا منع فيه لا عقلاً ولا شرعاً وهكذا الكلام بالنّسبة إلى الدّنيا فإنّ الحرص على جمع المال فيها إذا كان للوصول إلى الخيرات والصّدقات والإنفاق على الفقراء وبناء المساجد وأمثال ذلك فهو ممدوح مرغّب فيه وأمّا إذا كان لا بهذه الأمور فهو مذموم مطرود ومن هذا القبيل الحكومة فإنّها تارة تطلب لنفسها وأُخرى لكونها وسيلة وسبباً لإجراء العدل وبسط المعروف ودفع المنكر وهذا واضح على المتأمّل.

وأمّا بالنّسبة إلى أخذ الحقّ المسلّم عن الغاصب الظالم فهو أعني الحرص على أخذ الحقّ يصير من الوظائف الشرعيّة الواجبة الّتي لا مَحيص عنها ولا مَعذوريّة فيها للمؤمن الموحّد فمن تركه من غير عذر فهو شريك في ظلم الظالم لإعانته عليه واقعاً وذلك لأنّه المظلوم الّذي قال رسول الله ﷺ فيه: الظالم والمظلوم كلاهما في النار، وعليه فمن طلب حقّه وأصّر عليه لا يقال إنّه حريص على الدّنيا بل يقال حريص على الحقّ فقول القائل (إنّك يابن أبي طالب على هذا الأمر لحريص) كلام يدلّ على حماقة قائله وأنّه لم يفهم معنى الحرص أصلاً، ولذلك قال ؑ في جوابه بعد إثباته الأقربيّة والأخصّية بمقام الخلافة: وإنّما طلبت حقّاً هو لي الخ وفيه إيماء إلى أنّ طلب الحقّ حقّ يجب على صاحبه طلبه وأمّا الحريص فهو الّذي يطلب ما ليس له وهو غيره ؑ ففي هذه الكلمات أثبت ؑ أمرين: إثبات الحقّ لنفسه، وإنّ طلب الحقّ لازم فقوله ؑ: **وأنا أخصّ وأقرب** يدلّ على الأوّل، وقوله وإنّما طلبت حقّاً هو لي إلى آخر الكلام على الثّاني ثمّ إنّ قوله ؑ **فلمّا قرعته بالحجّة** الخ يدلّنا على النهي عن

دين علىٰ بعض أهل الكوفة فإنحَدَر إليه يطالبه به وإتّفق أن حضرت زيارة يوم الغدير والحنبلي المذكور بالكوفة وهذه الزّيارة هي اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة ويجتمع بمشهد أمير المؤمنين من الخلائق جموع عَظيمة تَتجاوز حدّ الإحصاء قال ابن عالية فجعل الشيخ الفخر يسائل ذلك الشّخص ما فعلت ما رأيت هل وصل ما لك إليك هل بقي لك منه بقيّة عند غريمك وذلك يجاوبه حتىٰ قال له يا سيّدي لو شاهدت يوم الزيارة يوم الغدير وما يجري عند قبر علي ابن أبي طالب من الفضائح والأقوال الشّنيعة وسَبّ الصّحابة جهاراً بأصوات مُرتفعة من غير مراقبة ولا خيفة فقال إسماعيل أيُّ ذنبٍ لهم والله ما جرّأهم علىٰ ذلك ولا فَتَح لهم هذا الباب إلّا صاحب ذلك القبر فقال ذلك الشّخص ومن صاحب القبر قال علي ابن أبي طالب قال يا سيّدي هو الّذي سنّ لهم ذلك وعلّمهم إيّاه وطَرّقهم إليه قال نعم والله قال يا سيّدي فإن كان محقّاً فما لنا أن نَتّولىٰ فلاناً وفلاناً وإن كان مبطلاً فما لنا نتولّاه ينبغي أن نبرأ إمّا منه أو منهما قال ابن عالية فقالم إسماعيل مُسرِعاً فلبَس نعليه وقال لعن الله إسماعيل الفاعل إن كان يعرف جواب هذه المسئلة ودخل دار حرمه وقمنا نحن وإنصرفنا انتهى كلام المعتزلي:

وأنا أقول: نقل الخوئي ﷺ عنه ما نقلناه عنه وأجاب عنه بما هو مذكور في شرحه وهو ﷺ وإن أفاد في الجواب ما أفاد إلّا أنّا لمّا رأينا أنّه أجمل في الجواب ولم يجبه بما ينبغي لا لقصور فهمه ﷺ وعدم إطّلاعه بل لعلّه عدّه من الواضحات، أردنا أن نكشف عن مقاله حقيقة الحال ليتّضح المقال فنقول: أمّا قوله وأصحابنا يحملون ذلك على إدّعائه الأمر بالأفضليّة والأحقّية وهو الحقّ والصواب:

ففيه إنّه ليس بالحقّ ولا بالصّواب وذلك لأنّ صرف الكلام عن ظاهره وحمله علىٰ غير معناه المتعارف المعهود من اللّغة من غير دليلٍ ولا مجوّزٍ من قبيل حمل الكلام علىٰ ما لا يرضي به صاحبه وهو خيانة وتُهمَة وذلك لأنّ أمير

بشأن من يدّعي العلم والأدب فقال ما هذا لفظه:

وإعلم أنّه قد تواترت الأخبار عنه عليه السلام بنحو من هذا القول نحو قوله: مازلت مظلوماً منذ قبض الله رسوله، وقوله عليه السلام: اللّهم إخز قريشاً فإنّها منعتني حقّي وغصبتني أمري، وقوله فجزى قريشاً عنّي الجوازى فبإنّهم ظلموني حقّي وإغتصبوني سلطان ابن أمّي، وقوله: وقد سمع صارخاً ينادي أنا مظلوم فقال عليه السلام: هلُم فَنَنصرخ معاً فإنّي مازلت مظلوماً، وقوله: وإنّه ليعلم إنّ محلّي محلّ القطب من الرّحىٰ، وقوله أرىٰ تراثي نهباً، وقوله أصغيا بأذائنا وحملا الناس علىٰ رقابنا، وقوله: إنّ لنا حقّاً إن نعطه نأخذه وإن نُمنَعه نركب أعجاز الإبل وإن طال السرىٰ، وقوله: مازلت مظلوماً (مستأثراً عَلَيَّ مدفوعاً عمّا أستحقه وأستوجبه) وأصحابنا يحملون ذلك كلّه علىٰ إدّعائه الأمر بالأفضليّة والأحقّيقة وهو الحقّ والصواب فإنّ حمله علىٰ الإستحقاق بالنصّ تكفير أو تَفسيقّ لوجوه المهاجرين والأنصار ولكنّ الإمامية والزّيديّة حملوا هذه الأقوال علىٰ ظواهرها وإرتكبوا بها مَركَباً صَعباً ولعَمري إنّ هذه الألفاظ مُوهمة مغلبة علىٰ الظنّ ما يقوله القوم ولكن تَصَفّح الأحوال يبطل ذلك ويدرأ ذلك الوهم فوجب أن يجري مجري الآيات المُتَشابهات المُوهمة ما لا يجوز علىٰ الباريْ فإنّه لا نعمل بها ولا نعوّل علىٰ ظواهرها لأنّا لمّا تَصَفحنا أدلّة العقول إقتَضَت العدول عن ظاهر اللفظ وإن تحمل علىٰ التأويلات المذكورة في الكتب ثمّ ذكر قصّة هي هذه وحدّثني يحيىٰ ابن سعيد ابن علي الحنبلي المعروف بابن عالية قطفتا بالجانب الغربي من بغداد وأحد الشُهود المُعدّلين بها قال كنت حاضر الفخر اسماعيل ابن علي الحَنبلي الفقيه المعروف بغلام ابن المنىٰ وكان الفَخر اسماعيل ابن علي هذا مُقدّم الحنابلة ببغداد في الفِقه والخلاف ويشتَغل بشيْ من علم المنطق وكان حُلو العبارة وقد رأيته أنا وحضرتُ عِنده وسمَعت كلامه وتوفّي سنة عشر وستّ مِائة:

قال ابن عالية ونحن عنده نَتَحدّث إذ دخل شخص من الحنابلة قد كان له

المَدينة فهو خارج عن المهاجر المَبحُوث عنه وكذا من نصر الإسلام للوصول إلىٰ مقاصده الّتي لا يمكن الوصول إليها إلّا في قالب الإسلام ليس من الأنصار واقعاً إذ لو كان الأمر كما ذكره من التّمسّك باللّفظ من غير توجّهٍ إلىٰ معناه يلزم أن يكون أبو سفيان وابناه معاوية ويزيد من المهاجرين الممدوحين في الكتاب لأنّهم هاجروا من مكّة إلىٰ المدينة والّذي نقول ونعتقد به أنّ المهاجر من هاجر إلىٰ الإيمان أو من هجر السيّئات والأنصار من نصر الدين وعليه فأيّ إشكال في تكفيرهم أو تفسيقهم وأمّا المهاجرون والأنصار الّذينهم عملوا بوظائفهم وراعوا هجرتهم ونصرتهم فلا يلزم من قوله عليه السلام تكفيرهم أو تفسيقهم وهو ظاهر.

وقوله: ولكن تصفّح الأحوال يبطل ذلك الظنّ، فيقال له وما هذه الأحوال الّتي تَصَفُّحُها يُبطل الظنّ إلّا العناد وَالتّعصّب وهل يصّح رفع اليد عن ظاهر الكلام المؤيّد بالنّص والعقل بهذه الموهومات؟

وقوله: فوجب أن يجري مجرى المُتشابهات الموهمة ما لا يجوز علىٰ البارئ.

والجواب عنه أنّ المُتشابهات المَوهمة كذلك لا تقاس بما نحن فيه ولا سيّما المُتشابهات الموهمة ما لا يجوز علىٰ البارئ من التّجسّم والوَضع والجَهة وغيرها ممّا هُو من لوازم الأجسام وذلك لأنّها بظاهرها توجب الكفر والشّرك وهذا هو الباعث علىٰ حملها علىٰ غير ظواهرها.

وأمّا ما نحن فيه فليس كذلك إذ مَن حَمَل الألفاظ علىٰ ظواهرها يلزم إثبات الحقّ له عليه السلام وهو ليس بكفرٍ ولا الخُروج عن الدّين لِنَرفَع به اليد عن ظواهر الكلمات بل حملها علىٰ غير ظواهرها فِسقٌ وإلحاد لو لا نقول إنّه كُفرٌ وشِركٌ وأمّا أنّه يلزم من حملها علىٰ ظواهرها تكفير بعض المهاجرين والأنصار فهو ممّا لا إشكال فيه لأنّه من توضيح الواضحات وأمّا أدلّة العُقول الّتي تَصفّحُها إقتضت العدول عن ظاهر اللفظ فلا نعلم أين وجَدها ثمّ أينَ مكانها لِنَصفِحَها

المؤمنين كان من أهل اللسان ومع ذلك من أفصح العرب بعد رسول الله ﷺ فهو أعلم بما قال أو المعتزلي وأمثاله ثمّ هو ﷺ بيّن مراده ﷺ بواسطة الألفاظ الدالّة عليه كما هو شأن كلّ متكلّم وأتىٰ بألفاظ تدلّ عليه ونحن لا نعلم مراده ﷺ إلّا بألفاظه الدالّة عليه كما هو الحال في جميع الكتب والكلمات والرسائل الّتي وصلت إلينا فنسئل عن المعتزلي ونقول له هل يصحّ لنا حمل الكلمات علىٰ مقاصدنا ومعتقداتنا أو يجب حملها علىٰ ما دلّ اللفظ عليه من غير تصرّفٍ فيه إلّا في موارد خاصّة فقال ﷺ في المقام وإنّما طلبت حقّاً هو لي وقال ﷺ وأجمعوا علىٰ منازعتي أمراً هو لي، وقال ﷺ بعد الجملة الاولى وأنتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي دونه.

فمن تأمّل في هذه العبارات بعد خروجه عن رقبة التعصّب والعناد لا يَشُكّ في دلالة الألفاظ علىٰ إنحصار الحقّ له ﷺ بمعنىٰ أنّه لم يكن لغيره في الخلافة حقّ أصلاً لا أنّه أراد الأفضليّة والأحقّيقة إذ لو كان كذلك فحقّ العبارة أن يقال إنّما طلبت حقّي من الأمر أو أنا أحقّ به من غيري وأمثال ذلك من التعابير الدالّة علىٰ الحقّيقة الثابتة لغيره أيضاً بل نقول لا يمكن الإتيان بما هو أصرح ممّا أتىٰ به ﷺ في تبيين مراده ﷺ:

وأمّا قوله فإنّ حمله علىٰ الإستحقاق بالنصّ تكفير أو تفسيق لوجوه المهاجرين والأنصار؛

فهو كلام لا طائل تحته بل هو من التّشبّث بكلّ حشيشٍ وذلك لأنّه لم يدلّ دليل من العقل والنقل علىٰ عدالة المهاجرين والأنصار أو إيمانهم واقعاً ومجرّد تسميتهم بالمهاجرين أو بالأنصار لا يكفي في المقام ولا يعتمد عليه في التّحقيقات العلميّة إذ البحث ليس في لفظ المهاجر والأنصار كما أنّ الشرف والفضل أيضاً ليس فيه بل البحث في المهاجرين والأنصار الّذين مَدَحهم الله في كتابه وهُم الّذي هاجروا من الكفر إلىٰ الإيمان بمصاحبة النّبي ونصَروا دين الحقّ بأيديهم وألسنتهم وأنفسهم وأمّا من خرج عن مَكّة ودخل

أوما نا إلىٰ كيفيّة الحرب علىٰ سبيل الإجمال والّذي نقول في المقام أمور:

أحدها: أنّ الزبير وطلحة وعائشة أوقدوا نار الحرب وكان سبب ذلك أنّ عليّاً لم يقبل أن يعمل عَمَل الخلفاء قبله ويَتَطرّق بطريقهم بل إتّبَع سُنّة الرسول وطريقته في تقسيم الأموال وحماية المظلوم وغير ذلك من الأمور الّتي لابُدّ من مراعاتها لمن آمن بالله واليوم الآخر وحيث إنّ هذه الرُّوية كانت مخالفة لأميالهم ومقاصدهم ولم يمكن لهم جلب موافِقة عليّ عليه السلام في ذلك كما جَلَبُوا موافقة غيره من الخلفاء قبله فلا جرم خالفوه وحاربوه:

وثانيها: أنّهم خافوا عَدل عَليّ وذلك لأنّ الظالم يخاف من العادل أكثر من خَوف العادل من الظّلم وحيث كانوا من الظالمين الغاصبين لأموال الناس ففعلوا ما فعلوا:

وثالثها: أنّهم لم يكونوا من المُؤمنين حقّاً والقول بحديث العشرة المبشّرة في كتب العامّة من أنّ الرسول بَشّر عَشرَة من المهاجر والأنصار ومنهم الزبير وطلحة بالجنّة حَديثُ خُرافة يا أُمّ عمرو.

بل الحقّ أنّهم أسلموا ظاهراً ولمّا يدخل الإيمان في قلوبهم، وكانوا مُترصّدين لِلفرصة بعد الرسول ﷺ للوصول إلىٰ مقاصدهم وحيث إنّهم في عهد الخلفاء الثلاثة لَم يَجدوا مُستَمسكاً للقيام والخلاف وبعد قتل عثمان وجدوا ذلك أظهروا ما كان في قلوبهم ألاترىٰ أنّ الزّبير يطلب بدم عثمان وكذلك طلحة وعائشة مع أنّهم بشهادة التّواريخ كانوا من أشدّ المُلبّين عليه بتَحريكهم النّاس علىٰ قتله ولمّا قتل طلبوا بدمه وإتّهمُوا عليّاً بأنّه قَتَل عثمان فَتَمسّكوا في الوصول إلىٰ مقاصدهم بما أوجدوه وكيف كان فإنّ الزبير وطلحة نكثا بيعته وفعلا من القبائح أموراً نشير إلىٰ بعضها إجمالاً:

منها: نَكثُ البيعة من غير مجوّز فيه وقد ذمّ الله تعالىٰ الناكثين في كتابه: **﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾**(1) وقوله: **﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾**(2)

١- الفتح ـ ١٠   ٢- التوبة ـ ١٢

نَحنُ أيضاً ثمّ نقول بمقالته وذلك لأنّ عُقولنا قاصِرة عمّا أدركه عقله من لزوم الحُكم برفع اليَد عن كلام أمير المؤمنين ووصيّ رسول ربّ العالمين الّذي قال في حقّه الرسول ما قال وحمل كلامه علىٰ غير ما هو له لئلّا يلزم منه فسق حِسّان ابن ثابت الأنصاري وأبي سفيان ومعاوية بل والزّبير وطَلحَة وماضاها هم من الفاسقين المُلحدين النّاكثين لبيعته والحاربين له وقد قال رسول الله ﷺ بنقل الفريقين: يا علّي حربك حربي وسلمك سلمي، ومن المعلوم أنّ العقل الّذي يحكم به هو عقل المعتزلي والأدلّة الدالّة عليه هي الأدلّة الّتي أملاها عليه أبو جعف الإسكافي وأمثاله وإلّا فأيّ دليل عقلّي يدلّ علىٰ تخطئة علّي وتكذيبه فيما قال لحفظ المنافقين الملعونين وتطهيرهم عن الأرجاس والخبائث النفسانيّة الّتي كانوا منغمرين فيها وهل يمكن تطهير القاذُورات والأبوال والدّماء وغيرها من النجاسات:

وأمّا القصّة الّتي نقلها وأنّ الحنبلي قال: والله ماجرّأ هم علىٰ ذلك ولا فتح لهم هذا الباب إلّا صاحب ذلك القبر وهو علّي ابن أبي طالب، فهو خارجة عن مقام التحقيق لعدم إعتبارها أوّلاً وقلّة فهم الحنبلي وعناده وتعصّبه ثانياً ومع ذلك نقول:

ليس الأمر كما زعمه من أنّ الفاتح لهذا الباب هو أمير المؤمنين بل الفاتح لهذا الباب هو ظلم الظّالمين وكَيد الكائدين وغصب الغاصبين نعم إن كان مراد القائل بمقالته هذه أنّ علياً وإن كان مَظلُوماً إلّا أنّه كان موظّفاً بالسكوت وكتمان الحقّ وأن لا يُظهِرَ مَظلوميّته ومَقهُوريّته فهو شيء آخر:

والحاصل أنّ علياً ﷺ ما قال إلّا الحقّ والتّصرّف في كلماته بهذه الأراجيف الفاسدة والتأويلات الرّكيكة الباردة الحافظة لمنافع المخالفين المعاندين ممّا لا يقبله العقل السليم والذّوق المُستقيم:

التنبيه الرابع في ذكر شمّة من أصحاب الجمل:

اعلم: أنّ تفصيل الكلام في حرب الجمل مسطور في كتب التّواريخ ونحن

وأنّهما بايعاه كما بايعا أبي بكر وعمر وعثمان ثمّ لم يقنعا بنكث البيعة فقط بل فعلا ما فعلا:

ومنها: خروجهم عليه بالسيف وقد قال رسول الله ﷺ: يا علّي حَربك حربي وسلمك سلمي رواه غير واحد من العامّة والخاصّة وهو ظاهر...

ومنها: إيذائهم إيّاه وقد قال رسول الله ﷺ: من آذىٰ عَليّاً فقد آذاني، رواه في المناقب عن كتاب ابن مردوية بإسناده عن جابر ابن عبدالله الأنصاري ومحمّد ابن عبدالله الأنصاري...

وعن الفضائل بإسناده عنه أيضاً، وفي الخصائص عن النطنزي عنه أيضاً كلّهم عن عمر ابن الخطّاب قال كنت أجفو عليّاً فليقنني رسول الله فقال إنّك آذيتَني يا عُمَر فقلت أعوذ بالله ممن آذىٰ رسوله قال إنّك قد آذيت عَليّاً ومن آذىٰ عَليّاً فقد آذاني انتهىٰ).

وأيضاً العكبري في الإبانة بإسناده عن سعد ابن أبي وقّاص قال كنت أنا ورجلان في المسجد فقلنا في عليّ فاقبل النّبي مُغضباً فقال: ما لكم ولي من آذىٰ عَليّاً فقد آذاني انتهىٰ...

وأيضاً الحاكم الحافظ في أماليه وأبو سعيد الواعظ في شرف المصطفى والنطنزي في الخصائص بأسانيدهم أنّه حدّث زيد ابن علي وهو آخِذ شَعره قال حدّثني علي ابن الحسين وهو آخذ بشعره قال حدّثني الحسين ابن علي وهو آخذ بشعره قال حدّثني عليّ ابن أبي طالب وهو آخذ بشعره قال حدّثني رسول الله وهو آخذ بشعره فقال: من آذىٰ أبا حسن فقد آذاني حقّاً ومن آذاني فقد آذىٰ الله ومن آذىٰ الله فعليه لعنة الله وفي رواية من آذىٰ الله لعنه الله ملأ السّموات والأرض انتهىٰ «المناقب لأبن شهر آشوب ج ٣ ص ٢١٠ و ٢١١» وفيه قال الصوري:

سَيُسئَل مَن آذىٰ النّبي وآله بما ذا خلفتم لإختلفتم محمّداً

وقد ثبت أنّ بيعتهما كغيرهما كانت عن طوعٍ ورغبةٍ لا عن كراهةٍ وخوفٍ وذلك لأنّ علياً لم يكن شائقاً مائلاً إلى الخلافة بعد عثمان وذلك لعلمه عليه السلام بوجود المفسدين الّذين يغتنمون الفرص على أنّهم سلكوا بعد الرسول غير مسلكه واعتادوا به فمن أراد أن يحوّلهم ويغيّرهم عمّا كانوا عليه لا يتمكّن منه وبعبارةٍ أُخرى أمره كان دائراً بين أمرين إمّا إن يسلك مسلك من كان قبله من الخلفاء وإمّا أن يسلك مسلك الرسول والأوّل مناف لدينه وإيمانه وتعهّده والثاني مناف لدنياه ومع ذلك فيه إشكالات وموانع لا يمكن رفعها والعبور عنها بسهولة بل بعسر أيضاً وهذا هو السرّ في قوله عليه السلام حيث قال في أوّل الأمر في جواب القوم الّذين كانوا مصرّين على قبوله الخلافة:

دعوني والتمسوا غيري فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول الخ فقوله: دعوني والتمسوا غيري صريح في كراهته عليه السلام لخلافتهم وإمارتهم إلّا أنّ الناس لم يتركوه ولم يقبلوا منه العذر وقالوا ما نحن بمفارقيك حتّى نبايعك، وكان الزحام منهم بحيث خاف عليه السلام الفتنة ألا ترى إلى قوله عليه السلام في الخطبة الشقشقيّة، فما راعني إلّا والناس ينثالون عليّ من كلّ جانب حتّى لقد وطئ الحسنان وشقّ عطفاي مجتمعين حولي كربيعة الغنم فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أُخرى وفسق آخرون، وقد بسطنا الكلام هناك في شرح الكلمات والغرض من إيرادها في المقام الإستدلال بكلامه عليه السلام على المدّعى وأنّه ما أراد الخلافة بعد عثمان وأمّا بعد الرسول فنعم، وذلك لقول الشاعر:

إذا وقع الذُّباب على طعام رَفعتُ يدي ونَفسي تَشتهيه

ومع ذلك فقال عليه السلام إن كان ولابدّ من ذلك ففي المسجد فإنّ بيعتي لا تكون خفيّة ولا تكون إلّا عن رضاء المسلمين فبايع الزبير وطلحة كغيرهما من الناس بالطّوع والرّغبة بل بالإصرار والإلتماس وإذا كان الأمر على هذا المنوال فما وجه نكثهما البيعة والحرب معه ولم يَحدُث منه عليه السلام حَدَث يُوجب ذلك

لا يساعده الإسلام إذ المسلّم منه هو قتل النَّفس بالنَّفس لا قتل جماعةٍ بواحد وإن كانوا شركاء فيه بأجمعهم وعليه فلو قَتَل الجيش رجلاً واحداً متعمّداً كيف يحلّ قتل ذلك الجيش والدليل على أصل الحكم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّى الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾ (١) وفي الصافي عن العيّاشي أنّه قال إذا إجتمع العدّة على قتل رجل واحد حكم الوالي أن يقتل أيّهم شاؤا وليس لهم أن يقتلوا أكثر من واحد إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً﴾ إلى قوله ﴿فَلاَ يُسْرَف فِي الْقَتْلِ﴾ (٢) انتهى.

وروى في الوسائل بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا إجتمع العدّة على قتل رجل واحد حكم الوالي أن يقتل أيّهم شاؤا وليس لهم أن يقتلوا أكثر من واحد إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرَف فِي الْقَتْلِ﴾ انتهى.

أقول: ما ذكره العيّاشي لعلّه هو هذا الحديث بعينه:

نعم لو إشترك جَماعة في قتل شخص وكانوا محدودين في القتل بمعنى ثبوته لاثنين أو ثلثة أو أربعة وهكذا فقد وردت الروايات بقتل واحد منهم وأخذ الدِّية بالنّسبة عن غيرهم وقتلهم جميعاً وتأدية الدّية من الوَلّي مثلاً إذا إشترك إثنان في قتل واحد فلولي الدَّم قتل أحدهما وأخذ نصف الدّية عن الآخر وفي ثلثة ثلث الدّية وفي أربعة ربعها وهكذا في الخَمسة خَمسها من كلّ واحد من المتروكين:

وله قتلهم جميعاً وتأدية كلّ واحد منهم غير الواحد إلى أوليائهم فلو كانوا أعني القاتلين عَشرَة وأراد ولي الدَّم قتلهم جميعاً يجب تأدية دية غير الواحد وهم تسعة إلى أوليائهم:

قال الشّهيد رحمه الله في اللّعمة: لو إشترك في قتله جماعة قتلوا به جميعاً إن شاء الولي بعد أن يَرُدّ عليهم ما فضل عن ديته وله قتل البعض فيَردّ الباقون من الدّية

١- الإسراء-٣٣.

٢- الاسراء-٣٣

بماذا ينال الفاسقون شفاعة لأحمد لمّا حاربُوا آل أحمداً
أترجُون عند الله لا بل تَبَوّؤا من النّار إذ خالفتم الله مقعداً
سَيجمَعكُم والطيّبين مواقفاً وتلقون ما قدّمتُموه مُؤكّداً

وقال آخر:

ولمن يقول سِوىٰ علّي كُلّ مَن آذىٰ أبا حَسَنٍ فقد آذاني
حقاً ومن آذىٰ النّبي فإنّه مُؤذ بخالقي الذّي أنشاني
حقّاً ومَن آذىٰ المَليك فإنّه في النّار يَرسف أيما رَسفان

ومنها: أنّهم خرجوا وجرّوا حرمة رسول الله ﷺ أعني عائشة فإنّ الحرمة كناية عن الزوجة أو هي بمعناها علىٰ ما قيل ولم يخرجوا نسائهم من بيوتهم فيقال لهم إن جاز بزعكم دخول النساء في الحروب وشركتهنّ فيها فلِمَ حَبِستم نسائكم في بيُوتكم ولَم تُخرجُوهنّ كما خَرجتُم بها وإن لم يجز ذلك فلِمَ فعلتم بها ما فعلتم وإنّما جعلنا الوِزر علىٰ أعناقهم تبعاً لقوله عليه السلام مع أنّ عائشة أيضاً كانت مقصّرة في خروجها بل يقال إنّها أخرجَتهُم لا أنّهم أخرجُوها والعلّة في جعل الوزر عليهم هو أنّ النِّساء نواقص العقول نواقص الإيمان فلو لا تشويقهم إيّاها بالخُروج ووافقوها عليه لما خَرجَت:

ومنها: هجومهم علىٰ أهل البصرة ونَهبَهم أموالهم وأموال بيت المال ولا شكّ أنّ هذا العمل منهم بمنزلة السّرقة بل عينها والسّارق خائن قال تعالىٰ: **﴿السارق والسارقة فإقطعُوا أيديَهما﴾**:

ومنها: قتلهم طائفة من السملمين صبراً وطائفة غَدراً وقد قال تعالى: **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاَئُه جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾** (١)

و: **﴿وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللهُ اِلاّ بِالْحَقِّ﴾** (٢)

بقي في المقام شيئ وهو قوله عليه السلام: **فو الله لو لم يصيبوا من المسلمين إلّا رجلاً واحداً** إلىٰ قوله عليه السلام **لحلّ لي قتل ذلك الجيش** فإنّ هذا الكلام علىٰ ظاهره

١- النّساء-٩٣
٢- الأنعام-١٥١

من دون إذن الإمام، فيقال له لم يختلف في عدم جوازه أحد من الأصحاب فيما نعلم وأيّ شخصٍ فاضل يقول به فضلاً عن العالم المُجتهد الجامع لِشرائط الفتوى والحاصل أنّ الأمر بالمَعرُوف والنَّهي عن المنكر واجبان كغيرهما من الواجبات من الصّلاة والصّوم والحجّ وأمثالها فيجب الإتيان بهما مع وجود شرائطهما ومن شرائطهما إمكان العمل بهما عادة فإذا علم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أنّ المخاطب لا يعمل بهما قطعاً أو أنّه إن أمر به ونهي عنه يقتل فهل يجوز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فضلاً عن وجوبهما، لا خلاف في عدم وجوبهما في المفروض بل في عدم جوازهما ولا يبعد أن يكون ما نحن فيه أعني سكوت الساكتين في الجيش من هذا القبيل لعلمهم بعدم تأثيرهما في القاتل أو الخوف من القتل لو قالوا بهما ففي هذه الصورة أيّ ذَنبٍ لهم حتّىٰ يقال حلّ قتلهم للإمام، أليسَ السكوت أعمّ من الإنكار القلبي ءأليسَ الإمام مأموراً بظاهر الأمر وعلى فرض كون الإمام مأموراً بالواقع وفرضنا علمه عليه السلام بالواقع كما هو كذلك فعلم إنكاره القلبي مثلاً، أيجوز قتله بذلك الإعتقاد القلبي، كلّ ذلك لا يجوز، وليت شعري كيف يقول الخوئي بهذه المقالة ومن أينَ ثَبَت له جواز قتل من سكت عنهما بلسانه ويَده، فإن أثبت له حكم الإرتداد الّذي نحكم بقتله كالمُرتدّ الفطري مثلاً فهو أيضاً لا يثبت وذلك لأنّ الإرتداد لا يحصل إلّا لمنكر الضروري بلسانه لا لمعتقده بقلبه، مضافاً إلىٰ أنّ كونهما من الضروريات مثل الصّلاة والصّوم في حيّز المنع وعلىٰ فرض كونهما منها لا يلزم من إنكارهما بالقلب الإرتداد كما لا يلزم الإرتداد من إنكار المنكر بقلبه في الضروريات، ثمّ مع تسلّم هذه الأُمور كلّها فالإرتداد أوجب القتل وهو حكم آخر وبعد اللّتيا واللّتي لا محمل لكلامه رحمه الله وأعجب من ذلك كلّه قوله: فقد ظهر بذلك كلّه أنّ تعليله عليه السلام حِلّ قتل الجيش بحضورهم قتل المُسلم من دون إنكار له ودَفع عنه موافق بظاهره لأُصول المَذهَب ولقواعد الشّرع ولا حاجة إلىٰ التّوجيه وتَحمّل التّأويلات الّتي تكلّفها

بحسب جنايتهم انتهىٰ.

والّذي يحصل لنا في المقام من مَجمُوع الرّوايات وكلمات الفقهاء هو إختيار قتل واحد منهم، أو إختيار قتلهم جميعاً مع الدِّية علىٰ ما مرّ تفصيله وأمّا إختيار قتلهم من غير دية فلم يقل به أحد من الفقهاء إذا عرفت هذا فنقول: قول المعتزلي ومن تبعه من الشُّراح في حلّ الإشكال من أنّه يجوز قتلهم لأنّهم اعتقدوا ذلك القتل مباحاً فقد إعتقدوا إباحة ما حَرَّم الله الخ لا وجه له.

والعَجَب من الخوئي ﷺ حيث إنّه إستدلّ على جواز القتل بأدلّة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر فقال ما لفظه: فإن قلت أفتحكُمون بجواز ذلك حسبما يدلّ عليه ذلك الكلام؟

قلت ـ نعم لأنّ الأمر بالمعرُوف والنَّهي عن المُنكر واجبان شرعاً فالتارك لهما تارك للواجب وعامل للمُنكِر فيجوز للإمام رَدعه عنه بأيّ وجهٍ أمكَن كساير من ترك الواجبات وأتىٰ بالمُحرّمات فإذا علم من أوّل الأمر أنّه لايجدي في الرّدع إلّا القتل لجاز ذلك للإمام إتّفاقاً وإن إختلف الأصحاب في جواز ذلك أي القتل الّذي هو آخر مراتب الأمر بالمعرُوف والنّهي عن المنكر لغيره من دون إذنه انتهىٰ.

وأعجب منه إستدلاله بالأخبار الّتي وردت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وموضَعها في الشّريعة المقدّسة وأنّ تركها يُوجب العذاب والخسران في الدّارين إلىٰ آخر ما قال ولَم يعلَم أنّ هذه الأخبار الّتي تمسّك بها تدلّ على الإعتناء بشأنهما ووجوبهما مع الشّرائط وهو لا يوجب إثبات حكم شرعيٍّ من أنّ تاركهما يجب أو يجوز قتله وأيّ دليل دلّ عليه ومن أفتىٰ به مِن الفُقهاء ونحن نسئل منه ونقول لو فَرضنا أنّ الإنسان المُكلّف تَرك الأمر بالمعرُوف والنّهي عن المُنكر بالمَرّة مُتعمّداً بل ومع إنكاره لهما قلباً هل يجوز لأحدٍ قَتله فإن قال نعم كما يقول به نطالب منه الدليل قوله لجاز ذلك لِلإمام إتّفاقاً، نقول له: من الّذين إتّفقوا فيه، قوله وإن إختلف الأصحاب في جواز ذلك القتل لِغيره

المعتقد مظهراً إعتقاده بلسانه علىٰ سبيل الإنكار فمجرّد الإعتقاد لا يكفي وعلىٰ المدّعي الدليل وبما ذكرناه وحقّقناه قد علمت أنّ الخوئي والبحراني تبعا في الحقيقة المعتزلي في الأصل إلّا أنّهما خالفاه في جُزئيّته وأنت إذا تأمّلت في إعتراض البحراني لعلمت صحّة ماذكرناه أعني موافقته في الأصل ومفارقته بأنّ ما فعلوه كان بتأويلٍ لَهم وبذلك قد ظَهر الفَرق بين إعتقاد حِلّ الخَمر والزّنا وبين إعتقاد هؤلاء لإباحة ما فعلوه.

إذ لقائل أن يقول إعتقاد الإباحة وعدمه سيّان في جواز القتل وعدمه إذ كلّ من يفعل قَبيحاً يَعتقد إباحته وجوازه والحاصل أنّهم خَرجوا عن البحث ولم يقدروا علىٰ حلّ الإشكال فَتمسّكوا فيه بما هو أوهَن من بيُوت العنكبوت فحكموا بجواز قتل الجَيش وحِلّه له ﷺ بهذا السّبب فتأمّل في المقام نعم هنا وجه آخر نقله المعتزلي عن القطب الرّاوندي ؒ في شرحه وهو أنّه قال:

يُريد ؑ أنّهم داخلون في عُموم قوله تعالىٰ: **﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا﴾**[1] ثمّ إعترض المعتزلي عليه وقال:

ولقائل أن يقول الإشكال إنّما وقع في قوله ؑ: **لو لم يصيبوا من المسلمين إلّا رجلاً واحداً** لَحَلّ لي قَتل ذلك الجَيش بأسره لأنّهم حضروا المُنكَر ولَم يَدفعُوه بلسانٍ ولا يَدٍ فهو عَلَّل إستحلال قتلهم بأنّهم لم ينكروا المنكر ولم يعلّل ذلك بعموم الآية انتهىٰ:

أقول: ما ذكره معترضاً عليه من هذه الجهة صحيح إلّا أنّ كلام الراوندي في جهة أُخرىٰ وهي وجوب قتلهم في الأصل ومع ذلك فهو من أَحسَن الأقوال في الباب وأَصَحُّها بالنّسبة إلىٰ ما ذكره غيره ولكنّه لا يتمّ أيضاً:

والتّحقيق عندي في المقام في حلّ الإشكال هو عدم الإشكال واقعاً وبيانه يستدعي رسم مقدّمة:

١- المائدة ـ ٣٣

شرّاح النهج كالشارح المعتزلي والقطب الراوندي والشارح البَحراني ولا بأس بالإشارة إلىٰ ملخّص كلامهم والتنبيه علىٰ ما يتوجّه عليهم انتهىٰ ثمّ ذكر قول المعتزلي بمثل ما ذكرناه مع جوابه وقال:

وإعترض عليه البحراني بأنّ القتل وإن وجب علىٰ من إعتقد إباحة ما علم تحريمه من الدين ضرورة كشرب الخمر والزنا فلِمَ قلت إنّه يجب علىٰ من إعتقد إباحة ما علم تحريمه من الدين بالتأويل كقتل هؤلاء القوم لمن قتلوا وخروجهم لما خرجوا له فإنّ جميع ما فعلوه كان بتأويل لهم وإن كان معلوم الفساد فظهر الفرق بين إعتقاد حِلّ الخمر والزنا وبين إعتقاد هؤلاء لإباحة ما فعلوه انتهىٰ قال الخوئي بعد نقله كلامه أقول: وأنت خبير بما في هذا الجواب والإعتراض كليهما من الضعف والفساد:

أمّا الجواب أي جواب المعتزلي عن الإشكال فلأنّ إعتقاده إباحة ما علم حرمته من الدين ضرورة كقتل المسلم عمداً وإن كان مجوّزاً للقتل ألبتّة إلّا أنّه عليه السلام لم يعلّل جوازه به بل علّله بالحضور علىٰ قتل المسلم وعدم الإنكار وهو أعمّ من إعتقاد الإباحة وعدمه وقد ظهر لك أنّ مجرّد ذلك كاف في جواز القتل من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا حاجة إلىٰ التقييد والتخصيص بصورة الإعتقاد مع عدم الداعي إليهما وكونهما خلاف الأصل ثمّ أجاب رحمه الله عن البحراني أيضاً بمنع كون خروجهم عن وجه الشبهة والتأويل أوّلاً وثانياً لو فرضناه كذلك فأيّ تأويل يتصوّر فى قتلهم للمُسلمين إلىٰ آخر ما قال إن شئت الإطّلاع علىٰ تفصيل كلامه فراجع شرحه وأنا أقول: كلّ ما ذكره رحمه الله في المقام إنّما هو علىٰ أصله الّذي أصّله أوّلاً من أنّ المُعتقِد لإباحة ما عُلِم تحريمه من الدين يجوز قتله من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد علمت ما في هذا الأصل من الضّعف والوَهن وأنّ أدلّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تساعد ما ذكره وأيضاً إعتقاد إباحة ما علم حرمته من الدين ليس مجوّزاً للقتل ما لم يكن المحرّم الّذي إعتقد إباحته من ضروريات الدين وكان

العقل والشّرع بقُبحه.

ثمّ إنّ تحقّق المُحاربة ليس بوضعهم السّيُوف علىٰ عواتقهم فقط لما ذكرناه من إمكان الرُّجُوع بل بالشّروع في العمل أعني إقدامهم علىٰ القتل ولو بواحد من المسلمين إذ الكلّي يوجد بوجود فرده وحيث وجُد مُسمّىٰ القتل فقد وجَد الحرب وبذلك يُوجَد المَوضُوع فيَترتّب عليه الحُكم والحُكم ليس قصاص القاتل فقط بل الحكم قتل جميع المُحاربين في المفروض إذ ليس هذا من باب القصاص حتّىٰ يقال النّفس بالنّفس بل من باب الفساد في الأرض والمُخالفة العَمَلي لله ولرَسُوله وهذا معنىٰ قوله ﷺ: **والله لَو لَم يَصيبُوا من المُسلمين** إلىٰ قوله لَحَلّ لي قتل ذلك الجَيش كلّه فإنّ قتلهم الواحد هو المَوضُوع والحُكم مُترتّبٌ عليه وأمّا قوله ﷺ: **إذ حضروه فلم ينكروا ولم يَدفعُوا بلسانٍ ولا يَدٍ ليس من التّعليل بشيْ** في أصل الحكم كما فهم منه المعتزلي وتبعه عليه من قلّده فيه.

بل المقصود منه أنّهم مع كونهم حاضرين ناظرين في هذا المورد لم ينكروا علىٰ القاتل بلسانٍ ولا يَدٍ فهم أيضاً من المُحاربين بسبب هذا السُّكُوت إذ لو كانوا نادمين لأنكروا عليهم وإذ لَيس فَلَيس فَنحكُم عليهم بما نَحكُم علىٰ من باشَر القتل وليس هذا من جِهة تَركهم الأمر بالمعرُوف والنّهي عن المُنكر كما زعم من لا خبرة له بل من جهة أنّ عدم الإنكار كاشفٌ عن دخولهم في صَفّ المُحاربين فوجوب قتلهم أو حلّيته له ﷺ كان من هذه الجهة أعني إنطباق المُحارب عليهم حَقيقةً بسبب قتلهم واحداً من المُسلمين لا من باب تَركهم الأمر بالمعرُوف والنّهي عن المُنكر أو إعتقاد إباحة ما علم تحريمُه في الدّين وأمثال ذلك من المُستخرجات التي هي خارجة عن البَحث.

إن قلت ـ إن كان الأمر علىٰ هذا المنوال فأيّ إحتياج إلىٰ قوله إذ حضروه الخ؟

قلت ـ لأنّهم إن أنكروه بلسانهم وبيَدهِم فهو كان كاشفاً عن رجوعهم إلىٰ

وهي أنّ الحاكم على النّاس على قِسمين حَقيقّي وغير حقيقّي ونعني بالأوّل من حكومته عليهم من قِبَل الله ورسوله وبغيره غيره من الحكّام الّذين حكموا عليهم بالقَهر والغَلبة بل بالرّضا منهم من غير كونه مُعيّناً من الله ورسوله والأوّل منهما لا يجوز القيام عليه ومخالفته بوجهٍ من الوجُوه لأنّ حكومته حكومة الله فَمن رَدَّ عليه فَهُو رَدٌّ على الله ومخالفته مخالفته ونصرته نُصرته وسلمه سلمه وحربه حربه وعليه فمن حاربَه وأشهَر عليه بالسَّيف فهو كافر مُرتَدّ خارج عن الدِّين وهذا ممّا لا خلاف فيه على أُصولنا في المَذهَب.

والثّاني: ليس كذلك بل يجوز مخالفته والرّدّ عليه بل وحربه في مورده وذلك لعدم كونه من قِبَل الله ورسُوله ولم يَفترض الله طاعته على أحد فهو كأحدٍ من النّاس وحُكمه حُكمهم ولم يَدلّ دليلٌ على وجوب طاعته من العقل والنّقل إذا عرفت هذا فنقول:

كان أمير المؤمنين حاكماً على النّاس بالمعنى الأوّل لا بالمعنى الثّاني فحكومته ليست كحكُومة أبي بكر وعُمر وعُثمان وأمثالهم من الحكّام العُرفي الّذين لم يكن لهم فيها حَظٌّ ولا نَصيبٌ بحَسَب الشّرع وعليه فالحَرب مَعه والقيام عليه بمنزلة الحَرب مَعَ الله تعالى ومخالفته مخالفته ولا شكّ أنّ من حارب الله ورسوله فهو كافر يجب قَتله وإن كان المحارب جَميع النّاس وحيث إنّ الزّبير وطَلَحة وعائشة وغيرهم مِمَّن هو في حَرب الجَمَل شَهروا سيُوفَهم عليه وخالفوه فصاروا بذلك مَهدُورين لِلدّم خارجين عن الإسلام والمُسلمين فهذا أصل الحكم عندنا.

ثمّ إنّ عنوان المحاربة لا يتحقّق إلّا بالعمل فمادام كونها باللّفظ لا يترتّب الحكم عليه إذ من المُحتَمل أن يرجع عن قصده ويتوب إلى الله تعالى قبل دخوله في العمل فإنّ باب التّوبة واسعٌ ولطف الله تعالى عَميمٌ بالنّسبة إلى عباده وحيث إنّ الإمام الوالي عليهم تكون ولايته ولاية الله في الحَقيقة فهو لا يَجري الحكم عليهم قبل تحقّق المَوضُوع لأنّه من القصاص قبل الجناية الّذي يَحكُم

﴿يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا﴾ (١) أو يُصلَّبوا.

وجه الإستدلال بها أنّ المُحارب لله ولرسُوله والمُفسد في الأرض فجزائه القتل أو الصَّلب وهذا حُكم الله تعالىٰ بنصّ الكتاب الّذي لا خلاف فيه بين المسلمين ومن المعلوم أنّ المُحارب لمعاوية وأمثاله ليس محارباً لله ولرسوله فلا محالة يختصّ الحكم بالإمام العادل المَنصُوب من قبل الله ورسوله وهو الّذي من حاربه حارب الله وجزائه القَتل أو الصَّلب واحداً كان المُحارب أو أكثر وحيث كان الزّبير وأصحابه مصداقين لهذه الآية فكان جزائهم القتل أو الصَّلب وقد تحقّقت المحاربة بقتلهم المُسلم بهذا العنوان فيجوز قتلهم جميعاً بالتقريب الّذي ذكرناه فإنّ غير القاتل بِحضُوره في الجَيش المُحارب وعدم إنكاره عليهم أيضاً يجوز قتله وأمّا من حضر القَتل غَير منكر له بلسانه ويَده ولم يكن من أفراد الجيش فلا يجوز قتله فَعِلّةُ حلّية القتل ليست هي عدم الإنكار فقط بل هُو وحضُوره في الجيش هذا كلّه من جهة المحاربة وأمّا من جهة الإفساد في الأرض فهي أيضاً ممّا يمكن أن يستدلّ به في المقام.

وتقريره أنّهم كانوا مُفسدين في الأرض والمُفسد يجوز قتله فهؤلاء يجوز قتلهم أمّا أنّهم كانوا مفسدين فهو ظاهر وقد تَحَقّق فسادهم وإفسادهم بقَتلهم المُسلمين فيحلّ للحاكم العادل قَتلهم جَميعاً وعدم إنكار من حَضَر دليل وكاشف عن كونه من المُفسدين مع كونه في الجَيش وهو أيضاً ظاهر.

وإنّما قلنا فيَحلّ للحاكم العادل قتلهم إشعاراً بأنّ تشخيص المفسد من غيره إنّما هو للإمام فهذا الحكم أيضاً مُختَصٌّ به وبنائبه وأمّا الحاكم الظّالم فلا يجوز له ذلك أصلاً وقد ظهر ممّا ذكرناه أنّ جواز قتل الجَيش كان مُختَصّاً به عليه السلام والعلّة ما ذكرناه فإفهم وكُن من الشّاكرين.

خاتمة: إعلم أنّ القوم أعني العامّة قد حاولوا تَصحيح أعمالهم وتَبرئَتِهم عمّا فعلوه من المحاربة والقتل والفساد والنَّهب لأموال المسلمين وغيرها من

١- المائده - ٣٣

الحقّ فلم يَجُز قَتلهم إن قلت أ لَيس لازم قوله عليه السلام: إذ حَضروه الخ أنّ المُوجب لِحِلّية قَتلهم هو عدم إنكارهم باللّسان واليَد وبعبارةٍ أخرىٰ حضورهم وعدم إنكارهم علّة لجواز قتلهم.

قلت ـ لا، بل العلّة كونهم مُحاربين لله ولِرسوله وعدم الإنكار كاشف عنه كما أنّ وجوده كاشف عن الرّجُوع والتّوبة إلىٰ الله وإلّا فَعَدم إنكارهم لا يوجب قتلهم قطعاً لو لَم يَكُن كاشفاً عن شيءٍ آخر هُو يوجب قتلهم أعني المحاربة ولعمري هذا ممّا لا غبار عليه.

والدّليل علىٰ صِحّة ما ذكرناه أمّا أوّلاً فقوله عليه السلام: (**لَحَلّ لي**) فكلمة (لي) تدلّ علىٰ حلّية قتل الجَيش له عليه السلام لا لِغَيره من الحُكّام والمُسلمين ولو لا ذلك لينبغي أن يقول لحلّ قَتل ذلك الجَيش بحذف الكلمة وحيث أتىٰ بها وإختصّ الحكم بنفسه فهو مُشعر بعدم جواز القتل كذلك لِغيره ولو كان الأمر كما ذكروه من حلّية قتلهم لتركهم الأمر بالمعرُوف والنّهي عن المُنكر أو إعتقاد إباحة المُحرّم لما كان محتاجاً إلىٰ ذكر كلمة (لِي) إذ المفروض أنّه حكم يَشمل الجَميع كسائر الأحكام العامّة فقوله هذا دليل علىٰ أنّ هذا الحكم مُختصّ بالإمام المَنصُوب من الله ورسوله ولا يسري إلىٰ غَيره من آحاد الأُمّة أصلاً ولا أظنّ أنّهم ولا سيّما الخوئي والبحراني إلتزما بحلّية قتل الجيش لما ذكروه من أدلّة الأمر بالمعرُوف والنّهي عن المنكر في الإسلام بالنّسبة إلىٰ الجَميع سواء كان الحاكم حقّاً أو باطلاً فإن قالا به فهو خطأ والخطأ في غير المَعصُوم كثير وإن لم يقولا به فكلامهم نَشَأ عن الغَفلة ولا إشكال فيه وأمّا الشّارح المُعتزلي فحاله ليس كحالهما ومَذهبه غير مذهبهما فليس هذا القول أعني إلتزامه بالحُكم بالنّسبة إلىٰ غيره عليه السلام من الخلفاء والحكّام منه ببَعيدٍ ولا كلام لنا معه وذلك لأنّه لا يقول بالفَرق بَين حكومته عليه السلام وحكومة غيره من الخلفاء فكلّما يجوز له يجوز لهُم وبالعكس هذا **أوّلاً**.

وثانياً: لنا أن نستدلّ علىٰ ما ذكرناه وحقّقناه بقوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ**

ودخول الجنّة بعد قبول التّوبة وهو المطلوب.

والجواب: أنّ الحديث مَجعُولٌ مطرودٌ فهو من قبيل نحن معاشر الأنبياء لا نورّث وإنّ أبا بكر وعُمر سَيّدا كُهُول أهل الجنّة وأمثال ذلك من الأحاديث وكيف يبشّر الرّسُول بالجَنّة الزّبير وطَلحَة مع علمه ﷺ بأنّهما من النّاكثين لبيعته والحاربين لله ورسُوله والقاتلين لجمع كثير من المُسلمين والسّارقين لأموال النّاس من بيت مال المُسلمين الخارجين حُرمته من مَكّة إلىٰ البَصرة وهكذا فإن كان الرّسول حين الإخبار عالماً بما فَعلا به بعد مَوته ﷺ فكيف بَشّرهما بها وإن لم يكن عالماً به فهو ليس برسُول وحَديثه لا يُسمَع مضافاً إلىٰ أنّ سَعد إبن أبي وقّاص وعبد الرّحمٰن إبن عوف وأمثالهما أيضاً حالهم معلوم ألم يكن في أصحابه خيراً منهم حتّىٰ يبشّرهم بها هذا كلّه مضافاً إلىٰ أنّ خَبَر الجَمَل دِراية والّذي رَوَوه رواية وقد قال المحقّقون منهم بتَقديم الدِّراية علىٰ الرِّواية ونحن نقول الحديث مقطوع العدم ولا أقل من أنّه مَشكُوك فيه وخبر الجَمل ونَكثهم لبيعته ﷺ وما فعلوه من الفجائع مُسلّمٌ مَقطُوع والمَشكُوك لا يُعارضُ المَقطُوع.

وأظنّ أنّ حمايتهم عن الزُّبير وطَلَحة وإصرارهم علىٰ تَوبتهما وأنّهما ماتا علىٰ الإيمان إنّما هو لمكان عائشة وذلك لأنّهم عَلموا بأنّ حكم الثلاثة واحد فلو ثبت إرتدادهما ثبت في عائشة أيضاً والمفروض عندهم أنّها كانت أمّ المؤمنين وهذا هو الّذي دَعاهم إلىٰ هذه الأراجيف والأكاذيب.

قال الشّارح المعتزلي في هذا المقام: وقد روىٰ قاضي القضاة في كتاب المغني عن وهب بن جُرير قال قال رجل من أهل البَصَرة لِطَلحة والزُّبير إنّ لكما فضلاً وصُحبة فأخبراني عن مَسيركما هذا وقتالكما أشَيءٌ أمَركما به رسُول الله ﷺ أم رأيٌ رأيتماه فأمّا طَلحَة فسَكَت وجَعَل يَنكُت في الأرض وأمّا الزُّبير فقال وَيحك حدّثنا أنّ هاهنا دراهم كثيرة فجئنا لنأخذ منها وجعل قاضي القضاة هذا الخبر حُجّة في أنّ طَلحَة تاب وأنّ الزّبير لم يكن مُصرّاً علىٰ

فظائع الأمور وإستدلّوا عليه بوجوه:

أحدها: أنّهم وإن أخطأوا فيما فعلوه ونكثوا البيعة إلّا أنّهم تابوا بعد ذلك فقتلوا في المعركة بعد التّوبة ومَن لَم يُقتل منهم فهو أيضاً قد تاب فأصحاب الجمل ناجون غداً يَوم القيامة وليسوا من أهل النّار وقد ثبت أنّ التّوبة للعبد الخاطئ والله يقبلها عن عباده لقوله تعالىٰ: **﴿إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾**(١) و: **﴿انَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ﴾**ا وأمثال ذلك من الآيات والأخبار.

والجواب: أنّ التوبة ممّا لا كلام فيها وإنّما الكلام في توبة أصحاب الجمل ولا سيّما الزّبير وطَلحة وعائشة ومِن أينَ عَلِمُوا تَوبتهم والمفروض أنّ المعتذرين لهم لَم يَكونُوا مَعهم ولَم يَدلّ دليل علىٰ وقوعها منهم وقد ثبت في الأُصول أنّ اليقين لا ينقض بالشّك وحيث أنّه قد ثَبت خُروجهم علىٰ الإمام وقتلهم مِن الأخيار والصّلحاء ما لا يعلمه إلّا الله ونَهبهم الأموال وأمثال ذلك ممّا فعلوه من القبائح وصاروا بسَبَب هذه الأعمال من الفُسّاق بل الكُفّار المُرتدّين عن الإسلام وهذا مَقطوعٌ به وأمّا تَوبَتَهم فَهِي مَشكوكة لو لا كانت مقطوعة وعلىٰ المُدّعِي الإثبات وإذ ليس فليس هذا أوّلاً.

وثانياً: ليست التَّوبة علىٰ إطلاقها مَقبُولة وإلّا يلزم إيمان فرعون حيث إنّه قد تاب لقوله تعالىٰ: **﴿إنّي آمَنْتُ بِرَبِّ مُوسىٰ و هٰرُون﴾** ومعلوم أنّ الله لم يقبلها حيث قال: **﴿آلْنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾**(٢) فَمُجرّد التَّوبة علىٰ فرض ثبوتها لا يدلّ علىٰ قبولها والمُدّعىٰ هو قبولها لا وقوعها وأنّىٰ لهم بإثبات ذلك بعد إثباتهم الوقوع.

وثانيها: إستدلالهم بحديث رَوَوه من أنّ النّبي ﷺ بَشّر عَشرةً من أصحابه بالجنّة والزّبير وطَلحَة كانا منهم فلو قلنا بعدم تَوبتهم ودخولهما النّار يلزم كذب الرّسول في قوله وكذب الرّسول ممّا لا سبيل إليه فهما من أهل الجنّة

١-الزمر-٥٣ ا- التوبة- ١٠٤
٢-يونس- ٩١

وقرأ أمير المؤمنين يوم البَصرة ﴿وَإِنْ نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾(١)

ثمّ قال عليه السلام لقد عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا علي لتقاتلنّ الفِئة النّاكثة والفِئة الباغية والفرقة المارقة إنّهم لا أيمان لهم لَعَلّهم يَنتهون

عمّار وحذيفة وإبن عبّاس والباقر والصّادق عليهما السلام أنّها نزلت في علّي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ وروي عن علّي يوم البَصرة والله ما قوتل على هذه الآية حتّى اليوم وتلى هذه الآية.

إبن عبّاس لمّا عَلِم الله أنّه ستَجري حَرب الجَمل قال لأزواج النّبي ﴿وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾(٢)

و : ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾(٣) في حَربها مع علّي عليه السلام.

شُعبة والشّعْبي والأعثم وإبن مَردُويه وخطيب خوارزم في كتبهم بالأسانيد عن إبن عبّاس وإبن مسعود وحذيفة وقتادة وقيس بن أبي حازم وأمّ سَلَمة ومَيمُونة وسالم بن أبي الجعد واللّفظ له إنّه ذَكر النّبي خُروج بَعض نسائه فضحكت عائشة فقال أُنظري يا حُمَيراء ولا تَكُونين هي ثمّ إلتفت إلى علّي فقال يا أبا الحسن إن ولّيت من أمرها شيئاً فأرفِق بها فقال الزّاهي:

كَم نُهِيَت عن تَبَرّجٍ فَعَصت ... وأصبَحَت لِلخلاف مُتّبعة
قال لها في البُيُوت قَرّي ... فخالفته العَفيفَة الوَرِعة

السّوسي:

وما لِلنّساء وحَرب الرّجال ... فهل غَلَبت قطّ أُنثى ذَكَر
ولو أنّها لَزِمَت بَيتها ... ومَغزَلها لَم يَنلها ضَرَر

١- التوبة ـ ١٢
٢- الاحزاب ـ ٣٣
٣- الاحزاب ـ ٣٠

الحَرب والإحتجاج بهذا الخبر على هذا المعنى ضَعيف وإن صَحّ هُو وما قبله إنّه لدليل على حُمقٍ شديدٍ وضَعفٍ عظيم ونقصٍ ظاهر وليت شعري ما الّذي أحَوجهما إلى هذا القول وإذا كان هذا في أنفسهما فهلّا كتَماه انتهى.

أقول: ما ذكره الشّارح في الجواب متين جدّاً إلّا أنّه لَم يَجتَرئ أن يقول إنّه دَليلٌ على عدم إيمانهما بالله وبرسوله فإنّ الزّبير وطَلحة لم يكونا أحَمقَين أو ضَعيفين كما زعمه الشّارح بل دعاهما إلى ذلك حُبّ الرّئاسة وغَصب الخلافة كما فعل من كان قبلهما إلّا أنّ السّابقين وصَلوا إلى ما أرادوا وهما لَم يصلاً إليه وذنبهم واحد بل قيامهما كان فَرعاً على قيام من كان قبلهما ومعلوم أنّ المؤسّس لأساس الظّلم ذنبه أكثر مِمّن يتّبعه عليه ولعلّ مراد الشّارح من حُمقهما أنّهما لم يدخلا في الوصول إلى غَصب الخلافة فيما دخل فيه من كان قبلهما ولهذا لم يَصلا إلى ما وصلوا إليه وهو صَحيح وإلّا فأصل المُدّعى فيهما كما كان في غيرهم ولم يكن طَلحَة ولا الزّبير أدوَن وأخبث وأجهل ممّن تَقدّم عليهما بل الأمر بالعكس ولكنّ الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يُريد وسَيَعلم الّذين ظَلمُوا أيّ منقلبٍ ينقلبون قال تعالى: تلك الدّار الآخرة نَجعلها للّذين لا يُريدون عُلوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمُتّقين و حَسبُنا الله ونعم الوكيل الحَمدُ لله ربّ العالمين.

ولنذكر بعض ما ورد في أصحاب الجمل من طريق العامّة عن المناقب لإبن شهر آشوب:

السّدي نزل قوله تعالى: **﴿وَاتَّقُوا فِتنَةً﴾** الآية في أهل بدر خاصّة فأصابتهم يوم الجَمَل فاَقتتلوا.

الصّادق عليه السلام في قوله تعالى: **﴿وَاِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا اِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلاَ اِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾**[1] قال عليه السلام ما قوتل أهل هذه (يعني البصرة).

١- البقرة ـ ١٢/١١

والطّبري في تاريخهما: أنّ عائشة لمّا سمعت نباح الكلاب قالت أيّ ماءٍ هذا فقالوا الحَوئب قالت إنّا لله وإنّا إليه راجعون إنّي قد سَمعتُ رسول الله وعنده نسائه يقول لَيت شِعري أيّتكنّ تَنبحُها كلاب الحَوئَب وفي رواية الماوردي أيّتكنّ صاحبة الجَمَل الأُريب تخرج فَتَنبحُها كلاب الحَوئَب يقتل من يَمينها ويَسارها قتلى كثير وتَنجُوا بعد ما كاد تقتل انتهى.

أقول: والأحاديث في الباب كثيرة من العامّة والخاصّة ولو لا مخالفة الإطناب لقلت في أصحاب الجمل غير ما قلت ولذكرتُ غير ما ذكرت فَقُطع دابر القوم الّذين ظلمُوا والحَمدُ لله ربّ العالمين وصلّىٰ الله على رسوله والأئمّة الميامين أجمعين آمين ربّ العالمين.

الحميري :

جاءت مع الأشقين في هَودج تزجي إلىٰ البَصرة أجنادها

كأنّها في فِعلها هِرَّةٌ تُريد أن تأكُلَ أولادها

الأحنف بن قيس :

حجابك أخفىٰ للّذي تسترينه وصَدرك أوعَىٰ لِلّذي لا أقولها

فلا تَسلكُنّ الوَعر صَعباً محاله فتَغبر من سَحب الملاء ذيولها

بلغ عائشة قتل عثمان وبيعَة علّي بسرف فإنصَرَفت إلىٰ مكّة تَنتظر الأمر فتوجّه طَلَحة والزّبير و عبد الله إبن عامر إبن كُريز فَعزموا علىٰ قتال علّي عليه السلام وأختاروا عبد الله إبن عُمر للإمامة فقال أتلقُونني بين مَخالب علّي وأنيابه ثمّ أدركهم يَعلىٰ إبن مُنبَه من اليَمن وأقرضهم سِتّين ألف دينار وإلتَمَست عائشة من أمّ سلمة الخروج فأبت وسألت حَفصَة فأجابت ثمّ خرجت عائشة في أوّل نفر فكتب الوليد بن عتبة:

بنى هاشم رُدّوا سلاحإبن أُختكم ولا تَنهَبُوه لا تَحِلّ مَواهبه

وأنشأ لمّا ظفر أمير المؤمنين عليه السلام:

ألا أيّها النّاس عندي الخبر بأنّ الزّبير أخاكم غَدَر

وطَلحَة أيضاً عطا فعله ويعلىٰ إبن مُنبَه فيمَن نَفر

وأنشأ أمير المؤمنين عليه السلام أبياتاً منها:

فِتَنٌ تَحلّ بهم وهُنّ شوارع يُسقي أواخرها بكأس الأوّل

فِتَنٌ إذا نَزلت بساحةِ أمّةٍ أذنت بعدلٍ بَينهم مُتنفّل

فتقدّمت عائشة إلىٰ الحوئب وهو ماء نسب إلىٰ الحوئب بنت كليب إبن وبرة فصاحت كلابها فقالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون رُدّوني.

ذكر الأعثم في الفتوح والماوردي في أعلام النبوة وشيرويه في الفردوس وأبو يَعلىٰ في المُسند وإبن مردويه في فضايل أمير المؤمنين والموفّق في الأربعين وشعبة والشّعبي وسالم بن أبي الجعد في أحاديثهم والبلاذري

عَلَىٰ مَا اَسْتَحْفَظْكُمْ مِنْ كِتَابِهِ اَلَا وَاِنَّهُ لَا يُضُرُّكُمْ شَيْءٌ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ. أَخَذَ اللّٰهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَىٰ الْحَقِّ وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ!

◁ اللّغة

(شَغَب) الشّغب تهييج الفساد (استعتب) الإستعتاب طلب الرّضا، بالحقّ (غِيَراً) الغِيَر بكسر الغين المُعجمة وفتح الياء اسم للتّغيير (وانصَرفُوا) الإنصراف الإعراض (يَحنَّنَ) من حنَّ يَحِنُّ حَنينا والحَنّين بالحاء المُهملة الشّوق وشدّة البكاء او صوت الطّرب عن حزنٍ او فَرَح وقيل بالخاء المُعجمة وهو ضرب من البكاء (زُوي، اي قُبض (الْهَمَنَا) الإلهام الإلقاء في القلب :

◁ المعنىٰ

(أَمِينُ وَحْيِهِ وَخَاتَمُ رُسُلِهِ وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ.

وسَخَطه المراد بها الرّسول ﷺ والضّمائر كلّها الىٰ اللّه تعالىٰ (اَيُّهَا النَّاسُ اِنَّ اَحَقَّ النَّاسِ) واولىٰ(بِهٰذَا الْأَمْرِ) اعني الخلافة (اَقْوَاهُمْ) اي اقوىٰ النّاس (وَاَعْلَمُهُمْ بِاَمْرِ اللّٰهِ فِيه) اي في هذا الأمر (فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ) وهَيَّجَ، للعناد بين المُسلمين (اسْتُعْتِبَ) اي يُطلب منه الرّجوع الىٰ الحقّ (وان اَبىٰ) وامتنعَ منه.

(قُوتل) اي يقاتل مَعه (وَلَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتِ الْاِمَامَةُ لَاتَنْعَقِدُ) ولا تصح علىٰ ما تقولون (حَتَّىٰ يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ) باجمَعهم (ما) اي ليس (اِلَىٰ ذٰلِكَ سَبِيلٌ) وطريق لعدم امكان ذلك عادةً (وَلٰكِنْ اَهْلُهَا) من زُعماء القوم (يَحْكُمُونَ عَلَىٰ مَنْ غَابَ عَنْهَا) حين البَيعة (ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ) الحاضر (اَنْ يَرْجِعَ) عن عَهده وبَيعته (ولالِلغَائِبِ أَنْ يَخْتَارِ) غير ما اتّفق عليه (أَلَا وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلاً

(اُدَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ) حقٌّ فيها (وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ) لكن المانع من المُفسدين، (اُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّٰهِ بِتَقْوَى اللّٰهِ) فانّ خير الزّاد التّقوىٰ (فَإِنَّهَا) اي

ومن خطبة له عليه السلام (١٧٢)

□ قوله عليه السلام: أَمِينُ وَحْيِهِ وَخَاتَمُ رُسُلِهِ وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهٰذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللّٰهِ فِيهِ. فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ فَإِنْ أَبَىٰ قُوتِلَ. وَلَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّىٰ يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ فَمَا إِلَىٰ ذٰلِكَ سَبِيلٌ وَلٰكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَىٰ مَنْ غَابَ عَنْهَا ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ. أَلَا وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلاً ادَّعَىٰ مَا لَيْسَ لَهُ وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّٰهِ بِتَقْوَى اللّٰهِ فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَىٰ الْعِبَادُ بِهِ وَخَيْرُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللّٰهِ وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَلَا يَحْمِلُ هٰذَا الْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبْرِ وَالْعِلْمِ بِمَوَاقِعِ الْحَقِّ فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ وَلَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّىٰ تَتَبَيَّنُوا فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً.

أَلَا وَإِنَّ هٰذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ لَيْسَتْ لِدَارِكُمْ وَلَا مَنْزِلِكُمُ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ أَلَا وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَلَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا وَهِيَ وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا. فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا وَأَطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا وَانْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا وَلَا يَخِنَّنَّ أَحَدُكُمْ خَنِينَ الْأَمَةِ عَلَىٰ مَا زُوِيَ عَنْهُ مِنْهَا وَاسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللّٰهِ وَالْمُحَافَظَةِ

◁ الشرح

▫ قوله عليه السلام: أَمِينُ وَحْيِهِ وَخَاتَمُ رُسُلِهِ وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ.

والتّقدير هو امين وَحيه الخ وقد ذكَرَ عليه السلام من اوصاف الرّسُول في المقَام اربعة هي الأصول في رسالته

احدها: كونه صلى الله عليه وآله امينا لِوَحي اللّه تعالىٰ اليه وهذا الوصف ثابت لجميع الأنبياء فانّ النّبي لا يكون خائنا اذ لو لم يكن امينا لَم يُبعث وذلك لأنّه يُوجب سَلب اعتماد النّاس عنه ومَن لا يُعتمَد عَليه فكيف يُقبَل قوله فهو اوّل الشّرائط فيه بل اصلها واساسها ولولا الأمانة لا تتَحقق العِصمَة وهي لا تختّص بالوَحي فقط بل هو امينٌ في كلّ الشّئون وجميع المراتب لأنّ الخيانة تُنافي العِصمة وهى تُنافي النّبوة وقولهم الخَبَر يحتَمل الصّدق والكذب ليس في اخبار الأنبياء والأئمّة بل هو مَخصُوص باخبارنا اي خبر شخصٍ عن شخصٍ آخر لا يكون المُخبر مَعصُوما وامّا هو فخَبره لا يحتملهما اصلاً بل هو مقطوع الصّدق دائما وعليه بُني اساس النّبوة ومعيار الشّريعة ولذلك ترىٰ في كثير من الآيات توصيفهم به قال تعالىٰ: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[1] وقوله ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[2]

قوله تعالىٰ ان ادّوا الّي عباد اللّه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[3] وامّا قوله عليه السلام وخاتم رسُله، فهو من الصّفات المخصوصة به صلى الله عليه وآله وكلمة خاتم قُرات بكسر التاء من الخَتم وبفتح التّاء بمعنىٰ الزّنية او انّه بالنّسبة الىٰ الأنبياء كالخاتم بالنّسبة الىٰ الانسان وكيف كان فهو خاتِم لهم وخاتَمٌ كذلك وقد وصفه اللّه تعالىٰ بهذا الوصف في الكتاب: قال اللّه تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[4] وامّا الكلام في الخاتّمية عَقلاً ونَقلاً فقد مضىٰ مُفصّلاً في اوائل الكتاب وكان صلى الله عليه وآله مَوصُوفا به في صدر الإسلام وقد مَدحَه

١- الاعراف ـ ٦٨
٢- الشعراء ـ ١٧٨/١٦٢/١٤٢/١٢٥/
٣- الدخان ـ ١٨
٤- الاحزاب ـ ٤٠

التقوىٰ (خَيْرُ مَاتَوَاصَىٰ الْعِبَادُ بِهِ) في الآيات والأخبار (وَخَيْرُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللّٰهِ) فانّ العاقبة لِلمُتّقِين (وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اَهْلِ الْقِبْلَةِ) من المُنافقين (وَلَا يَحْمِلُ هٰذَا الْعَلَمَ) اي راية الحَرب (اِلَّا اَهْلُ الْبَصَرِ) اي اهل البَصيرة في الدّين (وَالصَّبْرِ) اي الصّابرين منهم (وَالْعِلْمِ بِمَوَاقِعِ الْحَقِّ) وموارده (فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ) من امامكم (وَقِفُوا عِنْدَ مَاتُنْهَوْنَ عَنْهُ) اي عن الإمام (وَلَاتَعْجَلُوا) ولا تسارعوا (فِي اَمْرٍ) من الأمور (حَتَّىٰ تَتَبَيَّنُوا) وتَتَفَحصُوا فيه (فَاِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ اَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ) بزعمكم (غِيَراً) اي تغييرا وتبديلاً (أَلَا وَاِنَّ هٰذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي اَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّونَهَا تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ) فيها (تَتَمنوها) اي الدّنيا (وَتَرْغَبُونَ فِيهَا وَاَصْبَحَتْ) الدّنيا (تَغضبكُم) تارةً (وتُرضيكم) اخرىٰ (لَيْسَتْ لِدَارِكُمْ وَلَا مَنْزِلِكُمُ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا الَّذي دُعِيتُمْ اِلَيْهِ هو الآخرة (الا وانّها) اي الدّنيا (لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لِكُمْ) لأنّها دارِ فناءٍ (وَلَاتَبْقَوْنَ عَلَيْهَا) بل تَرحَلُون عنها (وهى) اي الدّنيا (وَاِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا) اى كما غرّتكم الدّنيا حَذّرتكم ايضا (فدعوا) واتركوا (غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا وَاَطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا وَسَابِقُوا فِيهَا) في الدّنيا (اِلَى الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ اِلَيْهَا) وهى الآخرة (وانصرفُوا) واعرضوا (بقُلوبكم عنها) عن الدّنيا (ولا يَحنّن) عليها (اَحَدُكُمْ خَنِينَ الْأَمَةِ عَلَىٰ مَا زُوِيَ) وغاب (عنها) عن الأمَة (وَاسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللّٰهِ) اي اجعلُوا الصّبر شعاركم في طاعته (وَالْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ مَا اَسْتَحْفَظُكُمْ مِنْ كِتَابِهِ) فحافِظوه عِلما وعَملاً (اَلَاوَاِنَّهُ لَايُضُرُّكُمْ شَيْءٌ مِنْ دُنْيَاكُمْ) اذا فقدتموه (بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ) اي اصله واساسه الّذي قام به الدّين (أَلَا وَاِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ) شيئ (بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ) ايّ شيئٍ كان (حافظتم عليه) اي على الشّيئ (مِنْ اَمْرِ دُنْيَاكُمْ) فانّ الدّنيا ليست بشيئٍ (أَخَذَ اللّٰهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ اِلَى الْحَقِّ) وصراط المُستقيم (وَاَلْهَمَنَا وَاِيَّاكُمُ الصَّبْرَ) على الشّدة والرّخاءِ فانّ اللّه مع الصّابرين آمين يا ربّ العالمين.

واشركه في ذكره جلّ ذكره
تخلّد في الجنّات فيمن تخلّد
اعزّ عليه للنّبوة خاتمُ
من اللّه مشهودُ يلوح ويَشهَد

ولآخر:

يــاخاتم النّبّاء انّك مُرسَل ... بالحقّ كلّ هدي السّبيل هداكا
انّ الإله بنئ عليك مُحبّةً ... في خلقه ومُحمّدا سمّاكا

وقوله ﷺ: بشير رحمته، اشارة الىٰ صفةٍ اخرىٰ مشتركة بينه وبين غيره من الأنبياء الّا انّ هذه الصّفة وغيرها من المُشتركات فيه ﷺ اتّم واكمَل من غيره فانّ الصّفات كما ثبت في محلّه من شئون الذّات وتوابع الوجود شِدّةً وضَعفا ونَقصا وكمالاً وحيث انّ وجوده ﷺ بعد وجُود خالقه اكمَل واشدّ من غيره لأنّه الصّادر الأوّل والمَجلَى الأتّم فلا محالة صفاته ايضا اكمَل وهو لايُنافي اصل الإشتراك وكيف كان فهي ايضا منصُوصة في القرآن: قال تعالىٰ:﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴾(١)

و: ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾(٢)

و: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ فَضْلاً كَبِيراً﴾(٣)

وقوله ﷺ: ونذير نقمته، النّقمة العُقُوبة والعذاب قال تعالى:﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾(٤)

و: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾(٥)

و: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾(٦) والأنذار اخبارٌ فيه تخويف كما انّ التّبشير اخبارٌ فيه سرُور قال تعالى:﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّىٰ﴾(٧)

١- البقرة ـ ٢٥ ... ٢- الاسراء ـ ٩
٣- الاحزاب ـ ٤٧ ... ٤- الاعراف ـ ١٣٦
٥- الروم ـ ٤٧ ... ٦- الزخرف ـ ٢٥
٧- الّليل ـ ١٤

غير واحدٍ من الشّعراء به قال ابن رَزيك:

مُـحمّد خـاتم الرّسُل الّـذي سَبَقت
بــه بشــارة قسٍّ وابــنُ ذي يَــزنِ
وانـــذر النُّـطقاء الصّـادقون بــما
يكــون مــن امــره والطُّــهر لَـم يكُـن
الكـامل الوصـف فى حِلمٍ و فى كَرمٍ
و الطّـاهرُ الاصـل مـن دامٍ و من درَنٍ
ظِــلّ الإلٰــه و مِـفتاح النّـجاة ويَـنبُو
الحَـــياة وغـيث الفــارض الهــتن
فـاجعله ذُخـرَك فى الدّارَيـن مُعتصما
بـه و بـالمرتضىٰ الهـادي ابـي الحسـن

ولآخر:

لَقد عَجبتُ لأقوامٍ ذوي سَفهٍ — من القَبيلين في سَهمٍ ومَخزومٍ
القـائلين لِـما جـاء النّبي بـه — هذا حديث اتـانا غير مَلزُومٍ
فقد اتـاهم بحقٍ غير ذي عِوجٍ — ومُـنزلٍ من كـتاب اللّـه مـعلومٍ
من العزيز الّـذي لا شئ يَعدله — فيه مـصاديق مِـن حـقٍّ وتـعظيمٍ
فان يكونوا له ضـدّا يكُن لَكُم — ضدّا بـغلباء مـثل اللّـيل عَـلكُومٍ
فآمِـنوا بـنَبِيٍ لاابـا لكـم — ذي خاتمٍ صاغه الرّحٰمن مختومٍ

ولآخر:

اتـــانا نــبيٌ بــعد يــاسٍ وفــترةٍ
مـن اللّــه والأوثــان فــى الأرض تُـعبَد
وشَـــقَّ له مــن اســمه لِــجَلاله
فــذو العــرش مَـحمُودٌ وهـذا مُـحمّدٌ

الشّرط الثّاني اعني كونه اعلَم من غيره فهو ايضا مُسَلم عندنا وامّا العامّة فلا يقولون به ايضا وقد مَرَّ الكلام فيهما وفي غيرهما من الشّرائط في مبحث الإمامة في المُجلد الأوّل من الكتاب فلا نُعيد الكلام بذكره ثانيا خوفا من المَلالة وحذرا عن الإطالة:

ان قلت - شرائط الإمامة علىٰ ما ذكره اهل التّحقيق كثيرة ككونه اشجع واعدل واعَفّ واسخىٰ وافَصح واوَرع وغيرها من الأوصاف فكيف خَصَّها ﷺ في المقام بامرين:

قلت ـ كلّ الصَّيد في جوف الفراء فان الأوصاف جميعها مُندرجة تحت قوله ﷺ: **اقَوايهم**، وذلك لِما قلنا انّ المراد بالأقوىٰ ليس الأقوىٰ جسما بل الأقوىٰ في كلّ صفة كمّالية من السّخاوة والشّجاعة والفصاحة والعلم وغيرها فالأقوىٰ في السّخاء هو كونه اسخىٰ وفي الشّجاعة كونه اشَجع وفي العلم كونه اعلم وهكذا اذ لولا ذلك لما كان اقوىٰ علىٰ الأمر مطلقا وَيمكن ان يقال بناءً علىٰ ما ذكرتَ في معنىٰ الأقوىٰ فقوله ﷺ: **اَعْلَمُهُمْ بِاَمْرِ اللّٰهِ** لم يكن مُحتاجا اليه لدخوله تحته والجواب نعم الّا انّه خص العلم بالذّكر لمزيد شرفه علىٰ غيره من الصّفات:

وكيف كان فقوله ﷺ هذا يَدل علىٰ عدم صحّة خلافة الخُلفاء باجمعهم الاّ هو نفسه وذلك لأنّ كلّ واحدٍ منهم لَم يكن في عصره اقوىٰ علىٰ الأمر واعلم بامر اللّه تعالىٰ امّا الخُلفاء الثّلاثة فلوجُوده ﷺ فيهم ولا يشك احد في كونه ﷺ اقوىٰ واعلم من ابي بكر وعُمر وعثمان، امّا انّه كان اقوىٰ منهم فهو ظاهر. سواءٌ قلنا بانّ المراد بالأقوىٰ، كونه اقوىٰ جِسما ام اقَوىٰ نفسا وصِفةً وامّا كونه اعَلم فلرجُوع الخُلفاء اليه في المُعضلات وعدم رجُوعه الىٰ احدٍ فيها بعد النّبي وحسبك دلالة علىٰ المُدّعىٰ قول عُمر ابن الخطاب غير مرّةٍ لولا علّي لهَلَك عُمر ولم يَسمع احد منه ﷺ انّه قال لولا فلان لهَلَك علّي، وهو اوّل دليل علىٰ كونه اعلم لِلخَصم وامّا لنا فالأدلّة كثيرة وهذا الكتاب الّذي نحن بصدد

الّا لكونه احقّ به بعد وجُوده من غيره وهذا هو المراد بابطاله الأديان السّابقة لا انّ الإسلام يحكم ببطلانها في ذواتها فانّها ايضا كانت من قبل اللّه تعالىٰ وعليه فهل يجُوز الإتباع عن الأديان السّالفة مع وجود الإسلام وكونه احقّ بالإتباع منها بدليل انّ كونه احقّ بالإتباع لا يُنافي صحة الأديان السّابقة والعَمَل بها والإتباع منها وهل يقول به عاقلٌ ولا يبعد التزامه به ايضا فان قلت القياس باطل لأنّ الإسلام ناسخ لِلأديان السّابقة وما نحن فيه ليس من النَّسخ بشيئٍ قلنا لا بحث لنا في الألفاظ وانّما البحث في المعاني فان كونه ناسخا لها لأجل كونه احقّ بالإتباع منها والّا لَم يكُن ناسخا وهل المَفضُول ينسخ الأفضل فالملاك كلّ الملاك في وجُوب اتباعه وبطلان متابعة غيره من الأديان ليس الّاكونه احقّ بالإتباع وهذا هو الملاك في كونه ناسِخا وامّا لَفظ النَسخ فلا اثر له مَع خُلّوه عن المعنىٰ المُوجب له وما نحن فيه من هذا القبيل نعلاً بالنَّعل:

فعلّيٌ كان افَضل واكَمل من غيره واحقّ بها باقراره كما انّ الإسلام كذلك بالنّسبة الىٰ غيره من الأديان فكما انّ كون الإسلام احقّ بالإتباع ينفي كون غيره مَتبُوعا كذلك كونه ﷺ احقّ ينفي كون غيره مَتبُوعا وكما انّ مع وجود الإسلام اتباع غيره من الأديان باطل عاطل كذلك مع وجود علّيٍ واولاده في كلّ عصرٍ يبطل مُتابعة غيرهم ونحن لا نفرّق بين المَوردين فان كان تعيين الإمام باختيار النّاس يجوز تعيين الدّين والرّسُول ايضا باختيارهم وان كان الإتباع مع وجود الأفضل والأحقّ عن غيره جائزا فالإتباع من غير الإسلام مع وجوده ايضا جائز وعلىٰ المُعتزلي وامثاله بيان الفرق:

- قوله ﷺ: فَإنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ فَإنْ اَبَىٰ قُوتِلَ...

اي ان مالَ واعرض عن طريق الحقّ مائل وهَيَّج الفساد بين المُسلمين استعتَب اوّلاً بالمَوعظة والنّصيحة والعتاب والتّهديد وامثال ذلك فان ابىٰ عن قبولها وادام علىٰ طريقه قُوتل لا محالة لئلا يَسري الفساد منه الىٰ غيره من المُسلمين وقَطعُ مادّة الفساد واجب عَقلاً وشَرعا ولا يخفىٰ عليك انّ هذا

من قبيل التّعليق على المحال عادةً والمُعَلّق على المحال محال فالإمامة الصّحيحة لا تُنعقد فكيف تقولون بصحّتها مع فقد شَرطه ولازم ذلك ان لا يكون للنّاس اماما اصلاً وقد قال رسُول اللّه ﷺ من ماتَ ولَم يَعرف امام زمانه ماتَ ميّتة الجاهليّة واذا كانت الإمامة مع هذا الشّرط لا تَنعقد والمفروض وجود الإمام ولزُومه يَكشف عدم اشتراطها به وهو المطلوب .

ثانيهما: انّ كلامه ﷺ هذا انما صَدر على وجه التّسليم وهو اعني التّسليم في قِبال الخَصم احدى الطُّرق المُوصِلة الى المطلوب كما ثبت في المنطق وكيفيّته ان يؤخذ من الخَصم ما هو مُسلّم عنده ثُمّ القِيَ عليه على سبيل الحُجّة وما نحن فيه من هذا القَبيل فانّ امير المؤمنين ﷺ اخذ منهم ما هو مَقبُولٌ عندهم اعني انعقاد الإمامة بسَبب آراء العموم واختيارهم ثُمّ القى عليهم هذا الأصل المُسلّم عندهم وقال لا ان كانت الأمانة كما تقولون ما كان الى ذلك من سبيل لعدم وجود شرطها عادةً وانتفائه يَسلتزم انتفاء مشروطه فلا تَنعقد الإمامة واذا كان كذلك فاصل الإمامة المُتَفرعة على حضور العامّة لم ينعقد فكيف تقولون بصّحة امامة هؤلاء وان تقولون لا يجب حضُور العامّة بل يكفي حضور اهل الحلّ والعقد وليس لِلشاهد ان يَرجع ولا لِلغائب ان يختار غير ما اختاره الحاضرون فلِمَ لا تقولون بمثل ذلك في خلافتي هذا وتَنكثُون بيعتي وتقولون انّها غير صَحيحة ولا جواب لهم الّا قوله تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ (١)

وحاصل الكلام انّه خاطب النّاس المَعهُودين من غير شيعته ومواليه وقال لهم انّكم لا تعملون بما تقولون في مسئلة الإمامة وهو يدّل على بطلان اصلِكم الّذي جَعلتمُوه اساسا في صحّة خلفائكم وذلك لأنّه ان كان صَحيحا فخلافتي صَحيحة ولا مُجّوز لكم في نَكث بَيعتي وان كان باطلة فخلافة من كان قبلي كانت باطلة وانتم تقولون بصحّتها وبطلان خلافتي وهذا عَجيب:

▫ قوله ﷺ: **أَلاَ وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلاً ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ.**

١- البقره ـ ٢٥٨

الحَصر بل الظّاهر منها هو الأعمّ:

وتقريره انّه عليه السلام قال انّي اقاتل رجلين رجلاً ادّعىٰ ماليس له ومعلوم انّ الإدّعاء بما ليس له اعَمّ من الخلافة وغيرها وتخصيص الكلام به لا دليل عليه وهكذا الكلام في الشّق الثّاني وهو قوله عليه السلام وآخر مَنَع الّذي عليه اذ ايُّ دليلٍ دَلّ علىٰ انّ المُراد به من امتنع من طاعته مع عدم ادّعائه الخلافة كما ذهب اليه المُعتزلي او اصحاب الجَمَل علىٰ ماقاله الخُوئي ولا نقول انّ ماذكروه في شروحهم ليس مراده عليه السلام قطعا بل نقول لا دليل عليه من اللّفظ علىٰ وجه الحَصر بمعنىٰ ان يكون المراد بالرّجلين المذكورين ماذكروه:

بل الظّاهر من العبارة انّي اقاتل من ادّعىٰ ماليس له اي ماليس له فيه حقّ من المُبدعين والقاتلين والمُفسدين وامثالهم واصحاب الجَمَل ومعاوية ومن تبعهما من هذا القبيل وهكذا اقاتل من مَنَع الّذي عليه اي علىٰ الحقّ وهو ايضا اعَمّ ممّا ذكروه وعليه فالمراد بالأوّل من اتّبع الباطل وبالثّاني من مَنَع عن اجراء الحقّ وكلاهما علىٰ حدٍّ سواء في نظر الشّرع ومعلوم انّ المقاتلة تَقع بعد اتمام الحُجّة:

□ **قوله عليه السلام: أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّهِ بِتَقْوَى اللّهِ فَإِنَّهَا خَيْرُ مَاتَوَاصَىٰ الْعِبَادُ بِهِ وَخَيْرُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدِ اللّهِ...**

ثُمّ اوصاهم بالتّقوىٰ التّي هي خير الزّاد لكونها خير ماتواصي العباد به من اللّه تعالىٰ وخير عواقب الأمور عنده تعالىٰ وقد دلّت بل صَرّحت الآيات بهما في موارد كثيرة:

فمن الأوّل:

قوله تعالىٰ: **﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوىٰ وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ﴾** (١)

و: **﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾** (٢)

١- البقرة -١٩٧ ٢- النّحل -١٢٨

العَقل ليَثبت كفرهم بالأدلّة الأربعة، اعني الكتاب والسّنة، والإجماع والعَقل امّا الكتاب قال اللّه تعالى:﴿وَإنْ نَكَثُوا أيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ إنَّهُمْ لا أيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾(١)

وجه الإستدلال بها على كُفرهم هو انّ اللّه عَلّق الكُفر في الآية على نكث الإيمان بعد العَهد والطَّعَن في الدّين ولا شَك انّ هؤلاء القَوم باجمعهم كانوا كذلك ائمتهم ائمة الكُفر واكَدَّ اللّه تعالى كُفرهم بقوله انّهم لا ايمان لهم ومن لا ايمان له فهو كافِر قَطعا في الواقع ونَفس الأمر وحيث انّ المُحاربين له ﷺ نكثوا ايمانهم من بعد عَهدهم فالحكم لهم ثابت وهو المطلوب وقال تعالى: ﴿ألا تُقَاتِلُونَ قَوماً نَكَثُوا أيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَؤُكُمْ أوَّلَ مَرَّةٍ أتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أحَقُّ أنْ تَخْشَوهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(٢)

دلالة هذه الآية على المُدّعى ايضا ثابتة وذلك لأنّ اللّه تعالى حَثَّ المؤمنين على قتال قومٍ نَكثُوا ايمانهم وهَمّوا باخراج الرّسُول وبدؤهم بالقتال وهؤلاء كانوا كذلك امّا نَكثهم الإيمان فهو ظاهر.

وامّا الشّرط الثّاني اعني هَمّهم باخراج الرّسُول، فانّهم هَمّوا باخراج وصّي الرّسُول الّذي هو نفس الرّسُول وقد قال ﷺ ياعلّي حَربك حَربي وسِلمُك سِلمي، وامّا قوله تعالى وهم بدؤكم اوّل مَرّة، فهؤلاء ايضا بدؤا بالقتال واذا تَمّت الشّرائط فوجب المشروط وهو قتالهم ومن المَعلوم انّ الرّسُول والوصّي لا يقاتلان المُسلِم فثبت بذلك خُروجهم عن الإسلام وهو المطلوب ولذلك ترى انّ اللّه تعالى عقبها بقوله:﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾(٣)

وظاهر انّ شفاء صَدر المؤمن انمّا هو بقتال الكافر لا بقتل المُسلم المؤمن: وقال تعالى:﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أعْمَالُهُمْ فِي

١- التوبة ـ ١٢ ٢- التوبة ـ ١٣

٣-التوبة ـ ١٤

وايضا عن ابي سَعيد الخدري رضى اللّه عنه قال قال رسُول اللّه (لا يَستوي اصحابُ النّار واصحابُ الجنّة اصحابُ الجنّة هُم الفائزون) ثُمّ قال ﷺ اصحابُ الجنّة من اطاعني وسلمَ لعلّي الولاية بَعدي واصحابُ النّار مَن نَقَض البَيعة والعَهد وقاتل علّيا بعدي الا انّ علّيا بضعة منّي فمَن حارَبه فقد حاربَني ثُمّ دَعا علّيا فقال يا علّي حَربك حَربي وسِلمكَ سِلمي وانت العلم فيما بيني وبين امّتي انتهىٰ...

وباسناده عن ضريس قال تماري النّاس عند ابي جعفر عليه السلام فقال بعضهم حَرب علّي شّر من حَرب رسُول اللّه ﷺ وقال بعضهم حَرب رسُول اللّه شّر من حَرب علّيٍ قال فسَمَعهم ابو جعفر فقال ما تقولون فقالوا اصَلَحك اللّه تمارينا في حَرب رسُول اللّه ﷺ وفي حَرب علّيٍ فقال بعضنا حَرب علّي شّر من حَرب رسُول اللّه ﷺ وقال بعضنا حَرب رسُول اللّه ٩ شّر من حَرب علّي فقال ابو جعفر لا بل حَرب علّي شّر من رسُول اللّه فقلت جُعلت فداك حَرب علّي شّر من حَرب رسُول اللّه ﷺ قال نعم وساخبرك عن ذلك انّ حَرب رسُول اللّه ﷺ لَم يَقرّوا بالإسلام وانّ حَرب علّيٍ اقرّوا بالإسلام ثُمّ جَحدُوه انتهىٰ...

وعن كتاب الغارات لإبراهيم ابن مُحمّد الثقّفي باسناده عن ابي ذّر رضي الله عنه قال قال رسول اللّه ﷺ من فارقَني فَقد فارق اللّه ومن فارق علّيا فقد فارقَني انتهىٰ...

وعن يوسف ابن كليب المَسعودي باسناده عن ابي جعفر مُحمّد ابن علّي قال قال علّي عليه السلام لُعِن اهل الجَمَل فقال رجل يا امير المؤمنين الاّ من كان منهم مؤمنا فقال عليه السلام وَيلَك ما كان فيهم مؤمن ثُمّ قال ابو جعفر لو انّ علّيا قَتَل مُؤمنا واحدا لكان شّرا عندي من حِماري هذا واوما بيده الىٰ حِمارٍ بين يَديه انتهىٰ...

وعن عبد العزيز عن حَبيب ابن ابي ثابت قال لمّا كان قتال صفّين قال

في نقل كلام هؤلاءِ الأعلام في اثبات الإجماع على المُدّعى كفاية فلا نحتاج الى ذكر اقوال الفُقهاء فيه:

وامّا العقل ـ فلوجوهٍ:

احدها: انّ مُحاربيه كانوا في الحَقيقة مُحاربين لِلدّين اعني المُحاربة لِللّه ولِرسُوله وانّهم ارادوا بها اطفاء نُور اللّه ومن كان كذلك فهو كافر وهو المطلوب:

وثانيها: انّ قتال هؤلاء ومُحاربتهم ايّاه لا يخلو من احتمالات اربعة:

احدها - كونهم على الحقّ وكونه عليه السلام على الباطل، وثانيها عكس ذلك اعني كونه عليه السلام على الحقّ وكونهم على الباطل.

وثالثها: كونهما على الحقّ، ورابعها كونهما على الباطل فهذه الشّقُوق هي التي يَحتملها العقل في باديْ الأمر لا سَبيل الى الأوّل لِلزومه ان يكون الحقّ باطلاً والباطل حقّا وهو محال والاّ يَلزم ان يَنقلب الشّيْ الى ضِدّه وقلب الشّيْ الى ضِدّه محال ان قلت اَليسَ هذا من قبيل المُصادرة بالمطلوب اذ يمكن لِلخصم ان يقول انّ هذا اعني كون علّي مع الحَقّ وهؤلاء على الباطل اوّل الكلام،.

قلت ـ ليس كذلك اذ لو كان كذلك يلزم ان يكون الدّين باطلاً وقد فرغنا عن اثبات كونه حَقّا في ما مضى وقد اتّفقوا على انّ علّيا عليه السلام كان على منهاجه فَهو على الحقّ ومن خالفه على الباطل:

وايضا لا سبيل الى القول الثّالث والرّابع لأنّ الإحتمال الثّالث يُوجب اجتماع النّقيضين والرّابع ايضا كذلك وقد ثَبَت استحالته وان زدت في المقام شقّا خامسا وهو انّ الفَريقين لم يكونا على الحقّ ولا على الباطل فهو ايضا محال لكونه من ارتفاع النّقيضين وهو ايضا محال:

واذا ثبت فساد الأوّل والثّالث والرّابع والخامس فيَبقى الثّاني بلا معارض وهو كونه عليه السلام على الحقّ وهؤلاء على الباطل ولا نعني بالكُفر الاّ هذا ولا سيّما

راسا ومن كان كذلك نعَبر عنه بالبَصير:

وثانيها: من لا يكون كذلك اي ليس له هذه المَرتبة من الدُّرك والفَهم والبَصيرة الّا انّه يَصبر بالإطاعة والإنقياد حتّىٰ يتّضح له الحال وهؤلاء اكثر من القسم الأوّل:

وثالثها: العالم بمواقع الحقّ وموارده وهو الّذي يَعمَل بعِلمِه والفرق بينه وبين القسمين المذكورين يحتاج الىٰ دقّةٍ وتامّلٍ وذلك لأنّ البصير هو الّذي يرىٰ الشّئ علىٰ ماهو عليه وان شئتَ قلت هو علىٰ يقينٍ فيه والعالم لس كذلك لأنّ العلم قد يَشوب بالوَهم والظّن بل الحَقّ انّه لايخلو منهما وامّا صاحبُ اليَقين فهو الّذي يقول لو كشف الغطاء ماازددتُ يقينا اذا عرفت هذا فنقول:

غرضه ﷺ انّ هذا العَلَم اعنى الحَرب مع اهل القبلة ممّا لايَتّحمله الّا اهل البصيرة واهل الصَّبر ومَن هُو عالم بمواقع الحقّ وامّا من لم يكن منها فلا وذلك لوجود الشّبهة في الحَرب مع اهل القبلة وهم انّهم يُصَلّون ويَصُومُون ويَحِجّون ويُزكّون وهكذا فكيف يجوز قتالهم وهذه الشُّبهة هي التّي حَصَلت لأكثر النّاس فتَّعللوا عن قتال هؤلاء القوم وتقاعدوا عن نَصر الدّين واطاعة امير المؤمنين ولَم يَعلمُوا انّهم اجمعوا علىٰ هدم قواعد الدّين وامحاء شريعة سيّد المُرسلين لكونهم مصَداقين لقوله تعالى:**﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾**(١)

▫ **قوله ﷺ: فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ وَقِفُوا عِنْدَ مَاتُنْهَوْنَ عَنْهُ...**

اي اذا كان كذلك فَكُونوا مُطيعين مُنقادين في جميع الأمور ولاسيّما موارد الإبهام والإشتباه التّي لا سَبيل لكم في الوصُول اليها فامضُوا اي فافعلوا ما تُؤمَرُون به وقِفُوا عند النّواهي كَما قال تعالى:**﴿مَاآتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَانَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾**(٢) والغرض من هذا الكلام هو عدم سؤالهم بلِمَ وبِمَ بل الإنقياد والإطاعة .

١- الصف ـ ٨

٢- الحشر ـ ٧

و: ﴿اوُلئِكَ يَدعُونَ اِلىَ النَّارِ وَاللّهُ يَدعُوا اِلىَ الجَنَّةِ وَالمَغفِرَةِ بِاِذنِهِ﴾ (١)

و: ﴿كُلُّ اُمَّةٍ تُدعىَ اِلىٰ كِتابِهَا اليَومَ تُجزَونَ ما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ (٢)

ولا منافاة بين ما ذكرناه من كون المّدعو به هو الآخرة وما ورد في بعض الآيات من انّ المّدعو به هو اللّه تعالى كقوله تعالى: ﴿وَداعِياً اِلىَ اللّهِ بِاِذنِهِ وَسِراجاً مُنيراً﴾ (٣)

وما ورد في بعض آخر من انه الكتاب. كقوله تعالى: ﴿يَدعُونَ اِلىَ كِتابِ اللّهِ لِيَحكُمَ بَينَهُم ثُمَّ يَتَوَلّىٰ فَرِيقٌ مِنهُم وَهُم مُعرِضُونَ﴾ (٤)

ومن انّه بالحِكمَة والمَوعظة الحَسَنة كقوله تعالى: ﴿اُدعُ اِلىٰ سَبيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ﴾ (٥) وغير ذلك من الآيات وذلك لأنّ المال في الكلّ واحد وهو النّيل الى اعلى المقامات في الجنّة

▫ **قوله ﷺ: اَلا وَاِنَّهَا لَيسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَلَا تَبقَونَ عَلَيهَا وَهِيَ وَاِنْ غَرَّتْكُمْ مِنهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا...**

وهذا الكلام منه ﷺ بمنزلة النّتيجة لِما مَرّ منه في ذمّ الدّنيا وان شئت قلت علّة له وذلك لأنّ الدّنيا التي - وُصفت بما وُصفت ليست بباقية وما لا بقاء له فكيف يُعتمد عليه هذا **اولاً**:

وثانيا: انّكم لا تبقون عليها بل تموتون ومن لا بقاء له في حياته كيف يغترّ بها:

وثالثا: انّ الدّنيا وان غرّتكم بزخارفها وحياتها الفانية الدّاثرة الّا انها مع ذلك فقد حذّرتكم شرّها لو كنتم تعلمون ومعلومٌ انّ ما يحصل بالغُرور اذا كان مقرونا بالشّرور والآفات لا يُعبا به.

▫ **قوله ﷺ: فَدَعُو غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا وَاَطْمَاعَهَا لِتَخوِيفِهَا وَسَابِقُوا فِيهَا اِلَى الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ اِلَيْهَا...**

١- البقرة ـ ٢٢١
٢- الجاثية ـ ٢٨
٣- الاحزاب ـ ٤٦
٤- العنكبوت ـ ١٩
٥- النحل ـ ١٢٥

الأمَة على مازوي وغاب عنه من الدّنيا والضّمير في قوله عليه السلام: (عنه) الى احدٍ وفي قوله عليه السلام: (منها) الى الدّنيا، وامّا التشبيه بالأمة فقال بعض الشّراح لأنّ الإماء كثيرا ما يَضربن ويُبكين ويُسمَع الحَنين منهنّ والحرائر يانفن بالبُكاء والحَنين انتهى.

وفيه - انّ لازم ذلك هو اثبات البُكاء والحَنين اذا كان لا بصَوتٍ يُسمع وذلك لأنه عليه السلام قال لا تكونوا في الحَنين عليها كالأَمَة فيه بل كونوا الحرائر التي يانَفن بالبُكاء ولا يُسمع البُكاء منهنّ ومن المعلوم انّ هذا ليس مراده عليه السلام قطعا **اما اوّلاً:** فلأنّ الحَنين عليها مذمومٌ سواء كان بصَوتٍ ام كان بغير صَوتٍ ولا فرق فيه بين المقامين من حيث الذّم اصلاً:

وثانيا: انّ الحَنين يُطلق على كلا المَعنيين ولا سيّما على مَذهب من قرا الحَنين بالحاء المُعجمة فانّه البُكاء في الأنف فالقول بانّ الإماء كثيرا ما كذلك والحرائر كذلك ممّا لا وجه له والّذي حَصَل لنا في وجه الشّبه هو انّ الحَنين على الدّنيا ليس من شان الأحرار بل هو من شان الإماء وذلك لأنّ الأحرار ليس لهم علاقة بشيءٍ من الأشياء بخلاف الإماء من النّساء كما هو مُقتضى الحُرّية وعليه فالتشبيه بالأَمَة للدّلالة على عدم حُرية من حَنّ عليها:

وهنا وجه آخر، وهو انّ الحرائر من النّساء ليست لها عُلقة المالكيّة والمملوكيّة بينها وبين ازواجها بل عُلقة الزّوجية فقط وهي قابلة للإنفساخ بالطّلاق مثلاً بخلاف الأَمَة فانّ العُلقة فيها عُلقة المالكيّة والمَملوكيّة فللمولى التّصرف فيها باي وجهٍ شاء وعليه فالتّشبيه بها مُشعر بانّ من حَنّ عليها فكانّه امَةٌ لها لا اختيار له ولو كان حُرا لَتَركها فقوله عليه السلام هذا يدّل على انّ الإنسان اذا كان حُرا واقعا لا يَصير مَملوكا لها كما قال الحسين عليه السلام النّاس عَبيد الدّنيا الخ:

- **قوله عليه السلام: وَاسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللّهِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا اَسْتَحْفَظُكُمْ مِنْ كِتَابِهِ...**

الصّبر على الطّاعة احَدَ اقسام الصّبر فانّه على ثلاثة، الصّبر على الطّاعة،

يدور مداره وعليه فلا يبعد ان يكون مراده بالقائمة في المقام هي نفسه الشّريفة فقائمة الدّين هي الإمام في كل عصرٍ وزمانٍ فَمَن حَفَظه حَفَظ دينه ومن لَم يَحفظه لَم يَحفَظه اصلاً:

□ قوله عليه السلام: **أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ...**

قوله عليه السلام: (شيءٌ) فاعل لقوله لا يَنفَعكم والتّقدير، بعد تَضييع دينكم لا يَنفَعكم شيءٌ حافظتم عليه الخ والمعنى انّ بعد تَضييع الدّين لا نَفع في شيءٍ من الدّنيا والوجه فيه واضح وذلك لأنّ الإنسان يَمُوت لا مُحالة ويبقىٰ بعد مَوته ماحَفظ وجَمَع من اموال الدّنيا لِوارثه وهو اعني الميّت لاينفع به والمفروض انّه مات بعد تَضييع دينه فهو مات وليس له دينٌ ولا دُنيا وذلك هو الخُسران المبين وهذا بخلاف ماإذا مات مع الدّين فارغا عن الدّنيا فانّه في هذا الفرض مُتنعمٌ في الآخرة بما اعدّه اللّه له فترك الأحسن واخذ بالأتمّ الأكمل الّذي لا نفاد له وهذا عين الكمال:

□ قوله عليه السلام: **أَخَذَ اللّٰهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ!...**

ثُمّ دعا لهم وقال اخذ اللّه بقلوبنا وقلوبكم الىٰ الحقّ فانّ اللّه تعالىٰ مُقلّب القلوب كيف يَشاء والهمنا اي اعلَمنا واياكم الصّبر علىٰ طاعته ومَعصيته ومُصيبته انّه علىٰ كلّ شيءٍ قدير ولا شك انّ الإنسان اذا كان في طريق الحقّ صابرا عليه فقد اهتدىٰ الىٰ الصّراط السّوي ونحن نقول آمين ونحن وان تكلّمنا فيما مضىٰ في الصّبر واقسامه وما ورد في مَدحه الّا انّ اهمّية المَوضوع دَعتنا الىٰ ذكر بعض ماورد من الآيات والأخبار فيه مضافا الىٰ ما ذكرناه سابقا فنقول: قال اللّه تعالىٰ: **﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ إِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**(١)

و: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾**(٢)

١- البقرة ـ ١٥٣

٢- بقره ـ ١٥٥

عزّ وجلّ عند المُصيبة وافضل من ذلك ذكر اللّه عند ما حرّم اللّه عليك فيكون حاجزا انتهىٰ «ص ٢٢»...

ومنها – وعن ابي جعفر عليه السلام قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله عَجبا للمؤمن انّ اللّه عزّ وجلّ لايقضي له قضاء الّا كان له خيرا ان ابتَلي صَبَر وان اعطيَ شَكَر انتهىٰ «ص ٢٢»...

ومنها – ماعن الباقر عليه السلام قال من صَبَر واستَرجع وحَمد اللّه عند المُصيبة فقد رضي بما صَنع اللّه ووَقَع اجَره علىٰ اللّه ومن لم يفعل ذلك جرىٰ عليه القضاء وهو ذميم واحَبط اللّه اجره انتهى« ص ٢٢»...

اقول: الأخبار الواردة في مَدح الصَّبر كثيرة جدًا قد مضىٰ شطرا منها وسيجئ الكلام فيه بوجه ابسط في موضعه ان شاء اللّه وما ذكرناه في المقام تيَمنا وتبركا به جَعلنا اللّه من اهله.

◁ **المعنىٰ**

(قَدْ كُنْتُ) قبل ذلك في الحُروب (وَمَا اَهَدَّدُ بِالْحَرْبِ) فلا ينبغي تَهديدي بها (وَلَا اُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ) بالطّعان والسّنان (وَاَنَا) اي والحال وانا (عَلَىٰ مَاقَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ) لقوله تعالىٰ (ان تَنصرُوا اللّٰه يَنصُركم ويُثبّت اقدامكُم) (وَاللّٰهَ) اقسم باللّه (مَااسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً) ومُجدا (لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمانَ اِلَّا خَوْفاً مِنْ اَنْ يُطَالَبَ) المُجد (بِدَمِهِ لِاَنَّهُ مَظِنَّتُهُ) اي مَظَنّته الطّلب بدَمه (وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ اَحْرَصُ عَلَيْهِ) علىٰ قَتل عُثمان (مِنْهُ) اي من المُجد (فَاَرَادَ اَنْ يُغَالِطَ بِمَا اَجْلَبَ) واعان (فِيهِ) في قَتله (لِيَلْتَبِسَ الْأَمْرَ) علىٰ النّاس (وَيَقَعَ الشَّكُ) فيهم (وَوَاللّٰهِ مَا صَنَعَ فِي اَمْرِ عُثْمانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ) فانّ الأمر لا يخلُو منها (لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِماً كَمَاكَانَ يَزْعَمُ) هو (لَقَدْكَانَ يَنْبَغِي لَهُ اَنْ يُوَازِرَ) ويُساعد (قَاتِلِيهِ) اي قاتلي عُثمان (وَاَنْ يُنَابِذَ) ويُعاند (نَاصِرِيهِ) اي ناصِري عُثمان (وَلَئِنْ كَانَ) عُثمان (مَظْلُوماً) كما يقول الأن (لَقَدْكَانَ يَنْبَغِي لَهُ اَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنَهْنِهِينَ) والمانعين عن قَتله (وَالْمُعَذِّرِينَ فِيهِ) ليكون مَعذُورا واقعا (وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ) المذكورتين (لَقَدْكَانَ يَنْبَغِي لَهُ اَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ جَانِباً) لئلّا يتّهم به بعد (وَيَدَعَ) ويترك النّاس معَه) اي مع عثمان (فَمَا فَعَلَ) الطّالب بدمه الأن (وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ وَجَاءَ بِاَمْرٍلَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ) وهـو الطّلب بدَمه (وَلَمْ تُسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ) اي لا يُقبل عُذره:

◁ **الشّرح**

▫ **قوله ﷺ: قد كُنت وما اهدد بالحَرب ولا ارَّهب بالضّرب ...**

اهَدّد، بضَم الألف وفتح الهاء بصيغة المُتكلم المَجهُول من هَدَّد يُـهَدّد تهديدا وقوله ارَهّبُ ايضا بصيغة المُتكلم المَجهُول من رَهّبَ يُرَهِب تـرهيبا والرَّهبة والرّهب مخافة مع تَحَرز واضطراب وقيل، الفَزَع، قيل انّ اصحاب الجَمَل بَعثُوا اليه ﷺ ان ابرز لِلطّعان واصبر للجلاد فاجاب ﷺ بانّ التّهديد

وهو الّذي قتل في يوم الفتح فاتّك العرب اسد ابن غويلم وفي غزوة وادي الرّمل قتل مبارزيهم وبخيبر قتل مَرحبا وذالخمار وعنكبوتا وبالطائف هزَم خيل ضَيغم وقتل شهاب ابن عبس ونافع ابن غيلان وهو الّذي بات علىٰ فِراش النّبي ﷺ ليلة الهِجرة والكلام في الباب طويل وشجاعته اظهر من الشّمس وابيَن من الأمس ومن الّذي يُدانيه فيها وهو الّذي يُضرب به المَثَل وهو الّذي كَتب الىٰ عامله عُثمان ابن حُنيف، لو تَظاهرت العَرب علىٰ قتالي لَما ولّيت عنها ولو امكنت الفُرصة من رقابها لسارعت اليها،

نقلوا في التّواريخ انّ عليًا عليه السلام حمَلَ علىٰ المُشركين فما زالوا يبقطون يعني تَمادوا الىٰ الجبال مُنهزمين وكانت قُرَيش اذا راوه في الحَرب تواصَت خَوفا منه وقد نَظر اليه رجل وقد شَق العَسكر فقال علمت بانّ مَلَك المَوت في الجانب الّذي فيه علّي عليه السلام والىٰ هذا المعنىٰ اشار الشّاعر حيث قال:

همام ملَك المَوت اذا بادَرَ في كَد
لذاك المَوت يقضي حاجة في صُورة العبد
ولا يَبرح حتّىٰ يولج المرهف في الغمد
ولا يَقتَل الّا كلّ ليث باسِلٍ نَجِد
ولا يَتبع مَن ولّىٰ من العرب الىٰ العبد

وقد سمّاه رسول اللّه ﷺ كرّارا غير فرّارا في حديث خيبر حيث قال لأُعطينّ الرّاية غدا رجلاً يحبّ اللّه ورسوله ويحبّه اللّه ورسوله كرّار غير فرّار، قال الصّاحب في هذا المعنىٰ:

قد كان كرّارا فسمّىٰ غيره في الوقت فرّارا فهَل من معدلٍ ولغيره
نفسي فداه علّي من امام هُدىٰ مُجاهدا في سبيل اللّه كَرّارا

ولنعم ما قال ابن رذيك :

ما جرّدت مِن علّي ذا الفقار يد الّا واغمَده في هامة البَطَل

و : ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١)

و : ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٢)

و : ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾ (٣)

و : ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ (٤) وهذه الآيات وغيرها ممّا لم نذكره تُنادي باعلىٰ صَوتها بانّ الله تعالىٰ يَنصُر مَن نَصَره ومعلوم انّ نُصرة الله نُصرة دينه فكلّ من نَصر الدّين نصَرَ الله وعلّي عليه السلام كان كذلك وفيه قال الشّاعر:

تخاله اسدا يحمي العرين اذا ... يوم الهياج بابطالِ الوَغىٰ رجَفا

يَظلّه النّصر والرُّعب اللّذان هما ... كانا له عادة اذ سار او وَقفا

شواهد فرَضت في الخلق طاعته ... برَغم كلّ حسُود مال وانحَرَفا

▫ قوله عليه السلام: **وَاللّٰهِ مَااسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ اِلَّا خَوْفاً مِنْ اَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ لأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ...**

الواو للقَسَم اي اقسم بالله، وكلمة ماء للنّفي والمعنى انّي اقسم بالّله انّ هذه العَجلة والجَدّ مِمّن يطلب بدَم عثمان ليس الّا خوفا من ان يُطالب هو بدَمه لأنّه اي المُجدّ المُستعجل هو الّذي فيه مَظَنّته القتل وفي كلامه عليه السلام هذا اشار بانّ الطّالبين بدَمه من اصحاب الجَمَل هُم الّذين كانوا مَظنُونين به ولا سيّما طلحة ابن عبيد الله ولا يبعد ان يكون الكلام تَعريضا واشارة اليه فانّه كان احَرَص النّاس علىٰ قَتل عُثمان واعجَلهم في طلَبه بدَمه ويمكن ان يكون المراد به عائشة لأنّها كانت تقول اقتلوا نعثلاً قتله الله، فلمّا قُتِل فعَلَت ما فعَلَت وكيف كان المقصود من هذا الكلام هو انّ الطّالب بدَم عثمان من هؤلاء القَوم اعني اصحاب الجَمَل اراد به حِفظ نفسه من خوفا من ان يُطالب بدَمه من قِبَل اوليائه الا ترىٰ انّ السّارق الفَطِن بعد السَّرقة يُخبر بوقوعها،

١- الحشر ـ ١١
٢- الروم ـ ٥
٣- الفتح ـ ٣
٤- آل عمران ـ ١٦٠

مُساعدته ومُعاونته ومن المعلوم انّ الّذي يَطلب بدَمه لَم يَساعد قاتليه ولم يُعانِد ناصِريه وهو دليل علىٰ كذبه فيما يَدّعيه بعد قَتله،

وثانيهما قوله عليه السلام: **وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُوماً لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنَهْنِهِينَ عَنْهُ وَالْمُعَذِّرِينَ فِيهِ...**

اي وان كان عُثمان مظلُوما كان يَجب علىٰ من يَطلب بدَمه ان يكون من المُنهنهين البالغين عن قَتله والمُعذّرين فيه وذلك لأنّ اعانة المَظلوم تَجب علىٰ كلّ مُسلمٍ وتَركها حَرام عليه وحيث انّه تركَهما فهو في هذا الفرض فاسق كاذب:

وثالثهما: قوله عليه السلام: **وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ جَانِباً...**

اي ان كان لا يَعلم ظلمه ليُساعد قاتليه ولا مَظلُوميّته ليُعينه ويُساعده بل كان في شكٍ منهما الخ، يَنبغي له مُراعاة جانب الإحتياط بالإعتزال عن قَتله وعدم المُساعدة عليه:

▫ قوله عليه السلام: **وَيَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ وَلَمْ تُسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ...**

اي كانت وظيفته في صُورة الشّك ترك النّاس مع عُثمان كما هو مُقتضىٰ الإحتياط في صُورة الشّك وحيث ما فَعَل واحدة من الأُمور الثّلاثة وجاء بامرٍ لَم يُعرف بابه ولم يسلم معاذيره وهو الطّلب بدَم عثمان منه فانه امرٌ لم يُعرف بابه ووَجهه وايضا لا تكون معاذيره في خروجه ونكثه للبيعة سالمة بل هي مخدوشة مدخولة:

ومُلخص هذه الكلمات انّ عثمان الّذي يَطلب الطّالب بدَمه لا يَخلُو امّا انّه كان ظالما او مظلُوما، او مُشتبها بينهما ولا رابع في المقام وعلىٰ جميع الفروض يكون الطّالب بدَمه كاذبا فاسِقا وذلك لأنّه ان كان ظالما يَجب قَتله

خَطيئة فهؤلاء القوم لَمّا تَزَيّنت الدّنيا في اعَينهم فكانّهم صاروا سُكارىٰ وما كانوا بسُكارىٰ ولكنّ حُبّ الدّنيا صَيَّرهم كذلك اعاذنا اللّه منه بمَنّه وكَرمه آمين:

◁ المعنى

(**أيُّهَاالنَّاسُ الغافلون**) في الدّنيا (**غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ**) فانّ اللّه لبـالمِرصاد (**وَالتَّارِكُونَ** والتّارِكون) لِمَا امِروا به (**الْمَاخُوذُ مِنْهُمْ**) العهود والمَواثيق (**مَالِى اَرَاكُمْ عَنِ اللّهِ ذَاهِبِينَ**) مُعرضين (**وَالَىٰ غَيْرِهِ رَاغِبِينَ**) شائقين (**كَاَنَّكُمْ نَعَمٌ**) اي ابِلٌ وغنَمٌ (**اَرَاحَ**) وذَهب (**بِهَا سَائِمٌ**) وراعٍ (**اِلَىٰ مَرْعىً وَبِيٍّ** الىٰ مَرعىٰ وبّي) اي مكانٌ رديٌ لا نبات له (**وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ**) فاسد لا يصلح لِلشُّرب، (**وَاِنَّـمَا هِيَ**) اي النّعم (**كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمِدىٰ**) اي لِلذّبح **لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِـهَا**) اي لا تدري انها تُذبح (**اِذَا اُحْسِنَ اِلَيْهَا**) يعني انّها لكثرة اعجابها تعاف فـي يـومها تظنّ انّ دهرها مقصور علىٰ ذلك اليوم (**وَاللّهِلَوْ شِئْتُ اَنْ اُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ**) الّذي خَرج منه (**وَمَولِجِه**) الّذي يَدخل فيه (**وَجَمِيعَ شَانَه لَفَعلت**) اي انّي قادر عليه عالم به (**وَلَكِنْ اَخَافُ اَنْ تَكْفُرُوا فِي بِرَسُولِ اللّهِ** ﷺ) بالغُلّو في حَقّي (**اَلَاوَاِنِّي مُفْضِيهِ**) اي الأسرار (**اِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذٰلِكَ**) الغُلو (**مِنْهُ وَالَّذِى**) اقسم باللّه الّذي (**بَعَثَهُ بِالْحَقِّ**) نبيا (**وَاَصْطَفَاهُ**) واختاره (**عَلَىٰ الخَلْقِ**) رسُولاً (**مَا اَنْطِقُ**) لكم (**اِلَّا صَادِقًا**) في قوله (**وَقَدْ عَهِدَ**) الرّسُول (**اِلَيَّ بِذٰلِكَ كُلِّهِ وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ**) ويمُوت فيه.

(**وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو**) من الهَلَكة (**وَمَالِ هٰذَا الْأَمْرِ**) ومَرجعه (**وَمَا اَبْقَىٰ شَيْئاً يَمُرُّ عَلَىٰ رَاْسِي اِلَّا اَفْرَغَهُ فِي اُذُنَيَّ**) الىٰ النّعم (**تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا شِبَعَهَا اَمْرَهَا**) اي مابقىٰ الرّسُول ﷺ شيئا من الحوادث الّا واسمَعَنيه (**وَاَفْضَىٰ بِهِ اِلَيَّ اَيُّهَا النَّاسُ وَاللّهِ مَااَحُثُّكُمْ عَلَىٰ طَاعَةٍ**) من طاعات اللّه (**اِلَّاوَاَسْبِقُكُمْ اِلَـيْهَا**) بالعمل بها (**وَلَا اَنْهَاكُمْ عَـنْ مَـعْصِيَةٍ**) مـن مـعاصي اللّـه (**اِلَّا وَاَتَـنَاهَى**) اي اترُكها(**قَبْلَكُمْ عَنْهَا**):

والثاني: قال تعالى: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾ (١)

و: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (٢)

ويستفاد من كلامه عليه السلام هذا انّ الغَفلة وترك المامور به من اعظم الدّواهي لِلإنسان وهو كذلك فانّ الغَفلة راس الخطيئات بل هي الأصل بالنّسبة الى ترك المامور به وفعل المُنكرات وهذا اصل يُعتمد عليه:

◻ قوله عليه السلام: مَالِي اَرَاكُمْ عَنِ اللهِ ذَاهِبِينَ وَاِلَىٰ غَيْرِهِ رَاغِبِينَ...

كلمة ما، استفهامية والمعنى مالي اراكم مُعرِضين عن الله راغبين الى غيره وهو من فروع الغَفلة ان قلت، كيف يمكن للعبد الذّهاب من الله وهو مخلُوق له والمخلُوق لايمكن له الإعراض عن خالقه لِما ثَبت في العلوم العقليّة من انّه قائم به بل يقال انّ الممكنات صِرف التّعلّق والرّبط:

قلتُ، معنى الذّهاب منه تعالى الذّهاب من دينه وحكمه وبعبارةٍ اخرى الذّهاب بحسب التّشريع لا بحسب التّكوين وهكذا الرّغبة الى غيره معناه متابعة غيره في الأعمال والّا فالذّهاب والرّغبة بمعناها الحقيقي لايمكن لأحدٍ من المخلوق وهو واضح:

قال الله تعالى حكايةً عن الخليل ﴿اِنّي ذاهِبٌ اِلىٰ رَبّي سَيَهْدِينِ﴾ (٣)

اي انّي ذاهب الى طاعة ربّي اذ ليس له مكان حتّى يصدق الذّهاب واقعا:

وقال تعالى في الرّغبة ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ اِنّا اِلَى اللَّهِ راغِبُونَ﴾ (٤)

اي الى طاعته بفعل الخيرات وترك السّيئات وامثال ذلك من الآيات:

فالمقصُود مالي اراكم من الله ذاهبين بِتَرككم اوامِرَه وفِعلكم نواهيه والى غير الله راغبين وغير الله هو الشّيطان واياديه مع انكم عبيدٌ له تعالى لا لغيره وانّما قال عليه السلام ذلك لأنّهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله اعرضوا في الحقيقة عن احكام

١- المزّمل - ١٦
٢- الرحمن - ٤١
٣- الصّافات - ٩٩
٤- التوبة - ٥٩

ثم شبههم ثانيا بالنَعَم المَعلُوفة المُعدّة لِلمَدىٰ فكما انها لا تعرف شيئا فكذلك هؤلاء والىٰ هذا اشار قوله ﷺ.

▫ قوله ﷺ: **وَإِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَىٰ لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا إِذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا شِبَعَهَا أَمْرَهَا...**

كلمة (انّما) تفيد الحصر والمعنىٰ انّ هذه النَعَم المُشار اليها كالنَّعَم المَعلُوفة لِلمَدىٰ والسّكين حيث لا تعرف ماذا يُراد بها اذا احسن من راعيها اليها اي لا تعرف انّ الرّاعي اراد ذبحها:

فكذلك هؤلاء القَوم لا يعرفُون ماذا اراد الرّاعي بعد الرّسُول بهم من احسانه اليهم ولا شك انّه اراد اهلاكهم في الدّنيا والآخرة بسّكين الدّرهم والدّينار ولكنّهم لجهلهم لا يَعتَنون بهذه الخديعة واتّبعوه وكما انّ المَعلُوفة تَحسب يَومها ودَهرها يعني تظن انّ دهرها مقصور علىٰ ذلك اليوم وليس وراءه لها يوم آخر فَتَغتنم العَلَف في ذلك اليوم او انّها تظنّ انّ ذلك لها حاصل بعد اليوم ايضا، فكذلك هؤلاء الأشخاص الّذين بايعوهم بعد الرّسُول واتّبعوهم في دينهم ودُنياهم باخَذهم الدّراهم والدّنانير من بيت المال ولَم يعلموا او عَلِموا ولَم يَعتنوا انّ المال لكلّ المُسلمين والحاكم ليس الّا واحدا منهم فكانّهم حسَبُوا وظنّوا حَصر دَهرهم في ذلك اليَوم وان لا يوم لهم بعده او انّهم تَخيّلُوا انّ هذا المال المَغصُوب يكون لهم دائما فَبهذا الظّنون الفاسدة ضَلّوا عن الطّريق واضّلوا كثيرا، وحاصل الكلام انّهم لَم يَعرفوا العَدّو عن غيره ولا الخائن عن الأمين ولا الظّالم عن المظلوم وان عرفوا احيانا، تسامحُوا وتَغافلوا صَونا لدُنياهم ولَم يَتَوجّهوا انّ من لا يخاف اللّه لا يخاف احدا.

▫ قوله ﷺ: **وَاللّٰهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ...**

ثُمّ اقسم ﷺ باللّه وهو اسم الجلالة وقال لو شئت ان اخبر كلّ رجل منكم بما يخرج منه وما يدخل فيه وجميع شانه اي بافعاله واقواله وحركاته وسكناته

احَصَى اللّه فيه عِلم كلّ شئ انتهى.

ثُمّ قال ﷺ – وفي حديث في الإحتجاج عن النّبي ﷺ قال معاشر النّاس ما من علمٍ الّا عَلَّمَنيه ربّي وانا عَلّمتُه عَلّيا وقد احَصاه اللّه فيّ وكلّ علمٍ عُلّمتُ فقد احَصَيتُه في امام المُتّقين وما من علم الّا علّمتُه عَلّيا انتهى.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (١)

فنقول، علّي هو الهادي في الآية وكلّ هادٍ لا بدّ من ان يكون عالما بكلّ شئ فعلّيٌ عالم بكلّ شئ وهو المطلوب.

امّا انّه الهادي فلِما رواه في غاية المرام عن كتاب فرائد السّمطين في فضائل المرتضى وفاطمة والسّبطين للحَمويني وهو من اعيان العامّة باسناده عن الواحدي انّه قال من الآيات فيها علّيٌ تِلو النّبي في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (٢)

وايضا عنه باسناده عن ابي هريرة قال سمعت رسُول اللّه ﷺ يقول انّما انت منذر ووَضَع يده على صَدر نفسه ثُمّ وَضَعها على يَد علّيٍ ويقول ولكلّ قومٍ هاد انتهى« ص ٢٣٥»...

وايضا فيه عن الثّعلبي باسناده عن ابن عبّاس قال لمّا نزلت الآيـة وَضَع رسُول اللّه ﷺ يَده على صَدره وقال انا المُنذر واومى بيده على مَنكب علّي ابن ابي طالب وقال انت الهادي يا علّي يَهتدي بك المُهتدون انتهى.

وقد روي ايضا في الباب قريبا بهذه المَضامين من طريق العامّة وفيما نقلناه كفاية وامّا طريق الخاصّة فقد ذكر ﷺ ثلاثة وعشرين حديثا لا نحتاج الى ذكرها لوضُوح الأمر عندنا وان شئت الإطّلاع على ما ذكره في الباب فعليك بـغاية المرام.

وامّا انّ الهادي يجب ان يكون عالما بكلّ شئ فالدّليل عليه انّ الهادي اذا كان جاهلاً ولو بشئٍ واحدٍ ومَسئلة واحدة فهو ليس بهادٍ فيه ضَرورة انّ الهداية

١- الرّعد ـ ٧

٢- الرّعد ـ ٧

العامّة والخاصّة واظن انّه لا خلاف بين عُلماء الفريقين فيه:

امّا العامّة – فقد روى الثّعلبي فى تَفسير هذه الآية قال قال جابر لمّا نزلت هذه الآية قال علّيٍ نَحن اهل الذّكر انتهىٰ.

وعن تفسير يوسف القطان عن السُّدي قال كنت عند عُمر ابن الخطاب اذ اقبل عليه كعب ابن الأشرف ومالك ابن الصّيف وحيّ ابن اخطب فقالوا انّ في كتابك، وجنّةٌ عرضها السّمٰوات والأرض، اذا كانت سعة جنّته واحدة كسبع سَمٰوات وسبع ارضين فالجنان كلّها يوم القيامة اين تكون فقال عُمر لا اعلم، فبينما هم في ذلك اذ دخل علّيٌ عليه السلام فقال افي شيٍ كنتم فالقىٰ اليَهُودي المَسْئلة عليه فقال لهم خَبّروني انّ النّهار اذا اقبل اللّيل اينَ يكون قالوا له، في علم اللّه تعالىٰ فقال عليه السلام كذلك الجنان تكون في علم اللّه فجاء علّيٌ عليه السلام الىٰ النّبي واخبره بذلك فَنَزل فاسئلوا اهل الذّكر ان كنتم لا تَعلمُون انتهىٰ غاية المرام ص ٢۴٥.

ومن الخاصّة – ما رواه مُحمّد ابن يعقوب باسناده عن ابي جعفر عليه السلام في قول اللّه عزّ وجلّ فاسئلوا اهل الذّكر.

قال عليه السلام قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله الذّكر انا والأئمّة اهل الذّكر الىٰ ان قال عليه السلام ونحن المَسئُولون انتهىٰ ص ٢۴٥.

وقد روي في الباب احاديث كثيرة دالة علىٰ المُدّعىٰ ان شئت فراجعها:

واذا ثَبَت كونه عليه السلام من اهل الذّكر الّذي امَرَ اللّه النّاس بالسّئوال عنه فيجب ان يكون عالما بكلّ ما يُسئل عنه والّا يلزم عليه تعالىٰ اغراء النّاس بالجهل اعني ارجاعهم الىٰ الجاهل وهو كما ترىٰ.

اذا عرفت ما ذكرناه وعَلمت تقريب الإستدلال بالآيات الدّالة علىٰ اثبات المُدّعىٰ فتقدر علىٰ استخراج الحكم منها فانّ حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد فلا نحتاج الىٰ اطالة الكلام بذكر الآيات والإستدلال بها علىٰ المُدّعىٰ علىٰ وجه التّفصيل ولَنُشِر الىٰ بعض الآيات ايضا من غير بيان:

وباسناده عن ابي البحتري قال رايت عليا صَعد المَنبر بالكوفة وعليه مدرعة كانت لرسُول اللّه ﷺ مُتقلدا بسيف رسُول اللّه ﷺ مُتَعّمِما بعَمامة رسُول اللّه ﷺ وفي اصبَعه خاتم رسُول اللّه ﷺ فَقعَد علىٰ المَنبر وكشف عن بطنه فقال سلُوني قبل ان تفقدوني فانّما بين الجوانِح علمٌ جَمٌ هذا سقط العِلم هذا لعاب رسُول اللّه ﷺ هذا ما زَقّني رسُول اللّه ﷺ زَقّا من غير وَحيٍ اوحىٰ اليّ فو اللّه لو ثُنيَت لي الوسادة (وسادة) فَجَلستُ عليها لأفتيت لأهل التّوراة بتوراتهم ولأهل الأنجيل بانجيلهم حتّىٰ ينطق اللّه التّوراة والأنجيل فيقول صَدق علّي قد افتاكم بما انزِل فيّ وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون انتهىٰ « ص ۴۷»...

وايضا باسناده عن ابن عبّاس قال العلم سِتّة اسداس فَلِعَلّي ابن ابي طالب من ذلك خَمَسة اسداس ولِلنّاس سُدس واحد ولقد شاركنا في سُدسنا حتّىٰ هو اعلم به منّا انتهىٰ« ص ۴۸»....

ولنعم ما قال فيه ابن طلحة الحلبي الشّافعي:

انّه قال:

لقد حزتُ علم الأولين وانّني ظنينٌ بعلم الآخرين كتوم
وكاشف اسرار الغيُوب باسرها وعندي حديث حادثٍ وقديم
وانّي لقيومٌ علىٰ كلّ قيّمٍ مُحيطٌ بكلّ العالمين عليمُ

ثُمّ قال: لو شئت لأوقرت من تفسير الفاتحة سبعين بعيرا، وقال رسُول اللّه ﷺ اعلم امّتي علّي ابن ابي طالب...

وقال رسُول اللّه ﷺ اتاني جبرئيل بدرنوك من الجنّة فَجَلستُ عليه فلمّا صرت بين يدَي ربّي كَلّمني وناجاني فما عُلّمِتُ شيئا الاّ عَلّمته عَلّيا فهو باب عِلمي ثمّ دعاه اليه فقال ياعلّي سِلمُك سِلمي وحَربك حَربي وانت العلم فيما بَيني وبَين امّتي انتهىٰ «ينابيع المودة ص ۶۱»...

وعن المَناقب سُئل ﷺ انّ عِيسىٰ ابن مَريم كان يُحي المَوتىٰ وسليمان

عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[1] قال ذلك امير المؤمنين، عَلَّمه بيان كلّ شئ ممّا يحتاج النّاس اليه انتهىٰ« ص ۴۵۹»...

ماروا ه ايضا باسناده عن يحيى ابن امّ الطّويل قال سمعت امير المؤمنين يقول مابين لَوحَي المُصحَف من آيةٍ الّا وقد عَلِمتُ فيمن نَزَلت واين نَزَلت في سَهلٍ او جَبَلٍ وانّ بَين جوانحي لعِلما جمّا فاسئلُوني قبل ان تفقدوني فانكم ان فقدتموني لم تجدوا من يُحدّثكم مثل حديثي انتهىٰ «ص ۴۶۷»...

والأحاديث كثيرة وامّا الإجماع فمن الخاصّة لا كلام فيه ولا نحتاج الىٰ ذكر الأقوال فيه فانّ ضرورة المَذهب اقتضت كونه عالما بما كان وما يكون وما هو كائن الىٰ يوم القيامة وهكذا اولاده المعصُومين بعده وانّما قلنا ذلك لأنّ الإمام في مَذهبنا لا يكون الّا كذلك من حيث العلم وغيره من الصّفات من الشّجاعة والعدالة وَوَو وامّا الإمام الجاهل ولو في مسئلةٍ واحدة فلا مَوقع له عندنا ونحن قد تكلّمنا في الإمام وشرائطه ومنها العلم عند بَحثنا في الإمامة في شرح الخُطبة الشّقشقية:

وامّا العامّة - فانّهم قد اجمعوا ظاهرا علىٰ كونه ﷺ اعلم النّاس بعد الرّسُول الّا الشّاذ منهم مِمّن لايُعبا بكلامه امّا لجهله وامّا لتَعَصّبه وما نقلناه من الأخبار العامّية دليل عليه وقد اعترف به الشّارح المُعتزلي في شرحه، وصَرّح به كثير من علمائهم امثال الجاحظ، والسُّدي، وعطا ويحيىٰ ابن معين وعُمر ابن الخطاب وعَكرمة وابو امامة وغيرهم من العُلماء وبالجُملة لاينكره الّا مُعانِدٌ مُتعصّب قال ابن حماد:

عليمٌ بمّا قد كان او هو كائن — وما هو دقّ في الشّرائع او جُلُّ
مُسمّىٰ فجلّىٰ في الصّحائف كلّها — فَسَل اهلها واسمَع تلاوة من يَتلُو
ولولا قضاياه الّتي شاع ذكرها — لعَطّلت الأحكام والفَرض والنَّفل

1- الرحمن-۳و۴

وثانيها: ان يكون المراد انّي اعلم كلّ ما اعلم منه ﷺ فمن قال بانّي اعلم منه فقد كَفَر به ﷺ.

وثالثها: انّ الإمام خليفة للرّسُول ﷺ ونائب عنه ولازم ذلك ان يكُون الرّسُول افَضل من الإمام لكونه واجدا لمقام الرّسالة والإمامة معا والإمام واجد لمقام الإمامة فقط واذا كان كذلك فالقول بتَرجيح الإمام علىٰ الرّسُول الخاتم ﷺ يُوجب الكُفر برسالته لأنّ الرّسُول يَصير علىٰ هذا الفَرض مَفضُولاً وقد فرضناه افَضَل وهذا هو الكُفر برسالته اذ المفضول ليس برسُولٍ واقعا:

فلهذه الجهات وغيرها لا اقول لكم ماهو خارج عن عَقلكم وفَهمكم وحيث كان الأمر كذلك فانّي مُفيضه اي افضي جواهر علمي الىٰ الخاصّة من اقربائي واصحابي ممّن يقدر علىٰ هَضمه وضبطه او يُؤمَن الخَطا فيه وهؤلاء اولاده واصحابه وخواصّه المُنتجبُون امثال عمّار، ومَيثم التّمار، وكُميل ابن زياد النّخعي وغيرهم من الأوتاد:

وفي هذا الكلام اشارة الىٰ انّ العلوم الحقّة ينبغي تعليمها لأهلها مِمّن يَقدر علىٰ فَهمها وضَبطها واستعمالها في مَواردها وامّا من ليس له هذا الشّان فلا يَجوز تعليمها ايّاه وهو كذلك والدّليل عليه من وجوه:

احدها: انّ العلم جوهرٌ نَفيس ولاسيّما العلم الألهي الّذي به يُعرف اللّه ويُعبَد ولو قلنا لا شيئ في عالم الوجُود اشرف وافَضل منه لكان حقّا اذ فضيلة كلّ موجُود به والآيات والأخبار في مدحه كثيرة والأدلّة العقليّة من جميع المِلل والطّوائف عليه قائمة وكفىٰ في فضيلة العلم انّه مَحبُوبٌ لجميع النّاس مؤمنا كان او كافرا وهذا مِمّا لا شَك فيه.

ثمّ انّ العلوم تتفاوت بتَفاوت معلومها ومَكشوفها فما كان مَعلومه افضل واشَرف فهو افَضل واشَرف ولهذا قلنا انّ العلوم الإلٰهية التّي تعرف بها الأحكام والنّواميس الشّرعية بعد مَعرفة اللّه ومَعرفة رسُوله فهذا القِسم من العِلم له مَزيد شَرَفٍ علىٰ غيره من العلُوم وقد وَردت الأخبار بشانه وشرائط المعلّم

يُواظبون على هذا الأصل اعني التَّعليم والتَّعلُّم فلم يُعلِّمُوه باي شخصٍ كان كما لم يتَّعلمُوه من اي شخصٍ كان.

وثالثها: انّ اللّطف يَقتضي وضع كلّ شيْ في محلّه وهذا هو المعنىٰ العَدل بعينه والإمام بمُقتضىٰ القاعدة لايَضع شيئا في غير مَوضعه وحيث انّ وضع الأسرار فيمن لا يُؤمَن عليه خرُوج عن القاعدة بل هو ظلم بعينه قال عليه السلام ما قال والوجوه العقلّية كثيرة جدًا والدّلالة النّقلية تعضدها.

▫ **قوله عليه السلام: وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ وَاصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ مَاأَنْطِقُ اِلَّا صَادِقاً...**

الواو لِلقسم اي اقسم بالّذي بعث النّبي بالحقّ اعني اللّه تعالىٰ فانّه الباعث ايّاه وغيره من الأنبياء وهو الّذي اصطفىٰ النّبي صلى الله عليه وآله من النّاس واختاره للنّبوة ما انطق الّا صادقا، اي لست اقول الّا حقّا وصدقا وانّما اقسم عليه السلام باللّه تعالىٰ في صِدقه مع انّه كان صادقا قَطعا اذ الإمام لايكذب قطّ، لوجُود المُنافقين في اصحابه الّذين كانوا لا يَقولون بامامته وعِصمته.

وامّا علىٰ مذهب الحقّ فلا يحتاج اليه لأنّ الصّدق من شرائط الرّسُول والإمام ولذلك ترىٰ اللّه تعالىٰ في كثير من الآيات صَدرّها بالقَسم ومع ذلك كلّه ففيه تاكيد علىٰ المُدّعىٰ وصدقِه:

▫ **قوله عليه السلام: وَقَدْ عَهِدَ اِلَيَّ بِذٰلِكَ كُلِّهِ وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكَ وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو وَمَالِ هٰذَا الْأَمْرِ...**

اي ولقد عَهِد الرّسُول صلى الله عليه وآله الّي بذلك اي بما ذكرتُ او اذكر لكم وبمَهلك من يَهلك اعني مكان مَوته وهلاكه ومكان نجاته وخلاصه ومآل هذا الأمر اعني الخلافة ومَسيرها،فليس شيْ من هذه الأُمور الّا وانا اعلمه وقوله عليه السلام: **لقد عَهِد** الخ اشارة الىٰ انّ ماعلَمّه اعلَمه من رسُول اللّه صلى الله عليه وآله وعَهِده الّي به لا مِن عند نفسي:

ان قلت – ان كان عليه السلام عالما بمآل هذا الأمر اعني الخلافة وانّها لا تَصل اليه بعد الرّسُول والىٰ اولاده بعد شهادته فَلِم لَم يَسكُت بعده صلى الله عليه وآله ثُمّ انّه عليه السلام لِمَ

ينبغي ان يكون مُستَرشدا بنفسه مضافا الى انّ مَن لَم يكن كذلك لَيس في كلامه تاثير ولا في مُستمعه ومُخاطبه تاثُرٌ:

واَمّا النّقل: فلقوله تعالى: **﴿اَتَامُرُونَ النّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسُونَ اَنفُسَكُمْ وَاَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ اَفَلا تَعْقِلُونَ﴾** (١)

و : **﴿يا اَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَاللّٰهِ اَنْ تَقُولُوا ما لا تَفعَلُونَ﴾** (٢) وقد ذكرنا في الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر انّ من شرائط تاثيرهما كون الآمر والنّاهي فاعلاً وتاركا نعم ليس العَمَل بما يقول مِن شرائطه الوُجودي ولكنّه من شرائطه تاثيرا:

١- البقرة ـ ٤٤

٢- الصّف ـ ٢/٣

بِمِثْلِهِ . وَاعْلَمُوا اَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَقَائِلٌ مُصدَّقٌ وَاَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقِيَامَةِ يَوْمَ شُفِّعَ فِيهِ وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ يَوْم فَاِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(اَلَا اِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلىً فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرآنِ فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَاَتْبَاعِهِ وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَىٰ رَبِّكُمْ وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَىٰ اَنْفُسِكُمْ وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ وَاسْتَغِشُّوا فِيهِ اَهْوَاءَكُمْ.

اَلْعَمَلَ اَلْعَمَلَ ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ وَالِاسْتِقَامَةَ الِاسْتِقَامَةَ ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ وَالْوَرَعَ الْوَرَعَ اِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا اِلىٰ نِهَايَتِكُمْ وَاِنَّ لَكُمْ عَلَماً فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ وَاِنَّ لِلْاِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا اِلىٰ غَايَتِهِ وَاخْرُجُوا اِلَىٰ اللّٰهِ بِمَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ وَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ انَا شَاهِدٌ لَكُمْ وَحَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ.

اَلَا وَاِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قد وَقَعَ وَالْقَضَاءَ الْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ وَاِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ اللّٰهِ وَحُجَّتِهِ قَالَ اللّٰهُ تَعَالَىٰ (اِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ اَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَاَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) وَقَدْ قُلْتُمْ «رَبُّنَا اللّٰهُ» فَاسْتَقِيمُوا عَلَىٰ كِتَابِهِ وَعَلَىٰ مِنْهَاجِ اَمْرِهِ وَعَلَىٰ الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا فَاِنَّ اَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطَعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللّٰهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الخطبة

منها الفصل الثاني :

ثُمَّ اِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ الْأَخْلَاقِ وَتَصْرِيفَهَا وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِداً وَلْيَخْزُنَ الرَّجُلُ لِسَانَهُ فَاِنَّ هٰذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ وَاللّٰهِ مَا اَرَى عَبْداً يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّىٰ يَخْزُنَ لِسَانَهُ. وَاِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ وَاِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ اِذَا اَرَادَ اَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ فَاِنْ كَانَ خَيْراً اَبْدَاهُ وَاِنْ كَانَ شَرّاً وَارَاهُ وَاِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا اَتَىٰ عَلَىٰ لِسَانِهِ لَا يَدْرِي مَاذَا لَهُ وَمَاذَا عَلَيْهِ وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللّٰهُ ﷺ لَا يَسْتَقِيمُ اِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ اَنْ يَلْقَى اللّٰهَ تَعَالَىٰ وَهُوَ نَقِيُّ

◁ اللغة

(**الجَلِّيةِ**) الواضحة التي لا خفاء فيها (**نَزَعَ**) كَفَّ وقَلَع (**زَارِياً**) اي عائِبا (**قَوَّضُوا**) قاض البناء وقَوَّضَه اي هَدَمه والتّقويض نَزع اعمدة الخَيمة واطنابها (**فَاقَةٍ**) الفاقة الحاجة (**لأْوَائِكُمْ**) اللأواء الشِدَّة (**مَحَل**) مثلّث الحاء الكَيد يقال محلّ به اذا كاده (**بَعَلمِكم**) العَلَم في الأصل ما يُستَدل به على الطَريق والمراد به هنا القرآن (**تَهْزِيعَ**) التّهزيع التّكسير (**تَصْرِيفَهَا**) تَقليبها (**جَمُوحٌ**) من جَمح الفَرَس اذا غلب فارسه (وَارَاه) اي اخفاه (**ضَرَّستمُوها**) ضَرَسه الحَرب جَربته والمعنى جَربتّمُوها (**شِرْعَةٌ**) الطَريق الواضح (**الْهَنَاتِ**) بفتح الهاء جَمع هِنة مُحركَة، الشّئ اليسير (**الْمُدَىٰ**) جمع مِدية وهي السّكين (**السِّيَاطِ**) جمع سَوط:

◁ المعنىٰ

(**انْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللَّهِ وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ**) في كتابه الكريم (**وَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهُ**) فانّه خير ناصح (**فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ**) بالبراهين (**الجَلِّيةِ**) التي لا خفاء فيها (**وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ بِالْحُجَّةِ**) الظّاهرة منها والباطنة (وبَيَّن) الله تعالى (**لَكُمْ مَحَابَّهُ**) اي ما يُحبّه (**مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا**) اي ما يَكرهه منها (**لِتَتَّبِعُوا هٰذِهِ**) اي المَحابّ منها (**وَتَجْتَنِبُوا هٰذِهِ**) اي المكاره منها (**فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ** ﷺ **كَانَ يَقُولُ** (**إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ**) اي انّ الجنّة مَحفُوفة بالمشّاق من الطّاعات كما (**إِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ**) والأميال النّفسانية (**وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهٍ**) وعدم مَيل الغريزة اليه لكون الطّاعة على خلافها كما انّ (**مَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي**) ذلك الشّئ (**فِي شَهْوَةٍ**) لكون المعاصي على وفق الغَريزة (**فَرَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً نَزَعَ**) وقَمَع (**عَنْ شَهْوَتِهِ**) فلا يتّبعها (**وَقَمَعَ**) وكَفَّ (**هَوَىٰ نَفْسِهِ فَإِنَّ هٰذِهِ النَّفْسِ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً**) لكونها امّارة بالسُّوء (**وَإِنَّهَا**) اي النّفس (**لَا تَزَالُ تَنْزِعُ**) وتَشتاق (**إِلَىٰ مَعْصِيَةٍ فِي هَوَىٰ**. **وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ**) لا يَثق

عنها (وَالِاسْتِقَامَةَ الِاسْتِقَامَةَ) في العَمَل والثّبات على طريق الحقّ (ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ) في الطّاعات والمعاصي والمَصائب (وَالْوَرَعَ الْوَرَعَ) فانّه ملاك صحّة العَمل وقبوله (اِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً) وهي الجِنان ونعَمها(وَاِنَّ لَكُمْ عَلَماً) وهو القرآن (فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ) تنتفعوا به (وَاِنَّ لِلْاسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا اِلَىٰ غَايَتِهِ) وهي سعادة الدّارين (وَاخْرُجُوا اِلَىٰ اللّٰهِ بِمَا افْتَرَضَ) واوجَب (عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ وَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ) بواسطة انبيائه انَا شَهيدٌ(اَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ وَحَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ) اي انا اشهد لكم يوم القيامة بخروجكم منها واقيم الحجّة عن جانبكم (اَلَا وَاِنَّ الْقَدَرَ) لِللّه تعالىٰ (قد وَقَعَ وَالْقَضَاءَ الْمَاضِيَ) منه (قَدْ تَـوَرَّدَ) اي وَرَد شـيئا فشيئا (وَاِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ اللّٰهِ وَحُجَّتِهِ) اي بما وعَدكم اللّه يوم القيامة (قَالَ اللّٰهُ تَعَالَىٰ اِنَّ الَّذينَ قَالُوا رَبُّنَا اللّٰهُ) وهو الدّليل علىٰ صِدق مقالتي (وَقَدْ قُلْتُمْ «رَبُّنَا اللّٰهُ» فَاسْتَقِيمُوا عَلَىٰ كِتَابِهِ) واعملوا به (وَعَلَىٰ مِنْهَاجِ اَمْرِهِ) وعـلىٰ طـريقته الصّالحة من عبادته التّي مضىٰ عليها الصّالحون من عباده (ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا) ولا تخرجوا عنها (وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا) فانّ البدعة مُحرّمة (وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا فَاِنَّ اَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطِعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللّٰهِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) والمـراد بـاهل المُـروق اهـل الخُروج عن حكُومة القرآن والمراد بانقطاعهم بُعدهم عن رحمة اللّه.

(ثُمَّ اِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ الْأَخْلَاقِ وَتَصْرِيفَهَا) اي تَفريقها وتَقليبها من حالٍ الىٰ حالٍ (وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِداً) اي لا تكونوا ذا لسانين (وَلْيَخْزُنَ الرَّجُلُ لِسَانَهُ) عن اللّغو (فَاِنَّ هٰذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ) وغالب (بِصَاحِبِهِ) اي علىٰ صاحبه (وَاللّٰهِ مَا اَرَىٰ عَبْداً يَتَّقِي) ويحترز (تَقْوَىٰ تَنْفَعُهُ) في الدّارين (حَتَّىٰ يَخْزُنَ) ويحفظ (وَاِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ) فهو يقول بعد التّفكر والتّدبر (وَاِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ) فهو يقول ثمّ يتفكر فيما قال وذلك (لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ اِذَا اَرَادَ اَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَه) اولاً، (فِي نَفْسِهِ فَاِنْ كَانَ خَيْراً اَبْدَاهُ) واظهَره بلسانه (وَاِنْ كَانَ شَراً وَارَاه) وستَره (وَاِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمَ بِمَا اَتَىٰ عَلَىٰ لِسَانِهِ) من غير تدّبر ولا تفكّر (لَا يَدْرِي مَاذَا لَهُ) لنفعه (وَمَاذَا عَلَيْهِ) علىٰ ضرره (وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ

فَإِذَا) اي اذا كنت كذلك (أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ) اي مُستقيم في طاعة الله (أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ) من الله تعالىٰ، (وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ) منه (وَظُلْمٌ مغْفُورٌ) عنده (لَا يُطْلَبُ) من صاحبه (فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ الشِّرْكُ بِاللَّهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) وهو ان تجعل له تعالىٰ شريكا (وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ) من صغائر الذّنوب وكبائرها عند التّوبة (وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً) فانّ حقوق النّاس يؤخذ بها (الْقِصَاصُ هُنَاكَ) في القيامة (شَدِيدٌ لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالْمُدَىٰ) كالقصاص في الدّنيا (وَلَا ضَرْباً بِالسِّيَاطِ) كذلك (وَلٰكِنَّهُ) اي القصاص هناك (مَا) اي الّذي (يُسْتَصْغَرُ ذٰلِكَ) اي الجرح بالمدىٰ والضّرب بالسّياط (مَعَهُ) اي بالقياس معهم (فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللَّهِ) فانّه علامة النّفاق (فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ) يعني الإجتماع علىٰ الحقّ خيرٌ من الإفتراق علىٰ الباطل (وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ) وتشتّتٍ (خَيْراً مِمَّنْ مَضَىٰ وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ) قيل من الدّنيا ولا من العُقبىٰ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ طُوبَىٰ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ) فلا يتوجه الّا الىٰ عيوبه (وَطُوبَىٰ لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ) واعتكف فيه (وَأَكَلَ قُوتَهُ) وقنع به (وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ وَبَكَىٰ عَلَىٰ خَطِيئَتِهِ) وذنوبه (فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ) اي هو مشغول بنفسه (وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ) بعدم وصول ضرّه اليهم.

◁ الشرح

- قوله عليه السلام: **اِنْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللَّهِ وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ وَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ...**

امرهم عليه السلام بامورٍ ثلاثة، بيان الله ، ومواعظه، ونصائحه.

اما الأوّل:

اعني الإنتفاع ببيانه فهو اشارة الىٰ قوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

(ونصيحة الرّسُول هي نصيحة اللّه بعينها فانّه ما يَنطق عن الهَوىٰ ان هو الّا وَحيٌ يُوحىٰ):

وانّما امرهم عليه السلام بالإنتفاع ببيان اللّه والإتّعاظ بمَواعظه والقبُول لنصيحته لأمرين:

احدهما: انّ اللّه تعالىٰ عالم بمَصالح العباد لأنّه خالق والخالق اعرف بمخلُوقه من نفسه وعليه فان اراد المَخلوق البلُوغ الىٰ الكمال والوصول الىٰ مقام القُرب فلا محيص له عن الإتّباع والإمتثال لأحكامه واوامره ونواهيه وهذا ممّا لا اشكال فيه:

وثانيها: انّ قيمة الكلام وفضله بقيمة المُتكلّم فكلّ ما كان المُتكلم اكمل وافضل فَكلامه كذلك وحيث انّ اللّه تعالىٰ اكمل الموجودات واشرفها بل لا كمال ولا شرف الّا كماله وشرفه فكلامه افضل واشرف من كلام غيره وعليه فالإتّباع بكلامه اولىٰ وافضل :

▫ **قوله عليه السلام: فَإِنَّ اللّهَ قَدْ اَعْذَرَ اِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمْ بِالْحُجَّةَ...**

المُراد بالجَلية الأدلّة القاطعة والبَراهين السّاطعة من الكتاب والسّنة والعقل التّي لا خفاء فيها كالآيات الدّالة علىٰ عقاب العاصين وثواب المُطيعين:كقوله تعالىٰ:**﴿إنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ ميقاتاً، يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَتَاْتُونَ اَفْواجاً﴾** (١)

و : **﴿إنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرصاداً، لِلطَّاغِينَ مَاٰباً، لابِثِينَ فيها اَحْقاباً، لايَذُوقُونَ فيها بَرْداً وَلا شَراباً، اِلّاٰ حَميماً وَغَسّاقاً، جَزاءً وِفاقاً، وَكَذَّبُوا بِاياتِنا كِذّاباً﴾** (٢)

و : **﴿إنَّ لِلْمُتَّقينَ مَفازاً، حَدائِقَ وَاَعْناباً، وَكَواعِبَ اَتْراباً، وَكَاساً دِهاقاً، لايَسْمَعُونَ فيها لَغْواً وَلا كِذّاباً، جَزاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً﴾** (٣) فهذه الآيات ونظائرها كماترى تُنادي باعلىٰ صَوتها علىٰ المُدّعىٰ وانّ الحقّ والباطل وطريقها لا خفاء فيهما وعليه فالمراد بالجَلية النّصُوص الجَلية في الكتاب والسنّة:

١- النبّاء ـ ١٧ - ١٨
٢- النبّاء ـ ٢٨=٢١
٣- النبّاء ـ ٣٦=٣١

الغاية والمقصود انّ الغَرَض الأصلي من تَبيين الأحكام هو مُتابعة المَحابّ ومُخالفة المَكاره وما ذكره ﷺ دليل على اتمام الحُجّة واكمال النِعمة، لقوله تعالى: ﴿اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ (١)

▫ قوله ﷺ: **فَإِنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ (إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ...**

وهذا الحديث مشهور بين العامّة والخاصّة والوَجه فيه هو انّ الجنّة لا يمكن الوصول اليها الّا بالطّاعة باتيان الواجبات وتَرك المُحرّمات وهذا ممّا لا كلام فيه ولا شّك انّ الواجبات من الصّلٰوة والصّوم والحجّ والزّكٰوة وغيرها على خلاف الغَريزة الحيَوانية والأميال النّفسانية لكونها من المَشّاق ومع ذلك تُوجب المَحدُودية والتّقييد فانّ الغَريزة لا تُساعد الإمساك عن الأكل والشّرب وغيرهما مِمّا يُشترط في الصّوم وهكذا اخراج القَدر المعيّن من المال في الزّكٰوة والخُمس وايقاع النّفس في الخطر في الجهاد واذا كان كذلك فالإتيان بها على سبيل الكُره لا محالة.

وامّا المُحرّمات من الزّنا والرّبا وشرب الخمر والظّلم وامثالها فهي على طبق الغَريزة الحَيّوانية والأميال النّفسانية الشّهوية فانّ النّفس لأمارةٌ بالسّوء واذا كان كذلك فتركها والإعراض عنها مُخالف لِلنّفس الأمّارة فهو ايضا لايحصل الّا على كُرهٍ فينتج انّ الإتّيان بالواجبات والإعراض عن المُحرّمات كلاهما من المكاره بالنِسبة الى النّفس والمفروض انّ دخول الجَنّة مُتفرع عليهما فثبت انّ الجَنّة حُفّت بالمَكاره النّفسانية وهو المطلوب.

وامّا انّ النّار حُفّت بالشّهوات، فهو ايضا معلوم اذ النّار والدخُول فيها تتّرتب على ارتكاب المُحرّمات والمُحرّمات كما ذكرناه تُطابق الشّهوات فثبت انّ النّار حُفّت بها وهو المطلوب.

١- المائدة ـ ٣

الدَّرجات فلا يَغتَّر بها ابدا.

▫ قوله عليه السلام: **فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَالْمَاضِينَ اَمَامَكُمْ قَوَّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ وَطَوَوْهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ...**

امَرَهم عليه السلام بان يكونوا كالسَّابقين والماضِين وفَسَّر الخُوئي الكلام بما هذا لفظه:

فكُونوا كالسَّابقين قبلكم، الىٰ الجنَّة، والماضِين امامكم، من المؤمنين الزّاهدين في الدّنيا والرّاغبين في الآخرة انتهىٰ.

والّذي عندي في المقام هو انّ المُراد بالسّابقين هُم الّذين سَبقوهم بالإيمان فِي زمن النّبي صلى الله عليه وآله امثال سلمان وابي ذَر والمُقداد وغيرهم وبالماضين من كان في زمانهم وعصرهم ثُمَّ مات والدّليل علىٰ ما ذكرناه انَّه عليه السلام قَيَّد السّابقين بكونهم قبلهم والماضين بكونهم امامهم ومعلومٌ انَّ القبل غير الأمام ولو كان المُراد من الجُملتين ما ذكره رحمه الله فلا فرق بينهما من حيث المعنىٰ ويَلزم انْ تكون الثّانية مُفسّرة ومُوضحة لِلأُولىٰ كما هو ظاهر وامّا علىٰ ما ذكرناه فالفرق واضح:

وامّا قوله عليه السلام: **قَوّضوا من الدّنيا** الخ فهو ثابتٌ للطّائفتين والتّقويض والتّقطيع والمعنىٰ انّهم قَطَعُوا علائقهم من الدُّنيا كما يَقطَع الرّاحل المُسافر اذا اراد الرّحيل من مكانه علاقته منه وطَوَوَها اي طَوّوا الدُّنيا كَطَيِّ المَنازل لِلمُسافر الّذي يَمُرّ عليها وهو كذلك فانَّ المؤمن العارف بالدّنيا وعُيُوبها لا يَعتمد عليها اصلاً لِعلِمه بفنائها وزوالها:

▫ قوله عليه السلام: **وَاعْلَمُوا اَنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ...**

وَصَفَ عليه السلام القرآن باوصافٍ ثلاثة:

احدها: انه **النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ** في نصيحته اعني في مواعظه ونواهيه فكلّ ما هو ناطق به لا رَيب في صِحّته ولا شَك في صِدقه فمن اقتدىٰ به في

ويَستضئ بنوره وان لم يكن كذلك بان كان مُنافقا سيّئ السَّريرَة خَبيث النَّفس مُتَّصفا بالأخلاق الرّذيلة والأوصاف السَّيئة القَبيحة فهو لا يَستفيد منه الاّ النُّقص من زيادةٍ في نفاقه والحاده ولازم ذلك نُقصان دينه ويظهر من كلامه عليه السلام انّ القرآن لا يهدي الاّ من يُهتدي به ويَستَعد بقبول هدايته وهو كذلك بدليل الآيات: قال تعالى:﴿ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[١] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[٢] وانت ترىٰ انّ اللّه تعالىٰ خَصَّ هداية القرآن بالمُتّقين في الآية الأُولىٰ وبالّتي هي اقوم في الثّانية والآيات بهذه المضامين كثيرة وهو ادَلّ دليل علىٰ المُدّعىٰ واصرَح منهما في الباب قوله تعالىٰ:﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[٣] فهو شفاءٌ ورَحمَةٌ لِلمُؤمنين وَوبالٌ وخسرانٌ لِلظّالمين:

وقال تعالىٰ:﴿وَيَزِيدُ اللّٰهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾[٤]

و: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾[٥]

و: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾[٦]

و: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾[٧]

وقال في السّعداء﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[٨] والآيات كثيرة وقد نقلوا انّ الوليد لَعَنه اللّه تَفالَ بالقرآن فلَما فَتَحه راىٰ هذه الآية ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[٩] رمىٰ به وخرّقه بالنّبال وقال مُخاطبا ايّاه:

اتُوعدني بجبّارٍ عنيدٍ — فها انا ذاك جبّارٌ عنيدُ
اذا ما جئتَ ربّك يوم حَشرٍ — فقل يارَبِّ خرقني الوَليدُ

وهذا اعني الوليد كان ممّن جالس القرآن وقام عنه بنُقصان من عمىٰ ونظائره كثيرة:

١- البقرة ـ ٢
٢- الاسراء ـ ٩
٣- الاسراء ـ ٨٢
٤- مريم ـ ٧٦
٥- المائدة ـ ٦٤ و٦٨
٦- الاسراء ـ ٤١
٧- الاسراء ـ ٦٠
٨- الأسراء ـ ١٠٩
٩- ابرهيم ـ ١٥

□ قوله ﷺ: فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَالْغَيُّ وَالضَّلَالُ...

اي في القرآن شفاء من هذه الأمور وفي راسها الكُفر والباقي من فرُوعه ولا شكّ انّ مَرَض الكُفر لا يَشفي الّا بالايمان باللّه وبرسُوله وترجمان الإيمان بهما هو الإيمان بالكتاب واتباعه وبعبارةٍ اخرىٰ الكافر مَريض واللّه تعالىٰ هو الطّبيب والمَريض لابدّ له من المَراجعة الىٰ الطّبيب ليحصل له الشّفاء من مَرَضه ونسخة الطّبيب في المقام هي القرآن ومن المعلوم انّ النّسخة لا تَفيد اذا لم يَعمَل المَريض بما فيها وعليه فمن اراد اصلاح دينه ودُنياه فلا بدّ له من العَمَل بالقرآن وهو المطلوب:

□ قوله ﷺ: فَاسْئَلُوا اللّٰهَ بِهِ وَتَوَجَّهُوا اِلَيْهِ بِحُبِّهِ وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ اِنَّهُ مَاتَوَجَّهَ الْعِبَادُ اَلىٰ اللّٰهِ بِمِثْلِهِ...

اي فاسئلوا اللّه تعالىٰ بالقرآن وتَوَجّهوا الىٰ اللّه بحُبّه اي بحُبّكم القرآن ولا تَسالوا به اي بالقرآن خلقه اي لا تجعلوا القرآن وسيلة للوصول الىٰ مافي ايدي الخلق من حطام الدّنيوية ثمّ اكدّ ﷺ كلامه بقوله انّه ماتَوَجّه الخ اي ليس لتّوجه العباد اليه تعالىٰ بمثل القرآن فانّ لِلقرآن عند اللّه كرامة ليست لغيره كيف وهو كلامه الّذي لايَمَسّه الّا المُطهرون ولايَستضيُ به الّا المُتقّون فهو الشّافع المُشّفع والهادي الىٰ سبيل الرّشاد والنّاجي من العذاب.

□ قوله ﷺ: وَاعْلَمُوا اَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ وَاَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقِيَامَةِ يَوْمَ شُفِّعَ فِيهِ...

فالقرآن شافع يوم القيامة لقُرّائِه والعاملين به والحاملين له ومُشّفع اي تقبل شفاعته فيهم وفيه اشارة الىٰ انّه ليس كلّ شافع يوم القيامة بِمُشفع تقبل شفاعته فمن الشّافعين ما لا يقبل شفاعته ومنهم مايُقبل كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾(١)

وعليه فالشّافع يوم القيامة قِسمان قسمٌ تقبل شفاعته وقسم لا تُقبل والقرآن

١- المدّثر- ٤٨

الشّراح في المقام في فَهم المراد وانّه كيف يكون ذلك، وما الفَرق بين المَوردين اذ لو فرضنا وجود الإخلاص فيهما اي في حَرث القرآن وحرث غيره فكلاهما مُبتلي وان وُجد فكلاهما غير مُبتلي وبعبارةٍ اخرىٰ المَلاك في الإبتلاء وعَدمه هو الخُلوص في العَمَل وعَدَمه سواء كان في حرث القرآن ام في حَرث غيره:

فذهب البحراني ﷺ الىٰ ما حاصله انّ الإبتلاء هيهنا ما يَلحَق النّفس علىٰ الأعمال وعَواقبها من العذاب.

بقدر الخروج فيها عن طاعة اللّه وامّا حَرث القرآن فحيث انّه لغاية الإستكمال به فهو بريٌّ من لواحق العقُوبات انتهىٰ واوَرد عليه الخُوئي بما حاصله انّ الخُروج عن طاعة اللّه يوجب العذاب والإبتلاء بالنِّسبة الىٰ عامله سواء كان ذلك العَمَل مُتَعلقا بالقرآن ام بغيره كما انّ كلّ عَملٍ اريد به وَجه اللّه فعامله ماجُور ومُثاب من غير فرقٍ فيه ايضا بين المَوردين فالفرق غير واضح:

ثُمّ قال الخُوئي في حلّ الإشكال انّ الحارث للدّنيا فهو مُبتلى اي مُمتَحنٌ في حَرثه لأنّه كان من حلالٍ ففيه حساب وان كان من حرامٍ ففيه عقاب وامّا حارث القرآن فلا ابتلاء له لأنّ حَرثه عليه انّما هو لِلآخرة قال تعالىٰ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾[1] فتامل انتهىٰ ماذكره.

وانا اقول: ما ذكره ﷺ في حلّ الإشكال وتفسير الكلام قد زاد علىٰ الإشكال وذلك لأنّ حَرث القرآن ليس في جَميع الموارد وبالنّسبة الىٰ كلّ شخصٍ لِلآخرة حتّىٰ يقال لا ابتلاء له نعم في بعض الموارد كذلك فيَرجع الإشكال الىٰ ماكان بل ازيد منه ولَعلّه لذلك اشار ﷺ في آخر كلامه بالتّامل وقال فتّامل لعَدم اعتماده علىٰ صحّة ماقال في حلّ الإشكال وتفسير الكلام.

والّذي ظَهر لي في المقام هو انّ المراد بالإبتلاء الإبتلاء في الدّنيا لا في الآخرة والدّليل عليه قوله ﷺ: **(مُبتلىٰ في حَرثه وعاقبة عَمَله)** ومعلوم انّ عاقبة

١- الشورى - ٢٠

اهتدئ به ولا يَضلّه ولا يُخزيه ابدا وذلك لأنّه نُور والنُّور ظاهرٌ بالذّات ومُظهِرٌ للغير:

وثانيها: واستَدلُوه علىٰ ربّكم، اي اجعلوه دليلاً وهاديا وقائدا اليه تعالىٰ لإشتماله علىٰ جميع الكمالات هكذا قالوا في شرح العبارة ولقائلٍ ان يقول لو كان الأمر كما ذكرتموه فحقّ العبارة ان يقال، الىٰ ربّكم بدل قوله ﷺ: **(علىٰ ربّكم)** كما هو غير خفيٍ علىٰ من له آنسٌ بعلم الأدب:

والّذي يقوي في نفسي في معنى الكلام هو انّ الإستدلال طلب الدّليل والمعنىٰ اطلبوا الدّليل علىٰ وجود ربّكم وصِفاته من القرآن لا من عِند انفسكم وذلك لأنّ اسماء اللّه وصفاته توقيضة والقرآن كلامه فكلّ مافيه حقّ لامرّية فيه:

وثالثها: واستنصحُوه علىٰ انفَسكم، اي اجعلوه ناصِحا لكم فانّه النّاصح الّذي لايغشّ في نصيحته.

ورابعها: واتّهمُوا عليه ارائكم، اي لاتَعتمدُوا علىٰ ارائكم فيه بل اجعلوا ارائكم في القرآن مَظنُونة مُتّهمة اذ القرآن لا يُفسر بعقُول النّاس وارائهم ومن فسّر القران برايه فَليَتَبَّوء مَقعده من النّار.

وخامسها: قوله واستغشُوا فيه اهوائكم، اي احكموا بانّ اهوائكم فيه مغشوشة مدخولة فلا تدخلوها في القرآن وانّما قال ﷺ في الأراء اتّهمُوا وفي المقام استغشُوا، لأنّ الهَوىٰ لا يكون الاّ مَغشُوشا والرّاي قد يكون مَغشُوشا وقد لا يكون وقيل بعَدم الفرق بينهما والمقصود اجعلوا ارائكم واهوائكم كذلك مُراعاة لِلإحتياط فانّ كلام الخالق لا يَنطبق علىٰ الأراء والأهواء غالبا.

▫ قوله ﷺ: **اَلْعَمَلَ اَلْعَمَلَ ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ وَالِاسْتِقَامَةَ الِاسْتِقَامَةَ ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ وَالْوَرَعَ الْوَرَعَ...**

امَرهم بالعَمل فانّه الأصل في تَحصيل الكمال في الدّارين كيف وهو بالنّسبة الىٰ العلم كالثّمرة الىٰ البَذر فكلّ علمٍ للعَمَل وما لا عَمَل فيه لا نَفع فيه

لكان كلّ عاملٍ راعيا لها حافظا عليها وليس كذلك فانّ كثيرا من العاملين لا ينتهي اعمالهم بحُسن العاقبة او لا يكون العَمل منهم لِلّه تعالىٰ بل يَخلطُون اعمالهم بالرّياء والعُجب وامثالهما من الآفات وحاصل الكلام الحَثّ علىٰ العَمل ثُمّ حِفظه عن الخطر الىٰ آخر عُمره.

وقوله ﷺ: **الإستقامة الإستقامة** معناه الثّبات علىٰ العَمل وعدم الإضطراب فيه فانّ الإستقامة علىٰ العَمل يُوجب لعامله الوصُول الىٰ مقصده والبلُوغ الىٰ غايته كما انّ عَدم الإستقامة يُوجب، عدم اخذ النّتيجة منه والىٰ هذا اشير في الكتاب بقوله تعالىٰ: **﴿إنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾**(١)

و: **﴿وَأَنْ لَوِاسْتَقَامُوا عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾**(٢)

و: **﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾**(٣)

و: **﴿أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾**(٤)

وقد ثَبت بالتّجربة ايضا انّ العَمل اذا لم تكن فيه استقامة لا يَنتج اصلاً.

وقوله ﷺ: **ثُمّ الصَّبر الصَّبر**، معناه الصَّبر علىٰ مَشاق الأعمال سواء كان علىٰ الطّاعة ام كان علىٰ المَعصَية والمُصيبة ولاشكّ انّ العامل في عَمله اذا لم يَصبر عليه يَصير عمله هَباءً مَنثُورا ولذلك مَدح اللّه تعالىٰ الصّابرين في كتابه حيث قال: **﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَىٰ الدَّارِ﴾**(٥)

و: **﴿ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾**(٦)

و: **﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾**(٧)

و: **﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾**(٨)

و: **﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾**(٩)

١- فصّلت ـ ٣٠
٢- الجن ـ ١٦
٣- هود ـ ١١٢
٤- فصّلت ـ ٦
٥- الرّعد ـ ٢٤
٦- النّحل ـ ١٢٦
٧- هود ـ ١١
٨- النّحل ـ ٤٢
٩- المؤمنون ـ ١١١

الفصل هو الّذي يُمّيزه عن مُشاركاته وينزعه عن حَيوانيته ويُدخله في حزب الملائكة المُقَربين الّذين لا يَعصُون اللّه وهم بامره يَعملُون فاذا قلنا في تعريف الإنسان انّه حيوان ناطق، نفهم فيه انّه مَعجُون مُركّب من هذين الأصلين اعني الجنس والفصل وقد ثبت انّ الجنس اعني مادّة من عالَم المَادة والفصل اعني نفسه النّاطقة المعبّر عنها بالرّوح ايضا من عالَم المَلكُوت كما قال تعالىٰ:﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾(١)

فاذا غلبت المَادة عليه يصير من الحَيوانات واذا غَلَبت الرّوح يصير اعلىٰ من الملائكة وقد جَعَل اللّه تعالىٰ فيه الإختيار فيختار ايّهما شاء، السّقُوط، او الصّعُود.

وحيث انّ السّقُوط من الإنسانية الىٰ الحَيَوانية لا يختاره العاقل البَصير فلا جَرم يريد الصّعُود الىٰ المَراتب العالية التّي تَليق به وهذا ظاهر:

ثُمّ انّ هذه المَراتب التّي توجب امتياز الإنسان عن الحيوان لايخلو حالها امّا ان تكون من سنخ المادّيات كالأكل والشّرب والنّوم والشّهوة وغيرها بمعنىٰ انّ كلّ من كان له حَظٌ اوَفر منها فهو اكمَل من غيره واعلىٰ مَرتبةً منه وكلّ من كان حَظّه اقل فهو اخسّ مَرتبةً من غيره ومن المعلوم انّ هذا لايصّح في مذهب العَقل والّا يلزم ان يكون البَقر اكمل وافضل من الإنسان لأنّه ياكل ويَشرب اكثر من الإنسان وهكذا سائر الحَيوانات التّي نومها وشَهوتها اكثر من الإنسان ولا يقول بهذه المقالة مَن له عقل سَليم فظَهر انّ الإمتياز ليس بالمَاديات:

وامّا- ان تكون المَراتب من سنخ المَعنويّات كالعلم والعدالة والشّجاعة والتّقوىٰ وغيرها من المَلكات الفاضلة والصّفات المُستحسنة ولا ثالث لهما فاذا انتفىٰ الأوّل بقي الثّاني وهو المطلُوب:

ثُمّ انّ البلُوغ اليها لا يمكن لكلّ واحدٍ من النّاس لصعُوبتها وتَعذّر الوصول اليها الّا لبعض المُتعبدين وليس هذا اي عدم استعداد الكلّ لبُخلٍ من المُوجد

١- الحجر- ٢٩

تَحمّل الفاعل بعض المَشّاق الّذي لا نَفع فيه والحاصل انّ الأثار المُتّرتبة علىٰ الفعل تتّرتب علىٰ الفعل الكامل الواجد للشّرائط ومن المعلوم انّ كمال كلّ شئ في انتهاءه الىٰ آخرِ مَراتبه ولهذا قال ﷺ ثُمّ النّهاية النّهاية، مُشعرا بانّ العَمل اذاً لَم ينتهي الىٰ تَمامه وكَماله لا خَير فيه.

ورابعها: الإستقامة في العَمل اذ كلّ عملٍ من الأعمال مَحفُوفٌ بالموانع والمَشّاق ولا شَك في انّ رفع المَوانع او دَفعها صَعبٌ علىٰ العامل فلولا استقامته فيه لا يُمكن له الوصُول الىٰ المطلوب وكلّما كان المطلوب اعظم كان الوصُول اليه اصعَب ولهذا قال ﷺ افضل الأعمال احسَنها فالعَمَل من غير استقامة لا يَنتهي الىٰ المطلوب ولا سيّما الأعمال الدّينية الّتي لا تُوافق النّفس الأمّارة ولأجل هذا قال تعالىٰ مُخاطبا لنَبيّه: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ (١)

و: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ (٢)

و: ﴿أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ (٣)

و: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾ (٤)

وخامسها: الصّبر علىٰ المكاره والمَشّاق والحلال والحرام فانّه مفتاح الفَرَج وقد وردَت الآيات والأخبار في مَدحه في فوق حدّ الإحصاء ولا نحتاج الىٰ ذكرها:

وسادسها: الوَرَع وهو كون العَمَل خالصا لِوجهه الكريم فكلّ عملٍ من الأعمال الدّينية لا وَرَع فيه لا خَير فيه لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٥)

والّذي حَصَل لنا في المقام انّ المُكلّف ينبغي ان يعلَم اوّلاً ويَعمل ثانيا، ويَنتهي عمَلَه الىٰ آخرِه ثالثا، ويَستقيم عليه رابعا، ويَصبر عليه خامسا، ويَتورع فيه سادسا، فاذا كان كذلك فقد تَمّ عمَلَه وكان امره علىٰ الله وهو داخل في الصّالحين:

١- هود - ١١٢
٢- فصّلت - ٣٠
٣- فصّلت - ٦
٤- يونس - ٨٩
٥- مائده - ٢٧

كيف وقد قال في كتابه وان تعدّوا نعمة اللّه لا تحصوها فالإتيان بكلمة (من) لِلإشعار بانّ اللّه تعالىٰ قد افترض عليكم بعض الحقُوق لا كلّها اذ لايُكلّف اللّه نفسا الّا وسعُها:

قوله ﷺ: اَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ وَحَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ...

قالوا اي انّكم اذا خَرجتُم الىٰ اللّه من حقُوقه ووظائفه فانا اشهد لكم يوم القيامة بخروجكم منها ومُقيمٌ للحجّة عن جانبكم بانّكم اقمتم بها هذا ماذكروه في شرح العبارة:

اقول: الشّهود الحضُور يقال شَهد المجلس شُهودا، اذا حَضره، شَهد الشّيء عاينه.

والحَجيج بالحاء المُهملة المَفتوحة والجيم المكسور بعده علىٰ وزن الفعيل، المغالب باظهار الحُجّة وعليه فالمعنىٰ انا شاهد لكم اي حاضر وناظر في اعمالكم ومُغالبٌ باظهار الحُجّة عنكم يوم القيامة وذلك لأنّ اللّه تعالىٰ جَعَل الرّسُول والإمام بعده حُجّة علىٰ الخلق وبعبارةٍ اخرىٰ بوجود الإمام بعد النّبي قد تَمت الحُجّة علىٰ النّاس يوم القيامة فلا يمكن لهم القول بالمَعذُوريّة اصلاً فكانّه قال ﷺ – لاعذر لكم غدا وانا شاهد حاضر لكم وحُجّةٌ من اللّه تعالىٰ عليكم:

▫ **قوله ﷺ: اَلَا وَاِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قد وَقَعَ وَالْقَضَاءَ الْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ...**

قال الخُوئي ﷺ والظّاهر انّ المراد بهما المقضي والمقّدر كما استظهرنا هذا المعنىٰ فيهما فيما تقدم فيكون المعنىٰ انّ المُقدر السّابق في علم اللّه تعالىٰ وقوعه قد وقع والمقّضي الماضي اي المَحتُوم النّافذ قد تَوّرد اي دخل في الوجود شيئا فشيئا انتهىٰ.

وانا اقول: القضاء عبارة عن وجُود الصُّور العقّلية لجميع الوجودات بابداع الباريْ ايّاها في العالم العقلي علىٰ الوجه الكلّي بلا زمانٍ.

والقَدَر عبارة عن ثبُوت صُور جميع الوجودات في العالم النّفس علىٰ

نفسه النّاطقة كتاب اللّوح المَحفُوظ ومن حيث روحه النّفسانية التّي في فَلك دماغه كتاب المَحو والإثبات فهي اعني الكُتب المذكورة هي الصّحف المكرّمة المرفوعة المُطّهرة التّي لايَمَسها ولا يدرك اسرارها ومعانيها الّا المُطهّرون من الحُجب الظّلمانية فافهمْه ان كنت من اهله فانّه دقيق لا يَعرفه الاّ من خرج عن ربقة التّقليد وذاق من كاس المعرفة والتّحقيق.

اذا عرفت معنىٰ القضاء والقَدر فلنَرجع الىٰ شرح كلامه عليه السلام ونقول:

غرضه عليه السلام والله العالم،انّ الحوادث الواقعة بعد الرّسول من غصب الخلافة واعراض اكثر النّاس عن الكتاب والعترة وحَرب الجَمَل والصّفين والخوارج وامثالها من الوقائِع لم يكن وجودها علىٰ سبيل الإتّفاق بل كانت بقضاء من الله وبقَدَره فما قَدّره قد وقع في الخارج وماقضاه قد مضىٰ وتوّرد وبعبارةٍ اخرىٰ ماقَدَّره لنا وقع علىٰ المُقدَّر وماقضاه وَرَد علىٰ المقضّي ان قلت لو كان الأمر كذلك اي بقضاء من الله وبقَدره فما ذنب النّاس فيه ومن المعلوم انّ لامَرَّد لقضاءه ولا لقَدَره.

قلت ـ ليس العلم الأزلي علّة تامّة لوقوع الشّيْ في الخارج عصيانا كان او طاعةً بل العلّة في تَحَقّق الطّاعة والعصيان هي شخص المُطيع والعاصي باختياره وارادته وانّما العلم كاشف عن المعلوم والكاشف لايكون علّة له فكونه تعالىٰ عالم بالأشياء معناه ظهورها عنده وانّه لايخفىٰ عليه شيْ لا في الأرض ولا في السّماء لا انّ علمه علّة لحدوث الأشياء.

ان قلت – الكلام في القضاء والقَدَر لا في العلم ولا يَلزم من عدم كون العلِم علّة عدم كونهما ايضا كذلك وقد ثبت انّ الوقائع والحوادث بالقَضاء والقَدَر.

قلت – هما ايضا من شُئُون العلم بل عَينه فانّ العلم الإلٰهي له مراتب من حيث تعلّقه بالأشياء وهي الغاية، والقضاء والقَدر والقلم واللّوح ودفتر الوجود.

ثُمّ انّ العناية علىٰ مذهب المُعلّم الثّاني والشّيخ الرّئيس ومن تابعهما من

اقول: قوله ﷺ اي دخل في الوجود شيئا فشيئا، قد استنبطه من قوله عليه السلام: قد تورّد، وانت تعلم انّ التّورّد لا يدلّ على الدّخول التّدريجي لا عقلاً ولا لغةً فلا فرق بين التّورّد والوقوع من هذه الجهة والوجود التّدريجي من لوازم عالم الأسباب ولا ربط له بالألفاظ هذا اوّلاً وثانيا نقول ايّ دليلٍ دلّ على انّ المُراد بوقوع القَدَر هنا خلافته وما يلزمها اعني الوقع الخاصّ بل المُراد جميع الحوادث الواقعة بعد النّبي ﷺ من غصب الخلافة وافتراق الأُمّة وتحقّق البِدع والظّلم على اهل البَيت وامثال ذلك من الأُمور الفظيعة الشّنيعة:

والّذي حَصَل لنا في المقام في حلّ الإشكال هو انّ القَضاء مُقدّمٌ على القَدَر في مراتب علمه تعالى وذلك لِما بيّناه من انّ القَضاء عبارة عن وجود الصُّور العقَلية في العالم العقلي على الوجه الكلّي بلا زمان، والقَدَر عبارة عن ثبُوتها في عالم النّفس على الوجه الجزئي مطابقةً لِما في موادّها الخارجية في اوقاتها المُعينة وعليه فعالم القَضاء مُقَدّمٌ على عالَم القَدَر امّا لكونه عقلّيا والقَدَر خارَجيا وعالم العقُول مُقَدم على عالم النّفُوس الجُزئية الخارجيَة، او لكون القضاء مقام الإجمال والقَدَر مقام التّفصيل والإجمال مُقَدّمٌ على التّفصيل فلأجل ذلك عبّر عليه السلام في القَدَر بالوقُوع وفي القضاء بالتّورّد ضرُورة انّ الوقُوع يُناسب الخارج والورُود يُناسب عالم العقل الا ترىٰ انّه يقال – الوقائع الخارَجية كذا والواردات القلبّية كذا، ولا يقال الواردات الخارَجية والوقائع القلبّية وحيث انّ القَدَر يتحقّق في الخارج قال عليه السلام فيه، قد وقَع، والقَضاء في عالم العقل فقال عليه السلام فيه قد توّرد، ففي الحقيقة فرّق عليه السلام بين القَضاء والقَدَر بالآثار واللّوازم اعني التوّرد والوقُوع:

وامّا تقييد القَدَر بالسّابق والقضاء بالماضي فوَجهه قد ظهر ممّا ذكرناه وهو انّ القَضاء مُقَدّمٌ على القَدر فالسّابق بالنّسبة الى زمان التّكلم هو القَدر والماضي هو القَضاء وبعبارةٍ اخرىٰ الفَرق بين الماضي والسّابق هو انّ الماضي يطلق على مامضىٰ قريبا كان او بعيدا بالنّسبة الى زمان التّكلّم والسّابق لا يُطلق الّا

فهو غير معتقدٍ به واقعا:

▫ قوله ﷺ: **ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطَعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...**

الظّاهر انّ الضّمير في قوله ﷺ: **منها وفيها وعنها**، راجعٌ علىٰ الحُجّة اي لا تَمرقُوا ولا تَخرجُوا عن الحُجّة اعني الكتاب ولا تَبتدعُوا فيها ولا تخالفوا عنها ويمكن ارجاعه الىٰ الطّريقة الصّالحة اي لا تَمرقُوا من الطّريقة الصّالحة الخ والجامع لا تَخرجُوا عن الجادة الوسطىٰ التّي هي الدّين بعَينه ولا تَبتدعُوا فيها وذلك لأنّ اهل المُرُوق لا يَجدُون يوم القيامة الّا الخسران فلا تَنالهم شفاعة الشّافعين ولا تبلغهم رحمة ربّ العالمين.

الفصل الثّاني منها

▫ قوله ﷺ: **ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ الْأَخْلَاقِ وَتَصْرِيفَهَا...**

بعد ما امَرهم في الفصل الأوّل بالإنتفاع ببَيان اللّه والإتّعاظ بمواعظه نهاهم عن امورٍ هي كالموانع لقبُول المَواعظ والنّصائح وذلك لِما قد ثبت انّ مُجّرد وجود المُقتضي لايكفي في التّأثر والإنفعال بل لابدّ فيه من رفع الموانع ايضا.

الا ترى انّ المُقتضي لِلإحراق موجود في النّار ومع ذلك لا تحرق مع وجود الموانع من الحجاب والرّطُوبة وعدم قابليتُه المَحلّ وغيرها وهكذا الإنسان فهو بمقتضىٰ طبعه وفطرته يستعد بقبول الإفاضات الرّبانية والمواعظ الإلٰهية لأنّه مفطورٌ علىٰ المعرفة والتّوحيد كما قرّر في محلّه وانّما تمنعه الموانع عن قبولها من الوسّاوس الشّيطانية والحَسَد والبُخل والظُّلم وغيرها من المعاصي التّي تلّوث النّفس وتمنعها عن قبول الحقائق فمن اراد الإصلاح لنفسه والسّلُوك علىٰ الطّريقة المُستقيمة لابدّ له اوّلاً من رفع الموانع والمُتكفل له هو علم الأخلاق ولأجل هذا يقال التّخلية ثُمّ التّحلية.

وحيث كان الأمر علىٰ هذا المنوال عقب ﷺ كلامه بذكر الموانع ونهاهم عن الإتّصاف بها وقال ثُمّ ايّاكم وتهزيع الأخلاق اي تَفريقها وتصريف

▫ **قوله عليه السلام: وَإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ وَإِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ...**

وهذا هو الفرق بين المُؤمن والمُنافق من حيث التكّلم وقد اوضحه بقوله عليه السلام..

▫ **قوله عليه السلام: لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ فَإِنْ كَانَ خَيْراً أَبْدَاهُ وَإِنْ كَانَ شَراً وَارَاهُ وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ لَا يَدْرِي مَاذَا لَهُ وَمَاذَا عَلَيْهِ...**

والى هذا المعنى نَنظر ماقاله عليه السلام في بعض كلمات قصاره، لسان المؤمن وراء قلبه وقلب المُنافق وراء لسانه، والمقصود انّ المُؤمن لا يَتكلّم بشيءٍ الّا بعد تَعقله وتدّبره ورعاية مَصلحَته ومَفسَدته والمُنافق ليس كذلك والسّر فيه انّ قلب المؤمن ولسانه يَتّحدان فلا يُعقل ان يكون كلامه مُخالفا لقلبه وامّا المُنافق فهما فيه مُختلفان فلا محالة يقول بما ليس في قلبه ثُمّ استّدل عليه السلام بقول الرّسُول وقال:

▫ **قوله عليه السلام: وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهُ صلى الله عليه وآله لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ...**

فرّع صلى الله عليه وآله ايمان العَبد على استقامة قلبه ثُمّ فرّع استقامة قلبه على استقامة لسانه فينتج الإيمان يَتّفرع على استقامة اللّسان كما يقال وجود الأثنين مُتفرعٌ على وجود الواحد ووجود الثّلاثة على الأثنين فوجود الثّلاثة على الواحد.

والوجه فيما ذكره صلى الله عليه وآله هو انّ الإيمان مركزه القلب لأنّه في الحقيقة عبارة عن الإعتقاد الصّحيح بوجود الصّانع وصفاته ورسالة الرّسُول صلى الله عليه وآله وماجاء به من عنده وهذا هو مَفاد الشّهادتين فاذا كان القلب مُضطربا مُتزلزلاً في ايمانه فكيف يتّحقق الإيمان الَيس هو من تَحّقق المعلول بدون العلّة وامّا انّ استقامة القلب يتّفرع على استقامة اللّسان فالوجه فيه اللّسان لو لَم يَستقم اي كان مُخالفا لِلقلب فيما يَعتقده فهو يكشف عن اضطراب القلب في اعتقاده وذلك

وهي لا تتَّحقق الّا بعد استقامة اللّسان وتفرّع احد الأجزاء على الآخر في الخارج لا يُنافي وجود الأجزاء في الواقع بالوجود الإستقلالي الا ترىٰ انّ وجود العرض مُتفرعٌ علىٰ وجود الجوهر خارجا مع انهما ليسا كذلك واقعا بل لكلّ واحدٍ منهما وجود استقلالي فنقول وجود الممكن ينقسم الىٰ وجود الجوهر والىٰ وجود العرض ومانحن فيه ايضا كذلك فالتّفرّع والتّرتّب خارجيّ لا واقعي.

▫ **قوله ﷺ: فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ اَنْ يَلْقَى اللّٰهَ تَعَالَى وَهُوَ نَقِيُّ الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَاَمْوَالِهِمْ سَلِيمِ اللِّسَانِ مِنْ اَعْرَاضِهِمْ فَلْيَفْعَلْ...**

اي من يقدر ان يلقي الله تعالىٰ غدا يوم القيامة وكان بمعزلٍ في الدّنيا عن هذه الآفات فليَفعل اذ فيها هلاك الدّارين وفي تركها رضىٰ الله سبحانه وتعالىٰ وانّما اشار ﷺ اليها مع انّ المعاصي كثيرة كالزّنا وشُرب الخمر واللّواط وامثال ذلك ولا شّك في وجوب الإجتناب عن الكلّ لأنّ ماذكره ﷺ فيه حقُوق النّاس ومالم يذكره ممّا اشرنا اليه فهو من حقُوق الله والأوّل اشدّ واصعَب والثّاني ايسَر واسَهل لكون الإغتفار فيها موقوفا علىٰ رضىٰ النّاس وامّا حقُوق الله فليست كذلك كما وَردت به الرّوايات وحيث انجز الكلام الىٰ البحث في آفات اللّسان ومَضّاره فلا باس بصرف الكلام الىٰ ما لابدّ لنا من ذكره من الآيات والأخبار الواردة في ذَمّ اللّسان اذا خرج عن حدّه ونُصّدر الكلام اوّلاً بذكر بعض ما قاله في الباب بعض ائمة التّحقيق ومصادر التّدقيق فنقول:

قال بعض علماء الأخلاق انّ اللّسان اضَّر الجَوارح بالإنسان واعَظمها اهلاكا له وذلك لأنّ آفاته اكثر من آفات سائر الأعضاء وهي وان كانت من المعاصي الظّاهرة الّا انّها تُؤدّي الىٰ مَساوئ الأخلاق والمَلكات اذ الأخلاق انّما ترسخ في النّفس بتكرير الأعمال والأعمال انّما تصدر من القلب بتوسط الجَوارح وكلّ الجَوارح (وكلّ جارحةٍ) تصلح لأن تصدر منها الأعمال الحَسَنة الجالبة لِلأخلاق الجَميلة وان تصدر منها الأعمال القَبيحة المُورّثة لِلأخلاق السّيئة

وقال ﷺ - مَن وَقىٰ شَر قَبقَبه وذَبذَبه ولَقلَقه فقد وَقىٰ انتهىٰ اقول والقَبقَب البَطن، والذَّبذَب الفرج واللَّقلَق اللّسان)...

وقيل له ﷺ ما النّجاة قال ﷺ املِك عَلَيك لِسانك انتهىٰ).

وقال ﷺ اكبر ما يُدخل النّاس النّار الأجوفان الفَم والفَرج انتهىٰ)....

وقال ﷺ وهل يَكُب النّاس علىٰ مناخِرهم في النّار الّا حَصائد السِنَتهم انتهىٰ...

وقال له ﷺ رجلٌ ما اخوف ما يَخاف علّي فاخَذ بلسانه وقال هذا...

وقال ﷺ - اذا اصبح ابن آدم اصبحت الأعضاء كلّها تكفر اللّسان فتقول اتّق اللّه فينا فانّما نَحنُ بك فان استَقَمت استَقَمنا وان اعوجَجَت اعوَججَنا):

(وقال ﷺ انّ اللّه عند لسان كلّ قائل فليَتّق اللّه امرءٌ علىٰ ما يقول انتهىٰ «جامع السعادات ج ٢ - ص ٣٢٦»)...

وعن ابي جعفر عليه السلام قال كان ابو ذر يقول في خطبته يامُبتغي العلم انّ هذا اللّسان مفتاح خيرٍ ومفتاح شَرٍ فَاختم علىٰ لسانك كما تَختم علىٰ ذَهَبك ووَرقك انتهىٰ...

(وعن ابي عبد اللّه عليه السلام عن امير المؤمنين عليه السلام قال قال رسُول اللّه ﷺ ان كان في شيٍ شؤم ففي اللّسان انتهىٰ...

(وعن الرِّضا عليه السلام قال - انّ الصّمت باب من ابواب الحكمة يكسب المَحبّة وانّه دليل علىٰ كلّ خيرٍ انتهىٰ...

(وعن ابي عبد اللّه عليه السلام قال من عَرَف اللّه كَلَّ لسانه انتهى «مشكاة الانوار ص ١٧٥»)...

ولنعم ما قيل فيه:

احِفظ لسانك ايّها الإنسان	لايَلدَغنّك انّه ثُعبانُ
كم في المَقابر من قَتيل لسانه	كانت تُهاب لقائه الشُّجعان
لعَمرُك انّ الحِلم زينٌ لأهله	وما الحِلم الّا عادةُ وتَحلُم

كتابه: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (١) وقد تكلّمنا فيما سلف في البَدعة وذمّها وعدم جواز الأخذ بها بما لا مزيد عليه:

▫ قوله عليه السلام: **فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَضُرِبَتِ الْأَمْثَالُ لَكُمْ...**

يقال جَرّب الأمر اذا اختَبَره وامتَحنه ومَصدره التّجريب كالتّصريف كما يقال ضرسه الزّمان اي عَضّه واشتدّ عليه وضَرّسته الحُروب اي جَرّبته.

والمعنى انّكم جَرّبتم وضَرّستم الأُمور اي اختَبرتمُوها فلا تحتاجون الى التّجربة ثانيا فانّ من جَرّب المُجَرب حلّت به النّدامة:

وقوله عليه السلام: **وَوُعِظتم** الخ معناه انّ السّابقين عليكم قد ماتوا وانتم ايضا تَمُوتُون فتَزودُوا من دنياكم لآخرتكم فقوله عليه السلام: **وَوُعِظتم** بضّم الواو وكسر العين على المَجهول، وقوله ضُرِبت ايضا مَجهول اي ضُربت الأمثال لكم من اللّه في كتابه ان كنتم تَعقلُون وحاصل الكلمات هو انّ التَّجربة والمَوعظة قولاً وعملاً وضَرب الأمثال تَكفيكُم في العبرة والتّنبيه من نوم الغفلة.

▫ قوله عليه السلام: **وَدُعِيتُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْوَاضِحِ فَلَا يَصَمُّ عَنْ ذٰلِكَ إِلَّا أَصَمُّ وَلَا يَعْمَى عَنْ ذٰلِكَ إِلَّا أَعْمَى...**

قوله عليه السلام: **دُعيتم**، ايضا مَجهول اي دُعيتم من اللّه ورسُوله الى الأمر الواضح وهو الدّين الّذي لا خفاء فيه فلا يُصَم عن ذلك الأمر الواضح الّا اصَمّ القلب ولا يَعمى عنه الّا اعمى القَلب وفيه اشارة الى قوله تعالى حيث قال: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٢)

و: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ (٣)

و: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٤)

▫ قوله عليه السلام: **وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ اللّٰهُ بِالْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ...**

١- حشر- ٧
٢- البقرة- ١٧١
٣- الانعام- ٣١
٤- الزخرف- ٤٠

والمقصود انّ من النّاس مَن يَتّبع الدّين ومنهم من يَتّبع البِدعة التّي ليست من الدّين من غير ان يكون له برهان ودليل في الكتاب والسّنّة وحُجّة في الشّريعة بل هو يَتّبع هَواه:

□ قوله ﷺ: **وَاِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ اَحداً بِمِثْلِ هٰذا الْقُرْآنِ فَاِنَّهُ (حَبْلُ اللّهِ الْمَتِينُ) وَسَبَبُهُ الأَمِينُ...**

امّا انّه تعالىٰ لم يَعِظ احدا بمثل هذا القرآن فلأنّ القرآن كلامه وايّةُ مَوعظةٍ احسَن من كلامه وقد نصّ اللّه تعالىٰ علىٰ كونه في كثير من الآيات من باب المَوعظة:قال تعالىٰ:﴿**قُلْ اِنَّمَا اَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ اَنْ تَقُومُوا لِلّهِ مَثْنىٰ وَفُرَادىٰ**﴾(١)

و : ﴿**اِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ اِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً**﴾(٢)

و : ﴿**يَعِظُكُمُ اللّهُ اَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ اَبَداً اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾(٣)

و : ﴿**فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ**﴾(٤)

و : ﴿**هٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ**﴾(٥) وغيرها من الآيات.

ويمكن ان يقال انّ المُراد انّ نَفس القرآن موعظة لا انّ فيه مَوعظة او مَواعظ والفرق بين القولين هو انّ القول الأوّل يُفيدنا انّ اللّه تعالىٰ لَم يَعِظ احدا كما وَعَظه في القرآن بحسب الآيات الواردة فيه كما مَرَّ وامّا علىٰ الثّاني فالمقصود انّ القرآن بما هو كتاب اللّه وكلامه مَوعظة من اوّله الىٰ آخره وذلك لأنّ المَوعظة عبارة عن كلامٍ يُؤثر في القَلب ويَستعده لقبول الإفاضات والحقّ انّ القرآن بتَمامه كذلك ويؤيد هذا الأعمال انّ قوله ﷺ: **بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ** يدّل علىٰ كونه في نفسه مَوعظة فلو كان المُراد انّ فيه مَوعظة لينبغي ان يقال بمثل مافي هذا القرآن فافهم:

وامّا كون القرآن حبل المَتين وسَبَبه الأمين فلا خَفاء فيه وقد مَرَّ الكلام فيه سابقا وفيه اشارة الىٰ انّ القرآن هو الّذي يُتَمَسك به في طريق المَعرفة وَوَصفه

١- سبا- ٤٦
٢- النساء- ٥٨
٣- النور- ١٧
٤- البقرة- ٢٧٥
٥- آل عمران ١٣٨

الأخبار الواردة في فضل القرآن

روي الفَيض ﵀ في مُقدمة الصّافي عن الكليني باسناده والعياشي في تفسيره عن الصّادق ﵇ عن آبائه ﵈ قال رسُول اللّه ﷺ ايّها النّاس انكم في دار هُدنة وانتم على ظَهر سَفَر والسَّير بكم سَريع وقد رايتُم اللّيل والنّهار والشّمس والقَمر يُبليان كلّ جديد ويُقرّبان كلّ بَعيد وياتيان بكلّ موعُود فاعِدّوا الجهاد لبُعد المجاز قال ﵇ فقام المقداد بن الأسود فقال يارسُول اللّه وما دار الهُدنة فقال دار بلاغٍ وانقطاعٍ فاذا التَبَسَت عَليكُم الفِتَن كقِطَع اللّيل المُظلَم فعَليكم بالقرآن فانّه شافِعٌ مُشَفّعٌ وما حلٌ مُصَدَق ومَن جعله خَلفه ساقه الىٰ النّار وهو الدّليل يدّل علىٰ خير سبيلٍ وهو كتاب فيه تفصيلٌ وبيانٌ وتحصيلٌ وهو الفَصل لَيس بالهَزل ولَه ظَهرٌ وبَطنٌ فظاهره حُكم وباطنه عِلم ظاهره انيق وباطنه عَميق وله تُخُوم وعلىٰ تُخُومه تُخُوم لا تُحصىٰ عجائبه ولا تُبلىٰ غرائبه فيه مصابيح الهُدىٰ ومنار الحِكمة ودليل علىٰ المَعرفة لِمَن عَرف الصّفة وزاد في الكافي فليجل جالٍ بَصره وليَبلغ الصّفة نظره يُنج مَن عطب ويُخلَص من نَشب فانّ التّفكر حياة قلب البَصير كما يَمشي المُستنير في الظّلمات بالنّور فعليكم بحسن التّخلص وقلّة التّربص انتهىٰ...

وعن ابي عبد اللّه ﵇ قال قال رسُول اللّه ﷺ القران هُدىٰ من الضّلالة وتبيان من العمىٰ واستقالة من العثرة ونُور من الظّلمة وضياء من الأجداث وعصمةٌ من الهَلكة ورُشدٌ من الغواية وبيان من الفِتَن وبلاغ من الدّنيا الىٰ الآخرة وفيه كمال دينكم وما عَدل احد من القرآن الّا الىٰ النّار انتهىٰ...

وفي تفسير الإمام ابي مُحمّد الزّكي قال قال رسُول اللّه ﷺ انّ هذا القرآن هو النُّور المُبين والحَبل المَتين والعُروة الوثقىٰ والدَّرجة العُليا والشّفاء الأشفىٰ والفضيلة الكُبرىٰ والسّعادة العُظمىٰ مَن استضاء به نَوّره اللّه ومن عَقد به اموره عَصَمه اللّه ومن تَمَسّك به انقذه اللّه ومَن لَم يُفارق احكامه رَفَعه اللّه ومَن استشفىٰ به شَفاه اللّه ومَن آثره علىٰ ما سواه هداه اللّه ومن

والمَتجاهل وفيه اشارة الى انّ المَوجودين في عَصره وزمانه كانوا مُعرضين عن القرآن امّا بنسيانهم له او بتَناسيهم والمآل واحد الّا انّ الثّاني اقبح:

▫ قوله ﷺ: فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَراً فَاذْهَبُوا عَنْهُ...

قال اللّه تعالى:﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١)

و: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً﴾ (٢)

و: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ (٣)

و: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (٤)

ثُمّ انّ المراد بالخَير كلّ ما حَكَم الشّرع بحُسنه والشّر بخلافه وقوله ﷺ في الشّر، فاذهبوا عنه، اي فاعرضُوا عنه عَمَلاً ومن المعلوم انّ الإنسان اذا رأىٰ خيرا فاعان عليه واذا رأىٰ شّرا اعَرض عنه يَصير الإجتماع مُتّصفا بالخَير ومُبَعدا عن الشّر اذ الإجتماع بما هو هو لا وجود له في الخارج وانّما هو موجُود بوجُود افراده فَصَلاح الإجتماع هو صَلاح الأفراد بعَينه كما انّ فساده بفَسادهم.

▫ قوله ﷺ: فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ يَابْنَ آدَمَ اعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعِ الشَّرَّ فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ...

ثُمّ استَّدل ﷺ بالحَديث النّبوي حيث قال يابن آدم اعمَل الخَير ودَع الشّر اي واتركه فاذا اي اذا كُنت كذلك فانت جواد قاصد وفي هذا الكلام احتمالان:

احدهما: انه ﷺ شبّه العامل بالخَير والتّارك للشّر بالجواد القاصد الّذي لا يُجاوز حدّه في سَيره فلا يكون سَريعا في سَيره فيَتعب ولا بَطيئا فيه فيفُوت الغرض ببُطئه وعليه فهو بحذف كاف التّشبيه والتّقدير انت كالجواد القاصد:

وثانيهما: ان يكون المُراد بالجواد، من يَجُود بنَفسه وماله في احياء الحقّ واماتة الباطل وعليه فالمعنىٰ ان كُنت كذلك فانت جواد قاصد اي غير مُفرط

١- آل عمران ـ ١٠٤
٢- النّساء ـ ١٢٧
٣- النّساء ـ ١١٤
٤- المائدة ـ ٢

ومن الثاني:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَيهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَيهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١)

و: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾(٢)

و: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾(٣)

اذا عرفت اقسام الشرك بحسب الإصطلاح فاعلم انّ الّذي لا يُغفر منه هو القسم الأوّل وهذا هو المراد بقوله عليه السلام فامّا الظّلم الّذي لا يُغفَر الشِّرك باللّه، وامّا القسم الثّاني فليس كذلك والاّ يلزم خُروج الكلّ عن الإسلام والإيمان ودخُولهم النّار وهو كما ترىٰ كيف وقد قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله الشِّرك في هذه الأُمّة اخفىٰ من دَبيب النّمل علىٰ الصّفا.

رَوىٰ في مِشكاة الأنوار عن ابي ذَر انّه قال خرجتُ ليلة من اللّيالي فاذا رسُول اللّه يَمشي وحَده ولَيس معه انسان وساق الحديث الىٰ ان قال ثُمّ انّي سمعته صلى الله عليه وآله يقول وان زنا وان سَرَق فلمّا جاء لَم اصبر حتّىٰ قلت يانبّي اللّه جَعَلني اللّه فداك من تكلّم في جانب الحَرة فانّي سمعتُ احدا يرد عليك شيئا قال ذلك جبرئيل عَرَض لي في جانب الحَرة وقال بَشِر امّتك انّه من مات ولا يُشرِك باللّه دَخَل الجَنّة «الحديث ص ٨»...

وعن جعفر ابن مُحمّد عن ابيه عن ابائه عليهم السّلام قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله من مات ولم يُشرك باللّه شيئا احسَن او اساء دَخَل الجنّة « ص ٩»انتهىٰ...

(وباسناده عن الرّضا عليه السلام قال من شَبّه اللّه بخلقه فهو مُشرك ومن وَصَفه بالمكان فهو كافر ومن نَسب اليه مانهىٰ عنه فهو كاذب ثُمّ تلىٰ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ﴾(٤)

وقد تحصل ممّا ذكرناه انّ من لَم يُشرك باللّه فهو خارج عمّا نحن فيه وبعد

١- الاعراف - ١٩٠ ٢- يوسف - ١٠٦

٣- النّحل - ١٠٠ ٤- النحل - ١٠٥

رَحْمَةِ اللّٰهِ﴾[1]

▫ قوله ﷺ: وَاَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَايُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً...

وذلك كالقتل بغير حقّ والسّرقة والغَيبة والتُّهمة والفُحش والأذىٰ وبالجُملة كلّمايتّضرر به الغير يُعدّ ظُلما علىٰ الغَير وانّما لايترك هذا القسم لأنّ تَركه منه تعالىٰ يُنافي عَدله وحيث قد ثبت عَدله عـقلاً ونـقلاً فـلابدّ مـن اخـذه حـقّ المَظلُوم من الظّالم.

▫ قوله ﷺ: الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالْمُدَىٰ وَلَا ضَرْباً بِالسِّيَاطِ...

اي القصاص في الآخرة شديد ليس هو اي القصاص في الآخرة من قبيل الجَرح بالمِدىٰ اعني بالسّكين ولا ضَربا بالسّياط كما يكون القصاص في الدّنيا كذلك.

▫ قوله ﷺ: وَلٰكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذٰلِكَ مَعَهُ فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللّٰهِ...

اي ولكنّ القصاص هناك مايُستصغر ذلك اي الجَرح بالمِدىٰ معه وبعبارةٍ اخرىٰ قصاص الدّنيا بالنّسبة الىٰ قصاص الآخرة سَهلٌ يَسيرٌ ثُمّ حَذّرهم عن التّلَون في دين اللّه وهو عبارة اخرىٰ عن النّفاق فانّ المُنافق شانه كذلك.

▫ قوله ﷺ: فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ...

وذلك لقوله تعالىٰ:﴿وَعَسىٰ اَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسىٰ اَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾[2]

والوجه فيه هو الإنسان لكونه محدودا من جميع الجهات ومنها العِلم لا يتجاوز علمه عن المَحسُوسات او ما يحصل له منها والأشياء تابعة للمصالح والمفاسد الوّاقعية وهي ممّا لايعلمه الّا اللّه تعالىٰ فيمكن ان يُحبّ شيئا وهو يَضُره وبالعكس ومعنىٰ العبارة انّ الإجتماع في الحقّ خير لكم وان كـان الحقّ ممّا تكرهونه كما انّ الفُرقة في الباطل خير وان كان ممّا تُحبّون وذلك لأنّ

١- الزمر-٥٣

٢- البقرة-٢١٦

سار في ظِلّها مِائة عام ما خَرج ولو طار من اسفلها غرابا مابلغ اعلاها حتّىٰ يَسقُط هَرِبا انتهىٰ الحديثان رواهما في مَجمَع البحرين ثُمّ قال:

والطّوب الآجُر ومنه الحديث لا ترث المراة من زوجها من تربة دارٍ وارضٍ الّا انّ يقوم الطّوب والخَشَب قيمة فتُعطىٰ ربعَها او ثُمنَها انتهىٰ ماذكره فيه.

وكيف كان فالمقصود انّ الإنسان ينبغي ان يشتغل بعيُوب نفسه قبل اشتغاله بعيُوب غيره وذلك لأنّ الإنسان لا يَخلو من العيُوب لا محالة سواء كانت في جِسمه ام كانت في نفسه ومن كان كذلك فكيف يَشتغل بغيره عن نفسه وينسىٰ وتوضيحه انّ العَيب يتصور علىٰ قسمين:

احدهما: مايكون في الجِسم والبَدن كالعمىٰ والبَرص والأعرج وامثال ذلك.

وثانيهما: مايكون في النّفس والرّوح كالبُخل والحَسَد والكِبر والرّياء وامثال ذلك.

امّا الأول: فهو مَنُوط باصل الخِلقة ولا دخل لصاحبه فيه بل اللّه تعالىٰ خلَقه كذلك طبقا لِلمَصلَحة الّتي راها فيه واذا كان كذلك فَتَقبيح المَعلُول وتَنقيصه يرجع الىٰ تقبيح اللّه في ايجاده وخِلقته فَذَمه ذَمّ اللّه تعالىٰ وهو كما ترىٰ.

وامّا الثّاني: وان كان غير مَنُوطٍ باصل الخِلقة بمعنىٰ انّ اللّه تعالىٰ لم يخلق احدا كذلك.

بل الإنسان هو الّذي اتّصَف بها لسُوء سَريرته وخُبث طينته ويمكن له تركها واتّصافه بغيرها من الصّفات الحَسَنة فلو كانت مخلوقة له تعالىٰ لم يقدر علىٰ التّخلص عنها كما لا يقدر علىٰ التّخلص من القسم الأوّل والمفروض امكانه لكونه مامورا به وقد ثَبَت انّ الأمر لايتّعلق بغير المقدور كما قال تعالىٰ لا يُكلّف اللّه نَفسا الّا وسْعها فاذا كان رفعها بيده فلامحالة وضَعها ايضا بيده وهو المطلوب ومع ذلك كلّه لا ينبغي لأحدٍ من آحاد الإنسان ان يشتغل بها اذا وجدت في غيره وذلك، لوجودها كلّاً او بعضا فيه ايضا الّا انّه لا يرىٰ عَيبه او

□ قوله عليه السلام: وَطُوبىٰ لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَاَكَلَ قُوتَهُ وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ وَبَكَىٰ عَلَىٰ خَطِيئَتِهِ...

بعد ما قال عليه السلام في الجملة السابقة طوبىٰ لِمَن شَغله الخ واردف كلامه بهذه الأوصاف الأربعة احدها لزوم البيت واعتكافه فيه، وثانيها اكل قوته اي رِزقه، وثالثها اشتغاله بطاعة ربّه، ورابعها - البكاء علىٰ خَطيئته وذَنبه، وهذه الأمُور كلّها ينبغي مُراعاتها لمن اراد اصلاح نَفسه والتَقرُّب الىٰ ربّه وهذا بابٌ واسع للعارف السّالك والكلام فيه كثير ونحن نتكلم فيه اجمالاً.

فنقول امّا الحكم الأوّل: اعني لزوم البَيت فهو ممدُوح اجمالاً وقد وَردت في مَدحه روايات:

منها - ما رواه في مشكاة الأنوار عن كتاب المحاسن عن ابي بصير عن الصّادق عليه السلام قال عليه السلام العُزلةُ عبادةٌ وانّ اقلّ العَيب علىٰ المَرء قعُوده في منزله انتهىٰ « ص ٢٥٧»...

وعنه عليه السلام ما كان عبدٌ ليَحبسَ نَفسه علىٰ اللّه الّا ادخَلَه الجنّة انتهىٰ «ص - ٢٥٧»...

وعنه عليه السلام قال انّ اللّه تبارك وتعالىٰ اوحىٰ الىٰ نبيٍّ من انبيّاء بنّي اسرائيل ان احبَبت ان تَلقاني غدا في حَظيرة القُدس فكُن في الدّنيا وَحيدا غريبا مَهمُوما مَحزُونا مُستَوحِشا من النّاس بمنزلة الطّير الّذي يَطير في ارض القفار وياكل من رؤس الأشجار ويَشرِب من ماء العيُون فاذا كان اللّيل آوىٰ وحدَه ولم ياوِي مَع الطّيُور استانس بربّه واستَوحش من الطّيُور انتهىٰ« ص ٢٥٧»...

وعن النبّي صلى الله عليه وآله انّه قال اجيعوا اكبادكم وامروا صُوركم واشعثوا رؤسكم وصبُّوا عليكم جلباب الحُزن وجالسُوا النّاس قليلاً ومَع اللّه كثيرا لعلّكم ترون الحقّ بقلُوبكم انتهىٰ «ص ٢٥٦»...

وامّا الحكم الثّاني: اعني اكل قوته فهو كناية عن قناعته بما رَزَقه اللّه تعالىٰ:

ثُمّ اعلم انّ لزوم البَيت الّذي وردت الأخبار بمَدحه ليس علىٰ اطلاقه بل المراد منه ما اذا كان الإجتماع فاسدا لا يمكن لِلعارف اصلاحه او كانت المُجالسة مع ابناء زمانه تَضُر بدِينه ففي هذين المَورِدين ونظائرهما طُوبىٰ لمن لزم بيته وحفظ دينه.

وامّا اذا فرضنا كونه مُفيدا بحال الإجتماع فلا يَجوز له الإنعزال عنهم ولزومه بيته فانّه اثمٌ كبير وهذا ممّا لا شّك فيه عقلاً ونقلاً وهو واضح.

▫ قوله ﷺ: **فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغْلٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ...**

اي اذا كان كذلك فلزُوم بيته احَسن له لكونه مَشغُولاً بنفسه فيه والنّاس منه في راحةٍ لعدم اضراره بغيره في تلك الحالة ولا يَبعد ان يكون مراده ﷺ من كان مُؤذيا مُضِرا بحال النّاس فانّ من كان كذلك لا شّك انّ لزومه بيته الخ احسَن له.

قوله عليه السلام: وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً، وَكُلُّ نَبَاتٍ لاَ غِنَى بِهِ عَنِ و...... ٣٣
قوله عليه السلام: فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ ،وَمَا و..... ٣٣
ومن خطبة له عليه السلام (١٥٤)........................ ٣٩
قوله عليه السلام: اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِى انْحَسَرَتِ الْأَوصَافُ الى مِثَالٍ خَلاَ مِنْ غَيْرِهِ.. ٤٠
اللّغة.. ٤٠
المعنىٰ.. ٤١
الشّرح.. ٤٢
قوله عليه السلام: اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِى انْحَسَرَتِ الْأَوصَافُ عَن كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ........ ٤٢
قوله عليه السلام: وَ رَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً و..... .... ٤٣
قوله عليه السلام: وَ رَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ اِلىٰ قوله عليه السلام: بُلُوغِ غَايَةِ و......... ٤٤
قوله عليه السلام: هُوَ اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وأَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمَّا و..... .... ٤٦
قوله عليه السلام: لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً ٤٦
قوله عليه السلام: خَلَقَ الْخَلْقَ عَلىٰ غَيْرِ تَمْثِيلٍ، وَلاَ مَشُورَةِ مُشِيرٍ، و..... ...... ٥٠
قوله عليه السلام: فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعِ ،وَانْقَادَ قوله
قوله عليه السلام: الَّتِي يَقْبَضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَيَبْسُطُهَا و.......... ٥٤
قوله عليه السلام: وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا عَنْ أَن تَسْتَمِدَّ مِنَ و..... .... ٥٥
قوله عليه السلام: وَتَصِلَ بِعَلاَنِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ اِلىٰ مَعَارِفِهَا.......... ٥٥
قوله عليه السلام: وَرَدَعَهَا بِتَلأْلُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا ٥٥
قوله عليه السلام: وَأَكَنَّهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِي بُلَجِ اِئْتِلاَقِهَا......... ٥٥
قوله عليه السلام: فَهِيَ مُسْدَلَةُ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلىٰ أَحْدَاقِهَا، و..... .... ٥٦
قوله عليه السلام: فَلاَ يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ، وَلاَ تَمْتَنِعُ و.... .... ٥٦
قوله عليه السلام: فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا ٥٦
قوله عليه السلام: وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلىٰ الضِّبَابِ فِي وِجَارِهَا......... ٥٦
قوله عليه السلام: أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانَ عَلىٰ مَآقِيهَا، وَتَبَلَّغَتْ بِمَا اكْتَسَبَتْهُ و..... ... ٥٦

قوله ﷺ: وَإِنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَخُلُقَانِ و..... ٨١
قوله ﷺ: وَإِنَّهُمَا لاَ يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ، وَلاَ يَنْقُصَانِ مِن رِزْقٍ ٨٤
قوله ﷺ: وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ، فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، و..... ٨٥
قوله ﷺ: لاَ يَعْوَجُّ فَيُقَامَ، وَلاَ يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلاَ تُخْلِقُهُ و..... ٨٧
قوله ﷺ: مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ ٨٨
قوله ﷺ: عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لاَ تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ٨٩
قوله ﷺ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هٰذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللهُ و..... ٨٩
قوله ﷺ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَ لَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ و..... ٨٩
قوله ﷺ: فَقَالَ لِي إِنَّ ذٰلِكَ لَكَذٰلِكَ فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذاً؟ فَقُلْتُ: و..... ٨٩
قوله ﷺ: وَقَالَ: يَا عَلِيُّ إِنَّ الأُمَّةَ (القوم) سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي و..... ٩٠
قوله ﷺ: وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ ٩٠
قوله ﷺ: وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ وَ الأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ ٩١
قوله ﷺ فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، وَالسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ، وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ ٩١
قوله ﷺ: فَقُلْتُ :يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذٰلِكَ؟ و..... ٩٩
ومن خطبة له ﷺ (١٥٦) ١٠١
قوله ﷺ: اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً **الى** وَانْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ ١٠٢
اللغة ١٠٢
المعنى ١٠٢
قوله ﷺ: اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ، وَسَبَباً و..... ١٠٤
قوله ﷺ: عِبَادَ اللهِ، إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ ١٠٨
قوله ﷺ: لاَ يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ، وَلاَ يَبْقَى سَرْمَداً مَا فِيهِ، و..... ١٠٩
قوله ﷺ: مُتَسَابِقَةٌ أُمُورُهُ ،مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلاَمُهُ ١١٠
قوله ﷺ: فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ ١١٠
قوله ﷺ: فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ، و..... ١١٠

المعنى ١٣٢

الشّرح ١٣٣

قوله عليه السلام: أَرْسَلَهُ عَلى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ و...... ١٣٣

قوله عليه السلام: فَجاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالنُّورِ الْمُقْتَدىٰ و...... ١٣٣

قوله عليه السلام: فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَنْطِقَ ،وَلكِنْ اُخْبِرُكُمْ عَنْهُ ١٣٤

قوله عليه السلام: أَلاٰ اِنَّ فِيهِ عِلْمَ ما يَأْتِي، وَالْحَدِيثَ عَنِ و...... ١٣٤

قوله عليه السلام: فَعِنْدَ ذٰلِكَ لاٰ يَبْقىٰ بَيْتُ مَدَرٍ وَلاٰ وَبَرٍ اِلاّٰ وَأَدْخَلَهُ و...... ١٣٦

قوله عليه السلام: فَيَوْمَئِذٍ لاٰ يَبْقىٰ لَهُمْ فِى السَّماءِ عاذِرٌ وَلاٰ فِى الْأَرْضِ ناصِرٌ . ١٣٧

قوله عليه السلام: أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ،وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ ١٣٧

قوله عليه السلام: وَسَيَنْتَقِمُ اللهُ مِمَّنْ ظَلَمَ: مَأْكَلاً بِمَأْكَلٍ، وَمَشْرَباً بِمَشْرَبٍ.... ١٣٧

قوله عليه السلام: مِنْ مَطاعِمِ الْعَلْقَمِ ،وَمَشارِبِ الصَّبِرِ وَالْمَقِرِ، وَلِباسِ و..... ١٣٨

قوله عليه السلام: وَاِنَّماهُمْ مَطايَا الْخَطِيئاتِ، وَزَوامِلُ الْآثامِ ١٣٩

قوله عليه السلام: فَاُقْسِمُ ثُمَّ اُقْسِمُ لَتَنْخَمَنَّها اُمَيَّةُ مِن بَعْدِى كَما تُلْفَظُ النُّخامَةُ . ١٤٠

قوله عليه السلام: ثُمَّ لاٰ تَذُوقُها وَلاٰ تَطْعَمُ بِطَعْمِها أَبَداً ما كَرَّ الْجَدِيدانِ ١٤٠

ومن خطبة له عليه السلام (١٥٨) ١٤١

قوله عليه السلام: وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوارَكُمْ ،وَأَحَطْتُ الى مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ... ١٤١

اللّغة ١٤١

المعنى ١٤١

الشرح ١٤٢

قوله عليه السلام: وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوارَكُمْ ١٤٢

قوله عليه السلام: وَأَحَطْتُ بِجُهْدِى مِن وَرائِكُمْ........ ١٤٢

قوله عليه السلام: وَأَعْتَقْتُكُم مِنْ رِبَقِ الذُّلِّ وَحَلَقِ الضَّيْمِ ١٤٣

قوله عليه السلام: وَحَلَقِ الضَّيْمِ ،شُكْراً مِنِّى لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ، وَإِطْراقاً و..... ١٤٣

الشرح ١٦٩
قوله عليه السلام: يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللهَ! كَذَبَ وَالْعَظِيمِ! ١٦٩
قوله عليه السلام: مَا بَالُهُ لاَ يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ، فَكُلُّ مَنْ رَجَا و........ ١٧٠
قوله عليه السلام: إِلاَّ رَجَاءَ اللهِ تعالى فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ، وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ و....... ١٧٠
قوله عليه السلام: وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إِلاَّ خَوْفَ اللهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ ١٧١
قوله عليه السلام: يَرْجُو اللهَ فِي الْكَبِيرِ، وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ، فَيُعْطِي و..... ١٧٢
قوله عليه السلام: فَمَا بَالُ اللهِ «جَلَّ ثَنَاؤُهُ» يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ لِعِبَادِهِ ١٧٢
قوله عليه السلام: أَتَخَافُ أَن تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِباً، أَوْ تَكُونَ لاَ و........ ١٧٢
قوله عليه السلام: وَكَذٰلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْداً مِنْ عَبِيدِهِ أَعْطَاهُ مِنْ و........ ١٧٣
قوله عليه السلام: فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْداً، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِ و........ ١٧٣
قوله عليه السلام وَكَذٰلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا و......... ١٧٣
قوله عليه السلام: فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَصَارَ عَبْداً لَهَا ١٧٤
قوله عليه السلام: وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ ٩ كَافٍ لَكَ فِي الأُسْوَةِ ١٧٤
قوله عليه السلام: وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَىٰ ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا ١٧٥
قوله عليه السلام: وَإِن شِئْتَ ثَنَّيْتَ بِمُوسَىٰ كَلِيمِ اللهِ عليه السلام إِذْ يَقُولُ:و........ ١٧٦
قوله عليه السلام: إذ يقول أي يقول موسىٰ (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ..... ١٧٦
قوله عليه السلام: وَاللهِ مَا سَأَلَهُ إِلاَّ خُبْزاً يَأْكُلُهُ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ و............ ١٧٦
قوله عليه السلام: وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتَ بِدَاوُدَ عليه السلام صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، و.......... ١٧٦
قوله عليه السلام: فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ و.......... ١٧٦
قوله عليه السلام: وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ عليه السلام قَدْ كَانَ و...... ١٧٧
قوله عليه السلام: وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وَظِلاَلُهُ فِي الشِّتَاءِ و.......... ١٧٧
قوله عليه السلام: وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ ،و...... .... ١٧٨
قوله عليه السلام: وَلاَ مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلاَ طَمَعٌ يُذِلُّهُ ،دَابَّتُهُ رِجْلاَهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ .. ١٧٨
قوله عليه السلام: فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ، فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً و....... ١٧٨

المعنى ١٩٤

الشّرح ١٩٦

قوله عليه السلام: بعثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِئ ،وَالْبُرهانِ الْجَلِيِّ، و............. ١٩٦

قوله عليه السلام: أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ: أَغْصانُها و...... ١٩٧

قوله عليه السلام: مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ، عَلاَ بِها ذِكْرُهُ، وَامْتَدَّ بِها صَوْتُهُ ١٩٨

قوله عليه السلام: أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلافِيَةٍ ١٩٩

قوله عليه السلام: أَظْهَرَ بِهِ الشَّرائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ و............ ١٩٩

قوله عليه السلام: فَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً تَتَحَقَّقْ شِقْوَتُهُ، و........ ٢٠٠

قوله عليه السلام: وَيَكُونُ مَآبُهُ اِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ، وَالْعَذابِ الْوَبِيلِ ٢٠٠

قوله عليه السلام: وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ تَوَكُّلَ الْاِنابَةِ اِلَيْهِ، وَأَسْتَرْشِدُهُ و.......... ٢٠١

قوله عليه السلام: وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَ اِلى جَنَّتِهِ، الْقاصِدَةَ و......... ٢٠٣

قوله عليه السلام: أُوصِيكُمْ عِبادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ وَطاعَتِهِ، فَاِنَّها و............ ٢٠٣

قوله عليه السلام: رَهَّبَ فَأَبْلَغَ، وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ، وَوَصَفَ لَكُمُ الدُّنْيا وَانقِطاعَها . ٢٠٤

قوله عليه السلام: فَأَعْرِضُوا عَمّا يُعْجِبُكُمْ فِيها لِقِلَّةِ ما يَصْحَبُكُمْ مِنْها، و..... ٢٠٦

قوله عليه السلام: فَغُضُّوا عَنكُمْ عِبادَ اللهِ غُمُومَها وَأَشْغالَها لِما قَدْ أَيْقَنتُمْو..... ٢٠٦

قوله عليه السلام: فَاحْذَرُوها حَذَرَ الشَّفِيقِ النّاصِحِ، وَالْمُجِدِّ الْكادِحِ......... ٢٠٦

قوله عليه السلام: وَاعْتَبِرُوا بِما قَدْ رَأَيْتُمْ مِن مَصارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ: قَدْ تَزايَلَتْ٢٠٧

قوله عليه السلام: فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ الْأَوْلادِ فَقْدَها، وَبِصُحْبَةِ الْأَزْواجِ مُفارَقَتَها.... ٢٠٧

قوله عليه السلام: لاَ يَتَفاخَرُونَ، وَلاَ يَتَناسَلُونَ، وَلاَ يَتَزاوَرُونَ، وَلاَ و....... ٢٠٧

قوله عليه السلام: فَاِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ، وَالْعَلَمَ قائِمٌ، وَالطَّرِيقَ جَدَدٌ ،وَالسَّبِيلَ.... ٢٠٨

ومن كلامٍ له عليه السلام (١٦١) ٢٠٩

فقال عليه السلام: يا أَخا بَنِي أَسَدٍ: اِنَّكَ لَقَلِقُ الى اِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ... ٢٠٩

اللّغة ٢٠٩

المعنى ٢١٠

قوله عليه السلام: لاٰ يُقٰالُ لَهُ: مَتىٰ؟ وَلاٰ يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتّىٰ ٢٣٢
قوله عليه السلام: الظّٰاهِرُ لاٰ يُقٰالُ: مِمٰا، وَالْبٰاطِنُ لاٰ يُقٰالُ: فِيمٰا ٢٣٢
قوله عليه السلام: لاٰ شَبَحٌ فَيَتَقَضّىٰ، وَلاٰ مَحْجُوبٌ فَيُحْوىٰ ٢٣٣
قوله عليه السلام: لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيٰاءِ بِالْتِصٰاقٍ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهٰا بِافْتِرٰاقٍ ٢٣٤
قوله عليه السلام: لاٰ يَخْفىٰ عَلَيْهِ مِنْ عِبٰادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ، وَلاٰ كُرُورُ و..... ٢٣٥
قوله عليه السلام: فِي لَيْلٍ دٰاجٍ، وَلاٰ غَسَقٍ سٰاجٍ ٢٣٦
قوله عليه السلام: يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، وَتَعْقُبُهُ الشَّمْسُ و............ ٢٣٦
قوله عليه السلام: وَتَقَلُّبِ الْأَزْمِنَةِ وَالدُّهُورِ، مِنْ إِقْبٰالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ، و..... ٢٣٧
قوله عليه السلام: قَبْلَ كُلِّ غٰايَةٍ وَمُدَّةٍ، وَكُلِّ إِحْصٰاءٍ وَعِدَّةٍ ٢٣٨
قوله عليه السلام: تَعٰالىٰ عَمّٰا يَنْحَلُهُ الْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفٰاتِ الْأَقْدٰارِ، و...... ٢٣٨
قوله عليه السلام: فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ، وَإِلىٰ غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ ٢٣٨
قوله عليه السلام: لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيٰاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ، وَلاٰ مِنْ أَوٰائِلَ أَبَدِيَّةٍ ٢٤٠
قوله عليه السلام: بَلْ خَلَقَ مٰا خَلَقَ فَأَقٰامَ حَدَّهُ، وَصَوَّرَ مٰا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ ٢٤٢
قوله عليه السلام: لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ امْتِنٰاعٌ، وَلاٰ لَهُ بِطٰاعَةِ و..... ٢٤٢
قوله عليه السلام: عِلْمُهُ بِالْأَمْوٰاتِ الْمٰاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيٰاءِ الْبٰاقِينَ، و...... ٢٤٤
قوله عليه السلام: أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ فِي ظُلُمٰاتِ و...... ٢٤٥
قوله عليه السلام: بُدِئْتَ مِنْ سُلاٰلَةٍ مِنْ طِينٍ، وَوُضِعْتَ فِي قَرٰارٍ مَكِينٍ ٢٤٩
قوله عليه السلام: إِلىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ، وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ ٢٥٠
قوله عليه السلام: تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً: لاٰ تُحِيرُ دُعٰاءً، وَلاٰ تَسْمَعُ نِدٰاءً.. ٢٥٠
قوله عليه السلام: ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلىٰ دٰارٍ لَمْ تَشْهَدْهٰا، وَلَمْ و..... ٢٥٠
قوله عليه السلام: فَمَنْ هَدٰاكَ لاِجْتِرٰارِ الْغِذٰاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ؟ و....... ٢٥١
قوله عليه السلام: هَيْهٰاتَ! إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفٰاتِ ذِي الْهَيْئَةِ و....... ٢٥١
ومن كلام له عليه السلام (١٦٣) ٢٥٣
قوله عليه السلام إِنَّ النّٰاسَ وَرٰائِي، وَقَدِ اسْتَفْسَرُونِي الى وصول أمرك إِلَيْهِ .. ٢٥٤

الشرح ٢٧٢
قوله عليه السلام: إِبتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوانٍ وَمَواتٍ، وَساكِنٍ و...... ٢٧٢
قوله عليه السلام: فَأَقامَ مِن شَواهِدِ الْبَيِّناتِ عَلىٰ لَطِيفِ صَنْعَتِهِ و...... ٢٧٣
قوله عليه السلام: وَنَعَقَتْ فِي أَسْماعِنا دَلائِلُهُ عَلىٰ وَحْدانِيَّتِهِ ٢٧٤
قوله عليه السلام: وَما ذَرَأَ مِن مُخْتَلِفِ (إختلاف) صُوَرِ الْأَطْيارِ الَّتِي و...... ٢٧٤
قوله عليه السلام: مِن ذاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهَيْئاتٍ مُتَبايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ و...... ٢٧٥
قوله عليه السلام: وَمُرَفْرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِها فِي مَخارِقِ الْجَوِّ الْمُنْفَسِحِ و...... ٢٧٥
قوله عليه السلام: كَوَّنَها بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُن فِي عَجائِبِ صُوَرٍ، ظاهِرَةٍ، و...... ٢٧٦
قوله عليه السلام: وَمَنَعَ بَعْضَها بِعَبالَةِ خَلْقِهِ أَن يَسْمُوَ فِي السَّماءِ و...... ٢٧٧
قوله عليه السلام: وَنَسَقَها عَلىٰ اخْتِلافِها فِي الْأَصابِيغِ بِلَطِيفِ و...... ٢٧٧
قوله عليه السلام: فَمِنْها مَغْمُوسٌ فِي قالِبِ لَوْنٍ لا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ ما غُمِسَ .. ٢٧٧
قوله عليه السلام: وَمِنْها مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلافِ ما صُبِغَ بِهِ .. ٢٧٧
قوله عليه السلام: وَمِنْ أَعْجَبِها خَلْقاً الطّاوُسُ الَّذِي أَقامَهُ فِي أَحْكَمِ و...... ٢٧٧
قوله عليه السلام: بِجَناحٍ أَشْرَجَ قَصَبَه، وَذَنَبٍ أَطالَ مَسْحَبَهُ........ ٢٧٩
قوله عليه السلام: إِذا دَرَجَ إِلىٰ الْأُنْثىٰ نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ، وَسَما بِهِ مُطِلّاً عَلىٰ رَأْسِهِ ٢٧٩
قوله عليه السلام: كَأَنَّهُ قِلْعُ دارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ ،يَخْتالُ بِأَلْوانِهِ، وَيَمِيسُ بِزَيَفانِهِ. ٢٧٩
قوله عليه السلام: يُفْضِي كَإِفْضاءِ الدِّيَكَةِ، وَيَؤُرُّ بِمَلاقَحَةٍ أَرَّ الْفُحُولِ و...... ٢٧٩
قوله عليه السلام: أُحِيلُكَ مِن ذٰلِكَ عَلىٰ مُعايَنَةٍ، لا كَمَن يُحِيلُ و...... ٢٨١
قوله عليه السلام: وَلَوْ كانَ كَزَعْمِ مَن يَزْعَمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ و...... ٢٨١
قوله عليه السلام: فَإِن شَبَّهْتَهُ بِما أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ قُلْتَ: جَنِيٌّ جُنِيَ مِن و...... ٢٨٣
قوله عليه السلام: وَإِن ضاهَيْتَهُ بِالْمَلابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ، أَوْ و...... ٢٨٣
قوله عليه السلام: وَإِن شاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذاتِ أَلْوانٍ و...... ٢٨٣
قوله عليه السلام: يَمْشِي مَشْيَ الْمَرِحِ الْمُخْتالِ، وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ و...... ٢٨٤
قوله عليه السلام: وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ أي يُقلّبه كيف يشاء وقوله: و...... ٢٨٤

قوله عليه السلام: قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكِرامَةُ تَتَمادىٰ بِهِمْ حَتّىٰ حَلُّوا دارَ الْقَرارِ، و..... ٢٩١
قوله عليه السلام: فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلىٰ ما يَهْجُمُ و..... ٢٩١
قوله عليه السلام: جَعَلَنَا اللهُ وَإِيّاكُم مِمَّنْ يَسْعىٰ بِقَلْبِهِ إِلىٰ مَنازِلِ و........ ٢٩١
ومن خطبة له عليه السلام (١٦٥) ٢٩٥
قوله عليه السلام: لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ، وَلْيَرْأَفْ الى الْفادِحَ عَنِ الأَعْناقِ.. ٢٩٥
اللّغة ٢٩٦
المعنىٰ ٢٩٦
الشرح ٢٩٨
قوله عليه السلام: لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ، وَلْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ ٢٩٨
قوله عليه السلام: وَلاٰ تَكُونُوا كَجُفاةِ الْجاهِلِيَّةِ: لاٰ فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ و...... ٢٩٩
قوله عليه السلام: كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَداحٍ، يَكُونُ كَسْرُها وِزراً، وَيُخْرِجُ و...... ٢٩٩
قوله عليه السلام: إِفْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ، فَمِنْهُمْ و........ ٣٠٠
قوله عليه السلام: عَلىٰ أَنَّ اللهَ تَعالىٰ سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ و........ ٣٠٣
قوله عليه السلام: يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكاماً كَرُكامِ السَّحابِ...... ٣٠٤
قوله عليه السلام: ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْواباً يَسِيلُونَ مِن مُسْتَثارِهِمْ كَسَيْلِ و........ ٣٠٥
قوله عليه السلام: وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ وَلاٰ حِدابُ أَرْضٍ، يُذَعْذِعُهُمْ و..... ٣٠٥
قوله عليه السلام: يَأْخُذُ بِهِمْ مِن قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ، وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيارِ قَوْمٍ . ٣٠٦
قوله عليه السلام: وَأَيْمُ اللهِ لَيَذُوبَنَّ ما فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ و...... ٣٠٧
قوله عليه السلام: أَيُّهَا النّاسُ ،لَوْ لَمْ تَتَخاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ و........ ٣٠٧
قوله عليه السلام: لٰكِنَّكُمْ تُهْتُمْ مَتاهَ بَنِي إِسْرائِيلَ، وَلَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ و........ ٣٠٩
قوله عليه السلام: بِما خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الأَدْنىٰ، و..... .... ٣١٠
قوله عليه السلام: وإعلموا أنكم إن اتَّبَعْتُمُ الدّاعِيَ لَكُمْ سَلَكَ بِكُم و........ ٣١١
ومن خطبة له عليه السلام (١٦٦) ٣١٥
قوله عليه السلام: إِنَّ اللهَ سُبْحانه أَنزَلَ كِتاباً هادِياً بَيَّنَ الى فَأَعْرِضُوا عَنْهُ خ ل) ٣١٥

قوله عليه السلام: وَلاَ تَفْعَلوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً، وُتَسقِطُ مُنَّةً، و.......... ٣٣٢
قوله عليه السلام: وَسَأَمْسِكُ الأمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ، وَإذا لَمْ أجِدْ بُدّاً و......... ٣٣٢
ومن خطبة له عليه السلام (١٦٨)........................ ٣٣٥
قوله عليه السلام: إنَّ اللهَ بَعَثَ رَسُولاً هادِياً بِكِتابٍ ناطِقٍ الى وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ.. ٣٣٥
اللّغة ٣٣٥
المعنى ٣٣٦
الشّرح ٣٣٧
قوله عليه السلام: إنَّ اللهَ بَعَثَ رَسُولاً هادِياً بِكِتابٍ ناطِقٍ وَأَمْرٍ قائِمٍ ٣٣٧
قوله عليه السلام: لاَ يَهْلِكُ عَنْهُ اِلاّ هالِكٌ،وَإنَّ الْمُبْتَدَعاتِ الْمُشَبَّهاتِ و..... ... ٣٣٨
قوله عليه السلام: وَإنَّ في سُلْطانِ اللهِ عِصْمَةً لِأمْرِكُمْ فَاعْطُوهُ طاعَتَكُمْ و..... .. ٣٤٠
قوله عليه السلام: وَاللهِ لَتَفْعَلُنَّ أوْ لَيَنْقُلَنَّ اللهُ عَنْكُمْ سُلْطانَ الاسْلامِ، و....... ٣٤٠
قوله عليه السلام: إنَّ هؤُلاءِ قَدْ تَمالَؤوا عَلىٰ سَخْطَةِ إمارَتي، وَسَأَصْبِرُ و..... .. ٣٤١
قوله عليه السلام: فَإنَّهُمْ إن تَمَّمُوا عَلىٰ فَيالَةِ هٰذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظامُ الْمُسْلِمِينَ. ٣٤١
قوله عليه السلام: وَإنَّما طَلَبُوا هٰذِهِ الدُّنْيا حَسَداً لِمَنْ أفاءَها اللهُ عَلَيْهِ، و...... ٣٤٢
قوله عليه السلام: وَلَكُمْ عَلَيْنا الْعَمَلُ بِكِتابِ اللهِ تَعالىٰ وَسُنَّةِ و............ ٣٤٣
ومن كلام له عليه السلام (١٦٩) ٣٤٥
قوله عليه السلام: أَرَأَيْتَ لَوْ أنَّ الَّذينَ وَراءَكَ بَعَثُوكَ الى الْحُجَّةِ عَلَيَّ، فَبايَعْتُهُ . ٣٤٥
اللّغة ٣٤٥
المعنى ٣٤٥
الشّرح ٣٤٦
فقال عليه السلام: أَرَأَيْتَ لَوْ أنَّ الَّذينَ وَراءَكَ بَعَثُوكَ رائِداً تَبْتَغي لَهُمْ و...... ٣٤٦
قوله عليه السلام: فَرَجَعْتَ إلَيْهِمْ فَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلاءِ وَالْماءِ و......... ٣٤٦
قوله عليه السلام: ما كُنْتَ صانِعاً؟ فَقالَ: كُنْتُ تارِكَهُمْ وَمُخالِفَهُمْ و..... .... ٣٤٦
قوله عليه السلام: فَامْدُدْ إذاً يَدَكَ! فَقالَ الرَّجُلُ و.................. ٣٤٦

قوله عليه السلام: وَأَجْمَعُوا عَلىٰ مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي، ثُمَّ قالوا: و............ ٣٦٧
قوله عليه السلام: فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللهِ كَمَا تُجَرُّ و.......... ٣٦٩
قوله عليه السلام: فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ و............ ٣٧٠
قوله عليه السلام: فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلاَّ وَقَدْ أَعْطَانِيَ الطَّاعَةَ، و..... ٣٧٠
قوله عليه السلام: فَقَدِمُوا عَلىٰ عَامِلِي بِهَا وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ و...... ٣٧١
قوله عليه السلام: فَوَاللهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلاَّ رَجُلاً وَاحِداً و....... ٣٧١
قوله عليه السلام: إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلاَ و....... ٣٧١
ومن خطبة له عليه السلام (١٧٢) ٣٩٩
قوله عليه السلام: أَمِينُ وَحْيِهِ وَخَاتَمُ رُسُلِهِ وَبَشِيرُ الى وَالْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ. ٤٠٠
اللّغة ٤٠٠
المعنىٰ ٤٠٠
الشّرح ٤٠٢
قوله عليه السلام: أَمِينُ وَحْيِهِ وَخَاتَمُ رُسُلِهِ وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ و..... ٤٠٢
قوله عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهٰذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ و.......... ٤٠٥
قوله عليه السلام: فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ فَإِنْ أَبَىٰ قُوتِلَ ٤٠٨
قوله عليه السلام: وَلَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ لاَ تَنْعَقِدُ حَتَّىٰ يَحْضُرَهَا و....... ٤٠٩
قوله عليه السلام: وَلٰكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَىٰ مَنْ غَابَ عَنْهَا ثُمَّ لَيْسَ و........ ٤٠٩
قوله عليه السلام: أَلاَ وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلاً ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ و.......... ٤١٠
قوله عليه السلام: أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَىٰ و......... ٤١٢
قوله عليه السلام: وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَلاَ و.......... ٤١٣
قوله عليه السلام: وَلاَ يَحْمِلُ هٰذَا الْعَلَمَ إِلاَّ أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبْرِ وَالْعِلْمِ و........ ٤١٩
قوله عليه السلام: فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ.......... ٤٢٠
قوله عليه السلام: وَلاَ تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّىٰ تَتَبَيَّنُوا فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ و.......... ٤٢١
قوله عليه السلام: أَلاَ وَإِنَّ هٰذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ و....... ٤٢١

قوله عليه السلام: مَالِي اَرَاكُمْ عَنِ اللهِ ذَاهِبِينَ وَالَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ ۴۴۲
قوله عليه السلام: كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ اِلَى مَرْعىً وَبِيٍّ و........... ۴۴۳
قوله عليه السلام: وَاِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا و........ ۴۴۴
قوله عليه السلام: وَاللهِ لَوْ شِئْتُ اَنْ اُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ و.......... ۴۴۴
قوله عليه السلام: وَلَكِنْ اَخَافُ اَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللهِ اَلَا وَاِنِّي و...... ۴۵۳
قوله عليه السلام: وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ وَاصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ مَا اَنْطِقُ اِلَّا صَادِقاً.. ۴۵۶
قوله عليه السلام: وَقَدْ عَهِدَ اِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ و............ ۴۵۶
قوله عليه السلام: وَمَا اَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي اِلَّا اَفْرَغَهُ فِي و............ ۴۵۷
قوله عليه السلام: اَيُّهَا النَّاسُ وَاللهِ مَا اَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ اِلَّا وَ اَسْبِقُكُمْ و...... ۴۵۷
ومن خطبة له عليه السلام(۱۷۵)................................ ۴۵۹
قوله عليه السلام: اَنْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللهِ وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ الى وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ! ۴۶۱
اللّغة ۴۶۲
المعنى ۴۶۲
الشّرح ۴۶۶
قوله عليه السلام: اَنْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللهِ وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللهِ وَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللهِ.. ۴۶۶
قوله عليه السلام: فَاِنَّ اللهَ قَدْ اَعْذَرَ اِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمْ بِالْحُجَّةِ ۴۶۸
قوله عليه السلام: وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ الْاَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا لِتَتَّبِعُوا وَتَجْتَنِبُوا ۴۶۹
قوله عليه السلام: فَاِنَّ رَسُولَ اللهِ ۹ كَانَ يَقُولُ (اِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ و..... ۴۷۰
قوله عليه السلام: وَاعْلَمُوا اَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللهِ شَيْءٌ اِلَّا يَاْتِي فِي كُرْهٍ و.......... ۴۷۱
قوله عليه السلام: فَرَحِمَ اللهُ رَجُلاً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ ۴۷۱
قوله عليه السلام: فَاِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ اَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً وَاِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ و......... ۴۷۱
قوله عليه السلام: وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ اَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي اِلَّا و...... ۴۷۱
قوله عليه السلام: فَلَا يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيداً لَهَا ۴۷۱
قوله عليه السلام: فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَالْمَاضِينَ اَمَامَكُمْ قَوَّضُوا و...... ۴۷۲

قوله عليه السلام: وَإِنَّ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ لَا يَحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ و...... ...... ٥٠١
قوله عليه السلام: فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ و......... ...... ٥٠٢
قوله عليه السلام: وَدُعِيتُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْوَاضِحِ فَلاَ يَصَمُّ عَنْ ذٰلِكَ إِلَّا أَصَمُّ و...... ٥٠٢
قوله عليه السلام: وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ اللّٰهُ بِالْبَلاَءِ وَالتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ و...... ...... ٥٠٢
قوله عليه السلام: وَأَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ حَتَّىٰ يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ ٥٠٣
قوله عليه السلام: وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلاَنِ مُتَّبِعٌ شِرْعَةً وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً لَيْسَ و...... ٥٠٣
قوله عليه السلام: وَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ و...... ...... ٥٠٤
قوله عليه السلام: وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَمَا لِلْقَلْبِ جِلاَءٌ غَيْرُهُ...... ٥٠٥
قوله عليه السلام: مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ وَبَقِيَ النَّاسُونَ وَ الْمُتَنَاسُونَ... ٥٠٧
قوله عليه السلام: فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرّاً فَاذْهَبُوا عَنْهُ... ٥٠٨
قوله عليه السلام: فَإِنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ٩ كَانَ يَقُولُ يَابْنَ آدَمَ اعْمَلِ الْخَيْرَ و......... ٥٠٨
قوله عليه السلام: أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلاَثَةٌ فَظُلْمٌ لاَيُغْفَرُ وَظُلْمٌ لاَيُتْرَكُ و...... ...... ٥٠٩
قوله عليه السلام: فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لاَيُغْفَرُ الشِّرْكُ بِاللّٰهِ قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى و......... ٥٠٩
قوله عليه السلام: وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ. ٥١١
قوله عليه السلام: وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لاَيُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً ٥١٢
قوله عليه السلام: الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالْمُدَىٰ وَلَا و......... ٥١٢
قوله عليه السلام: وَلٰكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذٰلِكَ مَعَهُ فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللّٰهِ.. ٥١٢
قوله عليه السلام: فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا و...... ٥١٢
قوله عليه السلام: وَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ و...... ...... ٥١٣
قوله عليه السلام: يَاأَيُّهَا النَّاسُ طُوبَىٰ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ..... ٥١٣
قوله عليه السلام: وَطُوبَىٰ لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَأَكَلَ قُوتَهُ وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ و......... ٥١٦
قوله عليه السلام: فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغْلٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ........... ٥١٨

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم: ١٠٧٥٤٣
التاريخ: ١/٨/٩/

و : ﴿أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (١)

وصف ﷺ الرّسول بكونه نذيرا في نقمات الله اي مُخبِرا بما فيه خَوفٌ ووَحشة من عذاب الدّنيا وعذاب الآخرة ووَصَفه الله تعالى به ايضا في كتابه قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ (٢)

و : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ (٣)

و : ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٤)

□ قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهٰذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللّٰهِ فِيهِ...

المراد بالأمر هو الخلافة والمعنى انّ احقّ النّاس واليقهم بالإمامة والزّعامة اقوى النّاس على كَيفيّة تدبير الأمر واعلَم النّاس بامر الله تعالى فقد ذكر ﷺ من شرائط الإمامة وصفين، احدهما كون الإمام اقوى من غيره، وثانيهما كونه اعلَم بالأحكام، فاذا فقد الشّرط انتفى المَشرُوط فمن كان اضعَف من غيره واجهَل لايليق بالإمامة وهذا الكَلام ردّ على المُعتزلة ومنهم الشّارح المُعتزلي حيث قال في اوّل شرحه، الحَمدُ لله الّذي تفرد بالكمال الى قوله وقدّم المَفضُول على الفاضل (على الأفضل) لِمصلحة اقتضاها التّكليف الى آخر ماقال:

وذلك لأنّ كلّ مَفضُولٍ فهو اضعف من الفاضل والأفضل اقوى منه اذ لا نعني به الّا ذلك وليس المراد بالأقوى في كلامه ﷺ اقوى بحسب الجسم والقُوى الحَيَوانية بل المراد به الأقوى بحَسب القُوى الرُّوحية النّفسانية من العِلم والعَدالة والشّجاعة والعفّة وامثالها اذ القُوّة والضَّعف في كلّ شئ بحَسبه فيقال فلان اقوى عِلما من غيره او اقوى عدلاً وشجاعةً وسخاوةً وهكذا فالضّعيف في كلّ واحدٍ من المراحل لا يصلح لها والمَفضُول كذلك وامّا

١- فصلت ـ١٣ ٢- البقرة ـ ١١٩
٣- سبأ ـ ٢٨ ٤- الاعراف ـ ١٨٨

شَرحه منها فكانّه عليه السلام اثبت بهذا الكلام صحّة خلافته وبطلان خلافة غيره وامّا غير هؤلاء الثّلاثة امثال معاوية ويزيد وعبد الملك الىٰ آخرهم فالأمر فيهم اوضح مضافا الىٰ انّ كلّ واحد منهم ايضا كان مُعاصرا لواحد من الأئمّة المَعصُومين والكلام فيهم بالنّسبة اليهم كالكلام في علّي بالنّسبة الىٰ معاصريه فكانوا عليهم السّلام احقّ بهذا الأمر من غيرهم وهو المطلُوب:

ويدّل عليه قوله تعالىٰ: ﴿اَفَمَنْ يَهْدي اِلَى الْحَقِّ اَحَقُّ اَنْ يُتَّبَعَ اَمَّنْ لاَ يَهِدّي اِلاّ اَنْ يُهْدىٰ فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (١)

وقول المُعتزلي في المقام، انّه عليه السلام ما قال انّ امامة غير الأقوىٰ فاسدة ولكنّه قال انّ الأقوىٰ احقّ ولا منافاة بين كونه احقّ وبين صحّة امامة غيره قولٌ بلا مُحصّل الّا علىٰ اصله الفاسد من جواز تقديم المَفضُول علىٰ الفاضل ولا يقول به الّا المُعتزلي وامّا علىٰ قول من لا يقول به فلا ضَرورة انّ خلافة من لا يكون احقّ بها من غيره مَرجُوح والعمل بالمَرجُوح مع وجود الأرجح خلاف العقل واتّباع الجاهل مع وجود العالم والأعلم قَبيحٌ ولا نعني بالبطلان الّا هذا والّا فكلّ شيً في حدّ نفسه من حيث انّه موجود والوجود خيرٌ مَحضٌ فهو حقّ وخيرٌ وبطلانه بالقياس الىٰ غيره الا ترىٰ انّ الأخذ بغير الإسلام من الأديان لا يجوز لقوله تعالىٰ: ﴿انّ الدّين عند اللّه الإسلام وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢)

فَنَسال عن المُعتزلي ونقول هل يَصّح الأخذ بدينٍ آخر غير الإسلام والعَمَل به او لا فان قال يجوز فهو خالف القرآن وان قال لا يَجُوز نقول ولِمَ لا يجوز فانّ كون الإسلام احقّ بالإتّباع لا ينفي صحّة اتّباع غيره وبعبارةٍ اخرىٰ الأديان كلّها من عند اللّه ولا شَكّ في صحتها وجواز الأخذ بكلّ واحدٍ منها مع عَدم مُقايسته الىٰ غيره فانّ دين اليَهود قبل وجود دين المَسيح عليه السلام كان جائز الإتّباع وبعده فلا لكون اللاّحق احقّ به من السّابق وهكذا الإسلام فاتّباع الإسلام ليس

١- يونس - ٣٥
٢- آل عمران - ٨٥

الحكم لا يَجري الّا في دَولة الحقّ وامّا الباطل فلا فانّ الإمام الجائر الغاصب لا يجوز له قتل من خالفه بل يَحرُم:

▫ قوله ﷺ: وَلَعَمْرِى لَئِنْ كَانَتِ الْاِمَامَةُ لَاتَنْعَقِدُ حَتَّىٰ يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ فَمَا اِلىٰ ذٰلِكَ سَبِيلٌ...

اقَسم ﷺ بنفسه الشّريفة وقال لأن كانت الإمامة لا تَنعقد ولا تَقع صَحيحةً حتّىٰ تَحضرها عامّة النّاس للبيعة كما تقولُون وتزعمون فليس الىٰ انعقاد الإمامة سبيل اصلاً وذلك لعدم امكان حضُور عامّة النّاس عادةً وهو واضح:

▫ قوله ﷺ: وَلٰكِنْ اَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَىٰ مَنْ غَابَ عَنْهَا ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ اَنْ يَرْجِعَ وَلَا لِلغَائِبِ أَنْ يَخْتَارِ...

لمّا حكم ﷺ بعدم انعقاد الإمامة مع ذلك الشّرط قال ولكن اهلها اي اهل الإمامة من زُعماء القَوم يَحكمُون فيها علىٰ الغائبين عنها ثمّ بعد ذلك ليس للشّاهد الحاضر في انعقادها ان يَرجع عن بَيعته وعَهده ولا لِلغائب ان يَختار هذا دون هذا اذ المَفروض انّ اختيار الحاضرين هو اختيار الغائبين قال الشّارح المُعتزلي وهذا الكلام تَصريح بصحّة مذهب اصحابنا في انّ الإختيار طريق الىٰ الإمامة مُبطل لما تَقُوله الإماميّة من دعوىٰ النّص عليه من قولهم لا طريق الىٰ الإمامة سوىٰ النّص والمعجز انتهى.

اقول: العَجَب كلّ العَجَب من الشّارح المُعتزلي حيث قال بهذه المقالة وذلك لأنّه وان لَم يكن اهلاً للتّحقيق في مُعضلات كلامه ﷺ ولكنّه كان من اهل اللِسّان مع ذلك كان عارفا بجهات الكلام من حيث الإعراب والبناء والشّرط والمَشرُوط وامثال ذلك ممّا هو منوطٌ بظواهر الكلمات وان لم يكن عارفا بالمَنطق فلو كان عارفا بالإصطلاحات لَم يقل هذا ابدا وذلك لأنّ كلامه ﷺ هذا يدل علىٰ خلاف مذهبه وذلك لوجهين.

احدهما: انّه ﷺ قال لأن كانت الإمامة لا تَنعقد حتّىٰ تَحضُرها عامّة النّاس ما الىٰ ذلك سبيل اي بناءً علىٰ هذا الشّرط لا يمكن وقوعها وانعقادها ابدا اذ هي

ثُمّ افاد عليه السلام انّه يقاتل رجلين احدهما من ادّعىٰ ما لَيس له وثانيهما من يَمتَنع مِن الطّاعة فقط والمراد من قوله عليه السلام ما لَيس له هو الخلافة هكذا فَسّر الكلام الشّارح المُعتزلي:

وقال الخُوئي رحمه الله يحتمل ان يكون الأوّل اشارة الىٰ اصحاب الجَمَل والثّاني الىٰ معاوية واتباعه ويحتمل العكس وهو ان يكون الأوّل اشارة الىٰ معاوية واصحابه والثّاني الىٰ اصحاب الجَمَل:

ولقائلٍ ان يَقُول بعدم الفرق بين معاوية واصحابه واصحاب الجَمَل ومن تابَعهم فانّ الفريقين ادّعيا ما ليس لهما اعني الخلافة والفرق بينهما بانّ معاوية كان يدّعيها واصحاب الجَمَل كانوا يَطلبُون بدَم عُثمان ليس في محلّه فانّ اصحاب الجَمَل ايضا كانوا يطلبُونها وامّا مُطالبتهم بدَم عثمان فلَم تكُن امَرا واقعيًا:

وامّا قول المُعتزلي في تَمثيله لِلأوّل بالخُروج علىٰ الإمام مع ادّعاء الخلافة، وللثّاني بالخُروج عليه مع عَدم ادّعاء الخلافة ولكنّه يمتَنع من الطّاعة فكلامٌ لاطائل تحته في الشّق الثّاني:

وذلك لأنّ من لايدّعي الخلافة لايحتاج الىٰ الخُروج عليه بل لا يخرج عليه ابدا وماذكره الشّارح مُجّرد فرضٍ فَرَضه لا مِصداق له في الخارج فانّ الإمتناع لايلزم منه الخُروج علىٰ الإمام الا ترىٰ انّ ابن عُمر ابن الخطاب وسَعد ابن ابي وقاص وامثالهما ممّن انكر امامته ولم يبايعه لم يخرج عليه وهو ايضا لم يقاتله مع انّه امتنع عن طاعته ولم يدّع الخلافة لنفسه، واظنّ انّ غرض الشّارح من هذا القَسم اصحاب الجَمَل حيث انّهم امتنعُوا عن طاعته وخَرجُوا عليه مع عدم ادّعائهم الخلافة ظاهرا، وقد قلنا انّ اصحاب الجَمَل ايضا كانوا يَدّعُونها واقعا والّا لَم يَخرجُوا عليه فالخُروج علىٰ الإمام مع عدم ادّعاء الخلافة ممّا لايعقل اصلاً:

والّذي نقول في تفسير الكلام انّ العبارة لاتَدّل علىٰ ماذكروه علىٰ وجه

و: ﴿فَلْيَتَّقُوا اللّٰهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾ (١)

و: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ (٢)

و: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾ (٣) وامثالها من الآيات:

ومن الثاني:

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُنَ كَذٰلِكَ يَجْزِي اللّٰهُ الْمُتَّقِينَ﴾ (٤)

و: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْداً﴾ (٥)

و: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (٦)

و: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٧)

و: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً وَحَدَائِقَ وَأَعْنَاباً﴾ (٨) والآيات كثيرة:

وقد مَرّ الكلام في التّقوىٰ وماهيّتها والأخبار الودة فى مدحها غير مرّةٍ فلا نحتاج الىٰ بسط المقال منه.

▫ **قوله ﷺ: وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَلَا يَحْمِلُ هٰذَا الْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبْرِ وَالْعِلْمِ بِمَوَاقِعِ الْحَقِّ...**

المراد باهل القِبلة اصحاب الجَمَل واهل الشّام والخوارج وانّما لم يقل وبين المُسلمين لأنّ من خرج علىٰ الإمام العادل المَنصُوب من قبل اللّٰه تعالىٰ فهو ليس بمُسلمٍ واقعا وان صام وصلّىٰ وبهذا الإعتبار اعني صَومه وصَلٰوته سمّاه باهل القبلةً فكل مُسلمٍ هو من اهل القِبلة ولاعكس كلّيا اذ بعض اهل القبلة ليس من المُسلمين وهٰؤلاء اعني مُحاربيه من ذلك البعض ولا خلاف فيه بين عُلماء المَذهب والآيات والأخبار ايضا تشهدان به ونحن نُشير الىٰ شَطرٍ منها ثُمّ الىٰ بعض كلمات الفُقهاء في الباب وفي الخاتمة الىٰ مايقتضيه

١- النساء ـ ٩
٢- الطّلاق ـ ٢
٣- الطّلاق ـ ٤
٤- النّحل ـ ٣١
٥- مريم ـ ٨٥
٦- الدخان ـ ٥١
٧- القصص ـ ٨٣
٨- النباء ـ ٣١

الدُّنيا وَالآخِرَةِ وَاولٰئِكَ اَصْحابُ النّارِ هُمْ فيها خالِدُون﴾(1)

وجه الإستدلال بها على كفرهم ظاهر فانّ النّاكثين والقاسطين والمارقين ارتّدوا عن دينهم ومالوا على الكُفر فَحَبطت اعمالهم في الدّارين واولئك اصحابُ النّار ولا نعني بالكافر الّا من كان كذلك:

ان قلت – وايّ دليلٍ على صدق الآية عليهم فانّ الآية بصدد بيان المُرتَّد وهو اوّل الكلام:

قلت ـ امّا اوّلاً، فلأنّ، عمّار وحُذيفة وابن عبّاس والباقر والصّادق عليه السلام كلّهم قالوا، انّها نَزلت في علّيٍ قوله تعالى:**﴿يا اَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾**(2) ورُوِي عن علّيٍ يوم البَصرة واللّه ما قُوتِل على هذه الآية حتّىٰ اليوم وتلى هذه الآية ولا فرق في الآيتين مِن هذه الجَهة فان ابَيت عنه فاجَعل الثّانية موردا لِلإستشهاد بها وظاهر انّ المرتّد كافر:

ان قلت – لَعلّهُم تابوا بعد ذلك ولَم يَمُوتوا على ارتدادهم وكفرهم كما عليه الجمهور من العامّة:

قلت ـ امّا اوّلاً فلَم يَدُلّ دَليلٌ على تَوبتهم وعلى المُدّعِي اثبات ذلك وثانيا على فرض ثبوتها وقبولها فهو خارج عن مَحلّ البحث اذ الكلام في اثبات الكُفر حين القتال وهم كانوا كذلك لا حين المَوت:

والآيات التّي يمكن منها الإستدلال على المُدّعىٰ كثيرة وفيما نحن فيه كفاية:

وامّا السّنّة:

روى المَجلِسي رحمه الله في البحار باسناده عن ابي جعفر عليه السلام قال قال امير المؤمنين يا مَعشر المُسلمين قاتلوا ائمّة الكُفر انّهم لا ايمان لهم لَعلّهُم يَنتهُون ثُمّ قال عليه السلام هؤلاء القوم هُم وربّ الكَعبة يعني اهلَ صفّين والبَصرة والخوارج انتهىٰ...

١- البقره ـ ٢١٧ ٢- المائدة ـ ٥٤

رجل لعمّار يا ابا اليَقظان الَم يقل رسول اللّه قاتلوا النّاس حتّىٰ يَسلموا فاذا سَلِمُوا عُصِموا دمائهم واموالهم قال بلىٰ ولكن واللّه ما اسلمُوا ولكن استَسلَمُوا واسّروا الكفر حتّىٰ وجدوا عليه اعوانا انتهىٰ)، والأحاديث في الباب كثيرة في كتب الفريقين وفيما ذكرناه كفاية اتماما للحُجّة والزاما لِلخصم نقلناها عن «البحار ج ٨ ص ٤٥٩ و ص ٤٦٠ ط كمباني»...

وامّا الإجماع:

قال المُحقّق الطّوسي ﷺ في التّجريد مُحاربوا علّي كَفَرة ومُخالفوه فَسَقة: وقال العَلامة ﷺ في شرحه اقول المُحارب لعلّي كافر لقول النّبي ﷺ ياعلّي حَربك حَربي ولا شَك في كُفر من حارَب النّبي ﷺ وامّا مُخالفوه في الإمامة فقد اختلف قول عُلمائنا فمنهم من حكم بكُفرهم لأنّهم دَفعُوا ما عُلِم ثبُوته من الدّين ضرورة وهو النّص الجلّي الدّال علىٰ امامته مع تواتره وذهب اخرون الىٰ انّهم فَسقَة وهو الأقوىٰ الىٰ آخر ما قال: انتهىٰ.

وانا اقول، قول العَلامة ﷺ في مُخالفيه وانّ الإختلاف فيه لا في غيره دليل علىٰ انّ الحُكم الأوّل لا خلاف فيه وانّما الخلاف في الثّاني فثَبت انّ محاربيه كَفَرة بالإجماع وهو المطلوب.

وقال الشّيخ الّطوسي ﷺ في تَلخيص الشّافي عندنا انّ مَن حارب امير المؤمنين وضَرب وَجهه ووَجه اصحابه بالسّيف كافر والدّليل المُعتَمد في ذلك اجماع الفرقة المُحّقة الإمامية علىٰ ذلك فانّهم لا يختلفون في هذه المسئلة علىٰ حالٍ من الأحوال وقد دللّنا علىٰ انّ اجماعهم حجّة فيما تقّدم وايضا.

فنحن نعلم انّ من حارَبه كان مُنكرا لإمامته ودافعا لها ودفع الإمامة كفر كما انّ دفع النّبوة كُفر وساق الكلام الىٰ ان قال وان كان حَرب النّبي كُفرا وجب مثل ذلك في حرب امير المؤمنين لأنّه ﷺ جعَله مثل حَربه الخ اقول يظهر من كلام الشّيخ ﷺ وهو من اساطين الفقه والحديث ورُكن الشّيعة ومُعتَمدها، انّ المنكِر لإمامته ايضا كافر فضلاً عن مُحاربيه وكثير من الأصحاب وافقوه فيه ايضا ولنا

اذا كان الباطل بصدد امحاء الحَقّ واضمحلاله كما في المفروض فثبت بهذه الأدلّة انّ القوم كانوا من اهل القِبلة لصَومهم وصَلْوتهم بظاهر الأمر وامّا الإسلام واقعا فلا نعم لو قلنا بانّ الإسلام عبارة عن مُجّرد التّلفظ بالشّهادتين وان كان المُقّر مُخالفا لها بقلبه فلا مشاحة في صدق الإسلام عليهم لَفظا ولا يَبعد ان يكون هذا هو المِعيار في طَهارتهم وَهذا الإسلام خارج عن محلّ البحث اذ يمكن الجمع بينه وبين مُخالفة الرّسُول ايضا اذ المفروض في صحّة صدقه هو مُجّرد التّلفُظ وهو لا ينافي كون العَمل بخلافه فتّامل.

▫ **قوله ﷺ: وَلَا يَحْمِلُ هٰذَا الْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ وَالْصَّبْرِ وَالْعِلْمِ بِمَوَاقِعِ الْحَقِّ...**

فهو صَحيحٌ خصوصا بعد ماذكرناه من ابهام حال هؤلاء القوم من جهة الإسلام والكُفر وصِدقه عليهم ظاهرا وعدم صِدقه عليهم باطنا ومن المعلوم انّ من كان كذلك لايَعرفه الّا من كان له بَصيرة في دينه وامّا العوامّ فليس لهم هذا الشّان فيحصل لهم الشّك في مخالفتهم فَضلاً عن قتالهم وحَربهم الا ترىٰ انّ كثيرا من اصحابه ﷺ كانوا من الشّاكين فيهم ولا سِيَما بالنّسبة الىٰ الخوارج لكونهم مُتظاهرين بالشّرع اكثر من تظاهر اصحاب معاوية واصحاب الجَمَل به ولأجل هذه الدّقيقة قال ﷺ ولا يَحمل هذا العَلَم اعني علم الحَرب مع هؤلاء الّا اهل البَصَر اي اهل البَصيرة واهل الصَّبر:

والفرق بينهما انّ اهل البَصيرة في الدّين لايخفىٰ عليهم شئ من مكر هؤلاء واستتارهم الكُفر في ضمائرهم وامّا اهل الصَّبر عبارة عمَّن ليس له هذه البَصيرة في باديْ الأمر ولكنّهم بسبب الصَّبر يَتضح الحال لهم بعدُ والفرق بين المَوردين ممّا لايخفىٰ علىٰ المتامل وان شئت التّوضيح مَزيدا عليه فنقول النّاس في مجاري الأُمور علىٰ اصناف ثلاثة:

احَدُها: من كان بصيرا بالحقائق عالما بالدّقائق حكيما ينظر الىٰ بواطن الأشياء والحوادث بالنّظر العرفاني لا بالنّظر الظّاهري السّطحي وهؤلاء وان كانوا قليلين في كلّ عصرٍ وزمان الّا انّهم موجودون لا يمكن انكار وجودهم

▫ قوله عليه السلام: **وَلاَ تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّىٰ تَتَبَيَّنُوا فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً...**

اي ولا تعجلوا في امرٍ من امور الدنيا حتىٰ تبينوا فيه وتعلموا صحته وعدم صحته وذلك لأنّ العجلة من الشيطان مضافا الىٰ انّ لنا مع كل امرٍ تنكرونه بزعمكم غِيرا اي تغييرا وتبديلاً لا يخلوا من ان يكون موافقا لكم او لايكون وانّما قيدنا عدم التعجيل بالأمور لأنّ العجلة في الخيرات وكل ماهو منوطٌ بالآخرة لاذمّ لها كما قال الله تعالىٰ: **﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾** (١)

▫ قوله عليه السلام: **أَلَا وَإِنَّ هٰذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ...**

اي واعلموا انّ هذه الدُّنيا الدّنية التي اصبحتم تتمنونها وترغبون فيها بالوصول الىٰ مشتهياتها والبلوغ الىٰ آمالها والحال انّها اي الدّنيا اصبحت تغضبكم وترضيكم وحاصل هذا الكلمات انّ الدّنيا التي تطلبونها وان كانت ترضيكم في بعض الأوقات وبالنّسبة الىٰ بعض الأشخاص الّا انها تغضبكم قطعا فلا ينبغي لكم الإعتماد عليها وانمّا مثلها مثل الصّياد الّذي يتشبث بكلّ حيلةٍ في اصطياده للحيوانات:

▫ قوله عليه السلام: **لَيسَت لِدَارِكُمْ وَلَا مَنْزِلِكُمْ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ...**

اي الدّنيا التّي هذا شانه ليست بداركم ولا منزلكم الّذي خلقتم له وذلك لأنكم خلقتم لِلبقاء لا لِلفناء والدُّنيا دار فناء لا دار بقاء فمن كان فيها ايضا كذلك والىٰ هذا المعنىٰ اشير في الكتاب، بقوله تعالىٰ: **﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾** (٢)

وايضا لا تكون الدُّنيا داركم ومنزلكم الّذي دعيتم اليه بل الّذي دعيتم اليه هو الآخرة ومقاماتها العاليه والدّاعي اليها هو الله تعالىٰ ورسله كما اشار اليه في الكتاب بقوله: **﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** (٣)

١- آل عمران ـ ١٣٣
٢- الرحمٰن ـ ٢٦
٣- يونس ـ ٢٥

اي اذا عرفتم الدّنيا وحالاتها فدَعُوا واترِكوا غرُورها اعني ما فيها من النِّعَم الحِسية لِتَحذيرها اي لشَّرها الّذي حَذَّرتكم عنه اذ في دَوران الأمر بين الأخَذ بما لا حقيقة له وتَركه فالتَّرك اولىٰ وذلك لأنّ في الأخَذ به والإعتماد عليه تَضييعٌ للعُمر والقاءٌ للنفس في التَّهلُكة وقد قال الله تعالى:﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (١) واتركوا ايضا اطماعها بما فيها لأجل تخويفها آيّاكم عن شُرُورها وسُمومها الموجود في بطنها، وسابقوا فيها اي في الدّنيا الىٰ الدّار الّتي دُعيتم اليها وهي الآخرة، فان السّابقين السّابقين اولئك المُقَّربون في جنّات الخلد والتَّعبير بالسَّبقة اشارة الىٰ قوله تعالى:﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (٢)

و : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (٣)

و : ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ (٤)

و : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (٥)

□ وقوله ﷺ: **وَانْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا وَلَا يَخِنَّنَّ أَحَدُكُمْ خَنِينَ الْأَمَةِ عَلَى مَا رُوِيَ عَنْهُ مِنْهَا...**

اي واعرِضُوا بقلُوبكم عن الدّنيا لا بلسانكم فانّ الإعراض باللّسان مع توجّه القلب ورغبته دليلٌ على النّفاق والمُنافق في الدَّرك الأسفل من النّار ويمكن ان يكون المراد انّ القَلب مَحل الحُبّ والبُغض بالنّسبة الىٰ كلّ شيٍ وامّا اللّسان فهو مُظهِرٌ عمّا فيه وعليه فاذا تحقّق الإعراض القلبي عن الشّئ فهو يكشف عن عدم حُبّه له وهو بعينه مصّداق البُغض لعدم الواسطة بينهما فاذا كان الإنسان مُعرِضا ومُنصرفا بقلبه عن الدّنيا فهو يبغضها لا محالة ويَتبعه العَمَل بعد ذلك فلا يَعمل لها ولا يَركن ولا يعتمد عليها ولا نعني بترك الدّنيا الّا هذا وامّا قوله ﷺ: **وَلَا يَخِنَّنَّ** موّكدا بالنّون ففيه ايماء الىٰ اهمّية المَوضوع والحَنين الإضطراب علىٰ ما فات او غاب ومعناه لا يَضطرب احدكم البتّة كما تَضطرب

١- البقره - ١٩٥
٢- سورة الحديد آية ٢١
٣- الواقعة - ١١/١٠
٤- العنكبوت - ٣٩
٥- الانبياء - ١٠١

والصّبر على المَعصية، والصّبر على المُصيبة وقد مَرّ الكلام فيها مُفصّلاً وقوله عليه السلام: **وَاسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ اللّٰهِ** الخ معناه انّ اللّه لا يُتّم نعمَته على عَبده الّا بصَبره على طاعته فمن كان طالبا له فليَصّبر عليها ومن لَم يَصبر عليها تَزول النّعمة عنه لا محالة وقوله عليه السلام: **وَالْمُحَافَظَةِ** الخ الواو لِلعطف وهو معطوف على قوله طاعة اللّه والمعنى انّ اتمام النّعمة من الله تعالى على العبد يَتوقف على الصّبر في طاعته والمحافظة على ما يَلزم له من كتابه علما وعملاً او المعنى انّ من صَبَر على طاعة اللّه وحفظ من كتاب اللّه ما استَحفظ بالعلم والعَمَل فقد تَمّت نعمة اللّه عليه والمآل واحد:

▫ **قوله عليه السلام: اَلاَ وَاِنَّهُ لاَ يَضُرُّكُمْ شَيْءٌ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ...**

ثم نَبَهّهم على انّ الأصل هو حِفظ الدّين لا حِفظ الدّنيا اذ الدّنيا فانية لا محالة فاذا فاتت فاتَت وامّا الدِّين فليس كذلك فانّ فوته يُوجب هلاكه في الدّارين ولا خُسران اكبر واعظَم منه وهو واضح وانّما قال عليه السلام قائمة دِينكم ولَم يقل بعد حفظكم دينكم لِلإشارة الى انّ الواجب في المقام هو حِفظ القائمة التّي هي الأصل لِلدّين لا حِفظ الدّين بدونها: وتَوضيحه انّ الدّين عبارة عن مجموع الأحكام من الصّلوة والصّوم والحجّ وغيرها وحفظها عبارة عن الإتيان بها والمُراعاة عليها، وامّا قائمة الدّين التّي يتوقف الدّين الصّحيح عليها فهو عبارة عن الإعتقاد بالتّوحيد والرّسالة والأمامة فالإتيان بالأحكام مع عدم الإعتقاد كذلك لاعبرة به وان شئت فعَبّر عن القائمة باصول الدّين فالحافظ على الأحكام بما هي هي مع عدم الحِفظ على القائمة لا دين له واقعا ويَفصح عن هذا المعنى ماروي عن الصّادق عليه السلام انّه قال:

بُني الإسلام على خمس، على الصّلوة والصّوم والزّكوة والحجّ والولاية ومانُودِي بشيٍ منها كما نُودي بالولاية فاخذوا بالأربع وتَركُوها انتهى وقد رواه في الوسائل:

ويظهر منه انّ القائمة الأصليّة في الكلّ هي الإمامة فهي القُطب والباقي

و: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِى الْبَاْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَاْسِ﴾ (١)

و: ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (٢)

و: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ (٣) والآيات كثيرة.

ومن الأخبار مارواه الطّبرسي في مشكاة الأنوار عن الصّادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي على النّاس زمان لا ينال فيها الملك الاّ بالقتل والتّجبر ولا الغنىٰ الاّ بالغضب والبُخل ولا المحبّة الاّ باستخراج الدّين واتّباع الهوىٰ فمن ادرك ذلك الزّمان فَصَبر علىٰ البغضة وهو يقدر علىٰ المحبّة وصَبَر علىٰ الفقر وهو يقدر علىٰ الغِنىٰ وصَبَر علىٰ الذّل وهو يقدر علىٰ العِزّ اتاه الله ثواب خَمسين صِدّيقا مِمَّن صّدق به انتهىٰ «ص ١٩»...

ومنها - ما رواه ايضا فيه عن الرّضا عليه السلام عن ابيه عليه السلام قال امَرني ابي يعني ابا عبد الله عليه السلام ان اتىٰ المُفضّل بن عُمر فاعزّيه باسماعيل وقال اقرا المفضّل السّلام وقل له انّا اصِبنا باسماعيل فصَبَرنا فاصَبر كما صَبَرنا انّا اذا اردنا امرا واراد الله امرا سلّمناه لأمر الله انتهىٰ «ص ٢٠»...

ومنها ـ مارواه فيه ايضا عن ابي عبد الله قال الصَّبر راس الإيمان انتهىٰ «ص ٢١»...

ومنها - قال امير المؤمنين عليه السلام وُكِلَ الرّزق بالحُمق وَوُكِلَ الحِرمان بالعَقل ووُكِلَ البَلاء باليَقين والصَّبر انتهىٰ «ص ٢١»...

ومنها - مارواه عن مِهران قال كَتبت الىٰ ابن الحسن اشكو اليه الدّين وتغيّر الحال فكتب لي اصِبر تُؤجَر فانّك ان لَم تَصبر لَم تُؤجر ولم تَرّد قَضاء الله عزّ وجلّ انتهىٰ« ص ٢١»...

ومنها - قال امير المؤمنين عليه السلام الصَّبر صبران صَبر عند المُصيبة حَسنٌ جميل واحَسن من ذلك الصَّبر عند ماحرّم الله عليك والذّكر ذكران ذكر الله

١- البقرة ـ ١٧٧

٢- النّحل ـ ١٢٦

٣- محمد ـ ٣١

(۱۷۳) ومن كلام له عليه السلام
فى معنى طلحة ابن عبيد الله

◻ قوله عليه السلام: قَدْ كُنْتُ وَمَا اُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ وَلاَ اُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ وَاَنَا عَلَىٰ مَاقَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ. وَاللّهِ مَااسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمانَ اِلَّا خَوْفاً مِنْ اَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ لاَنَّهُ مَظِنَّتُهُ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ اَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ فَاَرَادَ اَنْ يُغَالِطَ بِمَا اَجْلَبَ فِيهِ لِيَلْتَبِسَ الْاَمْرُ وَيَقَعَ الشَّكُّ. وَوَاللّهِ مَا صَنَعَ فِي اَمْرِ عُثْمانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلاَثٍ: لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِماً كَمَاكَانَ يَزْعَمُ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ اَنْ يُوَازِرَ قَاتِلِيهِ وَاَنْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُوماً لَقَدْكَانَ يَنْبَغِي لَهُ اَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنَهْنِهِينَ عَنْهُ وَالْمُعَذِّرِينَ فِيهِ. وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ لَقَدْكَانَ يَنْبَغِي لَهُ اَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ جَانِباً وَيَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلاَثِ وَجَاءَ بِاَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ.

◁ **اللغة**

(اهَدَّد) من التّهديد بصيغة المتكلّم وحده مَجهولاً (اُرَهَّبُ) من الرّهيب، ايضا كذلك، (ليلتبس) اي لِيَشتبه فانّ التّلبيس ايجاد الشُّبهة بقولٍ او فعلٍ (يُوَازِر) من وازَرَ يُوازر، اذا ساعَده وعاوَنه (يُنَابِذَ) من نابَذ يُنابذ، اذا عانَده وتركَه (الْمُنَهْنِهِينَ) من نَهنه ينُهنه، كدحرَج يُدحرج اي كَفَّه ومَنَعه:

والتّرهيب انّما هو للجبان وذلك لأنّي قد كنت قبل ذلك في الحُروب الكثيرة وارتَضعتُ من لَبن السّيف والسّنان وما اهَدَّد بالحَرب قَطّ ولا ارَهَّب بالضَرب بالسّيف والسّنان ابدا والحاصل انّي لا اخاف من الحَرب اقول – وكيف يَخاف من التّهديد والتّرهيب من قَتَل في يوم بَدر خَمسا وثلاثين مُبارزا دون الجرحىٰ علىٰ قول العامّة كلّهم كانوا اشَجع من الزّبير وطَلحة وامثالهما وقتل بضعة واربعين رجلاً منهم وهو الّذي قَتَل في يوم احد كَبش الكَتيبة طَلحة ابن ابي طَلحة وابنه ابا سعيد واخوته خالدا ومخَلدا وكلدة والمحالس وعبد الرّحمٰن ابن حميد ابن زُهرة وهكذا سوىٰ من قتلهم بَعد ما هَزمهَم وفي يوم الأحزاب عَمرو بن عبدود وولده ونُوفل ابن عبد اللّه ابن المُغيرة ومُنبه ابن عثمان الصّدري وهُبيرة ابن ابي هُبيرة المخزومي وصاحب الرّياح وانهَزم الكُفّار:

وفي يوم حُنين قتل اربعين رجلاً وقتل فارسهم ابو جَرَول وانّه ﷺ قدّه وقَطَعه بنصَفين بضربة في الخَوذة والعمامة والجَوشن والبَدن الىٰ القربوس وقد اختلفوا في اسمه:

ووقف ﷺ يوم حُنين في وسط اربعة وعشرين الف ضارب سيف الىٰ ان ظَهَر المَدَد من السّماء:

وفي غزاة السّلسلة قتل السّبعة الأشدّاء وكان اشدّهم آخرهم وهو سعيد ابن مالك العجلي وفي بني نضير قتل احَدَ عَشر منهم غرورا وفي بني قريظة ضَرِب اعناق رؤساء اليَهود مثِل حُي ابن اخطب وكعب ابن الأشرف وفي غزوة بني المُصطلق قتل مالِكا وابنه وهكذا في سائر الغزوات:

وقد اشتَهر انّه كانت لعلّي ضَربتان، اذا تَطاوَل قدٌ واذا تَقاصر قَطٌ، وقالوا كانت ضرباته ابكارا اذا اعتلىٰ قدٌ واذا اعترض قَطٌ واذا اتىٰ حِصنا هَدٌ، وقالوا ضرَباته مُبتكرات لا عونا والعَونَ التّي وقَعت مُختلسة فاحوَجت الىٰ المُعاودة، زَعمت الفرس انّ اصول الضّرب ستّة كلّها ماخوذة عنه وهي علوية وسفلّية وغلبة وماله وجاله وجرهام:

لَم يَقترب يوم حَرب لِلكمّي به | الّا وقَرَّب منه مدّة الأجل
كم كُربةٍ لأخيه المُصطفى فرجت | به وكان رهين الحادث الجلل

الناشي :

وافى علّيُ وعَمروُ في وقائعه | حتّىٰ اذا مارآه حار واضطربا
واستَعمل الصَّمت حتّىٰ لامه عُمر | فقال يؤمي اليه وهو قد رعبا
هذا احاديثه من عظمها اكَلَت | كلّ الأحاديث حتّىٰ انّه رهبا
هذا الّذي تَرك الألباب حائرة | وابَلَس العُجم بالأقدام والعُربا
في كفّه كنت ماسورا فاطلعني | فقد غدوت علىٰ شكري له حَذَبا

وقضاياه في الحُروب مَشهورة وهذا هو الّذي هَدَّدُوه ورَهّبوه بالطّعن والضَّرب والىٰ ما اشِرنا اليه في شجاعته وشهامته في الحُروب اشار ﷺ بقوله قد كُنت وما اهَدّد بالحَرب ولا ارَهّبُ بالضَّرب.

▫ **قوله ﷺ: وَاَنَا عَلَىٰ مَاقَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ...**

الواو للحال والمعنىٰ قد كُنت كذلك والحال انّي علىٰ ما وعَدَني ربّي من النُّصر والمقصود من ذكر هذا الكلام هو انّي لَم اعتمد في الحُروب علىٰ شجاعتي بل اعتمدت علىٰ ربّي والآن ايضا كذلك وذلك لأنّ امير المؤمنين كان في جميع اموره مُتوكلاً علىٰ اللّه وتسليما له ولم يُقدم علىٰ فعل من افعاله ولا علىٰ قولٍ من اقواله الّا وراعىٰ فيه رضا، اللّه فقط وهو ممّا اتّفق عليه الكلّ فقوله انا علىٰ ما وَعَدني ربّي اشارة الىٰ انّ العبد كائنا من كان يَنبغي ان يَستّمد في اموره من اللّه تعالىٰ ولا يَعتمد علىٰ قُدرته وشجاعته فانّه اي العبد اذا كان كذلك كان اللّه له كما قال تعالىٰ في كتابه: ﴿وَنَصرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الغَالِبِينَ﴾ (١)

و: ﴿ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ اَقدَامَكُمْ﴾ (٢)

و: ﴿ اِنَّا لِنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ (٣)

١- الصافات ـ ١١٦
٢- محمد ـ ٧
٣- غافر ـ ٥١

(لِيَلتبس الأمر على صاحب المال او الحاكم ولأجل هذا اوضح عليه السلام كلامه وقال:

◻ **قوله عليه السلام: وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيَلْتَبِسَ الْأَمْرَ وَيَقَعَ الشَّكُّ...**

ولم يكن في القوم اي اصحاب الجَمَل احرَص على قتل عُثمان منه اي من هذا المُجِّد المُستعجل الطالب بدَمه، فاراد بفعله هذا ان يُغالط بما اجلب فيه على النّاس ليَشتبه الأمر عليهم ويَقعهم في الشّك في قتله عثمان وهو دَليل على نِفاقه وما ذكره عليه السلام في المقام صِدْقٌ وحَقٌّ لا مَرية فيه وذلك لأنّ عائشة او طلحَة او الزّبير او ما شِئت فسمّه اوقدوا نار الحَرب بهذه المُغالطة واوقعوا الجّهال الّذين تخيّلوا انّهم يَطلبُون بدَم عثمان ولَم يَعلموا انّهم صاروا باعِثين على قتله في مَعركَة الحَرب مع امام زمانهم الّذي حَربه حَرب اللّه وسِلمه سِلمه فطافوا حَول الجَمَل المَلعُون كما يَطوفون النّاس حَول الكعبة ظَنًّا منهم انّهم يُحسنُون صَنعا وهذا هو شان المُنافق في كلّ عصرٍ كما لا يخفى:

◻ **قوله عليه السلام: وَوَاللَّهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلاثٍ...**

كلمة (ما) نافية والمعنى انّ الشّخص الّذي يَطلب بدَمه ما صَنَع في امره واحدةً من الأُمور الثّلاثة الّتي لا يخلُو الأمر من احَدها بالنّسبة اليه وبعبارةٍ اخرى ما صنَعَ واحدةً منها مع انّه كان مُوظّفا، بها لا محالة اذ الأمر لا يخلُو منها وهي اعني الأُمور الثّلاثة:

احدها قوله عليه السلام: **لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِماً كَمَا كَانَ يَزْعَمُ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ قَاتِلِيهِ وَأَنْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ...**

اي ان كان عثمان ظالما في حكُومته كما كان يزعم ولذلك كان حَريصا على قتله فينبغي له ان يُوازر ويُساعد قاتليه ويُعاند ناصِريه اذ المفروض انّه كان ظالما ويَجب على كلّ مؤمن باللّه وبرسُوله دَفع شرّ الظّالم ويَحرم عليه

فَلِم لَم يَنصُر الطّالب قاتليه وكيف يَطلب الأن بدَمه مع انّ دَم الظّالم لا يَطلب فهو اي الطّالب بتَركه نُصرة القاتلين صار فاسِقا وبطلبه الدّم زاد علىٰ فِسقه فسقا آخر وهو مع ذلك كاذب في قوله فليس له حقّ بالمُطالبة اصلاً.

وان كان عثمان مظلوما فَلِم لم يُعينه ولم يَنصره مع انّ الإعانة كانت واجبة عليه ثُمّ كيف يُطلَب بِدَمه وان كان امر عثمان مشتبها فَلِم لَم يَعتزل النّاس، فالطّالب بالدّم كاذب في ادّعائه وهو المطلوب فثَبت انّهم كانوا من المُنافقين المُفسدين في الأرض الّذين اذا قيل لهم لا تُفسدوا في الأرض قالوا انّما نحن مُصلحون الّا انّهم هم المُفسدون في الأرض وانّما دعاهم الىٰ ذلك عدم الإيمان وحُبّ الجاه والمقام والبُغض والحَسَد بالنّسبة الىٰ الوصّي وسَيَعلم الّذين ظَلَمُوا اي مُنقلبٍ يَنقلبُون.

وكفىٰ في نِفاقهم ماذكره المؤرّخون انّهم لمّا نزلوا الخريبة قصدهم عثمان ابن حنيف عامل علّي بالبَصرة وحاربهم فتَداعوا الىٰ الصّلح فكتبُوا بينهم كتابا انّ لعُثمان دار الإمارة وبيت المال والمَسجد الىٰ ان يَصِل اليهم علّي عليه السلام فقال طلحة لأصحابه في السّر واللّه لأن قدم علّي البَصرة لتؤخذنّ باعناقنا فاتّوا علىٰ عثمان بياتا في ليلةٍ ظلماء وهو يُصّلي بالنّاس العِشاء الآخرة وقتلوا منهم خَمسين رّجلاً واستاثروه ونَتَفُوا شَعره وحَلَقُوا راسه وحَبَسُوه ثُمّ بَعثا اعني الزّبير وطَلحة عبد اللّه ابن الزّبير في جماعة الىٰ بيت المال فقَتل ابا سالما الزطي في خَمسين رجلاً وهكذا.

والعَجَب كلّ العَجَب كون هؤلاء الأشرار من اهل الجَنّة علىٰ قول العامّة بناءِ علىٰ حديثٍ رَوَوه عن النّبي صلى الله عليه وآله، وقد قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾**(١)

نعم حُبّ الشّيْ يُعمي ويُصّم قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله حُبّ الدّنيا راس كلّ

١- نساء-٩٣

ومن خطبة له عليه السلام (١٧٤)

▫ قوله عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ الغافلون عَنّي غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ وَالتَّارِكُونَ الْـمَاخُوذَ مِنْهُمْ مَالِي اَرَاكُمْ عَنِ اللّٰهِ ذَاهِبِينَ وَاِلَىٰ غَيْرِهِ رَاغِبِينَ كَاَنَّكُمْ نَعَمٌ اَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ اِلَىٰ مَرْعىً وَبِيٍّ وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ وَاِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَىٰ لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا اِذَا أُحْسِنَ اِلَيْهَا تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا شِبَعَهَا اَمْرَهَا وَاللّٰهِ لَوْ شِئْتُ اَنْ اُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَانِهِ لَفَعَلْتُ وَلَكِنْ اَخَافُ اَنْ تَكْفُرُوا فِي بِرَسُولِ اللّٰهِ صلى الله عليه وآله.

اَلَا وَاِنِّي مُفْضِيهِ اِلَىٰ الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذٰلِكَ مِنْهُ وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ وَاصْطَفَاهُ عَلَىٰ الْخَلْقِ مَااَنْطِقُ اِلَّا صَادِقاً وَقَدْ عَهِدَ اِلَيَّ بِذٰلِكَ كُلِّهِ وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ وَمَنْجَىٰ مَنْ يَنْجُو وَمَالِ هٰذَا الْأَمْرِ. وَمَا اَبْقَىٰ شَيْئاً يَمُرُّ عَلَىٰ رَاْسِي اِلَّا اَفْرَغَهُ فِي اُذُنَيَّ وَاَفْضَىٰ بِهِ اِلَيَّ اَيُّهَا النَّاسُ وَاللّٰهِ مَااَحُثُّكُمْ عَلَىٰ طَاعَةٍ اِلَّا وَاَسْبِقُكُمْ اِلَيْهَا وَلَا اَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ اِلَّا وَاَتَنَاهَىٰ قَبْلَكُمْ عَنْهَا.

◁ اللغة

(نَعَمٌ) محركّة الابل او هي والغنم (اَرَاحَ) ذهب (سَائِمٌ) السّائم الرّاعي (مَرْعىً) محلّ الرّعي ومكانه (وَبِيٍّ) بفتح الواو وكسر الباء الرّديّ (دَوِيٍّ) بفتح الدّال وكسر الواو الوبيل يفسد الصّحة (لِلْمِدىٰ) المِدىٰ جمع مِدية السّكين (شِبَعَهَا) الشّبع ضدّ الجُوع (مولجة) مدخلة.

◁ الشّرح

▫ قوله ﷺ: **أَيُّهَاالنَّاسُ الغافلون عَنّي غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ وَالتَّارِكُونَ الْـمَاخُوذ مِنْهُمْ...**

امّا كونهم غافلين فلأنّهم غفلوا عمّا كُلّفوا به من التّكاليف الشّرعية وما نُهوا عنه من المُحرّمات وما امِروا به من ترك الدّنيا والإعتماد عليها كما قال اللّـه تعالىٰ في كتابه: ﴿**أُولٰئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ (١)

و: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ**﴾ (٢)

و: ﴿**وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ**﴾ (٣)

و: ﴿**أُولٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ (٤)

و: ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾ (٥) وغيرها من الآيات وامّا كونهم غير المغفول عنهم فمعناه انّ اللّه تعالىٰ ليس بغافل عنهم كما دلّت الآيات عليه ايضا: قال تعالىٰ:﴿**وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ (٦)

و: ﴿**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَارَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**﴾ (٧)

و: ﴿**فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ (٨)

و: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ**﴾ (٩)

وقوله ﷺ **والتّاركُون الماخوذ منهم** فهو ايضا اشارة الىٰ امرين احدهما كونهم تاركين لمّا امِروا به وثانيهما انّهم ماخوذون لا محالة بمّا عَمِلُوا به في الدّنيا والآيات تدل عليهما:

امّا الأوّل: قال اللّه تعالىٰ:**لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ**﴾ (١٠)

١- الاعراف ـ ١٧٩
٢- يونس ـ ٧
٣- يونس ـ ٩٢
٤- النّحل ـ ١٠٨
٥- الروم ـ ٧
٦- البقرة ـ ١٤٠
٧- الانعام ـ ١٣٢
٨- هود ـ ١٢٣
٩- ابراهيم ـ ٤٢
١٠- المؤمنون ـ ١٠٠

اللّه التي بلّغها الرّسول اليهم ومنها مسئلة الخلافة ومن اعرض عن حكم الرّسول ورغب الىٰ حكم الشّيطان فقد اعرض عن حكم اللّه واقعا لأنّ الرسول ما يَنطقُ عن الهوىٰ ان هو الّا وحيٌ يُوحىٰ، ولقوله تعالىٰ:﴿مٰاآتٰاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمٰانَهٰيكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (١)

□ قوله عليه السلام: كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إِلىٰ مَرْعىً وَبِيٍّ وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ...

النَّعَم، بفتح النون والعين جمع لا واحد له ويقال انّ اكثر اطلاقه علىٰ الإبل وقيل يطلق عليها والغنم شبّه عليه السلام هؤلاء بالإبل والغَنَم ثُمّ اثبت لهم سائِمٌ وهو الرّاعي واثبَت ايضا لهم مَرعىٰ اي مكان الرّعي ومَشرَبا وهو مكان الشُّرب ووَصف المَرعىٰ بالوَبِيّ وهو بفتح الواو وكسر الباء والياء المشدّدة وهو ذو الوباء والَمَرض ووصَفَ المَشرب بالدَوِيّ، وهو بفتح الدال وكسر الواو، ثُمّ الياء المشدّدة وهو فاسد الجَوف من الدّاء وفي الحقيقة هنا استعارات:

وتوضيح كلامه عليه السلام هو انّ الرّاعي ينبغي ان يكون عارفا بالمَرعىٰ والمَشرَب وكيفيّة الرّعي ومصالحه ومفاسده ونفعه وضّره وان لا يغفل عن النَّعَم صَونا لَها عن الخطر فاذا كان المَرعىٰ وبيّا والمَشرَب دَويّا يجب عليه منعَهما عنهما لئلا تقَع النَعَم في الهلكة وصار مَسئولاً لا يُصاحبها وهو ظاهر:

وحيث انّ الإمام بالنّسبة الىٰ المأموم كالرّاعي لهم واللّه تعالىٰ خالقهم وصاحبهم فَوَّض اليه امرَهم في امر دينهم ودُنياهم وَجعَله مَسئولاً لقوله صلى الله عليه وآله كلّكم راعٍ وكلّكم مَسئُولٌ عن رعيّته فينبغي له التَّحفُظ عليهم وان لا يغفل عنهم لئَلا يقعوا في الضّلالة والغواية ومن ليس كذلك فهو ليس بامامٍ واقعا اذا عرفت هذا فنقول:

كلامه عليه السلام يدّل علىٰ انّ النّاس بعد الرّسول انحَرفوا عن الصّراط المُستقيم ووَقعوا في التّيه والحيَرة في دينهم وصاروا كالمَسمُوم في الأكل والشُّرب في دنياهم لِعَدَم تطابق اعمالهم واقوالهم الشّرع:

١- حشر- ٧

وسعادته وشقاوته وغير ذلك من الأُمور الواقعة لفَعَلتُ اي لأخبرْت وفي هذا الكلام نَصّ علىٰ كونه عليه السلام عالما بجميع الأُمور ولا يخفىٰ عليه شيٌ وَرَدٌ علىٰ من ظَنّ انّه عليه السلام كان كاحد من النّاس غير عالم بالغَيب والكلام يَقع في مقامين احدهما سِعَة علمه وانّه كان عالما بكلّ شيٍ وثانيهما علمه بالغَيب كما كان عالما بالمَشهُودات والمَحسُوسات:

امّا المقام الأوّل فيمكن ان تَستدل عليه بالأدلّة الأربعة، الكتاب والسّنة والإجماع والعقل: امّاالكتاب – قال اللّه تعالىٰ ﴿ **وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ** ﴾[1] تقريب الإستدلال بها انّ الشّيٍ عامّ واللّه تعالىٰ احَصاه في امامٍ مُبين فالإمام عالم بكلّ شيٍ وقد ثَبَت انّ امير المؤمنين عليه السلام كان اماما فكان عالماً بكلّ شيٍ وهو المطلّوب:

امّا كون الشّيٍ من امور العامّة فلا شّك فيه وامّا كونه عليه السلام اماما فلمّا ثَبَت عقلاً ونقلاً فصُورة القياس هكذا امير المؤمنين كان اماما بعد الرّسُول وكلّ امام احَصىٰ اللّه فيه كلّ شيٍ فَعِلَيّ احَصىٰ اللّه فيه كلّ شيٍ والإحصاء التّفصيل بالعَدد او التّحصيل بالعدد قال تعالىٰ واحصىٰ كلّ شيٍ عَددا، اي حَصلّه واحاط به فاحصاء كلّ شيٍ في الإمام من اللّه تعالىٰ جَعله مُحيطا بكلّ الأشياء فلو فَرضنا احاطة الإمام بشيٍ.

دُون شيٍ لمّا صَّحَ ان يَقال كلّ شيٍ احصَيناه فيه ضرورة عدم صدق البعض علىٰ الكلّ قال الفيض في الصّافي روى القُمي في تفسيره اي الكتاب المُبين، وعن امير المؤمنين عليه السلام انّه قال انا واللّه الإمام المبين ابَيّنُ الحقّ من الباطل، وفي المعاني عن الباقر عليه السلام عن ابيه عن جدّه قال لمّا نزلت هذه الآية علىٰ رسُول اللّه صلى الله عليه وآله وكلّ شيٍ احَصيناه في امامٍ مُبينٍ قام ابو بكر وعُمر من مجلسهما وقالا يارسُول اللّه هو التّوراة قال صلى الله عليه وآله لا قالا هو الأنجيل قال صلى الله عليه وآله لا قالا فهو القرآن قال صلى الله عليه وآله لا فاقبل امير المؤمنين عليه السلام فقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله هو هذا انه الإمام الّذي

١- يس ـ ١٢

الیٰ الشّيْ فرعٌ علیٰ معرفته فمن لا یعرف الشّيْ کیف یَهدي النّاس الیه وحیث ثبت کونه هادیا بامر من اللّه تعالیٰ فهو عالم بکلّ شيْ وهو المطلوب ان قلت انّ کان الأمر کما ذکرت من کون الهادي عالما بکلّ شيْ یَلزم ان تَنحصر الهدایة بعد الرّسُول فیه ﷺ وفي اولاده المعصُومین لعَدم القول بالفصل مع انّه لیس کذلك.

قلت ـ الهدایة مَقولة بالتّشکیك شِدّةً وضَعفا وکمالاً ونقصا والمَرتَبة الشّدیدة منها في الرّسُول والإمام بعده والمَرتبة الضّعیفة في سائر النّاس فاطلاق الهادي علیٰ غیرهم یَصح بالنّسبة الیٰ ما یَعرفونه من موارد الهدایة وامّا الهادي بمعناه الحقیقي الکامل فلا یطلق علیٰ غیر النّبي والوصّي:

والملاك الأصلي في الهدایة هو المعرفة فکلّ هادٍ یهدي الیٰ ما یعرفه وامّا الّذي لا علم له به ولا یعرفه فکیف یعقل ارشاده النّاس الیه اذا عرفت هذا فنقول:

کلمة (انّما) تدّل علیٰ حصر المُنذر في الرّسُول وحصر الهادي في علّي ومعنیٰ الحَصر انّه لا انذَر ولا اهدیٰ منهما وهو یدل علیٰ انّ الرّسُول کان واجدا اعلیٰ مَراتب الإنذار وعلّيٌ ﷺ اعلیٰ مراتب الهدایة ومن کان کذلك فلا بدّ له من العلم بطرق الإنذار والهدایة فهما کانا عالمین بهما ومن طرق الهدایة ارشاد الجّهال والعوام الیٰ التّفقّه والعلم في جمیع الشّئون فمن جهل بشيْ لا یصلح لهذا الوَصف فلا یصلح اطلاق الهادي علیه بلا قید ولا شرط فثبت أنّه ﷺ کان عالما بالأشیاء وهو المطلوب ومنها قوله تعالیٰ: **﴿فَاسْئَلُوا اَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾**(١) دلّت الآیة علیٰ وجوب السُّؤال من اهل الذِّکر في صُورة الجهل وعلّيٌ کان من اهل الذّکر ومن کان کذلك یجب ان یکون عالما بکلّ شيْ فهو ﷺ کان عالما بکلّ شيْ وهو المطلوب: امّا وجوب السُّؤال عن اهل الذّکر فهو صَریح الآیة لا یحتاج الیٰ دلیل وامّا انّ علّیا ﷺ کان من اهل الذّکر فقد رواه

١- الانبیاء ـ ٧

و : ﴿ثُمَّ اَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (١)

و : ﴿كَفَىٰ بِاللَّهُ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (٢)

و : ﴿وَتَعِيَهَا اُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ (٣)

و : ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ اِلَى الرَّسُولِ وَالَىٰ اُولِي الْاَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (٤)

و : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَاوِيلَهُ اِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (٥) فهذه الآيات وغيرها ممّا لَم نذكره نصوصات علىٰ كونه عليه السلام عالما بكلّ شيءِ باذن ربّه وما ثَبت له عليه السلام ثبت لِلأئمّة بعده لعدم القول بالفصل هذا:

وامّا السّنّة: فمن طرق العامّة:

روى الخوارزمي في المناقب باسناده عن ابي صالح الحَنَفي قال قال علّيّ عليه السلام قلت يا رسُول اللّه اوصني فقال قُل ربّي اللّه ثُمّ استتم فقلتها وزدت وما توفيقي الّا باللّه عليه توكّلت واليه انيب فقال صلى الله عليه وآله ليهنك العلم ياابا الحسن لقد شربت العلم شربا ونهلته نهلاً انتهىٰ« ص ٤١»...

باسناده عن الحَرث الأعور صاحب راية علّي ابن ابي طالب قال بلغنا انّ النّبي كان في جمع من اصحابه فقال اريكم آدم في علمه ونوحا في فهمه وابراهيم في حكمته فلم يَكن باسرع من ان طَلع علّي فقال ابو بكر يا رسُول اللّه اقستَ رجالاً بثلاثة من الرُّسُل بَخ بَخ لهذا الرّجل من هو يا رسُول اللّه قال النّبي او لا تعرفه يا ابا بكر قال اللّه ورسُوله اعلم قال هو ابو الحسن علىٰ ابن ابي طالب عليه السلام فقال ابو بكر بخّ بخّ لك يا علّي (يا ابا الحسن) ومن مثلك (واين مثلك) يا ابا الحسن انتهىٰ« ص ٤٥»...

باسناده عن سعيد ابن المُسيّب قال ما كان في اصحاب النّبي احد يقول سَلُوني غير علّي ابن ابي طالب انتهىٰ« ص ٤٦»...

١- فاطر ـ ٣٢
٢- رعد ـ ٥٠
٣- الحاقه ـ ١٢
٤- نساء ـ ٨٣
٥- آل‌عمران ـ ٧

ابن داوّد عليه السلام كان يفهم مَنطق الطّير هل لكم هذه المنزلة قال عليه السلام انّ سليمان ابن داوّد عليه السلام غَضب الهُدهُد لأنّه يعرف الماء ويدل علىٰ الماء ولا يعرف سليمان الماء تحت الهواء مع انّ الرّيح والنّمل والأنس والجنّ والشّياطين والمَردة كانوا له طائعين وانّ اللّه يقول في كتابه:﴿وَلَوْ اَنَّ قُرانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ اَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ اَوْ كُلِّمَ بِهِالْمَوْتىٰ﴾(١)

و: ﴿وَما مِنْ غائِبَةٍ فِي السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِلاّ في كِتابٍ مُبينٍ﴾(٢)

و: ﴿ثُمَّ اَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا﴾(٣) فنَحنُ اوَرثنا هذا القرآن الّذي فيه مايُسير به الجِبال وقُطّعت به البلدان ويحي به المَوتىٰ ويعرف به الماء واوَرثنا هذا الكتاب فيه تبيان كلّ شيّ انتهىٰ« ص ٦١»...

ولنعم ما قيل فيه:

وانّ عندك علم الكون اجمَعه	ماكان من سالفٍ منه ومؤتنفٍ
ومن حوىٰ علم الكتاب كلّه	علم الّذي ياتي وعلم مامضىٰ

وعن عطا ابن رياح انّه سُئل هل تعلم احدا بعد رسُول اللّه اعلَمَ من عليٍّ فقال لا واللّه ماعلَمه، ومن طريق الخاصّة فالأخبار كثيرة وقد مرَّ كثير منها فيما مضىٰ ولُنشِر الىٰ شطرٍ منها في المقام...

منها – ماروّاه في البحار في حديث الأصبغ الىٰ ان قال ٧انّ رسُول اللّه صلى الله عليه وآله علمّني الف باب من الحلال والحرام ممّا كان وما هو كائن الىٰ يوم القيامة كل باب يفتح الف باب فذلك الف الف باب حتّىٰ عَلِمتُ علم المنايا والبلايا والقضايا وفصل الخطاب وحتّىٰ عَلمتُ المذكّرات من النّساء والمؤنثين من الرّجال «ج ٩ – ص ٤٥٩» انتهىٰ.

وباسناده عن الحسين ابن خالد قال سالت ابا الحسن الرّضا عليه السلام عن قوله تعالىٰ:﴿اَلرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْانَ﴾(٤) قال انّ اللّه عَلّم القرآن قال قلت:﴿خَلَقَ الْإِنسانَ

١ - الرعد - ٣١
٢ - النمل - ٧٥
٣ - فاطر - ٣٢
٤ - الرحمن - ١و٢

وقال ابن العودي:

ومن ذا يُساميه بمَجدٍ ولَم يَزل — يَقول سَلُوني ما يَحِلّ ويَحرُم
سَلُوني ففي جَنبَي عِلمٌ ورثتُه — عن المُصطفىٰ مافات منّي به الضّم
ولو كشف اللّه الغطا لَم ازد بـه — يقينا علىٰ ما كنتُ ادري وافهمُ

وامّا العقل: فدلالته واضحة لمن كان له عَقلٌ سليم فانّ الإمام الّذي نَصبه اللّه رسوله بالإمامة لابدّ له من ان يكون كاملاً من جميع الجهات واهـمّها العِـلم وكيف يعقل ان يكون الجاهل اماما لِمن كان اعلم منه او مثله وقـد ثَـبَت انّ ترجيح المَفضُول علىٰ الفاضل قبيح فضلاً عن الأفضل ويـؤيّدُ قـوله تـعالىٰ: **﴿اَفَمَنْ يَهْدِي اِلَى الْحَقِّ اَحَقُّ اَنْ يُتَّبَعَ اَمَّنْ لَا يَهِدِّي اِلَّا اَنْ يُهْدىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾**[1] بيان التّايد، انّ هداية النّاس الىٰ الحقّ كما هي حقّها لاتتحّقق الّا في العالم الواقعي بموارد الحقّ فمن كان جاهلاً بها او ببعضها لا يليق بالإمامة الا ترىٰ انّه تعالىٰ قال في ذيل الآية مايَدّل علىٰ ما ذكرناه فانّ الّذي يُهدىٰ في العلم وغيره خارج عن البَحث:

▫ **قوله عليه السلام: وَلَكِنْ اَخَافُ اَنْ تَكْفُرُوا فِي بِرَسُولِ اللّٰهِ صلى الله عليه وآله اَلَا وَاِنِّي مُفْضِيهِ اِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذٰلِكَ مِنْهُ...**

هذا في الحقيقة جواب عن سؤالٍ مقدر وهو انه لِمَ لا تقول بما تدعّيه من العلم فقال عليه السلام في الجواب ولكن اخاف ان تكفرُوا فيَّ برسُول اللّه صلى الله عليه وآله وهنا احتمالات:

احدها: اخاف ان تقولوا فيَّ بالغُلّو في حقّي بخَلعِكم لباس المخلوقية عني ولبسكم لباس الرّبُوبية علَي ومن المعلوم انّ هذا القول يَوجب الكـفر بـاللّه وبرسُوله امّا الكفر باللّه فلِلشّرك به وامّا الكُفر بالرّسُول فلأنّ لازم ذلك القول نفي رسالته من اللّه تعالىٰ واذا لم يكن رسُولاً له تعالىٰ فامّا ليس برسُولٍ اصلاً او انّه رسُولي لا رسُول اللّه وكلاهما كفرٌ به صلى الله عليه وآله :

١- يونس ـ ٣٥

والمتّعلم فيه ولسنا فعلاً بصدد بيانها والكلام فيه موكول الىٰ محلّه.

ثُمّ انّ هذا القِسم اعني العِلم الإلٰهي بالمعنىٰ الأعمّ علىٰ قسمين ظاهري وباطني:

والأوّل: كالعِلم بظواهر الأدلّة من الأُصول والفروع اعني العِلم بظواهر اصول الدّين وفروعه وذلك كالعِلم بوجود الحقّ وصفاته وانّها عين ذاته وما يجوز عليه ومالا يجوز والعلم بوجُود الرّسُول وانّه كان صادقا في دعواه والعِلم بالأحكام الفرعية من الصّلٰوة والصّوم والحجّ وغيرها من الواجبات والمَندُوبات ويدخل في هذا القِسم علم الأخلاق ايضا.

والثّاني: اعني العلم الباطن فهو ادّق واشرف واكمل منه لكونه اصلاً بالنّسبة اليه او لأنّه اصوَن لِلخطا منه ونعني بالباطن باطن التّوحيد والرّسالة والمعاد والإمامة والصّلٰوة والصّوم وهكذا فانّ لكلّ شيءٍ ظاهرٌ وباطن واجبا كان او ممكنا جوهرا كان او عَرضا والّذي نبحث فيه هو هذا القِسم من العلم وهو الّذي اشار عليه السلام اليه بقوله ولكن اخاف ان تكفروا الخ ضرورة انّ العلوم الظّاهرية لا كفر فيها اذ ليس في تَحملّها وتَعلّمها ما يُوجب الكُفر والخُروج عن الدّين.

والحاصل انّ كلامه مُشعرٌ بانّ العلُوم الحَقّة الحَقيقة التي نُعبّر عنها بالأسرار فهي ممّا لايجوز تَعليمَها ولاتَعَلُمَها الّا لمن كان واجدا لشرائط التّعَليم والتّعلّم فانّ كثيرا من القلُوب لاتقدر علىٰ تَحمّلها وضَبطها وهذا هو الّذي قال عليه السلام وانّي مُفضيه الىٰ الخاصّة الخ.

وثانيها: انّ الإنسان اذا لم يكن مُستَعِدا لقبُول الأسرار يكون القائها اليه القائه في التّهلكة واقعا وذلك لأنّ العِلم اذا حَصَل لمن ليس اهلاً له فهو كالسّيف في يَد الصّبي او المجنون يقتل به نفسه او غيره والىٰ هذا المعنىٰ اشار المولوي بالفارسية بقوله:

تيغ دادن در كفِ زنگّى مست به كه آرد علم را ناكس بدست

ولا شّك انّ وزِره مُشترك بَينه وبَين مَن عَلّمه ايّاه ولهذا ترىٰ السّلَف كانوا

قاتل اصحاب الجَمَل والصّفين والنّهروان وقَتَل منهم خَلقا كَثيرا وهكذا الكلام في احتجاجاته ومُناظراته ومُناشداته.

قلتُ ـ انّما فَعَل ﷺ مافَعَل مع عِلمه بمآل هذا الأمر اتماما لِلحُجّة واعلاما بحال الظّالمين كما انّ اللّه تعالىٰ بعصيان كثير من عباده ومع ذلك كَلَّفَهم بالتّكاليف الشّرعية وكما انّه كان عالما بعصيان الشّيطان وانّه لن يَسجُد لأدم ومع ذلك امَرَه بالسّجود وكما انّ الرّسُول كان عالما بوجود المُنافقين في اصحابه وانّهم لَم يُؤمنوا باللّه وبرسُوله ويفعلون بعده كذا وكذا ومع ذلك امَرَهم بما امَرَ ولا سيّما في غَدير خُم وهكذا والجواب في الكلّ اتمام الحُجّة ليَهلَك مَن هَلَك عن بَيّنةٍ ويَحيىٰ مَن حَيّ منها فهو ﷺ ايضا مع عِلمِه بمآل الأمر قاتلهم وبارَزَهم وناشدهُم لذلك.

▫ **قوله ﷺ: وَمَا أَبْقَىٰ شَيْئاً يَمُرُّ عَلَىٰ رَأْسِي إلَّا أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَيَّ وَأَفْضَىٰ بِهِ إلَيَّ...**

ثُمّ اوضح كلامه ﷺ وقال وما ابقىٰ الرّسُول شيئا يَمُرّ علىٰ راسي وهو كناية عن الوقائع والحَوادث الواقعة بعد الرّسُول من غَصب الخلافة وغَصب فَدك وشهادته ﷺ وشهادة اولاده وشيعته وامثال ذلك، الّا افرَغه الرّسُول وصَبّه في اذنّي وافضىٰ واوصله الَيّ والحاصل انّه ﷺ ما ابقىٰ شيئا من الحَوادث الواقعة بعده الّا واعلَمني ايّاه فلايخفىٰ علّي شَئ اصلاً:

▫ **قوله ﷺ: اَيُّهَا النَّاسُ وَاللّهِ مَاأَحُثُّكُمْ عَلَىٰ طَاعَةٍ إلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إلَيْهَا وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إلَّا وَأَتَنَاهَىٰ قَبْلَكُمْ عَنْهَا...**

وفي هذا الكلام افاد ﷺ انّه لم يكن واعظا غير مُتّعظٍ بـه ولا ناهيا غير مُتناهىٰ عنه فقال ﷺ اقسم باللّه انّي لا احثّكم اي لا احرّصكم علىٰ طاعةٍ من طاعات اللّه الّا وانا اسبقكم اليها اي الىٰ الطّاعة بالعَمَل بها ولا انهاكم عن مَعصِيةٍ الّا واتركها قبلكم وكلامه ﷺ يُثبت اصلاً من اصول المَوعظة والعَقل والنّقل يَعضُداه:

امّا العقل: فلأنّه قد ثبت انّ مُعطي الشّئ لا يكون فاقدا له فَمَن يُرشد النّاس

ومن خطبة له عليه السلام (١٧٥)

الفَصل الأوّل:

□ قوله عليه السلام: أَنْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللّٰهِ وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللّٰهِ وَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللّٰهُ فَإِنَّ اللّٰهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمْ بِالْحُجَّةَ وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا لِتَتَّبِعُوا وَتَجْتَنِبُوا هٰذِهِ فَإِنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صلى الله عليه وآله كَانَ يَقُولُ (إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللّٰهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهٍ وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللّٰهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ. فَرَحِمَ اللّٰهُ رَجُلاً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ وَقَمَعَ هَوَىٰ نَفْسِهِ فَإِنَّ هٰذِهِ النَّفْسِ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَىٰ مَعْصِيَةٍ فِي هَوَىٰ.

وَاعْلَمُوا، عِبَادَ اللّٰهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَنَفْسَهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ فَلَا يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيداً لَهَا فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ قَوَّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِل وَطَوَوْهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ هٰذَا الْقُرآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ. وَمَا جَالَسَ هٰذَا الْقُرآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ زِيَادَةٍ فِي هُدىً وَنُقْصَانٍ مِنْ عَمىً وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَىٰ أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرآنِ مِنْ فَاقَةٍ وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرآنِ مِنْ غِنىً فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَىٰ لَأْوَائِكُمْ فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَالْغَيُّ وَالضَّلَالُ فَاسْئَلُوا اللّٰهَ بِهِ وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَىٰ اللّٰهُ

الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ سَلِيمِ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ فَلْيَفْعَلْ.

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَااسْتَحَلَّ عَاماً أَوَّلَ وَيُحَرِّمُ الْعَامَ مَاحَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ وَإِنَّ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ لَا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَلَكِنَّ الْحَلَالَ مَاأَحَلَّ اللَّهُ وَالْحَرَامَ مَاحَرَّمَ اللَّهُ فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَضُرِبَتِ الْأَمْثَالُ لَكُمْ وَدُعِيتُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْوَاضِحِ فَلَا يَصَمُّ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَصَمُّ وَلَا يَعْمَى عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَعْمَى وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ وَأَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ مُتَّبِعٌ شِرْعَةً وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانُ سُنَّةٍ وَلَا ضِيَاءُ حُجَّةٍ.

وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ (حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ) وَسَبَبُهُ الْأَمِينُ وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَمَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ وَبَقِيَ النَّاسُونَ وَالْمُتَنَاسُونَ فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرّاً فَاذْهَبُوا عَنْهُ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ يَابْنَ آدَمَ اعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعِ الشَّرَّ فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ.

أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ فَظُلْمٌ لَايُغْفَرُ وَظُلْمٌ لَايُتْرَكُ وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَايُطْلَبُ فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَايُغْفَرُ الشِّرْكُ بِاللَّهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَايُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالْمُدَى وَلَا ضَرْباً بِالسِّيَاطِ وَلَكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذَلِكَ مَعَهُ فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللَّهِ فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضَى وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ.

يَاأَيُّهَا النَّاسُ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَأَكَلَ قُوتَهُ وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ!

بها ولا يطمئن اليها (فَلاَ يَزَالُ زَارِياً) وعائبا (عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيداً لَهَا) في الإتصاف بالكمالات (فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ) الّذين ماتوا (وَالْمَاضِينَ اَمَامَكُمْ) الّذين زهدوا في الدّنيا ورغبوا في الآخرة (قَوِّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ) عنها (وَطَوَوْهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ وَاعْلَمُوا اَنَّ هٰذَا الْقُرآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ) لكونه منّزها عنه (وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ) احدا (وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ) اصلاً (وَمَا جَالَسَ هٰذَا الْقُرآنَ اَحَدٌ) من النّاس (اِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ اَوْ نُقْصَانٍ زِيَادَةٍ فِي هُدىً) في الإستفادة منه.

(زيادةٌ في هُدىٰ) ان كان اهلاً (وَنُقْصَانٍ مِنْ عَمىً) ان لم يكن منه (وَاعْلَمُوا اَنَّهُ لَيْسَ عَلَىٰ اَحَدٍ بَعْدَ الْقُرآنِ) والتّدبّر فيه (مِنْ فَاقَةٍ) وحاجةٍ (وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرآنِ مِنْ غِنىً) فانّ النّاس مُحتاجون اليه(فَاسْتَشْفُوهُ) اي اطلبوا الشّفاء منه (مِنْ اَدْوَائِكُمْ) واوجاعكم (وَاسْتَعِينُوا بِهِ) بالقرآن (لَأْوَائِكُمْ) اي لِشدائدكم ومشاقكم (فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ اَكْبَرِ الدَّاءِ) الرّوحي (وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ) ولا شكّ في كونهما كذلك (وَالْغَيُّ وَالضَّلَالُ) فالقرآن دواء الكلّ (فَاسْئَلُوا اللّٰهَ بِهِ وَتَوَجَّهُوا اِلَيْهِ) الىٰ الله (بِحُبِّهِ) بُحبّ القرآن فانّ من احبّ شيئا فقد احبّ آثاره (وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ اِنَّهُ مَاتَوَجَّهَ الْعِبَادُ اَلَىٰ اللّٰهُ بِمِثْلِهِ) فانّه كلامه (وَاعْلَمُوا اَنَّهُ) اي القرآن (شَافِعٌ) لحامليه (وَمُشَفَّعٌ) عند الله في شفاعته (وَقَائِلٌ وَمُصَدَّقٌ) في قوله (وَاَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقِيَامَةِ يَوْمَ شُفِّعَ فِيهِ) وقبلت شفاعته (ومن مَحَل) وسعىٰ (بِهِ الْقُرآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ) اي يَقبل سَعيه عليه (فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ويقول ((اَلَا اِنَّ كُلَّ حَارِثٍ) وزراع (مُبْتَلَىً فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرآنِ) فانّهم آمنون من فَزع اليوم الأكبر (فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ) اي حرثة القرآن (وَاَتْبَاعِهِ) علما وعَملاً (وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَىٰ رَبِّكُمْ) اي اجعلوه دليلاً عند الله سُبحانه (وَاسْتَنْصِحُوهُ) اي اقبلوا النّصيحة منه (عَلىٰ اَنْفُسِكُمْ) لتهتدوا به (وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ) وعقائدكم (وَاسْتَغِشُّوا فِيهِ اَهْوَاءَكُمْ) ولا تعتمدوا عليها (اَلْعَمَلَ اَلْعَمَلَ) اي عليكم بالعَمَل (ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ) فلا تغفلوا

اللّهُ ﷺ لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ تَعَالَى) فانّ القلب محلّ الإيمان (وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمُ لِسَانُهُ) فانّ المُنافق لا يكون مُستقيم القلب (فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللّه) غدا يوم القيامة (وَهُوَ نَقِيُّ الرَّاحَةِ) اي بمعزلٍ (مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ سَلِيم اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ) بعدم الغيبة والتّهمة والشّتم وغيرها (فَلْيَفْعَلْ) ذلك فانّه بصلاحه (وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَااسْتَحَلَّ عَاماً أَوَّلَ وَيُحَرِّمُ الْعَامَ مَاحَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ) فانّ حلاله حلال الىٰ يوم القيامة وحرامه كذلك (وَإِنَّ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ) بدعوه (لَا يَحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ) الله (عَلَيْكُمْ وَلكِنَّ الْحَلَالَ مَاأَحَلَّ اللّهُ وَالْحَرَامَ مَاحَرَّمَ اللّهُ) الىٰ يوم القيامة (فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا) فلا تحتاجون الىٰ التّجربة ثانيا (وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) من الأمم (وَضُرِبَتِ الْأَمْثَالُ لَكُمْ) في الكتاب والسّنة (وَدُعِيتُمْ) من الله تعالىٰ (إِلَى الْأَمْرِ الْوَاضِحِ) الّذي لا خفاء فيه وهو الدّين (فَلَا يَصَمُّ عَنْ ذٰلِكَ) الأمر الواضح (إِلَّا أَصَمُّ وَلَا يَعْمَىٰ عَنْ ذٰلِكَ إِلَّا أَعْمَىٰ) القلب قال تعالىٰ:﴿ صُمّ بُكمٌ عُميٌ فهم لا يعمهون﴾(وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ اللّهُ بِالْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ) اعني الإمتحان والإختبار (لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ) والموعظة (وَأَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ) اي من بين يديه (حَتَّىٰ يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ) لغاية نقصانه في تشخيص الحقّ (وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ مُتَّبِعٌ شِرْعَةً) وطريقا واضحا (وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً) في الدّين (لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللّهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانُ سُنَّةٍ وَلَا ضِيَاءُ حُجَّةٍ) كما هو شان البدعة (وَإِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ

(حَبْلُ اللّهِ الْمَتِينُ وَسَبَبُهُ الْأَمِينُ) وقد امرنا بالإعتصام والتّمسك به (وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ غَيْرُهُ) وحياته (وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ) ومصدره (وَمَا) اي ليس (لِلْقَلْبِ جَلَاءٌ) (غَيْرُهُ) غير القرآن (مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ) وماتوا (وَبَقِيَ النَّاسُونَ وَالْمُتَنَاسُونَ) الّذين يتّظاهرون به لأعراض دنيويّة (فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ) على الخير (وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرّاً فَاذْهَبُوا عَنْهُ

(فَإِنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ يَابْنَ آدَمَ اعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعِ) واترك (الشَّرَّ

يُوقِنُونَ﴾ (١)

و : ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢)

و : ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٣)

و : ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٤)

ومن المعلوم انّ البيان لِلإنتفاع والّا يكون لَغوا وحيث انّ الله تعالىٰ منّزهٌ عن اللّغو فالغاية في كلامه هي انتفاع النّاس به وهو المطلوب:

وامّا الثاني:

اعني الإتّعاظ بمواعظه فلقوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (٥)

و : ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (٦)

و : ﴿ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ﴾ (٧)

و : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾ (٨)

و : ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ (٩)

و : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ (١٠)

وامثالها من الآيات ومن المعلوم انّ الوَعظ لِلإتّعاظ فيجب الإتّعاظ به وهو المطلوب.

والثالث:

و : ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ (١١)

و : ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ (١٢)

١- البقرة ١١٨
٢- آل عمران ـ ١١٨
٣- الحديد ـ ١٧
٤- المائدة ـ ٧٥
٥- النساء ـ ٥٨
٦- البقرة ـ ٢٣٢
٧- الطلاق ـ ٢
٨- النساء ـ ٦٦
٩- البقرة ـ ٢٧٥
١٠- يونس ـ ٥٧
١١- الاعراف ـ ٧٩
١٢- الاعراف ـ ٩٣

ويمكن ان يكون المَراد بها العقول السّليمة التي قد دلّت على انّه لاعذر لأحدٍ من النّاس في ترك الطّاعة لأنّها في الحقيقة من الشّكر العَملي والقولي والحالي وهو واجب عقلاً بلا خفاء فيه:

وامّا الحُجّة فظاهرةٌ وباطنةٌ والظّاهرة هي الأنبياء والرّسل والأئمّة والباطنة هي العقل وقد مَرّ الكلام فيها تَفصيلاً في المُجلد الأوّل من الكتاب:

وحاصل الكلام انّ الله قد سَدّ على عباده طريق الإعتذار يوم القيامة بارساله الرُّسُل وانزاله الكُتب السّماوية ونَصب الأوصياء بعد النبيّ واحدا بعد واحدٍ الى يوم القيامة والى هذا اشار في كتابه الكريم بقوله: **فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾**(١)

والى الثّاني: بقوله: **﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾**(٢)

و : **﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾**(٣)

▫ **قوله ﷺ: وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا لِتَتَّبِعُوا وَتَجْتَنِبُوا هٰذِهِ...**

اي وبَيّن الله تعالى لكم الأعمال المَطلوبة المَحبوبة عنده والمَكروهات منها لتتبعوا هذه اي المَحابّ منها وتَجتنبوا هذه اي المَكروهات منها والمراد بالأوّل اعني المَحابّ من الأعمال كلّ مالم يَرد فيه نَهيٌ منه فهو اعمّ من الواجب والنّدب والإباحة وبالثّاني ماوَرد فيه نَهيٌ منه تعالى سواء كان حَراما ام مَكروها فانّ المَكروه قسم من الحرام وان شِئت قلت المَرتَبة الضّعيفة منه كما انّ النّدب والإباحة من اقسام الوجُوب بالمعنى الأعمّ الّذي يُرادف الجواز وقد مَرّ الكلام في الأحكام الخَمسة والحاصل انّ المُراد بالمَحابّ منها معناها الأعمّ وكذا المَكاره وامّا بيان القِسمين في الكتاب والسنّة فلا خفاء فيه فالصّلوٰة والصّوم والحجّ واطعام المَساكين وغيرها من الخَيرات من الأوّل والقتل والزّنا وشرب الخَمر والغيبة والتّهمة وامثالها من الثّاني واللاّم في قوله ﷺ: لتتّبعوا لام

١- الرّوم - ٥٧
٢- الانعام - ١٤٩
٣- النّساء - ١٦٥

□ **قوله ﷺ: وَاعْلَمُوا اَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللّٰهِ شَيْءٌ اِلَّا يَاْتِى فِى كُرْهٍ وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللّٰهِ شَيْءٌ اِلَّا يَاْتِى فِى شَهْوَةٍ...**

هذا الكلام توضيح لقول الرّسول ﷺ انّ الجنّة حُفّت بالمَكاره الخ فكانّه قيل له ﷺ ولِمَ حُفّت الجنّة بالمَكاره والنّار بالشّهوات فقال ﷺ لأنّه مامن طاعةٍ من طاعاته الّا وياتي في كُرهٍ لكونه على خلاف النّفس ومامن معصيةٍ من معاصيه الّا وياتي في شَهوة لكونها على طبقها.

□ **قوله ﷺ: فَرَحِمَ اللّٰهُ رَجُلاً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ وَقَمَعَ هَوَىٰ نَفْسِهِ...**

ثُمّ دعا ﷺ لِمَن نَزَع عن شَهَوته فَتركها وقَمَع هَوىٰ نفسه بالإجتناب عنه فيدخل الجنّة وبعبارةٍ اخرىٰ لايَتبع شَهَوته وهَوىٰ نفسه واذا كان كذلك فهو من الصّلحاء.

□ **قوله ﷺ: فَاِنَّ هٰذِهِ النَّفْسِ اَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً وَاِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ اِلَىٰ مَعْصِيَةٍ فِى هَوىٰ...**

ثُمّ عَلَّل ﷺ ماذكره سابقا بانّ هذه النّفس ابعد شيء مَنزعا اي كَفًا وانتهاءً عن الشّهوة اذ لايمكن كَفُّها عَنها بسهولةٍ وانّها اي النّفس تَميل وتَشتاق الىٰ مَعصيةٍ في هَوىً وذلك لأنّ المَعصية اوفق بِطَبعها من الطّاعة كما بَيّناه بالتّحقيق والمعنىٰ اظهر.

□ **قوله ﷺ: وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللّٰهِ اَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِى اِلَّا وَنَفْسَهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ...**

غَرضه ﷺ انّ المُؤمن يَتّهم نَفسه دائما ولا يَعتمد عليها كما قال اللّٰه تعالىٰ:
﴿**وَما اُبَرِّئُ نَفْسِي اِنَّ النَّفْسَ لَأَمّارَةٌ بِالسُّوءِ اِلّا مارَحِمَ رَبّي**﴾(١)

□ **قوله ﷺ: فَلاَ يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيداً لَهَا...**

اي اذا كانت النّفس ظَنُونا عنده فلا محالة يكون عاتبا عليها ويَطلب منها فعل الخَيرات والإتّصاف بالكمالات للوصول الىٰ اعلىٰ المَقامات واكمل

١- يوسف ـ ٥٣

دينه ودُنياه فقد اهتدىٰ:

وثانيها: انّه الهادي الىٰ طريق الصّواب الّذي يُوجب سعادة الدّارين وقد وَصَفَ اللّه تعالىٰ كتابه بهذا الوَصف في موارد كثيرة، كقوله تعالىٰ: **﴿ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾**(١)

و : **﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدَىً وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾**(٢)

وثالثها: قوله عليه السلام: **وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ**، وفيه اشعار بانّ ما اخبر به القرآن لا يحتمل الكذب اصلاً فهو في حديثه ليس كغيره من المُحدثين الّذين حديثهم يَحتمل الصّدق والكذِب كما قالوا الخَبر يَحتمل الصّدق والكذِب والوجه فيه انّ القرآن كلام اللّه تعالىٰ وقد ثَبت في باب الصّفات انّه تعالىٰ مُتكلّم وثبت ايضاً انّه لا يكذب اصلاً لأنّ الكذِب عليه تعالىٰ قبيح وهو مِنَزّهٌ عنه مُضافا الىٰ انّه يُوجب سلب الإعتماد بالنّسبة الىٰ عباده فاذا كان اللّه تعالىٰ صادقا في وعده ووعيده وثبت انّ القرآن كلامه يَنتج انّ القرآن لا يُحَدث بالكذِب فانّ وجود الكذِب فيه يُوجب وجُوده فيه تعالىٰ وقد فرضنا عدم جوازه عليه وهو المطلوب:

□ قوله عليه السلام: **وَمَا جَالَسَ هٰذَا الْقُرآنَ اَحَدٌ اِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ اَوْ نُقْصَانٍ زِيَادَةٍ فِي هُدىً وَنُقْصَانٍ مِنْ عَمىً...**

كلمة (ما) نافية اي لَم يَجلس هذا القرآن احَد من النّاس الّا قام الجالس عنه بحصول زيادةٍ له او نقصانٍ فيه فالزّيادة في الهداية والنُّقصان في الضّلالة والغواية:

وتوضيح كلامه عليه السلام انّ المُجالس لِلقرآن بالقراءة والعَمَل به ان كان مُستعدا لقبول الإفاضات والعنايات الرّبانية والرّواشح المَلكُوتيّة بتَطهير قلبه عن الخبائث والأرجاس من البُخل والحَسَد والكِبر والرّبا وغيرها فهو يَهتَدي به

١- البقرة ـ ٢

٢- البقرة ـ ٩٧

ونقلوا عن بعض العُرفاء انّه قال كنتُ سارقا ايام شبابي فسمعتُ هذه الآية ﴿الَمْ يَانِ لِلَّذِينَ امَنُوا اَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّهِ﴾ (١) فانتبهتُ من نوم غفلتي فقلت في نفسي بلىٰ واللّه قد آن، فتَركتُ السّرقة ونظائره كثيرة:

▫ **قوله ﷺ: وَاعْلَمُوا اَنَّهُ لَيْسَ عَلَىَ اَحَدٍ بَعْدَ الْقُرآنِ مِنْ فَاقَةٍ وَلاَ لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرآنِ مِنْ غِنىً...**

اي من تَمَسَّك بالقرآن وعَمِل به فلا يحتاج الىٰ شيءٍ بعده لأنّه مُتضمِنٌ لسعادة الدّارَين وهداية النّشاتين كما انّ من لَم يَتَمَسك به فهو مُحتاج اليه وان كان غنيًا من جهات المادّية والبدنيه واضح لأنّ المُتَمسك بالقرآن مُتَمسِكٌ باللّه تعالىٰ في الحقيقة ومن تَمَسك به تعالىٰ فهو واجدٌ لكلّ شيءٍ وغنيٌ عن كلّ ماسواه فانّه تعالىٰ خالق الكلّ وماسواه مخلوق له ولا شيءَ في المَخلوق من الكمال الّا وهو موجود في الخالق ولا عكس والقرآن كلام الحقّ فَمن تَمَسَّك به فهو حَسبه:

▫ **قوله ﷺ: فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ اَدْوائِكُمْ وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَىٰ لأْوَائِكُمْ...**

الفاء لِلتّفريع – اي اذا كان الغنّي في القرآن فاستَشفوه اي اطلُبوا الشّفاء من القرآن في الأمراض والأسقام الرُوحانية فانّ فيه شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين به كما قال اللّه تعالىٰ: ﴿قَدْ جَائَتْكُمْ مَوعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِى الصُّدُورِ﴾ (٢)

و: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣)

و: ﴿ءَاَعْجَمِىٌ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ امَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ﴾ (٤)

وقوله ﷺ: واستَعينُوا به اي بالقرآن علىٰ لأوائكم من شدائد الدّهر ومِحن الزّمان وطوارق البلايا والحَدثان والوَجه فيه ماذكرناه فانّ الإستعانة بالقرآن الإستعانة باللّه تعالىٰ في الحقيقة ولا شَك في انّه من استَعان به حقًا فهو يَكفيه ومن استَعان بغيره لا يَنفَع ابدا:

١- الحديد - ١٦
٢- يونس - ٥٧
٣- الاسراء - ٨٢
٤- فصّلت - ٤٤

من القسم الأوّل فهو مضافا الىٰ كونه شافِعا مُشَفعٌ ايضا اي ماذون فيها من اللّه ربّ العالمين:

وامّا انّ القرآن قائِل مُصّدق فمعناه انّه يُصّدق من اللّه تعالىٰ في قوله في حقّ غيره ولذلك قال ﷺ وانّه من شفع اي القرآن له يوم القيامة شَفع فيه اي يُؤذن بها من اللّه تعالىٰ وهو دليل علىٰ كونه صادقا فيما يقول اذ لولا كونه صادقا لما يُؤذن بالشّفاعة:

▫ **قوله ﷺ: وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرآنُ يَوْمَ الْقِيامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ...**

اي ومن سَعىٰ به القرآن وشَهد عليه صُدِّق في قوله اي انّ اللّه تعالىٰ يُصّدقه:

▫ **قوله ﷺ: يَوْم فَاِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيامَةِ(اَلَا اِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلىً فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرآنِ...**

الحَرث في الأصل ابقاء البَذر في الأرض وتَهيّئوها للزّرع ويُسمّىٰ المحروث حَرثا قال اللّه تعالىٰ في كتابه:**﴿اَنِ اغْدُوا عَلىٰ حَرْثِكُمْ اِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾**[1] هذا بحسب اصل اللّغة.

ثُمّ استعمل الحرث في كلّ ما تصّور منه العمارة الّتي تحصل عنه سواء كانت في المّاديات المَحسُوسات ام كانت في المَعنّويات كالأعمال الصّالحة الّتي هي بمنزَلة البَذر بالنّسبة الىٰ ثَمراتها الدّنيوية والآخروّية كما قال تعالىٰ:**﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ في حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَالَهُ فِى الْاَخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾**[2] وبهذا الإعتبار تكون الدّنيا مَحرثا للنّاس وهُم حُراثٌ منها كما ورد في الأثَر، احرث في دنياك لآخرتك وايضا الدّنيا مَزرعة الآخرة اي مَحلّ حَرثها وعليه فَحرث القرآن تلاوته والتّدبر فيه والعَمَل به اذا عرفت معنىٰ الحَرث فنقول:

المقصود من الكلام انّ كلّ حارثٍ وعاملٍ في الدّنيا فهو مُبتلي في حَرثه وعاقبتُه عَمَله غير حَرثَة القرآن فانّهم لا يكونون كذلك وقد اضطَربت كلمات

١- القلم ـ ٢٢

٢- الشورى ـ ٢٠

العَمَل تحصل في الدّنيا وامّا في الآخرة فتَحصل ثمرته ونَتيجته ولذلك يقال اللّهم اجعل عواقب امورنا خيرا.

وعليه فالمعنىٰ كلّ حارثٍ مُبتلىٰ في حَرثه وعاقبة عَمَله اي يُمتحن ويُختبر كما قال تعالىٰ في كتابه: ﴿**اَحَسِبَ النّاسُ اَنْ يُتْرَكُوا اَنْ يَقُولُوا آمَنّا وَهُمْ لايُفْتَنُونَ**﴾ (١)

فاللّه تعالىٰ يَختبر العالم بعلمه والعامل بعَمَله والزّارع بزَرعه والكاسب بكَسبه وهكذا.

وامّا حَرثة القرآن اعني الحاملين التّالين العاملين به فلا اختبار لهم في الدّنيا بل يخرجون منها بغير الإبتلاء والإختبار وذلك لأنّ الحارث الواقعي لِلقرآن ليس له من الدّنيا وحطامها حَظّا ولا نصيبا بل هو بمعزلٍ عنها وعن بلياتها وآفاتها والحكم ينتفي بانتفاء المَوضُوع واذا كان كذلك فحَرثة القرآن يدخلُون الجنّة بغير حساب.

ويؤيد ماذكرناه انّ الإبتلاء في الآخرة لا معنىٰ له فانّ الآخرة دار الثّواب والعقاب وهما اعني الثّواب والعقاب لا يَتَصوران الّا بعد خروج المُكلّف عن عهدة الإمتحان وامّا قبله فلا ولا شّك انّ الدّنيا هي الدّار المَوضُوعة له لا الآخرة وامّا قوله ﷺ: **فانّه يُنادي منادٍ يوم القيامة**، فلا يُنافي ماذكرناه اذ المقصُود انّ المُنادي يُنادي هناك انّ كلّ حارثٍ في الدّنيا كذلك غير حَرثة القرآن هذا مافهمناه من العبارة واللّه تعالىٰ اعلم بالصّواب.

▫ قوله ﷺ: **فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَاَتْبَاعِهِ وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَىٰ رَبِّكُمْ وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَىٰ اَنْفُسِكُمْ وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ وَاسْتَغِشُّوا فِيهِ اَهْوَاءَكُمْ...**

الفاء للتّفريع اي اذا كان القرآن كذلك فَينبغي ان يُراعىٰ فيه امور:

احدها: فكونوا من حَرثة القرآن واتباعه فانّ فيهما سعادة الدّارين امّا الأوّل فلما عرفت من انّ حَرثة القران غير مُبتلي وامّا الثّاني فلأنّ القرآن يَهدي كلّ من

١- العنكبوت ـ ٢

بل يضّر بصاحبه احيانا لأنّ العلم يُوجب المَسئُوليّة والعَمَل يرفعها وقد حثَّ اللّه تعالىٰ عباده به في مواضع كثيرة من كتابه: قال تعالىٰ:﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (١)

و : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (٢)

و : ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ﴾ (٣)

و : ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ (٤) والآيات كثيرة.

وانّما كُرّر لفظ العَمَل وهكذا النّهاية والإستقامة والصَّبر والوَرَع للتّاكيد اي لا ينبغي ان يترك وقوله ﷺ: ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ لا يَبعد ان يكون المقصود مُراعاة نهاية العَمل وعاقبته فانّ كلّ عَمل ليس بمطلوب للشّارع بل المَرضّي منه العَمل الّذي ينتهي بخير والسّلامة عن الآفات نحو البُخل والحَسَد والرّياء والعُجب وامثال ذلك من السُّمُوم اذ ليس كلّ عاملٍ ينتهي عَمَله بالخَير ويمكن ان يكون المراد بالنّهاية في العَمل ان يكون العَمل لِلّه تعالىٰ خالصا لِوجهه الكريم وذلك لأنّ اللّه تعالىٰ هو غاية الغايات ونهاية النّهايات، الاّ بذكر اللّه تطْمئن القلُوب.

والعطف بثُمّ دون الواو والفاء يفيد التّراضي والإنفصال كما انّ الفاء يفيد التّرتيب والإتصال قال ابن مالك:

والفاء لِلتّرتيب باتصالٍ وثُمّ لِلتّرتيب بانفصالٍ

والواو يفيد الجمع فقط فاذا قلنا جاءني زيد وعُمر ومعناه مَجيئهما معا وامّا التّرتيب في المَجئ فلا يستفاد منه واذا قلنا جاءني زيد فعُمرٌ معناه انّ عُمرٌ جاء بعد زيد متّصلاً به واذا قلنا جاءني زيد ثُمّ عُمر ويدّل الكلام علىٰ مجئ عُمر وبعد زيد بالتّراضي والإنفصال اذا عرفت هذا فنقول - عَطفه الكلام بِثُمّ يدّل علىٰ تاخير النّهاية عن العَمل وانفصالها عنه وهو كذلك اذ لو كانت مّتصلة به

١-البقرة ـ ٦٢ ٢-النحل ـ ٩٧

٣-الكهف ـ ٨٨ ٤-القصص ـ ٨٠

و : ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١) والآيات كثيرة.

وقوله عليه السلام: وَالْوَرَعَ الْوَرَعَ: معناه انّ كلّ ماذكره العَمل والإستقامة والصَّبر اذا لم يكن فيه وَرَع لا نفع فيه والوَرَع كون العَملَ لِلّه تعالىٰ وان لا يَشرك احدا في عَمَله قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ (٢)

و : ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٣)

و : ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (٤)

و : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (٥)

و : ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ (٦) والآيات ايضا كثيرة.

تنبية:

اعلم انّ هذه الأُمور التّي اشار عليه السلام اليها لا مَحيص لِلسّالك الىٰ اللّه الّا الإلتجاء اليها والتّمسّك بها في جَميع شئونه الدُّنيوية والآخَروية ومن لا يكون كذلك فلا خير فيه ولا في دينه وعَمَله وحيث كان كذلك فلا باس بالإشارة الىٰ بعض ما لابدّ منه في بيان ماهيّتها وما وَرَد في مَدحَها تَنبيها لِلغافلين وتَتميما للباحثين فنقول:

لاشك انّ العلّة الغائية في خلق الإنسان هي وصُوله الىٰ الكمال المُترقب وبلوغه الىٰ آماله التّي خُلق لأجلها ويَمتاز بها عن الحَيوانات فالإنسان اذا لَم يَتّصف بالكمالات الإنسانيّة والمَلَكات الفاضلة الرّاقية ايّاه الىٰ اعلىٰ الدّرجات فهو والحيوان سواء بل اضلّ منه كما قال تعالىٰ: ﴿كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٧) والوَجه فيه هو انّ الإنسان بحَسَب جنسه حيوان كما انّ الفرس والبقر والحمار كذلك وانّما يفترق عمّا يشاركه في جنسه القريب، بفصله وهذا

١- النّحل - ٩٦
٢- آل عمران - ١٢٠
٣- آل عمران - ١٨٦
٤- النّساء - ١٢٨
٥- الانفال - ٢٩
٦- يوسف اية ٢٠
٧- الفرقان - ٤٤

المُفيض للإفاضات بل لنقص في جانب المُستفيض الّذي منشاه اتّباع الشّهوات واطاعة الشّيطان بالإرادة والإختيار واسباب الوصُول اليها امور:

اوّلها: العلم اعني ادراك المطلُوب بتّصوره اوّلاً وتصديقه ثانيا فانّ الإنسان مالَم يَعلم الشّئ كيف يَطلبه فالطَّلب موقُوفٌ علىٰ العِلم والّا يكون من طَلَب المَجهول وهو ليس من شان العاقل فالعلم مُقّدم علىٰ العَمل لا محالة لأنّه بمنزلة الشّجر والعَمل بمنزلة الثّمر ولذلك قَدّمه عليه في كلامه فقال واعلموا انّه مامن طاعة اللّه تعالىٰ الخ وقال واعلموا عباد اللّه الخ وقال واعلَموا انّ هذا القرآن الخ وهكذا:

وثانيها: العَمل وهو عبارة عن حركة العَضلات نحو الفعل وايجاده في الخارج وهو غاية العلم في الحقّيقة والسّر فيه انّ العِلم بالشّئ عبارة عن وجوده الذّهني والعَمل وجوده الخارجي ولاشّك انّ الأثر المُتّرتب علىٰ وجود الشّئ مُتّرتبٌ علىٰ وجوده الخارجي وامّا الذّهني فلا اثر له وعليه فالأثار الدُّنيوية والأُخروية تَترتب علىٰ الوجود الخارجي اعني العَمل وعليه فالعلم مع قطع النُّظر عن العَمَل لا اثر له بل قد يَترتب عليه الوِزر والوِبال والمَسئُولِية في الدّارين كما اشير اليه في الكتاب بقوله: **﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾** (١)

وحيث كان الأمر كذلك اردف كلامه بعد العِلم بالعَمل وقال العَمَل العَمَل، وكرّر لفظ العَمَل للتّاكيد اللّفظي الدّال علىٰ التّاكيد المعنَوي فكانّه قال اعملوا ثُمّ اعملوا:

وثالثها: انّ العَمَل لابدّ له من الإنتهاء ضرورة انّ الشّروع في العَمل لا يَكفي في تَرتّب الأثار المطلوبة عليه فانّ الفعل النّاقص وجوده كعَدمه بل عَدمه خير من وجوده النّاقص في بعض الموارد لأنّ في العَدم ضرر واحد وهو عَدم وجود الشّئ وفي الوجود النّاقص مُضافا الىٰ عَدم وجوده كاملاً ضررٌ آخر وهو

١- الجمعة ـ ٥

□ **قوله ﷺ: إِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلىٰ نِهَايَتِكُمْ وَإِنَّ لَكُمْ عَلَماً فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ...**

المراد بالنّهاية امّا الجنّة ومقاماتها العالية وامّا المَوت وتبعاته المُوحشة والمقصود انّ الإنسان لم يُخلق لِلدّنيا والبَقاء فيها بل نهاية حياته الفانية وعاقبة بقائه الدّائرة المَوت ثُمّ الجنّة او النّار وعليه فينبغي له المُضي الىٰ نهايته بالعمَل الصّالح:

وقوله ﷺ: **انّ لكم علَما** بالتحريك وهو الّذي يُستَدل به علىٰ الطّريق والمراد به في المقام هو الدِّين او الإمام بعد النّبي في كلّ عصرٍ وزمانٍ فانّ الدِّين عَلَم الحيرة والضّلالة والإمام عَلَم الدّين اذ به يُعرف الدّين ولذلك قال ﷺ من مات ولَم يعرف امام زمانه مات ميتة الجاهلّية:

وعليه فالمراد بالعَلَم هو نَفسه ﷺ وقوله ﷺ: **فاهتَدوا بعَلَمكم** اي فاهتدوا بامامكم:

□ **قوله ﷺ: وَإِنَّ لِلْاسْلاَمِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلىٰ غَايَتِهِ وَاخْرُجُوا إِلىٰ اللّٰهِ بِمَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ وَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ...**

ثُمّ اشار ﷺ بانّ للإسلام ايضا غاية فانتهُوا اي فامضُوا الىٰ غايته وغاية الإسلام هي المعرفة باللّه وبرسُوله وباوصيائه واطاعتهم في اوامرهم ونواهيهم لتَحصل بها الكمالات المتّرقبة علما وعملاً وتَتّصف النّفس بالمَلكات الفاضلة والفوز الىٰ سعادة الدّارين وان شئت قلت غاية الإسلام هي التّخلّق باخلاق الرّبانية وهو لايحصل الّا بمتابعة النّبي والوصّي في الشّريعة والطّريقة ولذا قلنا انّ غاية الإسلام هي المعرفة:

وقوله ﷺ: **وَاخْرُجُوا إِلىٰ اللّٰهِ** الخ معناه اخرجُوا نفوسكم متّوجهين الىٰ اللّه تعالىٰ ممّا افترض واوجب عليكم من حقّه وبَيّن واوضح لكم من وظائفه فلا تُخالفوه ولا تَعصوه بل اطيعوه، وانّما اتىٰ بكلمة (من) التّبعيضية وقال من حقّه ولم يقل ممّا افترض عليكم حقّه، للدّلالة علىٰ انّ اللّه تعالىٰ لَم يفترض عليكم جميع حقُوقه وذلك لأنّ حقُوقه كثيرة جدًا لايمكن لأحدٍ من المخلوق اداءها

الوجه الجزئي مطابقة لِما في موادّها الخارجيّة الشّخصية مُستندةً الىٰ اسبابها وعللِها واجبةً بها لازمة لأوقاتها المُعيّنة ويشملها العناية الأُولىٰ الإلٰهية بشمول القضاء لِلقَدر والقَدر لِما في الخارج:

ولكلٍّ من القضاء والقَدر مَحَل فالعالم العَقلي المُعبّر عنه بالقَلم محلّ القضاء والعالم النّفساني السّماوي محلّ القَدَر وعليه فالقَدر في الحقيقة لَوحُ القضاء فكما يُنسَخ بالقَلم في اللّوح نقُوش حِسّيَة كذلك يثبت وينقش من عالم العقل في عالم النّفس صُور معلومة مظبوطة بعللها واسبابها علىٰ وجهٍ كلّي فتلك الصّور هي قدرته ومحلّها وهو عالم النّفوس الكلّية التّي هي قلب العالم الكلّي محلّ القَدَر ثُمّ يُنتقش منه في القوىٰ المُنطبعة الفلكيّة نُقُوشٌ جُزئية مشّخصة باشكال وهيئات مُعيّنة مُقارنة لأوقات واوضاع مُعينّة من لواحق المادّة علىٰ ما يظهر في الخارج كما في قوله تعالىٰ:﴿وَمَانُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدرٍ مَعلُومٍ﴾ (١) وهذا العالم هو عالم الخيال الكلّي وعالم المثال وهو لوح القَدَر كما انّ ذلك العالم الّذي هو عالم النّفوس النّاطقة الكلّية لوح القضاء وكلّ منهما لإشتماله علىٰ صُورة الوجود كلّه كتاب مُبين كما قال تعالىٰ:﴿وَلا حَبَّةٍ في ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إلاّ في كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٢)

والأوّل يُعبّر عندهم عنه باللّوح المَحفُوظ الّذي هو امّ الكتاب والثّاني كتاب المَحو والإثبات علىٰ ماقال تعالىٰ:﴿يَمحُوا اللّهُ مَايَشَاءُ وَيُثبِتُ وَعِندَهُ اُمُّ الكِتابِ﴾ (٣) ولتَفصيل الكلام فيه موضع آخر وقد ثبت ممّا ذكرناه انّ القَدَر لوح القضاء وعالم الخيال والمثال لَوح القَدر وحيث انّ الإنسان الكامل كتاب جامع لهذه الكُتب المذكورة لأنّه نسخة العالم الكبير كما قال عليه السلام:

اتــزعم انّك جــرمٌ صــغير ... وفـيك انـطوىٰ العـالم الأكبر

فلا محالة يكون من حيث عقله كتاب عقلّي يُسمّىٰ بامّ الكتاب ومن حيث

١- حجر-٢١
٢- الانعام- ٥٩
٣- الرعد ٣٩

المشائين نقشٌ زائد على ذاته تعالى ولها محلّ هو ذاته اذ العلم العنائي على مذهبهم زائد على ذاته عارض عليه وهي اعني العناية عبارةٌ عن علمه بما عليه الوجُود من الأشياء الكلّية والجزئيّة الواقعة في النّظام الكُلّي في الوجه الكُلّي المُقتضي للخَير والكمال على وجه الرّضا المُؤدي لوجُود النّظام على افضل مافي الإمكان اتمّ تادية ومرّضيا بها عنده تعالى.

وامّا على راي من لا يَثبت صُورا في ذاته تعالى زائدة عليه كالإشّراقيين سيّما السّهروردي في حكمة الإشراق وكون ذاته تعالى بحيث يفيض عنه صُور الأشياء معقولة له مشاهدة ع... مرضيا لديه فليس لها محلّ بل هو علم بسيط قائم بذاته مقّدس عن شائبة كَثرةٍ وتفصيلٍ مُحيطٌ بجميع الأشياء خَلاق للعلوم التّفصيلية التّي بعده على انّها عنه لا على انّها فيه.

وامّا القضاء والقَدر فلهما محلّ فالقَلم محلّ الأوّل واللّوح محلّ الثّاني كما مَرّ ذكره وشرحه ففي الحقيقة العلم له مَراتب ثلاثة العناية والقضاء والقَدَر فثبت انّهما من مَراتب علمه تعالى.

فقوله عليه السلام: **الا وانّ القَدَر السّابق** الخ معناه انّ علمه تعالى قد وقَع على المَعلوم فوَقع المُقّدر وتورّد القَضاء وفيه دلالة على انّ مَعلُومه تعالى لا محالة لا يتّخلف عن علمه والّا يلزم ان يكون جاهلاً:

بقى في المقام شيئ وهو انّه لِمَ وصَفَ القَدَر بالوقُوع والقَضاء بالوُرود فقال في الأوّل وقَع وفي الثّاني تَورّد ولِمَ قيّد القَدَر بالسّابق والقضاء بالماضي فنقول:

قال المحقّق البحراني رحمه الله ثمّ اخبر عليه السلام انّ القَدَر السّابق في علم اللّه قد وَقع والقَضاء الماضي اي النّافذ قد تَورّد اي دخَل في الوجود شيئا فشيئا وقد علمت فيما سبق القَضاء هو العلم الإلهي بما يكون وما هو كائن وانّ القَدر تَفصيله الواقع على وفقِه لكنّه اشار بوقُوع القَدَر هنا الى وقعٍ خاص وهو خلافته وما يلزمها من الفِتن والوقائع انتهى ما اردنا نقله:

علىٰ القريب بالنّسبة اليه وحيث انّ الوقائع والحوادث الخارجية التّي قد وقعت بقَدَره تعالىٰ كانت قريبة.

فقال عليه السلام: **القَدَر السّابق** ومِن جهة بُعدها بالنّسبة الىٰ الخارج قال عليه السلام القَضاء الماضي هذا مافهمناه من العبارة فاقض ما انت قاض:

□ **قوله عليه السلام: وَاِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ اللّهِ وَحُجَّتِهِ قَالَ اللّهُ تَعَالَىٰ (اِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا الآية...**

العِدَة بكسر العين وفتح الدّال الوَعَد والهاء عوض عن الواو التّي هي فاء الفِعل والجَمع عِدات بالكسر وامّا الوَعد فلا جمع له علىٰ الأصح:

والمعنىٰ انّي متكلّم لكم بَعِدة اللّه ووَعده في كتابه حيث قال: **﴿إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾** (١)

و: **﴿وَكلاً وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنىٰ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾** (٢)

و: **﴿وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَاَجْراً عَظِيماً﴾** (٣)

وغيرها من الآيات.

وقوله عليه السلام: **وحُجّته**، اي انّي متكلّم لكم الحجّة ايضا فانّ الحجّة منه تعالىٰ قد تمّت عليكم كتابا وسنّةً والحاصل انّي لا اقول لكم الّا حقّا مُوافقا لوَعد اللّه وحجّته حيث قال في كتابه: **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾** (٤)

□ **قوله عليه السلام: وَقَدْ قُلْتُمْ «رَبُّنَا اللّهُ» فَاسْتَقِيمُوا عَلَىٰ كِتَابِهِ وَعَلَىٰ مَنْهَاجِ اَمْرِهِ وَعَلَىٰ الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ...**

وهذا بيان الحُجّة وتقريرها انّكم قُلتم ربّنا اللّه فان كنتم صادقين في ادّعائكم هذا فاستقيمُوا علىٰ كتابه وعلىٰ منهاج امره وذلك لأنّ الإقرار بالرُّبوبية ينافي تكذيب قوله في كتابه بل لازمه التّصديق به ولازم التّصديق العَمَل به والمَشي علىٰ منهاجه وعلىٰ الطّريقة الصّالحة من عبادته ومن لا يكون كذلك

١- ابراهيم ٢٢ ٢- الحديد ـ ١٠

٣- الفتح ـ ٢٩ ٤- فصّلت ـ ٣٠

الأخلاق اي تقليبها ونقلها من حالٍ الى حالٍ والمقصود التّحذير من امرين تفريق الأخلاق، وتقليبها، فانّ ذلك شان المُنافق فانّه لا يبقى على خلقٍ ولا يَستمر على حالةٍ واحدة وانّما حَذّرَهم عن النّفاق لكونه اسوء من الكُفر والآيات والأخبار في ذمّه كثيرة.

▫ قوله عليه السلام: **وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِداً وَلْيَخْزُنَ الرَّجُلُ لِسَانَهُ فَاِنَّ هٰذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِه...**

خَصّ عليه السلام اللّسان بالذّكر مع انّ مركز النّفاق وموضعه القلب لكون اللّسان مُظهِرا له ومُوجدٌ لِما فيه في الخارج وقد ثبت في العلوم العقّلية انّ الأثار تترتب على الوجود الخارجي.

لَم يُوجد الشّيء في الخارج لا يُحكم له او عليه وحيث انّ المُنافق يظهر مافي قلبه بسبب لسانه ويقول بما يُنافي قلبه فلا محالة يكون اللّسان دليلاً على نفاقه وامّا مالم يَتكلّم به فهو مَخزونٌ في قلبه لا يُعلم ماهو فلا يَتّضرر به احد.

والغرض من جعل اللّسان واحدا هو جعله على حالةٍ واحدة والّا فهو واحد في جميع النّاس فكون اللّسان واحدا كناية عما ذكرناه، (فلا تكونوا كالّذين: **﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾**(1)

ولذلك قال عليه السلام وليَختبرن الرّجل لسانه اي وليلازم الصّمت فانّ هذا اللّسان جموحٌ بصاحبه يُقحمه في المَهالك والمعاطب والجَمُوح بفتح الجيم جَمح جمحا وجَموحا وجِماحا، الفرس تغلّب عل راكبه وذهب به وجَمحت المراة زوجها تركته وغادرت بيتها الى اهلها، وجَمح الرّجل اذا ركب هواه واسرع الى الشّيء فلم يكن ردّه وعليه فالمعنى اللّسان يذهب بصاحبه الى الهلاكة فينبغي له المُواظبة عليه وحفظه عن الآفات والفَلتات:

١- البقرة - ١٤

لأنّ اللّسان مُظهِر لما فيه فلا يَعقل استقامة القلب واضطراب اللّسان لِلزومه ان يكون الحاكي مُخالفا للمحكي عنه وهو غير معقُول بل هو من اجتماع النّقيضين اذ يلزم ان يكون اللّسان حاكيا وغير حاكٍ، حاكيا لأنّ المفروض انّ اللّسان كذلك وغير حاكٍ لأنّ الفرض كونه مُخالفا لِلقَلب وهو محال ان قلت - الَيس الإيمان علىٰ مذهبكم عبارة عن الإعتقاد بالقَلب والإقرار باللّسان والعَمَل بالأركان وعليه فاللّسان احد اجزاء الإيمان كما انّ العَمَل كذلك فكيف يعقل كون الإيمان مُتّفرعا علىٰ الإستقامة القلبي وهي علىٰ اللّساني والمفروض انهما من اخواته وبعبارةٍ اخرىٰ وجود الكلّ مَوقُوفٌ علىٰ وجود الأجزاء جَميعا لا علىٰ وجود الجُزء فاذا قلنا الكلمة اسم وفعل وحرف معناه انّ وجود الكلمة يَتّفرع علىٰ وجود اجزائه لا علىٰ وجود جزءٍ واحدٍ.

قلت:اما اولاً: فلا نُسلّم انّها اجزاء الإيمان بل هي من شرائط تحققه في الخارج فانّ الإيمان عبارة عن الإعتقاد فَحسْب الّا انّ هذا الإعتقاد اذا وُجد في الخارج فشرطه الإقرار باللّسان اوّلاً والعَمَل ثانيا فالصّحيح ان يقال انّ الإيمان بسيطٌ لا مُركّب وله مُظهِران مُظهِر لَفظي ومُظهِر عَمَلي فَظهُوره اللّفظي باللّسان وظهُوره الخارجي بالعَمَل وحيث انّ الأثار للشّيُ تَتّرتب علىٰ وجوده الخارجي كالإحراق علىٰ النّار فلا محالة مُجّرد الإيمان القلبي اذا لم يكن له وجود في الخارج لا اثر له ولهذا قالوا الإيمان مشروط بهما وهذا بخلاف الكلمة فانّ الإسم والفعل والحرف اجزائهما الوجودية لا شرائطها فالكلمة مركّبة منها ولهذا تُحمل علىٰ الأجزاء فيقال الكلمة اسم كما يقال الكلمة فعل او حَرفٌ وهكذا يقال الإسم كلمة والفعل كلمة والحرف كلمة اذ المقسم يُحمل علىٰ اقسامه، ولايَصّح ان يقال الإيمان هو الإقرار باللّسان او هو العمل بالأركان وبالعكس.

وثانيا: لو قلنا بانّ الإيمان مُركّب من الأجزاء الثّلاثة كالكلمة فالكلام فيه الكلام فيها اذ المَقّسم يُحمَل علىٰ اقسامه فنقول الإيمان هو الإستقامة القَلّبية

فلابدّ من مراعاة القلب والجَوارح معا بصرفهما الى الخيرات ومَنعهما من الشّرُور وعُمدة ما تَصدر منه الذّمائم الظّاهرة المؤدّية الى الرّذائل الباطنة هو اللّسان وهو اعظَم آفةٍ للشّيطان في استغواء الإنسان فمُراقبته اهمّ ومحافظته اوجَب والزَم والسِّر فيه كما قيل انّه من نِعَم اللّه العَظيمة ولطائف صُنعه الغَريبة فانّه وان كان صغيرا جُرمه ولكن عَظيم طاعته وجُرمه اذ لا يَتَبيَّن الإيمان والكُفر الّا بشهادته ولا يهتدي الى شيءٍ من امور النّشاتين الّا بدلالته ومامن موجودٍ او معدومٍ الّا وهو يتناوله ويتّعرض له باثبات او نفي اذ كلّ ما يتناوله العلم يُعبّر عنه اللّسان امّا بحقٍّ او باطلٍ ولا شيءَ الّا والعلم يتناوله وهذه خاصّيةٌ لا تُوجد في سائر الأعضاء اذ العين لاتصل الى غير الألوان والصُّور والأُذن لا تَصل الى غير الأصوات واليَد لا تَصل الى غير الأجسام وكذا سائر الأعضاء وامّا اللّسان فهو رَحب المَيدان وَسيع الجَولان ليس له مَرَدّ ولا لمجاله منتهى ولاحدٌّ فَلَه في الخير مَجال رَحب وفي الشّر ذَيل سَحب فمن اطلق عذبة اللّسان واهمَله مُرخَي العنان سَلَك به الشّيطان في كلّ مكان واوقَعه في اوديةِ الضّلال والخذلان وساقه الى شفا جُرُفٍ هارٍ الى ان يَضطره الى الهَلاك والبَوار فلا ينجي من شرّه الّا من يقيده بلجام الشّرع ويكفّه عن كلّ مايخشى غائلته في العاجلة والآجلة كيف وهو اعصى الأعضاء على الإنسان اذ لا تَعب في تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه فلا يجوز التّاهل في الإحتراز عن آفاته وغوائله وفي الحَذر عن مَصائده وحبائله انتهى.

اذا عرفت هذا فلاباس بالإشارة الى بعض ماوَرد في ذمّه من الآيات والأخبار.

قال اللّه تعالى: ﴿ما يَلفِظُ مِنْ قَوْلٍ اِلاّ لَدَيْهِ رَقيبٌ عَتيدٌ﴾ (١)

وقال رسول اللّه ﷺ مَن يَتكفل لي بما بَين لَحيَته ورجليه اتكَفّلُ له بالجَنّة انتهى..

١- ق ـ ١٧

اذا لم يكن صَمت الفَتىٰ عن ندامةٍ وعَيٍّ فـانّ الصّـمت اولىٰ واسْـلم
احفظ لسـانك لا تـقول فَتبتلي انّ البـــلاء مُـــوكّلٌ بـالمنطق

▫ قوله ﷺ: **وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللّٰهِ اَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَااسْتَحَلَّ عَـاماً اَوَّلَ وَيُحَرِّمُ الْعَامَ مَاحَرَّمَ عَاماً اوّل...**

اي انّ المؤمن تابع للكتاب والسّنة فلا يقول في احكام الشّرع من عند نفسه ولا يتبع المَبدعين فلا محالة يَستّحل اي يَحكُم بحلّيته الشّئ في العام الحاضر الّذي هو فيه كما كان حلالاً في عام الأوّل ويقول بحُرمة ما كان كذلك وذلك لأنّ حلال الإسلام حلال الىٰ يوم القيامة و حرامه حرام كذلك فالألف واللاّم في قوله ﷺ: **(العامّ)** للحضور كما في (الآن) وعام الأوّل يعني به عام اوّل ظهور الإسلام ثُمّ اوضَحه بقوله:

▫ قوله ﷺ: **وَاِنَّ مَا اَحْدَثَ النَّاسُ لَا يَحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ عَـلَيْكُمْ وَلٰكِـنَّ الْحَلَالَ مَااَحَلَّ اللّٰهُ وَالْحَرَامَ مَاحَرَّمَ اللّٰهُ...**

اي اذا كان المُؤمن علىٰ ما وَصَفناه فلا يجوز له الأخذ بما احَدَثه وابَدعه غيره في الدّين وفيه اشارة الىٰ مَنع العَمل بما ابدعُوه في صدر الإسلام كتَحريم المُتعَتين مع انّهما كانتا مُحلّلتين في عهد النّبي كما اعترف عُمر به وقال مُتعَتان مُحلّلتان في زمن النّبي انا احَرّمهما واعاقِبُ عليهماوتحليله صلٰوة التَّراويح مع انّهما كانت مَمنُوعة في الصّدر الأوّل ووضـعه الخـراج علىٰ ارض السّواد وازدياده الجَزيَة عمّا قَرّرها رسُول اللّه ﷺ وغير ذلك من البِدع التّي مَرّت ذكرها في المَجّلد الأوّل من الكتاب:

ومثل ما صَدر عن ابي بكر من طلب البيّنة عن الزّهراء ؑ في قصّة فدك مع انّ البيّنة علىٰ المُدّعِي واليَمين علىٰ من انكَر في اصل الشّرع:

وهكذا ما احَدثه عثمان من التّفضيل في العَطاء واحداثه الأذان يوم الجمعة زائدا علىٰ السّنّة وتقديمه الخُطبتين في العَيدين واتمامه الصّلٰوة بمنىً مع كونه مُسافرا الىٰ آخر مُحدثاتهم فالحلال ما احلّ اللّه والحرام ما حَرّمَه كما قال في

وذلك لأنّ المحسوس مقدّمٌ على المعقُول والبلاء والتّجارب من سَنخ المَحسُوسات والعِظة من المَعقُولات فعَدم الإنتفاع بالمَحسُوس من قبيل انكار المحسُوس ومن انكر الحِسّ فكيف يلتزم بالعقل وما يحكم بـه ولا شَكّ انّ المَوعِظة من الثّاني:

▫ **قوله ﷺ: وَآتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ حَتَّىٰ يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ...**

قال الشّارح البحراني ﵀ في شرح العبارة لأنّ الكمالات الّتي يَتّوجه اليها بوجهِ عَقله تَفُوته لنقصان تَجربته ووقُوف عقله عنها فاشبه فَوتها له مع طلبه لها اتيان النُّقص له من امامه انتهى.

اقول: ماذكره ﵀ لانعرف وجهه ولانعلم ما ارادوا الّذي حَصَل لنا في المقام هو انّ من لم يَنتفع بشيئٍ من العِظة بعد مالم يَنتَفع بـالبلاء والتّجارب فـاتاه التّقصير من امامه في عدم الإنتِفاع لا من خَلفه وذلك لأنّ الحُجّة امامه اي بين يديه سواء كانت محسُوسة ام معقُولة وهذا التّقصير يكون مُصاحبا ومُلازما له حتّىٰ يَعرف ما انكَره من الحقّ ويُنكر ما عَرفه من الباطل الّذي كان بزَعمه حقّا وخلاصة الكلام انّ من كان كذلك فهو مُقصّر عند اللّه تعالىٰ حتّىٰ يَعرف الحَقّ ويُنكر الباطل وفي التّعبير بالتّقصير دون القصُور اشارة الىٰ انّه بنفسه كان مُقَصِرا في معرفة الحَقّ مع امكانهما لا انّه لَم يكن قادرا عليها.

▫ **قوله ﷺ: وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلاَنِ مُتَّبِعٌ شِرْعَةً وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانُ سُنَّةٍ وَلَا ضِيَاءُ حُجَّةٍ...**

قَسّم النّاس الىٰ صنفين، تابع شِرعة ومُبتدع بِدعة، والشِّرعة بكسر الشّين وفتحها الشَّريعة وهي في الأصل الطّريقة الىٰ الماء والىٰ هذا المعنىٰ اشير في الكتاب بقوله تعالىٰ: **﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾**[1] وهي من الشّرع وهو الطّريق الواضح يقال شَرعتُ له طريقا ثمّ استعير ذلك لِلطّريقة الإلٰهية، والبِدعة ادخال ماليس في الدّين في الدِّين:

١- المائدة ـ ٤٨

بالمَتين اشارة الى استحكامه واستقامته بحيث لا يَنفصل اصلاً وايضا هو السَّبَب الّذي لا يَخُون احدا ممنّ تَمَسّك به.

رَوي القُمّي في تفسيره انّه قال رسُول اللّه ﷺ في حجّة الوداع في مسجد الخيف، انّي فرطكم وانّكم واردُون عَلَّي الحَوض، حَوضٌ عرضه مابين بَصرة وصَنعاء فيه قدحان من فِضّة عَدَد النُّجوم الا وانّي سائِلكم عن الثّقلين قالوا يارسُول اللّه وما الثَّقَلان قال كتاب اللّه الثِقل الأكبر طَرَفٌ بيد اللّه وطَرَفٌ بايّديكم فتَمَسكوا به لَن تَضلّوا ولن تَزِلّوا والثّقل الأصغر عِترتي واهل بيتي فانّه قد نبّاني اللّطيف الخبير انّها لن يَفترقا حتّىٰ يَردَا عَلَّي الحَوض كاصبَعَي هاتين وجمع بين سبابتيه ولا اقول كهاتين بين سبابته والوسطىٰ مُتَفضل هذه علىٰ هذه فالقرآن عظيمٌ قدره جليلٌ خطره بَيِّنٌ ذكره مَن تَمَسّك به هُدي ومن تَولّىٰ عنه ضَلَّ وزَلَّ الحديث تفسير القمي ج ١ – ص ٣.

▫ **قوله ؈: وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَمَا لِلْقَلْبِ جِلاَءٌ غَيْرُهُ...**

ربيع القلب كناية عن حياته الواقعية ولهذا سُمّي الرَّبيع به فانّه يُحي الأرض بعد مَوتها بالأحكام النّازلة بامرٍ من اللّه تعالىٰ فَشّبه ؈ القلب بالأرض والقرآن بالرَّبيع الباعث لحَياته او الجامع كونهما من الرَّحمة الّا انّ المَطَر رَحمة مَحسُوسة والقرآن مَعقُولة فهو من تَشبيه المَعقُول بالمَحسُوس.

وقوله ؈: **ينابيع العلم**، جمع ينبُوع وكلمة (ما) نافية بمعنىٰ ليس والمعنىٰ انّ في القرآن ربيع القلب كما انّ في المَطر ربيع الأرض او المعنىٰ انّ في القرآن رياحين من المَواعظ والنّصائح والعِبَر والأمثال وغير ذلك من الحقائق وهي كالشّقائق التّي يلتذ البَصر بها فانّ عين القلب تلتذ بما في القرآن وايضا فيه ينابيع العلم اي مصادره ومنابعه كيف وفيه جميع العلوم ماكان وما يكون وما هو كائن الىٰ يوم القيامة واذا كان كذلك فليس لِلقلب جلاء وصفاء غير القرآن اذا تدّبر فيه حقّ التدّبر وقد شهدت بذلك التَّجربة والأثار.

طلب الهُدىٰ في غيره اضَلّه اللّه ومن جَعَله شعاره ودثاره اسَعَده اللّه ومن جَعَله امامه الّذي يَقتدي به ومعوّله الّذي ينتهي اليه ادّاه اللّه الىٰ جنّات النّعيم والعَيش السَّليم انتهىٰ...

اقول :الأحاديث في الباب من طرق الخاصّة كثيرة:

وامّا العامّة فقد وَردت في تفاسيرهم وصحاحهم روايات كثيرة ايضا:

منها ما رواه النّيسابوري في تفسيره عن علّي ابن ابي طالب عليه السلام قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله من قرا القرآن فاستظهره واحَلَّ حلاله وحَرّم حَرامه ادخَله اللّه الجَنّة وشَفَّعَه في عشرة من اهل بيتة كُلّهم قد وَجَبت له النّار انتهىٰ.

وعنه - انّ النّبي صلى الله عليه وآله قال خَيركم مَن تَعلّم القرآن وعَلّمه انتهىٰ...

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه قال قال رجل يا رسُول اللّه صلى الله عليه وآله اي الأعمال احَبّ الىٰ اللّه قال صلى الله عليه وآله الحال المُرتحل قال وما الحال المُرتحل قال يضرب من اوّل القرآن الىٰ آخره كلّما حَلّ ارتَحل انتهىٰ...

وفي الصَّحيحين عن عائشة قالت قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله الماهر في القرآن مع السَّفرة الكرام البَرَرة والّذي يقرا القرآن ويَتَّعتع فيه وهو عليه شاق له اجران انتهىٰ...

وعن ابي هريرة انّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال ما اجتمع قوم في بيتٍ من بيُوت اللّه تبارك وتعالىٰ يَتلُون كتاب اللّه عزّ وجلّ ويَتَّدارسُونه بينهم الّا نَزلت عليهم السَّكينة وغَشيتهم الرّحمة وحَفّتهم الملائكة وذكرهم اللّه فيمن عنده انتهىٰ وامثال ذلك ممّا رَووه في كُتبهم...

▫ قوله عليه السلام: مَعَ اَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ وَبَقِيَ النَّاسُونَ وَ الْمُتَنَاسُونَ...

ذهاب المُتّذكرين كناية عن مَوتهم والمعنىٰ انّ المُتّذكرين للقرآن اعني الحافظين المُتّعمقين فيه قد ماتوا وارتَحلوا عن الدّنيا وبقي في الدّنيا النّاسُون له او المُتّناسُون اعني الّذين جَعلُوا انفسهم كالنّاسين في عَدم العَمَل بالقرآن وان كانوا غير ناسين واقعا والفرق بين النّاسي والمُتّناسي كالفَرق بين الجاهل

ولا مُفْرِطٍ وبعبارةٍ اخرىٰ ليس الجواد من بَذَل ماله ونَفسه فقط بل الجواد من عَمِل بالخَير وتَرَك الشّر:

□ **قوله ﷺ: اَلَا وَاِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ فَظُلْمٌ لَايُغْفَرُ وَظُلْمٌ لَايُتْرَكُ وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَايُطْلَبُ...**

قَسّم ﷺ الظُّلم علىٰ اقسام ثلاثة احدها ما لا يُغفر عند اللّه تعالىٰ وثانيها ما لا يُترك عنده بل يُوخذ صاحبه به وثالثها ما هو مَغفُورٌ عنده لا يُطلب به ثُمّ اوضح كلامه وقال ﷺ:

□ **قوله ﷺ: فَاَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَايُغْفَرُ الشِّرْكُ بِاللّٰهِ قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى (اِنَّ اللّٰهُ لا يُغْفِرُ اَنْ يُشْرَكَ بِهِ...**

الشِّرك بكسر الشّين الإسم من شَرَك واشرَك، المشارك، والنّصيب ومنه، بيع شِركٌ من داره اي حصّته ونَصيبه منها وجَمعه اشراك نحو مِلك واملاك وسِفر واسفار، ثُمّ انّ شِرك الإنسان في دينه علىٰ ماذهب اليه الرّاغب في المُفردات علىٰ ضربين:

احدهما الشِّرك العظيم وهو اثبات شَريكٍ لِلّه تعالىٰ في الُوهيّته يقال اشرَك فلان باللّه وذلك اعظم كُفرٍ، والثّاني الشِرك الصّغير وهو مُراعاة غير اللّه معه في بعض الأمُور وهو الرّياء والنّفاق انتهىٰ اقول وقد يُعبّر عن الأوّل بالشِّرك الجلّي وعن الثّاني بالخّفي:

وقد وَردت الأيات في ذَمّ القسمين:

فمن الأوّل:

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مادُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾ (١)

و: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ (٢)

و: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ (٣)

و: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَقَدِ افْتَرىٰ إِثْماً عَظِيماً﴾ (٤) وغيرها من الآيات.

١- النّساء ـ ٤٨ و ١١٦
٢- النّساء ـ ١١٦
٣- المائدة ـ ٧٢
٤- النّساء ـ ٤٨

دلالة القرآن على انّ المُشرك لا يُغفر فلا نحتاج الى اثبات المُدّعى بدليلٍ آخر.

تنبيه – قال بعض العُرفاء الشِّرك هو ان يرى في الوجُود مُؤثرا غير اللّه سبحانه فان عَبد هذا الغير سواه كان صَنَما او كَوكبا او انسانا او شَيطانا كان شرك عبادة وان لم يعبده ولكن لإعتقاده كونه منشا اثرٍ اطاعَه فيما لا يَرضي اللّه فهو شِرك طاعةٍ والأولى يُسمى بالشِّرك الجلّي والثّاني بالخَفي انتهى:

اقول: ولا باس بالإشارة الى بعض اقسام الشِّرك فنقول:

احدها: الشِّرك في اصل الذّات وهو عبارة عن الإعتقاد بكون الذّات مُركّبا عقليا او خارجيا ونعني بالأوّل اثبات الجِنس والفَصل له وبالثّاني المّادة والصُّورة فانّ الجِنس والفصل من الأجزاء العَقلّية والمّادة والصُّورة من الأجزاء الخارجية ووجه المنع فيهما هو الإحتياج المُساوق لِلإمكان المُنافي للواجّبية.

وثانيها: الشِّرك في الصّفات اعني به كون الصّفات من الواجب زائدا على ذاته وانّما يُعدّ في الشِّرك لأنّه من تَشبيه الخالق بالمَخلُوق حيث انّ الصّفات في المخلوق زائدة فلو قال قائل بهذه المقالة فيه تعالى جَعَله كغيره من المَخلوق ولا نعني بالشِرك الّا هذا وان شئت قُلت اشرَك غيره تعالى معه في كون الصّفات كذلك وهكذا نقول في عينيّة الصّفات اذا اثبتناها لغيره تعالى.

وثالثها: الشِّرك في وجوب وجوده اعني اثبات واجب الوجود غيره.

ورابعها: الشِّرك في فِعله وايجاده وتاثيره اعني اثبات فاعلٍ او مُوجدٍ مُؤثّرٍ غيره.

□ **قوله ﷺ: وَاَمَّا الظُّلْمُ الَّذِى يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ...**

وذلك كتَركه الواجبات كما اذا تَرك الصّلوة او الصّوم او الحجّ وامثال ذلك وكفعله بعض المُحرّمات الّذي ليس فيه حقّ لغيره كشُرب الخَمر والزّنا وامثالهما وانّما حكم ﷺ بكونها ممّا يُغفر لأنّها من المعاصي بين العَبد والرّب وليس فيها حقّ لغير اللّه فاذا تاب وندم يغفر اللّه له فانّه يغفر الذّنُوب جميعا كما قال تعالى في كتابه:﴿**قُلْ يَاعِبَادِىَ الَّذِينَ اَسْرَفُوا عَلَىٰ اَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن**

الملاك المَصلَحة والمَفسدة وهما مَجهولتان عليكم.

▫ قوله ﷺ: وَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضَىٰ وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ...

حَذّرهم عَن الفُرقة وانّ اللّٰه سُبحانه لَم يُعط من الخير احدا بسبب الفُرقة خيرا ممّا مضىٰ اي الدّنيا.

ولا ممّا بقي اعني الآخرة ويحتمل ان يكون المعنىٰ خيرا ممّا مَضىٰ من عُمره ومابَقيٰ منه والحاصل انّه التّشتّت والإختلاف والنّفاق مَذمُومة كما انّ الإتفاق والإجتماع والإئتلاف مَمدُوحة ففي الأوّل الذّلة والمَسكَنة وفي الثّاني العِزّة والسّعادة قال اللّٰه تعالىٰ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (١)

▫ قوله ﷺ: يَاأَيُّهَا النَّاسُ طُوبَىٰ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ...

كلمة (طُوبىٰ) قيل اسم شَجَرةٍ في الجنّة وقيل انّه اشارة الىٰ كلّ مُستطاب في الجنّة من بقاء بلا فناءٍ وعزّ بلا زوالٍ وغِنىً بلا فقرٍ فَعلىٰ الأوّل معنىٰ العبارة انّ مَن شغله عَيبه عن عيُوب النّاس فاشتغل بعَيبه واعَرض عن عَيب غَيره فطُوبىٰ له اي يَستريح تحت شَجَرة طُوبىٰ غدا يوم القيامة وعلىٰ الثّاني معناها انّ من كان كذلك يدخل تحت رحمة اللّٰه ويستّلذ بكلّ مُستطابٍ في الجنّة من النّعم الباقية التّي لا زوال لها ولا فناء فيها، وطُوبىٰ بضَم الطّاء علىٰ وزن فَعلىٰ من الطّيب قُلبت ياؤُه واوٌ لِضَمةٍ ما قَبلها وهو مصدر يُطاب كبُشرىٰ وزُلفىٰ ويقال طُوبىٰ لك وطُوباك بالإضافة:

وقد وَرد في الخبر عن النّبي ﷺ طُوبىٰ شَجرة في الجنّة اصلها في داري وفرعها في دار علّيٍ فقيل له في ذلك فقال ﷺ داري ودار علّي في الجنّة بمكانٍ واحد.

وفي حديثٍ آخر، هي شَجَرة اصلها في دار النّبي وليس مؤمن الّا في داره غُصنٌ منها لا يخطر علىٰ قلبه شَهوة الّا اتاه به ذلك الغُصن ولو انّ راكبا مُجِدًا

١- آل عمران - ١٠٣

نَسِي عنه فانّ الإنسان لا يَخلُو عن عَيبٍ ومن كان كذلك فكيف يشتغل بعيُوب غيره.

ان قلت – حكمه عليه السلام عامّ ويظهر منه عدم جواز الشُّغل بعيُوب النّاس لكونه ايضا كذلك ومفهومه انّ من لا يكون له عَيب لا مانع له من الإشتغال بعيُوب غيره:

قلت ـ امّا اوّلاً فمفهوم الوَصف ليس بحُجّةٍ كما قرّر في محلّه وثانيا على فرض كونه حُجّة نلتزم بصحّة الإشتغال بعيُوب النّاس لمن لا عَيب له الّا انّه لا مصداق له خارجا في المخلوق اذ لا يوجد في عالم الوجود من لا عَيب له سوى اللّه تعالى وهو ليس بمخلوقٍ فلا كلام لنا فيه وامّا غير الخالق كائنا من كان فهو داخل في الحُكم اذ المخلوق لا يَخلُو منه كيف والمخلوقيّة بما هي هي من اعظم النّقائص لإمكانيّتها وفقرها فالأنبياء والأوصياء ايضا داخلُون في الحكم قال اللّه تعالى: **﴿يا ايُّها النّاسُ انتُمُ الفُقَراءُ اِلىَ اللّهِ وَاللّهُ هُوَ الغَنِيُّ﴾** (١)

وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله الفقر فخري، ولا شكّ انّ هذا الفقر غير الفقر المُتعارف عند العوام...

وعن ابي عبد اللّه عليه السلام قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله لا تطلبُوا عثرات المؤمنين فانّ من تتبّع عثَرات اخيه تتبّع اللّه عَثرته ومن تتَّبع اللّه عثرته فَضَحه ولو في جَوف بيته انتهى «مشكاة الأنوار ص – ١٠١»...

وقال عليه السلام – من سَتَر على اخيه المؤمن عورةً سَتَر اللّه عَورته يوم القيامة انتهى« ص – ١٠٧»...

وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله المؤمن مرآة اخيه يُميط عنه الأذى انتهى «ص ١٠٦»...

والأحاديث كثيرة.

لنفسي ابكى لستُ ابكى لغيرها ... لنفسى من نفسى عن النّاس شاغل

١- فاطر ـ ١٥

وفي هذا الكتاب عن ابي جعفر ٧ قال اللّه عزّ وجلّ يابن آدم ارض بما اتيتك تكُن من اغنىٰ النّاس انتهىٰ «ص ١٣٠»...

وقال ﷺ اغنىٰ الغِنىٰ القناعة، وقال ايضا لرجلٍ يَعظه اقنَع بما قَسَم اللّه لك ولا تنظر الىٰ ما عند غيرك ولا تَتّمن مالَستَ نائله من قَنع شَبع ومَن لَم يَقنع لَم يَشبع وخُذ حَظّك من آخرتك انتهىٰ «ص ١٣٠»...

والحكم الثّالث: اعني الإشتغال بطاعة الرّب فهو كناية عن عدم الإشتغال بطاعة غيره فانّه ينافي التّوحيد والإخلاص وهو ايضا ممّا لا خلاف فيه والآيات والأخبار فيه كثيرة.

وامّا الحكم الرّابع: اعني البكاء علىٰ الخطيئة فهو ايضا مَمدوح.

رُوي في الكافي باسناده عن ابي عبد اللّه قال ﷺ ما مِن شيءٍ الّا وله كيلٌ او وزنٌ الّا الدّمُوع فانّ القَطرة منها تُطفيءُ بحارا من نارٍ فاذا اغرورَقت العَين بماؤها لَم يَرهَق وَجها قترٌ ولا ذلّة فاذا افاضت حَرَّمَه اللّه علىٰ النّار ولو انّ باكيا بكىٰ في امّةٍ تُرحَموا انتهىٰ...

وعن الصّادق ﷺ انّه قال ما مِن عَينٍ الّا وهي باكية يوم القيامة الّا عينٌ بَكَت من خوف اللّه وما اغرُورَقت عينٌ بمائها من خَشيَة اللّه عزّ وجلّ الّا حَرّم اللّه سائر جسَده علىٰ النّار ولا فاضت علىٰ خَدّه فَرهَق ذلك الوجه قَترٌ ولا ذلّة وما من شيءٍ الّا وله كيلٌ ووزنٌ الّا الدّمعة فانّ اللّه تعالىٰ يُطفيءُ باليَسير منها البحارَ من النّار فلو انّ عبدا بكىٰ في امّةٍ لرَحِم اللّه تلك الأُمّة ببكاء ذلك العبد انتهىٰ) والأحاديث بهذا المَضمون كثيرة «مرآة العقول ج ٣ - ص ٤٤٠»...

فقد ثبت انّ المراتب الأربعة المذكورة مَمدُوحة لِلسّالك بحسب العقل والنّقل .

امّا العقل: فلأنّ السّالك لا مَحيص له عنها في الوصُول الىٰ مَقصده وامّا النّقل فقد ذكرناه:

الفهرست

ومن خطبة له عليه السلام (١٥٣)........................... ٥
قوله عليه السلام: وَنَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ الى غَرْسَهُ وَأَمْرَتْ ثَمَرَتُهُ. ٦
اللّغة ٦
المعنىٰ ٦
الشرح... ٨
قوله عليه السلام: وَنَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ ٨
قوله عليه السلام: دَاعٍ دَعَا، وَرَاعٍ رَعَا، فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي ،وَاتَّبِعُوا الرَّاعِي ١٠
قوله عليه السلام: قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ......... ١٣
قوله عليه السلام: وَأَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ ،وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ.............. ١٦
قوله عليه السلام: نَحْنُ الشِّعَارُ وَالأَصْحَابُ، وَالْخَزَنَةُ وَالأَبْوَابُ ١٧
قوله عليه السلام: وَلاَ تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلاَّ مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مَنْ و..... .... ٢٠
قوله عليه السلام: فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمٰنِ، إِن و..... .... ٢٢
قوله عليه السلام: إِن نَطَقُوا صَدَقُوا، وَإِن صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا........... ٢٥
قوله عليه السلام: فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ، وَلْيَكُن مِنْ و..... ...... ٢٥
قوله عليه السلام: فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ يَكُونُ مُبْتَدَاءُ و..... .... ٢٩
قوله عليه السلام: فَإِن كَانَ لَهُ مَضىٰ فِيهِ، وَإِن كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ ٣٠
قوله عليه السلام: فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلىٰ غَيْرِ طَرِيقٍ، فَلاَ و...... ٣٠
قوله عليه السلام: وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَىَ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، و..... .... ٣١
قوله عليه السلام: وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلىٰ مِثَالِهِ، فَمَا طَابَ و..... .... ٣١
قوله عليه السلام: وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ و..... .... ٣٢

قوله ﷺ: فَسُبْحَانَ مَن جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهاراً وَمَعَاشاً، و...... ٥٧
قوله ﷺ: وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِن لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا و...... ٥٧
قوله ﷺ: غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلاَ قَصَبٍ، إِلاَّ أَنَّكَ تَرَىٰ و...... ٥٧
قوله ﷺ: وَلَهَا جَنَاحَانِ لَمْ يَرِقَّا فَيَنشَقَّا ،وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلاَ ٥٧
قوله ﷺ: تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لاَصِقٌ بِهَا، لاَجِئٌ إِلَيْهَا، يَقَعُ إِذَا و...... ٥٧
قوله ﷺ: وَلاَ يُفَارِقُهَا حَتَّىٰ تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ، وَيَحْمِلَهُ و...... ٥٧
قوله ﷺ: فَسُبْحَانَ الْبَارِئُ لِكُلِّ شَيءٍ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ خَلاَ مِنْ غَيْرِهِ ٥٨
ومن كلامٍ له ﷺ (١٥٥)...... ٥٩
قوله ﷺ: فَمَنِ اسْتَطَاعَ عِندَ ذَٰلِكَ أَن يَعْتَقِلَ الى فَقَالَ: بِمَنزِلَةِ فِتْنَةٍ) ٦٠
اللّغة ٦٠
المعنى ٦١
الشرح ٦٣
قوله ﷺ: فَمَنِ اسْتَطَاعَ عِندَ ذَٰلِكَ أَن يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ و...... ٦٣
قوله ﷺ: فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ عَلَىٰ سَبِيلِ و...... ٦٣
قوله ﷺ: وَأَمَّا فُلاَنَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ، وَضِغْنٌ و...... ٦٦
قوله ﷺ: وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ ٦٨
قوله ﷺ: وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَىٰ وَالْحِسَابُ عَلَىٰ اللهِ ٦٩
قوله ﷺ: سَبِيلٌ أَبْلَجُ الْمِنْهَاجِ، أَنْوَرُ السِّرَاجِ ٧٠
قوله ﷺ: فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَىٰ الصَّالِحَاتِ، و...... ٧١
قوله ﷺ: وَبِالْإِيمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ ،وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ و...... ٧٣
قوله ﷺ: وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الْآخِرَةُ، وَ بِالْقِيَامَةِ تُزْلَفُ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ٧٤
قوله ﷺ: وَ تُبَرَّزُ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ وَإِنَّ الْخَلْقَ لاَ مَقْصَرَ لَهُمْ و...... ٧٥
قوله ﷺ: قَدْ شَخَصُوا مِن مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ، وَصَارُوا و...... ٧٨
قوله ﷺ: لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا، لاَ يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا، وَلاَ يَنْقُلُونَ عَنْهَا ٨٠

قوله عليه السلام: فَالْجَنَّةُ غايَةُ السّابِقِينَ، وَالنّارُ غايَةُ الْمُفَرِّطِينَ ١١٣
قوله عليه السلام: اعْلَمُوا عِبادَ اللهِ، أَنَّ التَّقْوىٰ دارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، و...... ١١٤
قوله عليه السلام: لاٰ يَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَلاٰ يُحْرِزُ مَن لَّجاَ إِلَيْهِ ١١٤
قوله عليه السلام: أَلاٰ وَبِالتَّقْوىٰ تُقْطَعُ حُمَةُ الْخَطايا، وَبِالْيَقِينِ و...... ١١٥
قوله عليه السلام: عِبادَ اللهِ، اللهَ اللهَ فِي أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ، وَأَحَبِّها و..... ١١٥
قوله عليه السلام: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنارَ طُرُقَهُ.......... ١١٦
قوله عليه السلام: فَشِقْوَةٌ لاٰزِمَةٌ، أَوْ سَعادَةٌ دائِمَةٌ.......... ١١٦
قوله عليه السلام: فَتَزَوَّدُوا فِي أَيّامِ الْفَناءِ لِأَيّامِ الْبَقاءِ، فَقَدْ و...... ١١٧
قوله عليه السلام: فَإِنَّما أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ لاٰ تَدْرُونَ مَتىٰ تُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ ... ١١٨
قوله عليه السلام: أَلاٰ فَما يَصْنَعُ بِالدُّنْيا مَنْ خُلِقَ لِلْآخِرَةِ؟ وَما و...... ١١٨
قوله عليه السلام: عِبادَ اللهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِما وَعَدَ اللهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرَكٌ، و...... ١١٨
قوله عليه السلام: عِبادَ اللهِ احْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ الْأَعْمالُ، و...... ١١٩
قوله عليه السلام: اعْلَمُوا عِبادَ اللهِ، إِنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً مِنْ أَنْفُسِكُمْ، و...... ١٢٠
قوله عليه السلام: وَحُفّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمالَكُمْ، وَعَدَدَ أَنْفاسِكُمْ.......... ١٢١
قوله عليه السلام: لاٰ تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ داجٍ، وَلاٰ يُكِنُّكُمْ و...... ١٢٢
قوله عليه السلام: وَإِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِما فِيهِ، و...... ١٢٢
قوله عليه السلام: فَكَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ و...... ١٢٣
قوله عليه السلام: فَيالَهُ مِن بَيْتِ وَحْدَةٍ، وَمَنْزِلِ وَحْشَةٍ، وَمُفْرَدِ غُرْبَةٍ.......... ١٢٤
قوله عليه السلام: وَكَأَنَّ الصَّيحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ، وَالسّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ، و...... ١٢٤
قوله عليه السلام: قَدْ زاحَتْ عَنْكُمُ الْأَباطِيلُ، وَاضْمَحَلَّتْ عَنْكُمْ و...... ١٢٩
قوله عليه السلام: وَصَدَرَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ مَصادِرَها، فَاتَّعِظُوا و...... ١٣٠
ومن خطبة له عليه السلام (١٥٧) ١٣١
قوله عليه السلام: أَرْسَلَهُ عَلىٰ حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ،الى أَبَداً ما كَرَّ الْجَدِيدانِ . ١٣١
اللّغة ١٣١

ومن خطبة له عليه السلام (١٥٩) ١٤٥
قوله عليه السلام: أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ الى وَفِكْرَهُ حائراً....... ١٤٥
اللغة ١٤٥
المعنىٰ ١٤٦
الشرح ١٤٧
قوله عليه السلام: أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ ١٤٧
قوله عليه السلام: يَقْضِي بِعِلْمٍ، وَيَعْفُو بِحِلْمٍ........ ١٥٠
قوله عليه السلام: اَللّٰهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلىٰ مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي، و........ ١٥٠
قوله عليه السلام: حَمْداً يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ، وَأَحَبَّ الْحَمْدِ و..... .... ١٥٢
قوله عليه السلام: حَمْداً يَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ ،وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ، حَمْداً لا و..... .... ١٥٢
قوله عليه السلام: فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ إِلاَّ أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ........ ١٥٣
قوله عليه السلام: إِلاَّ أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ و........ ١٥٣
قوله عليه السلام: لاَ تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ،لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ ١٥٤
قوله عليه السلام: أَدْرَكْتَ الْأَبْصَارَ، وَأَحْصَيْتَ الْأَعْمَارَ، وَأَخَذْتَ و........ ١٥٥
قوله عليه السلام: وَمَا الَّذِي نَرىٰ مِنْ خَلْقِكَ وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، و........ ١٥٦
قوله عليه السلام: وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، و........ ١٥٧
قوله عليه السلام: فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ ،وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ و..... .... ١٥٧
قوله عليه السلام: وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمٰوَاتِكَ ،وَكَيْفَ و..... .... ١٥٧
قوله عليه السلام: رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً، وَعَقْلُهُ مَبْهُوراً، وَسَمْعُهُ و..... .... ١٥٧
قوله عليه السلام: رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً، وَعَقْلُهُ مَبْهُوراً، وَسَمْعُهُ و..... .... ١٦٣
من هذه الخطبة ١٦٣
قوله عليه السلام: يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللهَ! كَذَبَ الى يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرىٰ!. ١٦٥
اللّغة........ ١٦٥
المعنىٰ ١٦٥

قوله عليه السلام: وَأَحَبُّ الْعِبادَ اَلىَ اللهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ ،وَالْمُقْتَصُّ لِاَثَرِهِ........ ١٧٩
قوله عليه السلام: قَضَمَ الدُّنْيا قَضْماً، وَلَمْ يُعِرها طَرْفاً، أَهْضَمُ أَهْلِ و...... ١٧٩
قوله عليه السلام: وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينا اِلاَّ حُبُّنا ما أَبْغَضَ اللهُ وَرَسُولُهُ، و...... ١٨١
قوله عليه السلام: وَلَقَدْ كانَ يَأكُلُ عَلىَ الْاَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ و...... ١٨١
قوله عليه السلام: وَيَكُونُ السِّتْرُ عَلىٰ بابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصاوِيرُ........ ١٨٢
قوله عليه السلام: فَيَقُولُ: يا فُلانَةُ ـ لِاَحْدىٰ أَزْواجِهِ ـ غَيِّبِيهِ عَنِّي، و...... ١٨٢
قوله عليه السلام: فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيا بِقَلْبِهِ، وَأَماتَ ذِكْرَها مِن نَّفسِهِو...... ١٨٣
قوله عليه السلام: لِكَيْلاَ يَتَّخِذَ مِنْها رِياشاً، وَلاَ يَعْتَقِدَها قَراراً، وَلاَ و...... ١٨٣
قوله عليه السلام: فَأَخْرَجَها مِنَ النَّفسِ، وَأَشْخَصَها عَنِ الْقَلْبِ، و...... ١٨٣
قوله عليه السلام: وَلَقَدْ كانَ فِي رَسُولِ اللهِ ٩ ما يَدُلُّكَ عَلىٰ مَساوِي و...... ١٨٣
قوله عليه السلام: وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخارِفُها مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ........ ١٨٤
قوله عليه السلام: فَلْيَنْظُرْ ناظِرٌ بِقَلْبِهِ أَكْرَمَ اللهُ مُحَمَّداً بِذٰلِكَ أَمْ أَهانَهُو...... ١٨٤
قوله عليه السلام: فَقَدْ كَذَبَ وَاللهِ الْعَظِيمِ وَأَتىٰ بِالْاِفْكِ الْعَظِيمِ........ ١٨٤
قوله عليه السلام: وَاِنْ قالَ: أَكْرَمَهُ ،فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهانَ غَيْرَهُ حَيْثُ و...... ١٨٥
قوله عليه السلام: فَتَأَسّىٰ مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ، و...... ١٨٥
قوله عليه السلام: فَاِنَّ اللهَ جَعَلَ مُحَمَّداً عَلَماً لِلسّاعَةِ، وَمُبَشِّراً بِالْجَنَّةِو...... ١٨٥
قوله عليه السلام: خَرَجَ مِنَ الدُّنْيا خَمِيصاً، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيماً........ ١٨٧
قوله عليه السلام: لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلىٰ حَجَرٍ حَتّىٰ مَضىٰ لِسَبِيلِهِ، و...... ١٨٧
قوله عليه السلام: سَلَفاً نَتَّبِعُهُ، وَقائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ........ ١٨٨
قوله عليه السلام: وَاللهِ لَقَدْ رَقَعْتُ مِدْرَعَتِي هٰذِهِ حَتّىٰ اسْتَحْيَيْتُ مِن راقِعِها .. ١٨٩
قوله عليه السلام: وَلَقَدْ قالَ لِي قائِلٌ، أَلا تَنبِذُها عَنكَ، فَقُلْتُ و...... ١٨٩
ومن خطبة له عليه السلام (١٦٠)........ ١٩٣
قوله عليه السلام: ابعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيءِ ،وَالْبُرْهانِ الْجَلِيِّ الى ،وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ... ١٩٤
اللّغة........ ١٩٤

الشرح ٢١١
قوله عليه السلام: يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ: إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ، تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ! .. ٢١١
قوله عليه السلام: وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصِّهْرِ وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ، وَقَدِ و...... ٢١٢
قوله عليه السلام: أَمَّا الاِسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهذَا الْمَقَامِ، وَنَحْنُ و...... ٢١٤
قوله عليه السلام: فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، و...... ٢١٦
قوله عليه السلام: شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قوم أي بَخلت عليها نفوس قومٍ وهم. ٢١٦
قوله عليه السلام: وَالْحَكَمُ اللهُ وَالْمَعْوَدُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيمَةِ ٢١٨
قوله عليه السلام: وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ، وَهَلُمَّ و...... ٢١٨
قوله عليه السلام: وَلاَ غَرْوَ وَاللهِ فَيَالَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ و...... ٢١٨
قوله عليه السلام: فَيَالَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ وَيُكْثِرُ الأَوَدَ و...... ٢١٩
قوله عليه السلام: حَاوَلَ الْقَوْمُ اطْفَاءَ نُورِ اللهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ، وَسَدَّ و...... ٢١٩
قوله عليه السلام: وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً........ ٢٢٠
قوله عليه السلام: فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ الْبَلْوَى أَحْمِلْهُمْ و...... ٢٢٠
ومن خطبة له عليه السلام (١٦٢) ٢٢١
قوله عليه السلام: اَلْحَمْدُ للهِ خَالِقِ الْعِبَادِ، وَسَاطِحِ الى بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ ٢٢٢
اللغة ٢٢٢
المعنى ٢٢٢
الشّرح ٢٢٤
قوله عليه السلام: اَلْحَمْدُ للهِ خَالِقِ الْعِبَادِ، وَسَاطِحِ الْمِهَادِ، وَمُسِيلِ الْوِهَادِ و...... ٢٢٤
قوله عليه السلام: لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلاَ لِأَزَلِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ........ ٢٢٦
قوله عليه السلام: هُوَ الأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ، وَالْبَاقِي بِلاَ أَجَلٍ ٢٢٧
قوله عليه السلام: خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ، وَوَحَّدَتْهُ الشِّفَاهُ........ ٢٢٨
قوله عليه السلام: حَدَّ الأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا........ ٢٢٨
قوله عليه السلام: لاَ تُقَدِّرُهُ الأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ، و...... ٢٣٠

اللّغة ٢٥٤
المعنىٰ ٢٥٤
الشّرح ٢٥٥
قوله ﷺ: إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي، وَقَدِ اسْتَفْسَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ٢٥٥
قوله ﷺ: وَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ؟ مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ، و..... ٢٥٦
قوله ﷺ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ، مَا سَبَقْنَاكَ إِلىٰ شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ و...... ٢٥٦
قوله ﷺ: وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا ،وَصَحِبْتَ و..... ٢٥٦
قوله ﷺ: وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلاَ ابْنُ الْخَطَّابِ بِأَوْلىٰ بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنكَ ٢٥٦
قوله ﷺ: وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلىٰ رَسُولِ اللهِ وَشِيجَةَ رَحِمٍ مِنْهُمَا، و...... ٢٥٧
قوله ﷺ: فَاللهَ اللهَ في نَفْسِكَ فَإِنَّكَ، «وَاللهِ» مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمىً و..... ٢٥٨
قوله ﷺ: وَإِنَّ الطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ وَإِنَّ أَعْلاَمَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ ٢٥٨
قوله ﷺ: فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللهِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هُدِيَ وَهَدىٰ .. ٢٥٨
قوله ﷺ: فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً، و..... .... ٢٥٩
قوله ﷺ: وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَ ضُلَّ و...... ٢٥٩
قوله ﷺ: وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: يُؤْتىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ و...... ٢٥٩
قوله ﷺ: وَإِنِّي أُنْشِدُكَ اللهَ أَن لاَ تَكُونَ إِمَامَ هٰذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولَ ،فَإِنَّهُ
قوله ﷺ: وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا فِيهَا، وَيَبُثُّ الْفِتَنَ فِيهَا فَلاَ يُبْصِرُونَ و ٢٦٠
قوله ﷺ: يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً ٢٦١
قوله ﷺ: فَلاَ تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً ،يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ و..... .... ٢٦٢
قوله ﷺ: فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَن يُؤَجِّلُونِي حَتّىٰ و...... ٢٦٢
ومن خطبة له ﷺ(١٦٤)........ ٢٦٣
قوله ﷺ: إِبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ الى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ. ٢٦٥
اللّغة ٢٦٥
المعنىٰ ٢٦٨

قوله عليه السلام: فَإِذَا رَمَىٰ بِبَصَرِهِ إِلَىٰ قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوِلاً بِصَوْتٍ و........ ٢٨٤
قوله عليه السلام: لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلاسِيَّةِ، و........ ٢٨٤
قوله عليه السلام: وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ، وَمَخْرَجُ و..... ٢٨٥
قوله عليه السلام: وَمَغْرِزُهَا إِلَىٰ حَيْثُ بَطْنِهِ كَصِبْغِ الْوَسْمَةِ الْيَمَانِيَّةِ، و...... ٢٨٥
قوله عليه السلام: وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ إِلاَّ أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ و...... ٢٨٥
قوله عليه السلام: وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الأُقْحُوَانِ و..... ٢٨٦
قوله عليه السلام: وَقَلَّ صِبْغٌ إِلاَّ وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ، وَعَلاهُ و...... ٢٨٦
قوله عليه السلام: فَهُوَ كَالأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ وَلاَ شُمُوسُ قَيْظٍ ٢٨٦
قوله عليه السلام: وَقَدْ يَتَحَسَّرُ مِن رِيشِهِ، وَيَعْرَىٰ مِن لِبَاسِهِ، فَيَسْقُطُ و..... ٢٨٦
قوله عليه السلام: فَيَنْحَتُّ مِن قَصَبِهِ انْحِتَاتَ أَوْرَاقِ الأَغْصَانِ، ثُمَّ و...... ٢٨٦
قوله عليه السلام: لاَ يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ، وَلاَ يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ...... ٢٨٧
قوله عليه السلام: وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِن شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً و..... ٢٨٧
قوله عليه السلام: فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَىٰ صِفَةِ هٰذَا عَمَائِقُ الْفِطَنِ، أَوْ تَبْلُغُهُ و...... ٢٨٧
قوله عليه السلام: وَأَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الأَوْهَامَ أَن تُدْرِكَهُ، وَالأَلْسِنَةَ أَن تَصِفَهُ ٢٨٧
قوله عليه السلام: فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلاَّهُ و...... ٢٨٧
قوله عليه السلام: وَأَعْجَزَ الأَلْسُنَ عَن تَلْخِيصِ صِفَتِهِ، وَقَعَدَ بِهَا عَن تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ ٢٨٨
قوله عليه السلام: وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ وَالْهَمَجَةِ إِلَىٰ مَا و...... ٢٨٨
قوله عليه السلام: وَوَأَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَن لاَ يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ و...... ٢٨٨
قوله عليه السلام: فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا و...... ٢٨٩
قوله عليه السلام: عَن بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَىٰ الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا و...... ٢٨٩
قوله عليه السلام: وَلَذَهَلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ و...... ٢٨٩
قوله عليه السلام: وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا... ٢٩٠
قوله عليه السلام: وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا، تُجْنَىٰ و..... ٢٩٠
قوله عليه السلام: وَيُطَافُ عَلَىٰ نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالأَعْسَالِ و...... ٢٩١

اللّغة ٣١٥
المعنىٰ ٣١٦
الشّرح ٣١٦
قوله عليه السلام: إِنَّ اللهَ سُبحانه أَنزَلَ كِتاباً هادِياً بَيَّنَ فيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ٣١٦
قوله عليه السلام: فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَاصْدِفُوا عَن سَمْتِ و..... ...... ٣١٨
قوله عليه السلام: الْفَرائِضَ الْفَرائِضَ أَدُّوها إِلَى اللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ ٣١٨
قوله عليه السلام: إِنَّ اللهَ حَرَّمَ حَراماً غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَأَحَلَّ حَلالاً غَيْرَ مَدْخُولٍ.. ٣١٨
قوله عليه السلام: فَالْمُسْلِمُ مَن سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ وَيَدِهِ إِلاَّ و....... ...... ٣٢٥
قوله عليه السلام: بادِرُوا أَمْرَ الْعامَّةِ وَخاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ ٣٢٥
قوله عليه السلام: فَإِنَّ النَّاسَ أَمامَكُمْ ،وَإِنَّ السّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ و..... .... ٣٢٦
قوله عليه السلام: اتَّقُوا اللهَ في عِبادِهِ وَبِلادِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْؤُلُونَ حَتَّىٰ و..... ...... ٣٢٦
قوله عليه السلام: أَطِيعُوا اللهَ وَلاَ تَعْصُوهُ، وَإِذا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا و..... ...... ٣٢٦
ومن كلامٍ له عليه السلام (١٦٧) ٣٢٧
قوله عليه السلام: يا أَخَوتاهُ! إِنّي لَسْتُ أَجْهَلُ ما تَعْلَمُونَ إلى فآخِرُ الدَّواءِ الكَيّ ٣٢٧
اللّغة ٣٢٧
المعنىٰ ٣٢٨
الشّرح ٣٢٨
قوله عليه السلام: يا أَخَوتاهُ، إِنّي لَسْتُ أَجْهَلُ ما تَعْلَمُونَ ،وَلٰكِن كَيْفَ لِي و.....٣٢٨
قوله عليه السلام: وَها هُمْ هٰؤُلاءِ قَدْ ثارَتْ مَعَهُمْ عُبْدانُكُمْ، وَالْتَفَّتْ و..... ..... ٣٢٩
قوله عليه السلام: يَسُومُونَكُم ماشاؤوا، وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍو...... ...... ٣٢٩
قوله عليه السلام: وَإِنَّ هٰذَا الأَمْرَ أَمْرُ جاهِلِيَّةٍ، وَإِنَّ لِهٰؤُلاءِ الْقَوْمِ مادَّةً ٣٢٩
قوله عليه السلام: إِنَّ النَّاسَ مِنْ هٰذَا الأَمْرِ إِذا حُرِّكَ عَلَىٰ أُمُورٍ و...... ...... ٣٣١
قوله عليه السلام: فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَهْدَأَ النَّاسُ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَواقِعَها،و..... ... ٣٣٢
قوله عليه السلام: فَاهْدَأُوا عَنّي، وَانْظُرُوا ماذا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي ٣٣٢

ومن كلام له عليه السلام (١٧٠) ٣٤٩
قوله عليه السلام: اَللّٰهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفوعِ، وَالْجَوِّ الى،وَالْجَنَّةُ أمامَكُمْ ٣٤٩
اللّغة ٣٤٩
المعنى ٣٥٠
الشّرح ٣٥٠
قوله عليه السلام: اَللّٰهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفوعِ، وَالْجَوِّ الْمَكْفُوفِ ٣٥٠
قوله عليه السلام: الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لِلَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَمَجْرىً لِلشَّمْسِ و..... .. ٣٥٣
قوله عليه السلام: وَجَعَلْتَ سُكّانَهُ سِبطاً مِنْ مَلائِكَتِكَ لا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبادَتِكَ ٣٥٥
قوله عليه السلام: وَرَبَّ هٰذِهِ الأَرْضِ الَّتي جَعَلْتَها قَراراً لِلأنامِ، وَمَدْرَجاً لِلْهَوامِّ ٣٥٥
قوله عليه السلام: وَرَبَّ الْجِبالِ الرَّواسِي الَّتي جَعَلْتَها لِلأرْضِ أَوْتاداً وَلِلْخَلْقِ . ٣٥٥
قوله عليه السلام: إنْ أَظْهَرْتَنا عَلىٰ عَدُوِّنا فَجَنِّبْنَا الْبَغْيَ، وَسَدِّدْنا لِلْحَقِّ ٣٥٦
قوله عليه السلام: وَإنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنا فَارْزُقْنَا الشَّهادَةَ، وَاعْصِمْنا مِنَ الْفِتْنَةِ ... ٣٥٧
قوله عليه السلام: أَيْنَ الْمانِعُ لِلذِّمارِ، وَالْغائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقائِقِ و..... .... ٣٥٧
ومن خطبة له عليه السلام (١٧١) ٣٥٩
قوله عليه السلام: اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي لا تُوارِي عَنْهُ سَماءٌالى دَخَلُوا بِها عَلَيْهِمْ.. ٣٦٠
اللّغة ٣٦٠
المعنى ٣٦٠
الشّرح ٣٦١
قوله عليه السلام: اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي لا تُوارِي عَنْهُ سَماءٌ سَماءً، وَلا أَرْضٌ أَرْضاً. ٣٦١
قوله عليه السلام: وَقَدْ قالَ لِي قائِلٌ: إنَّكَ عَلىٰ هٰذَا الأَمْرِ يَا ابْنَ و..... .... ٣٦٢
قوله عليه السلام: فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَاللهِ لأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ... ٣٦٣
قوله عليه السلام: وَإنَّما طَلَبْتُ حَقّاً لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْني وَبَيْنَهُ، و..... ...... ٣٦٤
قوله عليه السلام: فَلَمّا قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلأِ الْحاضِرِينَ هَبَّ و...... ...... ٣٦٤
قوله عليه السلام: اَللّٰهُمَّ إنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلىٰ قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعانَهُمْ، و...... ..... ٣٦٥

قوله عليه السلام: لَيسَت لِدارِكُمْ وَلَا مَنزِلِكُمْ الَّذِى خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا الَّذيِ و..... . . ٤٢١
قوله عليه السلام: اَلَا وَاِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لِكُمْ وَلَاتبقَوْنَ عَلَيْهَا وَهِيَ و......... . ٤٢٢
قوله عليه السلام: فَدَعُو غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا وَاَطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا وَسَابِقُوا و..... ٤٢٢
قوله عليه السلام: وَانْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا وَلَايَخِنَّنَّ اَحَدُكُمْ خَنِينَ و..... . . . . ٤٢٣
قوله عليه السلام: وَاسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللّٰهِ و....... . . ٤٢٤
قوله عليه السلام: اَلَاوَاِنَّهُ لَايَضُرُّكُمْ شَيْءٌ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ. ٤٢٥
قوله عليه السلام: أَخَذَ اللّٰهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ اِلَىٰ الْحَقِّ وَالْهَمَنَا وَاِيَّاكُمْ الصَّبْرَا . ٤٢٦
ومن كلامٍ له عليه السلام (١٧٣) ٤٢٩
قوله عليه السلام: قَدْ كُنْتُ وَمَا اَهَدَّدُ بِالْحَرْبِ وَلَا اُرَهَّبُ الى تُسْلَمَ مَعَاذِيرَهُ . . ٤٢٩
اللّغة ٤٢٩
المعنىٰ ٤٣٠
الشّرح ٤٣٠
قوله عليه السلام: قدْ كُنت وما اهدد بالحَرب ولا ارَّهب بالضَرب ٤٣٠
قوله عليه السلام: وَاَنَا عَلَىٰ مَاقَدْ وَعَدَنِي رَبِّى مِنَ النَّصْرِ ٤٣٣
قوله عليه السلام: وَاللّٰهِ مَااسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمانَ اِلَّا و.......... ٤٣٤
قوله عليه السلام: وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ اَحْرَصَ عَلَيْهِ مِنْهُ فَاَرَادَ اَنْ و......... ٤٣٥
قوله عليه السلام: وَوَاللّٰهِ مَا صَنَعَ فِي اَمْرِ عُثْمانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ ٤٣٥
قوله عليه السلام: وَيَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ وَجَاءَ و..... . ٤٣٦
ومن خطبة له عليه السلام (١٧٤) ٤٣٩
قوله عليه السلام: اَيُّهَاالنَّاسُ الغافلون عَنِّي غَيْرَ الْمَغْفُولِ الى قَبْلَكُمْ عَنْهَا ٤٣٩
اللّغة ٤٣٩
المعنى ٤٤٠
الشّرح ٤٤١
قوله عليه السلام: اَيُّهَاالنَّاسُ الغافلون عَنِّي غَيْرَ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ و......... ٤٤١

قوله عليه السلام: وَاعْلَمُوا اَنَّ هٰذَا الْقُرآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِى لَا يَغُشُّ و...... . . . . . ۴۷۲
قوله عليه السلام: وَمَا جَالَسَ هٰذَا الْقُرآنَ اَحَدٌ اِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ اَوْ و....... . . . . . ۴۷۳
قوله عليه السلام: وَاعْلَمُوا اَنَّهُ لَيْسَ عَلَىٰ اَحَدٍ بَعْدَ الْقُرآنِ مِنْ فَاقَةٍ و...... . . . . . ۴۷۵
قوله عليه السلام: فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ اَدْوَائِكُمْ وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَىٰ لَأْوَائِكُمْ ۴۷۵
قوله عليه السلام: فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ اَكْبَرِ الدَّاءِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ و...... . . . . . ۴۷۶
قوله عليه السلام: فَاسْئَلُوا اللّٰهَ بِهِ وَتَوَجَّهُوا اِلَيْهِ بِحُبِّهِ وَلَا تَسْأَلُوا و....... . . . . . ۴۷۶
قوله عليه السلام: وَاعْلَمُوا اَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ وَاَنَّهُ مَنْ و....... . . . . . ۴۷۶
قوله عليه السلام: وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ. ۴۷۷
قوله عليه السلام: يَوْم فَإِنَّهُ يُنَادِى مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(اَلَا اِنَّ كُلَّ حَارِثٍ و....... . . . . ۴۷۷
قوله عليه السلام: فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَاَتْبَاعِهِ وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَىٰ رَبِّكُمْ و....... . . . . . ۴۷۹
قوله عليه السلام: اَلْعَمَلَ اَلْعَمَلَ ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ وَالِاسْتِقَامَةَ و...... . . . . ۴۸۰
قوله عليه السلام: اِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا اِلَىٰ نِهَايَتِكُمْ وَاِنَّ لَكُمْ و....... . . . . ۴۸۷
قوله عليه السلام: وَاِنَّ لِلْاسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا اِلَىٰ غَايَتِهِ وَاخْرُجُوا اِلَىٰ و...... . . . ۴۸۷
قوله عليه السلام: اَلَا وَاِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قد وَقَعَ وَالْقَضَاءَ الْمَاضِىَ قَدْ تَوَرَّدَ . . . ۴۸۸
قوله عليه السلام: وَاِنِّى مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ اللّٰهِ وَحُجَّتِهِ قَالَ اللّٰهُ تَعَالَىٰ و....... . . . . . . ۴۹۳
قوله عليه السلام: وَقَدْ قُلْتُمْ «رَبُّنَا اللّٰهُ» فَاسْتَقِيمُوا عَلَىٰ كِتَابِهِ وَعَلَىٰ و....... . . . . ۴۹۳
قوله عليه السلام: ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا فَإِنَّ اَهْلَ ۴۹۴
قوله عليه السلام: ثُمَّ اِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ الْأَخْلَاقِ وَتَصْرِيفَهَا ۴۹۴
قوله عليه السلام: وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِداً وَلْيَخْزُنِ الرَّجُلُ لِسَانَهُ و....... . . . . . . ۴۹۵
قوله عليه السلام: وَاِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ وَاِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ. ۴۹۶
قوله عليه السلام: لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا اَرَادَ اَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِى نَفْسِهِ و...... . ۴۹۶
قوله عليه السلام: وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ لَا يَسْتَقِيمُ اِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ و....... . . . . ۴۹۶
قوله عليه السلام: فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ اَنْ يَلْقَى اللّٰهَ تَعَالَىٰ وَهُوَ نَقِيُّ و....... . . . . ۴۹۸
قوله عليه السلام: وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللّٰهِ اَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ و....... . . . . . . ۵۰۱

قوله عليه السلام: وَإنَّ مَا أحْدَثَ النَّاسُ لَا يَحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ و...... . . . ٥٠١
قوله عليه السلام: فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ و....... . . . ٥٠٢
قوله عليه السلام: وَدُعِيتُمْ إلَى الأَمْرِ الْوَاضِحِ فَلاَ يَصَمُّ عَنْ ذٰلِكَ إلَّا أصَمُّ و...... ٥٠٢
قوله عليه السلام: وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ اللّٰهُ بِالْبَلاَءِ وَالتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ و...... . . . . . . ٥٠٢
قوله عليه السلام: وَأتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أمَامِهِ حَتَّىٰ يَعْرِفَ مَا أنْكَرَ وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ ٥٠٣
قوله عليه السلام: وَإنَّمَا النَّاسُ رَجُلاَنِ مُتَّبِعٌ شِرْعَةً وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً لَيْسَ و...... . ٥٠٣
قوله عليه السلام: وَإنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أحَداً بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ و...... . . . . . . ٥٠٤
قوله عليه السلام: وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَمَا لِلْقَلْبِ جِلاَءٌ غَيْرُهُ. ٥٠٥
قوله عليه السلام: مَعَ أنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ وَبَقِيَ النَّاسُونَ وَ الْمُتَنَاسُونَ . . . ٥٠٧
قوله عليه السلام: فَإذَا رَأيْتُمْ خَيْراً فَأعِينُوا عَلَيْهِ وَإذَا رَأيْتُمْ شَرّاً فَاذْهَبُوا عَنْهُ . . . ٥٠٨
قوله عليه السلام: فَإنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ٩ كَانَ يَقُولُ يَابْنَ آدَمَ اعْمَلِ الْخَيْرَ و....... . . . ٥٠٨
قوله عليه السلام: ألَا وَإنَّ الظُّلْمَ ثَلاَثَةٌ فَظُلْمٌ لَايُغْفَرُ وَظُلْمٌ لَايُتْرَكُ و...... . . . . . . ٥٠٩
قوله عليه السلام: فَأمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَايُغْفَرُ الشِّرْكُ بِاللّٰهِقَالَ اللّٰهُ تَعَالَى و....... . . . ٥٠٩
قوله عليه السلام: وَأمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ. . ٥١١
قوله عليه السلام: وَأمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَايُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً ٥١٢
قوله عليه السلام: الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالْمُدَىٰ وَلَا و....... . . . ٥١٢
قوله عليه السلام: وَلٰكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذٰلِكَ مَعَهُ فَإيَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللّٰهِ . . ٥١٢
قوله عليه السلام: فَإنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا و..... ٥١٢
قوله عليه السلام: وَإنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ و...... . . . . . ٥١٣
قوله عليه السلام: يَاأيُّهَا النَّاسُ طُوبَىٰ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ. ٥١٣
قوله عليه السلام: وَطُوبَىٰ لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَأكَلَ قُوتَهُ وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ و....... . . . ٥١٦
قوله عليه السلام: فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ. ٥١٨

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ١٠٧٥٤٣
التاريخ ١/٨/٩/١ هـ